

جامعة القاهرة

كلية الآثار

قسم الآثار الإسلامية

## رسالة دكتوراه بعنوان

الأزمات الاقتصادية وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية بمصر  
في العصرين الأيوبي والملوكي البحري في ضوء الآثار الإسلامية  
”دراسة أثرية حضارية“

مقدم من :

مرفت عثمان حسن علي

المدرس المساعد بكلية التربية جامعة عين شمس

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور :

عبد العزيز محمود عبد الدايم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية الآثار جامعة القاهرة

الدكتور :

أحمد السيد الصاوي

مدرس المسكوكات الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م





رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي  
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ  
صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي  
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الإجازة

أجازت لجنة المناقشة هذه الرسالة للحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية  
بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع  
الجامعات الأخرى بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢  
بعد استيفاء جميع المتطلبات

## اللجنة

الاسم	الدرجة العلمية	التوقيع
١- أ.د. عبد العزيز محمود عبد الدايم.	أستاذ	
٢- أ.د. رافت محمد محمد النبراوي.	أستاذ	
٣- أ.د. زبيدة عطا.	أستاذ	



## الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة تغمدہ اللہ فی رحمۃہ ...  
إلى أمي نبض قلبي نبع العطاء والحنان، من عطائك تقجلي أبدأ لن  
تتملمي يا شمعة دربي يا بلسم الزمان..  
أطال الله عمرها بالخير ...  
أهدي إليها هذا البحث، فلها جزيل الشكر والامتنان جزاها الله  
عني كل الخير ..



## شكر وتقدير

أجد لزاماً عليّ أن يتصدر هذا البحث بأسمى كلمات الشكر والعرفان بالجميل إلى أستاذي العالم الجليل الأستاذ الدكتور / عبد العزيز محمود عبد الدايم، ولا أجد اليوم في مقامي هذا ما أوفي به حق مشرفي الذي شرفت بالنهل من علمه وتفضله بالإشراف على البحث فقد تحملني كثيراً وأسدى إلى النصائح العديدة، وأعطاني من جهده وإنسانيته وتعلمت منه الكثير، لا في حياتي العلمية فقط بل وحياتي العملية أيضاً، ومهما بلغت كلماتي فلن يستطيع قلبي أن يُعبر عن مدى تقديري وإعزازي للعالم الجليل، فكان لي نعم الموجه والمرشد والأستاذ الذي لا يرضن على ابنته بأي شيء من مكتبته العلمية فنهلته منها الكثير والكثير فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء، أطال الله في عمره وأعطاه مزيداً من الصحة والعافية،،،

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى أستاذي الدكتور أحمد السيد الصاوي الذي تحملني الكثير والكثير ولم يرضن علي بشيء من علمه فنهلته من علمه الغزير، واعترف بأنني قد أجهدته وأثقلت عليه لكنه تحملني وكان صبوراً معي، فقد أعطاني من وقته وجهده وإنسانيته، فتعلمت منه الصبر والدقة في الأمور والتعمق في فهم كل شيء، فكان لي نعم الموجه والمشرّف والمرشد، أكثر الله من أمثاله...

جزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء.





ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر وأسمى التقدير إلى كل من ساهم معي ولم يبخل على بالمساعدة العلمية والنصائح وأخص منهم، الأستاذ الدكتور / رأفت محمد النبراوي، أستاذ المسكوكات الإسلامية، وعميد كلية الآثار الأسبق بجامعة القاهرة، والدكتور / عاطف منصور محمد رمضان، أستاذ المسكوكات الإسلامية المساعد بكلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادي، والمهندس الاستشاري / علي ماهر متولي، ومركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة وأخص منهم المهندس / أيمن محسن كامل، وأتقدم بالشكر إلى مكتبة مركز البحوث الأمريكي، ومكتبة دير الأباء الدومنيكان، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، والعاملين بوزارة الأوقاف قسم الوثائق والمحفوظات وكل مكتبة ومركز ذهبت إليه واستفدت منه.

وأتقدم بالشكر لكل من قدم لي يد المساعدة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ومتحف كلية الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة، وأتقدم بخالص الشكر إلى المهندس / أحمد عبد الباري منتصر الذي لولاه ما خرج هذا البحث بهذه الصورة. فجزاهم الله عني وعن العلم خير الجزاء...



## الكلمات الدالة علي الرسالة:

١- الأزمات

٢- الاقتصادية

٣- الإقطاع

٤- الروك

٥- الأوزان

٦- النقود

٧- الأسعار

٨- السلع

٩- العمارة

١٠- الفنون



## ملخص الرسالة

من الظواهر ذات الآثار الاجتماعية التي اتسم بها تاريخ مصر في العصور الوسطى بوجه عام، وفي عصر سلاطين الأيوبيين بوجه خاص ظاهرة تعرض البلاد لأزمات اقتصادية خانقة إلى جانب المجاعات والأوبئة التي كانت تصحبها ليس في إقليم واحد فقط، بل كافة الأقاليم، ويتأثر بها البلاد والعباد، ثم لا تلبث أن تترك بصماتها واضحة في أحوال المجتمع وأوضاعه المالية والمعمارية بل والفنية أيضاً مما يجعل منها ثمة خطيرة من سمات العصر جديرة فعلاً بالدراسة والبحث، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يمثل جانب الربط والتضمين من خلال الأزمات الاقتصادية وأثرها على النواحي المالية والحضارية التي تظهر بوضوح في الآثار المادية التي خلفت زمن الأزمات الاقتصادية باعتبارها دليلاً قائماً لا يتطرق الشك إلى شهادته بأي حال من الأحوال، وقد احتوت هذه الرسالة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة تناول الفصل الأول الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، والفصل الثاني تناولت فيه بالدراسة والتحليل تأثير الأزمات الاقتصادية على النواحي الإدارية والمالية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري والفصل الثالث تحدثت فيه عن تأثير الأزمات الاقتصادية على النقود وفي الفصل الرابع قمت بتحليل أثر الأزمات الاقتصادية على الأسعار والقيم النقدية والرواتب والفصل الخامس فقد خصصته لدراسة تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة والفنون التطبيقية الإسلامية من خزف، فخار، خشب، زجاج، معادن، نسيج وغير ذلك، ثم اختتمت الدراسة بخاتمة تحتوي على أهم نتائج البحث، بالإضافة إلى أنني ذيلت البحث بثلاثة ملاحق لفيضان النيل، ومتوسط أوزان النقود وأسعار السلع الغذائية، وألحقت بالبحث قائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية المختلفة، بالإضافة إلى كتالوج الصور والأشكال.



## محتويات الرسالة

رقم الصفحة

العنوان

المقدمة

٩-١

الفصل الأول: الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمات الاقتصادية في  
العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.

٥٠-١٠

• الأسباب الطبيعية.

١٠٢-٥٠

• الأسباب البشرية

الفصل الثاني: تأثير الأزمات الاقتصادية على النواحي الإدارية والمالية في العصرين  
الأيوبي والمملوكي البحري.

١٢٧-١٠٣

• نظم الحكم والإدارة ودور الوظائف في حدوث الأزمات.

• تأثير الأزمات الاقتصادية على الموارد المالية للدولتين الأيوبية والمملوكية  
البحرية.

١٦٨-١٢٧

- الإقطاع .

١٧٧-١٦٨

- أثر النظام الإقطاعي على الفلاحين .

١٩٨-١٧٧

- أثر الأزمات الاقتصادية على مرافق البلاد المرتبطة بالري والزراعة.

٢٠٦-٢٠٠

- تأثير الأزمات على الخراج.

٢٠٨-٢٠٦

- تأثير الأزمات على الزكاة .

٢١٣-٢٠٩

- تأثير الأزمات على المكوس .

٢١٤-٢١٣

- تأثير الأزمات على الجوالى (الجزية).

٢١٧-٢١٥

- المواريث الحشرية .

٢٢٠-٢١٧

- المصادرات .

٢٢٨-٢٢١

- أثر الأزمات الاقتصادية على المصروفات في الدولتين الأيوبية والمملوكية  
البحرية.

٢٣٦-٢٢٨

- أثر الأزمات الاقتصادية على الأوقاف.





### الفصل الثالث: تأثير الأزمات الاقتصادية على المسكوكات (النقود)

- الملامح العامة للتداول النقدي في نهاية العصر الفاطمي إلى نهاية العصر الأيوبي. ٢٣٧-٢٦٠
- أثر الأزمات الاقتصادية على دار الضرب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٢٦١-٢٦٢
- العوامل المؤثرة في قيام دار الضرب بعملها. ٢٦٢-٢٦٦
- تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن النقود. ٢٦٦-٢٦٩
- تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن النقود في العصر الأيوبي (الدنانير). ٢٦٩-٢٨٣
- تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن الدنانير في العصر المملوكي البحري. ٢٨٣-٢٩٤
- تأثير الأزمات الاقتصادية على عيار الدنانير في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٢٩٤-٢٩٩

- رسم إحصائي يوضح متوسط أوزان الدنانير في العصر الأيوبي.

- رسم إحصائي يوضح متوسط أوزان الدنانير في العصر المملوكي البحري.

### الفصل الرابع: تأثير الأزمات الاقتصادية على الأسعار والقيم النقدية والرواتب

#### • السلع الغذائية

- سعر القمح ٣٠٤-٣١١
- سعر الخبز والدقيق ٣١١-٣١٤
- سعر الأرز والشعير ٣١٤-٣١٧
- سعر الفول ٣١٧-٣١٨
- سعر أدوية المرضى ٣١٨-٣٢١
- سعر الماء ٣٢١

- سعر اللحوم ومنتجات الألبان ٣٢٢-٣٢٦

- موقف الحكومة من الغلاء وارتفاع الأسعار. ٣٢٧-٣٣٠

- موقف التجار من حدوث الأزمات وارتفاع الأسعار. ٣٣٠-٣٣٤

- أثر الأزمات الاقتصادية على أسعار الإبدال في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٣٣٤-٣٤٣

- جدول يوضح سعر صرف الدينار/الدرهم في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٣٤٤



• رسم إحصائي يوضح تطور سعر صرف الدينار / الدرهم أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر الأيوبي.

• رسم إحصائي يوضح تطور سعر صرف الدينار / الدرهم أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري.

٣٤٧-٣٤٥

• الرواتب واختلاف الوظائف من منشآه لأخرى.

٣٥٦-٣٤٧

• علاقة الأسعار بالمرتبات.

• التمثيل الإحصائي لتطور سعر القمح في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري أثناء الأزمات الاقتصادية (الكيلوجرام/درهم).

• جداول توضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.

• رسم إحصائي يوضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر الأيوبي.

• رسم إحصائي يوضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري.

• جداول توضح مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.

• رسم إحصائي لمستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.



الفصل الخامس: تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة والفنون التطبيقية الإسلامية

- أولاً: تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة في العصر الأيوبي. ٣٥٧-٣٦٩
- ثانياً: تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة في عصر المماليك البحرية. ٣٧٠-٣٩٠
- تأثير الأزمات الاقتصادية على الفنون التطبيقية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٣٩٠-٣٩٢
- الخزف في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٣٩٣-٤٠٠
- الفخار في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤٠٠-٤٠٤
- المنسوجات في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤٠٥-٤٠٨
- المعادن في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤٠٨-٤١٤
- الأخشاب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤١٥-٤١٧
- الزجاج في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤١٨-٤٢٢

الخاتمة وأهم نتائج البحث. ٤٢٣-٤٣١  
ملاحق البحث:

- ملحق رقم (١): يوضح قياس النيل أثناء الأزمات الاقتصادية حسب ما ورد في المصادر التاريخية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤٣٢-٤٤٣
- ملحق رقم (٢): يوضح متوسط أوزان الدلائل أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤٤٤-٤٥٧
- ملحق رقم (٣): يوضح أسعار المواد الغذائية أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. ٤٥٨-٤٧٤

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.  
كتالوج اللوحات والأشكال.



## مقدمة:

يحتل عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك مكان الصدارة من اهتمام الباحثين في حقل تاريخ الشرق الأدنى في العصور الوسطى، وإذا كان النشاط السياسي والحربي في ذلك العصر قد ظفر حتى الآن بقسط وافر من الدراسة فإن الجوانب الاقتصادية متمثلة في النواحي المالية والحضارية لا تزال تفتقر إلى مزيد من الجهود والبحوث، هذا ومن الظواهر ذات الآثار الاجتماعية التي اتسم بها تاريخ مصر في العصور الوسطى بوجه عام، وفي عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك بوجه خاص ظاهرة تعرض البلاد لأزمات اقتصادية خانقة إلى جانب المجاعات والأوبئة التي كانت تصحبها، والغريب في أمر هذه الأزمات أنها كانت لا تقتصر على إقليم دون آخر من أقاليم البلاد، وإنما كانت نعم كافة الأقاليم وتتأثر بها البلاد والعباد، ثم لا تلبث أن تترك بصماتها واضحة في أحوال المجتمع وأوضاعه المالية والمعمارية بل والفنية أيضاً مما يجعل منها سمة خطيرة من سمات العصر جديرة فعلاً بالدراسة والبحث.

وتكمن أهمية البحث موضوع الدراسة في أنه يمثل جانب الربط والتضمين من خلال الأزمات الاقتصادية وأثرها على النواحي المالية والحضارية التي تظهر بوضوح في الآثار المادية التي تخلفت زمن الأزمات الاقتصادية باعتبارها دليلاً قائماً لا يتطرق الشك إلى شهادته بأي حال من الأحوال.

ولما كانت الآثار علم من علوم التاريخ بل هي السجل المادي الباقي لحوادث التاريخ فقد رأيت أن أدرس أثر هذه الأزمات الاقتصادية والتي تكرر حدوثها في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري علي النقود (المسكوكات) التي سوف تكون الدليل على ما وصلنا من الذهب والفضة التي ترجع إلى هذين العصرين، وعن طريقها وفي ضوئها يمكن تتبع ما ورد عن الاقتصاد في الوثائق والمصادر بل والمراجع المختلفة وكيف أن الفضة أخذت تنافس الذهب الذي اقتصرت أثناء الأزمات الاقتصادية بل عن طريقها يمكن دراسة أسعار السلع الغذائية وعلاقة هذه الأسعار بالرواتب والأجور ومستوى المعيشة في فترات الأزمات الاقتصادية.

هذا وقد أثرت التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الإنتاج الفني والعمائر وبمعنى آخر أثر نتائج الأزمات على حركة التشييد والبناء في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري وأثر





ذلك على أحجام المباني ووظائفها ونصوصها التأسيسية ومنتجات الخزف والفخار والنسيج والصناعات المعدنية.

أما عن المنهج الذي اتبعته في دراسة هذا الموضوع فقد قسمته إلى مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، وملاحق.

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية البحث وسبب اختياره ليكون موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه، ودراسة المقدمة تعتبر المدخل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

فالفصل الأول: حمل عنوان: "الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري"، فقد كان هناك أسباب وعوامل طبيعية كان نهر النيل في بداية تلك العوامل، ذلك النيل الذي قل ماؤه أحياناً أو فاض أحياناً أخرى ففضى في الحالتين على الزرع وأهلك الضرع، إلى جانب حدوث الأوبئة المختلفة والتي أثرت في الإنسان والحيوان وتسببت في هلاكهم بالإضافة إلى الآفات الزراعية من جراد وفئران ودود وكل هذا أثر في المزروعات وقضى عليها وتسبب في حدوث الأزمات الاقتصادية والمجاعات، وقد كان لهبوب الرياح وسقوط الأمطار ومجيء البرد ووقوع الزلازل واشتعال الحرائق سبباً في حدوث العديد من الأزمات الاقتصادية.

أما عن الأسباب البشرية التي أدت إلى حدوث تلك الأزمات فقد تعددت وتنوعت حيث كانت الفتن والاضطرابات على رأس تلك الأسباب، ووجود الفساد الإداري إلى جانب الحصار الاقتصادي الأوروبي والإسراف والتبذير الحكومي، بالإضافة إلى إهمال تطهير الترع وصيانة الجسور وإهمال النظام الإقطاعي، كل هذه العوامل والأسباب تشابكت مع بعضها البعض لتحدث أزمات اقتصادية عديدة.

أما الفصل الثاني من البحث موضوع الدراسة فقد حمل عنوان: "تأثير الأزمات الاقتصادية على النواحي الإدارية والمالية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري".

وقد تحدثت فيه عن نظم الحكم والإدارة وكيف أن الوظائف العالية (المرموقة) في الدولة كانت لها دوراً كبيراً في وجود بل خلق أزمات اقتصادية فقد كان منصب السلطنة منصب يطمح إليه الكثيرون فكان هذا المنصب سبباً في حدوث الفتن



السلطنة منصب يطمح إليه الكثيرون فكان هذا المنصب سبباً في حدوث الفتن والصراعات والاضطرابات إلى جانب الحديث عن الموارد المالية للدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية المتمثلة في الإقطاع وأسباب انهيار هذا النظام وحال الفلاحين في وجود هذا النظام، وتحدثت أيضاً عن أثر الأزمات الاقتصادية على مرافق البلاد المرتبطة بالري والزراعة إلى جانب تأثيرها على المسوارد الأخرى كالخراج والزكاة والمكوس والجوالي (الجزية) والمواريث الحشرية، كما تعرضت أيضاً لموضوع المصادرات، وتأثير الأزمات على المصروفات في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، بالإضافة إلى أن الأزمات الاقتصادية أثرت بشكل أو بآخر على الأوقاف في كلتا الدولتين.

أما الفصل الثالث: فيحمل عنوان: "تأثير الأزمات الاقتصادية على المسكوكات (النقود)".

وقد أوضحت فيه أثر تلك الأزمات على التداول النقدي في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري وكيف ألها أيضاً أثرت على دار الضرب وكيف تأثرت تلك الدور بحدوث الأزمات الاقتصادية بالإضافة إلى تأثيرها على أوزان النقود خاصة الدنانير التي كان ينقص وزنها تارة وبتضاعف تارة أخرى، وقد أخذت بمتوسط أوزان الدنانير لمعرفة تأثير الأزمات عليها وأوضحت ذلك في جداول خاصة ورسم بياني يوضح تأثير تلك الأزمات على أوزان تلك النقود (الدنانير)، هذا إلى جانب تأثير تلك الأزمات على عيار الدنانير في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.

والفصل الرابع: حمل عنوان: "تأثير الأزمات الاقتصادية على الأسعار والقيم النقدية والرواتب".

وتعرضت فيه للسلع الغذائية وسعر القمح الغذاء الأساسي والرئيسي لجميع فئات الشعب وكيف تعرض هذا السعر للتذبذب بالارتفاع والانخفاض حتى أنه كان يرتفع في السنة الواحدة بل في الشهر الواحد ويأخذ أسعار مختلفة ترتفع تارة وترتفع جداً تارة أخرى ثم تنخفض وأوضحت هذا من خلال رسم بياني (إحصائي) يوضح سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكي البحري من خلال الكيلو جرام / الدرهم عن طريق جداول مختلفة لسنوات حدوث تلك الأزمات وتعرضت أيضاً لأسعار الخبز والدقيق،



الأرز والشعير، والفلول، أدوية المرضي، الماء، اللحوم والدواجن ومنتجات الألبان، وقد أوضحت موقف الحكومة من هذا الغلاء وارتفاع الأسعار الذي اختلف من عصر لعصر ومن سلطان لآخر، فكان هناك من يقضي على أثر الأزمة وهناك من لا يستطيع حتى أن يفكر في حل تلك الأزمة، إلى جانب أن التجار كانوا يستغلون حدوث تلك الأزمات ويقوموا برفع أسعار السلع الغذائية بطريقة مذهلة فيعجز الناس عن شراء ضروريات الحياة.

هذا وقد أشرت إلى تأثير الأزمات الاقتصادية على أسعار الإبدال، وتعرضت للرواتب واختلافها حسب الوظيفة من منشأة لأخرى، إلى جانب علاقة تلك الأسعار بالمرتبات وهل هي كافية لشراء القمح أهم غذاء بل الغذاء الأساسي الذي يعتمد عليه الإنسان في حياته ثم أوضحت ذلك بتمثيل إحصائي يوضح مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب.

والفصل الخامس: فقد خصصته لدراسة: "تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة والفنون التطبيقية الإسلامية".

تعرضت فيه لتأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة في العصر الأيوبي الذي كان عصر نقشف وزهد فاتسمت المباني بالطابع الحربي البعيد عن الزخرفة والتألق والشراء، فاقترنت العمارة في هذا العصر على القلاع والأسوار والأبراج والحصون وغير ذلك، وعلى العكس من ذلك فنجد العصر المملوكي البحري يبرز بتشييد العمائر الفخمة ذات الشراء المبالغ فيه على الرغم من تعرض البلاد في أثناء هذه الفترات لأزمات اقتصادية عديدة إلا أنهم لم يكفوا عن تشييد تلك العمائر، أما العمران الشعبي فنجد أن الأزمات الاقتصادية قد أثرت عليه تأثيراً عظيماً فنجد خراب في الأسواق وقلة عددها إلى جانب الحمامات والحارات.

وفيما يخص الفنون التطبيقية من الخزف والفخار والمنسوجات والمعادن والأخشاب والزجاج فقد تحكم فيها غمطان غمط الطلب الأعلى، وغمط الطلب الأدنى، وغمط الطلب الأعلى هو القوة الشرائية العالية ذات السطوة والنفوذ من السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة من الطبقة العليا فاستخدم الفنون التي تناسب مكانتهم وتصنع لهم حسب مواصفات خاصة، أما غمط الطلب الأدنى ذات



القوة الشرائية الضعيفة من الفلاحين والفقراء تطلبت احتياجهم سلع رخيصة  
تلي احتياجهم المعيشية الأساسية، لأنهم غير قادرين على شراء السلع الغالية  
المتميزة.

هذا وقد اعتمدت على العديد من الوثائق المنشورة والوثائق غير المنشورة والتي أفدت منها إفادة  
كبيرة في معرفة رواتب الموظفين بالمنشآت المعمارية المختلفة إلى جانب العديد من المخطوطات  
والمصادر والمراجع العربية والأجنبية المختلفة التي أفادتني في البحث موضوع الدراسة والتي كلن  
لزماً على الرجوع إليها ومن المخطوطات التي أفدت منها إفادة كبيرة في أمر النيل مخطوط  
المنوفي: وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام، الفيض المديد في أخبار النيل السعيد،  
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٦ جغرافيا، ومخطوط السيوطي: جلال الدين السيوطي، مبدأ  
النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٣٨١ جغرافيا، وقد أفدت منهما في  
معرفة أول من قاس النيل بمصر ووضع مقياس للنيل في منف ثم المقاييس التي صنعت بعد ذلك  
والتي صنعها ملوك العجم فصنعوا مقياس بأنصنا وآخر بأحميم هذا بالإضافة إلى معرفة قياس النيل  
والزيادة فيه.

هذا إلى جانب مخطوط للخزرجي: أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الأنصاري  
الخزرجي، النيل الرائد في النيل الزائد، مخطوط بدار الكتب المصرية، جغرافيا ٤٥٨٤٤،  
ميكرو فيلم ٧٥٢٠ ووصفه لنيل مصر وكيفية قياسه وزيادته ونقصانه وأثر ذلك على البلاد  
والعباد.

هذا إلى جانب بعض المخطوطات التي تتحدث عن سلاطين وملوك الدولتين الأيوبية والمماليك  
البحرية والتي سوف يرد ذكرها في المتن.

وقد أفدت إفادة كبيرة من المصادر المتعددة التي تتحدث عن العصرين الأيوبي والمملوكي  
البحري، فمن المؤرخين الذين أرخوا للدولة الأيوبية القاضي جمال الدين محمد بن سالم الحموي  
المعروف بابن واصل (ت ٦٧٩هـ/١٢٧٩م) في كتابه مفرج الكروب في أخبار بني أيوب منذ  
قيامها إلى نهايتها على أيدي المماليك، هذا وقد عاصر معظم ملوك الدولة الأيوبية، وقد شاهد  
ابن واصل بنفسه الأحداث حيناً وتتسم أخباره بالوثائق الرسمية الهامة في الدولة الأيوبية، وهو من  
الكتب التي تحتوي على تاريخ مفصل ودقيق للدولة الأيوبية وسلاطينها جميعاً، وهذا الكتاب يقع  
في ستة أجزاء تناول الأول منها وصول صلاح الدين لحكم مصر، والجزأين الثاني والثالث فقد





تناولا عصر السلطان صلاح الدين وأولاده وفترة حكم السلطان العادل الأول إلى سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، والجزء الرابع تناول عصر السلطان الكامل محمد، والجزءان الخامس والسادس فقد تناولا عصر الصالح نجم الدين أيوب وابنه الملك تورانشاه ومرحلة نهاية الدولة الأيوبية.

هذا إلى جانب مصادر متعددة ومتنوعة للعصر الأيوبي منها كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد الأصفهاني (٥١٩هـ-٥٩٧هـ/١١٢٥-١٢٠٠م) والذي ولد بأصفهان وتوفي بدمشق، وهذه الكتب تحدثت عن صلاح الدين وجهوده وحروبه وسيرته التي تعتبر سجلاً حافلاً للجهود التي قام بها صلاح الدين من عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م إلى عام ٥٨٩هـ/١١٩٢م، بالإضافة إلى كتاب ابن شداد الملقب ببهاء الدين والذي ولد في الموصل سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م وتوفي في حلب سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م، وكتاب أبو شامة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية.

ومن الكتب التي اعتمدت عليها في معرفة موارد الدولة المالية هي كتاب قوانين الدواوين للأسد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ناظر الدواوين وناظر الجيش في عهد صلاح الدين وهو أحد وزراء الدولة الأيوبية البارزين والذي يمكن اعتباره بحق من الكتب الفريدة في بابها العظيمة في قيمتها فهو يصف لنا حال البلاد المصرية خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على وجه التقريب وقد أفدت منه في معرفة أحوال الخلجان والترع والجسور إلى جانب موارد الدولة المالية المختلفة من مكوس وجزية وجوالي وغير ذلك، فهذا الكتاب يعتبر وثائق من الطراز الأول لأنه تقلب في كثير من دواوين الحكومة، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسؤولين.

ومن أهم المصادر التي كان لها أهمية كبيرة في هذا البحث كتاب المقريري: تقي الدين أحمد بن علي المقريري المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م، إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات في مصر، وهو من الكتب الاقتصادية التي تحدثت عن المجاعات في مصر وما لاقته الجماهير المصرية من ضروب الحزن والمآسي في غفلة من تربعوا على العرش الدين فصل الكثير الأعظم ما بينه وبين الشعب، وجعل كل همهم جني الأموال والإكثار منها، والاحتفاظ بمراكز الحكم مهما كانت الوسيلة والطرق والآلام والمصائب التي تحمل بالجماهير، وحاول أن يستقصي عن الأسباب التي



انتهت بها إلى تلك الأوضاع المفجعة استقصاء العالم المحص المؤمن بشعبه، فهو عاش جانباً من حياته معاصراً لدولة المماليك البحرية، وجانباً آخر في عصر في دول المماليك البرجية وهما دولتان تكادان تكونان أغرب دولتين تحكما في تاريخ مصر ردحاً من الزمن غير قصير إذ امتد حكم الأولى إلى مائة وستاً وثلاثين عاماً (٦٤٨-٧٨٤هـ) وامتد حكم الثانية مائة وثلاثين عاماً (٧٨٤-٩٢٣هـ) وولى حكم الأولى خمس وعشرون سلطاناً وفي الثانية ثلاث وعشرون سلطاناً. فهذا الكتاب يعتبر مصدراً هاماً من مصادر تاريخ النجاعات في مصر ومعرفة أسبائها.

والمقريزي بحق يعتبر موسوعة هامة لدارسي التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية في كافة العصور ومختلف الأزمنة، فمن أهم كتبه أيضاً التي أفدت منها إفادة كبيرة كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وهو في مجلدين (جزأين) فهو قد ذكر ما صارت إليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الأيوبية عليها، وتحدث أيضاً عن الدولة التركية الأولى ألا وهي دولة المماليك البحرية فقد ذكر كل صغيرة وكبيرة تخص مصر في زمن هاتين الدولتين، فقد ذكر وتحدث عن المساجد والمدارس والخانقاهات والأربطة والأسواق والحمامات والحارات وغير ذلك مما يوضح عليه سير الأمور والأحداث وما صار إليه من أمر هذه العمائر والأسواق والحمامات بعد حدوث الأزمات الاقتصادية التي أثرت عليها تأثيراً كبيراً.

وقد كان للمقريزي كتاب آخر يعتبر بحق موسوعة لمعرفة كل شيء عن الأحداث التي تمت في العصر الأيوبي وعصر المماليك البحرية ألا وهو السلوك لمعرفة دول الملوك فهو يتحدث عن النيل وزيادته أو قصوره إلى جانب أنه يتحدث عن السلع الغذائية وارتفاع الأسعار وموقف الحكومة والتجار من ذلك إلى جانب أنه يتحدث عن الأوبئة والطواعين وعدد من كان يموت من البشعر من خلال هذه الأزمات حتى أنه يتعرض أيضاً للأسباب الطبيعية التي أدت إلى حدوث تلك الأزمات ويتطرق أيضاً ليتحدث عن العملة من الدنانير والدراهم أي أنه بحق موسوعة كبيرة تتحدث عن كل شيء وفي كل شيء.

ومن المصادر التي أفدت منها إفادة جمة كتاب ابن تغري بردي، كتاب النجوم الزاهرة، فهو كتاب كبير جم الفائدة في تاريخ مصر مرتب على السنين ابتداء المؤلف بفتح عمرو بن العاص من ٢٠هـ/٦٤٠م إلى أثناء ٨٧٢هـ/١٤٦٧م وقد ذكر فيه من ولى مصر من الملوك والسلاطين والنواب ذكراً وافيّاً مع ذكر ملوك الأطراف بطريق إجمالي آتياً في كل سنة على ما وقع من الحوادث المهمة وذكر من توفي من رجالات الأمة الإسلامية وهو قد انفرد بعد أبي بكر



بن عبد الله بن أبيك مؤرخ مصر بإشارته في آخر كل سنة إلى زيادة النيل ونقصانه، حتى كاد يكون كتاب المرجع الوحيد لأمين سامي في كتابه تقويم النيل.

ومن المصادر الأخرى التي أفدت منها في معرفة مناسيب مستوى الفيضان بالأصبع والذراع وتتبع ذلك بالسنوات المختلفة التي حدثت فيها الأوبئة والجاعات والأزمات الاقتصادية كتاب الدواداري، كثر الدرر، على مبارك، الخطط التوفيقية إلى جانب كتاب تقويم النيل لأمين سامي. بالإضافة إلى العديد من المصادر المختلفة التي أفدت منها في هذا البحث ولا يسع المجال لذكرها جميعاً.

ومن أهم المراجع العربية التي أفدت منها كتاب مجاعات مصر الفاطمية للدكتور أحمد السيد الصاوي فقد تناول دراسة المجاعات التي اجتاحت مصر خلال العصر الفاطمي وتعمق في دراسة العوامل التي أدت إلى هذه المجاعات والأوبئة والأضرار التي سببتها وناقش الآراء التي قيلت بصددتها ثم تطرق إلى ما كان لها من أثر على النواحي المالية والحضارية معتمداً في ذلك بصفة أساسية على الآثار المادية التي تخلفت في زمن المجاعات باعتبارها دليلاً قائماً لا يتطرق الشك إلى شهادته بأي حال من الأحوال.

ولمعرفة العديد من الوظائف المختلفة وأهميتها وكيف أنها كانت سبباً في حدوث الصراعات والفن فقد استعنت بكتاب الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية للدكتور المرحوم حسن الباشا، فقد تحدث في ثلاثة أجزاء عن جميع أنواع الوظائف وأهميتها وأنواعها.

ومن الكتب الهامة أيضاً كتاب النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى للدكتور إبراهيم طرخان، فقد تحدث عن الإقطاع والنظم الإقطاعية وكيفية تطور هذه النظم ومراحل تطورها منذ العصور الوسطى في الشرق والغرب وأصول هذه النظم وجذورها وأطوارها باختلاف البلاد والأزمنة.

ولمعرفة أوزان النقود فقد استعنت بكتاب ابن بعرة: منصور بن بعرة الذهبي الكامل كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية تحقيق د. عبد الرحمن فهمي، وهذا الكتاب يخص العصر الأيوبي أي فترة حكم الأيوبيين لأنه كله يتحدث عن دار الضرب في العصر الأيوبي وأوزان النقود (الدنانير) في ذلك العصر.



هذا إلى جانب كتالوج النقود والصنح الزجاجية والقوالب والميداليات الإسلامية المحفوظة، بدار الكتب المصرية للدكتور رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باكاراك لمعرفة أوزان النقود في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري. إلى جانب كتالوج النقود لـ

Henri Lavoix; Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque National.

إلى جانب كتاب أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر في عصر المماليك الجراكسة للدكتور/رأفت محمد النبراوي فقد أفدت منه إفادة كبيرة في معرفة أسعار السلع الغذائية المختلفة، فقد تحدث عن أسعار تلك السلع في نهاية العصر المملوكي البحري.

هذا وقد أفدت إفادة كبيرة من بعض المقالات والأبحاث العلمية إلى جانب الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه التي قد ورد ذكرها في البحث، وقد ختمت هذا البحث بخاتمة جملة العديد من النتائج التي توصلت إليها في البحث موضوع الدراسة.

وقد ألحقت بالبحث قائمة بأسماء الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية، هذا وقد ألحقت بالبحث الملاحق فأولها ملحق عن تطور منسوب الفيضان وعشرت عليه بسين ثانياً سطور المصادر التاريخية، وملحق فيضان النيل كما أورده أمين سامي في كتاب تقويم النيل، والملحق الثاني يحتوي على جداول توضح متوسط أوزان النقود في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، والملحق الثالث يحتوي على قوائم تفصيلية لأسعار السلع التي وردت في المصادر التاريخية وما يقابل أوزانها بالنظام المتري وهي التي اعتمدت عليها في الرسوم البيانية المتعلقة بهذه الأسعار أثناء المجموعات.

وألحقت أيضاً بالبحث بعضاً من اللوحات والأشكال لتوضيح بعض النقود والتحف ومساحات العمائر.

وأخيراً فإنني أتذكر دائماً موقف الباحث من بحثه شبيهاً بموقف القاضي عبد الرحيم البيساني للعماد الكاتب الأصبهاني في اعتذاره عن كلام استدركه عليه إذ قال: "إله وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا وهأنا أخبرك به وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قلل في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل"، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.





## الفصل الأول

الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمات الاقتصادية

في العصر الأيوبي والمملوكي البحري

– الأسباب الطبيعية.

– الأسباب البشرية.



## الفصل الأول

### الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمات الاقتصادية

#### في العصر الأيوبي والمملوكي البحري

##### مقدمه:

تعرضت مصر طوال عهودها التاريخية للعديد من الأزمات الاقتصادية والتي أشار إليها كبار المؤرخين مثل المقريزي في جميع ما ألفه من كتب سواء كان منها الخطط، السلوك، إغاثة الأمة وابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور، والقلقشندي في كتابة صبح الأعشى، وابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة وغيرهم العديد والعديد.

وللأزمات الاقتصادية أسباب عديدة إن يتصدر نهر النيل أهمها، بل يكاد يكون السبب الأول في حدوثها هو نقص مياه النيل أو زيادته، حيث يؤدي حدوث كلاً منهما إلى تدهور حال الأرض الزراعية، وحدث الجفاف، وبالتالي زيادة الأسعار التي يعقبها الغلاء ثم الوباء، هذا ولم يكن النيل بالضرورة هو العامل الوحيد لحدوث الأزمات إذ كان هناك عوامل أخرى كانت سبباً في حدوث تلك الأزمات، منها تولى أشخاص غير جديرين بالمناصب العليا في الدولة مما كان يهدد معظم الدولة، ويحدث فيها اضطراباً يحل بالأمن في الدولة، من هنا يحدث إهمال لمرافق البلاد كالترع والجسور، وما يترتب على ذلك من ضياع مياه النيل، إلى جانب أن الدولة كانت تحتكر الأقوات وتعرضها على الناس بأعلى الأثمان، وكذلك حدوث الفتن والمنازعات بين طوائف المماليك<sup>(١)</sup> وسوء التدبير من جانبهم، وفساد العربان من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>، وقد كان انعدام الأمن من أهم ما يسبب الأزمات الاقتصادية ويحدث اضطراب اقتصادي فتتفعل الأسعار ويحل الغلاء بالبلاد<sup>(٣)</sup>

(١) د. سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، القاهرة سنة ١٩٧٦م، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط ١ سنة ١٩٧٨م، دار المعارف، ص ٦٠-٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٠-٦١.



## الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري وأسبابها:

ترجع الأزمات الاقتصادية في مصر إلى عوامل متنوعة تنقسم بطبيعتها إلى قسمين رئيسيين: أولهما: العوامل الطبيعية، ثانيهما: العوامل البشرية.

فالعوامل الطبيعية: هي العوامل التي لم تكن من صنع البشر وإنما هي محصلة ظروف بيئية لم يكن في استطاعة البشر في حدود قدراتهم المتاحة في العصر الإسلامي أن يتحكموا فيها أو يسيطروا عليها حيث كان منتهى قدرتهم إزاءها أن يخففوا من حدتها أو يعالجوا بعض أثارها<sup>(١)</sup>

أما العوامل البشرية: وهي التي يقصد بها تلك العوامل التي تكون من صنع البشر، وأن البشر هم أساس حدوثها بل وصنعها كما سنرى في الصفحات التالية.

فلنبداً أولاً بالعوامل الطبيعية التي كان لها أكبر الأثر في حدوث الأزمات الاقتصادية.

### ١ - نهر النيل وفيضانه من الناحية الجغرافية:

مصر هي الأرض الطيبة التي أهدت للعالم ثمار حضارة عريقة، هذه الحضارة أشعت بأضوائها على العالم منذ عشرات القرون فمنحته الحكمة والثقافة والعلم<sup>(٢)</sup> ويمكن القول أن جغرافية مصر البشرية تعني الجغرافية الاقتصادية تقريباً خاصة منها الزراعية<sup>(٣)</sup>، وللنيل في مصر كما في خارجها تاريخاً طبيعياً معقداً بالغ التركيب، فالنيل الأعظم بامتداده الهائل من العروض الاستوائية حتى البحر المتوسط، بل من أطراف نصف الكرة الجنوبي حتى قلب العالم القديم، لم ينشأ دفعة واحدة كنظام نهرى واحد، وإنما تكون أصلاً من مجموعة من النظم النهرية أو الإقليمية، بدأ كلاً منها منفصلاً مستقلاً عن الباقي، وربما في عصور جيولوجية وظروف طبيعية مختلفة كذلك، ثم اتصلت تلك النظم ببعضها البعض وتلاحمت وتوحدت في نظام نهرى واحد بسيط لكنه شديد الخصوصية<sup>(٤)</sup>

(١) محمد بركات البيلي، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية، مكتبة هضة الشرق، ص ٦.

(٢) د. محمد محمود على أبو زيد، النيل ومصر، دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من الفتح الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الهداية للطباعة والنشر، ص ٣.

(٣) جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة عبقرية في المكان، ج ١، القاهرة سنة ١٩٨٠م عالم الكتب، ص ٥١.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٣.



وقد شبهت أرض مصر بقناة ذات طريقتين مفتوحين، ووصف النيل الذى يجرى بها كأنما هو نخلة باسقة تمتد جذورها فى أواسط القارة <sup>(١)</sup> أما جذعها فمجرى النهر نفسه، أما سعفها فالفروع التى تسرى فى الدلتا، فينبع من خط ٤ جنوباً ويصب عند خط ٣١,٥ شمالاً، وطوله ٤٠٠٠ ميلاً، ويلتقى به فى السودان النيل الأزرق والعطبرة، ويمدانه بالطمي أو الغرين الذى هو سبب خصوبة أرض مصر <sup>(٢)</sup>، وتكونت أرض مصر من رواسب النهر الضخمة، وخاصة حملته من غرين الفيضان الخبشى فتربة مصر من صنع النيل، والغرين الحصب المتجدد هو جزئياً هدية غير مقصودة، فالنيل لا جدال أبو مصر <sup>(٣)</sup>، وقد شغل نهر النيل العقول منذ الزمان القديم، واضطر العلماء والأدباء إلى أن تعيره انتباهها، وتوليه حظاً غير قليل من تفكيرها وفلسفتها <sup>(٤)</sup> والدليل على ذلك ما ذكره المؤرخ الإغريقى هيرودت عندما قال "مصر هبة النيل" <sup>(٥)</sup> إذ لولا هذا النهر الذى يشق البلاد طويلاً لما عرف العالم الحضارة المصرية التى هى بالأصل وليده البيئة الفيضية للنيل <sup>(٦)</sup>، ولنا أن نوضح أنه منذ الزمن السحيق وعلى أرض مصر، قبل وصول أى بشر ظهر النيل يعد المكان لاستقبال الإنسان، أدار مع الطبيعة ملحمة لا تقل هولاً وروعة عن ملحمة المصرى مع النيل وواديها <sup>(٧)</sup>، هذا وقد كان للنيل أفضال كثيرة على الناس <sup>(٨)</sup> فعندما تجمع الإنسان حول شاطئيه وفى مناطق دلتاه ..... بدأ يتعايش مع النهر، ويصنع حضارة مستقره تقوم على العلوم الرياضية والهندسية بعد أن علمه النهر كيف يمسك بالأزميل ليحفر على

(١) مزيد من التفاصيل عن جغرافية مصر خاصة تكوين نهر النيل. راجع: د. جوده حسين جوده، جغرافية مصر، مقال في كتاب جغرافية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٥٥-٦٧.

(٢) جابر سلامة المصرى، الزراعة في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٤م، ص أ.

(٣) E.Hymas. Soil and Civilization. London. 1952. P46. Lorin, Henri, L. Egypt d' aujourd' hui. Le Cairo, 1926. P129. جمال حمدان، شخصية مصر، ج٢، ص ٨٨٥.

(٤) د. محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، المجلة العدد ٨، المحرم سنة ١٣٧٧هـ - أغسطس ١٩٥٧م، ص ٣.

(٥) محمد حمدي المناوى، نهر النيل في المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦م، ص ٧١-٧٢، بلانكا تييرا فييرا، النيل يمر ببلاذى، ترجمة: عبد الرؤوف عز الدين، صلاح عطية نور الدين، مراجعة. د. على إبراهيم عبده، ص ٢٠، مصر ونهر النيل، وزارة الخارجية، القاهرة سنة ١٩٨٣م، ص ٥، جمال حمدان، شخصية مصر، ج٢، ص ٨٧٦.

(٦) د. أحمد السيد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن للطباعة والنشر، ط ١، سنة ١٩٨٨، ص ١٣، جمال حمدان، شخصية مصر، ج١، ص ٦٦٥.

(٧) د. عبد العظيم أبو العطاء، د. مفيد شهاب، أ. دفع الله رضا، نهر النيل الماضي والحاضر والمستقبل، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥، ص ١٩.

(٨) د. هـ. أ. هرست، النيل، نقله إلى العربية المهندس حسن أحمد الشربيني، المقدمة.





الحجر، أو يمسك بالقلم ليخط على ورق البردى<sup>(١)</sup> فحول الصحراء إلى أرض خصيبة<sup>(٢)</sup> فالنيل مصدر رخاء ومنبع الثروة والخصوبة، فكان جديراً بأن يستلقت الأنظار<sup>(٣)</sup> وأن يفكر المصريون<sup>(٤)</sup> وغيرهم في أمره، وفي مصدر ذلك الفيضان الذي يعم الوادي كل عام بانتظام تام، وكان طبيعياً أن ينشأ حتى في ذلك العهد البعيد تلك المسألة الجغرافية المشهورة مسألة نهر النيل أو سر النيل، ذلك السر الذي لم يتم حله إلا في عصرنا هذا<sup>(٥)</sup>، وقد شغل المفكرون منذ ستة آلاف من السنين<sup>(٦)</sup> فارتبطت حياة المصريين به ارتباطاً وثيقاً حتى أنهم قدسوه وجعلوه إلهاً<sup>(٧)</sup> وأطلقوا عليه اسم حابي<sup>(٨)</sup>، هذا وقد ذكر أرنولد توينبي (Arnold - Toynby) "أن ليس عامل نشأة الحضارة الذي نسعى للتعرف عليه شيئاً مفرداً، لكنه متعدد وهو ليس وحده ولكنه علاقة"<sup>(٩)</sup> وتميز نهر النيل "بالمركزية الشديدة" فهو يجري من منابعه الاستوائية في هضبة الحبشة جنوباً، متجهاً نحو الشمال حتى يلقي بمائه في البحر المتوسط<sup>(١٠)</sup> ويلتزم في جريانه هذا الاتجاه الشمالي باستمرار واطراد لا نظير لهما في أى نهر آخر في العالم<sup>(١١)</sup>، هذا وقد كانت الطبيعة

(١) مختار السويفي، مصر والنيل في أربعة كتب عالمية، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، سنة ١٩٨٦م، ط ٢ سنة ١٩٨٨م، ط ٣ سنة ١٩٩٦م، ص ٢٧.

(٢) إميل لودفيغ، النيل حياة نهر، ترجمة: عادل زعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧، ص ١٣، طبعة أخرى بدار المعارف بمصر سنة ١٩٥١، ص ٩.

(٣) د. جمال مرسى بدر، نهر النيل في تاريخ الفكر الجغرافي، المجلة، العدد ١٠، ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ / أكتوبر سنة ١٩٥٧م، ص ٣.

(٤) المصريون الأول كانوا في بدء أمرهم أي في العصر الميثولوجي قبل الأسرة الأولى لا يعرفون عن مجرى النيل فيما وراء الشلال الأول شيئاً كثيراً، كانت دلياهم التي ألفوها وعرفوها منحصرة في ذلك الوادي الخصيب الذي كانوا يعيشون فيه، تحده الصحراء من جالبيه والبحر من شماله، والجنادل من جنوبه، وكانوا يتوهمون أن هناك بحراً في أسفل الأرض متصلاً بالنيل عن جنادله الجنوبية من جهة وعند البحر من جهة أخرى، وهذا البحر هو الذي تغيب فيه الشمس والكواكب مساء ثم تسبح فيه ليلاً وتعود ويظهر في الصباح، لمزيد من التفاصيل: راجع: محمد عوض محمد، نهر النيل، ط ٢، سنة ١٩٤٨م، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٥-١٥.

(٥) محمد عوض محمد، المرجع نفسه، ص ٣.

(٦) أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط ٢، سنة ١٩٦٦م، ج ١، ص ١١٧ عن د. أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ١٤.

(7) Dr. John Ball, Egypt in the Classical Geographers, Cairo Gor. Press 1942, P2.

(8) Johnston, Harry Sir: A History of the Colonization of Africa by Alien races. The Nile quest, London, 1903. P7.

(٩) أرنولد توينبي، المرجع نفسه، ج ١، ص ١٠١.

(١٠) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٤، محمد رشدي سعيد، نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل، دار الهلال سنة ١٩٩٣م، ص ٩-١٠.

(١١) د. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، القاهرة ط ٢ سنة ١٩٧٣م، الأجلو المصرية، ج ١، ص ٢١-٢٢.



الفيضية لنهر النيل هي التي فرضت وجود الدولة المركزية حيث جعلت إحساس المصريين المتصل بضرورة الخضوع لحكم مركزي مستقر، يشرف على الجهد وينسقه وينظم الارتفاع به، طالما كان انخفاض فيضان النيل يؤدي إلى القحط الشديد، وكذلك ارتفاع الفيضان يؤدي إلى إغراق القرى بالماء<sup>(١)</sup>، ومنذ نشأة الدولة المركزية في مصر القديمة، أصبحت الحياة في وادي النيل إلى حد بعيد بين الإدارة (الإنسان) والنهر (الجغرافيا)، فحينما تصاب الإدارة المركزية بالاضطراب تضعف سيطرة الإنسان على النهر، وتقل القدرة على تلافى أخطار الفيضانات المنخفضة والعالية، وكذلك كانت حالة النهر تؤثر في السلطة المركزية ودورها، مما يعرض البلاد لتغيرات عميقة على كافة المستويات الحياتية، فالنهر والدولة المركزية إذن هما ضمان الحياة للمصريين<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان للنيل فضل على العالم كله<sup>(٣)</sup>، وإذا كان سبب الأزمات الاقتصادية والمجاعات في غالب الأحوال هو نقص فيضان النيل، فإن الدولة المركزية بتوالي العصور أصبحت تلعب دوراً بارزاً في الحد من أضرار الأزمة وتحجيمها، أو على العكس تكون سبباً مباشراً في تفاقم الوضع، وتجاوز نتائجه الطبيعية إلى حد الكارثة، هذا ومن أهم ما يميز النهر بل ملامحه المميزة، هو أن فيضانه موسمي خلال فصل الصيف، وهو الذي أوجد هذا الوطن<sup>(٤)</sup> فالغرين الذي يحمله في فيضانه كان سلاحه القوي في صراعه الأبدى مع البحر والذي مكّنه من أن يكسب لمصر رقعة كبيرة من الأرض هي الدلتا<sup>(٥)</sup>، هذا وقد ثبت علمياً أن النيل ليس إلا الفيضان أو يكاد<sup>(٦)</sup> وقد ذكر د/جمال حمدان أن مصر هي هبة الفيضان، وأنه لولا الفيضان لكانت مصر مجرد بلد به نهر فصلى هزيل يولد ويموت كل سنة دون أن يضمن حتى الوصول إلى البحر دائماً إلى حد يعنى

(١) د. سليمان أحمد حزين وآخرون، المحمل في التاريخ المصري، القاهرة سنة ١٩٥١/ص ١٣-١٤.

(٢) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٥.

(٣) د. صلاح الدين الشامي، مياه النيل دراسة موضوعية، مكتبة مصر، ص ٦.

(٤) د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٥.

(٥) تعتبر دلتا النيل كأحدث مظهر جيومورفولوجي بناه هذا النهر العظيم ذات أهمية اقتصادية فائقة لاستواء سطحها ولترتبتها الفيضية الخصبة التي ساعدت على قيام نوع من الزراعة الكثيفة تعيش عليها أعداد هائلة من قاطنيها منذ أقدم العصور التاريخية، ولقد تضافرت قوى العمليات النهرية في تكوين هذه الدلتا وذلك من خلال عمليات التراكم الارسابي المستمرة التي حدثت عند مصب النيل الذي كان يلقى بحمولته في مياه شاطئ أمامي ضحل خليج مجرى متسع، كما لعبت الأمواج والتيارات البحرية دوراً كبيراً في تشكيل جبهة هذه الرواسب النهرية مزيد من التفاصيل انظر د. فتحي عبد العزيز أبو راضي، ديناميات التعرية الشاطئية والتغيرات المعاصرة لساحل دلتا النيل، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد السادس سنة ١٩٩٠م، ص ١١.

(٦) د. جمال حمدان، شخصية مصر، ص ١٦٥.



أن النيل هو الآخر هبة الفيضان<sup>(١)</sup>، هذا وقد عبر المصري القديم عن عرفانه بجماليات النهر وفضله العظيم على الأراضي المصرية والإلسان المصري... وأطلق عنان بهجته في تعبير شعري جميل "هو النيل... يفيض على الأراضي (الوجه القبلي والبحري)... فتمتلئ مخازن الحبوب... وتزدحم المستودعات... وتتوافر حاجات الفقراء، إنه النيل... لأبنائه جميع النباتات... وإذا هم لم يطعم الناس... هجر النعيم المساكن... وأصبحت الأرض بالاضمحلال... !! هو النيل إذن... أعظم أنوار الدنيا، وعلى ضفافه الشمالية، نشأت أعظم حضارة صنعها الإنسان<sup>(٢)</sup>، هذا وقد قيل إنه ليس في الدنيا نهر يزيد بترتيب غير نيل مصر، وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على نيل مصر، ولا يجي من خراج نهر من أنوار الدنيا ما يجي من خراج<sup>(٣)</sup>

### نهر النيل وفيضاله من الناحية التاريخية:

لا شك أن أشهر حوادث انخفاض فيضان النيل ما ذكر في القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام عندما قام بتفسير الرؤية التي رآها فرعون مصر حيثما روى أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، ففسر ذلك سيدنا يوسف عليه السلام بقوله: "قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم هن إلا قليلاً مما تحصون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون<sup>(٤)</sup>"، هذا وقد أشارت التوراة أيضاً إلى نصوص تلك الحادثة، أنه نتيجة لسنين القحط فقد أخذ يوسف تدابير اللازمة عندما جعل كل الأراضي ملكاً لفرعون مصر لمواجهة السنين العجاف، هذا وقد ذكر أن ملكية الفرعون لأراضي مصر سابقة على عهد يوسف<sup>(٥)</sup> هذا وقد حدثت عدة مجاعات في مصر القديمة كانت من الكثرة والخطورة<sup>(٦)</sup> حيث نجد صور على جدران المقابر بعض مناظر الجوع، حيث نرى في أحد هذه النقوش رسماً لإنسان قد

---

(١) جمال حمدان، المرجع السابق ص ٦٥.

(٢) مختار السويفي، مصر والنيل في أربعة كتب عالمية، ص ٢٤.

(٣) الكندي، عمر بن محمد بن يوسف من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فضائل مصر المحروسة، تحقيق د. علي محمد عمر، ط ١ سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٤.

(٤) سورة يوسف، آية رقم ٤٧-٤٩.

(٥) د. أحمد عزت عبد الكريم، الأرض والفلاح في مصر، مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح في مصر على مر العصور - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة سنة ١٩٧٤م، ص ٧.

(٦) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٦.



برزت عظامه وخارت قواه من شدة الجوع<sup>(١)</sup>، استمرت ظاهره فيضان النيل ونقصه خلال العصر البطلمي والعصر الروماني عندما كان ينخفض النيل كانت تتوالى حدوث المجاعات التي أثرت على كل شئ في الدولة، فرغم انخفاض الفيضان وقلة المحصول، وارتفاع الأسعار، إلا أن الحكومة كانت تصر على تحصيل الضريبة كاملة فاضر ذلك بأصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة<sup>(٢)</sup> هذا ويأتى قصور فيضان النيل في مقدمه العوامل الطبيعية المسببة لحدوث الأزمات الاقتصادية، بل واشدها خطورة على الإطلاق<sup>(٣)</sup> فهو المالح الأول للحياة على أرض مصر، فقد لعب دوراً رئيسياً منذ فجر التاريخ في تحديد سمات أول حكومة مركزية في العالم<sup>(٤)</sup> فهو بفيضه وغيبضه المؤثر الأول والفعال في حياة البلاد الاقتصادية<sup>(٥)</sup> فقد كانت الحياة كلها بمصر تتوقف على وفاء النيل<sup>(٦)</sup> لأن مصر بلداً زراعياً في المقام الأول.

ويمكن القول أن سكان وادى النيل حرصوا منذ القدم على متابعة فخر النيل والتعرف على طبيعته لما له من أهمية خاصة تؤثر على جميع ألوان الحياة وأنشطتها المختلفة المرتبطة بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك من هنا اهتم المصريون منذ القدم بمقاييس<sup>(٧)</sup> النيل لمعرفة منسوبه ونسبة الزيادة والنقصان، هل إذا كانت هذه النسبة كافية لرى الأراضي الزراعية أم لا في الفترة السابقة على الإسلام وقيل أن أول من قاس النيل بمصر هو يوسف عليه السلام

(١) جون ويلسون، الحضارة المصرية، ترجمة د. أحمد فخرى، القاهرة سنة ١٩٥٥م، ص ٢، شكل ٢، ب، عن د. أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ١٦.

(٢) د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٧.

(٣) محمد بركات الببلي، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٦.

(٤) أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٩.

(٥) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٨.

(٦) د. حامد زيان غانم، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر عصر سلاطين المماليك، المكتبة العالمية، سنة ١٩٧٦م، ص ١٢ ص ١٣.

(٧) المقياس عمود رخام أبيض مشمن، في موضع ينحصر فيه الماء عند السياه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالأصابع، انظر: المقريزى، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الطباعة المصرية ببولاق القاهرة المعزية سنة ١٢٧٠هـ، ج ١، ص ٥٩، عني المصريون عناية فائقة بقياس النيل وفيضانه لتقدير الخراج على الأرض الزراعية، ومن ناحية أخرى للتنبؤ بسنى الشدة والرخاء، فأقاموا لذلك المقاييس العديدة على طول مجرى النهر في أسفل الأرض (الدلتا) وفي أعلاها. راجع: ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق/ مصطفى السقا، كامل المهندس، مطبوعات دار الكتب سنة ١٩٦٩م، ص ١٧٨، محمد بركات الببلي، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٩.





ووضع مقياساً بمنف<sup>(١)</sup> ثم عمل ملوك العجم مقياساً بأنصنا<sup>(٢)</sup> وهو صغير الذراع ومقياساً بأخميم<sup>(٣)</sup> وعندما فتح العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقي أهلها من الغلاء عندما يقف النيل عن حدة في مقياس لهم فضلاً عن تقاصره، وإن فرط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، وأن الاحتكار يدعو إلى تصاعد الأسعار بغير قحط<sup>(٤)</sup>، هذا وقد ذكر عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعاً والحد الذى يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم، ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعاً، والنهائيتان المخوفتان الظماً والاستبحار في الزيادة والنقصان، ثمانية عشر ذراعاً في الزيادة، هذا والبلد في هذا الوقت محفور الأنهار ومعقود الجسور<sup>(٥)</sup> وقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص أن يبنى مقياساً وأن ينقص ذراعين من إثني عشر ذراعاً وأن يقر ما بعدها على الأصل، وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعاً إصبعين ففعل

(١) جلال الدين السيوطى، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٨١ جغرافيا، ورقة رقم ٤، ٣.

(٢) المتوفى: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام، الفيض المديد في أخبار النيل السعيد، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٦ جغرافيا، ورقة ٢٠.

(٣) السيوطى: جلال الدين السيوطى الشافعي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٠١، أبي المحاسن: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٦ م، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٤) المقرئى، الخطط، ج ١ ص ٥٨، السيوطى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠١.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٥٨، أمر الخليفة عمر بن الخطاب باستشارة على بن أبى طالب، قائدة عمرو بن العاص أن يبنى مقياساً وأن ينقص ذراعين على اثني عشر ذراعاً وأن يقر ما بعدها على الأصل وأن ينقص من ذراع بعد الست عشر ذراعاً إصبعين ففعل ذلك وبناه محلوان فاجتمع له ما أراد من حال الأرجاف وزوال ما منه كان يخاف بأن يجعل الاثنى عشر ذراعاً أربع عشرة ذراعاً إلا أن كل ذراع أربعة وعشرون إصبعاً فجعلها ثمانية وعشرين من أولها إلا الاثنى عشر ذراعاً تكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشرة ثمانية وأربعون إصبعاً وهى الذراعان وجعل الأربع عشرة ست عشرة والستة عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشر عشرين ذراعاً وهى المستقرة الآن، السيوطى: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٠١، المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٥٨.



ذلك وبناءه بحلولان<sup>(١)</sup> ولعل أشهر المقاييس الإسلامية مقياس الخليفة المتوكل على الله بجزيرة الروضة ويعرف بالهاشمي، هذا وقد ذكر المقرئى أن الذراع السوداء التى وضعها هارون الرشيد هى الذراع المستخدمة فى قياسه، وتلك الذراع نسبة إلى عبد أسود كان يملكه وضع المقياس على أساس طول ذراعه<sup>(٢)</sup> هذا وقبل الحديث عن كيفية قياس النيل والزيادة فيه يجب أن نورد ما ذكره المسعودى حينما ذكر ما وصفه بعض الحكماء عن نيل مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكه سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر سبيكة حمراء، فأما اللؤلؤة البيضاء فإنها فى مصر شهور (أبيب، ومسرى، توت) فتركبها الماء فترى الدنيا بيضاء، وضياؤها على روابى وتلال، وقد أحاطت المياه بها من كل وجه، وأما المسكه السوداء فهى (بابه، هاتور، كيهك) ينكشف الماء عنها وينضب أرضها، فتصير أرضاً سوداء، وفيها تقع الزراعات، وللأرض روائح طيبة تشبه المسك<sup>(٣)</sup> وأما الزمردة الخضراء فهى شهور (طوبة، أمشير، برمهاث) تلمع ويكثر عشبها<sup>(٤)</sup> ونباتها فتصير كالزمردة الخضراء، وأما السبيكة الحمراء فإنها شهور (برموده، بشنس، بؤونه) ففي هذه الشهور يتورد العشب ويبيض الزراع فهو كسبيكة الذهب

(١) يحيط ببناء هذا المقياس شك، ويرجح أن يكون ما تم به هو إصلاحاً للمقاييس القديمة فقط وأن أول مقياس إسلامي لا يذهب إليه الشك هو الذي أنشأه عبد العزيز بن مروان بحلولان عندما كان والياً على مصر، في فترة حكم الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م)، وتلى ذلك إنشاء مقياس أسامه بن زيد التنوخي عامل الخراج بجزيرة الروضة، والذي بنى مرتين مرة عام ٩٢ هـ / ٧١١ م، والثانية عام ٩٧ هـ / ٧١٥ م مزيد من التفاصيل أنظر : السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٢٠١، القلقشندي: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، جـ ٣، ص ٢٩٨، كان الخليفة عمر بن الخطاب على دراية كاملة بخطورة الدور الذي يلعبه الاحتكار التجاري عنه حدوث الأزمات الاقتصادية، إذ أن المقصود بهذا التعديل أنه عند بلوغ النيل الذراع السادسة عشر حسب المقياس الجديد، يظن العامة أن النيل قد وفى تماماً وأن الأرض ستزرع جميعها فلا ترتفع الأسعار، وحقيقة الأمر أن النيل لم يبلغ سوى الأربعة عشر ذراعاً، وهكذا حتى نهاية المقياس، ولا شك أن فعالية هذا التعديل تستند أساساً إلى سرية إجراء هذا التعديل، الأمر الذي يشك معه في أن يكون هذا التغيير قد أتى ثماره، لصعوبة المحافظة على سرية هذا العمل الذي يستوجب معرفة أشخاص عديدين سيقومون به، راجع د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٨.

(٢) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٥٩.

(٣) أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الأنصاري الخزرجي: النيل الرائد في النيل الزائد، مخطوط بدار الكتب المصرية، جغرافيا ٤٥٨٤٤، ميكروفيلم ٧٥٢٠، ص ١٠-١١.

(٤) المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٦ هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، ١٩٦٤ م، هامش (٣) ص ٣٣٩، الأنصاري الخزرجي، النيل الرائد، مخطوط، ص ١١.



منظراً ومنفعة<sup>(١)</sup>.

أما عن كيفية قياس النيل تبدأ زيادة النيل من خامس بؤله<sup>(٢)</sup> من شهور القبط<sup>(٣)</sup> وأول دفعه في الثاني من أبيب وتنتهي زيادته في ثامن بابه ويأخذ في النقصان من العشرين منه فتكون مدة الزيادة (زيادة النيل) من ابتدائها إلى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً وهي أبيب ومسرى وتوت، وعشرون يوماً، من بابه ومدة نكته بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوماً ثم يأخذ في النقصان<sup>(٤)</sup> هذا وتكون الزيادة في ثلاثة أشهر وثمانية أيام وهي أبيب ومسرى، وتوت، وثمانية أيام من بابه<sup>(٥)</sup>، أي أنها (الزيادة) تبدئ من أبيب وتعظم في مسرى وتتناهى في توت أو بابه<sup>(٦)</sup> وقد جرت العادة أن ينادى عليه دائماً في اليوم السابع والعشرين من بؤله بعد ما يؤخذ قاعة وهو ما بقي من الماء القديم في ثالث عشر بؤله ويفتح الخليج الكبير إذا أكمل الماء ستة عشر ذراعاً وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من إصبع من عشرين وكنا نعهد الماء إذا بلغ أصابع من

(١) المسعودي، المصدر السابق، ص ١، ص ٣٣٩.

أسماء الشهور القبطية	ما يوافق أول الشهر الميلادي
توت	١٢ سبتمبر
بابه	١٢ أكتوبر
هاتور	١١ نوفمبر
كهيك	١١ ديسمبر
طوبة	١٠ يناير
أمشير	٩ فبراير
برمهات	١٠ مارس
برمودة	٩ إبريل
بشنس	٩ مايو
بؤونه	٨ يونيو
أبيب	٨ يوليو
مسرى	٧ أغسطس

أسماء الشهور القبطية وأول الشهر الميلادي

الشهور القبطية والتي كانت تحديد مواعيد زراعة المحاصيل وما زال يعرفها الفلاح المصري حتى الآن

راجع: محمد محمد فياض، التقويم، مكتبة هضبة مصر ١٩٥٨م، ص ٥٢، لبيب يعقوب صليب، الجغرافيا الفلكية للكتاب المقدس والتقويم القبطي المصري، ج ١، ط ١ سنة ١٩٦٨، ص ٤٨ ص ٦٧.

(٢) السيوطي، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب، ورقة ٢ المقریزی، الخطط ج ١، ص ٦٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٤) المقریزی، الخطط، ج ١، ص ٦٠.

(٥) المنوفي، الفيض المديد، مخطوط، ورقة ٧ (ص ١٣).

(٦) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر، مطبعة المجلة الجديدة، ص ٥٨.



عشرين ذراعاً فاض من ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع<sup>(١)</sup> فإذا انتهت الزيادة إلى تمام ست عشر ذراعاً<sup>(٢)</sup> فقيه تمام خراج السلطان وخصب الناس وفيه طما ريح البلاد وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلاء<sup>(٣)</sup> ولهم مقاييس يقيسون بها الماء<sup>(٤)</sup> هذا وليس في الدنيا من يزيد بترتيب وينقص بترتيب في وقت معلوم لا يختل أبداً غيره<sup>(٥)</sup> أما عن منسوب مياه النيل وحدود الوفاء، فلا شك أن حالة فيضان النيل سواء بالنقص أو الزيادة، تؤثر على حياة المصريين في حالة الرخاء أو القحط، هذا وقد اتفق معظم المؤرخين أن حد الوفاء عند الفتح الإسلامي كان الستة عشر ذراعاً<sup>(٦)</sup>، والتي كانت تكفي لزراعة أرض مصر، ويفيض من الغلات ما يكفي لسنتين كما يذكر المقرئزي<sup>(٧)</sup> هذا وقد ذكر بعض المؤرخين أن النيل إذا أتم خمسة عشرة ذراعاً، ودخل في ستة عشرة كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه، وإذا انتهت الزيادة إلى ١٦ ذراعاً كاملة النفع للبلاد وذلك كفائها وري جميع أراضيها<sup>(٨)</sup> قال محفوظ بن سليمان<sup>(٩)</sup> "إذا زاد بعد ذلك ذراعاً واحدة زاد في الخراج مائة ألف دينار، لما يروى من الأعلى"<sup>(١٠)</sup> وأن ١٨ ذراعاً

(١) المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٦٠.

(٢) السيوطي، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٣.

(٣) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٦٠.

(٤) الأنصاري الخزرجي، النيل الرائد في النيل الزائد، مخطوط، ص ١٢.

(٥) المنوي، الفيض المديد، مخطوط، ورقة (١٠) ص ٢٠.

(٦) الأسعد بن مماتي، (الوزير الأيوبي ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م، كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه: عزيز سوريال عطية، مطبعة

مصر، سنة ١٩٤٣ م، طبع الجمعية الزراعية الملكية، سنة ١٨٩٨ م، ص ٧٦، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٢٩٦

المسعودي، مروج الذهب، جـ ١، ص ٣٤٢، عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٥٧، المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٦١.

(٧) المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٥٩، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣ ص ٢٩٤.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، جـ ١، ص ٣٤٢، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ١٦.

(٩) محفوظ بن سليمان عامل خراج مصر في عهد هارون الرشيد، ولاه سنة ١٨٧ هـ ثم عزله، وأعيد في عهد الخليفة الواثق،

واستمر في ولايته بمصر حتى مات سنة ٢٥٤ هـ، راجع: الكندي، ولاه مصر، ص ١٦٦ ص ١٦٧، ابن إياس: أبو

البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، ط ٢، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، جـ ١، قـ ١، ص ١٥٨ ص ١٥٩.

(١٠) المنوي: الفيض المديد في النيل السعيد، مخطوط، ورقة (٢٠)، الكندي، فضائل مصر المحروسة، ص ٤١-٤٢.





تؤدي إلى الاستبحار<sup>(١)</sup> وفيه نقص مائة ألف من خراج مصر<sup>(٢)</sup> وذلك ضرر لبعض الضياع.

وإذا بلغ عشرين ذراعاً مات ملك مصر<sup>(٣)</sup> يمكن القول أن نهر النيل وحده ليس هو العامل الأول (الأساس) المسئول عن حدوث الأزمات الاقتصادية، بدليل أن هناك سنوات مختلفة كان يحدث من خلالها أزمات اقتصادية وفيها يكون النيل قد وفى أى أن ليس قصور النيل هو الأساس في حدوثها، لكن هناك عوامل أخرى كانت سبباً في حدوث الأزمات، وسوف يتم الحديث عنها في حينها بحسب الله. وإليك سنوات حدوث الأزمات الاقتصادية في العصريين الأيوبي والمملوكي البحري بسبب قصور نهر النيل.

مُنَى العصران الأيوبي والمملوكي البحري بكثير من المحن والكوارث والأزمات الاقتصادية كان سببها هو نهر النيل، ففي عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م هبط نهر النيل بدرجة لم تحدث إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين واشتد في هذا العام الوباء، ومات من الخلق الكثير والكثير قيل أنهم نحو ثلاثة أرباع أهل البلاد، وكان وفاء النيل ١٦ مسرى من هذه السنة، فتح الخليج في ٤ ربيع الثاني والماء بلغ ١٦ ذراع و ١٥ إصبعاً، وقال الناس سنة سبع إفتربت أسباب الحياة<sup>(٤)</sup> وفي عام ٥٧٨هـ / ١١٨٢م زاد ماء النيل وبلغ في الزيادة ١٣ إصبعاً من ١٩ ذراعاً، وهذا الحد عند أهل مصر يسمى اللجة الكبرى، فسقطت الجدران وغرقت البساتين وفاضت الآبار وقطعت الطرق<sup>(٥)</sup> وفي عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، بلغ النيل في الزيادة ستة عشر ذراعاً إلا ثلاثة أصابع

---

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٦٠، المسعودي، مروح الذهب، ج ١، ص ٣٤٢، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الشركة العالمية للكتاب ش م ل، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص ٣٠، قاسم عبده قاسم، النيل واجتماع المصري، ص ١٦، والمستبحر كل أرض وطينة لفلذ إليها الماء ولم يجد مصراً حتى فات أوان الزرع والماء باق على الأرض، راجع: المقرئ، الخطط، ج ١، ص ١٠١، الكندي، فضائل مصر المحروسة، حاشية (١)، ص ٤٤.

(٢) العلامة الخفقي الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي، أثر متصل الإسناد في أمر النيل، الخجلة، العدد (١٠) أكتوبر ١٩٥٧م، ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ، ص ٥٥-٥٦، المسعودي، مروح الذهب ج ١، ص ٣٤٢، ابن بطوطة، الرحلة، ص ٣٠.

وسبب ذلك ما كان ينصرف في المصالح والخلجان والجسور والاهتمام بعمارها، أما الآن فإن أكثرها لا يروى حتى يروى أصابع من تسعة عشر ذراعاً بمقياس مصر.... وأما أراضي مصر الآن فلا تروى جميعها الآن إلا من عشرين ذراعاً وأصابع لعلو الأرض وعدم الاهتمام بعمارة جسورها، أنظر: المنوف: الفيض المديد في أخبار النيل السعيد، ورقة (٢٣).

(٣) السيوطي، أثر متصل الإسناد في أمر النيل، ص ٥٥-٥٦.

(٤) أمين سامي، تقويم النيل، المطبعة الأميرية بالقاهرة، المقدمة ج ١، سنة ١٩١٦م، ص ٢٩.

(٥) أمين سامي، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩، ص ١٣٣، هذا وقد ذكر كلاً من الدواداري: أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدويداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ج ٧، ص ٧٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج ٦، ص ٩٤، على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها =



الطرق<sup>(١)</sup> وفي عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، بلغ النيل في الزيادة ستة عشر ذراعاً إلا ثلاثة أصابع فكسر السد ووقع الغلاء بمصر<sup>(٢)</sup> وفي عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م، لم يزد النيل في هذه السنة إلا زيادة يسيره وهبط عن غير وفاء، واستمر الحال على ذلك ثلاث سنين متوالية فمات الناس من شدة الغلاء، وقيل أنهم بلغوا ثلث أهل مصر، وقد بلغ مقياس النيل في ذلك العام ١٨ ذراع و ١٤ إصبعاً<sup>(٣)</sup> وقيل أن تلك السنة كانت كالسبع المفترس<sup>(٤)</sup> وارتفعت الأسعار وحدث الغلاء عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، بسبب نقص ماء النيل بعد ما بلغ ٢٢ إصبعاً من ١٧ ذراع<sup>(٥)</sup> وقيل في موضع آخر ٢٢ إصبعاً من ١٦ ذراع<sup>(٦)</sup> وفي عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م كسر بحر أبي المنجا<sup>(٧)</sup>

(١) أمين سامي، المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٩ ص ١٣٣، هذا وقد ذكر كلاً من الدواداري: أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، جـ ٧، ص ٧٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة جـ ٦، ص ٩٤، على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلاده = القديمة والشهيرة، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١هـ، جـ ١٨، ص ٥٣، أن النيل بلغ في هذا العام ٥٧٨هـ، ١٧ ذراع و ٢ إصبع.

(٢) أمين سامي، تقويم النيل، جـ ١، ص ٣٠-١٣٥، ذكر كلاً من الدوادري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٧٨، أنه بلغ ١٨ ذراع و ١٣ ذراع و ١٣ إصبع، وهذا عند كلاً من صاحب النجوم الزاهرة، والخطط التوفيقية مراجع جدول مقياس النيل ذكر المقرئ في كتابه السلوك أن النيل بلغ في هذا العام ٥٨٠هـ ١٣ إصبع من ١٩ ذراع فأضر ذلك بالقرى وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم، وغرقت البساتين والأقصاب، وفاضت الآبار وانقطعت الترع، وكثر الضرر كما حدث عام ٥٤٤هـ، راجع: المقرئ: تقي الدين أحمد بن المقرئ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ ١، ص ١٩٩.

(٣) الدواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ١٠٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١١٦.

(٤) ابن إياس: محمد بن إياس الحنفي (الجرعسي) لبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص ٨٠-٨١،

Aparis l'Imprimerie Imperiale, M. DCCC. VIII. Extrait du Tome VIII 1re Partie des Notices et Extraits de Manuscrits de la Bibliothéque imperial,

أمين سامي، تقويم النيل، جـ ١، ص ٣٠-١٣٥.

(٥) المقرئ: تقي الدين أحمد بن المقرئ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: د. محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، سنة ١٩٤٣م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩١٤م، جـ ١، ق ١، ص ١١٩ أنظر جدول قياس النيل.

(٦) الدواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ١٢٣ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٣٦.

(٧) ذكر عنه القلقشندي أن الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلي بالله الفاطمي هو الذي حفره، وكان سبب حفرة أن البلاد الشرقية كانت جارية في ديوان الخلافة، وكان معظمها لا يروى في أكثر السنين ولا يصل الماء إليها إلا من خليج سردوس، وهذا الخليج حفرة هاما لفرعون وبطل وعوض عنه بحر أبي المنجا، وكان يشرف على هذا العمل أبو المنجا شعيا اليهودي فعرفت باسمه، وكان ميعاد كسرة من أعياد فيض النيل بالقاهرة زمن الفاطميين والأيوبيين، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣ ص ٣٠١-٣٠٢، المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات في مصر، دار ابن الوليد، حاشية (٢)، ص ٣٢.



وباشتر الملك العزيز عثمان كسرة وزاد النيل فيه إصبعاً وهي الإصبع ١٨ من ١٨ ذراعاً وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى<sup>(١)</sup>.

وقد شهدت الدولة الأيوبية المجاعة والوباء ابتداء من عام ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ / ١١٩٨ - ١١٩٩ م، أى لمدة أربعة أعوام، وذلك بسبب توقف ماء النيل عن الزيادة<sup>(٢)</sup> وهناك من ذكر ثلاث سنين متوالية لم يطلع منه إلا القليل<sup>(٣)</sup> ففي عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م حدثت أزمة شديدة كان سببها توقف النيل عن الزيادة وقصوره عن العادة فقد انتهت زيادته إلى ١٢ ذراعاً وأصاب<sup>(٤)</sup> فشرقت معظم أرض مصر وارتفعت الأسعار<sup>(٥)</sup> وأعادت تلك الأزمة إلى الأذهان ذكرى الشدة العظمى التي وقعت في عهد المستنصر بالله الفاطمي إذ انتشر القحط حتى هرب الناس من مصر إلى الشام وغيرها فماتوا في الطريق من التعب والجوع<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م، توقف النيل عن الزيادة وحدث القحط والوباء ولم يبلغ في الزيادة إلا ١٥ ذراعاً و ١٦ إصبعاً<sup>(٧)</sup> ثم توقف النيل عن الزيادة وانتهى في الزيادة إلى ١٢ ذراعاً وإصبعاً<sup>(٨)</sup> ثم هبط ولم يزد بعد ذلك شيئاً، فاضطربت أحوال الديار المصرية<sup>(٩)</sup> وهرب الناس إلى الحجاز واليمن والشام<sup>(١٠)</sup>، ثم حدثت أزمة أيام السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر ٥٩٦ - ٦١٥ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٨ م، وذلك بسبب توقف مياه النيل عن الزيادة<sup>(١١)</sup>، وفي عام

(١) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٦٠-٦١.

(٢) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٢٧.

(٣) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٠.

(٤) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٢٨، أمين سامي، تقويم النيل، ص ٤٦. ذكر الدوادارى في كثر الدرر، جـ ٧، ص ١٤٠، أنه بلغ ١٢ ذراعاً و ٢٠ إصبعاً، وبلغ ١٢ ذراعاً و ٢١ إصبعاً عند ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٥٩، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٤.

(٥) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٣، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٣٥.

(6) Lane - Poole (S); A History of Egypt in the Middle Ages, Third Edition, London, 1900, P215.

(٧) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨، المقرئى، إغالة الأمة، ص ٢٨، الدوادارى، كثر الدرر، جـ ٧، ص ١٤٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٨٠.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٤، قيل ١٣ ذراعاً تنقص أصابع.

(٩) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٤.

(١٠) مصطفى الصفوى القلعاوى، صفوة للزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلاطان مخطوط بدرا الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦ م، ورقة ٢٥.

(١١) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٢٨.



٦٢٧هـ / ١٢٢٩م بلغ النيل ١٣ ذراع و ٢٣ إصبع<sup>(١)</sup> وقيل انتهى إلى ١٤ ذراع وأصابع، وقيل بلغ ١٦ ذراع و ١٠ أصابع<sup>(٢)</sup> وقد ذكر بن تغري بردى أن النيل بلغ ١٦ ذراع و ٣ أصابع، ولم يثبت فوق الغلاء وكان قاع النيل ذراعين<sup>(٣)</sup> وفي عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م، بلغ النيل ١٦ ذراع و ٣ أصابع<sup>(٤)</sup> هكذا توالى قصور النيل في العصر الأيوبي في أعوام مختلفة سجلت تلك الأعوام أزمات اقتصادية من ارتفاع في الأسعار، واضطراب في أحوال البلاد والعباد.

### قصور النيل وفيضانه في العصر المملوكي البحري:

لا شك أن العصر المملوكي البحري مئى بالعديد من الأزمات الاقتصادية التي كان هُر النيل أحد بل أهم أسباب حدوثها ففي عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م توقف هُر النيل عن الزيادة<sup>(٥)</sup> وبلغ ماء النيل في هذه السنة ١٦ ذراع و ١٧ إصبع<sup>(٦)</sup> وكسر بحر أبي المنجا خوفاً من النقص وذلك قبل أوائله بثلاثة أيام، وازداد الأمر سوءاً عندما بدأ النيل في التوقف، وذلك عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م<sup>(٧)</sup> فأصبح أهل مصر في قحط شديد ووباء مفرط<sup>(٨)</sup> إلى جانب هبوب الرياح السوداء التي كان لها أثرها هي الأخرى على الإنسان والزرع<sup>(٩)</sup> كما سوف يأتي ذكره، إلى جانب حدوث الغلاء الذي عانى منه الناس أشد المعاناة<sup>(١٠)</sup>، وفي عام ٧٠٨-٧٠٩هـ /

(١) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، لهاية الأرب في فنون الأدب، مركز تحقيق التراث، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج-٢٩، ص ١٦١.

(٢) أمين سامي، تقويم النيل، ص ٣٠.

(٣) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج-٦، ص ٢٧٥.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج-٢، ص ١٥٩.

(٥) ابن الوردي: العلامة الشيخ زين الدين عمر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج-٢، سنة ١٣٨٩هـ / سنة ١٩٦٩م منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ص ٣٤٤، المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣١، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٣٢.

(٦) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج-٨، ص ٧٨، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج-١٨، ص ٣١، أشار ابن تغري بردى إلى أن النيل بلغ عام ٦٩٤هـ، ١٦ ذراع هبط من ليلته فشرقت البلاد وأعقب ذلك غلاء عظيم في الأسعار نتيجة توقف ماء النيل عن الزيادة، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج-٨، ص ٦٨.

(٧) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٣٢.

(٨) اليافعي: الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ت سنة ٧٦٨هـ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (٤ أجزاء)، ج-٤، دار الكتاب الإسلامي، ص ٢٢٧، السيوطي، حسن المحاضرة، ج-٢، ص ١٦١.

(٩) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج-٨، ص ٧٩.

(١٠) الدواداري، كثر الدرر، ج-٨، ص ٣٦٣.





١٣٠٨-١٣٠٩ م حدثت أزمة اقتصادية توقف فيها النيل عن الزيادة فضج الناس لذلك فرسم السلطان بكسر السد من غير وفاء وقد نقص عن الوفاء ٣ أصابع فكسر السد واستمر في النقص مدة غير قليلة فكان منتهى الزيادة في تلك السنة ١٥ ذراع و ١٧ إصبعاً، فشرقت البلاد ووقع الغلاء في مصر وذلك في أوائل سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير<sup>(١)</sup> وبلغ مقياس النيل عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م ، ١٩ ذراعاً و ١٠ أصابع<sup>(٢)</sup> فاستبحرت بعض أراضي مصر..... وأتلف للناس من القصب ما يزيد على ألف ألف دينار<sup>(٣)</sup>، وقد شهدت البلاد أزمة اقتصادية شديدة تأثرت بها البلاد والعباد بسبب حدوث الوباء العظيم عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م ، واشتدت هذه الأزمة على الناس بسبب هبوط النيل الذي بلغ مقياسه ١٦ ذراع و ٢٣ إصبعاً<sup>(٤)</sup>، مما سبب اضطراب اقتصادى في مصر فترة طويلة للغاية<sup>(٥)</sup> وتوالى قصور النيل في سنوات مختلفة أثرت على البلاد والعباد مما سبب توالى حدوث الأزمات الاقتصادية.

فشهدت البلاد عام ٧٧٥-٧٧٦هـ / ١٣٧٣ - ١٣٧٤ م، حدوث انخفاض منسوب مياه النيل حيث بلغت زيادته ١٦ ذراعاً<sup>(٦)</sup> ولكن هذه الزيادة لم تكن كافية لرى كافة أراضي الديار المصرية، فشرقت معظم الأراضي، ولم يلبث أن وقع الغلاء وتزايدت الأسعار<sup>(٧)</sup>، وتوالى فيضان النيل بالزيادة أدت إلى استبحار الأراضي الزراعية، ففي عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦ م، بلغ زيادة النيل ١٩ ذراع و ٢ إصبعاً<sup>(٨)</sup> وكذلك عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩ م، بلغ ١٩ ذراع و ٢ إصبعاً<sup>(٩)</sup> وفي عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م، بلغ ٢٠ ذراع و ٣ أصابع<sup>(١٠)</sup>.

(١) ابن إياس، لبدة من لشق الأزهار، ص ٨٣-٨٤.

(٢) المقرئى، السلوك، ج-٢، ق ٢، ص ٣٥٣، وقد ذكر ابن الوردي أنه كان ١٩ ذراعاً فقط، وبن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج-٢، ص ٤٢٦.

(٣) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج-٢، ص ٤٢٦.

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج-١٠، ص ٢٤٣.

(٥) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ٥٦، قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط ١، سنة ٢٠٠١ م، ص ٢٦١.

(٦) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٤٠، ذكر صاحب النجوم الزاهرة أنه بلغ ١٥ ذراع و ١٩ إصبعاً، راجع: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج-١١، ص ١٢٩.

(٧) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٩.

(٨) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج-١١، ص ١٤٧.

(٩) المصدر نفسه، ج-١١، ص ٢٠٢.

(١٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ٢، ص ٣٠٦.



وما سبق من مناسيب مختلفة قبل العصرين الأيوبي والمملوكي البحري لا ينطبق على العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، فمن الواضح أن كمية الفيضان اللازمة للزراعة في مصر كانت تختلف من عصر لآخر وذلك على حسب اهتمام الدولة بأعمال الري وتطهير الترع وإقامة الجسور، فالكمية التي كانت كافية في فترات الاضمحلال<sup>(١)</sup>، وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن حالة الاضطراب التي سادت مصر منذ سقوط الدولة الطولونية عام ٢٩٢هـ / ٩٠٤م - ٩٠٥م، ودوام النزاع بين الجند وتوالي الأزمات الاقتصادية لأمكننا القول بأن هناك تدهوراً قد طرأ على حد الوفاء نتيجة لإهمال مشروعات الري، إلا أن التدهور لم يكن ليعنى أن ١٦ ذراعاً هو حد المجاعة خاصة وأن النيل كان يصل إلى هذا الحد في سنوات لاحقة ولم تحدث مجاعة<sup>(٢)</sup>، وقد كان حد الوفاء يتغير بتقادم الزمن فمياه الفيضان ترسب ما بها من حمولة عالقة فوق مجرى النهر وعلى جانب النهر في أراضي الوادي والدلتا، وهذه الحمولة تعمل على رفع منسوب قاع النهر، ورفع منسوب أراضي الوادي والدلتا عاماً بعد آخر، ويرتفع قاع النهر بمعدل أكبر من ارتفاع الوادي<sup>(٣)</sup>

ويقدر "جون بول" معدل ارتفاع الوادي بحوالي ٩ سم كل قرن<sup>(٤)</sup> أما "ويكلوكس" فيقدر الإرساب على القاع بحوالي ١٢ سم كل قرن<sup>(٥)</sup>، فبعد أن كان حد الوفاء في القرن الأول والثاني والثالث الهجري نحو ١٥ ذراع، أصبح في القرون الرابع والخامس والسادس ١٦ ذراع، ثم أصبح في القرنين السابع والثامن ١٨ ذراع، وفي القرنين التاسع والعاشر أصبح حد الوفاء ٢٠ ذراع، وشاركت الجسور وتدهورها والترع بالإضافة إلى ارتفاع قاع النهر في ارتفاع منسوب مياه النهر<sup>(٦)</sup>، وثمة بعض الملاحظات يمكن أن نوردها فيما يلي:

\* أصبحت الـ ١٦ ذراعاً لا تفي بحاجات البلاد، وصار الأمر يتطلب بلوغ ارتفاع النيل ما بين الـ ١٨ ذراع والـ ٢٠ ذراع، ولم يعد الـ ١٧ ذراع كافية لري جميع الأراضي الزراعية ولم تعد الـ ١٨ ذراع والـ ٢٠ ذراع يسبب خطورة على الأراضي والمحاصيل الزراعية والسبب

---

(١) فائق عز الدين إبراهيم العارف، فيضان النيل في مصر منذ الفتح العربي حتى الوقت الحاضر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب،

جامعة الزقازيق سنة ١٩٩٠م، ص ١٩٠.

(٢) أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ٢٦.

(٣) فائق عز الدين، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٣٩.



في ذلك هو إهمال الجسور والترع بل جميع مشروعات الري وذلك إما بسبب سياسة الحكام وضعفهم، أو بسبب الفتن والاضطرابات بين الأمراء مع بعضهم البعض أو غير ذلك من الأسباب التي سوف نتحدث عنها في الصفحات القادمة.

\* ليس هناك تاريخ محدد يصل فيه النيل إلى حد الوفاء بل يتوقف ذلك على كمية المياه الواردة كذلك على منسوب الماء القديم، وبذلك يختلف الوفاء من عام لآخر<sup>(١)</sup>

\* اختلف المؤرخين في تفسير أسباب الفيضان، فهناك من يرى أن فيضان النيل يحدث نتيجة لما تمده به الأنهار الأخرى والينابيع من مائها، حيث تجف هذه الينابيع وتحترق بعض الأنهار أثناء فيضان النيل<sup>(٢)</sup> ويرى البعض الآخر أن فيضان النيل يحدث نتيجة لهبوب الرياح الشمالية التي تثير البحر المالح فيقف أمام النيل كالسد فيزيد ماؤه<sup>(٣)</sup>

ومع ذلك نجد أن معظم المؤرخين اتفقوا على أن فيضان النيل يحدث نتيجة لسقوط الأمطار في فصل الصيف على هضبة الحبشة والبلاد الواقعة في الجنوب.

ونستطيع القول بأن أسباب الزيادة المستمرة للنيل هي:

\* الارتفاع المستمر في منسوب الأراضي الزراعية، بسبب ما يترتب على وجه الأرض من الطمي المجلوب مع الفيضان السنوي بالإضافة إلى إطماء قاع المجارى المائية واحتياجها إلى ارتفاع منسوب المياه حتى تدخلها.

\* ضعف الجسور وإهمال صيانتها إذ يترتب على تقويتها وإحكامها تقليل نسبة الفاقد بالإضافة إلى قلة المقدار اللازم للوفاء بحاجة الأراضي الزراعية من المياه.

---

(١) فائق عز الدين، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٢) ابن عبد الحكم، سنة ١٩٢٢م، ص ١٤٣ عن فائق عز الدين، المرجع نفسه، ص ١٩٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، سنة ١٨٦٦م، ص ٣٦١ عن فائق عز الدين، المرجع نفسه، ص ٣٦١.



\* إهمال تطهير الترع والقناطر والخلجان من الطمي والنباتات العالقة، التي تحول دون جريان الماء، أو تقلل من سرعته، إذ عن طريق هذه الشبكة من الترع والخلجان كانت تروى الأراضي الزراعية القريبة من مجرى النهر والبعيدة<sup>(١)</sup>

---

(١) مجدى عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م، ص ١٧٦ -





## العامل الثاني: الأوبئة وأثرها في الإنسان والحيوان:

كانت الأوبئة والطواعين كثيرة الحدوث في مصر الإسلامية، وذلك لتوفر العوامل المهيأة لحدوثها<sup>(١)</sup> فشهدت البلاد كثيراً من المجاعات والأوبئة التي أودت بحياة الكثير من سكان المدن والقرى على حد سواء<sup>(٢)</sup>، وأغلب الظن يكون الوباء سبباً في حدوث المجاعة أو العكس، وربما يواكب كل منهما الآخر،... فقد تسبب المجاعة في موت الكثير، ثم ينتشر الوباء نتيجة لذلك، وقد يأتي الوباء ليقضي على أعداد كبيرة من السكان بحيث لا تجد الأرض من يزرعها، وتكون النتيجة أن تنشب المجاعة مخالفاً في البلاد من جديد، وهو ما عبر عنه المقرئ بقوله "إذا تأخر جرى النيل بمصر يمتد الغلاء سنين"<sup>(٣)</sup>

هذا وقد كان حدوث المجاعة أو الوباء أو الاثنين معاً كان يعطى صورة قائمة للحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر خلال فترة عصورها الوسطى<sup>(٤)</sup>

وهناك من المؤرخين من ذكر الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الوباء والطاعون فقال وهناك من المؤرخين من ذكر الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الوباء والطاعون فقال "إن أرض مصر ذات أربعة أجزاء، الفسطاط، القاهرة، الجزيرة، الجيزة، وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة، والجبل المقطم في شرقيها وبينها وبين مقابر المدينة، وقال الأطباء إن أردأ المواضع ما كان الجبل في شرقية يعوق الصناعة، وأعظم أجزائها هو الفسطاط، ويلى الفسطاط من الغرب النيل، وعلى شط النيل الغربي أشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع غور يعلوه من المشرق المقطم، ومن الجنوب الشرف، ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق أعنى الموقف والعسكر وجامع بن طولون، ومتى نظرت إلى الفسطاط من الشرق أو من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور، وقد بين أبقرط أن المواضع المتسفلة أسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولأن ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط

(١) د. محمد بركات البيلي، الأزمات الاقتصادية، ص ٢٣.

(٢) د. راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٤٨م، ص ٨٠.

(٣) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٤١.

(٤) جابر سلامة المصري، الزراعة في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، ص ٥٧، هناك ارتباط شديد بين انخفاض النيل من جهة وحدوث المجاعات من جهة ثانية، وبين وقوع الأوبئة والطواعين من جهة ثالثة، راجع: د. حامد زيان، الأزمات الاقتصادية

والأوبئة، ص ١٩.



وشوارعها ضيقة وأبنيتها عالية، وقد ذكر المقرئى ما قاله "روفس" أنه إذا دخلت مدينة فرايتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء فاهرب منها لأنها وبيئة أراد أن البخار لا ينحل منها كما ينبغي لضيق إزلاقة وارتفاع البناء، ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت من السناير والكلاب ونحوها من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضاً أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وحزارات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جري الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء، وفى خلال الفسطاط مستودعات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط وهى أيضاً كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى إنك ترى الهواء فى أيام الصيف كدراً يأخذ بالنفس<sup>(١)</sup> نستنتج من الكلام السابق أن ضيق الشوارع والأزقة وما يتخللها من أبنية عالية تسبب الوباء لعدم التحلل البخار عنها بالإضافة إلى موت الكثير من الحيوانات داخل الشوارع والأزقة فتعفن ويخالطها الناس فتسبب لهم الأمراض والأوبئة والطواعين، هذا بالإضافة إلى رمى القلط والكلاب وجيف الحيوانات فى النيل وفضلاتهم، يزيد على ذلك كثرة البخار وسخونة الهواء فى فصل الصيف أليس كل ذلك يسبب حدوث الأوبئة والطواعين وغير ذلك.

هذا وقد كان للوباء<sup>(٢)</sup> أثر شديد فى حدوث الأزمات الاقتصادية فبمجرد حدوث الوباء ترتفع أسعار المواد الغذائية والأدوية التى تستخدم لعلاج المرضى، وهناك العديد من الأمثلة على الأوبئة فى العصرين الأيوبي والمملوكى البحرى، ففي عام ٥٧٥هـ / ١١٧٤م حدث وباء وغلاء هلك فيه عالم عظيم فى الشرق وأعماله<sup>(٣)</sup> وقد بلغ النيل فى هذا العام ١٧ ذراع و ١٧ إصبع<sup>(٤)</sup> لذلك حدث الوباء والغلاء بارتفاع الأسعار فى كل شىء، وقد فشا الموت بمصر والقاهرة وجميع مناطق مصر عام ٥٧٥هـ / ١١٧٤م، ومات من الخلق بالقاهرة ومصر فى أيام قليلة سبعة عشر ألف إنسان<sup>(٥)</sup> وقد بلغ فيضان النيل فى تلك السنة ١٨ ذراع و ٧ أصابع<sup>(٦)</sup>

(١) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٢) قيل أن الوباء رجز أهلك الله به بعض الأمم وقد بقى فى الأرض منه شىء يجرى أحياناً، ويذهب أحياناً فالرجز والرجس هنا بمعنى الطاعون وهو إما يكون عذاباً على الكافر. راجع: زكريا الأنصاري، تحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين، مخطوط بدار الكتب المصرية، حديث تيمور ١٤١، رقم الميكروفيلم ٢٢٢٧٣، ورقة رقم (٣).

(٣) الدوادارى، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٥٨.

(٤) الدوادرى، المصدر السابق، جـ ٧، ص ٥٨.

(٥) المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ١٨١، منشورات بيضون.

(٦) أمين سامي، تقويم النيل، جـ ١، ص ٧.



وفي عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م، وقع وباء بأرض مصر وفشا في الناس موت الفجأة<sup>(١)</sup> وكان قياس النيل في ذلك العام ١٧ ذراع وإصبع<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م كثرت الأراجيف بالقاهرة ومصر وعظمت الشناعات وارتفعت الأسعار<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، حصل جوع شديد في هذه السنة عم الخلق في القرى والأرياف فتركوا بلادهم وانتقلوا إلى القاهرة ودخل فصل الربيع فهب هواء تبعة وباء وفناء وعدم القوت حتى أكل الناس أطفالهم<sup>(٤)</sup> واشتد الأمر على الناس لقلة الخبز في الأسواق<sup>(٥)</sup> وكان قياس النيل في ذلك العام ١٦ ذراع و ٢٢ إصبع<sup>(٦)</sup>، وكان لهذا الوباء أثر في حدوث أزمة اقتصادية شنيعة حيث أن هذه السنة كان أهل القرى قد فنوا، وقد ذكر أن الله تعالى لما أغاث الخلق بالنيل لم يوجد أحد يحتر ولا يزرع فخرج الأجناد بغلماهم وتولوا ذلك بأنفسهم، ومع ذلك لم يزرع أكثر البلاد لعدم الفلاحين والحيوانات<sup>(٧)</sup> كل هذا لقصور مياه النيل التي لم تعد كافية لرى البلاد.

وقد وقعت العديد من الأوبئة الكثيرة التي كان لها أكبر الأثر على أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية، وتسببت في اشتداد الأزمة الاقتصادية، ففي عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م، كثر الوباء وغلت الأسعار<sup>(٨)</sup> وكان النيل في تلك السنة ١٧ ذراع و ١٨ إصبع<sup>(٩)</sup> وهذا الوباء كان سببه مياه النيل الذي قيل عنها أنها سببت حدوث اللجة الكبرى<sup>(١٠)</sup> وقد كان للأزمة الاقتصادية (٥٩٦ - ٥٩٧هـ / ١١٩٩ - ١٢٠٠م) نتيجة لنقص فيضان النيل والذي لم يبلغ إلا ١٣

(١) المقریزی، السلوك، ج١، ص ٢٠٤، منشورات بيطون.

(٢) أمين سامي، تقويم النيل، ج١، ص ٧.

(٣) المقریزی، السلوك، ج١، ق١، ص ١١١.

(٤) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج٧، ص ١٨، ج٢٠، ص ١٣٦.

(٥) المقریزی، السلوك، ج١، ق١، ص ١٢١.

(٦) الدواداري، كثر الدرر، ج٧، ص ١٢٣، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٣٦، أمين سامي، تقويم النيل، ص ٧.

(٧) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج٧، ص ١٩.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٤٥٢.

(٩) أمين سامي، تقويم النيل، ج١، ص ٧.

(١٠) المقریزی، الخطط، ج٢، ص ٦٠-٦١.



ذراع فوق الوباء<sup>(١)</sup> والفناء الكبير<sup>(٢)</sup> وقد كان نتيجتها اشتداد الغلاء<sup>(٣)</sup>، وموت الناس في شوارع القاهرة، فقد حلت القاهرة ومصر من أكثر أهلها، وصار من يموت لا يجد من يواريه فيصير عدة أشهر حتى يُبلى وتشم رائحته فيصاب الناس بالوباء، وفي هذا العام هاجر إلى القاهرة خلق كثير من أهل القرى، فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك الهواء أعقبه وباء وكثر الجوع، وعدم القوت<sup>(٤)</sup> ويذكر صاحب شذرات الذهب أنه مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لما أبعد<sup>(٥)</sup> فامتد ما حدث لمدة ثلاث سنين، فكان بلاءاً شنيعاً حتى بلغ عدة من كفنه العادل وحده من الأموات في مدة يسيرة نحو مائتي ألف وعشرين إنسان<sup>(٦)</sup>، وحدث الوباء العظيم الذي كان له أكبر الأثر على حياة الناس بمصر<sup>(٧)</sup> وذلك في ٦٣٢-٦٣٣هـ / ١٢٣٤-١٢٣٥م، ففي عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م، مات في شهر واحد ما يزيد عن ثلاثون ألف إنسان<sup>(٨)</sup> وبلغ الليل في ذلك العام ١٦ ذراع و ١٣ إصبع<sup>(٩)</sup> معنى ذلك إنها لم تكن كافية لرى أراضي البلاد.

وكانت الطامة الكبرى والطاعون العظيم بمصر<sup>(١٠)</sup> وقراها عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م، مات فيه خلق كثير<sup>(١١)</sup> من أهلها حتى تجاوز الحد<sup>(١٢)</sup> وقد ذكر كلاً من المقرئى، النويرى أنه في عام

(١) ابن الجوزى: شمس الدين أبى المظفر يوسف بن قراؤغلى التركى المشهور ببسط بن الجوزى، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢م، جـ ١، ق ٢، ص ٤٧١.

(٢) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٣٥، يسرى أحمد عبد الله عبد الرحمن زيدان، الفقهاء والعامة في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٦م، ص ٤٨٨.

(٣) ابن الجوزى، مرآة الزمان، جـ ١، ق ٢، ص ٤٧٧، الدوادراى، كثر الدرر، جـ ٨، ص ٣٤٨، ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، تحقيق د. جمال الدين الشيال، سنة ١٩٥٣م، جـ ٣، ص ١٢٧.

(٤) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٧-١٥٨، ابن الأثير: أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، الكامل في التاريخ، جـ ٩، ص ٢٥٥.

(٥) الحنبلى: أبى الفلاح بن عبد الحى بن العماد الحنبلى، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، سنة ١٣٥٠م، جـ ٤ ص ٣٢٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٥٨.

(٦) المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ٣٧٣، منشورات بيضون، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٣٥، بالإضافة إلى وقوع الوباء بالقاهرة ومصر فقد وقع الوباء أيضاً بالفيوم والغربية ودمياط والإسكندرية موتان عظيم ووباء شديد. راجع: عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٧١.

(٧) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢ ص ١٥٩.

(٨) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٨٧.

(٩) الدوادراى، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٣١٣، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٩٢.

(١٠) زكريا الأنصارى، تحفة الراغبين، مخطوط بدار الكتب، ورقة ٣٠.

(١١) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٠.

(١٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٩٣.





٦٣٣هـ / ١٢٣٥م، استمر الوباء بمصر مدة ثلاثة أشهر<sup>(١)</sup> إلى جانب العديد والعديد ممن مات بالريف<sup>(٢)</sup> وقد كان النيل في هذا الوقت على ١٧ ذراع و ٢ إصبع<sup>(٣)</sup> وقيل أن مصر كان بها تسعمائة منسج للحصر فلم يبق إلا خمسة عشر منسجاً<sup>(٤)</sup> هذا وإن دل فإنه يدل على شدة ما فعله الوباء بأهل مصر.

أما الأوبئة التي حدثت في عصر المماليك البحرية فقد تعدد حدوث تلك الأوبئة في ذلك العصر، ففي عام ٦٤٩هـ / ١٢٥١م حدث طاعون، والدليل على ذلك ما ذكره ابن إياس في كتابه بدائع الزهور أنه في سنة تسع وأربعين وستمائة توفي الشيخ كمال الدين الإدفوي المؤرخ وقد مات بالطاعون<sup>(٥)</sup>، وفي عهد سلطنة العادل كتبغا<sup>(٦)</sup> قاسى الناس شدائد عظيمة في عام ٦٩٤-٦٩٥هـ / ١٢٩٤م<sup>(٧)</sup> حيث حدث الغلاء والفناء بمصر<sup>(٨)</sup> وكثر الوباء في الناس<sup>(٩)</sup> وقد ذكر المقرئ أن سبب هذا الوباء أن أهل برقة حصل عندهم غلاء عظيم وجراد كثير، فانحدر منهم إلى الديار المصرية أعداد جمة بلغت خمسين ألف وإلى بلاد الشام اثنين وألف، فصادفوا البلاد

---

(١) المقرئ، السلوك، ج١، ق١، ص ٢٥٠، النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٢١١.

(٢) المقرئ، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٩٦، أمين سامي، تقويم النيل، ج١، ص ٨.

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٥٨.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١ ص ٢٩٠، ولم يذكر أسباب حدوث هذا الطاعون، ذكر السيوطى أن عام ٦٤٣هـ وقد وقع الغلاء بمصر وقاسى أهلها شدائد وهو الوحيد الذي ذكر هذه الحادثة. راجع السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٥٩. وقد كان النيل في هذا الوقت ١٤ ذراع. راجع: أمين سامي، تقويم النيل، ج١، ص ٨، وربما يرجع القحط والشدائد والغلاء نظراً لنقص مياه النيل عن حد الوفاء فشرقت البلاد وحدث الغلاء والوباء.

(٦) السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصورى هو أحد مماليك الملك المنصور قلاوون، تولى الحكم سنة أربع وتسعين، وتلقب بالملك العادل وكانت أيامه شر أيام لما فيها من قصور النيل، وغلاء الأسعار، وكثرة الوباء وقدم الأويراتية. راجع: المقرئ، الخطط، ج٢، ص ٢٣٩، د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٥، د. قاسم عبده، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٥٥-٢٥٦، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة إلى العربية، محمود عابدين وسليم حسن، ج١، سنة ١٩٢٤م، ص ٦٦-٦٧، السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية سنة ١٩٩٩م، ص ٢٤٠.

(٧) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٧١، النويرى، نهاية الأرب، ج٣١، ص ٢٨٦.

(٨) ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، تذكرة النيه في أيام المنصور ونيه، حققه: د. محمد محمد أمين، راجعه وقدم له، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م، ج١، ص ١٨٤، بيرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق د. زبيدة محمد عطا، ج٩، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٩) المقرئ، الخطط، ج٢، ص ٢٣٩، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٦٦-٦٧.



وقد حصل الغلاء فهلكوا وأهلكوا<sup>(١)</sup> إلى جانب قدوم الأويراتية<sup>(٢)</sup> وقد كان النيل في ذلك العام ٦٩٤هـ ، ١٦ ذراع و ١٧ إصبع<sup>(٣)</sup> وعام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م ، ١٨ ذراع وإصبع<sup>(٤)</sup> لذلك حدث الغلاء والوباء والفناء.

وقد كانت الأموات مطروحة في الأزقة والشوارع ملقاة في الممرات ولا يوجد من يدفنها وذلك لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بمرضاهم<sup>(٥)</sup> فمُنَى الخلق بالطامة<sup>(٦)</sup> ونتج عن ذلك انتشار الوباء<sup>(٧)</sup>، ومن الواضح أن السبب في تفاقم تلك الأزمة هو توقف نهر النيل عن الزيادة ١٧ ذراع و ١٦ إصبع كما سبق أن ذكرنا فازداد الأمر سوءاً على أهل مصر فعاشوا في قحط شديد ووباء مفرط<sup>(٨)</sup> إلى جانب هبوب الرياح السوداء التي أثرت على الإنسان وغيره<sup>(٩)</sup> ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م، هذا إلى جانب سياسة الحكام الخاطئة التي كانت تتسبب في خلق مثل هذه الأزمات<sup>(١٠)</sup> والدليل على ذلك أن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون كان قد فرق المخزون من الغلال على الأمراء قبل موته فلما قصر النيل عن الوفاء، اشترى الوزير الغلال الموجودة في الأسواق لسد حاجة السلطان ومماليكه وهذا ما يوضح أن الحكام كانوا يتسببون في وجود الأزمات<sup>(١١)</sup>

(١) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، حاشية (١) ص ٨٠٩.

(٢) الأويراتية نسبة إلى أويرات، وهو اسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ييسى بأواسط آسيا وفدوا من بلاد التتار خوفاً من الملك غزان إلى بلاد الإسلام وصحبهم مقدمهم طرغاي وهو من أكابر أمراء المغول وكانوا نحو عشرة آلاف نفر، فأكرموا وأعطوا الإقطاعات واستقر أمرهم، لمزيد من التفاصيل راجع: ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ١، ص ١٨٥، المقرئى، السلوك، جـ ١، حاشية (٣) ص ٧٠٨، عن تذكرة النبيه، جـ ١، حاشية (٢) ص ١٨٥، النويزى، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٧٨، أمين سامي، تقويم النيل، ص ٨.

(٤) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، جـ ٨، ص ٨٤، أمين سامي، تقويم النيل، ص ٨.

(٥) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٠٩، بدر الدين محمود العيى، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه د. محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م، جـ ٣، ص ٢٧٦، بريس الدوادارى، زبد الفكرة، تحقيق د. زبيد عطا، جـ ٩، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٦) العيى، المصدر نفسه، جـ ٣، ص ٢٧٥.

(٧) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٣.

(٨) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦١.

(٩) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٧٩.

(١٠) د. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانية، دار المعارف سنة ١٩٨٣م، ص ١٤٥.

(١١) المرجع نفسه، نفس الصفحة.



واستهل عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م، والناس في مصر في قحط شديد ووباء مفرط<sup>(١)</sup> وكان يموت كل يوم بالآلاف، حتى أنه أخرج في اليوم الواحد ألف وخمسمائة جنازة<sup>(٢)</sup> فقد كان هذا الطاعون سبب في فناء ثلث أهل مصر<sup>(٣)</sup> في الوقت الذي أثرت فيه هبوب الرياح السوداء المظلمة على الإنسان والزرع، والتي تبعثها حتى عمت الناس، فغلت الأسعار خاصة أسعار الدواء الذي يحتاج إليه المرضى وعدمت الفواكه<sup>(٤)</sup> وقاسى الناس الشدائد في هذه السنة والسنة الماضية<sup>(٥)</sup> حتى قيل أن هذا الغلاء ما عهد ذلك الجيل مثله<sup>(٦)</sup>، وشهد عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، حدوث وباء آخر حيث عم ذلك الوباء وانتشر<sup>(٧)</sup> وفشت الأمراض الحادة في الناس، وطلب الناس الدواء والأطباء، وندر ما يحتاج إليه المرضى<sup>(٨)</sup> وكان قياس النيل في هذا الوقت يقف عند ١٦ ذراع و ٢ إصبع<sup>(٩)</sup> وأخذ في الهبوط والنقص مدة غير قليلة وكان قياس النيل بعد هبوطه ونقصه ١٥ ذراع و ١٧ إصبع فشرقت البلاد ووقع الوباء والغلاء<sup>(١٠)</sup> وذلك بسبب نقص ماء النيل.

هذا وقد فشت الأمراض والأوبئة في سنوات مختلفة ولكن كان تأثيرها بسيط وقليل ولم يكن لها التأثير السابق والفعال التي أحدثته الأوبئة في السنوات السابقة.

فقد ذكر المقرئ عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م، أن المرض انتشر بصورة كبيرة وفشا في الناس بالشام ومصر والصعيد وكثر الموت حتى أن السلطان مرض لمدة ثمانية عشر يوماً وعوفي<sup>(١١)</sup> وكان النيل في هذا العام ١٨ ذراع و ١٩ إصبع<sup>(١٢)</sup> ويحدثنا صاحب كثر الدرر أن هناك وباء

(١) السيوطي، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) الحنبلي، شذرات الذهب، جـ ٥، ص ٤٢٨.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٤) علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ ٧، ص ١٩.

(٥) ابن تغري بردي، المصدر السابق، جـ ٨، ص ٧٩.

(٦) الدواداري، كثر الدرر، جـ ٨، ص ٣٦٣.

(٧) د. السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٤١.

(٨) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٥٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٧٩.

(٩) ابن تغري بردي، المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٨٢.

(١٠) ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٣-٨٤.

(١١) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٥٧.

(١٢) أمين سامي، تقويم النيل، جـ ١، ص ٨.



يسير<sup>(١)</sup> وقع في مصر وذلك عام ٧٣١هـ / ١٣٣٠م، وكان النيل ١٦ ذراع و ٢٢ إصبع<sup>(٢)</sup> ومرة أخرى وقع الفناء والغلاء بمصر عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، واستمر هذا الطاعون مدة أربعة أشهر، ومات من الناس ما لا يحصى عدداً، ووقع الغلاء عقب هذا الفناء<sup>(٣)</sup> وشهدت البلاد في عصر أولاد الناصر محمد بن قلاوون كارثة لا نظير لها، كان لها أكبر الأثر في زيادة منحى التدهور في دولة سلاطين المماليك<sup>(٤)</sup>.

وقد شهدت مصر أكبر وباء عرفه التاريخ وذلك عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، وزادت حدته في عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، حيث ذكر أنه حدث الوباء العظيم في هذه السنة والطاعون العام بمصر وغيرها<sup>(٥)</sup> وقد كان هذا الوباء شديد للغاية<sup>(٦)</sup> ولم يقتصر هذا الوباء على الإنسان فقط بل شمل جميع مخلوقات الأرض، فمع شدة الوباء عام ٧٤٩هـ، عم الغلاء الدنيا جميعها ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، جميع أجناس بني آدم وغيرهم حتى حيتان البحر وطيير السماء ووحش البر<sup>(٧)</sup> وقاسى الناس فيها شدائد عظيمة، وتوفي بها جماعة كثيرة من الأعيان<sup>(٨)</sup>

هذا وقد عرف المؤرخون العرب<sup>(٩)</sup> هذا الوباء الذى طبق الأرض<sup>(١٠)</sup> وقبر الملايين وهو سائر في

(١) الدوادارى، كثر الدرر، جـ ٩، ص ٣٥٨.

(٢) أمين سامي، تقويم النيل، جـ ١، ص ٨.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٧١-٤٧٢.

(٤) د. قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٥٩.

(٥) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٧، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٤، الحنبلى، شذرات الذهب، جـ ٦، ص ١٥٨.

(٦) زكريا الأنصارى، تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، مخطوط بدار الكتب، ورقة ٣١.

(٧) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٩٥، حامد زيان غانم، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٤٣، د. على السيد على محمود، الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الـ ١٤م، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية، سنة ١٩٨٦م، مجلد ٣٣، ص ١٤٩.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٢٣.

(٩) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٧-٣٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٢٩٧-٢٩٨، الدوادارى، كثر الدرر، جـ ٩، ص ٣٥٨-٣٨٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٢٠٤. د. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٤٩-١٥١.

(١٠) يوسف الملوانى، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ٥٦٢٣، ميكروفيلم ٣٦٤٢١، ورقة ٤٤.





طريقة من الشرق الأقصى إلى البحر الأبيض المتوسط<sup>(١)</sup> باسم "الفناء الكبير"<sup>(٢)</sup> بينما أطلق عليه مؤرخو أوروبا اسم "الموت الأسود"<sup>(٣)</sup> أو Black death وكان طبيعياً أن يصحب هذا الوباء الرهيب مجاعة استمر أثرها قائماً حتى عام ٧٥١-٧٥٢هـ / ١٣٤٩-١٣٥٠م، هذا وقد اشتدت الأزمة على الناس بسبب هبوط النيل الذي بلغ ١٦ ذراع و ٢٣ إصبع<sup>(٤)</sup> وذلك عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، أما عام ٧٥١هـ / ١٣٤٩م بلغ ١٧ ذراع<sup>(٥)</sup>، وتناقص عدد الفلاحين بطريقة رهيبة بسبب الوباء الأسود الذي قضى على عدد كبير منهم مما سبب استمرار الاضطراب الاقتصادي في مصر فترة غير يسيرة<sup>(٦)</sup>

فنودي أن يجتمع الناس بعامة الجوامع في مصر والقاهرة وخرج المصريون إلى القرافة ليصلوا بها واستمرت العامة في قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، ويدعون إلى الله تعالى ويقنتون في صلواتهم<sup>(٧)</sup>، وكان بداية هذا الوباء أيام التخضير، فعندما جاء ميعاد الحصاد كان قد فنى الفلاحين ولم يبق منهم إلا القليل، فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد، ونادوا من يحصد يأخذ نصف ما حصد، فلم يجدوا واحداً، ودرسوا غلاتهم وهم يركبون الخيول، وذروها بأيديهم

(١) السير ولیم مویر، تاریخ دولة المماليك في مصر، ص ١٠١.

(٢) يوسف الملواني، تحفة الأحباب، مخطوط، ورقة ٤٤ لمزيد من التفاصيل راجع:

Wiet,....(G).....Le grande peste noire en syrie et en Egypte, dans etudes d' orientalisme de dois a la memoire de levi- provençal paris, 1962, I , PP 367-384.

(٣) تتحدث المراجع الأوربية الخاصة عن هذا الوباء الذي وصل لأوروبا، أهمها في قائمة المؤلفات المعاصرة كتاب ليلى ديكامرون، وهو الكتاب الذي ألفه بوكاتشو الفلورنسي، ووصف فيه تجارب فئة من الفلورنسيين أيام هذا الوباء الأسود، ويلي ذلك عدد من المقالات أحصاها المؤلف الألماني الحديث (Kohl) في قائمة المراجع بكتابة الذي عنوانه "الوباء الأسود" ومن هذا الكتاب الحديث وغيره من الكتب الأوربية المكتوبة في أسلوب تاريخي منير يتضح أن هذا امتد كما ورد في المراجع العربية من بلاد الصين وتركستان عبر طرق التجارة الآسيوية البرية إلى أوروبا والشرق الأدنى في العصور الوسطى، فانتقل من آسيا الصغرى إلى إيطاليا وأسبانيا عن طريق مرسيليا، ودخل إنجلترا عن طريق مقاطعة دور تشستر ثم تحول شرقاً فاجتاز ألمانيا وبلاد شبه جزيرة اسكنديناوة، ومنها اشتعل في بولنده والنمسا وروسيا.

لمزيد من التفاصيل: راجع: د. محمد مصطفى زيادة، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، التاريخ والآثار (الحلقة الدراسية الأولى ٤-٩ فبراير سنة ١٩٦١م، ص ١٥٩-١٦٠.

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج-١٠، ص ٢٤٣، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج-١٨، ص ٦٠.

(٥) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج-١٠، ص ٢٥٠.

(٦) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٦، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٦٩، سمي هذا الطاعون بطاعون الألساب لأنه قلما مات به شخص إلا وتبعه أحد من أولاده وأقربائه وذوى رحمة وهلك الناس: راجع: ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج-٣، ص ١١٠-١١١.

(٧) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، ج-١٠، ص ٢٠٤-٢٠٥.



وعجزوا عن غالب الزرع فتركوه<sup>(١)</sup> وعندما أقفرت المدن وخلت من الناس، هرب السلطان ومن استطاع اللحاق به إلى سرياقوس وأصبحت الأملاك تنتقل بطريقة الوراثة..... واستولى كثيرون من العامة على إقطاعات أجناد الحلقة<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر المقرئ في خطه أن "زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى طغاي الخوند الكبرى وأم ابنه الأمير أنوك كانت قد توفيت فى شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء"<sup>(٣)</sup> ومن المحتمل أن يكون سبب حدوث هذا الوباء هو ما حدث فى ولاية الأمير منجيك مدبر أمور المملكة<sup>(٤)</sup> واشتداد جوره وظلمه وفساده هو وأخيه، بالإضافة إلى تخريب الأملاك على النيل واحتراق أماكن كثيرة بالقاهرة ومصر وخروج العربان عن الطاعة، إلى جانب شراقي البلاد، وتلف الجسور<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن الفترة من عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م حتى عام ٧٨٣هـ / ١٣٨١م كانت مؤلة فى تاريخ مصر بسبب تكرار انتشار الأوبئة، إذ لم يكن ينتهى وباء حتى يبدأ وباء آخر، بالإضافة إلى تزايد الأمراض بالقاهرة والوجه البحرى، هذا مما كان سبب فى حدوث الأزمات الاقتصادية المتكررة التى سببت اضطراب الأحوال وحدث الخلل فى الديار المصرية، ففي عام ٧٥٥- ٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦٠م، وبالتحديد عام ٧٦١هـ / ١٣٥٩م فى سلطنة الناصر حسن الثانية، وقع وباء بالديار المصرية<sup>(٦)</sup> واستمر حتى أوائل عام ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، وتوفى فى هذا الوباء عدد كبير من الأعيان وغيرهم<sup>(٧)</sup> وكانت مدة المرض من ٤ إلى ٥ أيام، ومن جاوز تلك المدة يطول مرضه، وهذا الوباء يقال له الوباء الوسط (أعنى بين وبائين)<sup>(٨)</sup> هلك به خلق كثير<sup>(٩)</sup>

(١) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٢٠٩.

(٢) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٦.

(٣) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٤) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٩٥.

(٥) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٣٢ ص ٢٣٣.

(٦) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٤٨، زكريا الأنصاري، تحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين، ورقة ٣٢.

(٧) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٤٨.

(٨) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣١١.

(٩) العلامة شهاب الدين أحمد السلاوى، كتاب مختصر التواريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٤٣٥، ميكرو فيلم

١٨٤٦٤، ورقة ٦٨.



أكثرهم الأطفال والنساء<sup>(١)</sup> ويقال أن السلطان هرب من هذا الوباء الذى شاع فى جميع أنحاء البلد فقد عدى إلى بر الجزيرة وأقام بناحية كوم برا<sup>(٢)</sup> مدة طويلة نتيجة لحدوث هذا الوباء<sup>(٣)</sup>

وقد كان نهر النيل يبلغ فى هذا الوقت ٢٤ ذراع<sup>(٤)</sup> ومعنى ذلك أن حدث فيضان بل طوفان تعرضت فيه البلاد والعباد للغرق وفساد وتلف الزرع.

وفى السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور محمد (حفيد الناصر محمد) على مصر حدث الطاعون بالديار المصرية عام ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م<sup>(٥)</sup> ومات فيه خلق كثير<sup>(٦)</sup> وهلك فيه ما لا يحصى<sup>(٧)</sup> وكان مقياس النيل فى ذلك العام ١٧ ذراع و ٤ أصابع<sup>(٨)</sup> وقد هجم الطاعون على مصر<sup>(٩)</sup> عام ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، ومات ما لا يحصى من أطفال ومماليك وعبيد وجوارى... فكان يخرج من القاهرة فى كل يوم فوق اثنى عشر ألف جنازة<sup>(١٠)</sup> وكان النيل فى هذا الوقت على ١٨ ذراع<sup>(١١)</sup> وفى عام ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م حدث وباء فكثر الموت، ومضى الناس بأمراض حادة<sup>(١٢)</sup> كان قياس النيل ١٧ ذراع و ٤ أصابع<sup>(١٣)</sup>

---

(١) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٦١٢، العيى، عقد الجمان، جـ ٢، ص ١٢٠.  
(٢) بفتح أوله ويروى بالضم وأصله الرمل المشرف وقال ابن شميل: الكومه تراب مجتمع طوله فى السماء ذراعان ويكون من الحجارة والرمل والجمع كوم، وهو اسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى شئ عرفت به: راجع: ياقوت الحموى: الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار بيروت، دار صادر، بيروت سنة ١٩٥٧م، ص ٤٩٥، وعند الرجوع إلى محمد رمزى، القاموس الجغرافى أحال كوم برا إلى كومبره بمركز إمبابة: راجع: محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، ق ١، البلاد المدرسة، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٥٣-١٩٥٤م.

(٣) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٧، قيل أن السلطان قضى بها ثلاثة أشهر مقيماً بها فى أرغد عيش والقاهرة بها أوخام ووباء مع أمراض شديدة بالناس: راجع: ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٧٣.

(٤) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، جـ ١٠، ص ٣٣٨، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٠.

(٥) حامد زيان، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٦) ابن تغرى بردى، نفسه، جـ ١١، ص ١٧.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٩٢.

(٨) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، جـ ١١، ص ٢٣.

(٩) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٤.

(١٠) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ٢، ص ٦٥-٦٦.

(١١) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، جـ ١١، ص ١٠٤.

(١٢) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ٢، ص ١٠١.

(١٣) أمين سامى، تقويم النيل، جـ ١، ص ٩.



وفي عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، فشلت الأوبئة في بلاد الوجه البحرى<sup>(١)</sup> وذلك نتيجة نقص مياه النيل التي وصلت إلى ١٥ ذراع و ١٩ إصبع<sup>(٢)</sup> فحدث الوباء والغلاء وتزايد الأسعار<sup>(٣)</sup> وعندما جاءت سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م، حدث الوباء بعد الغلاء فخرب الكثير ممن كان عامراً بديار مصر<sup>(٤)</sup> فالتشر الخراب انتشاراً عظيماً وشرع الناس في هدم البيوت والدور حتى صارت تلالاً<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر صاحب النجوم الزاهرة أن الفناء وقع بمصر من نصف جماد الآخر وتزايد في شعبان، ثم في شهر رمضان حتى صار يموت الآلاف بالديار المصرية من الناس<sup>(٦)</sup> وكثر موت الفقراء من شدة الجوع، فكان يخرج من القاهرة في كل يوم ستمائة جنازة<sup>(٧)</sup> وكان النيل في هذا الوقت على ١٧ ذراع و ٥ أصابع<sup>(٨)</sup> فشرفت البلاد، وهذا إن دل فإنه يدل على أن الـ ١٧ ذراع لم تكن كافية لرى حتى ربع البلاد، فحدثت معظم الأوبئة بسبب ذلك الانخفاض، وفشت الأمراض، وتزايد الوباء والطاعون في الناس في أعوام ٧٧٨ - ٧٧٩هـ / ١٣٧٦ - ١٣٧٧م<sup>(٩)</sup> وفي عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م حدث وباء عظيم بالقاهرة<sup>(١٠)</sup> مات فيه خلق كثير جداً<sup>(١١)</sup> وجاءت الأخبار من الإسكندرية بظهور الطاعون بها<sup>(١٢)</sup> ومات به كثير من الأطفال وغير ذلك ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، وكان النيل قد بلغ ١٧ ذراع و ٤ أصابع<sup>(١٣)</sup>

ومرة أخرى يجتمع عصر المماليك البحرية بطاعون وقع بالديار المصرية<sup>(١٤)</sup> عام ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، فاجتمع الوباء والغلاء واشتد الأمر، وأشيع أن السلطان الملك المنصور . على ابن

(١) ابن إياس، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٢) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٣) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٩.

(٤) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٣٣٩.

(٥) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ ١، ص ١٩.

(٦) ابن تغرى بردى، نفسه، جـ ١، ص ٦٦.

(٧) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٨) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، جـ ١، ص ١٣٥، ابن إياس بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ١٣٦.

(٩) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ٢، ص ١٦١-١٦٨.

(١٠) زكريا الأنصاري، تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، ورقة ٣٢.

(١١) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٢.

(١٢) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ٢، ص ٢٧٦.

(١٣) ابن تغرى بردى، المصدر نفسه، جـ ١، ص ٢٠٦.

(١٤) ابن قاضى شهاب: تقى الدين أبى بكر بن أحمد بن قاضى شهاب الأسدى الدمشقى، تاريخ ابن قاضى شهاب، حققه: عدنان

درويش، دمشق سنة ١٩٧٧م، جـ ٣، ص ٥٦، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٦.





الأشرف شعبان قد طعن، فأرجف بموته، واضطربت القاهرة بسبب ذلك<sup>(١)</sup> وكان النيل في هذا العام ١٩ ذراع و ١٢ إصبع<sup>(٢)</sup>

هكذا انتهى عصر المماليك البحرية الذى شهد الكثير والكثير في سنوات مختلفة العديد من الأوبئة والمجاعات التى أودت بحياة الملايين من البشر وتسبب في ذلك اضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية، والاجتماعية في ذلك العصر، وكان من السهل أن يؤدى وقوعها إلى حدوث الأزمات الاقتصادية.

هكذا نجد أن فيضان النيل كان سبباً أساسياً في حدوث الأزمات الاقتصادية والوباء والغلاء إلى جانب عوامل مختلفة بشرية ساندت العوامل الطبيعية جنباً إلى جنب مع بعضها البعض فأدت إلى حدوث تلك الأزمات التى سوف نذكرها في حينها.

### الأوبئة في الحيوانات:

من أهم العوامل الطبيعية المسببة للأزمات الاقتصادية في مصر هو طاعون الحيوانات (الماشية)<sup>(٣)</sup> الذى كان يؤدى إلى موت الحيوانات، فتتقص أعدادها نقصاً فاحشاً يضر بالحالة الاقتصادية في مصر ضرراً عظيماً<sup>(٤)</sup> إذ تتعطل عمليات الزراعة التى تعتمد على الماشية اعتماداً رئيسياً<sup>(٥)</sup> مما يؤدى إلى عجز الفلاح عن مواصلة العمل كما يجب، وذلك في عصر كانت فيه الحيوانات تساعد الفلاح في الحقل<sup>(٦)</sup> بصورة أساسية هذا وقد كان النيل أيضاً من أسباب فناء الحيوانات، فقد كان نتيجة لزيادة النيل المفرطة التى تصل إلى درجة الاستبحار مما يؤدى إلى فساد المراعى وقلة الأعلاف<sup>(٧)</sup> وعند ما تموت تلك الحيوانات كانت تتوقف أعمال الجسور وأعمال الري، مما يؤدى إلى توقف سائر مصالح البلاد<sup>(٨)</sup> لأن تلك الحيوانات كانت هى المعتمد

---

(١) ابن قاضى شعبة، المصدر السابق، ج-٣، ص ٥٦.

(٢) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج-١١، ص ٢٢١.

(٣) د. راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٧٩-٨٠.

(٤) د. راشد البراوى، المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠.

(٥) محمد بركات البيلى، الأزمات الاقتصادية، ص ٢١.

(٦) راشد البراوى، المرجع نفسه، ص ٧٩-٨٠.

(٧) محمد بركات البيلى، المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٨) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٠.



عليها في ذلك العصر لبناء الجسور وسائر أعمال ضبط النهر<sup>(١)</sup> هذا وعند حدوث وباء للحيوانات، فيؤدى ذلك إلى حدوث أزمة اقتصادية لارتفاع أسعارها وأسعار اللحوم، ففي عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، وقعت الآفة في البقر والجمال والحمير فهلك منها الكثير<sup>(٢)</sup> حتى بيعت البقرة بـ ٧٠ ديناراً<sup>(٣)</sup> وشنع موت الأبقار بأرض مصر حتى أن شخصاً كان له ثلاثمائة وأربعين رأساً ماتوا بأجمعهم في نحو شهر، وارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها<sup>(٤)</sup> بالإضافة إلى هلاك معظم الدواب عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م، وذلك لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطط من الجوع<sup>(٥)</sup>، وكان هناك من السلاطين من حرص على الإكثار من الثروة الحيوانية، ومن أشهرهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولزيادة الثروة الحيوانية قام ببناء حظيرة إلى جانب قلعة الجبل وعمل على توصيل المياه إليها وكان يجلب إليها أفضل أنواع الدواجن والمواشى، وذلك من مراعى عيذاب وقوص وبلاد اليمن<sup>(٦)</sup> بالإضافة إلى أنه كان يوجد ببلاد الصعيد كثير من الأغنام والأبقار والجاموس التي كانت تعتبر المخزون الأساس للبلاد<sup>(٧)</sup>

وفي عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، ذكر أن أبقار أرض مصر فويت تماماً، وذلك أنه وقع فيها وباء من أواخر السنة الماضية ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدوايب ووقفت أحوال السواقى، وتضرر الناس من ذلك، وقيل أنه كان لرجل ألف وأحد وعشرون رأساً من البقر، مات منها ألف وثلاثة رؤوس، وبقي له ثمانية عشر رأساً لا غير، واضطر الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير، وبلغ الثور ألف درهم<sup>(٨)</sup> ونتيجة لذلك كتب الأمراء إلى جميع أنحاء البلاد بأن لا يذبح أحداً شيئاً من البقر ولا من العجول، وكتبوا إلى "سائر البلاد لتجهيز الأبقار من سائر الدوايب السلطانية"<sup>(٩)</sup> وفي عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، كثر الموت في الخيل فهلك ومات

(١) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١١٩، على مبارك، الخطط، جـ ٧، ص ١٩، يسرى زيدان، المرجع السابق، ص ٤٨١.

(٣) على مبارك، الخطط، جـ ٧، ص ١٩.

(٤) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٧٣٣.

(٥) المقرئى، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ٨١٤.

(٦) د. محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، ص ٢٩٤.

(٧) محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٨) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٩١٣-٩١٤، العيى، عقد الجمان، جـ ٤، ص ١٣٧.

(٩) العيى، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ١٣٨.



منها ما لا يحصى ولا يُعد حتى أنه لم يوجد بمعظم اسطبلات الأمراء والجند منها شيء<sup>(١)</sup> إلى جانب وصول الوباء من الشام إلى مصر عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م، فمات من الخيول أعداد عظيمة هائلة لا تحصى<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، حدث الوباء العظيم الذي امتد إلى كل شيء في الدنيا، وانتشر الفناء في الأبقار والأغنام والوحوش حتى قيل أنه مات نصف الناس حتى الطيور والوحوش والكلاب<sup>(٣)</sup> ومات من الناس خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى<sup>(٤)</sup> هذا وفي عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م، وقع عقب ارتفاع الأسعار الموت في الأبقار بنواحي مصر وإفريقية<sup>(٥)</sup> "فهلك منها شيء كثير"<sup>(٦)</sup>.

### الآفات الزراعية:

من أهم العوامل الطبيعية التي كانت تتسبب في حدوث الأزمات الاقتصادية ما كان يصيب المحاصيل الزراعية من آفات أو رياح عاصفة تعصف بالمزروعات والمحاصيل، وتنزل بهما أكبر الضرر، مما كان يتبع ذلك من ضعف المحصول وقلة الغلال وعدمها، وما كان يترتب عليه من حدوث الأزمة<sup>(٧)</sup>.

هذا ومن أهم الأسباب التي أدت إلى فساد الزروع الدود الذي يتولد في الأرض أثناء انكشافها في أول فصل الخريف، حيث تحرث الأرض وتعفن لكثرة ما يلقي فيها من البذور وزوث الحيوانات، لذلك فإن الفيضان كان حين لا يمكن على الأرض المدة اللازمة وبهبط بسرعة، فإن الزروع تكون فريسة للدود خصوصاً عندما يكون في الجو بعض الحرارة قبل دخول

---

(١) ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ١، ص ٢٥٦، أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبي الفدا صاحب حماه، المختصر في أخبار البشر، ٤ مجلدات في جزء واحد، ط ١، القاهرة سنة ١٩٠٧م، جـ ٤، ص ٥١.

(٢) العيني، المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٣٨.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٩٥، الخبلى، شذرات الذهب، جـ ٦، ص ١٥٨.

(٤) محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى ت سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٢م، كتاب الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق: د. عزيز سوريال عطية من مخطوط برلين وبانكي بور، دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن، الهند سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، جـ ٤، ص ١٢٦.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ١٢.

(٦) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٤.

(٧) د. حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ١٣.



فصل الشتاء وإذا تتبعنا حالات فساد الزروع التي كثرت بسبب الدود، فسنجد أن أهم أسبابها هو سرعة هبوط النيل وسرعة بذر البذور قبل الأوان خصوصاً وقت الحر، وطبيعى أن يكون القمح والبرسيم الذى يزرع فور انحسار الماء عن الأرض، هما أكثر المحاصيل تعرضاً للفساد بسبب الدود، ولذلك كثيراً ما أعيد بذرة أكثر من مرة حتى عندما كان الزرع ينضج على خير ويحصد فلم تكن العاقبة دائماً حسنة، فربما تعرضت الغلال وبخاصة القمح في المخازن إلى الفساد بسبب السوس، ولا شك أن أهم أسباب الفناء والفساد في الزروع هي الفئران بما عرف عنها من شدة إتلافها للزرع وسرعة إهلاكه خصوصاً في العصور التي لم يكن يعرف فيها المبيدات الحشرية، ولا وسائل مكافحة سواء للفئران أو لغيرها من الآفات مثل السوس والدود والجراد ولذلك أحدثت الفئران في ذلك العصر الكثير من الكوارث<sup>(١)</sup> بإفساد الزروع كما سنرى في الأمثلة القادمة.

ففى عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م، اشتد وجود الجراد فيها حيث ذكر أن فيها جراد عظيم<sup>(٢)</sup> فحدث بعد انتشار الجراد الغلاء والوباء<sup>(٣)</sup> ويعتبر الجراد من أشد الآفات الزراعية خطورة على المحاصيل الزراعية<sup>(٤)</sup> إلى جانب انتشار الجراد ظهرت الفئران التي كان لها الأثر العظيم على المحاصيل الزراعية فقد ظهر بالديار المصرية فأر كبير جداً عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م، فقد ذكر النويري نقلاً عن القاضي الفاضل قائلاً "حدثني من شاهد هذا الفأر وهو يرحل من بقعة إلى أخرى فيغطى الأرض بكمالها حتى لا يظهر منها شئ البتة وأنه شاهده يمر بأماكن فلا يُلم بها ولا يخرج عليها والزرع بها محصورة، ويمر بأخرى فلا يلبث أن يُفسد جميع ما فيها ولا يرتحل عنها وبها شئ من الزرع ولا المقات بالجملة"<sup>(٥)</sup>، بالإضافة إلى الجراد والفئران ظهرت الديدان التي كانت هي الأخرى تلتهم الزروع ففي عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، أكل الدود الزرع ولم يمكن زرع غيره<sup>(٦)</sup> لأن هذه السنة حدث بها وباء ومات فيها الكثير من الخلق من الأرياف، والقرى، والبلدان فحدث لذلك أزمة لعدم وجود من يزرع مرة أخرى، وفي عام

(١) مجدى عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م، ص ٢٠٣.

ص ٢٠٤.

(٢) الدوادارى، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٥٨.

(٣) الدوادارى، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) محمد بركات الببلي، الأزمات الاقتصادية، ص ٢٣.

(٥) النويري، نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ٣٩٦ - ٣٧٠.

(٦) على مبارك، الخطط، جـ ٧، ص ١٩.





٥٩٧هـ / ١٢٠٠م أكلت الدودة الزرع كله، بالإضافة إلى فناء الكثير من الأبقار والناس، فلم يوجد من التقاوى ولا من العقر ما يمكن به رده<sup>(١)</sup> ومرة أخرى تظهر الفئران وتكثر بدرجة مخيفة فتتلف المحاصيل وتهدر جانباً كبيراً منها، وبطبيعة الحال كان إتلاف المحاصيل يؤدي إلى ارتفاع الأسعار وظهور الغلاء، بالإضافة إلى أن الفئران تنقل الطاعون وتؤدي إلى انتشاره وتفشييه فيهلك الكثير من الناس والماشية فيؤدي إلى حدوث أزمة اقتصادية نتيجة لقلة الأيدي العاملة والماشية<sup>(٢)</sup>

ففي عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م، ظهرت الفئران بالبلاد المصرية<sup>(٣)</sup> وذلك بالقرب من وقت الحصاد فأكلت كثيراً من الغلال والزرع، ولم يحصد الفلاحون من الزرع في هذه السنة إلا القليل<sup>(٤)</sup> وقد ذكر أن الفأر كان يسابق الحصادين إلى الزرع<sup>(٥)</sup> وفي عام ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ - ١٢٩٨م، ظهرت الفئران بجميع أنحاء مصر وذلك في وقت الحصاد، فالتهمت الكثير من الزروع والغلات، فكانت الفئران تهلك في الليلة الواحدة في البلد الواحد ما يقارب خمسين ألف أردب<sup>(٦)</sup> فمُني الناس منه بدهية لا ترد وحش لا يصاد ولا يصد وشئ يتجاوز الحد فكان تسابق المزارعين إلى الحصاد فلا يلحقون جمع زروع ولا يستطيعون الفرار ولا الهجوع ولم يتحصل من المغل إلا التزر اليسير<sup>(٧)</sup>، وخاف الناس من أن تصل الفئران إلى الأشجار وتتلف ثمارها، ولكن الله لطف وأهلكها قبل أن تصل إليها<sup>(٨)</sup>

وما حدث عام ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م، يوضح أن الفئران كانت تسبب بحق اضطراب للبلاد والعباد، فقد وقع في صعيد مصر أنه خرج على الغلال فأر عظيم أكل الغلات وكان خطره فادحاً بدليل ما فعله مباشرة شولة أم القصور بمنفلوط في الصعيد حيث لم يبيتوا في

(١) المقرئزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨.

(٢) محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ بن الفرات، حققه/ د: قسطنطين رزيق، د. نجلا عز الدين، الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٣٩م، مجلد ٨، ص ٢٣١.

(٤) العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٦٧.

(٥) العيني، المصادر لفسد، نفس الجزء والصفحة.

(٦) أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر في عصر الدولة المملوكية الأولى، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٧٢م، ص ١٤١.

(٧) بييرس المنصوري، زبده الفكرة، تحقيق/ زبيده عطا، جـ ٩، ص ٣٠١.

(٨) بييرس المنصوري، 'المرجع نفسه'. نفس الجزء والصفحة.



منازلهم، وقرروا المبيت في الشونة حتى يستطيعوا قتل الفأر<sup>(١)</sup>، هذا وقد هجمت الدودة على المحصولات الزراعية نتيجة لحدوث حر شديد جداً<sup>(٢)</sup> لم يكن يتوقعه بشر فتلف الزرع والمحصول، وفي عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م ظهرت الفئران في منفلوط ببلاد الصعيد فهجمت على الزروع والجرون الممتلئة بالغلال فكان يأكل ربع الجرن في ليلة واحدة<sup>(٣)</sup>.

### وقوع الزلازل واشتعال الحرائق:

من الأسباب الطبيعية التي ليس للإنسان دخل في وقوعها هي الزلازل والحرائق فهي ظواهر تحدثها الطبيعة وينتج عنها حدوث أزمات اقتصادية ويؤثر على موارد البلاد الاقتصادية أيضاً ففي العصر الأيوبي وقع الكثير من حوادث الزلازل واشتعال الحرائق، ففي عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م وقع في مصر وبالتحديد في الصعيد زلزلة هائلة، هدمت من بنيان مصر الكثير، فمات تحت الهدم خلق كثير<sup>(٤)</sup> وقد حدثت زلزلة أخرى هائلة بديار مصر عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م<sup>(٥)</sup> وقد عمت هذه الزلزلة الجزء الأكبر من مصر، ووصلت بلاد الشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص، الموصل والعراق، حتى أنه قيل أنها بلغت سبته من أقصى المغرب<sup>(٦)</sup> وفي عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م، حدثت زلزلة شديدة خربت على أثرها دوراً كثيرة بمصر والقاهرة ومات خلق تحت الهدم<sup>(٧)</sup> هذا وقد كثر حدوث الزلازل بأرض مصر<sup>(٨)</sup> عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م هذا وقد اشتد حدوث الحرائق في عصر المماليك البحرية، فقد وقع حريق عظيم ببلاد مصر أقم به النصارى وعاقبهم السلطان عقوبة عظيمة<sup>(٩)</sup> وذلك عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م، وحدث عام ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م زلزلة عظمى بمصر وكان تأثيرها بالإسكندرية أعظم من غيرها، وطلع

---

(١) العيني، عقد الجمان، جـ ١، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٣٠٠.

(٣) عثمان علي محمد عطا، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي الاقتصادي، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٧٦.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٥٩، ابن الجوزي، مرآة الزمان، جـ ١، ق ٢، ص ٤٧٧.

(٥) السيوطي، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٦) ابن واصل، مفرح الكروب، جـ ٣، ص ١٦١.

(٧) السيوطي، المصدر نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٨) المقرئزي، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٤٢٠، السيوطي، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٩) أحمد السلمي، مختصر التواريخ، مخطوط، ورقة ٦٨، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٠.



البحر إلى نصف البلد وأخذ الجمال والرجال وغرقت المراكب وسقطت بمصر دور لا تحصى وهلك تحت الردم خلق كثير<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى ذلك فقد تحدث في سنوات حرائق ولا تحدث فيها زلازل والعكس ففي عام ٦٩١هـ / ١٢٩١م، وقع حريق عظيم بقلعة الجبل أتلف شيئاً كثيراً من الخزائن والنفائس والكتب<sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى وقوع زلزلة عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م<sup>(٣)</sup> وما حدث عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، وقعت زلزلة عظيمة بمصر، اهتزت الأرض كلها في القاهرة ومصر وجميع البلاد المصرية، فسمع لجدران البيوت قعقة، وللسقوف أصوات شديدة ومات تحت الهدم خلق كثير<sup>(٤)</sup> وقد كان لهذه الزلزلة آثار ولم يبق مكان في القاهرة ومصر إلا وفيه بيوت قد سقطت وجدران قد تهدمت، وخرب جامع عمرو بن العاص، ومأذنتا جامع الحاكم، حتى جبل المقطم تشقق من هذه الزلزلة<sup>(٥)</sup> هذا وقد خربت أسوار الإسكندرية حتى قيل أنه ضرب بها ستاً وأربعين بدله<sup>(٦)</sup> وكانت هذه الزلزلة واقعة في قوة الصيف، فجاء بعدها ريح سوداء، مليئة بالسموم، حتى أغمى على الناس منه<sup>(٧)</sup> ولستطيع القول أن هناك عدة حرائق حدثت في سنوات مختلفة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وعام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م، ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م، ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م، ولكن كان أشدها خطورة حريق عام ٧٢١هـ / ١٣٢١م، حيث كان بالقاهرة حريق كبير خارج عن الوصف، ودام أيام وأحرق العديد من الأماكن الشهيرة مثل جامع ابن طولون وما حوله بأسرة، ولكن عرف من هم سبب هذا الحريق، فقد كانوا جماعة من النصارى يعملون قوارير النفط، فقتلوا وأحرقوا ولكن المسلمين هدموا غالب كنائس النصارى بمصر ونهب الباقي، وبقيت القاهرة أياماً لم يظهر فيها أحد من النصارى وبقي لا يظهر نصراني إلا ضربة العوام وربما قتلوه<sup>(٨)</sup>، وقد ذكر صاحب تذكرة النبيه "وفيها كان الحريق بالديار المصرية، ذهب فيه أموال جزيلة، وأملاك كثيرة، وظهر أن ذلك من كيد النصارى"<sup>(٩)</sup>، بالإضافة إلى حريق آخر كان أشد خطورة وقع عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م، حيث وقع حريق عند باب

(١) السيوطي، المصدر السابق، ج-٢، ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه، نفس الجزء الصفحة.

(٣) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج-١، ص ٢٥٣، السيوطي، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ١، ص ٤١٦.

(٥) المصدر نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ابن حبيب، المصدر نفسه السابق، الجزء نفسه نفسها، ابن إياس، المصدر نفسه السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٧) ابن إياس، المصدر نفسه، ج-١، ق ١، ص ٤١٧.

(٨) السيوطي، المصدر نفسه، ج-٢، ص ١٦٣.

(٩) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج-١، ص ١٢١.



زويلة..... ولولا سور القاهرة لاحترق نصف المدينة في تلك الليلة، فعندما تزايد الأمر ركب جميع الأمراء واجتمعوا هناك من أجل إطفاء النار، وصاروا يهجمون على السقايين في بيوتهم حتى يأتوا بماء في القرب وصارت النار لا تزدد إلا اشتعالاً ووهجاً، فأقلمت النار تعمل في البيوت والربوع والدكاكين تلك الليلة وبات الناس على وجل من ذلك، واستمرت النار في اشتعال لمدة ثلاثة أيام متوالية.....<sup>(١)</sup>

بالإضافة إلى حدوث زلازل ولكنها خفيفة وطفيفة<sup>(٢)</sup> أعوام ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م، ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م، ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، وكانت أشدها زلزلة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م "عمت الزلزلة العظيمة المزعجة البلاد، وغمت العباد، وحركت الساكن، وخربت الأماكن..... وأمرت الجدران بالركود والسجود وتواترت بعدها الزلازل مدة.....<sup>(٣)</sup>

### هبوب الرياح وسقوط الأمطار ومجيء البرد:

لا شك أن من أهم الأسباب الطبيعية التي تؤدي إلى حدوث أزمات اقتصادية، هي الظروف الجوية السيئة التي تتعرض لها المزروعات والمحصولات فتؤدي إلى تلفها، وعدم الاستفادة منها، هذا وقد كانت المزروعات تتعرض لظروف جوية سيئة مرتين في السنة، إما أن تمر على خير أو أن تكون شديدة فتضر الزرع، وربما قصت عليه، المرة الأولى في الشتاء وما فيه من الصقيع والبرد الذي يتساقط على الزروع فيتلفها، والمرة الثانية في الربيع وما يهب فيه من رياح الخماسين المتربة من الغرب والجنوب فتجفف الزرع وتحرقه حتى وإن كان في الأجران<sup>(٤)</sup>

وما حدث في العصر الأيوبي عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م، ونقله لنا السيوطي أنه ورد كتاب من القاضي الفاضل عن "حدوث ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة، ورياح عاصفة، فقوى أهويتها واشتد هبوبها... وفر الناس نساء ورجالاً وأطفالاً ونفروا من دورهم خفافاً وثقالاً، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فاعتصموا بالمساجد الجامعة... ووردت الأخبار بأنها كسرت المراكب في البحار، والأشجار في القفار، واتلفت خلقاً كثيراً من الصغار..... ومنهم من فر فلم ينفعه

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١، ص ١٦٦، ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ٢، ص ٢٢١.

(٢) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٥٦٣، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٤.

(٣) ابن حبيب، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٨.

(٤) مجدى عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.





الفرار ، فالأمر أعظم ولكن الله سلم" (١) هذا يدل على أن الرياح العاصفة وهبوبها كان يفتك بالإنسان فما بالك بالمرروعات فقد تلفها وأهلكها ولم يجد الناس ما يقتاتوا عليه، وفي عام ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م، هبت ريح شديدة بديار مصر هذه الريح أغرقت مائتي مركب في النيل، وهلك فيها خلق كثير، ووقع مطر شديد جداً، إلى جانب كل هذا حدث للثمار صعقة أهلكتها (٢) وكان حدوث ذلك في عصر المماليك البحرية، وفي عام ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م سقطت أمطار ولكنها كانت على هيئة قطع من الثلج كبير الحجم والتشر في جميع بلاد مصر، وكان لسقوطه أكبر الأثر في حياة الناس فقد عاق الناس عن المشي في الأزقة والشوارع والطرق، إلى جانب أنه أتلّف الكثير من الغلات (٣) وأهلك (٤) ما لا يحصى من الزرع الأخضر (٥) ووقع معظمه في الوجه البحري (٦) ووقعت الصاعقة بالإسكندرية (٧) وفي عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م سقطت قطع من الثلج على إقليم الغربية، ففسدت المحصولات والزرع الذي كان قد اقترب وقت حصاده (٨) فضرِب كثيراً من الزرع القائم (٩)، وكانت أشدّ حدوث الأزمات الاقتصادية عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م، حيث هبت ريح سوداء مظلمة من نحو بلاد برقة هبوباً عاصفاً، وحملت تراباً أصفر كسا زروع تلك البلاد فهافت كلها ولم يكن بها إذ ذاك إلا زرع قليل، ففسد جميعه، وعمت تلك الريح والتراب إقليم البحيرة والغربية وإقليم الشرقية، ومرت إلى الصعيد الأعلى فهافت الزرع وفسد الأرز، السمس، القلقاس، قصب السكر، وسائر ما يزرع على السواقي فتزايدت الأسعار، وأعقبت تلك الريح أمراض وحميات عمّت سائر الناس (١٠) وفي عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، هبت في برمهات الموافق لشهر شوال من جهة الغرب

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٥٧.

(٢) العيني، عقد الجمان، جـ ٢، ص ٥١، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٠.

(٣) العيني، المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٢٥٧.

(٤) عثمان على حسن، المرجع نفسه، ص ٦٩.

(٥) ابن حبيب، تذكرة النبّه، جـ ١، ص ٦٠، العيني، المصدر نفسه، حوادث سنة ٦٩٥هـ، ص ٢٥٧.

(٦) الدواداري، كثر الدرر، جـ ٨، ص ٢٣٩.

(٧) ابن حبيب، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٠.

(٨) العيني، المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣٦١.

(٩) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(١٠) المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣٣، على مبارك، الخطط، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢٠، ص ١٣٧، العيني، عقد الجمان، جـ ٣،

ص ٢٩٩-٣٠٠، د. على إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، ط ٢، مكتبة

النهضة المصرية سنة ١٩٤٩م، ص ٤٩٨.



رياح عند إدراك الغلال، فهافت وجف أكثرها، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير<sup>(١)</sup>  
فارتفعت الأسعار.

وتعاقب هبوب الرياح في سنوات ٧١٧هـ / ١٣١٧م، ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م، ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م أفسدت الزروع وتلفتها ولم يجد الناس ما يقتاتون عليه وحدث خراب للبلاد، وكان أشدها خطورة ما حدث من هبوبها عام ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م، ٧٧٠هـ / ١٣٧٧م، ف وقعت رياح عاصفة كان لها تأثير شديد على كل شيء<sup>(٢)</sup>، أما عن سقوط الأمطار وحدوث البرق الذي أفزع الناس، فقد حدث وقوع أمطار في أعوام ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م، ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م، ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م، ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م، ٧٨٣هـ / ١٣٨١م<sup>(٣)</sup>.

كل هذه العوامل الطبيعية السابقة أثرت بشكل أو بآخر، ودون تدخل أى شخص في حدوث الأزمات الاقتصادية، فعندما ينقص ماء النيل أو يزداد تحدث مجاعة يتبعها وباء، فيحدث اضطراب في أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى حدوث الأوبئة والأمراض، وهبوب الرياح وسقوط الأمطار، وفساد الزروع من هجوم الآفات الزراعية عليها من جراد وفئران، وديدان وغير ذلك من العوامل التي تضافرت كلها لتسبب الأزمات، والاضطراب في كل شيء في أمور الدولة.

### الأسباب البشرية لحدوث الأزمات الاقتصادية:

تضافرت عدة عوامل أثرت بشكل أو بآخر في حدوث الأزمات الاقتصادية ألا وهي  
العوامل البشرية فقد تعددت تلك العوامل وتنوعت وكان أولها:

---

(١) المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٣٩.

(٢) مزيد من التفاصيل انظر: الدواداري، كثر الدرر، جـ ٩، ص ٢٩١، المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٥٠، ص ٣٠٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٦١، ص ٥٦٢، جـ ١، ق ٢، ص ٨٦، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٤.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٥٦، ص ٤٥٧، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٣، المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٥١٤، ابن قاضى شهبة، جـ ٣، ص ٦٣.



## الفتن والاضطرابات الداخلية: أولاً في العصر الأيوبي:

لا شك أن الفتن والاضطرابات والمنازعات بين القادة والأمراء والسلاطين لها الدور الأكبر والهام في حدوث الأزمات الاقتصادية في أي عصر من العصور، فقد تؤدي كثرة الثورات، والمؤامرات إلى حدوث وباء أو مجاعة وبالتالي إلى ارتفاع الأسعار (الغلاء)، لكن هذا يختلف في بداية الدولة الأيوبية عن نهايتها، فقد بدأت الفتن الداخلية في بداية حكم صلاح الدين الأيوبي متمثلة في ثورة مؤمن الخلافة جوهر ومؤامرة الجند السودان<sup>(١)</sup> ولكن صلاح الدين الأيوبي استطاع أن يقبض بيد من حديد على تلك المؤامرات والدسائس فقضى عليها ولم يكن في حدوثها أي تأثير على حدوث أزمة اقتصادية في العصر الأيوبي، أو بالمعنى الدقيق في عصر صلاح الدين الأيوبي، ذلك أن صلاح الدين أقام الدولة الأيوبية على أسس وقواعد وتنظيمات إدارية وعسكرية حكيمة مكنتها من القضاء على أعدائها في الداخل والخارج<sup>(٢)</sup> بقيادة سياسية حكيمة، ويمكن القول أن السبب في قلة حدوث الأزمات الاقتصادية في عهد صلاح الدين الأيوبي أن الأيوبيين لم يكن عندهم مبدأ الحكم للأقوى كما حدث في عصر المماليك كما سنرى، وأحسب أن يكون هذا المبدأ قد سار عليه الأيوبيين في نهاية عهدهم بل بعد موت صلاح الدين الأيوبي الذي أرسى قواعد تلك الدولة، فنجد بعد وفاته، وبداية حكم خلفائه سواء أبناءه أو أخواته،

---

(١) مرفت عثمان حسن، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي في مصر الشام، ماجستير كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٤٢٣هـ، سنة ٢٠٠٢م، ص ٢٦.

(٢) استطاع صلاح الدين القضاء على الصليبيين وهزيمتهم في حطين وانتزاع بيت المقدس من أيديهم: مزيد من التفاصيل أنظر: ابن واصل، ج ٢، ص ١٢٧ ص ١٣٠، أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد، راجعه: د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، سنة ١٩٦٢م، ج ٢، ص ٢٧، العماد الكاتب الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح المقدسي، تحقيق وشرح محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥، ص ١١٧، سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط ٣، سنة ١٩٧٨، ج ٢، ص ٧٤٣، حسنين ربيع، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية (لدوة تاريخ البحر الأحمر) جامعة عين شمس سنة ١٩٧٩، ص ١٠٩ ص ١١٠، د. عبد العزيز محمود عبد الدايم، بيت المقدس في العصر الأيوبي، القاهرة سنة ١٩٨٩م، ص ١١٢ ص ١١٣ ص ١١٤، قدرى قلججي، صلاح الدين الأيوبي، ط ٢، بيروت / لبنان سنة ١٩٩٤م ص ٣١٥ ص ٣١٦، د. مصطفى حسن محمد الكنانى، ريتشارد قلب الأسد ومشروع غزو مصر، مجلة كلية الآداب العدد التاسع، المجلد الثاني، سنة ١٩٩٩م، ص ٣٦٠ - ٣٦٦.

- Lane - poole (S), Saladin and the fall of Kingdom of Jerusalem, Beirut 1946; P225-226.  
- Heinrich Von Sybel, History and literature of the Crusades, translated the German and edited by Lady Duff Gordon, with an index, London, New York, 1861, P71-72.  
- Steven Runciman, A History of the Crusades, VII, Cambridge, 1951, P436. , Zoe Oldenbourg, the Crusades, Translated from the French by Anne Cater, New York, (without date), P525.



الضعف والانهيار والانهيار، وتسود الفتن والاضطرابات، وتحدث مشاحنات عديدة مما يلقي عبئاً كبيراً على موارد الدولة الاقتصادية، فنشب العراك بين أبنائه وأخيه العادل حول تقسيم ممتلكاته<sup>(١)</sup> هذا وقد وقعت اضطرابات وفتن كثيرة في عصر الدولة الأيوبية، ولكننا لسنا بصدد الحديث عنها إلا فيما يخص ما كان يحدث وبسبب أزمات اقتصادية للدولة كانت وفاة صلاح الدين نهاية مرحلة تاريخية وبداية مرحلة تاريخية، ونستطيع القول أن تلك اللحظة تكررت في مختلف العصور وعند كل الشعوب التي كانت مصائرهما ترتبط بشخصيات قادتها وزعمائها<sup>(٢)</sup>

بدأت الصراعات الداخلية في البيت الأيوبي التي سرعان ما انغمسوا فيها، ففي الوقت الذي توفي فيه صلاح الدين، ولم تمض سنة واحدة على وفاته سرعان ما دب الشقاق<sup>(٣)</sup> بين أبنائه وسائر أفراد أسرته، ففي نهاية عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م حدثت الوحشة<sup>(٤)</sup> بين الأخوين العزيز والأفضل<sup>(٥)</sup> أبناء صلاح الدين، فالعزيز عماد الدين تولى حكم مصر، والأفضل نور الدين تولى حكم بلاد الشام<sup>(٦)</sup>، وحدثت فتنة بين الأخوين بلغت ذروتها عام ٥٩٠هـ / ١١٩٤م، ولكن العادل أخو صلاح الدين تدخل، وفض النزاع بينهم، وقد حدث نزاع بين العادل نفسه وصاحب الموصل عز الدين مسعود بين مودود بن زنكي الذي طمع في أخذ إقطاعات (أملاك) العادل بالجزيرة وديار بكر، ووقف إلى جانب العادل أخاه عماد الدين زنكي الثاني صاحب سنجار ونصيبين، ولكن العادل تمكن من تأمين ممتلكاته في تلك الأنحاء<sup>(٧)</sup> ولكن دب النزاع مرة أخرى بين الأفضل صاحب دمشق والعزيز صاحب مصر، لكن الأفضل استنجد بعمه العادل<sup>(٨)</sup> وفي الوقت الذي بدأ العادل يستعد لتحقيق ما تصبو إليه نفسه، كانت المنافسة قائمة بين الأمراء الصلاحية (أمراء صلاح الدين) والأمراء الأسدية<sup>(٩)</sup> (أمراء أسد الدين شيركوه ورثهم صلاح

(١) أنتوني نتج، العرب التصاراقم وأجداد الإسلام، ترجمة د. راشد البراوي مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٤م ص ٢٦٦.

(٢) د. قاسم عبد ه قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٧٧.

(٣) د. السيد الباز العريبي، المماليك (الفروسية في مصر عصر سلاطين المماليك، درا النهضة العربية، بيروت، ص ٣٥.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٤-١٥.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٥٠، ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١، ق ٢، ص ٤٤١.

(٦) محمود الخويري، العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، دار حراء، القاهرة سنة ١٩٨٠م، ص ٤٨-٤٩.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٨-٢٩.

(٨) ابن واصل، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٩) كانت الأمراء الصلاحية والأمراء الأسدية ينافس كل فريق منهم الآخر، وكانت الأمراء الصلاحية متقدمة عند العزيز، فحشد لها الأمراء الأسدية، وأخذ الملك العادل بدقيق حيلة يعمل في تأكيد الإيقاع بين الفريقين، فكاتب الملك العزيز سرّاً يخوفه من الأسدية ويغريه بإبعادهم وكاتب الأسدية بالتفجير من الملك العزيز وتخويفهم منه واستمالتهم إليه، فاستوحش =





الدين في جيشه)، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسدية في هذا الوقت لعب العادل لعبته<sup>(١)</sup> وأدرك أنه يستطيع التخلص من النزاع القائم بين الملك الأفضل والعزيز، في الوقت الذي حدثت فيه أزمة اقتصادية نتيجة نقص ماء النيل فارتفعت الأسعار<sup>(٢)</sup> وحدثت المجاعة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م التي عمت القرى والأرياف، ثم تبعها الوباء والفناء وعدم القوات واشتد الأمر على الخبز لقلته في الأسواق<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى انشغال ممالك الأيوبيين بتراعاتهم واختلافهم مع بعضهم البعض، واستطاع العادل تحقيق ما تصبو إليه نفسه وذلك عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، الذي جاء ليغير مجرى الأحداث كلها، فقد مات الملك العزيز أثناء خروجه في رحلة صيد<sup>(٤)</sup> عندما سقط عن فرسه ولم يلبث أن مات<sup>(٥)</sup>، وتولى حكم مصر ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد<sup>(٦)</sup> وكان عمره تسع سنوات وأشهر<sup>(٧)</sup>، وكتبوا إلى عمه الأفضل في صرخة حتى يتولى هو الوصاية على الطفل، ولكن العادل عندما بلغه ذلك جاء رده أن يجب ألا يتدخل الأفضل في شئون مصر، ومرة أخرى دب النزاع والاضطراب الذي انتهى لصالح الملك العادل سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م، فأعلن أمام جماعة من الأمراء انفراده بحكم البلاد، وخلع السلطان الطفل المنصور محمد عن الحكم<sup>(٨)</sup> فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وأشهر<sup>(٩)</sup>، هكذا تولى العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب عرش السلطنة، وجعل ابنه الكامل ناصر الدين محمد نائباً عنه في حكم مصر وولى عهده<sup>(١٠)</sup>

---

=الملك العزيز من الأسدية واستوحشوا منه، وعزموا على مفارقتة... والاضمام إلى الملك العادل والملك الأفضل. راجع: بن واصل، مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٤٦ ص ٤٧، المقریزی، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٢٤، التويری، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١٩.

- (١) ابن واصل، المصدر نفسه، جـ ٣، ص ٤٧.
- (٢) المقریزی، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١١٩.
- (٣) على مبارك الخطط، جـ ٧، ص ١٨، جـ ٢٠، ص ١٣٦.
- (٤) سيد على الحریری، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، تحقيق د. عصام محمد شبارو، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢١٦.
- (٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٩، ص ٢٣٤.
- (٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٢.
- (٧) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٨٧.
- (٨) المقریزی، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٢.
- (٩) مؤلف مجهول، كتاب الزهر السنية في الخلفاء والملوك المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٢٨، ميكروفيلم ٤٦٢٦٨، ورقة ٦٠.
- (١٠) المقریزی، الخطط، جـ ٢، ص ٢٣٥، الباز العرينی، الممالك، ص ٣٧.



فكان له أن يتفرغ لشئون الدولة وينظر في أحوالها وأحوال الرعية لكنه لم يكن في استطاعته ذلك فقد حدث في عهده أسوأ أزمة اقتصادية شهدتها الدولة الأيوبية ومن الدلائل على حدوث أزمة ٥٩٦-٥٩٧هـ / ١١٩٩-١٢٠٠م، توقف ماء النيل عن الزيادة، فاضطربت أحوال الديار المصرية، وحصل الضرر الشامل للبلاد، وأكلت الناس بعضها بعضاً وعمدت الأقوات فصارت الناس تأكل بعضها بعضاً، "حتى لم يبق بمصر دابة تلوح"<sup>(١)</sup>، مما أدى إلى تدهور أحوال البلاد إلى جانب سوء سياسة حكامها، وعندما سلم الله وانتهت تلك الأزمة قيل في هذا المعنى

إذا ما رماك الدهر يوماً بنكبة      فهي لها صبراً، وأوسع لها صدرأ  
فإن تصاريف الزمان كثيرة      فيوماً ترى عسراً، ويوماً ترى يسراً<sup>(٢)</sup>

مرة أخرى حدثت أزمة اقتصادية جديدة وذلك عام ٦١٥-٦١٨هـ / ١٢١٨-١٢٢١م عندما جاءت الحملة الصليبية الخامسة إلى مصر واتجهت إلى دمياط، واستولت على برج السلسلة<sup>(٣)</sup> فمات العادل من الحزن والحسرة، وتولى الكامل حكم مصر مكانة<sup>(٤)</sup> وعندما نزل الصليبيون بالدلتا انتشرت حالة الفوضى في البلاد<sup>(٥)</sup> إذ نزحت قبائل البدو من سيناء والشرقية لتستفيد من حالة الفوضى، فقطعوا الطرق وأغاروا على القرى، ونهبوا وأفسدوا حتى كانوا أشد على المسلمين من الفرنج<sup>(٦)</sup> بالإضافة إلى وجود الخطر الأكبر الداخلي الذي هدد كيان المعسكر الأيوبي أثناء تصديده للصليبيين، ألا وهو تعرض الملك الكامل لمؤامرة من بعض كبار أمراءه وعلى رأسهم عماد الدين أحمد بن علي المعروف بابن المشطوب، الذي كان هدفه عزل الكامل، وإحلال أخيه الفائز بدلاً منه، مما أدى إلى إضعاف عزيمة الكامل في أول الأمر، وانقسام جيشه ثم هروبه من معسكره في العادلية قاصداً أشموم طناح<sup>(٧)</sup> وقد بعث الكامل إلى

(١) ابن إياس، المصدر السابق، ج-١، ق-١، ص ٢٥٤، عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٧١.

(٢) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج-١، ق-٢، ص ٥٩٣.

(٣) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ٥٩٣.

(٤) Lanc- Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, P213, Runciman (S) : History of the Crusades, Vol III, P 169.

(٥) مرفت عثمان حسن علي، المرجع السابق، ص ٥٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج-٩، حوادث سنة ٦١٤هـ، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج-٢، ص ٩٢٩.

(٧) المقرئ، السلوك، ج-١، ص ١٩٦.



أخيه المعظم عيسى يستنجد به فحضر إلى أخيه "فقوى به قلبه واشتد ظهره وثبت جناحه....." (١)، واستطاع الأخوان أن يتخلصا من أعدائهما، ويتفرغا لمحاربة الصليبيين.

في خضم تلك الأحداث المتلاطمة تغيرت سياسة الكامل وفتح باب المفاوضات بينهم وبين الصليبيين حتى أنه عرض عليهم أسخى عرض، وهو رد بيت المقدس لهم ولكنهم رفضوا ذلك (٢) ونظراً لسوء أحوال وانخفاض فيضان النيل، مما هدد البلاد بالجاعة والتشار الوباء (٣)، ففي عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م عندما تملك الفرنج دمياط (٤) احتاطوا بها براً وبحراً، وأحدقوا بها وأخذوا في محاصرتها والتضييق عليها، وامتنع دخول الأقوات إليها بالكلية، كان كل ذلك بسبب حركة بن المشطوب ولبته السيئة، وحفر الفرنج على معسكرهم المحيط بدمياط خندقاً، "وبنوا عليه سوراً..... وأهل دمياط يقاتلونهم أشد قتالاً ويمنعونهم....." وقلت عندهم الأقوات (٥)، ولم يزل الفرنج يضايقون دمياط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م، ويقاتلون أهلها... حتى نفذ ما عندهم من أقوات واشتد الغلاء بها جداً، واشتد بأهلها الجوع حتى مات أكثرهم، وعجزوا عن الحركة والدفاع... "وكثر الوباء في أهل دمياط وضعفوا عن حفظها" (٦)

ولكن شاءت الأقدار نتيجة فيضان النيل وعدم معرفة الصليبيين بأرض مصر والتهاز المسلمين فرصة ذلك فشلت الحملة الصليبية الخامسة، وأضاع الصليبيون من أيديهم فرصة الحصول على بيت المقدس، فتم جلاء الصليبيين عن دمياط دون مقابل (٧)

هكذا شهدت مصر متاعب اقتصادية شديدة وذلك بسبب الجاعة والوباء الذين أودا بحياة الناس سواء في عهد الملك العادل أو الملك الكامل ولى عهده، ولا شك أن الحملة الصليبية الخامسة كان لها أكبر الأثر في حدوث أزمة اقتصادية، وذلك لارتفاع أسعار المواد الغذائية أو

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ٩، حوادث سنة ٦١٤ هـ.

(٢) د. عبد العزيز عبد الدايم، بيت المقدس، ص ١٤٤.

(٣) د. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ١٩٣، د. عبد العزيز عبد الدايم، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٤) د. على إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ط ٢، مكتبة النهضة المصرية سنة

١٩٤٩ م، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٤، ص ١٨-١٩، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٢٠١.

(٦) ابن واصل، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٣٢-٣٣، المقرئى، السلوك، حوادث سنة ٦١٥ هـ، سنة ٦١٦ هـ.

(٧) التويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٩٤، د. سيد على الحيرى، الحروب الصليبية، ص ٢٣٥.



عدم وجودها من الأصل، ذلك لأن الحملة الصليبية الخامسة استمرت أحداثها ووقائعها على مدى أربع سنوات، استنفذت موارد الدولة المالية والمؤن والطعام والذخيرة والبشر<sup>(١)</sup>

استمرت خلافات البيت الأيوبي والعداء بين الأخوة الأيوبيين عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م، ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م، لكن كانت أشدها خطورة على البلاد ما حدث من اضطرابات وفتن عام ٦٣٢-٦٣٣هـ / ١٢٣٧م وشهدت الدولة الأيوبية تفكك والمحال عن ذي قبل بسبب النزاع على السلطة من جهة، ووجود الخوارزمية الذين كانوا يهددون أملاك الدولة الأيوبية في منطقة الجزيرة وديار بكر وأعلى العراق من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>، فالشغال السلاطين والملوك في الصراعات والفن والاضطرابات الداخلية، جعلهم في حالة بعد تام عن أحوال البلاد الداخلية فحدث الوباء العظيم والطاعون الذين كانا لهما أكبر الأثر على حياة البلاد في كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمات خلق كثير<sup>(٣)</sup> تجاوز الحد<sup>(٤)</sup> استمر ثلاثة أشهر<sup>(٥)</sup> يفتك بالناس ويقضى على كل شئ أمامه، استمرت تلك النزاعات والخلافات قائمة ومستمرة إلى أن تولى الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر، وعندما تولى الحكم كانت الخزانة السلطانية خاوية، وكان بيت المال فارغاً<sup>(٦)</sup> وما تزال الأحوال الداخلية في مصر والمنطقة العربية غارقة في خضم الأحداث المتلاطمة من فوضى ونزاع واضطراب وفتن، إلى أن جاءت الحملة الصليبية السابعة، والتي انتهت بالقضاء على الجيش الصليبي وأسر لويس التاسع نفسه في المنصورة بدار بن لقمان، وما حدث من أحداث سياسية وعسكرية، كانت بمثابة الصرخة التي أعلنت وفاة الدولة الأيوبية، كل هذا أدى إلى تدهور أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية فساءت أحوال كل شئ في البلاد بسبب حدوث تلك الأزمات، ولا شك أن النزاع والتخاصم والتناحر كان سمة أساسية من سمات هذه الفترة، حيث حارب الأيوبيين بعضهم البعض، ولم يتفرغوا لحل المشاكل التي وضعوا فيها أنفسهم، سواء مشاكل البلاد الداخلية أو الرعية، وكان همهم الأكبر هو الصراع على الحكم والعرش، حتى أنهم سعوا إلى مهادنة الصليبيين كي يتفرغوا لقتال اخوتهم وبني

(١) د. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٨.

(٢) أسامة زكي زيد، الخوارزميون ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٣٠، سنة ١٩٨٢م، عبد العزيز عبد الدايم، بيت المقدس، ص ١٦٥.

(٣) المقريري، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٥٠.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٩٣.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢١١، المقريري، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٥٠.

(٦) المقريري، المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٢٩٧.





عمومتهم، وكانت النتيجة فراغاً سياسياً وعسكرياً استفاد منها الفرنج الصليبيين في تجديد قواهم والاستعداد لعدوان جديد في كل مرة يحدث فيها هدنة، وبدلاً من أن يستعد المسلمين لتجهيز الجيوش لمواجهة القوى الخارجية، إلا أنه يحدث العكس في محاربة بعضهم البعض وعلى الجانب الآخر أرسى الملك العادل مبدأ سياسياً خطيراً كانت له آثار بعيدة المدى في التاريخ السياسي فيما بعد، وهو مبدأ الحكم لمن غلب، فقد خسر الأيوبيون ملكهم أمام المماليك الذين كانوا عبداً لهم بمقتضى هذا المبدأ، كما أن هذا المبدأ هو الذى حكم الأداء السياسى لدولة سلاطين المماليك طوال ما يقرب من قرنين وسبعين سنة<sup>(١)</sup>، لقد كان المبرر الشرعى والأخلاقي لقيام الدولة الأيوبية التى أسسها الناصر صلاح الدين الأيوبي على أنقاض الدولة الفاطمية وبقايا الدولة الزنكية يتمثل في دور مؤسسها في الجهاد ضد الهجوم الصليبي<sup>(٢)</sup> ولكن الفراغ السياسى الناجم عن وفاة صلاح الدين وعدم وجود شخصية قيادية فى مستواه، أدى إلى نشوب نوع من المنازعات العرقية بين الحكام الأيوبيين الصغار (بالمعنى السياسى)، وكان الطابع العام لخلفاء صلاح الدين هو التنازع والتخاصم والقتال ضد بعضهم البعض من ناحية أخرى<sup>(٣)</sup>

### الفتن والاضطرابات الداخلية فى العصر المملوكى البحرى:

اختلفت الفتن والمنازعات فى العصر المملوكى البحرى عنها فى العصر الأيوبي كما سنرى بعد قليل ويعتبر قيام دولة المماليك فى مصر ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م حدثاً ليس له مثيل فى العالم فقد ساد العبيد والأرقاء<sup>(٤)</sup> مواليهم<sup>(٥)</sup> وأصبح طائفة من الأرقاء المشتريين بالأموال من أسواق

(١) د. قاسم عبده قاسم، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٨٩.

(٢) قاسم عبده، المرجع نفسه، ص ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) د. عبد الكريم عبده حاتم، صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام، مجلة الدارة، العدد الثانى، السنة ١٢، سنة ١٩٨٦م، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ١٥٩.

(٤) الرق نظام اجتماعى قديم جداً عميق الجذور فى طبيعة الإنسان، ليس من السهل على الباحث تحديد بدايته، فالاسترقاق ظهر منذ كان الاجتماع الإنسانى، ذلك لأن الإنسان، كان ينظر للعمل على أنه من أصعب الضرورات وأشقاها فأخذ يبحث عن يخلص من عناله، ووجد هدفه فى أخيه الإنسان فكان القوى يلزم الضعيف بالاشتغال ومن هنا نشأ الرق، ونتيجة للأطماع قامت الحروب، وصار الناس لا يقتلون العدد بل يبقون عليه ليعمل لهم، ومن ثم صارت الحروب من أهم مصادر الرق. مزيد من التفاصيل أنظر: د. عبد العزيز محمود. عبد الدايم، الرق فى مصر فى العصور الوسطى، مكتبة النهضة الشرق سنة ١٩٨٣م، ص ٧ ص ٨.

(٥) كان أول من أكثر من شراء المماليك هو الصالح نجم الدين أيوب حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشوا على الناس ويهبوا البضائع وأذى الناس، فشرع فى بناء قلعة بالروضة وأسكنهم فيها وسماهم المماليك البحرية، وكان عددهم ألف مملوك، ابن يباس، بدائع الزهور، ج-١، ق ١، ص ص ٢٦٩-٢٧٠، ومع اعتماد الأيوبيين على المماليك وشدة خلافاتهم =



النخاسة بعد أن كثر عددهم، وأواهم أرقاء مثلهم يحكمون قطراً غنياً كمصر، ووضعوا أيديهم على بلاد أخرى خارج هذا القطر، وأصبح مملوك اليوم منهم حاكم الغد بفضل قوة شخصيته ووفرة أنصاره وكثرة جنده وقدرته على التغلب على المنافسين<sup>(١)</sup>

هذا وقد كان السبب الأساسي في حدوث الفتن والاضطرابات في العصر المملوكي سببها الأساسي مبدأ وراثته العرش الذي كان غير معترف به طوال حكم الدولة المملوكية، هذا لأن المماليك اعتقدوا أن الملك يجب أن يكون للأقوى<sup>(٢)</sup> والأكثر شجاعة في الحروب، وكان استقرار السلطان على العرش يتوقف على كثرة أتباعه، وضخامة ثروته، ومبلغ إرضاء الأمراء عنه، واتخذوا من صغر سن بعض السلاطين فرصة سالحة لتحقيق مطامعهم في الوصول إلى العرش غير مكتسبين لمبدأ الوراثة<sup>(٣)</sup> فالمماليك جميعاً سواء، وكبار الأمراء سواسية، نشأوا نشأة واحدة لا فضل لأحدهم على آخر<sup>(٤)</sup>، فقد كان كل أمير يرى الكفاءة في نفسه ليكون يوماً سلطاناً، ولا يحول بينه وبين السلطنة هذا السلطان الجالس، فلا بد من خلعه أو إبعاده أو قتله أو حبسه حتى يخلو المكان له فيجلس فيه بذاته، أو يسوق إليه إنساناً ضعيفاً ليس له من الأمر شيء فيجعل من نفسه وصياً عليه مدبراً لشئونه، كانت المؤامرة والدس والخديعة والرشوة والقوة أسساً لا بد منها للوصول إلى السلطنة<sup>(٥)</sup>

فلا غرو إذا اختلت أمور الدولة، واضطرب الأمن، وكثرت الفتن، وسيطر الجهل وعم الفقر، وساد الظلم، وكثر الإيقاع بالناس وحرقتهم وأموالهم، ولا غرو إذا أهملت الشؤون العامة

---

=العالية والالتقاسمات أدت إلى انتقال السلطة إلى المماليك عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، د. عبد العزيز الدوري، مقدمه في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط ١، يناير سنة ١٩٦٩م، ص ١٠٤، فقد كانت الحملة الصليبية السابعة والتي وقعت على عائق المماليك والتي أثبتوا فيها جدارتهم ومهارتهم وألقوا بالبلاد من خطر الصليبيين فقد كانت بمثابة الصرخة التي أعلنت وفاة الدولة الأيوبية، وصرخة الميلاد التي أعلنت ميلاد دولة عسكرية جديدة قادرة هي دولة سلاطين المماليك أنظر/ د. قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٢٥-١٢٦.

(١) د. عبد العزيز عبد الدايم، الرق، ص ٨ - ٩.

(٢) د. قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في العصور الوسطى (دراسة وثائقية)، ط ٢، سنة ١٩٧٩م، ص ٦٣، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة سنة ١٩٥٩م، ص ٢٨.

(٣) د. على إبراهيم حسن، آراء في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة سنة ١٩٤٤م، ص ٨.

(٤) د. على السيد على، الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك، مجلة فكر وفن للدراسات والأبحاث، العدد (١٠)، دار الفكر للنشر والتوزيع، سنة ١٩٨٦، ص ١٢٦.

(٥) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٢ المقدمة.



وازدادت الضائقة الاقتصادية<sup>(١)</sup>، فقد ظل الحكم لمن غلب يطل بوجهة البغيض على الساحة السياسية<sup>(٢)</sup> وإحساس كل أمير بأن له الحق في السلطنة، كان يحرك فيه عوامل الخروج على السلطان القائم<sup>(٣)</sup>، هذا وقد تعرض الشعب المصري على عصر سلاطين المماليك للعديد من الأزمات الاقتصادية<sup>(٤)</sup> فقد كانت أيامهم سوداء، تكررت فيها الأوبئة والمجاعات، وراحت الفوضى الأبدية تدمر مصر شيئاً فشيئاً.....<sup>(٥)</sup> فقد اختلفت فتن ومنازعات عصر سلاطين المماليك البحرية، حيث اتخذت شكل حروب الشوارع بين طوائف المماليك وخلقت جو من الفوضى الاقتصادية، فقد كان الإرجاف بإشاعة موت أحد السلاطين، أو ركوب الأمراء بالسلاح للاقتتال كان يسبب فرعاً شديداً للناس، فترتبك أحوالهم، وتغلق الأسواق والدكاكين، وتخلو الطرقات من المارة ويلزم الناس بيوتهم، وتبدوا المدينة آنذاك كما لو أن أهلها هجروها فجأة<sup>(٦)</sup>، وهذا ما حدث فعلاً في سنوات ٦٩٣هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م، ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، ٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م، ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م، ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م، ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م، ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م، ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، هذا الأعوام خلت الطرقات تماماً للاقتتال المنتظر بين طوائف المماليك، وبطبيعة الحال كان الخبز يفتقر، وتقل الأقوات..... ويقاسي الناس شدة عزيمة<sup>(٧)</sup>.

وقع اختيار الأمراء بعد قتل الملك الأشرف خليل على الأمير بدر الدين بيدرا<sup>(٨)</sup> ولم يكد

(١) المقرئى، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) د. قاسم عبد قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٤٤.

(٣) د. علي السيد علي، الجاسوسية، ص ١٢٦.

(٤) سالم مرزوق بسيوني الرفاعي، خلفاء السيد أحمد البدوي ودورهم السياسي والحضاري في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، سنة ١٤١٣هـ / سنة ١٩٩٢م، ص ١٢٦.

(٥) جاك ريسنر، الحضارة العربية، تعريب د. خليل أحمد خليل، ط ١، منشورات عويدات بيروت، سنة ١٩٩٣م، ص ٤٠.

(٦) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٢.

(٧) الدواداري، كثر الدرر، ج ٨، ص ٣٧٢.

(٨) بيدرا بن عبد الله المنصوري، الأمير بدر الدين، نائب السلطنة بالديار المصرية في الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون، كان أصلاً من ممالك الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وأعز أمراله، ثم صار إلى نيابة السلطنة بالديار المصرية في دولة ولده الملك الأشرف خليل، وهو الذي خرج على الأشرف خليل بن قلاوون وقتله هو والأمير حسام الدين لاجين، راجع: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م، ج ٣، ص ٤٩٣-٤٩٤.



الأمير زين الدين كتبغا<sup>(١)</sup> يعلم بذلك، حتى سار بمن معه من ممالك السلطان الأشرف خليل، وأحاطوا ببدره وقتلوه، وعندما فرغ كتبغا من قتل ببدره عاد إلى القاهرة لينادي بنفسه سلطاناً، ولكن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى الذى كان الأشرف خليل قد أنابه في قلعة الجبل، منع كتبغا من دخول القاهرة، حتى انتهى الاتفاق على اختيار الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطاناً، وقد كان طفلاً صغيراً لم يتجاوز عمره ٩ سنوات عندما تولى الحكم أول مرة سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، فقد اختاره الأمراء، وفقاً لما تحدثنا عنه سابقاً وهو سياستهم التقليدية حسماً للموقف بينهم، إلى أن تظهر شخصية قوية بين صفوفهم تستطيع الإطاحة بذلك الطفل، وتركزت السلطة الفعلية في يد كتبغا نائب السلطنة، وعلم الدين سنجر الشجاعى الوزير، ولكن كتبغا قضى عليه، وعفا عن بعض الأمراء الذين اشتركوا في قتل الأشرف خليل، فثار المماليك السلطانية<sup>(٢)</sup> ممالك السلطان الأشرف خليل لما فعله كتبغا فأثاروا الفتن والاضطراب<sup>(٣)</sup> مما أتاح الفرصة لزين الدين كتبغا لجلوسه على السلطنة<sup>(٤)</sup>، ونتيجة لتلك الفتن والاضطرابات والثورات التي قام بها الأمراء المماليك بين بعضهم البعض حدثت كارثة اقتصادية، إذ اعتبر الناس أن جلوس كتبغا على العرش كان يوم شؤم<sup>(٥)</sup> بسبب توقف ماء النيل عن الزيادة فتوقفت الأحوال وغلت الأسعار، وكثر الوباء في الناس<sup>(٦)</sup> واعتبروا أيام كتبغا أيام سوداء بسبب ما قاساه الناس من شدائد في هذه السنة<sup>(٧)</sup> حتى قيل أن ما يحدث ما عهد ذلك الجيل مثله<sup>(٨)</sup> ونستطيع القول بأنه

(١) كان كتبغا أصلاً من سبايا التتار، أخذه الملك المنصور قلاوون في وقعة حصص الأولى سنة ٦٥٩هـ، فصار من جملة المماليك السلطانية، ثم بقى خاصكى، ثم أمير عشرة، ثم أمير طبلخاناه، ثم مقدم ألف، فلما قتل الأشرف خليل وتولى أخوه الناصر محمد جعله نائب السلطنة عوضاً عن ببدره ثم بقى سلطان مصر، راجع: ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٨٦.  
فكانت مدة سلطته سنة واحدة إلا ثلاثة أيام، راجع: النويري، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٨٢، ابن الفرات، جـ ٨، ص ٣٧٤-١٩٢، ابن إياس، المصدر السابق جـ ١، ق ١، ص ٣٧٤.

(٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار النشر، جـ ٤، ص ٣١.

(٣) أبو الفداء، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) النويري، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٨١، ابن الفرات، جـ ٨، ص ١٩٢، ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٣٧٤، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٤٤.

(٥) آل الصفا صلاح الدين خليل، أعيان العصر وأعوان النصر، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٠٩١ - رقم الميكروفيلم ٤٠٧٠٢، جـ ٨، ص ٦١.

(٦) ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ١، ص ٨٤، بييرس الدوادار، زبدة الفكرة، تحقيق د. زبيدة عطا، جـ ٩، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٧) المقرئ، الخطط، ص ٢، ص ٢٣٩.

(٨) الدوادار، كثر الدرر، جـ ٨، ص ٣٦٣.





يكاد ينحصر تاريخ البلاد في الأعوام الخمسة التي أعقبت موت السلطان خليل في حوادث مؤامرات<sup>(١)</sup> فقد عزل كتبغا عن السلطنة بعد أن دبر أمراؤه مؤامرة لقتله، لكنه نجا منها وفر هارباً إلى دمشق، وقد أعلن المنصور حسام الدين لاجين<sup>(٢)</sup> نائب السلطنة والمدير لقتل كتبغا نفسه سلطاناً، ولكن عهده أيضاً لم يخلو من الفتن والاضطرابات، بالإضافة إلى ما انتاب البلاد من مظاهر الضعف والانحلال<sup>(٣)</sup> إلى جانب ظلم أتباع السلطان ومماليكهم وتكاثر جورهم<sup>(٤)</sup>

وعندما تولى الناصر محمد منصب السلطنة للمرة الثانية ٦٩٨-٧٠٨ هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨ م، تولى الأمير سيف الدين سلار نيابة السلطنة، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير<sup>(٥)</sup> استاداراً، وقد كانت سلطنته اسمية، ذلك لأن كلاً من بيبرس وسلار ضيقاً الحناق عليه، فتظاهر أنه سوف يسافر للحج، ولكنه اتجه إلى الكرك ليقيم فيها، وخلع نفسه من الحكم، فأعلن بيبرس نفسه سلطاناً واعتلى العرش، وجعل سلار نائباً له، وفي تلك الأحوال اشتد الصراع والصدام بين طوائف المماليك البرجية الذين أخذ نفوذهم يزداد شيئاً فشيئاً ثارت فتنة<sup>(٦)</sup> في الوقت الذي حدثت فيه كارثة اقتصادية بتوقف ماء النيل عن الزيادة ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م، وارتفاع سعر الغلال<sup>(٧)</sup> بالإضافة إلى انتشار الوباء<sup>(٨)</sup> وفشت الأمراض الحادة في الناس... وعز وجود سائر ما يحتاج إليه المرضى<sup>(٩)</sup>، ويمكن القول أن الناصر محمد عند رجوعه للسلطة للمرة الثالثة استبد ٧٠٩-٧٤١ هـ / ١٣٠٩-١٣٤٠ م بأمور الحكم والمملكة وقد استقر حكم الناصر محمد مدة بلغت إحدى وثلاثين سنة، لكن بعد وفاته دب الضعف والوهن<sup>(١٠)</sup> والاضطراب في دولة المماليك البحرية ٧٤١-٧٨٤ هـ / ١٣٤٠-١٣٨٢ م

(١) السير ولیم مویر، تاریخ دولة المماليك في مصر، ص ٦٥.

(٢) هو أحد مماليك المنصور قلاوون، جلس على تخت السلطنة، واستتاب مملوكة منكوتر فنفرت القلوب عنه حتى قتل سنة

٦٩٨ هـ، فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوماً ودبر الأمراء بعده أمور الدولة، راجع: المقریزی، الخطط، ج ٢،

ص ٢٣٩.

(٣) د. علی إبراهیم حسن، آراء في تاریخ دولة المماليك البحرية، ص ٤.

(٤) المقریزی، إغالة الأمة، ص ٣٦-٣٧.

(٥) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٥٥.

(٦) ابن حبيب، تذكرة النبی، ج ١، ص ٢٨١. مما سوف يؤدي إلى تمکنهم من النزاع الحكم عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م راجع:

علی إبراهیم حسن، آراء في تاریخ المماليك، ص ٦-٧.

(٧) حامد زیان، الأزمات الاقتصادية، ص ٣٩.

(٨) السيد سالم، سحر السيد سالم، دراسة في تاریخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٤١.

(٩) المقریزی، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٥٥، ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٧٩.

(١٠) د. علی إبراهیم حسن، آراء في تاریخ دولة المماليك البحرية، ص ١٨.



فقد تولى الحكم من بعده أبناءه وأحفاده، ففي العشرين سنة الأولى التي أعقبت وفاة الناصر محمد (٧٤١ - ٧٦٢هـ / ١٣٤١ - ١٣٦١م) تولى منصب السلطنة ثمانية من أولاده<sup>(١)</sup>، وفي العشرين سنة التالية (٧٦٢ - ٧٨٤هـ / ١٣٦١ - ١٣٨٢م) تولى المنصب أربعة من أحفاده، إلا أن بعض هؤلاء الأبناء والأحفاد تولى منصب السلطنة وعمره عام واحد، مثل الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد، كما أن بعضهم لم يبق في الحكم إلا شهرين وبضعة أيام، مثل الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد، ولعل هذه الصورة الموجزة كافية لأن تعطينا فكرة عامة عن مدى ما عالتة الدولة بعد وفاة الناصر محمد من اضطراب وعدم استقرار وفوضى، تلك الأحداث تركت أثرها الواضح في جميع نواحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية<sup>(٢)</sup> والسطور التالية توضح مدى استغلال الأمراء لصغر سن السلاطين، وكان ينتج عن ذلك منازعات فيما بينهم وبين بعض من ناحية ومن تحكم واستبداد بشئون الدولة من ناحية أخرى، ولعل الظاهرة الواضحة عند دراستنا لتلك الفترة وهي عصر أبناء الناصر محمد وأحفاده، هي أن كل سلطان من بني قلاوون يجلس على العرش، كان يقف خلفه أمير أو أكثر من كبار أمراء المماليك، بحيث طغت شخصيته (الأمير) على السلطان، وأصبحت أسماء الأمراء دون السلاطين هي مدار الأحداث<sup>(٣)</sup> التي سوف نقدمها بمشيئة الله في الصفحات القادمة وسوف يقتصر الحديث عن الفن والاضطرابات التي كانت تسبب الأزمات الاقتصادية، ففي عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م، تولى الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٤)</sup> هذا وقد كان سيئ السيرة، وصار يخرج الإقطاعات بمال معلوم ويصادر أرباب الوظائف، ويأخذ أموالهم قهراً وقبض على جماعة عن الأمراء وحبس أخوية حاجي وحسين ولدا الناصر، وأراد أن يبنى عليهما موضعاً يكون قبراً لهما وهم بالقبض على بعض الأمراء فقاموا عليه وخلعوه وقتل<sup>(٥)</sup> وفي أثناء حكمة نقص ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض<sup>(٦)</sup> ونتيجة لانشغال السلطان عن أحوال البلاد، ازدادت الأحوال سوءاً واضطراباً في جميع النواحي، وفي عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م، تولى حاجي بن الناصر السلطة، وكان أشد قسوة من أخيه فساعات

(١) على إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٦-٧.

(٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ص ٢٨٦.

(٣) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١١٦، على مبارك، الخطط، ج ١، ص ٣٦.

(٥) على مبارك، الخطط، ج ١، ص ٣٦.

(٦) حامد زيان غانم، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٩.



حالته في اللهو أكثر من أخيه وقتلوه وكانت مدته سنة وثمانية شهور<sup>(١)</sup> وثارت فتنة وظلت مصر يومين بلا سلطان<sup>(٢)</sup>، ثم تولى الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وولى الأمير سيف الدين يلغا روس القاسمي الناصري نيابة السلطنة بالديار المصرية<sup>(٣)</sup> وولى الأمير سيف الدين منجك الناصري الوزارة<sup>(٤)</sup>

في خضم هذه الأحداث المتلاطمة من الفتن والاضطرابات حدث الوباء العظيم ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، الذي جاب الأمصار والبلاد، ولم يسمع بمثله في سائر الأعصار<sup>(٥)</sup>، فلم يجد الناس من يزرع ولا من يحصد، وزادت من الفتن والمظالم أنه في عام ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م أن تقرب إلى السلطان أراذل الناس الذين أخذوا يتقربوا للسلطان الناصر حسن، ومنهم من كان يحدث من المظالم ما لا يحدثه أحد فشق على الأمراء ذلك فقبضوا على السلطان حسن<sup>(٦)</sup> وخلعوه<sup>(٧)</sup>، وفي عهد الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون<sup>(٨)</sup> فوض أمر المملكة كلها إلى الأمير طاز<sup>(٩)</sup> وصار صاحب الكلمة الأولى في دولته، واجتمعت فيه الكلمة، فدبت عقارب الفتنة بينهم<sup>(١٠)</sup> وكانت تلك الفتن بين طاز والأمير منكلي بغا الفخري، والأمير مغلطاي اقتتل وراح ضحيتها الكثير والكثير من البشر الغلمان والعوام وانتهى الأمر بهزيمة الأمير

---

(١) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ص ٧٤٤، د. قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك ص ٢٥٧-٢٥٨، أظهر المظفر حاجي من الخلاعة والفساد في الخلق ما جعل عهده أسوأ من عهد سلفه وقد بذل السلطان القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لجواريه في الوقت الذي كان الناس يموتون ويهلكون من الجوع من أرجاء القحط الذي كانت بداياته في جميع أرجاء البلاد. أنظر: السير ولیم مویر، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥١٦ ص ٥١٧ ص ٥١٨.

(٣) وهو كان سبب الفتنة التي قامت في عهد المظفر حاجي وهو سبب قتله، ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٧، ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ٣، ص ١٠٣، المقرئزي الخطط، جـ ٢، ص ٣٢.

(٤) ابن حبيب، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، المقرئزي، المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣٢٠.

(٥) ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ٣، ص ١١٠ - ١١١.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٧.

(٧) يوسف الملواني، تحفة الأحباب، مخطوط، ص ٤٤.

(٨) قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٩) الأمير سيف الدين طاز أمير مجلس اشتهر ذكره في أيام الملك الصالح إسماعيل ولم يزل أميراً إلى أن خلع الملك الكامل شعبان وأقيم المظفر حاجي، وهو أحد الأمراء الستة أرباب الحل والعقد فلما خلع الملك المظفر، قام في نوبة السلطان حسن لما خلع وجلس الملك الصالح صالح على كرسي الملك، ولم يزل على حاله حتى عام ٧٥٥هـ ثم نفى إلى نيابة حلب وأقام بها، أنظر: المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

(١٠) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٨.



منكلى بغا والأمير مغلطاي الذين كانا سبباً في إثارة تلك الفتنة فقبض عليهما<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى فتنة أخرى قامت عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م بين الأمير صرغتمش رأس نوبة النوب، وبين صاحب علم الدين بن زنبور الدميرى القاضى ولكن تم القبض عليهما<sup>(٢)</sup>، ثم تم خلع الملك صلاح الدين صالح لكثرة هوه ولعبه وفساده وسجنه فى القلعة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م<sup>(٣)</sup> وكانت مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ثم أن الأمراء بعد خلعه<sup>(٤)</sup> اتفقوا على سلطنة الناصر حسن بن قلاوون للمرة الثانية<sup>(٥)</sup>. وفى هذه الفترة وبالتحديد عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م، حدث وباء بالديار المصرية<sup>(٦)</sup> وهذا الوباء هلك به خلق كثير<sup>(٧)</sup> الأمر الذى جعل السلطان يترك البلاد والرعية يثنون من كثرة الجوع والوباء ويعيش هو فى الهنا والرغد<sup>(٨)</sup>.

وكان الناصر حسن فى ولايته الثانية كان قد قرر فى الأتابكية الأمير صرغتمش فأصبح صاحب الحل والعقد فى البلاد وتصرف فى أحوال المملكة بكل قوة وجبروت<sup>(٩)</sup> وزاد فى طغيانه<sup>(١٠)</sup> فى عز وجود الأزمة الاقتصادية والوباء الذى عم البلاد المصرية هذا وقد قتل السلطان حسن<sup>(١١)</sup> على يد مملوكه يلغا العمرى الخاصكى<sup>(١٢)</sup> وكان قد اشتراه وأنعم عليه بتقدمة ألف<sup>(١٣)</sup>، وفى عام ٧٦٤هـ/١٣٦٢م تولى الحكم الملك الأشرف شعبان بن الملك الأمجد حسين بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والذى حدث فى عهده الغلاء العظيم وأعقبه فناء كبير<sup>(١٤)</sup>

---

(١) ابن إياس المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٩.

(٣) على مبارك، الخطط، جـ ١، ص ٣٧.

(٤) ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٥٥٢.

(٥) يوسف الملوانى، تحفة الأحباب، مخطوط، ص ٤٤.

(٦) زكريا الأنصارى، تحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين، مخطوط، ورقة ٣، د. حامد زيان، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٤٨.

(٧) السلامى، مختصر التواريخ، ورقة ٦٨.

(٨) ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٥٧٣.

(٩) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٥٦٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٧٠ - ٥٧١.

(١١) كانت مدة سلطنة الناصر حسن بالديار المصرية والبلاد الشامية عشر سنين ونصف وأيام، فالسلطنة الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر وأيام، ثم أقام فى السلطنة الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأيام، راجع: ابن إياس، المصدر السابق جـ ١، ق ١، ص ٥٧٧.

(١٢) قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(١٣) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٥٧٧.

(١٤) يوسف الملوانى، تحفة الأحباب، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٤٤.





مات فيه خلق كثير<sup>(١)</sup>، وما حدث من فتنة كبرى عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م حينما حاول الأمير يلبغا الخاصكى خلع السلطان الأشرف شعبان من السلطة وباع أنوك بالسلطنة ولقبه بالملك المنصور<sup>(٢)</sup> وانقسم العسكر فريقان فرقة منهم مع الأشرف شعبان وفرقة مع الأتابكى يلبغا، وصار كل سلطان على حافة من حافى النيل فيما بين جزيرة الروضة والقاهرة<sup>(٣)</sup>، واستمرت الحرب ثائرة بينهما حتى دخل الليل على الفريقين وتوجه الناس للفرجة عليهم، واضطربت أحوال الناس ورددوا قول: سلطان الجزيرة ما يساوى شعيرة يعنى أنوك الذى سلطنة الأمير يلبغا بالجزيرة وانتصر السلطان شعبان وقتل الأمير يلبغا<sup>(٤)</sup>، وفى نفس السنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م حدث أيضاً أكبر الفتن بعد وفاة الأمير يلبغا الخاصكى وذلك عندما "امتدت أيدى العامة وأسافل الناس الأجناد إلى بيوت الأعيان فنهبوا... ونهبوا من الدور ما لا يحصى، وقتل من الناس جماعة كثيرة فغلقت الأسواق... وتعطلت من البيع والشراء... إلى أن نودى بالأمان والاطمئنان، فالكف العوام عن إفسادهم قليلاً"<sup>(٥)</sup> كل هذا فى الوقت الذى هجم فيه الطاعون على مصر عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، ومات ما لا يحصى من أطفال ومماليك وعبيد وجواري<sup>(٦)</sup>.

ومع استمرار ذلك الوباء ٧٦٩ - ٧٧٠هـ/١٣٦٨م حدثت فتنة شديدة بين الأمراء والعوام جميعاً وحدثت بسبب أمور خطيرة، "فقتل فى هذه الحركة من الناس ما لا يحصى عددهم... وسجنوا آخرين منهم فى الحبوس (السجون)، وامتدت أيدى الأتراك إلى العامة، وصارت جثث العوام مرمية فى الطرقات، وعندما علم السلطان ذلك شق عليه وأنكر على الأمراء وتوعدهم بكل سوء... ونادى السلطان فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وفتح الأسواق وسكن الاضطراب قليلاً"<sup>(٧)</sup>، وفى الوقت الذى كانت تن فيه البلاد والعباد ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، من تفشى الأوبئة بين الناس حدثت الفتنة بين السلطان وبين الأتابك الجاى اليوسفى، "وأقتل الجاى اليوسفى مع المماليك السلطانية قتالاً شديداً، فقتل من الفريقين عدة

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج-١١، ص ١٧.

(٢) ابن إياس، المصدر نفسه، ج-١، ق ٢، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) قاسم عبده قاسم، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ٥٩.

(٤) ابن إياس، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) المصدر نفسه، ج-١، ق ٢، ص ٥٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٥ - ٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٣.



ممالك كثيرة ... وانهزم الجاهل اليوسفي<sup>(١)</sup>، هذا وقد استمرت سلسلة الفتن والصراعات والاضطرابات، واستمر أيضاً تواصل التشاير الأوبئة والطواعين في الناس ٧٧٨ - ٧٧٩هـ/١٣٧٦م، حيث حدثت الفتنة الكبرى التي قام بها الأمراء، ومعهم جماعة من الممالك، لأنهم يريدون أن يسلطوا الأمير علي بن السلطان شعبان<sup>(٢)</sup> بعد أن خرج السلطان شعبان للحج، وفعلاً تم خلع السلطان شعبان من السلطنة، وتم تولية ابنه الأمير علي، وفعلاً تم قتل السلطان شعبان، وكانت مدة سلطنة بالديار المصرية والبلاد الشامية أربع عشرة سنة وشهرين وواحد وعشرين يوماً<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى ما فعله الأمير أقتمر الحنبلي نائب السلطنة في دولة نور الدين علي ابن الأشرف شعبان، عندما فرق الإقطاعات على الجند بالإضافة إلى وظائف من قتل من العسكر في حركة الفتنة التي تمت في عصر السلطان شعبان، "وألعم عليهم ببيوتهم ... حتى رسم لهم بتزويج نسائهم وبناتهم، وارتفع شأن الأسافل والأراذل منهم ما فيه عبرة لمن اعتبر، وصار الممالك الأجلاب في هذه الأيام عبرة لمن اعتبر، وصارت الممالك الأجلاب يتحكمون في المملكة كيفما يروق لهم، وتغيرت وتبدلت أحوال الديار المصرية في كل شيء ... حتى حرّم السلطان لم يحترموا ولم تُراعى حرمتهم عندما جاءوا من الحج قاسوا الكثير من الذل بسبب نهب أموالهم وخزائنها"<sup>(٤)</sup>، وحدثت الفتن والاضطرابات ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤هـ/١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢م. تخللتها فتن بشعة وشنيعة تخللتها فترة أوبئة وطواعين وأمراض فشت بالناس وتغلغلت فيهم، ففي عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م حدث الفتك بالممالك الأتراك البحرية وبدأ سطوع نجم الممالك البرجية (الجراكسة)، فقد حدثت الحرب بين الأمير إينال اليوسفي وبين الأتابكي برقوق في وقعة مهولة بين الفريقين لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الوقعات، وقتل فيها جماعة كثيرة من الممالك السلطانية، وهزم الأمير إينال اليوسفي .... "وقبضوا على أمرائه فسجنوا ... وخذت نار تلك الفتنة"<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م حدثت فتنة وانشقاق بين الأميرين برقة وبرقوق فقد طمع كل منهم في الملك كلاً على الفراده، فحدثت بينهم فتنة وحرب حتى أن برقوق نادى للعامة بنهب بيت برقة

(١) ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ٢، ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) هو الثالث والعشرين من ملوك الترك وأولادهم، بويغ بالسلطنة وله من العمر سبع سنين وأشهر، وحضر الأمير أقتمر الحنبلي نائب السلطنة، فالتمز الأمير أقتمر نائب السلطنة بتدبير المملكة، ولقبوه بالملك المنصور، وهو كان في لياقة السلطنة على عادته

كما كان في أيام الأشرف شعبان، انظر: ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(٣) يوسف الملواني، تحفة الأحباب، مخطوط، ورقة ٤٤، ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٧٥ - ١٨١.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٥) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٢٢٧.



فأحرقوا. باب منزلة ونهبوا كل ما فيه<sup>(١)</sup> فكادت القاهرة تخرب في ذلك اليوم، "فتوقفت الأحوال، وأغلقت أبواب القاهرة والأسواق لمدة ثلاثة أيام متوالية لم تفتح وكذلك أبواب القلعة ... إلى أن نادى برقوق بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء"<sup>(٢)</sup>، هذا وقد حدث اضطراب عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م بسبب أن جماعة من ممالك برقوق هم وممالك الأسياد اتفقوا على قتل برقوق، وعندما علم برقوق بذلك قبض على جماعة من ممالكه وممالك الأسياد وتم القبض على بعض الأمراء<sup>(٣)</sup>، وحين وقت زوال الدولة المملوكية البحرية عندما أتاحت لبرقوق الفرصة، وخلع الملك الصالح حاجي بن الملك الأشرف شعبان وكان ذلك عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وكان غالب أيامه وباء وأمراض وجماعة وأسعار غالية بالدينار المصرية<sup>(٤)</sup>، والناس تنن من فوضى الحوادث والاضطرابات.

وقد أقامت المملكة في قلاوون وأولاده وذريته مائة سنة وثلاث سنين<sup>(٥)</sup>، يتصرفون في أحوال المملكة بما يختارون من الأمور، وقد مات غالب ذرية قلاوون بالسيف فكان الملك الصالح آخر من تسلطن من ذرية قلاوون بمصر، لم يكن كل ما سبق دليل قاطع على أنه سبب حدوث الأزمات وما صاحبها من أوبئة وجماعات.

### فتن العربان وفسادهم:

كان العربان يعيشون في مناطق مختلفة من الوجهين البحرى والقبلى، ولعل اسم العربان جاء عنواناً للإخلال بالأمن<sup>(٦)</sup> والاعتداء على الآمنين وكانت معظم حركاتهم تظهر عند قيام سلطان جديد أو أثناء حكم سلطان قاصر أو ضعيف<sup>(٧)</sup>، فقد ظهر الأعراب (العربان) منذ الحكم الأيوبي لمصر يعيشون فساداً في طول البلاد وعرضها، وما قاموا به من ثورات مزمنة لأسباب سياسية واقتصادية، فكانوا مصدر خطر حقيقى يهدد أمن الدولة والرعية في آن واحد، وإن لم

(١) ابن قاضى شهاب، تاريخ بن قاضى شهاب، جـ ٣، ص ٢٤، ابن إياس، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٢) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٣) ابن قاضى شهاب، المصدر نفسه، جـ ٣، ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٤ - ٨٥، قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٥٨.

(٥) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٤٠، عبد الله الشرفاوى، تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلطين، تحقيق رحاب

عبد الحميد القارى، مكتبة مدهولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٠٤.

(٦) د. سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٦٢.

(٧) محمود محمد الحويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٦١.



تكن ثورات العربان أو حوادثهم الشنيعة إلا عملاً من أعمال النهب وقطع الطريق والخروج على الطاعة<sup>(١)</sup>، ومما يذكر أن الفتن الكثيرة التي كانت تحدث بسبب فساد العربان بنواحي مصر وخروج العساكر إليهم مرة بعد مرة كانت تؤدي إلى فساد الزروع، إنعدام الأمن في الطرقات فلا يقع الجلب، وبالتالي تحدث الأزمة الاقتصادية<sup>(٢)</sup>، هذا إذا ما وضعنا أن أنباء الفتن والاضطرابات وجرائم السلب والنهب والسطو والاعتصاب... وترويع الأهالي في إطار ثورات الجند أو فساد العربان تزامنة في حويلات المؤرخين مع أنباء الأوبئة والمجاعات، وعجز السلاطين عن وضع حلول إيجابية لمعالجة آثار تلك الأزمات الاقتصادية التي كانت تتعرض لها مصر بين الحين والآخر<sup>(٣)</sup>، وفي العصر الأيوبي سجلت لنا كتب المؤرخين حادثة واحدة فقط، ففي عام ٥٧٧هـ/١١٨١م خرج الأمر بالحوطة على مستغلات العربان بالشرقية، وأمروا بالتعدي إلى البحيرة، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وثعلبة، لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة للمماليك الأتراك فالأمر يختلف، فقد واجه سلاطين المماليك متاعب عدم الاعتراف بهم كحكام شرعيين منذ البداية، والدليل على ذلك حينما تولى المعز أيبك التركماني الحكم كأول سلطان من سلاطين المماليك، ثار عليه العربان سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م لأن عبس المماليك بالنظام والقانون لم يلبث أن أدى إلى إثارة الكراهية لحكمهم، واتخذت هذه الكراهية شكل ثورة جامعة قام بها الأعراب الذين رفضوا أن يخضعوا لحكم المماليك الذين مسهم الرق، ونادوا بأن الأعراب أحق بالملك من المماليك<sup>(٥)</sup>، وأهم أصحاب البلاد<sup>(٦)</sup>، وأصبح عصر المماليك كابوساً على العرب، وكان من الطبيعي أن تقوم في هذه العصور أحلاف عربية معادية للسيادة التركية في مصر<sup>(٧)</sup>، والعربان كانوا يمثلون مصدر قلق في مصر، وكانت ثورتهم الدائمة أحد أسباب هز كيان الحكم المصري<sup>(٨)</sup> وكان المتضرر من هذا كله الفلاح المصري لأنهم كانوا أول خروجهم على الزروع ونهبها، ففي الوقت الذي تعرض فيه الفلاح لهذه الأزمات الاقتصادية التي جاءت نتيجة لفعل الطبيعة، ما بين وباء ونقص في مياه النيل، وآفات تلتهم المحاصيل... إذا به لا يسلم

(١) د. محمد رجب النجار، حكايات الشطار والعيارين، ط ١، سنة ١٩٨١م، ط ٢، سنة ٢٠٠٢م، ص ٢٢.

(٢) علاء طه رزق، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، سنة ١٩٨٩م، ص ٧٢.

(٣) د. علاء طه رزق، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، ط ١، سنة ٢٠٠٢م، ص ٢٥.

(٤) المقرئى، السلوك، ج ١، ص ١٨٥، منشورات بوضون.

(٥) د. سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٢٥-٢٦.

(٦) د. إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك، ص ٢٢٦.

(٧) المقرئى، البيان والإعراب عما بارض مصر من الأعراب، تحقيق: د. عبد المجيد عابدين، ط ١، سنة ١٩٦١م، ص ١١٥.

(٨) Ayalon; Gunpowder and Fire arms in the Mamluk Kingdom, London, 1956, P.106.





من خطر العربان الذين دأبوا على إفساد البلاد والاعتداء على الفلاحين ونهب مواشيهم ومحاصيلهم زادت الأحوال الاقتصادية في البلاد سوءاً فوق سوء<sup>(١)</sup>.

ففي عام ٧٥٢هـ/١٣٥٧م، عندما شهدت البلاد أسوأ أزمة اقتصادية تبعتها مجاعة ووباء بالإضافة إلى فتن واضطرابات الأمراء المماليك وضعف شخصية السلاطين ثار عربان الصعيد ونهبوا الغلال ومعاصر السكر فكثرت حروبهم، وخاف الناس من المشى في الطرقات، ولم يستطع الفلاحون الذهاب إلى زراعة أراضيهم<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٥٤هـ/١٣٥٩م ثار عرب الصعيد ونهبوا الغلال من الجرون، وخرج إليهم السلطان الصالح بنفسه ومعه جميع الأمراء<sup>(٣)</sup>، وحدثت حرب قوية بين الفريقين قتل فيها من العربان نحو عشرة آلاف إنسان، وصار الأمير شيخو يقطع رأس كل من رآه من الفلاحين لشكه في أنه من العربان<sup>(٤)</sup>، وكانت أشد حركات العربان خطورة عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، الذين خرجوا على الطاعة ونهبوا الجرون<sup>(٥)</sup>، ولكن خرجت تجريده لمحاربتهم فتم القضاء عليهم، وفي عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، قدم الخبر من البحيرة "بأن طائفة من العربان هجموا على دمنهور ... ونهبت أسواقها وأخربت بيوتها ... وعندما علم برقوق بذلك اضطربت أحوال الديار المصرية ... فجرد برقوق تجريدة كثيرة من الجيش تخرج إلى العربان، وعين بها من الأمراء المقدمين ثمانية، هذا وقتلوا من العربان ما لا يحصى، وهرب جماعة كثيرة من العربان إلى الأودية والجبال وأسر منهم الباقون فكانت الكسرة للعربان والنصر للمماليك ... وخمدت الفتنة"<sup>(٦)</sup>.

---

(١) د. سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك في ضوء كتابات المؤرخ بن إياس، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت العربية، سنة ١٩٧٧، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) المقرئى، السلوك، ج-٢، ق٣، ص ٨٥٠.

(٣) على مبارك، الخطط، ج-١، ص ٣٧.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق١، ص ٥٥٠، ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر الخضرى الإشلي الأصل ثم القاهري (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منتصف قام تسعة وسبعين وسبعمالة، ج-٥، ص ٤٥٠.

(٥) ابن إياس، المصدر السابق، ج-١، ق٢، ص ٢٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ج-١، ق٢، ص ٢٦٨ - ٢٧٩.



ولا شك أن الفتن والقلال الداخلية التي حدثت في السلطنة قد أثرت تأثيراً واضحاً في اقتصاد الدولة، إذ أصيبت أوجه النشاط الاقتصادي في البلاد بخسائر كبيرة ومتكررة، وترتب على ذلك إنهاك الموارد المالية<sup>(١)</sup>.

### الفساد الإداري: من أسباب الأزمات الاقتصادية:

ما من شك أن أى دولة جديدة في بداية قيامها تضع إطار محكم لنظام إدارى متكامل لإدارة الدولة وهذا ما فعله كلاً من الأيوبيين والمماليك، ولكن هذا الجهاز الإدارى الكامل لا بد من وجود عيوب به، فالإدارة القوية السليمة هي التي تضرب بيد من حديد على كل من يحاول المساس بالنظام القائم بها، ولكن دون جدوى، فقد كانت الإدارة قوية عندما كان السلاطين أقوياء فلا تحدث نزاعات أو خلافات بينهم، وهذا ما بدا واضحاً في العصر الأيوبي وبالتحديد في عهد صلاح الدين الأيوبي مؤسس هذه الدولة، أما في عهد خلفائه فسوف نجد الفساد في بعض أجهزة الدولة، ولكن الأمر يختلف تمام الاختلاف في العصر المملوكى، فقد تحكم الأمراء في نظام الحكم والإدارة، وكثرت المنازعات والخلافات حول السلطنة، وبالتالي أدى ذلك إلى حدوث فساد في جهاز الحكم والإدارة، فلم يوجد المسيطر القوى الذى يضرب بأيدي من حديد على الفساد أو النزاع أو الفتن، والفساد الذى نقصده هنا هو ظاهرة تفشى الرشوة (البراطيل)<sup>(٢)</sup>، والقارئ لتاريخ العصر الأيوبي يجد أن ظاهرة الرشوة كانت متفشية في بعض نواحي الجهاز الإدارى في العصر الأيوبي الذى لم يخل من خيانات بعض الموظفين، فذكر أنه في عصر صلاح الدين أن جماعة من الموظفين سرقوا كيسين من الذهب وجعلوا في موضعهما كيسين من النحاس،

---

(١) لبية إبراهيم مصطفى محمد، الفتن والقلال الداخلية في دولة سلاطين المماليك وآثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٢٩.

(٢) هي سحت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه، ولهى عن أخذه، وعن الرغبة في تداوله، وهو كأخذ الربا الذي قرنت اللعنة بمؤكله وأكله، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ١٤٦، تفشت ظاهرة الرشوة منذ القدم سعيًا للحصول على مناصب الدولة، ويرى صاحب كتاب الولاة والقضاة أن إبراهيم بن الجراح الذي تقلد قضاء مصر سنة ٢٠٥هـ/٩١٩م، قد تعرض لسخط المصريين عليه بسبب ابنه الذي أفسد أموره وأخذ الرشاً من الناس مما جعلهم يلقبون بمصلاه خارج المسجد الجامع فاضطر إلى الجلوس للحكم في منزله ولم يستطع العودة إلى الجامع، مزيد من التفاصيل أنظر: د. أحمد عبد الرازق، الهدل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ١٥، البراطيل: هي الأموال التي تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاةها وعمالها، المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١١١، المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٧.



ولم يعاقبهما صلاح الدين بل صرفهم عن وظائفهم<sup>(١)</sup>، وفي عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م، حاقق السلطان صلاح الدين متولى أحد الدواوين فوجد عنده عجزاً قدره ٧٠ ألف دينار، واعترف بها ذلك الموظف الكبير، ورأى صلاح الدين أن يعفوا عنه.

وفي عهد خلفاء صلاح الدين وبالتحديد في عصر السلطان العادل ثبتت خيانة بعض الموظفين، فقد ثبتت الخيانة المالية على ناظر من نظار الدواوين، فنفاه السلطان العادل عن مصر مع أهله وأولاده<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٦١٣هـ/١٢١٦م، أمر السلطان العادل أيضاً بالقبض على الوزير صاحب الأعز ونفيه إلى قلعة بصرى بفلسطين بعد أن ثبت عليه أنه صرف نفقات قبة الإمام الشافعي من مال الديوان العام، وكان مقرراً صرفها من مال الديوان الخاص السلطاني، ومن أسباب نفيه أيضاً أن السلطان العادل كشف على الأموال التي جرى إنفاقها في تجهيز المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل إلى اليمن، وألكر كثرة الأموال التي أنفقها الوزير في ذلك<sup>(٣)</sup>.

وفي عصر السلطان الكامل صدر الأمر بالقبض على حاكم إقليم الوجه البحرى والقاهرة بتهمة أنهم باعوا ١١ ألف أردب قمح، وفول من متحصلات الحبس الجيوشى، وقبضوا الثمن لأنفسهم<sup>(٤)</sup> وعزل بعد ولايته بمدة قصيرة<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر النابلسى أن بعض السكان القريبين من حراج السنط كانوا يقومون بقطع أخشابها فيأخذون جزءاً منه لتعمير السواقي وآلات المعاصر، ويحملون الباقي على مراكب إلى ساحل مصر حيث دأبوا على دفع رشوة لتسهيل أعمالهم التهريبية، وقيامهم ببيع تلك الأخشاب لحسابهم الخاص بأموال كثيرة<sup>(٦)</sup>، ويظهر أن أحوال الوظائف وموظفيها ساءت في عهد السلطان الكامل حتى صار التعيين فيها عن طريق الرشوة لا

---

(١) ابن شداد: بهاء الدين يوسف بن رافع، النوادر السلطانية والحاسن الیوسفیة (سيرة صلاح الدين)، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، سنة ١٩٦٤م، ص ٢٦-٢٧، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج-٢، ص ٢٢٤، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٩٢.

(٢) العماد الكاتب، الفتح القسى في الفتح القدسي، ص ٤٨١، ابن واصل، مفرج الكروب، ج-٢، ص ٤٢٨، أبو شامة، الروضتين، ج-٢، ص ٢١٨، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٩٢.

(٣) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٩٣.

(٤) النابلسي: عثمان بن إبراهيم النابلسي، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، طبعة المعهد الفرنسي، دمشق، سنة ١٩٦١م، ص ٦١-٦٢.

(٥) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٩٣، النابلسي، لمع القوانين، ص ٨٩.

(٦) النابلسي، لمع القوانين، ص ٤٨-٤٩، حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٩٢، أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ١٩.



غير، ونتج عن ذلك أن انعدم وجود أصحاب الخبرة في الوظائف الديوانية<sup>(١)</sup> وهذا ما وضع بالفعل في ديوان الاحباس، اذ تولاه جماعة من جهلة الريف كشخص يقال له التجطهرى، وابن الجليس الذى ما برح ضامناً من جملة ضمان المكوس، ما ألم منهم أحد بعلم<sup>(٢)</sup>، هذا وقد تعرض نظام الاحباس ذاته إلى الفساد، ومن مظاهر هذا الفساد أن تعرضت الأوقاف الإسلامية والذمية للاقطاع، مقابل القيام بمصالح المسجد أو الجامع أو غيره من جهات البر، أو في مقابل عمل يؤدي للدولة، حتى لم يبق للجوامع و المساجد جهة يحصل منها ما يحتاج اليه فيها ونتج عن ذلك أن استغل المقطعون الاحباس لصالحهم وليس لصالح جهات البر، فأدت هذه السياسة إلى خراب الأوقاف العقارية لعدم الاهتمام بعمارها<sup>(٣)</sup>، ذلك أن الاحباس لما صارت جهات لجوارى ورواتب خشى من تسلمها أن يطالع الديوان بما استهدم منها، فيحتاط على أجره عاملها ليصرف في مرمه مستهدمها<sup>(٤)</sup>، بالإضافة إلى أنه بخل من تسلمها بالصرف عليها من ماله الخاص خشية أن تنقل لغيره، فيضيع ما ينفقه من مال، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فحق أنقاض الاحباس التي خربت لم تسلم من النهب، سواء فُتِها واضع اليد عليها أم جيرانه، خاصة ما كان منها خارج العمران<sup>(٥)</sup> ونتيجة لتحكير الأوقاف وعدم عمارتها في العصر الأيوبي، نصت كافة وثائق الوقف في العصر المملوكى على البدء بالصرف من الربيع على عمارة الأعيان الموقوفة<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد اشتد التنافس على الوظائف الدينية مما أوجد ظاهرة بيع الوظائف الدينية من ناحية فأدى ذلك إلى تدخل الحكومة أحياناً لحسم الخلاف بينهم<sup>(٧)</sup> ويشير المقرئى في حوادث عام ٦٢٣ هـ / ١٢٣٥ م، إلى تنصيب الألبا كيرلس بطرقاً على الإسكندرية لليعاقبة عن طريق السعى والبذل بعد أن خلت أرض مصر من الأساقفة، ويروى لنا كيف أن حبه للرياسة وجمع

- 
- (١) النابلسي، المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧، حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٨٧.  
(٢) التجطهرى، غير معروف، الظر: النابلسي، لمع القوانين، حاشية ١٣، ص ٢٧، ابن الجليس غير معروف، ولكن توجد أسرة بنو جليس تتصل بالوزير ابن شكر، الظر: ابن العميد (المكين جرجس) أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، ص ١٣١،  
- Claud Cahen, Extrait du Bulletin d' Etude Orientales de l'institut Francais des Damas, Tom XV. 1955.  
نقلا عن: د. محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط ١، دار النهضة، القاهرة، سنة ١٩٨٠ م، ص ٥٧.  
(٣) محمد أمين، الأوقاف، ص ٥٧-٨٥.  
(٤) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٥٦.  
(٥) محمد أمين، المرجع نفسه، ص ٨٥.  
(٦) المرجع نفسه، ص ٢٨٠.  
(٧) د. قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في العصور الوسطى (دراسة وثائقية)، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩ م، ص ٥٩.





المال قد أثار عليه أقاربه وألزامه، فقام عليه ابن الثعبان الراهب وقال له إنما تقدم بالرشوة، فلا تصح كهونيته على حكم القوانين<sup>(١)</sup> ونتيجة الخلاف الشديد على من يتولى كرسى البطركية الذى ظل شاغراً تسعة عشر عاماً ومائة وستون يوماً، ويذكر ابن العميد أن الديار المصرية كانت قد خلت من الأساقفة أيام بطركية كيرلس داود بن لقلق (٦٣٤-٦٤٠هـ / ١٢٣٦-١٢٤٢م)، فقدم جماعة من الأساقفة أخذ منهم جملة كثيرة... مما يؤكد وجود ظاهرة بيع الوظائف الدينية<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الشيزرى أن وكلاء القضاة قد دأبوا على اخذ الرشوة من المتخاصمين، وفي هذا يقول "وأما الوكلاء الذين بين يدي القاضى فلا خير منهم، ولا مصلحة للناس بهم في هذا الزمان، لأن أكثرهم رقيق الدين يأخذ من الخصمين، ثم يتمسكون فيه بسنة الشرع، فيوقفون القضية، فيضيع الحق ويخرج من بين يدي طالبه وصاحبه"<sup>(٣)</sup>.

### الفساد الإدارى فى العصر المملوكى:

أن من أهم مظاهر الانحلال الخلقى فى عصر المماليك تفتش ظاهرة الرشوة بين الحكام والمحكومين<sup>(٤)</sup> وقد ذكر المقرئى "أن أصل الفساد فى عصره هو تحكم الرشوة فى ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية، كالوزارة والقضاء، وولاية الأقاليم وولاية الحسبة وسائر الأعمال بحيث لا يمكن التوصل إلى شئ منها إلا بالمال الجزيل"<sup>(٥)</sup>، وفى مراجع العصر المماليكى أمثلة كثيرة، لأناس بلغوا مناصبهم عن طريق الرشوة، فإذا استقروا فى تلك المناصب استمروا فى رشوة أهل الدولة بالأوقاف وتأجيرها لهم بأجس الأثمان حتى يضمنوا بقاءهم فى مناصبهم<sup>(٦)</sup>، هذا بالإضافة إلى تقاضى بعض اصحاب الحسبة عن الباعة الذين يغشون الناس ويعينوهم وذلك نظير ضرائب مقررة يجمعها المحتسب لكى يؤدي منها ما استدانه من المال الذى دفعه رشوة عن ولايته، ويؤخر البقية لمهاداة أتباع السلطان ليكونوا أعواناً على بقاءه<sup>(٧)</sup>، ولم تنج الوظائف الدينية من

(١) المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣، نقلاً عن احمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ١٩.

(٢) ابن العميد، تاريخ الأيوبيين، ص ١٤٩، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص ٥٩-٦٠.

(٣) عبد الرحمن الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق د. السيد الباز العربى، القاهرة ١٩٤٦هـ، ص ١١٥.

(٤) سعيد عاشور، المجتمع المصرى فى عصر المماليك، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٢م، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٥) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٤٣.

(٦) العسقلاني: الحافظ بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، القاهرة، سنة ١٣٨٩هـ/

١٩٦٩م، ج ٢، ص ١٧٧، عيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ٢٣٣-٢٤٣.

(٧) سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص ٢٣٣.



توليها عن طريق البذل، هذا وقد كان من أعظم تلك الوظائف المعروفة في هذا العصر وظيفة القضاء، وكثرت الرشوة والفساد في سبيل تولى هذا المنصب<sup>(١)</sup>.

هذا ويجب القول أنه من أهم أسباب الأزمات الاقتصادية وحدوثها وأيضاً حدوث الغلاء والجماعات، أي أنه عندما انتشرت الرشوة بين المماليك كان الولاة والحكام يضعون نصب أعينهم أن يعوضوا ما دفعوه من هذه الرشاوى قبل توليهم الوظائف ومن ثم يكثر طمعهم في أخذ أموال الناس<sup>(٢)</sup>، انتشرت الرشوة في عام (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م) زمن السلطان العادل كتبغا، حيث أكثر الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي من المظالم، وجارت حاشية السلطان ومماليكه على الناس، وطمعوا في أخذ الأموال والبراطيل والحمايات<sup>(٣)</sup> في الوقت الذي كانت تئن فيه البلاد من سوء الأحوال، والجماعة، والأوبئة، وتوضح أعوام (٧٠١ - ٧٠٣ هـ / ١٣٠١ - ١٣٠٣ م) أخذ الرشاوى في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٤)</sup>. وعندما كانت البلاد تعاني من أزمة اقتصادية عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م كان هناك العديد ممن أقبلوا على الرشوة وأخذوها مثل محب الدين ولي القاضي ابن دقيق العيد الذي يعيب عليه المؤرخ ابن حجر أخذ المال ممن يسعى في الوظائف عند أبيه، ومثل جمال الدين عبد الله بن جلال الدين القزويني، الذي عرف بلهوه وشرهه في المال وأخذ الرشوة من القضاة ... وقد أفاضت المصادر التاريخية بأخبار العديد من الذين لجئوا إلى البرطلة من أجل الوصول إلى ما يريدون وقضاء حوائجهم<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م في عهد السلطان الناصر شهاب الدين أحمد عرفت الرشوة<sup>(٦)</sup>، حيث ذكر المقرئ أن سيرته كانت سيئة، ونقم الأمراء عليه أموراً كثيرة منها أن رسله التي كانت ترد من قبله إلى الأمراء برسائله وأساراه أرباش أهل الكرك، فلما قدموا معه إلى مصر أكثروا من أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها<sup>(٧)</sup>.

(١) د. أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ١١٧.

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٨٣٣، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٦٢.

(٣) المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣٧ - ٧٠، د. أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٢٦ - ١٣٢.

(٤) مزيد من التفاصيل: الطر: ابن حجر: أحمد علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، القاهرة، سنة ١٩٦٦ م، ج ٢، ص

ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٥) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٢٧.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٧) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٦١٨.



وما حدث في عصر السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون من خطورة تفشى الرشوة (٧٤٣ - ٧٤٦ هـ / ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م) الذي أنشأ ديوان البذل أي ديوان البراطيل وشاع ذلك في الأقطار، وصار من له حاجة إلى صاحب الديوان المذكور "ويبذل ما يرومه من الوظائف"<sup>(١)</sup>، حتى في عز حدوث الأزمات الاقتصادية والوباء الخطير الذي أطاح بالبلاد والعباد ٧٤٩ هـ / ١٣٣٨ م ذكر المقرئ في ذلك "قدم كثير من أهل دمشق للسعي من باب الوزير منجك في المباشرات" قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعي في الوظائف بمال فلم يرد أحداً"<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م، "فتح الأمير منجك باب الولايات فقصده الناس وسعوا عنده فولى وعزل وأخذ في ذلك مالا كثيراً... شرع أوباش الناس في السعي عنده في الوظائف والمباشرات بمال وأتوه من البلاد فقضى أشغالهم ولم يرد أحداً طلب شيئاً"<sup>(٣)</sup>.

### الرشوة ونيابة السلطنة:

من يتتبع التاريخ المملوكي يجد أن نيابة السلطنة كانت أهم وظيفة في الدولة بعد وظيفة السلطان، إذ وصفته المصادر المعاصرة بأنه سلطان مختصر لأنه يقوم بمهام وأعمال السلطان أثناء غيابه لأنه يشترك مع السلطان في كل شئ يحكم فيه، وقد كانوا يشكلون خطراً على السلاطين وخاصة الصغار منهم، بل استطاع العديد منهم أن يغتصبوا السلطنة لأنفسهم، والأمثلة على ذلك كثيرة مثلما فعل كتبغا المنصوري ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م، ولاجين المنصوري ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م، مما أدى إلى دفع بعض السلاطين لإضعاف هذا المنصب وتعطيله في كثير من الأحيان<sup>(٤)</sup>، هذا وقد ذكر د/ أحمد عبد الرازق أن البذل والبرطلة لم تشر إليها المصادر إشارة صريحة بل إن الإشارة ظهرت عن طريق الهدايا والتحف، والدليل على ذلك ما روى عن النائب طشتمر المعروف بحمص أخضر الذي صارت أرباب الدولة، وأصحاب الوظائف والأشغال كلها في بابه، وتقربوا إليه بالهدايا والتحف الأمر الذي أدى في النهاية إلى القبض عليه عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م نتيجة لانفراده بأمور الدولة من دون السلطان<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٢٩٢.

(٢) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ص ٧٥٣ - ٧٩٦، أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٢٩.

(٣) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٢١.

(٤) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٤٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٤.



في عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، حدث أن نيابة الإسكندرية كانت تولى بالبدل والبرطلة، على الرغم من أنها من النيابات الجلييلة التي ظهرت واستحدثت في أيام السلطان الأشرف شعبان ٧٦٧هـ/١٣٦٥م<sup>(١)</sup>، وقد ذكر المقرئ في كتابة السلوك أن الأمير صلاح الدين بن عرام قدم من الإسكندرية ٧٧٨هـ/١٣٧٦م باستدعاء من السلطان، فقبض عليه وصودر ولكن بعد أن بذل ألف ألف درهم أخلع عليه واستقر بعد ذلك في نيابة الإسكندرية<sup>(٢)</sup>، حتى الولاية كانت تؤخذ بالرشوة ففي عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م استقر الأمير جركس في ولاية الشرقية عوضاً عن (على القرمي) بمال التزم به، وفي عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م خلع على كل من محمد بن طاجار بولاية الغربية عوضاً عن الأمير أيدير السيفي... وغير هؤلاء على ولاية منفلوط والأشمونين وغير ذلك، ولكن كل هذا يتم بمال يقومون به، إذا صاروا إلى أعمالهم<sup>(٣)</sup>، وفي تعليق المقرئ على خراب مصر من ذلك "وكان هؤلاء يجبون ذلك من أهل النواحي، ويسمون ذلك القدوم، فيفرق الوالي على كل بلد قدرًا من المال، ثم إذا جبي ذلك، أخذ في تحصيل المال من المظالم، وبينما هو في ذلك إذا استقر غيره في عمله بما التزم به فيقبض عليه، ويحاط بماله من خيل وخام وثياب وآلات وغير ذلك مما قد استدانه بأضعاف ثمنه، ويعاقب على بقية ما تأخر عليه، فعندما يجد وهو في العقوبة سبيلاً إلى عودة إلى عمله، أو عمل آخر وعد بمال واستمر فيه، وتسلب على الناس بسفك دمائهم، وبضرب أبشارهم وبأخذ مالهم، فأخذ إقليم مصر في الاختلال بهذا السبب"<sup>(٤)</sup>،

أما في عهد السلطان الكامل شعبان على الرغم من أنه قضى فترة قصيرة في الحكم لم تكن تتعدى العام، فإنه سبق جميع السلاطين السابقين في ملعب البدل والبرطلة إذ أنه باع الإقطاعات بلا حرج عن طريق البدل لدرجة أن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو لا يزال حي يرزق، وذلك على يد أغرلوا والى القاهرة الذي فتح له باب الأخذ على الإقطاعات والوظائف بل وأحدث لذلك ديواناً قائماً بذاته عرف بديوان البدل<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٧٤٨هـ/١٣٤٨م تولى الحكم الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وعمره ثلاث عشرة سنة فعهد إلى الأمير منجك اليوسفي بالوزارة، وجعله استادار الديار المصرية فنقص كثيراً من

(١) أحمد عبد الرازق، البدل والبرطلة، ص ٤٤.

(٢) المقرئ، السلوك، حوادث ٧٧٨هـ.

(٣) أحمد عبد الرازق، المرجع نفسه، ص ٦٢.

(٤) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٥) أحمد عبد الرازق، المرجع نفسه، ص ٢٩.





مصرف الدولة والرواتب<sup>(١)</sup>، ومد يده لأخذ الرشوة وصار يولى الوظائف بمال يأخذه ممن يتولاهما، وقد تعسف أكثر في شراة جمع الأموال عندما اشتد احتراق النيل مما يلي مصر، فاجتمع الرأي على سد النيل من بر الجزيرة حتى يتحول الماء إلى مصر، وكل هذا حدث في عهد الأمير منجك ففرض من أجل ذلك على كل دكان درهمين من الفضة وعلى كل نخلة من نخل الشرقية كذلك ... "فجمع أموالاً جمة وصنع مراكب وشحنها أحجار ورمالها في مجرى النيل مما يلي الجزيرة، فلم تحصل ثمرة ... وعزل منجك من الوزارة ثم أعيدت إليه بعد قليل ففتح باب الولايات وجمع من ذلك أموالاً عظيمة واشتد ظلمه وعسفه وكثرت حوادثه إلى أن عزل بعد مدة وحمل إلى الإسكندرية فاعتقل بها وصودر في جميع أملاكه وأمواله ثم أطلق وأعيد إليه بعض ملكه"<sup>(٢)</sup>.

الوزارة والرشوة: عندما انتشرت الرشوة في العصر المملوكي تجرأ أسافل الناس إلى البذل على الوزارة لأنهم يعلمون جيداً أنهم سوف يحصلون على أضعاف أضعاف ما صرفوه سواء بالظلم أو فرض المغارم أو المصادرة، وتشير معظم المصادر إلى ذلك قائلة، كان وزير الملك عز الدين أيبك هو هبة الله بن صاعد الفائز، وكان نصرانياً فأسلم، وأحدث مكوساً ومظالم كثيرة<sup>(٣)</sup> على نحو ما كانت في أيام العبيدين ووزرائهم النصاري ... حتى قيل فيه:

لعن الله صاعداً وآباه فصاعداً

وبنيه فنازلاً واحداً ثم واحداً<sup>(٤)</sup>

هذا وقد كان قطز يقيم شخص في الوزارة يدعى بدر الدين السنجاري ذكرته المصادر وأقمت بالظلم والرشوة<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر بن حجر عن الوزير مغلطى الجمالى الذي كان يتولى الاستادارية في وقت واحد سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، فعلى الرغم من الكرم والجود إلا أن هذا

(١) على مبارك، الخطط، جـ ١، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ ١، ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٠٥، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٣٨٤.

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٢١٦ - ٢١٧، النويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٤٥٨ - ٤٥٩، ابن

تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٢٧، ص ٥٨.

(٥) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٢١٧، العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ ٥، ص ٣١٣، أحمد عبد الرازق، البذل

والبرطلة، ص ٧٢.



المؤرخ يصفه بأخذ البراطيل على الولاية والعزل شأنه في ذلك شأن الوزير منجك اليوسفى الذي تقلد الوزارة مرتين زمن السلطان الناصر حسن، ففتح باب الأخذ على الولايات والتزول على الإقطاعات، وقد مر عليه كثير من أهل دمشق للسعي من بابه في المباشرات، مما اضطر السلطان إلى المنادة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م بأنه من طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام أرغون شاه، شنق وأخذ ماله، ومع ذلك فقد استمر سعى أطراف الناس بالأموال على الوظائف حيث تؤكد المصادر أنه لم يرد أحد رغم كثرة طعن الأمراء فيه لوصول الكثير من الأوباش إلى المراتب العليا في الدولة<sup>(١)</sup>، ويبدو أن طمع السلاطين وحبهم المستمر للمال يجعلهم ينهمون ويشبهون في طلب المال فجعل الطامعون في الوزارة يتسابقون في البذل والعطاء بالمال عليها<sup>(٢)</sup>. والدلائل على ذلك كثيرة، حتى ولو كان الوزير يتمتع بقلة العقل والمال، فقد قدم كمال الدين سبط صلاح الدين الخروبي على السعي فيها أي الوزارة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، رغم ما عرف به من قلة العقل والمال<sup>(٣)</sup>. ولا شك أن مدى السوء الذي بلغتته الوزارة زمن سلاطين المماليك يمكن أن يلاحظ من خلال وقوع الأزمات المختلفة من اقتصادية وسياسية وإدارية واجتماعية ومالية... ألم تكن تلك الأحداث دليل واقع على حدوث الأزمات، ورغم كل ذلك إلا أن الوزراء قد تعرضوا للسجن والمصادرة، وفرض الأموال الضخمة التي كانت تقرر عليهم في مقابل إطلاق سراحهم، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى بيع كل ما يملك من أثاث وخيول حتى إلى الاستدانة، ومنهم من كان يختفي لعدم قدرته على سداد ما فرض عليه، والدليل على ذلك ما يرويه المقرئى بصدد الوزير كريم الدين بن الغنام الذي ولى الوزارة عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، ولكنه لم يعمر فيها سوى بضعة أشهر فقبض عليه، وأبطلت الوزارة وأمر السلطان شعبان بإغلاق شباكها بقاعة الصاحب من قلعة الجبل ومع هذا فقد استطاع الغنام أن يقنع السلطان بإطلاق سراحه بعد ثلاثة أيام على ما التزم به، ونزل على حمار وأخذ في بيع أثاثه وخيوله، ولكنه يحتمل أنه لم يف بعهده (وعده) فألقى القبض عليه من جديد ثم عاد وأفرج عنه بعد مضي بضعة أيام<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد ألقى الناصر محمد بن قلاوون وظيفة الوزارة، وأحل محلها وظيفة ناظر الخاص (نظر الخاص) عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، فقد قسم هذه الوظيفة إلى ناظر المال، وناظر الخاص،

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ ٥، ص ١٢٤، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٢) أحمد عبد الرازق، المرجع نفسه، ص ٧٤.

(٣) المقرئى، السلوك، جـ ٣، ص ٣٦٧ - ٣٦٨، ابن حجر، أبناء الغمر، جـ ١، ص ١٩٥.

(٤) أحمد عبد الرازق، المرجع نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.



وكاتب السر<sup>(١)</sup>، ومن الجدير بالذكر أن الرشوة قد سرت إلى ناظر الخاص بدليل ما روته المصادر التاريخية عن الرشوة والهدايا التي أخذها كريم الدين أول من تسمى بناظر الخاص في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون والذي كانت جميع أمور الدولة كلها في يده، فتودد إليه الأمراء وخطبوا وده، وبعثوا إليه بالهدايا، وهذا دليل واضح على تلك الثروة الضخمة التي وجدت عنده، بعد القبض عليه والتي كانت تكثر بكثير عن ستة آلاف دينار، هذا فقد استطاع أن تكون لديه في خلال فترة وجيزة كل هذه الثروة بالطرق غير المشروعة عن طريق الرشوة وقبول الهدايا، هذا وتحدث المصادر عن ناظر الخاص جمال الكفاه الذي عرف عنه أخذ الرشوة، والبراطيل، فقد استطاع أن يحتفظ بوظيفة ناظر الخاص، ونظر الجيش، نظير مائة ألف دينار التزم بحملها للنائب آقسنقر السلاوي بعد أن كان تقرر عزله بموسى بن التاج، بالإضافة إلى ما أشارت إليه المصادر إلى أن السلطان الصالح عماد الدين إسماعيل رسم له ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، أن يكون مشيراً للدولة بالإضافة إلى ما بيده من الوظائف فعظمت حرمة وارتفعت مكانته، وتعدى طوره حتى أنه أراد أن يتخلع من زى الكتاب إلى هيئة الأمراء، وأن يصبح أمير مائة مقدم ألف، فشق ذلك على الأمراء فتأمروا عليه حتى انتهى الأمر بالقبض عليه وأخذ ماله، ويبدو أن العادة قد جرت بأن يقوم ناظر الخاص ببذل المال من حين لآخر نظير الاحتفاظ بوظيفته، في مقابل أن يجدد له السلطان مرسوم تعيينه مثلما حدث في عام ٧٧٨هـ/١٣٧٧م، للصاحب شمس الدين عبد الله المقسى، الذي خلع عليه، واستقر في نظر الخاص كعادته بعد أن حمل مالا عظيماً، مما جعله في النهاية يزهد في هذه الوظيفة وفي غيرها<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن ما سبق ذكره يعتبر صورة واضحة لبعض الجوانب السلبية في مجتمع سلاطين المماليك البحرية شاهدنا خلالها كيف سرت الرشوة في جميع أعضاء المجتمع حتى أنها نخرت في عظامه وشملت جميع طبقاته بما في ذلك طبقة السلاطين أنفسهم، وحسبنا دليلاً على ذلك ما رواه المؤرخ بن تغرى بردى الذي كتب يعيب على هؤلاء تقاضيهـم الرشوة والالغماس فيها بما نصه "إن غالب ملوك مصر ممن ملك مصر بعده... يقصد السلطان الناصر محمد بن قلاوون يقتدي بشخص من أرباب وظائفه، فيصير ذلك الرجل هو السلطان حقيقة والسلطان من بعض من يتصرف بأوامره، وكل ذلك لقصر الإدراك، وعدم المعرفة، فلذلك يتركون الأموال الجلييلة والأسباب التي يحصل منها الألوف المؤلفة، ويلتفتون إلى هذا النذر اليسير القبيح الشنيع الذي لا

(١) أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٧.



يرتضيه من له أدنى همة ومروءة وهو الأخذ من قضاة الشرع عند ولايتهم المناصب وولاية الحسبة والشرطة، وذلك كله تكرر في السنة فهو شئ جليل جداً يتعوض من أدنى الجهات التي لا يؤبه إليها من أعمال مصر، فلو وقع ذلك لكان أحسن في حق الرعية وأبرأ لخدمة السلطان والمسلمين من ولاية قضاة الشرع بالرشوة، وما يقع بسبب ذلك من الألكحة والعقود والأحكام وما أشبه<sup>(١)</sup> والواقع أن المؤرخ بن تغرى بردى لا يعيب هنا فقط على ملوك مصر تقاضيتهم الرشوة، وإنما يعيب عليهم إهمالهم لمرافق الدولة، ونواحيها وأيضاً تسليمهم الأمور إلى غير ذوى أهلها مما كان إيذاناً ببداية الخراب الذي سوف تشهده البلاد فيما بعد<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن كل وزير جديد يأتي بحاشيته وأنصاره ليضعهم في وظائف الدولة فإذا ما سقط هذا ذهب هؤلاء بذهابه، الأمر الذي نتج عنه كثرة تغيير العمال والموظفين وزاد الأمر سوءاً شعورهم بعدم الاستقرار في وظائفهم مما أضعف مركز الوزراء ووقف حائلاً دون الاستقرار فأصاب الخلل أركان الدولة وفشا الفساد وعمت الرشوة وكثرت المظالم، لأن الوزير متى تقلد المناصب فإنه كان يضع في اعتباره استرداد ما خسره مستعيناً على ذلك بشتى أنواع الوسائل<sup>(٣)</sup>.

### الحصار الاقتصادي الأوروبي:

استغل سلاطين المماليك موقع مصر لتنمية علاقاتهم التجارية مع دول الشرق والغرب والحصول من وراء ذلك على أكبر قدر ممكن من الثروة وتشهد على ذلك المعاهدات التجارية العديدة التي عقدها سلاطين مصر مثل الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون مع الملك شارل الأول أنجو ملك صقلية (٦٦٥ - ٦٨٤ هـ / ١٢٦٦ - ١٢٨٥ م)<sup>(٤)</sup> فضلاً عن المعاهدات التجارية العديدة التي عقدت بين دولة المماليك من ناحية والبنادقة والجنوية وغيرهم من الجمهوريات الإيطالية<sup>(٥)</sup>، وقد ساعد على ذلك موقع مصر الجغرافي بين الشرق والغرب مما جعلها تلعب دوراً هاماً في الحركة الدولية التجارية<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، نقلاً عن أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ص ٣٠ - ٣١.

(٢) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ص ٣٠ - ٣١.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٤) Lane-Poole (S) A History of Egypt in the Middle Age, P. 281.

(٥) سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ص ٢١٠ - ٢١١.

(٦) د. إبراهيم عبد المنعم سلامة، جوانب من تاريخ مصر في عصري الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ، ص ٣٠٩.





لم تنته الحروب الصليبية بسقوط عكا عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م، آخر معاقل الصليبيين في الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون، لكنها استقرت في شكل حرب اقتصادية مخططة روج لها الدعاة الصليبيون بهدف إنهاء السيطرة الإسلامية على تجارة العبور بين الشرق والغرب<sup>(١)</sup>، فقد أصدرت إعلاناً في نفس العام الذي سقطت فيه عكا بمنع كل الصلات التجارية مع البلاد الخاضعة للسلطان... وألذر المخالفين بالحرمان من صكوك الكنيسة ومن حقوقهم المدنية... بالإضافة إلى منع زيارة الفرنج للمسلمين منعاً قاطعاً، والهدف من هذا المنع هو إضعاف موارد السلطان وحرمانه من الأرباح المحققة عن طريق التجارة<sup>(٢)</sup>، وبالمذاق كانت هذه الفقرة مخصصة لأهالي جنوة لأنهم كانوا يمدون السلطان بالرقيق، ولكن جنوة وجدت أن هذا المرسوم كان قاسياً جداً<sup>(٣)</sup>، إلى جانب ذلك نادى ريموندل (Raymond Lul) ٧٠٦هـ/١٣٠٦م<sup>(٤)</sup> بوجوب امتناع المسيحيين مدى ست سنوات عن شراء البهار من المصريين وألا تطاء أقدامهم الإسكندرية وسورية، وكان يرى أن تنفيذ هذه السياسة تؤدي إلى إفقار خزانة السلطان وإلحاق الضرر بإمبراطوريته<sup>(٥)</sup>، وصدر قرار آخر عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، أشار فيه إلى أن تصدير جميع البضائع بغير استثناء إلى أراضي السلطان، يقع تحت طائلة المنع ومن يخرج على هذا القرار يعرض لمصادرة أمواله وفقد حريته<sup>(٦)</sup> في الوقت الذي كانت مصر تتعرض للوباء والجاعة وعندما تولى البابا الثاني والعشرون حذر هو الآخر من هذه التجارة مع المسلمين وكان ذلك عام ٧٢٣هـ/١٣٢٤م<sup>(٧)</sup>.

---

(١) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر المماليك الجراكسة، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٧٠، ص ١٠٠.

(٢) د. محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ٣٤٠.

(٣) أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر في عصر الدولة المملوكية الأولى، ص ٣٩٩.

(٤) كان ريموندل أسبانيا، وقد ألم باللغة العربية وكرس حياته لتنظيم الحملات التنصيرية لنشر المسيحية في الآن دلس الإسلامية، وكان يعمل على إقناع أوروبا بأن الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الدول الصليبية بالشام هي التبشير. لمزيد من التفاصيل راجع:

- Hanotaux; Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV. PP. 489 – 490.

- عن محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٣٤٠، هامش ٣.

(٥) Hanataux; op.cit., PP. 489 – 490.

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية، المجلة المصرية للعلوم السياسية،

أكتوبر ١٩٦٢م، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٠٨.



ونظراً لسوء أحوال مصر الاقتصادية في تلك الفترة، بدأ بطرس الأول (لوزجنان) في إعداد حملة حربية لضرب مصر وتخطيط اقتصادها، وتجارتها، وبالفعل أغار بطرس على الإسكندرية عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، ونهبها وأنزل بها خسائر كثيرة، هكذا نهضت جزيرة قبرص وملوكها بعبء الحملة الاقتصادية ضد المماليك فشن ملوك قبرص حرباً شعواء على بعض التجار الأوروبيين الذين ظلوا يتاجرون مع المماليك<sup>(١)</sup>، واستمرت سياسة أهل قبرص يقطعون الطريق على المراكب الآتية من دمياط والإسكندرية منفذين بذلك الحصار الاقتصادي وهم يعلمون أن هذه السياسة هي أقوى سلاح لضرب قدرة مصر في ذلك الدور الأخير من أدوار الحروب الصليبية<sup>(٢)</sup>، وفعلاً نجح الأوروبيون في تحويل طريق التجارة القادمة من آسيا إلى أوروبا خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر، وبهذا حققوا إحدى وسائل الحرب الاقتصادية التي كان يدعوا لها الدعاة الصليبيون، وهي البحث عن طريق آخر غير طريق مصر للوصول إلى متاجر الشرق، فنجحت البابوية في تنفيذ ما سعت إليه، ووضح أثر هذا الطريق على تجارة مصر خلال رسالة السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر إلى البندقية عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م ليخبرها بأنه منذ عام ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، لم ير سفينة بندقية واحدة تدخل بلاده<sup>(٣)</sup>، ولم تقتصر الحرب الاقتصادية على حوض البحر المتوسط فقط وإنما أراد الدعاة الصليبيون أن يمدوا الحصار الاقتصادي على البحر الأحمر حتى يكتمل تطويق دولة المماليك اقتصادياً، لذلك حرصت البابوية على تقوية صلاحها بالحبشة، وبالفعل انضمت الحبشة إلى الحصار الصليبي على مصر<sup>(٤)</sup>.

هكذا تحولت أوروبا من الحرب العسكرية التي قامت بها في بلاد الشام لاسترداد المقدسات المسيحية إلى الحرب الاقتصادية بعدما ظهر فشل الحرب العسكرية ضد الجيوش العربية الإسلامية، فحاولت فرض حصار اقتصادي على سلطنة المماليك للتأثير على قوة اقتصادها، كل هذا كان سبباً في حدوث أزمات اقتصادية.

---

(١) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) نفسه، ص ١٠٩، بعد طرد الصليبيين من الشام ٦٩٠هـ/١٢٩١م صارت قبرص قاعدة الشراذم الصليبية وفلولهم الهاربة من فلسطين، كما ظلت محط آمال البابوية وأنصارها في إحياء المشروع الصليبي، وبدأ ملوك قبرص من آل لوزينان يقدمون على ذلك، ومن ثم جعلوا من الجزيرة مركزاً لتحقيق هذه الأهداف التي لم تكن توازنات القوى السياسية والعسكرية تسمح بتحقيقها، راجع: د. قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٣) عفاف سيد صبره، علاقة البندقية بمصر والشام من بداية القرن الثاني عشر حتى نهاية الرابع عشر الميلاديين، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٧م، ص ٩٨.

(٤) سعيد عاشور، الحصار الاقتصادي الأوروبي، ص ١١١.



وأتاحت الفرصة للصليبيين مرة أخرى في شن هجوم على مصر وخاصة الإسكندرية وذلك عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، عندما كانت أحوال مصر الداخلية في غاية السوء نتيجة الفتن والاضطرابات للحصول على السلطنة وشؤون الحكم، وأحوال الناس في غاية السوء لكثرة تكرار الحوادث من أوبئة ومجاعات وتفشي الأمراض، كل هذا أتاح للصليبيين الغارة على الإسكندرية بقيادة بطرس لوزنيان، وجاءت سياستهم هذه متوافقة مع تلك الظروف، إذ مهد بطرس لغارته بجولة زار فيها المقر البابوي وبلاطات ملوك الغرب الأوروبي، وجمع قدراً كبيراً من المساعدات بهدف ضمان النجاح، ولكنهم حتى ذلك الحين لم يكونوا قد حددوا أهداف الحملة، وبعد مشاورات قرر الزعماء أن تكون الإسكندرية هدف هذه الغارة<sup>(١)</sup>.

ومن الناحية الأخرى كان التوقيت مناسباً، حيث كان السلطان الجالس على عرش السلطنة طفلاً صغيراً هو السلطان الأشرف شعبان حفيد الناصر محمد بن قلاوون، وحوله مجموعة من الأمراء المتنازعين على العرش وعلى رأسهم الأمير يلبيغا الخاصكى، وعرف بظلمه وغطرسته، بالإضافة إلى أن الخيانة لعبت دورها، إذ يُذكر أن أحد الموظفين بمدينة الإسكندرية قد سهل للعدو دخول المدينة، وقد أتهم هذا الرجل بأنه جاسوس لبطرس لوزنيان ملك قبرص، وكانت هذه الغارة بمثابة المسمار الأخير في نعش دولة سلاطين المماليك الأولى، وإيداناً بنهاية ذلك النمط من الحكم المتهاافت للأطفال من أحفاد الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٢)</sup>.

### الإسراف والتبذير الحكومي:

على الرغم من قصر المدة الزمنية التي عاشتها الدولة الأيوبية في مصر والشام (ثمانون عاماً) إلا أنها وجهت كل قوتها ومواردها المالية للصرف على الحروب الصليبية، حيث كان هناك صراع دائم بينها وبين الصليبيين في الشام، بالإضافة إلى الإنفاق على العمارة الحربية، هذا لأنه كان عصر جهاد وكفاح وحروب مستمرة، بالإضافة إلى الإنفاق على تجهيز الجيش والأسطول.

ولكن هناك بعض الإشارات التي توضح الإسراف في وجود الأزمات الاقتصادية ففي الوقت الذي حدثت فيه أزمة اقتصادية في عصر العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي ٥٩٠ - ٥٩٢هـ/١١٩٤ - ١١٩٦م: نجد العزيز عثمان يتشبه بوالده صلاح الدين في كثرة المنح

(١) د. السيد عبد العزيز سالم، د. سحر السيد سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٩٠.

(٢) د. قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٦.



والهدايا التي خرجت من الديوان السلطاني<sup>(١)</sup> في الوقت الذي توقفت فيه أحوال الدولة وانقطعت جباية الديوان بمصر<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م حدثت أزمة اقتصادية في عهد العادل الكبير، استمرت أكثر من عامين، شملت البلاد المصرية كلها، ولكننا نلاحظ أن السلطان العادل الكبير لم يكف عن الإنعام على وجوه الناس<sup>(٣)</sup> سواء بالنقود أو الغذاء (الحبوب) ولم تجبى الأموال<sup>(٤)</sup>، ولكننا نعود مرة أخرى لنجد أن العادل الصغير اشتهر بكثرة هباته وعطاياه من مال الديوان السلطاني، حتى أنه أنفق في مدة سلطنته القصيرة ما يزيد على ٦ آلاف دينار و ٢٠ مليون درهم<sup>(٥)</sup> على الرغم من حدوث وباء في عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م، وتأثر موارد البلاد بهذا الوباء نتيجة انخفاض منسوب مياه النيل<sup>(٦)</sup>.

على العكس تماماً من العصر الأيوبي نجد العصر المملوكي الذي اشتهر بالبذخ والإسراف والترف وقد ذكر لنا ابن خلدون في المقدمة قائلاً "إن الدولة تكون في أولها بدوية قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده، فيكون إنفاقها وخارجها قليلاً، ثم لا تلبث أن تأخذ في الترف وترتفع نفقة السلطان وخاصته"<sup>(٧)</sup>.

أما مظاهر هذا الإسراف والبذخ فهي كثيرة وعديدة، والذي شجعهم على ذلك تعدد رسوم البلاط المملوكي ولظمه بشكل لم يُعرف من قبل<sup>(٨)</sup>، فقد ظهرت مظاهر هذا الإسراف والبذخ من خلال حفلات الزواج، الختان، الأسمطة (الولاتم)، ... العمارة، رحلات الصيد، الملابس ... وغير ذلك، فمثلاً في شراء الممالك، فقد بلغت ممالك المنصور قلاوون ثمانية آلاف

---

(١) د. حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦١.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ١٣٧.

(٣) حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٦١.

(٤) عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٥٦، المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٣٠، حسنين ربيع، المرجع السابق،

ص ٥٧.

(٥) حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٥٧.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، حوادث سنة ٦٢٧هـ، أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف

بالذيل عن الروضتين، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٧٤م، ص ٢٥٩.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٧.

(٨) عبد المنعم ماجد، نظم دولة الممالك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٦٤م، ص ١٧٥.





بينما بلغت ممالكك أبنه الناصر محمد أثنى عشر ألف مملوك<sup>(١)</sup>، وقد اشترى السلطان الناصر مملوكه صرغتمش بشمالية آلاف درهم، وكتب للتاجر مسامحة بآلف درهم<sup>(٢)</sup>، وقدرت الأموال التي دفعت في شراء الممالك في الفترة ٧٣٢ - ٧٣٧هـ / ١٢٣١ - ١٢٣٦م بحوالي أربعة آلاف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار<sup>(٣)</sup>، وما كان يصرف على الأسمطة السلطانية والولائم كان الكثير والكثير، فقد كان السلطان يعمل السماط مرتين يومياً لعامة الأمراء، وقد بلغ مصروف السماط في كل يوم من عيد الفطر المبارك خمسون ألف درهم، بالإضافة إلى الأسمطة المتنوعة في المناسبات المختلفة، إلى جانب ما كان يصرف على حفلات الختان فقد كان لا يقدر لكثرتة، فقد ختن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد، وختن معه ألف وستمائة وخمسة وأربعين طفلاً من أولاد الناس سوى أولاد الأمراء والأجناد وأمر لكل منهم بكسوة على قدره، ومائتي درهم ورأس من الغنم، هذا بالإضافة إلى أنه في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م، لعب السلطان والجيش بالقبق<sup>(٤)</sup>، فأنعم على الأمراء ممن أصاب في اللعب، إلى جانب رحلات الصيد التي كانت تكلف الكثير من الأموال تنفق من خزانة الدولة إذ كان السلطان يصطحب في خروجه الكثير من الأموال والأجناد كل هذا من مصاريف الخاص السلطاني<sup>(٥)</sup>، وفي عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م بلغت خلع الظاهر بيبرس على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والكتاب والأطباء ألف وثلاثمائة خلعة<sup>(٦)</sup> ويقال أنه أطلق من التشاريف ما لم يسمع به أحد أن ملكاً أطلق مثله فشملت الأمراء والوزراء والمقدمين والكتاب والقضاة وأرباب الوظائف<sup>(٧)</sup>، أما الملك الناصر فإنه فرق حوالي ألفين وخمسمائة خلعة عند الانتهاء من بناء قصر الأبلق عام ٧١٥هـ / ١٣١٥م<sup>(٨)</sup> كما فرق مائة ألف

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ص ١٧٣، ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدير العلالي المعروف بابن دقماق، الجوهري

الشمين في سير الخلفاء والملوك والسيلاطين، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: د. أحمد دراج، ص ١٥٤ -

١٥٥، أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٤٧٠.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج-٢، ص ٣٠٥، أحمد محمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٤٧٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٧٢.

(٤) القبق: خشبة عالية جداً تنصب في برج على الأرض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمي بالسهم

جوف الدائرة لكي تمر في داخلها إلى غرض هناك تقريباً لهم على إحكام الرمي، أنظر: أحمد محمد، المرجع نفسه، هامش ٢

ص ٤٧٢.

(٥) ابن دقماق، الجوهري الشمين، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج-٧، ص ١٦١.

(٧) المصدر نفسه، ج-٧، ص ١٦٥.

(٨) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج-٧، ص ٦.



دينار<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى هدايا الناصر محمد بن قلاوون للملك الشرق والغرب<sup>(٢)</sup>، إلى جانب الإنعامات التي يهبها السلطان فكانت تختلف على حسب رتبة المنعم عليه فقد كان لخاصة الأمراء المقدمين أنواع من الإنعامات كالعقارات والأبنية الضخمة التي ربما أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار<sup>(٣)</sup>، ومن ضمن المصاريف ما كان يصرف على البريد حيث يذكر ابن إياس أن السلطان الظاهر بيبرس أنفق جملة من المال كثيرة في ترتيب البريد وضمان سرعته<sup>(٤)</sup>، إلا أنه دب إليه الضعف فيما بعد وكان ذلك حوالي ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، ومن المصاريف التي تحملتها خزانة الخاص نفقات الأعراس والولائم المرتبطة بها، ففي عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م، حمل من خزانة الخاص بالقلعة مهر أنوك ابن السلطان الناصر محمد إلى بنت الأمير بكتمر الساقى<sup>(٥)</sup>، وكان من الذهب المصرى عشرة آلاف دينار، وتفاصيل مشنة مائتان وخمسون تفصيلة، وغير ذلك من أشياء تفوق الوصف والخيال<sup>(٦)</sup>، وقد ذكر المقرئى: "أنه بلغ قيمة ما حملة الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار مصرية"<sup>(٧)</sup>.

وقيل أن السلطان الناصر بن محمد بن قلاوون جهز ابنته جهازاً عظيماً، وعمل سائر الأواني من ذهب وفضة "فبلغت زنة الأواني المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب وتناهى في هذا الجهاز وبالغ في الإنفاق عليه حتى خرج عن الحد في الكثرة، كما أكرم السلطان على كل امرأة من نساء الأمراء بتعبية قماش على مقدارها، وخلع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء والكتاب وغيرهم"<sup>(٨)</sup>، أما ابنة السلطان شعبان التي تزوجت من الأمير منطاش فقد حمل جهازها على خمسمائة جمل وأمر الأمير منطاش أن يعمل من الذهب المصرى دينارين أحدهما زنة مائتا مثقال أي ما يوازى ثمانمائة وخمسون جراماً (٨٥٠ جم)، والثاني زنة مثقال أي ما يوازى أربعمائة وخمسة وعشرين جراماً (٢٥٠ جم) ليعلقهما في طرحة العروس<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ١٤٩.

(٢) النويرى الإسكندراني، كتاب الإمام بالأعلام، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٥.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١١٨.

(٥) المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٢٣٣.

(٦) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٩٩، المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٧) المقرئى، المصادر نفسه، ص ٣٤٦، ابن حبيب، تذكرة النيه، ج ٢، ص ٢٢١.

(٨) على مبارك، الخطط، ج ٢، ص ١١٨.

(٩) حياة ناصر الحجي، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين،

الكويت ١٩٩٥م، ص ١١٠.



بالإضافة إلى أن سلاطين المماليك كانوا مغرمين بأنواع الخيول وشرائها، فقد كان الناصر محمد مغرمًا بالخيول وكل أنواع الحيوانات، فصرف في اقتنائها هي وصقور الصيد مقادير باهظة من الأموال، ولا شك أن ما كان يعطيه السلطان لوكلائه من الأموال الكثيرة، وما كان يصل إلى بلاد التركستان من الحكايات الممتعة عن أحوال المماليك في مصر باعثاً قوياً للعديد منهم على بيع أولادهم وبناتهم ليكون في خدمة السلطان في مصر<sup>(١)</sup>، هذا وفي عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، ظهرت جزيرة عرفت بجزيرة حليلة ما بين بولاق والجزيرة الوسطى ونصبوا فيها عدة أخصاص بلغ مصروف الخص الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة... "وأُتلف الناس هناك من الأموال ما يحل وصفه"<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، عمل الأمير طاز وليمة (حفلة) بسبب داره التي أنشأها على بركة الفيل فلما كملت... "استدعى السلطان والأمراء وصرف عليها فوق ألف دينار، وقدم للسلطان مقدمة حفلة ما بين مال وخيول ومماليك وغير ذلك"<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م من كثرة الإسراف "كان الوزير فخر الدين بن قرونيه يحمل إليه في كل يوم من اللحم ألف رطل برسم سباطه، وكان مصروف سباطه في كل يوم ألف دينار...، وكان ضربيته في كل صحن على سباطه عشرة أرطال من اللحوم الضأن"<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م عقد نكاح خوند سارة أخت السلطان على الأمير بشتاك العمرى رأس نوبة النوب على صداق جهلته خمسة عشر ألف دينار مصرية وذلك في حضور قضاة القضاة"<sup>(٥)</sup>، هذا بالإضافة إلى مصاريف الحج فقد كان يصرف بمناسبة حج سلطان من السلاطين ما لا يقل عن المصاريف السابقة، ففي عام ٧١٩هـ/١٣١٩م خرج الناصر محمد للحج وجهزت له "قدور من ذهب وفضة ونحاس،... بالإضافة إلى المئات والآلاف من الدجاج والجمال والخلوى والسكر والفواكه"<sup>(٦)</sup>، هذا وقد أمعن سلاطين المماليك في لبس الثياب الفاخرة، وكانوا يبدلون ملابسهم ثلاث مرات في اليوم الواحد، فقد روى لبعض الرحالة الغربيين الذين زاروا مصر في عصر المماليك أن الذي يخلعه السلطان لا يلبسه مرة ثانية بل توضع الملابس المستعملة في مكان خاص

(١) السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ١٨٦.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٥١.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٨٢.

(٦) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٥٨ - ٥٩، النويرى، لمحة الأرب، ج ٣٠، ص ١٢٧ - ١٢٨.



حتى ينعم على أمرائه وخاصته<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى كثرة المصاريف على الحوائج خالة، ويعلق المقرئ على كثرة مصاريف الإنفاق على الحوائج خالاه، كان سبب عجز الدولة عن الإنفاق هي كثرة الكلف والإنعامات وارتفع مصروف الحوائج خالاه، "فوصل مصروفها في كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم، بينما كان في أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم"<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن هذا الإسراف جاء من كثرة إيرادات الدولة، تمتع الممالك من خلالها بثراء فاحش، ولم تتأثر حياتهم بالآزمات الاقتصادية، وعندما كانت الدولة تحتاج إلى الأموال للإنفاق على الحملات لم يجد الممالك من الإسراف والبذخ، بل يتجهون إلى الشعب يجمعون منه نفقات تلك الحملات، فلاشك أن هذا الإسراف كان يؤثر على خزانة الدولة ويؤدي إلى تفاقم الآزمات، وعلى الرغم من ثراء السلاطين والأمراء وبذخهم الذي بلغ ذروته في المأكول والملبس والسكن واقتناء الجوارى والعبيد وحياسة الأراضي والعقارات والخيول والأنعام والغلال والذهب والجواهر وغير ذلك من متاع الحياة فإن النظام الحاكم كان في حالة شكوى دائمة من العجز المالي تعبيراً عن واقع تمثل في عجز السلاطين عن صرف مرتبات الجند النقدية والعينية<sup>(٣)</sup>.

أما عن حج السلطان شعبان في سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، فقد أجمعت المراجع على عظمة المصروفات وسعتها<sup>(٤)</sup>، وليت سلاطين الممالك التزموا نوعاً من الاقتصاد في نفقاتهم الخاصة ليخففوا عن رعاياهم الأعباء الثقيلة الملقاة على عواتقهم، وإنما استمر الممالك، سلاطناً، وأمراء، وجند، يعيشون عيشة البذخ والإسراف في الوقت الذي يئن الناس من كثرة الالتزامات المفروضة عليهم<sup>(٥)</sup>، وهذا ما لاحظناه في الأمثلة السابقة ففي وقت حدوث الآزمات الاقتصادية كانت تقام الحفلات وتمتد الأسمطة ويخرج إلى الحج بمصروفات عظيمة كان الشعب يحتاج منها إلى ما يسد قوته ولكن دون جدوى.

---

(١)Dopp; le Caire Vu Par les Voyageurs Occident aux Moyen Age, 138.

عن د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر الممالك البحرية، ص ١٢٧.

(٢) المقرئ، الخطط، ج-٢، ص ٢٣١.

(٣) د. علاء طه رزق، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين الممالك، ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٤٧٤.

(٥) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، التدهور الاقتصادي، ص ٣٥٧.





وتتضح مظاهر إسراف المماليك أيضاً في المباني التي شيدها، فقد شيد الناصر محمد العديد من المدارس والجوامع، وكان يصرف على مبانيه ثمانية آلاف درهم يومياً<sup>(١)</sup> وقد بلغ فن المعماري روعته في عهد الناصر محمد حيث أنشأ له ديواناً خاصاً<sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى ما كان يصرف على حفر الترع والقنوات وإقامة الجسور والقناطر حتى قدرت مصروفات هذه المشاريع بربع متحصل الإقطاعات<sup>(٣)</sup>، وقد كان لمدرسة السلطان حسن التي أنشأها أكبر الأثر في حدوث الأزمات الاقتصادية، حيث شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وكان في موضعها دور واسطبلات، وقيل "أنه لا يُعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذه المدرسة في كبر قلوبها وحسن هندامها، وضخامة شكلها، وقد قامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين"<sup>(٤)</sup> لا تبطل يوماً واحداً "وأرصد لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهباً من الفضة المهرجة"<sup>(٥)</sup> حتى قال السلطان "لولا أن يقال ملك مصر عجز عن إتمام ما بناه لتركت بنائها من كثرة ما صرف عليه"<sup>(٦)</sup>، وذرع إيوانها الكبير خمسة وستون ذراعاً في مثلها، ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى بخمسة أذرع وبها أربعة مدارس للمذاهب الأربعة<sup>(٧)</sup> وفي هذا الجامع "عجائب من البنيان"<sup>(٨)</sup>، ولا شك أن سياسة البذخ والإسراف من جهة والمنازعات بين أمراء المماليك من جهة أخرى أضرت بالأوضاع الاقتصادية للبلاد ضرراً بليغاً، حتى أن مؤرخنا د. سعيد عاشور ذكر أن موسم الحج تعطل أكثر من مرة بسبب فقر الخزانة<sup>(٩)</sup>.

يحدثنا المقرئ عن بعض الإجراءات التي اتخذت لتخفيف مصروفات الدولة وموازنتها مع الدخل فيقول: "إنه عندما تولى منجك الوزارة في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م واجتمع بالأمراء وقرأ لهم مصاريف الدولة، فوفر من جامكية المماليك ستين ألف درهم في الشهر، وقطع كثيراً من جوامك

(١) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٥٣٧، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ١٧٦.

(٢) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ص ٥٣٧.

(٣) أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٤٧٩.

(٤) ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ٣، ص ٢٠٩.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٥٩ - ٥٦٠، المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٦، النابلسي: عبد الغنى

بن إسماعيل النابلسي، الحقيقة والحجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: د. أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م، ص ٢١٦.

(٦) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٦، النابلسي، الحقيقة والحجاز، ص ٢١٦.

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٨) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٦.

(٩) د. سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١١٦.



الخدم والجواري والبيوتات السلطانية وأنقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه، وقطع رواتب المغاني ووفر عدة أمير أخور، كما وفر نحو الخمسين أردباً من الشعير في اليوم"<sup>(١)</sup>. كما وفر جماعة من الأسرى والعناتين والمستخدمين في العمائر "وأبطل العمارة من بيت السلطان ووفر مصاريق الخوانج خاناه ثلاثة آلاف درهم يومياً"<sup>(٢)</sup>، وهكذا اتخذ إجراءات كثيرة لتخفيف مصروفات الدولة، وفي هذا العام وقع الفناء الأسود ومات من الناس آلافاً مؤلفة فكان لابد من عملية تنظيمية لما أحدثه هذا الفناء فأمر منجك في عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، "بطلب أصحاب الأرباع وكتابة جميع أملاك الحارات والأزقة وسائر أخطاط مصر والقاهرة ومعرفة أسماء سكانها والنقص عن أربابها ليعرف من توفر عنه ملك بموته في الفناء"<sup>(٣)</sup>.

### كثرة الحملات الدفاعية الداخلية والخارجية:

لاشك أن القارئ لتاريخ العصر الأيوبي يدرك أنه كان عصر حروب وصراعات داخلية وخارجية، فالداخلية هي التي حدثت في بداية حكم صلاح الدين الأيوبي، واثارت ثائرة الجند المناصرين للدولة الفاطمية مثل الجنود السودانيين، والأرمن على صلاح الدين، لكنه قضى عليها جميعاً، بالإضافة إلى الإنفاق على الحملات الصليبية في بلاد الشام ومصر، فقد كلفت خزانة الدولة الأيوبية الكثير والكثير وأثرت عليها، بالإضافة إلى تشييد العمائر الحربية، وتجهيز الجيوش والإنفاق عليها والإنفاق على الأسطول<sup>(٤)</sup>، إذ أن صلاح الدين الأيوبي خاض معارك مختلفة مع الصليبيين كانت أشهرها معركة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م<sup>(٥)</sup>، هذا إلى جانب المعارك والحملات المختلفة التي قام بها خلفائه من بعده ومن أشهرها الحملة الصليبية الخامسة (٦١٥-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢١م)، والحملة الصليبية السابعة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م<sup>(٦)</sup>، وانتهت بجلء الصليبيين عن دمياط وأسر لويس التاسع قائد الحملة<sup>(٧)</sup>.

---

(١) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ص ٧٤٩.

(٢) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٧ - ٣٢٠.

(٣) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) مزيد من التفاصيل: راجع: مرفت عثمان حسن، التحصينات الحربية، ص ٢٨-٣٨.

(٥) أبو شامة، الروضتين، جـ ٢، ص ٧٦، ابن الجوزي، مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١، ص ٣٩٢، ابن تغري بردي، النجوم

الزاهرة، جـ ٦، ص ٣٢، أبو الفداء، المختصر، جـ ٣، ص ٧١-٧٢.

(٦) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٣٣١، الدواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٣٨٢.

(٧) سيد علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ص ٢٥٤.



أما في عصر المماليك البحرية، فلا شك أن دولة المماليك دولة عريقة في مجال الحروب الخارجية، والحملات الدفاعية، فهي الدولة التي تصدت لغارات الخطر المغولي والصليبي، ولا شك أن هذه الحروب خاصة في بلاد الشام قد استنزفت أموالاً كثيرة وأثرت على خزانة الدولة المملوكية، هذا وقد خاض المماليك معارك حاسمة ضد الصليبيين، وافتتحوا هذا السجل التاريخي بمعركة المنصورة التي كانت نقطة حاسمة في مجرى الحروب الصليبية فهزموا ملك فرنسا لويس التاسع وأسروه، ثم أطلقوا سراحه بعد أن افتدى نفسه، والمماليك هم الذين وقفوا في وجه التتار الذين دمروا معالم الحضارة في المشرق الإسلامي، فأنقذوا الإسلام والمسلمين من الفناء والدمار وغير ذلك من تجهيز التجريدات للقضاء على ثورات العربان وفسادهم، ولم تقف سلطة المماليك مكتوفة الأيدي أمام عدوان العربان، وإنما خرجت الجيوش إلى الصعيد والبحيرة والشرقية والجزيرة للضرب على أيديهم، ومهما يكن من أمر تلك الحروب الدفاعية التي قامت بها سلطنة المماليك ضد تلك الأخطار، فإنها في نظرنا كانت حروباً استنزافية جاءت لتلقى أعباء ثقيلة على خزانة الدولة وبالتالي فإنها زادت الأوضاع الاقتصادية سوءاً فوق سوء<sup>(١)</sup>.

وقد كانت حرب التتار عندما تولى قطز<sup>(٢)</sup> أمور السلطنة من أهم المواقف التي أدت إلى حدوث أزمة اقتصادية خاصة في بداية حكم المماليك في مصر، ففي عام ٦٥٧هـ قرر قطز محاربة التتار عندما جاءته رسل هولاكو<sup>(٣)</sup>، فتم عقد مجلس حضره الأمراء وشاورهم قطز في الأمر، وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام، أن هولاكو قد استولى على البلاد، وأن بيت المال خال من الأموال، وقد ضاق الوقت عن استخراج الأموال من البلاد، وقد اضطربت الأحوال... واسترسل قائلاً إذا طرق العدو البلاد وجب على الناس قتاله، وجاز للسلطان أن يأخذ من أموال التجار وأغنياء الناس ما يستعان به على تجهيز العسكر لدفع العدو، لكن بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيء من السلاح، والسروج الذهب والفضة، والكنائش الزركش، والسيوف المسقطة بالذهب<sup>(٤)</sup>، وأن وقت القتال لم يبق للجندى سوى فرسه التي يركبها، وساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء، إلا أنه "إذا دهم العدو وجب على الناس كافة أن يدفعوهم بأموالهم

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.

(٢) هو سيف الدين قطز بن عبد الله التركي، أخص ممالك الملك المعز أيك التركمان، أحد ممالك السلطان الملك الصالح نجم

الدين أيوب، وهو محمود بن مودود بن أخت جلال الدين خوارزم شاه السلجوقي، راجع: العيني، عقد الجمان، ج ١،

ص ٢٥٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٠٥.

(٤) ابن إياس، المصدر نفسه والجزء نفسه، ص ٣٠٢.



أن يدفعوهم بأموالهم وأنفسهم<sup>(١)</sup>، فجمع قطز الأموال من الناس، فقرّر على كل رأس من أهل مصر والقاهرة من كبير وصغير ديناراً واحداً، وأخذ من أجره الأملاك شهراً واحداً، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلاً، وأخذ من الترك الأهلية ثلث المال، وأخذ على الغيطان والسواقي أجرة شهر واحد، وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء كثيرة، فبلغ جملة ما جمعه من الأموال، ستمائة ألف دينار وكسور<sup>(٢)</sup>، فأنفق ذلك على العسكر والعربان، وجهاز حاله<sup>(٣)</sup>، وقد استمرت جهود بيبرس في محاربة الصليبيين حتى وفاته عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م<sup>(٤)</sup>، وقد اتبع السلطان المنصور سيف الدين قلاوون سياسة بيبرس من حيث العمل على تقويض بناء الصليبيين بالشام، فعمل على عقد صلح لمدة عشر سنوات، ثم خرق قلاوون ذلك الصلح الذي سعى إليه بنفسه واسترد طرابلس ومات وهو يستعد لمحاربة الصليبيين في عكا<sup>(٥)</sup>، وفي عهد الأشرف خليل بن قلاوون تم حصار عكا والاستيلاء عليها، وظلت دولة المماليك تنهض بدورها كاملاً في مواجهة ومقاومة الحركة الصليبية<sup>(٦)</sup>، ولا شك أن أهم ما شغل الناصر محمد في سلطنته الثانية كانت الحرب ضد المغول بالشام حيث حلت الهزيمة بالجيش المملوكي قرب حمص عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<sup>(٧)</sup>، ولكن عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، ورد الخبر بهجوم غازان محمود ملك التتار على بلاد الشام فاهتم السلطان محمد بذلك، وجمع أمراؤه وشاورهم فقال لهم إني رجعت من التجريدة الأولى مكسوراً ولم يبق الآن في بيت المال لا دينار ولا درهم فمن أين أنفق على العسكر<sup>(٨)</sup>، فأشار عليه الأمراء بأن توزع هذه النفقة على المباشرين وأعيان التجار وأغنياء الناس<sup>(٩)</sup>، فندب الأمير سنقر الأعسر الوزير والأمير ناصر الدين محمد بن الشيخى وإلى القاهرة لجمع هذه الأموال من الناس فجمعوا من القاهرة والوجه القبلى والبحرى مائة ألف دينار<sup>(١٠)</sup>، ولا شك أن الأموال التى جمعت من الناس قد أثرت

(١) العيني، عقد الجمان، جـ ١، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٠٥، النويرى، لهية الأرب، جـ ٣٠، ص ١٥، المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ٥٢١،

طبعة بيضون، ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٣٠٥.

(٣) ابن إياس، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) د. محاسن محمد الوقاد، الهدايا والتحف زمن سلاطين المماليك البحرية، حويات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد ٢٨،

العدد الثاني، ٢٠٠٠م، ص ١٩١.

(٥) المرجع السابق، ص ١٩١.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٩١.

(٧) سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٠٨.

(٨) بيبرس المنصورى، زبيدة (الفكرة، تحقيق: زبيدة عطا، جـ ٩، ص ٣٣٤.

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٠٩.

(١٠) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٩٠٦.





على الحالة الاقتصادية لهم، فضلاً عن استنزاف الحملة الأولى لخزانة الدولة تماماً<sup>(١)</sup>، فقد كانت فتوحات الناصر محمد بن قلاوون سبباً في استنزاف موارد الدولة، ففي أيامه فتحت مدينة آمد وملطية، وتل حمدون، وقلعة النصير وقلعة نجمية... "وجرد في أيامه إلى البلاد الشامية والحلبية عدة تجاريد"<sup>(٢)</sup>.

وما حدث من تأثير الوباء ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١ م والذي أخذت تعاني منه البلاد، وزاد من حدته استنزاف الموارد المالية لدولة سلاطين المماليك في صد أخطار المغول، ولطرد بقايا الصليبيين<sup>(٣)</sup> التي ظلت جائحة على بلاد الشام<sup>(٤)</sup> فضلاً عن سياسة الحصار الاقتصادي التي فرضها الغرب الأوروبي على دولة سلاطين المماليك<sup>(٥)</sup>، ولا شك أن سلسلة الحروب الخارجية والداخلية التي شنتها دولة سلاطين المماليك كانت عاملاً له أثره الفعال في استنزاف مواردها المالية، ومقدمة بعيدة الأثر لإحداث الغلاء وندرة الأقوات، وما تلى ذلك من محاولة سلاطين المماليك، وأمرائهم لتعويض الخزانة من مكوس ورسوم ومقررات... وغير ذلك<sup>(٦)</sup>.

### إهمال الجسور والترع:

من العوامل البشرية التي تسببت في حدوث الأزمات الاقتصادية إهمال الجسور<sup>(٧)</sup>، وعدم

---

(١) عثمان على محمد عطا، المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٨٣.

(٣) د. على السيد على محمود، الفناء الكبير والموت الأسود، مج ٣٣، ص ١٦٨، د. الطاهر أحمد مكي، رمضان في مصر الملكية، مجلة الهلال، مايو ١٩٨٨ م، ص ٨.

(٤) د. سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٣٥ - ٣٦.

(٥) د. على السيد حسن، الفناء الكبير والموت الأسود، مج ٣٣، ص ١٧٩.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٦٨، د. سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٠٨.

(٧) الجسور عبارة عن سد ترابي يقام على حافة النهر أو الترعة ليحفظ الماء من أن يفيض على الجانبين ويفرق البلاد المحيطة، وهذه الجسور كانت تتم عملية حجز مياه الفيضان كما يستفاد منها في عملية ري البلاد بتنظيم سوق وصرف المياه عن الأرض، بالإضافة إلى تأمين البلاد من خطر الفيضان فتخترق المياه فيها.. لتروى الأحواض البعيدة عن مجرى النهر، فإذا تكامل ري ناحية قام أهلها بقطع الجسور المحيطة بها من أماكن معروفة لدى خولة البلاد ومشايخها، ولمزيد من التفاصيل انظر: مجدى عبد الرشيد بجر، القرية المصرية، ص ١٧٨، ابن مباتي، قوانين الدواوين، ص ٢٣٢، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٦٣٩، قاسم عيده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٣.



تظهر الترع والخلجان ما سبب أضرار بالغة للحياة الزراعية<sup>(١)</sup>، هذا وللجسور أنواع مختلفة منها:

[١] الجسور السلطانية. [٢] الجسور البلدية. [٣] جسور الطوارئ.

الجسور السلطانية: هي الجسور العامة النفع<sup>(٢)</sup> لكل الأراضي الزراعية المصرية في أنحاء البلاد<sup>(٣)</sup> وتعمر في كل سنة من الديوان السلطاني، فالجسور السلطانية جارية مجرى سور المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارتها، وجرت العادة أن يجهز لكل عمل في كل سنة أميراً لعمارة الجسور، ويطلق عليه لقب كاشف الجسور<sup>(٤)</sup>.

الجسور البلدية: وهي الخاصة ببلد دون بلد أي خاصة النفع<sup>(٥)</sup> وتسمى أيضاً الجسور المحلية<sup>(٦)</sup> ويتولى عمارتها المقطعون والفلاحون<sup>(٧)</sup> بما ينفقوه فيها من عندهم، ولها ضرائب مقررة في كل سنة<sup>(٨)</sup>، فالجسور البلدية جارية مجرى الدور والمساكن التي داخل السور<sup>(٩)</sup>، فكل صاحب دار ينظر في مصلحته ويلتزم تدبير أمره فيها<sup>(١٠)</sup>، ولقد حرص العرب بعد فتحهم لمصر على الاستفادة من خيراتها، فنجد عمرو بن العاص يسأل المقوقس حاكم مصر قبيل الفتح الإسلامي عن كيفية عمارة مصر فكانت إجابته "أن تحفروا خلجانها وتسدوا جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها إلا

---

(١) عن المصريين من القدم بحفر الترع وإقامة السدود لضمان الانتفاع بمياه النهر، سواء كان الفيضان مرتفعاً أو منخفضاً وفي ذلك يقول استرابون أن انصراف المصريين إلى شئون النهر قد وصل إلى حد أنهم يقهرون الطبيعة بالجد، وأن النهر يروى من الأرض في الفيضان المنخفض مثل ما يروى منها الفيضان المرتفع بواسطة الترع والجسور، راجع: د. محمد حمدي الناري، لهر النيل في المكتبة العربية، ص ١١٩.

(٢) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ١٠١.

(٣) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٣ - ٢٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٤، المنوى، الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد، ورقة ٤٨، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٣٢.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٥.

(٦) د. راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ص ٦٥.

(٧) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ١٠١.

(٨) القلقشندي، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٩) المقریزی، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(١٠) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٣٢، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٥، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك،

ص ١٢٩، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٤.

- Quatrimere: Histoire de Sultans Mamlouks de L'Egypte, Paris 1837, V 2, PP. 152 - 153.



من غلتها"<sup>(١)</sup>، ولقد أدرك عمرو بن العاص هذه الحقيقة فعندما أرسله رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يصف له إقليم مصر وكيفية عمارتها فكتب له "وأن يصرف ثلث ارتفاعها - خراجها - في عمل جسورها وترعها"<sup>(٢)</sup>.

على كل حال فإن أمر صيانة هذه الجسور<sup>(٣)</sup> سلطانية كانت أم بلدية كانت مسألة حيوية لضبط النهر وحفظ البلاد إبان الفيضان "... لئلا تقطعها المياه فتصير البلاد باثرة..."<sup>(٤)</sup>.

الجسور الطارئة: كما كانت هناك جسور دائمة، كانت هناك جسور أخرى تنشأ لمواجهة الطوارئ وحالات طغيان مياه النهر تجاه ساحل القاهرة ومن ثم يلزم إنشاء جسر يحول المياه من ساحل الجيزة إلى ساحل القاهرة، هذا وقد كانت هذه الجسور تظل قائمة حتى مجيء الفيضان فتجرفها المياه وتتجدد عنده الحاجة إليها<sup>(٥)</sup>، ولقد ظل الاهتمام بحفر الترغ وإقامة السدود طوال تاريخ مصر حتى العصر المملوكي، لكن هناك فترات أهمل فيها هذا الأمر، مما أثر بالسلب على اقتصاد مصر، ففي عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع، "وفسد من ذلك مواضع لقلعة الاعتناء بالجسور"<sup>(٦)</sup>، هذا بالإضافة إلى أنه تقطعت منية الشيرج وقلوب ... "وفر أهلها وتلفت أموالهم وغلاهم، فركب متولى القاهرة وغلقت سائر الخوانيت والأسواق، واخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقي من الجسور"<sup>(٧)</sup>، وفي عام ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م كان قاع النيل في هذه السنة ستة أذرع وعشرين إصبعاً، وكان الوفاء في الأربعاء تاسع شعبان وثامن مسرى، وانتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً، ففرقت الأقصاب والمعاصر وكثير من شون الغلال وصارت المراكب لا تجد براً تضرب فيه الوتد من قوص إلى القاهرة، وغرقت الفيوم لانقطاع جسورها وتوجه الأمير بكتمر الحسامي لعمارته<sup>(٨)</sup>، وفي عام

(١) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ١٢٠.

(٢) ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ ١، ص ٣٣.

(٣) كانت تتم صيانة هذه الجسور عن طريق دعمها باستمرار بالتراب والشقاف، وتثبيتها باللبش (جمع لبشة وهي حزم القش وسيقان النبات اللين) والمداومة على ذلك حتى يزول الخوف من خطر الفيضان. النظر: قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٥.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢٩.

(٥) ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ١٣، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٤.

(٦) المقریزی، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٧١-١٧٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.



٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م انقطع مقطع بالقناطر على جسر شبين ... وتم سد المقطع<sup>(١)</sup>، وعلى ك حال فان العديد من مؤرخي عصر سلاطين المماليك كانوا يعددون المنشآت الخاصة بضبط النهر، والتحكم في مياهه باعتبارها من مآثر السلطان الذي أنشأها، إلا أن ذلك لا ينسحب على كل السلاطين فقد تعرضت هذه المرافق للإهمال في الفترات التي يكون السلطان فيها ضعيفاً، وفي أوقات الفتن والمنازعات الداخلية<sup>(٢)</sup>، ففي عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م حدث أن باع الولاة الجرايف المستخدمة في صيانة الجسور وأهملوا الجسور فنحرت النواحي، وامتد آذاهم ليلحق بالفلاحين<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٧٥٥ هـ / ١٣٤٩ م بلغ منسوب النيل عشرين ذراعاً وعدة أصابع، ففسدت المحاصيل وقطعت الجسور، وتهدمت المنازل وغرقت البساتين وفاض الماء على جانبي النهر والترع، هذا وقد شاركت الجسور تدهورها والترع بالإضافة إلى ارتفاع قاع النهر وارتفاع منسوب المياه في مقياس الروضة<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م انقطع من الجسر الذي عند قناطر الأوز مقطعاً، وسبب ذلك أن الأمير أحمد بن قايماز استادار الأمير أقبغا آص، عمل بركة بجوار الخليج من شرقية ليجمع فيها السمك أيام النيل وفتح لها من جانب الخليج مجراه يدخل منها الماء، فقوى الماء واتسع الحرق، حتى فاض الماء وأغرق دور الحسينيه، وساح عليها الماء، فأنهدم منها نحو ألف دار<sup>(٥)</sup>، ولاشك أن أحداث قطع الجسور وعدم الاهتمام بها وصيانتها ومراعاتها أنه ناتج عن الأزمات الاقتصادية التي كانت تحدث بين الحين والحين في ظل حكام وسلاطين وأمراء ضعاف، لا يهتمهم غير انغماسهم في اللهو والملذات تاركين البلاد والعباد وأحوالهم، تتخبط بهم الظروف والأحوال السيئة التي أحاطت بهم من كل اتجاه، فقد تركت هذه الأزمات أثرها على عمارة الجسور فالجسور البلدية ترك الناس عمارتها، واقتصرت عمارة الجسور السلطانية على الشئ اليسير الذي لا يحدث به نفع كبير، وصار النيل إذا تجاوز ١٩ ذراعاً فما فوقها إلى ٢٠ ذراع لا يحدث استبحار، ولا فيضان كما كان يذكر المؤرخون أنه "إذا جاء النيل ١٨ ذراع، استبحر من أراضيها الثلث بل إن لم يزد النيل عن ١٩ أو ٢٠ ذراع لفات ري أكثر البلاد وتعطلت زراعتها وإلا فقد كان النيل في الغالب يقف على سبعة عشرة ذراعاً فما

(١) المقرئزي المصدر السابق، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٧٢.

(٢) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٣.

(٣) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٣، ص ٨١١، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٨.

(٤) فائق عز الدين، المرجع السابق، ص ٣٣٩.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ١٦٥، ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، جـ ٣، ص ٥٠٦.





حولها"<sup>(١)</sup>، وبصفة عامة يمكن القول أن الفترة من ٧٥١هـ/١٣٥٠م إلى نهاية العصر المملوكي البحري وما بعد ذلك تميزت بفيضانات عالية وصل فيها ارتفاع الفيضان إلى عشرين ذراعاً وارتفع منسوب الري أيضاً نتيجة ارتفاع الأرض الزراعية لحدوث الترسيب السنوي للطمي المجلوب مع مياه النهر، وهذا ما حدث في نهاية عصر المماليك البحرية من تقطيع الجسور واستبحار بعض الأراضي وغرق بعض الضياع.

### انحيار النظام الإقطاعي:

لم تعرف مصر النظام الإقطاعي العام إلا في العصر الأيوبي، لقد طبق النظام الإقطاعي في مصر في العصر الأيوبي على يد صلاح الدين، والإقطاع الحربي يقترون بما يؤديه المقطع من خدمات حربية ويخضع لسيطرة الحكومة المركزية، ومن النادر أن يكون وراثياً أو أن يبذل مدى الحياة.

ورث المماليك هذا النظام عن أسيادهم الأيوبيين، وبلغ درجة عالية من التنظيم خاصة في أوج دولة المماليك وأصبحت له مظاهره المتعددة، وخصائصه الثابتة التي جعلت منها دولة إقطاعية حربية"<sup>(٢)</sup> هذه الدولة استطاعت التصدي لأكبر خطرين حاولا القضاء على العالم الإسلامي، وهما الخطر المغولي والخطر الصليبي، بل واستطاعت هزيمتهما وإخراجهما من البلاد الإسلامية.

هذا وقد جعل النظام الإقطاعي مصر دولة حربية قوية تحشاها أي دولة في العالم في ذلك الوقت هذا بالإضافة إلى أنه كان يلبي احتياجات الدولة المادية، هذا وقد تدهور النظام الإقطاعي نتيجة عدم توريث الإقطاع وتغييره كل فترة، فبعد أن كان الإقطاع وراثياً وثابتاً، ألغى ذلك وأصبح الإقطاع يتغير بتغير وظيفة صاحبه، وكان السلاطين يقصدون من وراء ذلك عدم التمكين لنفوذ أي من الأمراء الذي سيزداد إذا ما استقروا فترة طويلة في إقطاعات دائمة، وكانت هذه السياسة كارثة على الاقتصاد المصري إذ كان يعلم صاحب الإقطاع مسبقاً أنه لن يستقر به طويلاً، ولذا لم يوجد له أي اهتمام أو رعاية حقيقية، وأهملت وسائل الري والصرف، ولم يعمل على تحسينها، فقلت إنتاجية الأرض الزراعية"<sup>(٣)</sup> وساعد على ذلك أيضاً حرص كل صاحب إقطاع على أن يكون لنفسه الثروة بقدر الإمكان قبل أن يؤخذ منه الإقطاع.

(١) القلفشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) محمد رجائي ريان، الإقطاع العسكري في العصر المملوكي والعثماني، مجلة الدارة، عدد ٢، ١٩٨٨م، ص ٢٦.

(٣) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٩٨.



وقد كان اتساع نظام الوقف من العناصر الفاسدة التي دخلت على النظام الإقطاعي فأفسدته، فلقد حرص سلاطين المماليك والأمراء على المحافظة على ثرواتهم لأنفسهم وذرياتهم من بعدهم، فلجئوا إلى تحصينها بنظام الوقف مدفوعين بأحاسيس دينية وعوامل سياسية<sup>(١)</sup>.

وقد أدى ذلك إلى وجود مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وقفت من قبل السلاطين والأمراء على المساجد والمدارس والخوانق، وأولاد الملوك وغيرهم، وترتب على ذلك قلة خراج الأراضي<sup>(٢)</sup> وإيراد بيت المال، لأنها كانت معفاة من الضرائب المختلفة، وأدى أيضا إلى اعتماد كثير من الجنود على الرواتب التي يأخذونها من بيت المال بدلاً من الإقطاع مما سبب أزمات اقتصادية مستمرة، هذا بالإضافة إلى توزيع الإقطاع في عدة أقاليم فالمقريزي يذكر أنه في أثناء الروك الناصري مكن الكتاب الأقباط "فبدأوا بأن اضعفوا العسكر المصري ففرقوا الإقطاع الواحد في عدة جهات فصار بعض الجبى في الصعيد وبعضه في الشرقية وبعضها في الغربية أتعابا للجندي وتكثيراً للكلفة"<sup>(٣)</sup>، وكانت الدولة تهدف من وراء ذلك إلى عدم إقامة أرستقراطية إقطاعية، والحد من نفوذ الأمراء عن طريق عدم استقرارهم مدة طويلة في إقطاعهم مما جعلهم يستزفون الإقطاع دون النهوض به<sup>(٤)</sup>، هذا بالإضافة إلى إهمال حالة الزراعة والفلاحين نتيجة لتغير الإقطاعات فلم يعد المقطع يهتم بأحوال الفلاح، بل كان يستزفها، ولا يهتم بأحواله، ولم يقدم للفلاح أي مساعدات للنهوض بإنتاجه واستصلاح البائر منها، بل قام المقطعون برفع القيمة الإيجارية للفدان إلى ستة أمثال، كل ذلك أدى إلى هروب الفلاحين من الأراضي الزراعية، فقل إيراد تلك الأراضي.

### سياسة الاحتكار التجاري:

الاحتكار نظام موجود منذ القدم فقد عرفته مصر منذ مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وحتى سقوط دولة المماليك، والاحتكار هو جمع السلع لينفرد بها صاحبها بالتصرف فيها، وقد حذر ابن خلدون من جراء عملية الاحتكار ومفاسده "إن احتكار الزرع لتحسين أوقات الغلاء مشئوم لأنه

(١) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٩١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩١.

(٣) المقريزي، الخطط، ج ١، ص ١٤٤.

(٤) البيومي إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة

١٩٩٧م، ص ٢٣١.



يعود على الزرع بالتلف والخسران وذلك لأن الناس يبذلون الأموال مضطرين وتبقى نفوسهم متعلقة بما أنفقوا وهذا يعتبر أيضا أخذ لأموال الناس بالباطل<sup>(١)</sup>، هذا وقد ترتب على سياسة الاحتكار حدوث الضرر على الاقتصاد المصري، فاهتمت الزراعة والصناعة، بسبب امتناع الكثير من الناس من الاشتغال بها لعدم الربح منها أو الاطمئنان عليه، فتقلص الإنتاج ولم يعد يكفي حاجات الناس، وقد قام بتلك السياسة التجار ومعهم قليل من الأمراء لزيادة الربح، وقد كان هذا يحدث في الغلال حتى يقل وجودها في الأسواق، مما يؤدي إلى تزاخم الناس على شرائها بأسعار مرتفعة يحددها أولئك التجار، بالإضافة إلى الدولة التي تقوم هي الأخرى بسياسة الاحتكار، وقد كانت تلك السياسة تتسبب في وجود الغلاء والمجاعات، فقد كانت تحتكر الغلال ويبيعها الأمراء للناس بما حددوا من الأثمان، ومن ذلك أيضا "زكاة الغلال" أي توفيرها في شئون السلطان والأمراء على حساب العامة كما أن سوء تدبير الحكام وإغفالهم مصالح الناس كان من بين الأسباب التي تخلق هذه الأزمات<sup>(٢)</sup>.

### طرح البضائع:

من العوامل المؤثرة في حدوث الأزمات الاقتصادية نظام طرح البضائع أو الرمايات (البيع الإجباري) وذلك النظام يقوم على أساس أن تفرض الدولة ممثلة في السلطان بضائع مختلفة بالسعر الذي تراه وبالكمية التي تريدها بغض النظر عن حاجة الأسواق، ولم يكن للتاجر حق الرفض، أو حتى المساومة على الأسعار<sup>(٣)</sup>.

وهناك العديد من الأمثلة التي توضح الأنواع المختلفة من البضائع التي كانت تطرح على التجار وتبين في نفس الوقت الضرر الذي كان يلحق بهم ورد فعلهم تجاهه ومن هذه الأمثلة:

في عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م حين اشتد الأمر على التجار لرمي البضائع عليهم بزيادة الأثمان<sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٧٩.

(٢) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٤١-٤٢، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٢.

(٣) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٨، حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ١٨٣، قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر، ص ٦٣.

(٤) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٨، لبيبة إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٣٩.



وفي عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م طلب النشو<sup>(١)</sup> تجار القاهرة ومصر، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته ... وكان ظلوماً غشوماً فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار وطرح عليهم قماشاً، واستدعى به من الإسكندرية بثلاثة أمثال قيمته وأخرى بمن عارضه منهم، وحمل النشو من هذا وشبهه أموالاً عظيمة للسلطان<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م حدثت أزمة بسبب احتكار التجار لبيع الغلال، ولم تلبث معظم السلع الغذائية أن اختفت من الأسواق وارتفعت أثمانها<sup>(٣)</sup> وعلى جلاء ذلك قام النشو عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، بأخذ عدة مخازن للتجار، وأخرج ما فيها من البضائع وطرحها بثلاثة أمثال قيمتها ولم يسلم من ذلك حتى المارستان حين ألزم السلطان ناظر الوقف بقبول حديد بخمسين ألف درهم للوقف<sup>(٤)</sup>، وقد كان نظام طرح البضائع يؤدي غالباً إلى ارتفاع الأسعار في المواد المطروحة على التجار، وذلك لأن الدولة كانت تحتكر هذه المواد حتى تتمكن من السيطرة على أسعارها، ففي عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م في عهد الناصر محمد بن قلاوون ارتفع سعر اللحم، وذلك بسبب قيام النشو باحتكار تجارة الأغنام، واستيرادها من حلب بالشام، وطرح الأبقار التي كانت تستخدم في سواقي القلعة على التجار، وكانت قد ضعفت وعجزت ولم يبق صاحب حانوت حتى خصه منها شيء على قدر حاله<sup>(٥)</sup>، فنتج عن ذلك خسارة كبيرة لهؤلاء التجار، وفي عام ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م أوقع النشو بالناس الظلم فطرح ما عنده من البضائع على الناس بمصر والقاهرة، حتى زلزلهما بكثرة العقوبة ولم يراع أحداً، ورتب جهاته من سمن وسكر وعسل وقند وقماش وخشب يطرحه على الناس، وعمل أوراقاً بمظالم اقترحها بلغت جملتها خمسمائة ألف دينار ومائة ألف أردب غلة<sup>(٦)</sup>، والسبب في ذلك أن زوجة السلطان قرب وضع حملها بعث السلطان إلى أبيها الأمير تنكز نائب الشام ومعه أهله وأولاده من أجل حضورهم (الولادة) ابنته وتقدم السلطان إلى النشو "بعمل بشخاناه ودايربيت من حرير مخمل ... وان يجهز ما تحتاج إليه النفساء وما يحتاج إليه

(١) هو عبد الوهاب بن فضل الله القاضي شرف الدين ناظر الخاص المعروف بالنشو كان هو والدة وإخوته يخدمون الأمير بكنتمر الحاجب، فلما انفصلوا من عنده أقاموا بطالين مدة، ثم استخدم النشو هذا الأمير ايدغمش أمير أخور، فأقام بخدمته إلى أن رآه الناصر محمد بن قلاوون، ورتبه مستوفياً في الجيزية، ثم نقله إلى استيفاء الدولة ومنها إلى ناظر الخاص بالإضافة إلى ديوان ابن السلطان، وكان ظلوماً غشوماً، وفتح أبواب المصادرات ولمن كان معه مال، وازداد شره أضعافاً مزيد من التفاصيل أنظر: بن تغري بردي الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج ٧، ص ٣٩١-٣٩٢.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٣٦٠.

(٣) المقرئى، المصدر نفسه، ج ٢، ق ٢، ص ٣٩٤.

(٤) المقرئى، المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ق ٢، ص ٤٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ق ٢، ص ٤٦١.





المهم مما يبلغ زيادة ثلاثمائة ألف دينار"<sup>(١)</sup>، من هنا يمكن تفسير ما فعله النشو مع الناس من أجل تسديد ما طلبه السلطان، عمت مضرة النشو الناس جميعاً، "وانتهى إليه عدة من الأشرار ونموا على الكافة من أهل الوجه القبلي والبحري... فدهى الناس منه بلاء عظيم"<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، اشتدت وطأة النشو على الناس، وابتكر العديد من المظالم التي لم يسبق لها مثيل وهي انه ألزم أهل الصاغة ودار الضرب ألا يبتاع أحد منهم ذهباً، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب ويضرب دنانير هرجه"<sup>(٣)</sup> ثم تصرف بالدراهم فجمع من ذلك مالا كثيراً للديوان، وتتبع النشو الذهب المضروب في دار الضرب، فأخذ ما كان منه للتجار والعامة، وعوضهم عنه بضائع، وحمل ذلك كله للسلطان، وانحصر ذهب مصر بأجمعه في دار الضرب فلم يجسر أحد على بيع شئ منه في الصاغة ولا غيرها"<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك من المظالم المتعددة.

يبدو أن إجراء طرح البضائع كان يتبع من حين لآخر نتيجة لرغبة الدولة في مواجهة متاعبها المالية، ومن ناحية أخرى كانت الدولة تلزم التجار بتسديد أثمانها في الحال مما كان يسبب لهم كثيراً من المتاعب"<sup>(٥)</sup> كما كان من عوامل الكماش حركة الأسواق الداخلية إذ كان من الطبيعي أن يحاول التجار تعويض ما تكبدوه من أموال في هذه البضائع المفروضة عليهم عن تحقيق نسب من الربح، وهو ما كان يؤدي بالضرورة إلى ارتفاع الأسعار وكساد حركة الأسواق"<sup>(٦)</sup>.

ولا شك أن المستشرق أشتور يرى أن فترة حكم دولة المماليك البحرية كانت بمثابة فترة اضمحلال بالنسبة للنشاط التجاري"<sup>(٧)</sup> ليس لفئة معينة بعينها، وإنما جميع تجار الدولة سواء

---

(١) المقرئزي، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ٣٦٠.

(٣) الهرجه: ويقال هرج أيضا جمع هرج، وهي دنانير تستعمل خاصة في الحلبي كالأساور والعقود وغيرها، بأن يصاغ في أطرافها حلقات صغيرة أو يجعل في جوانبها ثقب كما هو الحال في تركيب بعض الحلبي الذهبية والفضية أيضا حتى العصر الحاضر في مصر، راجع: المقرئزي، المصدر السابق، ج ٢، ق ٢، هامش ٤، ص ٣٩٣.

(٤) المقرئزي، المصدر نفسه، ج ٢، ق ٢، ص ٣٩٣.

(٥) د. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٦٤.

(٦) المرجع نفسه، ص ٦٥.

(٧) Ashtor, History of Jews, I, p 186.



مسلمين أو يهود من التجار عامة في مجال التجارة الداخلية، وهذا يرجع إلى ازدياد الاحتكار التجاري الذي تأسس على فرض قيود الدالين<sup>(١)</sup>.

هكذا تعددت الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك الأزمات التي تعددت هي الأخرى لتكون في مجموعها أحداث مختلفة يجب التوقف عندها لمعرفة الأحوال التي كانت تمر بها البلاد من سياسية واقتصادية واجتماعية تفاعلت مع بعضها البعض بل تشابكت لتؤدي بدورها بالضرورة لاختلال في أحوال المجتمع وهو ما وضح وسبق ذكره.

---

(١) الدالون: جمع دلال وهو الشخص الذي يتوسط بين البائع والمشتري، الظر: الشيورى، لهایة الرتبة، هامش ١، ص ٦٤ عن محاسن الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، هامش ٣، ص ١٨٨.



## الفصل الثاني

### تأثير الأزمات الاقتصادية على النواحي الإدارية والمالية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

- ١- نظم الحكم والإدارة ودور الوظائف في حدوث الأزمات
- ٢- تأثير الأزمات الاقتصادية على الموارد المالية للدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية.

#### أ- الإقطاع

- ب- تأثير الأزمات على الخراج
- ج - تأثير الأزمات على الزكاة
- د- تأثير الأزمات على المكوس
- هـ- تأثير الأزمات على الجوالى (الجزية)

#### و - الموارىث الحشرية

#### ز- المصادرات

- ٣- أثر الأزمات الاقتصادية على المصروفات في الدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية.
- ٤ - أثر النظام الإقطاعي على الفلاحين
- ٥- أثر الأزمات الاقتصادية على مرافق البلاد المرتبطة بالري والزراعة
- ٦- أثر الأزمات الاقتصادية على الأوقاف.



## الفصل الثاني

### تأثير الأزمات الاقتصادية على النواحي الإدارية والمالية في

### العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

#### أولاً: نظم الحكم والإدارة ودور الوظائف في حدوث الأزمات:

لا شك أن البحث في نظم الحكم والإدارة والنواحي المالية في أي عصر من العصور وبأي دولة من الدول يتطلب من الباحث الدقة والحذر في مراعاة جميع العوامل التاريخية المختلفة المرتبطة والمحيط بها في آن واحد، ذلك لأن نظم الحكم والإدارة من مالية أو إدارية أو حربية كالكائن الحي تتحرك وتنمو وتتطور كسائر الكائنات الحية لذلك لا بد من رعايتها.

من هذا المنطلق لا بد من ذكر التحليل السياسي الذي ذكره بن تغري بردي لمكونات الدولة الزنكية التي قامت في حلب والموصل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر والتي تفرعت عنه سائر الدول "وبنو زنكي هم أوسط الدول، فإن أول من ملك مع الخلفاء العباسيين وتلقب بالسلطان والألقاب العظيمة هم بنو بويه، ثم أنشأ بنو بويه بنى سلجوق، وأنشأ بنو سلجوق بنى أرئق وأق سنقر جد بنى زنكي هؤلاء، ثم أنشأ بنو زنكي أعنى الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بنى أيوب سلاطين مصر وغيرها"<sup>(١)</sup>.

فبنو بويه<sup>(٢)</sup> هم أصحاب أول دولة مستقلة قامت دولتها إلى جانب الخلافة العباسية في بغداد نفسها من عام (٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥-١٠٥٥ م)، وقد أعطت الدولة البويهية<sup>(٣)</sup> للخلافة العباسية الكثير من المظاهر الفارسية التي جاءت بها من موطنها الأصلي بين ما نشأ في بغداد من

---

<sup>(١)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٧٩، د. حسين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م، ص ٥.

<sup>(٢)</sup> بظهور بنى بويه من الديلم واستبدالهم بالسلطان إزداد النفوذ الفارسي الذي كان قد أخذ في الظهور منذ قدوم العباسيين من الشرق واستبدالهم على الخلافة، راجع د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٨ م، ص ٦٢.

<sup>(٣)</sup> عن قوة الدولة البويهية: راجع: د. فتحى أبو سيف، خراسان تاريخها السياسى من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ص ١٣٤ ص ١٣٥ إلى ص ١٣٩.





تقاليد، وبين العناصر الفارسية البويهية<sup>(١)</sup>، ومعنى آخر أن الخلافة العباسية اقتبست الكثير من المظاهر الفارسية من الدولة البويهية، أما خلفاء بني بويه من السلاجقة<sup>(٢)</sup> فهم الذين أثروا في الشرق الأوسط عامة في أوائل عصر الحروب الصليبية<sup>(٣)</sup> وقد كان الأساس التاريخي في بناء وتكوين الدولة الأيوبية هما الدولة النورية في دمشق والدولة الفاطمية في القاهرة<sup>(٤)</sup>.

وهناك من يقلل من تأثير الفاطميين على تكوين الدولة الأيوبية أمثال، القلقشندي الذي قال "واعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية خالفتها في كثير من ترتيب المملكة وغيرت غالب معالمها، وجرت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكي بالموصل، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام، وما معه"<sup>(٥)</sup>.

والفقرة السابقة توضح أن الأيوبيين أدخلوا من النظم الجديدة ما يختلف إلى حد بعيد عما كان معروفاً أيام أسلافهم الفاطميين، والذي لا شك فيه أن العناصر الحضارية العديدة والجديدة التي جاء بها الأيوبيون تعتبر أكثر ارتباطاً بما هو معروف عند السلاجقة وأتباعهم من الأتابكة<sup>(٦)</sup> الزنكيين والنوريين<sup>(٧)</sup> وهذا دليل على ما ذكره ابن الطوير عندما قال "استحدث الفاطميون أموراً كثيرة في نظام الحكم لم تكن قبلهم، كما أن الأيوبيين استمدوا نظام دولتهم من نظام الأتابكة

(١) د. حسين ربيع، المرجع السابق، ص ٥.

(٢) باستيلاء السلاجقة على السلطة في الدولة العباسية دخل العالم الإسلامي في طور مهم من أطواره، وأهمية السلاجقة ترجع إلى أن عصرهم كان إيذاناً بتغلغل العناصر التركية في العالم الإسلامي، ذلك التغلغل الذي أدى بالسلاجقة ومدرى الأمر لهم إلى اتخاذ أنظمة جديدة تنظم أوجه نشاط الدولة وإدارتها، وقد بلغت هذه الأنظمة آخر مراحل تطورها ونموها في عصر المماليك. راجع: د. حسن الباشا، الألقاب، ص ٦٢ ولزبد من التفاصيل عن دولة السلاجقة راجع: الأصفهاني: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات بمصر، سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، ص ٥ إلى ص ٣٠.

(٣) د. حسين ربيع، المرجع السابق، ص ٦.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥.

(٦) الأتابك وتألف من كلمتين تركيتين هما "أطا" بمعنى أب و"بك" بمعنى أمير وأن أصلها أتابك بمعنى الولد الأمير أو أمير أب أو الأب الأمير، ومن المحتمل أن وظيفة الأتابك نشأت في المجتمع التركماني القديم متمشية مع نظمه الاجتماعية وتقاليد وعاداته، وكانت مهمة الأتابك هي الوصاية على أولاد السلطان ورعايتهم وتربيتهم، وكانت هذه الوظيفة مقصورة في معظم الأحيان على الأمراء الترك وأول من لقب بذلك نظام الدولة وهو وزير السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب أرسلان، حين فوض ملك شاه إلى وزيره نظام الملك تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربع مائه، ولقبه بالألقاب منها هذا.. وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل.. مزيد من التفاصيل راجع: د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ١، دار النهضة العربية، سنة ١٩٦٥م، ص ٣ إلى ص ٢٤، القلقشندي صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨.

(٧) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة - تونس، ص ١٠.



والسلاجقة وكانوا أصل الدولة التركية بحيث أن الممالك لم يدخلوا تغييراً كبيراً على أسلوب الحكم وجهاز الإدارة الأيوبي<sup>(١)</sup>.

وهناك من يرى أن الأنظمة الأيوبية كانت بحق مزيجاً من الحضارتين العباسية والفاطمية كونتها الظروف المختلفة التي نشأت فيها السيادة الأيوبية، وقد كان لصالح الدين من خلال نشأته وحياته وظروف أسرته، أكبر الأثر في تشكيل نظم الإدارة والحكم في مصر كوزير للخليفة الفاطمي الشيعي، وفي الوقت نفسه يدين بالتبعية لنور الدين محمود صاحب المذهب السني، وعلى الرغم من أنه قضى على المذهب الشيعي من حيث العقيدة والفلسفة، إلا أنه أبقى بحكمته السياسية على الأنظمة الإدارية وسائراً بها إلى حيث انتهى الفاطميون<sup>(٢)</sup>.

وعندما تحولت مصر إلى المذهب السني تبعت الخلافة العباسية في بغداد، فساد فيها الأنظمة العباسية التي كانت منتشرة في العالم الغربي من الخلافة العباسية في أعقاب السلاجقة والأتابكة، وسواء كان هذا أم ذاك فقد دخلت مصر هذه الأنظمة على يد صلاح الدين الأيوبي وأسرته وأعوانه الذين كانوا قد عرفوا كل شيء عن مسائل الحرب والسياسة، إذ أن الأسرة الأيوبية قبل انتقالها إلى مصر كانت ذو خبرة واسعة عن الإدارة العباسية في بغداد<sup>(٣)</sup> والركنية في الموصل<sup>(٤)</sup> والبورية في دمشق<sup>(٥)</sup> والنورية في حلب<sup>(٦)</sup>.

ومن المظاهر التي أقتبسها الأيوبيون من العباسيين واستحدثوها في مصر والتي كانت تعتبر في الوقت نفسه أساساً للأنظمة المملوكية فيما بعد سيادة العناصر التركية التي حاول الفاطميون عبثاً إضعافها<sup>(٧)</sup> وكرهها المصريون<sup>(٨)</sup> وتغلغل النفوذ الفارسي في نظم الحكم والإدارة، بالإضافة إلى إدخال نظام الإقطاع الحربي<sup>(٩)</sup> إلى جانب إنشاء المدارس بعد انتشار المذهب السني.

<sup>(١)</sup> ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسرائي، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد،

دار النشر: فرانس شتاتير شتوتغارت، سنة ١٩٩٢، ص ٥٣-٥٤.

<sup>(٢)</sup> د. حسن الباشا، الألقاب، ص ص ٧٦-٧٧.

<sup>(٣)</sup> المقريري، الخطط، ج ٢، ص ٢٣٣.

<sup>(٤)</sup> أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ص ص ٢١٠-٢١١.

<sup>(٥)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ١٠٠.

<sup>(٦)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(٧)</sup> المقريري، الخطط، ج ١، ص ٩٤.

<sup>(٨)</sup> أبو شامة، المصدر نفسه، ج ١، ص ص ١٨١-٢٤٠.

<sup>(٩)</sup> المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٩، ج ٢، ص ١٦٧.



ويمكن القول أن الأسرة الأيوبية كانت بأعمالها وأنظمتها، وطرق حكمها، وتوزيع الولايات بين أفرادها تسير على منهاج الأسرة السلجوقية نفسها، واتخذ صلاح الدين الأيوبي، نور الدين قدوه له في تدينه وجهاده وإدارته لدولته، وبذلك هذا حدوه في إصلاحاته الإدارية، ونشره للعلم ومحابته للعلماء، ومعاداته للصليبيين، ولا شك أن استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس قد أضاف إلى الأيوبيين خبره أفادهم في إدارة دولتهم الجديدة<sup>(١)</sup>.

وأعتقد أن الأيوبيين قد أخذوا معظم نظم الحكم والإدارة من أسلافهم السلاجقة والزنكية والدليل على ذلك أن نظام الحكم والإدارة في العصر الأيوبي كان قائماً على أساس النظام الإقطاعي الذي أخذه الأيوبيين من أسلافهم السلاجقة، وورثوا عنهم جميع نظم الحكم والإدارة المتمثلة في نظام الإقطاعي الإداري والحربي، ولم يكن للفاطميين دخل إلا القليل في نظام الحكم والإدارة.

وقد كان المدخل الطبيعي لنظم الحكم والإدارة هو النظام الإقطاعي الذي كان أساس ذلك العصر، ولكننا سوف نترك الحديث عن هذا النظام قليلاً لأنه سوف يدخل ضمن نطاق موارد الدولة المالية (موارد دخل الدولة الأيوبية - المملوكية البحرية) حتى لنجنب البحث مادة التكرار.

وعندما نتكلم عن نظام الحكم والإدارة في مصر في عصري الأيوبيين والمماليك البحرية علينا أن نعي جيداً أن هذه البلاد عريقة في تاريخها وحضارتها، وأن لها تراثاً إدارياً وتنظيماً يتفق مع أصولها الحضارية<sup>(٢)</sup>.

وكان من المتعذر على دولة جديدة تقوم على أرض مصر والشام مثل الدولة الأيوبية، ومن بعدها خليفاتها الدولة المملوكية بعصريها البحري والجركسي أن تتنكر لهذا التراث الحضاري الذي هو ثمره خبره الأيام وحصيلة تجارب الدهور، وإنما كانت مضطرة إلى الإبقاء على عناصر أساسية منه، وتعديل عناصر أخرى، ثم لا مانع من إدخال عناصر جديدة.. كل ذلك مع عدم قطع الجذور الممتدة في أعماق التاريخ<sup>(٣)</sup>.

(١) د. حسن الباشا، الألقاب، ص ٧٨.

(٢) د. سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ١١.

(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة.



أقام الأيوبيون دولتهم ليجدوا النظام الذي وضعه الفاطميون لحكم البلاد وإدارتها، هذا النظام له معالمة وأركانه الثابتة في عديد من الموظفين وفي كثير من الدواوين<sup>(١)</sup> وعلى رأس هذا النظام الإداري (جهاز الحكم) نجد السلطان<sup>(٢)</sup> وقد كان هذا اللقب يطلق على السلاجقة كلقب عام وقد ورثته أسرة زلكي ثم أخذ يتوارث في أسرته<sup>(٣)</sup> ومهما يكن من أمر فهو لقب استحضره الأيوبيون معهم من الشرق من جملة ما استحضروه من نظم وتقاليد عرفها السلاجقة وطبقوها<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر المرحوم الدكتور حسن الباشا أن لقب سلطان هذا، وإن كان معروفاً في عصر الأيوبيين لم يكن شائعاً شيوعه في عصر المماليك<sup>(٥)</sup> إلى جانب ما ذكره الدكتور سعيد عاشور أن هذا اللقب لا يوجد دليل يشير إلى أن الأيوبيين اتخذوا هذا اللقب، وإنما الغالب أن معاصرين صلاح الدين من المؤرخين وغير المؤرخين هم الذين لقبوه بهذا اللقب<sup>(٦)</sup> نتيجة لانتصاراته الخالدة وأعماله الرائعة التي رفعت من شأنه.

المهم أن النظم الإدارية أخذت تتطور منذ أيام صلاح الدين وحتى نهاية عصر سلاطين المماليك تطوراً سريعاً حتى بلغت درجة كبيرة من الدقة والإحكام تمثلت في الإدارة المركزية والتي اتخذت مقرها القاهرة، تلك الإدارة التي كان أساسها مجموعة من الدواوين، وكبار الموظفين، وإدارة محلية تشرف على الأقاليم التي يرأسها مجموعة من النواب والولاة، وقد كان السلطان الذي كان على قمة هذا الهرم الإداري يتصل بجميع أطراف دولته عن طريق شبكه محكمة من خطوط البريد<sup>(٧)</sup>.

وقد كان السلطان في العصر المملوكي أميراً من الأمراء وزعيماً مكنته قوته وشخصيته وكثرة مماليكه من التفوق على أقرانه والوصول إلى منصب السلطنة، بعد أن يدبر مع أقرانه (أعوانه)

(١) سعيد عاشور، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) د. سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، مكتبة النهضة سنة ١٩٥٩م، ص ١٣٩، السلطان في اللغة من السلاطة بمعنى القهر ومن هنا أطلق على الوالي، وقد ورد اللفظ في آيات قرآنية عديدة بمعنى الحجة والبرهان، وأن هذا اللقب لم يصبح لقباً عاماً إلا بعد أن تغلب الملوك بالشرق مثل بنى بويه على الخلفاء واستأثروا بالسلطة دولهم وبذلك اتخذوا لقب السلطان سمه عامه فضلاً عما كان يضيفه عليهم الخليفة من ألقاب فخريّة خاصة. لمزيد من التفاصيل: راجع : د. حسن الباشا، الألقاب، ص ٣٢٣ - ٣٣٩.

(٣) د. حسن الباشا، المرجع نفسه، ص ٣٢٥.

(٤) د. سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ١٤ - ١٥.

(٥) د. حسن الباشا، المرجع نفسه، ص ٨٩.

(٦) د. سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص ١٥.

(٧) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ١٥.





مؤامرة ويصعد إلى القلعة مقر الحكم في مصر، فتكون له الكلمة النافذة العليا<sup>(١)</sup> بعد القضاء على من يجلس على كرسي السلطنة، ويبدأ هذا السلطان الجديد لياشر سلطاته الواسعة في توزيع المناصب وتعيين كبار الموظفين<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد أثرت الأزمات الاقتصادية على منصب السلطنة وقد كان منصب السلطان مهدد دائماً خاصة عندما يكون صغير السن، والدليل على ذلك أن الفتن والاضطرابات الداخلية سواء في العصر الأيوبي أو المملوكي البحري قد أثرت على منصب السلطنة فنلاحظ بعد وفاة صلاح الدين عندما دب النزاع بين أبناء صلاح الدين حدثت الفتن والاضطرابات على الحكم، لكن السلطان العادل استطاع أن يأخذ بل يفوز بمنصب السلطنة وتخلص من النزاع القائم<sup>(٣)</sup>.

بالإضافة إلى ما تعرض له الملك الكامل لمؤامرة من بعض كبار أمرائه وعلى رأسهم عماد الدين أحمد بن علي المعروف بابن المشطوب<sup>(٤)</sup> الذي كان هدفه عزل الكامل وإحلال أخيه الفائز بدلاً منه، مما أدى إلى إضعاف عزيمة الملك ثم هروبه من معسكره<sup>(٥)</sup>.

وما حدث عام ٦٢٠-٦٢٣ هـ/١٢٢٣-١٢٢٦ م من نزاع على السلطة كان أشد ما شهدته البلاد من فتن واضطرابات وخطورة على البلاد فقد شهدت الدولة الأيوبية التفكك والاحلال، فانشغل السلاطين والملوك بتلك الصراعات التي كان لها أكبر الأثر على حياة البلاد سواء من الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي<sup>(٦)</sup> كل هذا جعل الخوارجية يهددون الدولة الأيوبية في منطقة الجزيرة وديار بكر وأعلى العراق<sup>(٧)</sup>، وإن كان المنصب على السلطنة كان سبب النزاع بين أبناء البيت الأيوبي قد بدأ بعد وفاة مؤسس تلك الدولة صلاح الدين الأيوبي، فنحن نستطيع القول أن الأمر اختلف في العصر المملوكي بشقيه سواء البحري أو الجركسي، فمنذ

(١) محمد محمود زيتون، الإدارة المحلية في مصر من خمسة آلاف سنة إلى اليوم، دار المعارف، بدون سنة، ص ٩٨.

(٢) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٤٠.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ٤٧، المقریزی، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٢٤.

(٤) Carl F. petry; The Cambridge History of Egypt, (Islamic Egypt), Volume one, p223

(٥) المقریزی، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٩٦.

(٦) قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٨٩.

(٧) أسامة زكي زيد، الخوارجيون، ص ٥٩، عبد العزيز عبد الدايم، بيت المقدس، ص ١٦٥.



قيام الدولة المملوكية اعتقدوا أن الحكم يجب أن يكون للأقوى<sup>(١)</sup> غير مهتمين بمبدأ الوراثة<sup>(٢)</sup> إذ أحس كل أمير بأن له الحق في السلطنة، كان يحرك فيه عوامل الخروج على السلطان القائم<sup>(٣)</sup>.

من هنا اختلت أمور الدولة، واضطرب الأمن، وكثرت الفتن، وسيطر الجهل وعم الفقر وساد الظلم، وكثر الإيقاع بالناس وحرمانهم وأموالهم، ولا غرو إذ أهملت الشئون العامة وازدادت الضائقة الاقتصادية<sup>(٤)</sup>، وإذا كان السلطان صغير السن انتهز الوصي عليه المدبر لشئونه الفرصة فتكون المؤامرة والدس والخديعة والرشوة والقوة أسساً لا بد منها للوصول إلى السلطنة<sup>(٥)</sup> وقد كانت حروب المماليك الطاحنة والتزاع على السلطنة من أهم أسباب حدوث الأزمات الاقتصادية تلك التي كان لها التأثير الأول على جميع نواحي الحياة<sup>(٦)</sup>.

هكذا نرى أن منصب السلطنة كان يسبب القلق بل هو مصدر القلق والاضطراب للدولة والشعب الذي لا حيلة له في أي شيء، وإن هذا المنصب كان له أثره الكبير في حدوث تلك الأزمات، أما عن الموظفين الذين يساعدوا السلطان في مهام الدولة وشئون الحكم والإدارة فأول هؤلاء الموظفين هو نائب السلطنة<sup>(٧)</sup> والذي كان يلي السلطان مباشرة، وقد كان أهم موظف في الدولة، وقيل أن أول من استحدث هذه الوظيفة هو السلطان صلاح الدين الأيوبي، ذلك لأنه كان دائماً مشغولاً بالجهاد والحروب ضد الصليبيين، وقد كان كثير التغيب عن مصر، فقد كان لأزماً عليه أن يترك شخصاً يعتمد عليه في حكم مصر وإدارة شؤنها أثناء غيابه<sup>(٨)</sup> لذلك

(١) قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في العصور الوسطى، ص ٦٣، سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٢٨.

(٢) على إبراهيم حسن، آراء في تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٨.

(٣) على السيد على، الجاسوسية في عصر المماليك، ص ١٢٦.

(٤) المقريري، إغالة الأمة، المقدمة، ص ز.

(٥) المقريري، إغالة الأمة، المقدمة، ص ز.

(٦) الأمثلة متعددة في الصراع على منصب السلطنة، راجع: الفصل الأول من أسباب الأزمات الاقتصادية (الفتن والاضطرابات الداخلية)، ص ٥٧-٧٤.

(٧) النائب اسم فاعل من ناب، والهمزة منقوبة عن واو، ويقال ناب فلان عن فلان ينوب نوباً ومناياً إذا قام مقامه فهو نائب والنائب هو من ينوب عن شخص آخر أعلى منه سواء في أعماله كلها أو في عمل من أعماله، فهو في العرف العام يطلق على كل نائب عن السلطان أو غيره: راجع: د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ص ١٢١٩-١٢٢٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦-١٧، ج ٥، ص ٤٥٣، وكان نائب السلطنة يختار من بين العسكريين، وكان مقدموا الألوفا منهم يعينون من قبل السلطان، والأجناد ومقدموا الحلقة من قبل نائب السلطنة، لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذه الوظيفة: راجع: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٢٣٠-١٢٤٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٤-٤٥٥.

(٨) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٢٩.



استحدث صلاح الدين ولأول مرة وظيفة نائب السلطنة<sup>(١)</sup> ومن المرجح أن هذه الوظيفة ظهرت في عصر السلاجقة ثم عصر الأتابكة، ثم انتقلت إلى الدولة النورية ومنها إلى الدولة الأيوبية<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر القلقشندي "أنه يعبر عن صاحبها بالنائب الكافل، وكافل الممالك الإسلامية، وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التواقيع والمناشير ... ويعين أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة، وكتابة السر، وهو سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني..."<sup>(٣)</sup> وذكر أبو شامة أن صلاح الدين جعل أخاه العادل نائباً عنه<sup>(٤)</sup> وذلك أثناء غيابه في بلاد الشام، وقد أناب السلطان صلاح الدين على دمشق الملك المظفر عمر بن أيوب<sup>(٥)</sup> وقد تطورت وظيفة نائب السلطنة حتى استقرت في عصر المماليك، وتحددت درجاتها واختصاصاتها<sup>(٦)</sup>، وكانت تلك الوظيفة على نوعين في عصر المماليك، فأصبحت النائب الكافل أو نائب الحضرة، بالإضافة إلى نائب الغيبة<sup>(٧)</sup> فالأول ينوب عن السلطان أثناء غيبته فقط سواء في حرب أو حج أو غير ذلك، ومن الواضح أن نائب الحضرة كان أعلى مقاماً ودرجة من نائب الغيبة، لأنه كان يستطيع أن يتصرف في حضرة السلطان، ولعل مكانة نائب السلطان من ناحية، وإحساس أمراء المماليك بالمساواة من ناحية أخرى، جعلت كثيراً من نواب السلطنة في عصر المماليك يتطلعون إلى منصب السلطنة ويشكلون خطراً على السلاطين أنفسهم<sup>(٨)</sup> فكما ذكرنا سابقاً أنه المنصب الثاني بعد منصب السلطنة فكان محطة يثب منها نائب السلطان إلى السلطنة في حال ضعف السلطان أو صغر سنه، كما فعل بيبرس

---

(١) عرف النائب في الدولة الأيوبية بمدلول آخر إذ كان يطلق على كاتب من كتاب الأموال، وكان ينوب مع المستخدمين، ويحدد دوزى مهمته بأنه نائب السلطان في جباية الضرائب، كما عرف أيضاً النائب بمعنى والي الإقليم أو المملكة أو المدينة أو الشجر أو القلعة نيابة عن السلطان. مزيد من التفاصيل : راجع : القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٨٢-٧٩٨، د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ ٣، ص ١٢٢١-١٢٢٣.

- Hitti, History of the Arabs , p674

(٢) د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ ٣، ص ١٢٣٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١٦-١٧، د. علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٧٥، عند Lane - Poole : The art of Saracens , p29.

(٤) أبو شامة، الروضتين، جـ ١، ص ٢٦٦.

(٥) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٦٤، لما استقل الملك العادل بمصر استدعى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمد وجعله نائباً بالديار المصرية. راجع: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٣، ص ١١٢.

(٦) د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ ٣، ص ١٢٢٣.

(٧) د. سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٤٠.

(٨) د. سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٢٩.



الجاهل الكبير<sup>(١)</sup> مع الناصر محمد بن قلاوون، ذلك أن الناصر كان صغيراً وكان بيبرس أتابكه ونائب السلطنة، فاستغل وضعه وأخذ يطمح في الوصول إلى منصب السلطنة، فوثب إليها وأصبح سلطاناً باسم الملك المظفر، فاضطر الناصر أن يهرب إلى الكرك، أضف إلى ذلك أن هذا المنصب يستعمل وسيلة للترضية<sup>(٢)</sup> فقد تأمر بيبرس وسلار ضد الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٣)</sup> حتى جعلاه يخلع نفسه عن العرش ويجد لنفسه ملجأ في الكرك ولكنهما اختلفا حول السلطنة وأيهما أحق بالمنصب من الآخر، وكادت أن تقع الفتنة بين الطرفين لولا أن تدخل باقي الأمراء وأصبح بيبرس سلطاناً وسلار نائبه<sup>(٤)</sup>.

هذا يدل على قوة نائب السلطنة وأن تلك القوة فاقت قوة السلطان وهناك دلائل على ذلك أيضاً وهي أن الأمير بيدرا المنصوري نائب السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣ هـ/١٢٩٠-١٢٩٣ م) بلغت أهميته وقوته أن أثار غيره باقي القائمين في الحكم مثل صاحب بن السلعوس الذي وشى به عند السلطان قائلاً: "هذا بيدرا قد أكل البلاد واستولى عليها وما ترك للسلطان شيئاً"<sup>(٥)</sup> ورغم علم السلطان بذلك إلا أنه لم يتمكن من الحد من نفوذه، بل استطاع بيدرا أن يقتل السلطان نفسه أملاً في الحصول على السلطنة نفسها<sup>(٦)</sup> وما فعله أيضاً كتبها المنصوري الذي كان نائباً عن السلطان محمد بن قلاوون في سلطنته الأولى ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م، ثم استقل بالسلطنة<sup>(٧)</sup> عندما وجد الناصر محمد طفلاً صغيراً ضعيفاً، وهو

(١) الجاشنكير اسم وظيفة مركبة من لفظين فارسيين، أحدهما جاشنا أو جاشنى ومعناه الذوق والثاني كبير ومعناه المتعاطى لذلك، أى أن المعنى الإجمالى هو الذى يذوق، والجاشنكير موظف مهتمه أن يذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان خشية أن يكون مسموماً، بالإضافة إلى الإشراف على السماط مع الأستاذار كما كان يقف معه على السماط أثناء جلوس السلطان عليه. لمزيد من التفاصيل راجع: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢١، د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ص ٣٤٣ ص ٣٤٤.

(٢) د. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكى "دراسة ونصوص"، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣ م، ص ٢٩.

(٣) Sir William Muir, K.C.SI, The Mameluke Dynasty of Egypt (1260-1517) A.D, London 1896. P53.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥٥، ابن حبيب، تذكرة النبى، ج ١، ص ٢٨١، محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٥) مفصل بن أبى الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، باريس ١٩١١-١٩٢٠-١٩٣٢ م، ج ١، ص ٥٦٢.

(٦) بن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج ٣، ص ٤٩٣.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٧٤، النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٨١، ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٢.





نفس ما فعله حسام الدين لاجين نائب السلطنة سنة ٦٩٤ هـ/١٢٩٤ م عندما اغتصب السلطنة من الناصر محمد<sup>(١)</sup>.

ووصلت خطورة منصب نائب السلطنة إلى توزيع الإقطاعات التي سوف يتم الحديث عنها فيما بعد<sup>(٢)</sup> فقد كان من الطبيعي أن يرتفع شأنه ويضخم أمره ويخص نفسه بأوفر نصيب منها والدليل على ذلك أن الأمير بيدرا الذي تولى السلطنة نيابة للسلطان خليل بن قلاوون، أخذ إقطاع الأمير حسام الدين طرنطاي بعد اعتقاله وقاتله، فاجتمع له عدته ومشترواته وحماياته بنواحي الأعمال، هذا فضلاً عما استحدثه بيدرا من أشياء مختلفة من جهات ونواح اشتراها لديوانه من مقطعيها وبلاد استولى عليها، وأخذ نوابه يجمعون له الأموال الكثيرة، بحيث لم يتبق إقليم إلا وأكثره (معظمه) في أيديهم والمقطعون لا يصل إليهم من إقطاعاتهم إلا ما يجودون به عليهم فكثير الضرر والشكوى من ذلك<sup>(٣)</sup>.

وعندما تولى الناصر محمد الحكم في الفترة الثالثة (٧٠٩-٧٤١ هـ/١٣٠٩-١٣٤٠ م)، استبد بأمور الحكم والنفوذ فأدرك خطورة تلك الوظيفة ألا وهي نيابة السلطنة فعمل على إلغائها<sup>(٤)</sup> نظراً لأنه أدرك أن نائب السلطنة بيده كل أمور السلطنة التي قد تحد من نفوذ السلطان نفسه، فألغاه عام ٧٢٧ هـ/١٣٢٧ م، وقيل أنه ألغى نيابة السلطنة حتى يشتغل بأعباء الدولة وحده<sup>(٥)</sup>.

ولكن بعد وفاة الناصر محمد أعيدت تلك الوظيفة مره أخرى عام ٧٤٢ هـ/سنة ١٣٤١ م في عهد ابنه أبي بكر<sup>(٦)</sup>، وقد بدأت نيابة السلطنة في الوجود خارج نطاق الحكم أو مقر السلطنة، فقد استحدثت ثلاث نيابات في أماكن مختلفة، أولها كانت نيابة الإسكندرية، بعد أن كانت ولايتها من

---

(١) العماد الحنبلي : المؤرخ الفقيه الأديب عبد الحى العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، مكتبة القدس، ص ١٦٢، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٣٩. ولمزيد من التفاصيل عن نيابة السلطنة راجع: ليلي عبد الجواد إسماعيل، نائب السلطنة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية، بحث من دورية المؤرخ المصرى، كلية الآداب، جامعه القاهرة، عدد يناير سنة ١٩٨٨ م.

(٢) راجع: الإقطاع من هذا الفصل، ص ص ١٢٦-١٩٨.

(٣) بيارس الدوادار، زبدة الفكره، ج٩، ص ٢٨٠، المقرئى، الخطط، ج١، ص ص ١٤١-١٤٢، السيد البار العريق، الممالك، ص ١٧٣.

(٤) ابن نقرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٧٤، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٠٥.

(٥) المقرئى، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٥٣٤، على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٩٦.

(٦) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢١٤، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٨، ص ص ١٣٤-١٤٨.



جملة الولايات العديدة، وهى نيابة ذكر عنها القلقشندي "أما نيابة جلييلة تضاهي نيابة طرابلس وحماه وصفد من المملكة الشامية... ولائبها من الأمراء المقدمين"<sup>(١)</sup>.

وقد كان السبب في وجود هذه الوظيفة بالإسكندرية عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م في عهد الأشرف شعبان بن حسين<sup>(٢)</sup> هو هجوم الفرنج على الإسكندرية وقتلهم الكثير من أهلها ونهب الفرنج لأموال الناس<sup>(٣)</sup> فكان لزاماً عليهم أن يوجدوا هذه الوظيفة للحد من الأخطار الخارجية والدفاع عن المدينة في أي وقت، وفي عام ٧٧٥هـ/١٣٧٦م ظهر نفوذ وقوة سيطرة نائب السلطنة بوضوح وجلاء وذلك في عهد السلطان شعبان بن حسين، وذلك عندما تولى الأمير منجك منصب نيابة السلطنة وقد كان هو المستول الأول عن مهام الدولة وفي ذلك يذكر أبو الحاسن "خلع السلطان على منجك باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية، وفوض إليه النظر في الأحداث والأوقاف والنظر في الوزارة والنظر على ناظر الخاص، وأن السلطان أقامه مقام نفسه في كل شئ وفوض إليه سائر أمور المملكة وأنه يخرج الإقطاعات التي عبرتها سبعمائة دينار إلى ما دونها، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة وأنه يخرج الطلبخانات والعشرات بسائر الممالك الشامية، ورسم للوزير أن يجلس قدامه في الدركاء مع الموقعين"<sup>(٤)</sup> ولكننا نجد أن تلك الوظيفة قد زالت نهائياً في عهد السلطان برقوق<sup>(٥)</sup>.

هكذا يمكن القول من وجهة نظر الباحثة أن وظيفة نائب السلطنة كانت سبباً في ضعف الدولة سواء الأيوبية أو دولة المماليك البحرية سواء سياسياً أو اقتصادياً، وذلك لأن نائب السلطنة كان هو السلطان المختصر في الدولة كما سبق أن ذكرنا وهو الذي له اليد العليا والمطلقة في الدولة والتصرف في كل شئ حتى في حضور السلطان وأثناء غيابه، مما جعل هذا المنصب مطمئناً أساسياً ورئيسياً يطمح بل يطمع فيه نائب السلطنة وتحدثه نفسه ليكون سلطاناً فحدثت الفتن

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٤.

هذا وقد كانت النيابة الثانية هي نيابة الوجه القبلي والتي استحدثت في عهد الظاهر برقوق في عصر المماليك الجراكسة، والنيابة الثالثة هي نيابة الوجه البحري واستحدثت في عهد الظاهر برقوق أيضاً : لمعرفة المزيد من التفاصيل : راجع القلقشندي، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٢٤ ص ٢٥.

(٢) أحمد عبد الرازق، البدل والبرطله، ص ٤٤.

(٣) القلقشندي، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٢٤.

(٤) أبو الحاسن، النجوم الزاهرة، جـ ٥، طبعه كاليفورنيا، ص ٢٢٢-٢٢٣، عن د. علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٨١.

(٥) القلقشندي، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ١٧.



والاضطرابات والقلق في الدولة إلى أن يستولى نائب السلطنة على زمام الأمور وأمور السلطنة نفسها، إذن كان هذا المنصب مصدر قلق واضطراب على الدولة وله أكبر الأثر على سير الحوادث في الدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية.

أما عن منصب الوزير فقد ضعف هذا المنصب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري ولم تعد له أهمية، هذا نتيجة لبروز وأهميه وظيفة نيابة السلطنة التي كان لها الدور الأكبر في سير الحوادث بل كانت على قمة الوظائف في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.

وتذكر المراجع عن منصب الوزير وأهميته الكبيرة التي ظهرت في العصر الفاطمي أنه كان الرجل الثاني بعد الخليفة في العصر الفاطمي<sup>(١)</sup> أي أنه كان له أهمية كبيرة في ذلك العصر فقد كان هناك نوعين من الوزارة ألا وهما وزارة تفويض<sup>(٢)</sup> ووزارة تنفيذ<sup>(٣)</sup> لدرجة أنه أطلق على العصر الفاطمي الثاني أسم عصر الوزراء العظام<sup>(٤)</sup>. عندما أصبح الوزراء هم أصحاب السلطة الفعلية، حتى أنهم أخضعوا سلطة الخلفاء لإرادتهم هذا على عكس العصر الفاطمي الأول الذي كان بمثابة عصر قوة الخلفاء وسيطرتهم على أمور الحكم وجميع مناحي الحياة<sup>(٥)</sup> ولكن ما إن جاءت وظيفة نائب السلطنة في العصر الأيوبي لتجعل من نائب السلطنة الرجل الثاني في الدولة، مما جعل الوزير بلا نفوذ أو سلطات<sup>(٦)</sup>.

(١) د. عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة في العصور الوسطى، ص ٣٢، د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر، ص ٨٣

(٢) وزارة تفويض أن يفوض الخليفة إلى وزيره جميع أمور الدولة ولم يعد له أي سلطان على هذه الأمور، بل تطاول الوزير على سلطة الخليفة الدينية، راجع : د. عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ج ١، ص ٨١-٨٢، عن د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ٨٤.

(٣) وزارة تنفيذ أي أن الوزير مجرد منفذ لرغبات الخليفة، د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٨٣، على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٢٨٩.

(٤) أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ٩٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن قوة الخلفاء الفاطميين في العصر الفاطمي الأول راجع : العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٥٢-٥٤، د. عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ج ١، ص ٧٨-٨٠.

- Mann (Jacob) : The Jews in Egypt and Palestine under the fatimid caliphs, oxford 1920 , vol 1 , pp 17-19.

(٦) إزداد نفوذ الوزراء بسبب ضعف السلطة المركزية، وعندما تولى بدر الجمالي شؤون البلاد بدأ عصر الوزراء العظام وزراء السيوف والتفويض وأصبح السلطان الفعلي منذ ذلك الوقت وتوارى الخلفاء في الظل ومقدم بدر الجمالي إختفى لقب الوزير الأجل واستعاض عنه بلقب السيد الأجل أمير الجيوش، وانتهت بذلك الوزارة نفسها كوظيفة ذات خطر حتى بعد إرجاعها في عصر المماليك: راجع : د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٩١ وعنه أنظر : د. محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣٣-٣٤، د. حسن الباشا، الألقاب، ص ٧١.



وفي العصر الأيوبي اتخذ صلاح الدين وزيراً له، فقد اعتمد صلاح الدين على وزيره القاضي الفاضل وعهد إليه بكثير من الأمور، لكن خلفاء صلاح الدين استغنوا في بعض الأحيان عن وظيفة وزير، والدليل على ذلك أن السلطان العادل الأول أو (الكبير) إستوزر صاحب صفى الدين بن شكر، ولكنه لم يلبث أن تغير عليه فخلعه من الوزارة، وترك المنصب خالياً دون أن يعين فيه وزيراً حتى مات<sup>(١)</sup>، وعندما تولى الصالح نجم الدين أيوب الحكم ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م لم يجد في خزانه السلطنة سوى دينار واحد وألف درهم أي فارغة<sup>(٢)</sup> فوجد نفسه لا توجد عنده نقود كافية للإنفاق على شئون الحكم والإنفاق على شؤون الجهاد والحروب ... إلخ، فرأى أن يعيد منصب الوزارة الذي توسم فيه أنه سيكون هو المسئول الذي يدير أمور المال والاقتصاد، فعين لهذا الغرض معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ ... ولكن ما لبث السلطان أن خاف منه على نفسه فعزله ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م<sup>(٣)</sup>.

وتوالى تعيين الوزراء وعزلهم، وعجزوا عن إنقاذ الدولة من إفلاسها، ونتج عن كثرة تغيير الوزراء "... أن الإدارة الحكومية اختلت والمشروعات الإصلاحية تعطلت فعزل الملك الصالح على الحد من سلطة الوزير"<sup>(٤)</sup>.

وفي العصر المملوكي هناك من الوزراء من كانوا يعسفون ظلماً بالرعية ويحدثون مظالم كثيرة مثال ذلك أن الوزير هبه الله بن صاعد الفائزى أحدث مكوساً ومظالم كثيرة<sup>(٥)</sup> في عهد الملك عز الدين أيبك الذي إستوزره، إلى جانب ما حدث من الوزراء طوال العصر المملوكي من إجحاف وظلم للرعية، فقد كان قطز يقيم شخصاً في الوزارة يدعى بدر الدين السنجاري الذي إتهم بالظلم والرشوة<sup>(٦)</sup>.

ولكن انحط أمر تلك الوظيفة في عصر سلاطين المماليك<sup>(٧)</sup> حتى قال عنها القلقشندي "أنها أجل الوظائف وأرفعها رتبة... لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار

(١) د. سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٧٦.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه، حوادث سنة ٦٣٩هـ.

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٢٧.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٥، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٨٤.

(٦) السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢١٧، العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣١٣.

(٧) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٤١، محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكى،





المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدى الحديث فيه، ولا يتسع له في التصرف مجال، ولا تمتد يده  
الولاية والعزل ... وصار يليها أناس من أرباب السيوف والأقلام بأرزاق على قدر الإنفاق<sup>(١)</sup>.

وعبر عنها ابن خلدون بأنها أصبحت "مرؤوسة ناقصة"<sup>(٢)</sup> ذلك أن نفوذ الوزير لم يتعد تعليمات  
السلطان ونائبه، وربما بالإشراف على شؤون الدولة المالية<sup>(٣)</sup>.

هكذا نجد أن منصب الوزارة كان منصباً غير مستقر فكان الوزراء يتغيرون بسرعة مذهلة وقد  
تبذل الرشاوى في سبيلها<sup>(٤)</sup> كما سبق أن ذكرنا، فكان نتيجة عدم استقرار منصب الوزارة أنه  
أوجد حال من الفوضى والاضطراب في شؤون مصر الإدارية، مما جعل السلاطين الجادين يهتمون  
اهتماماً خاصاً بوضع نظام قضائي يتبع السلطة المملوكية العليا مباشرة وهو نظر المظالم<sup>(٥)</sup> والذي  
يعنى حقوق الناس من تعدى الدولة وموظفيها، فضلاً عن وضع حد للفساد من أي وجه واعتبر  
من رسوم الدولة أو يفوض فيه كبار الأمراء المماليك... هذا وقد رأس السلطان بنفسه مجلس نظر  
المظالم... وكان هذا النوع من المظالم يعقد في القلعة بدار العدل أو بالإيوان<sup>(٦)</sup>.

وقد أبطل هذه الوظيفة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ/سنة ١٣١٣م<sup>(٧)</sup> هذا يدل على  
أن تلك الوظيفة فقدت أهميتها، وظل منصب الوزير خالياً سبعة عشر عاماً إلى أن أعيدت الوزارة

<sup>(١)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٨.

<sup>(٢)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٠٨.

<sup>(٣)</sup> عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر (دراسة تحليلية للإزدهار والإهميار)، ص ٢٧٢، سعيد  
عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٧٦، كان سلاطين المماليك يعينون وزيرين في وقت واحد، أحدهما وزير الصحة ويعين من  
أرباب الأقلام، والوزير الثاني من أرباب السيوف، وعندما أضعف الناصر محمد نفوذ الوزراء أصبحت اختصاصاتهم لم يعد  
تنفيذ أوامر السلطان والنائب، والنظر في أمور الدولة المالية بالإشتراك مع ناظر الدولة الذي يشبه وزير المالية اليوم، بعد أن  
كانت سلطنته تتناول كافة شؤون الدولة. راجع: علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٩١.

<sup>(٤)</sup> عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة المماليك، ص ٢٧٣.

<sup>(٥)</sup> كان أغلب المتظلمين من المساكين والفلاحين سواء من الإشتطاط في جمع الضرائب، أو إغتصاب الأموال بالقوة، بالإضافة إلى  
فوضى المماليك وأجنادهم وإستطالهم على حقوق الأهليين، بالإضافة إلى شكوى الأسعار والتسعير : راجع: عبد المنعم ماجد،  
المرجع نفسه، ص ٢٧٥.

<sup>(٦)</sup> Jorgen Nelson: Mazalim and Dar al-'Adl under the early Mamluks. The Muslim  
world, Vol. LXVI. No2, 1976, p114, sqq.

<sup>(٧)</sup> كان لوظيفة الوزارة أتباع كثيره أعظمها نظر الدولة، إستيفاء الصلحه، إستيفاء الدولة أما نظر الدولة، فالنظر هو رأى العين  
لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإما من النظر بمعنى الفكر، لأنه يفكر فيما فيه المصلحه من ذلك، والناظر هو المشرف  
وخاصة المشرف المالى، راجع: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١١٧٧، وهو الذى يساعد الوزير  
ويشاركه في كل شئ، ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً لذلك وكان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات والوزير  
مقتصر فيها على مهام النظر والتنفيذ، إما إستيفاء الصلحه، فقد عرف ابن ممتى المستوفى ضمن المستخدمين من جملة الأقلام =



في عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م<sup>(١)</sup> وقد كان هدف الناصر محمد هو أن ينفرد بالسلطة ويستبد بالنفوذ ويحول بذلك دون تدخل بعض الوزراء في أمور الدولة تدخلاً قد يؤدي إلى الحد من نفوذه أو ينتهي بعزله<sup>(٢)</sup> وعندما عادت تلك الوظيفة عاد معها القلق والاضطراب، إذ سرعان ما كانت تؤاد عقب إحيائها ثم لا تلبث أن تعود حتى تموت<sup>(٣)</sup>.

وقد كان أسوأ مثل للوزير في العصر المملوكي هو تولى الأمير سيف الدين منجك الوزارة<sup>(٤)</sup> عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م وذلك في عهد السلطان الناصر حسن والذي أمر على أثر اضطلاله بأعباء الحكم أن يسلم الوزير كل أمور الحكم في الدولة حتى من أقل المهام إلى أكثر المهام، فقد ذكر المقرئى "أن لا يستقر في المعاملات سوى شاهد واحد وعامل وشاد بغير معلوم، حتى أن كتاب الدواوين خشوا عاقبة إهمالهم وانفقوا على أن يجمعوا مبلغ من المال يسلمونه إلى منجك سراً فعدل منجك عن رأيه وصار الكتاب وأرباب الدواوين من أقرب الناس وأحبهم إليه، على أن هؤلاء لم يكتفوا بذلك بل زينوا إليه الاستيلاء على أموال الناس بغير حق وسمع بذلك الولاة وأصحاب الحاجات فهرع الناس إليه من مصر والشام وقصدوه، واتخذ الوزير لنفسه وسطاء

---

= في الدولة الأيوبية، وعرفه بأنه كاتب له مجلس في الديوان، ابن ممتى، قوالين الدواوين، ص ٩، د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٠٨٧، وقد كانت تلك الوظيفة عظيمة ذكر عنها القلقشندى "أنها وظيفة جليلة رفيعة القدر ... وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكل من دواوين الأموال فهو فرع من هذا الديوان وإليه يرجع حسابه وتنتهى أسبابه، أما إستيفاء الدولة فهي وظيفة رئيسية، والذي كان يتولاها كان عليه أن يدير أمور الدولة ويعرف أصل الأموال التي تدخل للدولة هذا إلى جانب معرفة قيم يتم إلقاء تلك الأموال وذلك بالضبط والتحرير، راجع: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩-٣٠، وعندما ألغى الناصر محمد وظيفة الوزارة، ألغى معها وظيفة النظر والاستيفاء من جميع وسائل الأعمال: راجع: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٨، المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٥٣، حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٠٨٩، فقد كان في كل بلد ناظر مستوف وعده مباشرين، فأمر الناصر عدم استخدام أحد منهم في أى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وإيضا كان للسلطان مال في أى مكان (إقليم) يكون في هذا المكان ناظر وأمين لا غير: راجع: المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٥٣، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٨، حسن الباشا، المرجع نفسه، ص ١٠٨٩، وسوف نوضح بالتفصيل فيما بعد ان السلطان الناصر محمد عندما ألغى الوزارة قسم أعمالها بين ثلاثة من الموظفين هما، ناظر الخاص، شاد الدواوين، كاتب السر، راجع: أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٨٦.

(١) على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٢٩٣، سعيد عاشور، نظم الحكم، ص ٣١.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٥٣٤.

(٣) على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك، ص ٢٩٦.

(٤) لمعرفة مزيد من التفاصيل على ما فعله الوزير منجك في عهد السلطان حسن: راجع: المقرئى، السلوك، ص ٧٥٣، ص ٧٦٩،

المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٢١، أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٢٩.



لجمع الرشوة، وأخذ يولى من يشاء ويعزل من يشاء ويستحوذ على أموال الناس بالباطل، وأصبح بقاء العمال في ولايتهم متوقفاً على ما يقدمونه إليه من المال<sup>(١)</sup>.

هكذا أصبح منصب الوزارة عبئاً على الدولة بل أصبح مصدر قلق وفساد واضطراب ونحن نستطيع القول أن وظيفة الوزارة كانت مصدر قلق واضطراب نظراً لما حدث فيها من تدهور واضطراب، والدلائل على ذلك الأمثلة السابق ذكرها ونحن ذكرنا على سبيل المثال فقط وليس الحصر لأن الأمثلة على ذلك عديدة ومتنوعة كل يوم إذا ما بالغنا في ذلك.

وقد ذكرت الباحثة في الفصل الأول أن من أهم أسباب الأزمات الاقتصادية هي الفساد الإداري وقد شمل جميع الوظائف ولكن من ناحية تدهورها على أساس ما كان يتم من البذل والرشاوى وتحديث عن جانب آخر في هذا الفصل لتجنب البحث مادة التكرار حتى لا تفقد قيمتها.

وهناك وظائف أخرى حديثة ومستجدة ظهرت في العصر المملوكي عندما ألغى الناصر محمد وظيفة الوزارة، تلك الوظائف كان لها الأثر الهام في الدولة المملوكية فهو قد خشى أن يولى شخص واحد جميع مهام الدولة، فإستطاع بدكائه أن يوزع تلك الوظائف التي كان يقوم بها الوزير على ثلاثة أشخاص وهم ناظر الخاص، شاد الدواوين وكاتب السر<sup>(٢)</sup> حتى يستطيع هو بمفرده أن يدير دفة الأمور ويكون هو المسيطر على كل ما في الدولة وشئونها، ووظيفة ناظر الخاص، وقد كان من أهم الأمور المنوط بها (المهام التي يقوم بها) هو التحدث فيما هو خاص بمال السلطان من إقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما هو خارج عن الأموال العامة (أي مما ليس من الأموال العامة)، ولم يستطيع أن ينفذ أي أمر من الأمور إلا بمراجعة السلطان<sup>(٣)</sup> وكان يعتبر من خاصة السلطان، وقد وكل إليه النفقات والكساوى وخلع الأمراء والجند والأضحية، وخلع عيد الفطر، وكساوى حرم السلطان<sup>(٤)</sup> وكان من اختصاصه التحدث في أمر الخزانة السلطانية، وكانت بقلعه الجبل، وكانت كبيرة الوضع لأنها كانت مستودع أموال المملكة، وقبل أن تستحدث وظيفة ناظر الخاص كان نظر الخزانة منصباً جليلاً، ولكن بعد إنشاء

(١) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٣٢٠-٣٢١

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٣٨، ابن إياس، المصدر السابق، جـ ١، ق ١، ص ٣٤٩.

— Demombynes , la syrie a le paque des Memlouks, pp 71-72, Bjorkman, Beitrage zur Geschichte der staatskan-zelei im islamischen Agypten , 38

(٣) القلقشندي، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٣٠، حسن الباشا، الوظائف، جـ ٣، ص ١٢٠٨.

(٤) ابن إياس، المصدر نفسه، جـ ١، ق ١، ص ٤٤٤.



نظر الخاص ضعف أمر نظر الخاص ولو أنها صارت تسمى الخزانة الكبرى<sup>(١)</sup> كما صار نظر الخزانة مضافاً إلى ناظر الخاص، وقد حدث في عهد السلطان برقوق أن تراجعت وقلت قيمة وأهمية ناظر الخاص وظهرت بدلاً منها وظيفة الأستاذار التي سوف يتم الحديث عنها في حينها، ولناظر الخاص أتباع أي مساعدين من كتاب ديوان الخاص، كمستوفي الخاص، ولناظر خزانه الخاص<sup>(٢)</sup> والخازندار الذي كان يطالبه ناظر الخاص في حساب خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

أما عن وظيفة شاد الدواوين المستحدثة أيضاً في عهد الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٤)</sup> وتعتبر هذه الوظيفة التاسعة عشر من الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي<sup>(٥)</sup> وقد عظم وارتفع شأن شاد الدواوين وذلك في حالة عدم وجود وزير في الدولة، إذا كان شاد الدواوين مستقل بتدبير الدولة كما حدث في حالة الأمير بدر الدين محمد التركمانى ابن الأمير فخر الدين عيسى التركمانى الذي ولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وظيفة شاد الدواوين، وكانت الدولة بدون وزير فاستقل بتدبير أمور الدولة مدة أعوام<sup>(٦)</sup>، وكان من مهامه تحصيل المال وصرف النفقات، وهو كان يصاحب الوزير ويتحدث معه في جمع الأموال إذ قال القلقشندي "إن صاحبها رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال"<sup>(٧)</sup>

أما عن وظيفة كاتب السر ففي عهد الدولة الأيوبية صار يتولى رتبة كتابة السر أعظم أهل الدولة<sup>(٨)</sup> وقد كان القاضي الفاضل يشغل هذه الوظيفة في عهد الأيوبيين<sup>(٩)</sup>، وفي بداية عصر المماليك يبدو أن صيغة كاتب السر قد اختفت وحل محلها صيغة كاتب الدست<sup>(١٠)</sup> أو كاتب

<sup>(١)</sup> ظلت الخزانة بقلعه الجبل إلى أن حولت في عام ٧٩٠هـ إلى سجن للمالِك الظاهر برقوق فتلاشت ونسى أمرها: راجع: المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٢٧، جـ ٣، ص ٣٦٩ عن: حسن الباشا، المرجع السابق، ص ١٢٠٨.

<sup>(٢)</sup> حسن الباشا، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(٣)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٣٠.

<sup>(٤)</sup> عرفت هذه الوظيفة في الدولة الأيوبية، وقد جاء أنه في سنة ٥٨٦هـ تولى سيف الدولة أبو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ شاد الدواوين بديار مصر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ١٢، ص ٣٢٤.

<sup>(٥)</sup> حسن الباشا، الوظائف، جـ ٢، ص ٦١١.

<sup>(٦)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ص ٣١٣، حسن الباشا، المرجع نفسه، ص ٦١٢.

<sup>(٧)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٢.

<sup>(٨)</sup> أبو شامة، الروضتين، جـ ١، ص ٢٢٠.

<sup>(٩)</sup> حسن الباشا، المرجع نفسه، جـ ٢، ص ٩٢٣.

<sup>(١٠)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٤٥-٢٤٦.





الدرج، وقيل أن الذي استحدث لقب كاتب السر هو المنصور قلاوون<sup>(١)</sup> وكان لا يتولى هذا المنصب إلا خاصة خواص الناس<sup>(٢)</sup> واستمر هذا لقباً على من ولى الديوان إلى نهاية عصر المماليك، وقد كان من أهم وظائفه النظر في أمور البريد، الاهتمام بأبراج الحمام حيث أنها من مستلزمات البريد<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول أن وظيفة كاتب السر هي أرفع وظيفة بديوان الإنشاء<sup>(٤)</sup>. وصاحبها أرفع مكانه في الدولة مع السلطان<sup>(٥)</sup>.

هذا بالإضافة إلى وجود وظائف أخرى، قسمها القلقشندي إلى أرباب السيوف، وحملة الأقلام وينقسم كل قسم من هذين القسمين إلى نوعين، من هو بحضرة السلطان، ومن هو خارج عن الحضرة السلطانية... ومثال على ذلك وظيفة الحاجب وهو الذي يقوم بإدخال الناس على السلطان<sup>(٦)</sup> ويوكل إليه من يعرض ومن يرد إلى جانب أنه يحجب السلطان عن العامة، ويتحكم في إغلاق باب السلطان وفتحه في مواقيته<sup>(٧)</sup>.

هذا إلى جانب وظيفة الأستاذار<sup>(٨)</sup> التي كان يشغلها في العصر الأيوبي أحد الأمراء العسكريين، وكانت مهمته تقتصر في عصر الأيوبيين على الإشراف على حاشية القصر وخدمته وكان عليه الإشراف على إعداد السماط وأمور المطبخ والشراب والمحافظة على المخزون من المواد

---

(١) عفاف سيد صبره، ديوان الإنشاء وتطوره في عصرى الأيوبيين والمماليك مع تحقيق مخطوط الموشى في صناعة الإنشاء-للموصلى الكاتب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعه القاهرة سنة ١٩٧٠م، ص ٢٤، على مبارك، الخطط، ج ١، ص ٣٠، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٩٣-٣٣٣.

(٢) عفاف سيد صبره، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٤) ديوان الإنشاء كان هو المختص بالمكاتبات الرسمية التي ترد إلى الدولة أو التي تصدر عنها، وبالتالي فإن متوليه احتل أخطر منصب رسمي يتولاه مسئول في الدولة بوصفه خازن أسرار المملكة، لمزيد من التفاصيل، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥-٢٣، عفاف سيد صبره، المرجع السابق، المقدمة.

(٥) عفاف سيد صبره، المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٦) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣١.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩.

(٨) هي كلمة فارسية مركبة من استل بمعنى الأخذ، ودار من المصدر الفارسي داشتن، وهي بمعنى ممسك، فيكون معناها ممسك الأخذ أو متولى قبض المال، راجع: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٧، حسن الباشا، الوظائف، ج ١، ص ٤٣، د. إيمان محمد إبراهيم عرفه، الفارسية قواعد ولصوص، راجعه وقدم له د. السباعي محمد السباعي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م، ص ٢٣٨، وكلمه استادار تعنى في موضع آخر رئيس كل عمل وحرفه، راجع: د. منى أحمد حامد، المصطلحات الإدارية الفارسية في العصر المملوكى، "دراسة معجمية دلالية" سنة ٢٠٠٢م، ص ١٢.



الغذائية<sup>(١)</sup>، ومعنى آخر كان الأستاذار هو الذي ينظر في أمر وإدارة البيوت السلطانية<sup>(٢)</sup> وانتقلت هذه الوظيفة إلى دولة المماليك البحرية، حيث قام الأستاذار بنفس الاختصاصات التي كان يقوم بها في الدولة الأيوبية، فظل له أمر البيوت والخزانات كلها من المطابخ والشرابخانة وأمر الحاشية والغلمان، وكان دائماً بجانب السلطان في إقامته ورحيله وأثناء سير السلطان في موكبه، وله الحكم في الغلمان وإليه أمر الجاشنكيرية<sup>(٣)</sup> وقد كان كبير الأستاذارية نظير الأستاذار في الأمر والرتبة، وله أيضاً السلطة المطلقة في طلب ما يحتاجه كل بيت من البيوت من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك<sup>(٤)</sup> وقد كان للأستاذار ديوان خاص به يسمى ديوان الأستاذارية أو ديوان المفرد وقد كانت مهمة هذا الديوان تنفيذ قرارات الأستاذار وإرسالها إلى ديوان الإنشاء ليكتب المراسيم على مقتضاها<sup>(٥)</sup>، وقد أنشئ هذا الديوان في عام ٧١٥هـ، وكانت مهمته هي القيام بصرف مرتبات المماليك السلطانية جميعها ونفقتهم من جامكيات وعليق وكسوه، وكان الإيراد الذي يصرف هؤلاء جميعاً من البلاد التي أفردت له<sup>(٦)</sup>.

هذا بالإضافة إلى وجود العديد من الوظائف المختلفة التي استحدثت في عصر المماليك وليس لها أهمية هنا في مجال بحثنا<sup>(٧)</sup>، وكان الأستاذار له حق التصرف في معظم الأقاليم بطرق مختلفة ومتعددة<sup>(٨)</sup> والدليل على ذلك ما ذكره النويرى عندما أمر السلطان الظاهر بيبرس الأمير جمال

(١) حسن الباشا، الوظائف، جـ ١، ص ٤١.

(٢) د. سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣١.

(٣) اسم وظيفة مركب من لفطين فارسيتين أحدهما جاشنى ومعناه الذوق، والثاني كير ومعناه المتعاطى لذلك أى المعنى الإجمالى هو الذى يذوق، وهو موظف مهمته ان يذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان خوفاً من أن يكون مسموماً، وقد كان له حق الاشراف التام على إعداد الطعام والشراب، ومراقبة من يقومون بذلك والتأكد من إخلاصهم، ومن هنا كان له الإشراف على السباط مع الأستاذار، كما كان يقف معه على السباط أثناء جلوس السلطان عليه، وكانت وظيفة الجاشنكير فى أغلب الظن موجوده عند الغزنويه والسلاجقه والأتابكه والأيوبيين، غير انها حظيت وارتفع شأنها عصر المماليك البحرية وكانت على درجة عالية من الترتيب والتنظيم: راجع: صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢١، حسن الباشا، الوظائف، جـ ١، ص ٣٤٤ - ٣٤٥، منى أحمد حامد، المصطلحات الإدارية الفارسية فى العصر المملوكى، ص ٤٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٠، ٥٣، ٤٩، ٤٦، حسن الباشا، الوظائف، جـ ١، ص ٤٤.

(٥) القلقشندي، المصدر السابق، جـ ٦، ص ١٩٩ - ٢٠٢، حسن الباشا، المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٤.

(٦) حسن الباشا، المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٧) يمكنك معرفة المزيد من التفاصيل: راجع، القلقشندي، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ١٦ - ٢١.

(٨) الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، القاهرة سنة ١٩٨٨م، ص ١٠٦ عن د. منى سعد محمد الشاعر،

شبكة الرى المصرية فى عصر دولة المماليك البحرية، المؤتمر الدولى حول التاريخ الاقتصادى للمسلمين، جـ ٢، سنة

١٩٩٨، ص ٥٤.



الدين موسى بن يغمور أستاذ الدار العالية ٦٦٢هـ/١٢٦٣م بالاهتمام بأمر رى بعض الجزر والتي قل ريبها<sup>(١)</sup> ففعل ما أمر به.

إلى جانب ما سبق من وظائف فقد كان هناك بعض الوظائف لها صلة مباشرة بشئون الحكم والإدارة من أهمها وظيفة الوالي<sup>(٢)</sup> وقد كان الولاة يختارون دائماً من بين الأمراء<sup>(٣)</sup> وقد كان الولاة ثلاثة أنواع كان أهمهم والى القاهرة وهو من أهم الموظفين الإداريين<sup>(٤)</sup> باعتبار أن شئون الحكم والإدارة تطلبت تعيين موظف كبير مثله<sup>(٥)</sup>، إلى جانب والى القسطنطينية المعروفة بمصر<sup>(٦)</sup> فيحكم في كل ما يخص مصر على نظير ما يحكم فيه والى القاهرة، أما والى القرافة فيحكم في القرافة، ويتم ضم ولاية القرافة إلى ولاية مصر ولكنها كانت لا تبلغ أهمية كبيرة مثل ولاية القاهرة<sup>(٧)</sup> وكانت من أهم أعمال الولاة هي القيام بالإشراف على العاصمة، وصيانتها وحماية أهلها من عبث المفسدين ومثيري الفتن<sup>(٨)</sup> إلى جانب العمل على استتباب الأمن والنظام، والحفاظة على أموال الناس وأرواحهم<sup>(٩)</sup>.

ونظراً لخطورة وأهمية وظيفة الوالي وتعدد مسؤولياته، فإنه كان لا يستطيع النوم خارج المدينة إلا بمرسوم خوفاً من حدوث حريق أو غير ذلك من حوادث...<sup>(١٠)</sup> هذا وكان ظلم الولاة عظيم

(١) النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣٠، ص ٩٧.

(٢) تطلق هذه اللفظة عادة على أمير القطر وحاكمه والمصدر منها ولاية بمعنى الإمارة أو السلطنة، وقد عرف السوالى منذ صدر الإسلام، إذ جرت العادة أن ينوب الولاة عن الخلفاء في حكم الأقطار الإسلامية أو الولايات التابعة لهم، وقد يستشف من الوثائق البردية أنه كان يدعى أحياناً في خطبه الجمعة للخليفة والوالى معاً؛ راجع: حسن الباشا، الوظائف، جـ ٣، ص ١٣٠٨-١٣٠٩، د. سيده كاشف، مصر في عصر الولاة، ص ٣٦ عن جروهمان، المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١٢ عن حسن باشا، الوظائف، جـ ٣، ص ١٣٠٩.

(٣) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٤١.

(٤) على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٩٧.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

(٦) حسن الباشا، الوظائف، جـ ٣، ص ١٣٢١.

(٧) صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٢-٢٣.

(٨) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣٩، سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٤١.

(٩) على إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ص ٣٠٠، محمد محمود زيتون، الإدارة المحلية في مصر، ص ٩٩.

(١٠) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣١.



"لأنهم يجرون الباطل مجرى الحق ويخرجون الجور مخرج العدل ويقولون أننا على الحق وهم أماتوه"<sup>(١)</sup>.

وقد كان الولاية في بعض الفترات مصدر قلق واضطراب للدولة، فقد ظهرت شدة الولاية على الرعية وظلمهم وعسفهم بهم من خلال أعمالهم المفزعة التي أصابت الرعية بالكرب والشدة حتى في عصر الناصر محمد بن قلاوون نفسه، والدليل على ذلك عندما اختار الناصر محمد لولاية القاهرة الأمير قدادار<sup>(٢)</sup> الذي كان على ولاية البحيرة فاستدعاه الناصر محمد وولاه القاهرة عام ٧٢٤هـ/١٣٢٥م<sup>(٣)</sup> لكن في عهده حدث ما لم يكن يحمد عقباه فقد كثرت شكاية الناس منه، وتسبب في وقوع الكثير من الضرر بالناس (الرعية) حتى الباعة لم تسلم من شر ذلك الوالي لأنه أمرهم بعدم فتح (حواليتهم) ودكاكينهم بعد العشاء، وقد جمع دراهم كثيرة<sup>(٤)</sup> مما ألزم الناس به في كل حارة أن يدفعوا له الكثير من النقود، وعندما كثرت شكاية الناس منه عزله الناصر محمد وعين بدلاً منه الأمير ناصر الدين بن المحسنى إلى أن مات عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م<sup>(٥)</sup>.

هذا وقد كان الولاية بعد عصر الناصر محمد بن قلاوون مصدر ضعف واضطراب كبير للدولة خاصة في ظل وجود سلاطين ضعاف، ذلك أنحكام الولايات كانوا مصدر شر كبير، بالإضافة إلى أنهم كانوا يطمحون في منصب السلطنة فكانوا يحاربون بعضهم بعضاً، ذلك لأن الوالي كان قائد الجيش المرابط في تلك الولاية، وعندما كان امتلاك القوة خطراً ذلك لأن ولاه الممالك كانوا غير متزنيين لذلك تعرضت دولة المماليك لهزات عنيفة وحروب داخلية مدمره واضطرابات كثيرة كانت من أكبر عوامل ضعفها وتحللها وسقوطها<sup>(٦)</sup>، هذا إلى جانب ظلم الولاية وعسفهم

<sup>(١)</sup> ابن الأثير: محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، نقلة وصححه (روبن ليوى)، مطبعة دار الفنون بكمبريدج سنة ١٩٣٧م، ص ٢١٩. نفس الكلام عند عبد الرحمن بن نصر الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة/ د. السيد الباز العريفي، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ص ٢١٨.

<sup>(٢)</sup> الأمير سيف الدين قدادار مملوك الأمير برلغى وكان من خيريه أنه تنقل في الخدم حتى ولى الغربية من أراضي مصر سنة ٧٢٣هـ، ثم انتقل إلى ولاية البحيرة، راجع: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ١٤٨-١٤٩.

<sup>(٣)</sup> المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ١٤٩.

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه، ص ١٥٠.

<sup>(٥)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(٦)</sup> محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، ص ٣٥-٣٦.





بأفلاحين لكثرة المغارم والمظالم التي أصابتهم من جراء الولاة حتى أنهم أخذوا منهم "غير العادة أضعافاً" (١).

أما عن الإدارة الإقليمية في أعمال الوجهين البحري والقبلي. خارج القاهرة والإسكندرية، فأشرف عليها مجموعة من الولاة، وكان الوجه البحري مقسماً إلى عشره أعمال (جهات) هي القليوبية والشرقية والدقهلية (المرتاحية) (٢) ودمياط والغربية والمنوفية وأبيار البحيرة وفوه والتراوية وقد حكم كل منها والى (٣).

والولاية التي أظهر سلاطين الممالك اهتمامهم بها هي ولاية البحيرة وذلك لتخوفهم من ثورات الأعراب والفتن التي كانوا يثيرونها من وقت لآخر لذلك عين سلاطين الممالك على البحيرة نائب خاص بها لينوب عن السلطان فيها (٤) وكان والى الولاة هو الذي يشرف على جميع الولاة لذلك أطلق عليه اسم الكاشف (٥) هذا وقد حدث تطور إداري واضح عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م (٦) عندما حولت مدينة الإسكندرية من مجرد ولاية يحكمها وال إلى نيابة يحكمها نائب (٧) وذلك نظراً لأهمية الإسكندرية من الناحية التجارية (٨) واهتم سلاطين الممالك بمدينة الإسكندرية اهتماماً عظيماً وحولوها إلى وحده إدارية كبيرة لها شخصيتها فأصبحت نيابة نائبة عن الأمراء الممالك وبها مجموعة من كبار الموظفين (٩).

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٣٠٢، سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر المماليك، ص ٥٠.

(٢) محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ق ١، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣-١٩٥٤م، ص ١٠٩، أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون مرسوماً بضم بلاد المرتاحية إلى بلاد الدقهلية وجعلها إسمياً واحداً بإسم الدقهلية والمرتاحية واستمر بهذا الاسم إلى سنة ٩٣٣هـ.

(٣) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣٣-٣٤، على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٣٠٤.

(٤) سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص ٣٤، على إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ص ٣٠٥.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٥، سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣٤-٣٥.

(٦) القلقشندي، المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٢٤، على إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

(٧) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة الممالك البحرية، ص ١٤٢-١٤٣، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٤، على إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

(٨) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٣٤-٣٥، سعيد عاشور، مصر في عصر دولة الممالك البحرية، ص ١٤٢-١٤٣.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٤، عاشور، نظم الحكم، ص ٣٥.



هذا وقد كانت وظيفة المحتسب لها دوراً هاماً في سير الأحداث، فقد كان له الدور الأكبر في الناحية الاقتصادية في الدولة<sup>(١)</sup> حيث أن الحسبة هي الوظيفة التي تراقب أحكام الشريعة فيما هو حادث فعلاً في المجتمع الإسلامي على اختلاف طبقاته من حيث إلحاق الضرر بالمصلحة العامة<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت مهمة عمل المحتسب أن يكون موجوداً دائماً بالأسواق يراقبها في كل وقت ويدور على الباعة ويكشف الدكاكين والطرقات ويتفحص الموازين والأرطال حتى لا يغش الناس فيها إلى جانب أنه يفحص الأطعمة وما يغشوله بها وكان هذا العمل بالليل والنهار وفي أوقات مختلفة ومُفاجئة بدون أن يندرهم أو يعرفهم بميعاد ذهابه إليهم<sup>(٣)</sup> فيفاجئهم بزيارته لهم وكان على دراية بما يأتي إلى الأسواق وما تستقر إليه الأسعار، وعندما كان الخبز هو أساس لمعيشة المستهلك ولا بد أن يكون متوفراً في الأسواق فكان على المحتسب أن يفرض على الطحّانين مقادير معينة تذهب كل يوم إلى دكاكين (حواليت) الخبازين<sup>(٤)</sup>، وكان عمل المحتسب واحد في كل العصور والأزمنة في الأسواق على اختلافها لمنع التلاعب في الأسعار والموازين أو غش السلع<sup>(٥)</sup>.

وتطورت وظيفة المحتسب على مر العصور نظراً لاتساع الدولة الإسلامية وتعدد المدن والأقاليم والولايات، حتى إذا جاء عصر الأيوبيين والمماليك أدركوا أهمية هذه الوظيفة من الناحية الإدارية حيث أنها وثيقة الصلة بالسلطة القضائية، فأصبح هناك ثلاث وظائف للحسبة في عهد المماليك في مصر والقاهرة والإسكندرية، ولقد كان عمل المحتسبين ونواهم متمشياً مع اتساع الأعمال وكثرة الواجبات المفروضة، وأصبح تعدد المحتسبين مثل تعدد ولاه الأقاليم<sup>(٦)</sup>.

وظهر دور المحتسب في ظل حدوث الأزمات الاقتصادية، فعندما كانت تحدث أزمة بعد فيضان النيل أو بسبب حدوث الفتن والاضطرابات أو غير ذلك من الأسباب فنجد أن الأسعار ترتفع فيقل الخبز ويتزاحم الناس على الأفران ودكاكين الخبز، ويظهر احتكار التجار للحوم والغلال

---

<sup>(١)</sup> د. عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط ٣، سنة ١٩٧٣ القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٥٥-٥٦.

<sup>(٢)</sup> د. السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مج ٣ العدد الثاني، سنة ١٩٥٠م، ص ١٥٧.

<sup>(٣)</sup> ابن الأخوه، معالم القرية، ص المقدمة وما بعدها.

<sup>(٤)</sup> الباز العريني، الحسبة والمحتسبون، ص ١٦٢ ص ١٦٣.

<sup>(٥)</sup> د. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحكمتها بين الشرق والغرب، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٣م، ص ٣٣٠-٣٣١.

<sup>(٦)</sup> د. صبحي عبد المنعم ماجد، الحسبة في الإسلام بين النظرية والتطبيق، ج ١، دار رياض الصالحين سنة ١٩٩٣م، ص ٣١.



والدقيق والخبز<sup>(١)</sup> ويخزنونه ليبيغوه بسعر أعلى من سعره الطبيعي أو لأن يبيع تجار اللحوم لحوم القطط والكلاب فعندما سمع المحتسب عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م أن الناس يأكلون لحوم القطط والكلاب عنفهم وعزروهم وعاقبهم على ذلك<sup>(٢)</sup>.

وعلى الجانب الآخر نجد عكس ذلك فيعجز المحتسب عن أخذ إجراءات مناسبة عند حدوث الأزمة الاقتصادية فيعزله السلطان ويعين بدلاً منه، وما حدث عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م دليل على ذلك، فعندما حدثت الأزمة الاقتصادية عقب نقص مياه النيل عند حد الوفاء اللازم لري الأرض، نقص وجود القمح في مصر، وبدأ الناس يتزاحمون على الأفران لشراء الخبز بل ينهبون ويقتلون من أجل الحصول عليه وصعب الأمر أكثر من ذلك، فلم يستطيع المحتسب أن يجد حل لذلك وسط الاضطراب والفوضى للحد من هذا الغلاء، فعزله السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وعين بدلاً منه محتسب آخر ليجد حل لما يحدث فعين شخص يدعى الضياء، وأول ما فعله أنه ختم شئون الأمراء كلها بعد أن سجل ما فيها من عدد الأرباب، وكتب ما يحتاج إليه الأمير من (الطعام) الجارية لمؤولته والعليق لدوابه إلى حين قدوم الغلال الجديدة، وأمر بعدم فتح أي شونه إلا بإذنه<sup>(٣)</sup>، ونظراً لأن الناس أحبوا هذا المحتسب نظراً لعدله وورعه إلا أنه لا يعجبه هذا فعل على عزله عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م وعين بدلاً منه محتسباً آخر<sup>(٤)</sup>، ومن المرجح أنه عينه حتى يكون تحت إمرته وسطوته فيدفع الأسعار متى شاء ويطرح البضائع على التجار في أي وقت ويضر الناس ولا يهتم إلا بمصلحته وجمع الأموال إرضاءً للنشؤ ناظر الخاص الذي عينه.

وأحياناً كانت تنور العامة من الشعب لعزل المحتسب لأنه كما عرف له سلطه تسعير البضائع فتدخلت الرشوة والبرطلة في ذلك، فوجد في عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م عندما حدثت الأزمة الاقتصادية نتيجة انخفاض ماء النيل<sup>(٥)</sup> فحدث الغلاء<sup>(٦)</sup> فاستغاث عامة الناس بالسلطان فسألهم عن حاجتهم ومطالبهم فطلبوا منه عزل المحتسب علاء الدين بن عرب وذلك لأنه كان يأخذ الرشوى من السوق، ولا يسعر البضائع فحدث للناس بذلك غضب وكره وضيق<sup>(٧)</sup>.

(١) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٧-٥٨.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٤.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٣٩٥.

(٤) المصادر نفسه ج ٢، ق ٢، ص ٤٤٤.

(٥) المقرئزي، إغاثة الأمة، ص ٤٠.

(٦) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٩.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٢٦.



أضف إلى ذلك ما حدث لتلك الوظيفة من اضطراب أيضاً وثوره الهامة على المحتسب، عندما قل الخبز من الأسواق وارتفعت الأسعار عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م، ولكن رغم أن الأمير برقوق أمر بفتح مخازن الغلال وبيع منها للناس بسعر مناسب لكن العامة ثاروا وطالبوا بعزل المحتسب الذي يدعى (المليجي) وأن يعين شخص آخر يدعى محمود العجمي، فأجابه برقوق إلى طلبهم وأعاد محمود العجمي إلى الحسبه<sup>(١)</sup>.

والتأمل لهذه الوظيفة خاصة في العصر المملوكي يجد أنها فسد أمرها نتيجة الرشاوى والبرطلة التي كان يدفعها السوقه أو التجار للمحتسب<sup>(٢)</sup> حتى يتغاضى عن التسعير للبضائع وإهمال أمرها، فذكر د/ أحمد عبد الرازق عنها أن أحد كتّاب القرن ٨هـ/١٤م ذكر عنها قائلاً، أما أمر الحسبه فأعلموا - حكم الله - أن أمرها قد فسد واستحكم فسادها، وكثر الطمع في أموال الناس بسببها، وقد بقيت سيئة للسلطان أن يوليها أحد ولا حاجة للناس بها<sup>(٣)</sup>.

تأثير الأزمات الاقتصادية على الموارد المالية للدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية:

#### أ- الإقطاع:

تعددت إيرادات الدولة الأيوبية والمملوكية بشقيها البحري والجركسي، وتنوعت موارد تلك الإيرادات، وكان معظم هذه الإيرادات قديمة وجدها السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر فأبقى بعضها على حاله وألغى البعض الآخر، فأما المورد الأول لإيرادات الدولة الأيوبية والمملوكية البحرية والجركسية كان الإقطاع الحربي<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن إياس، المصادر السابق، جـ ١، ق ٢، ص ٢٩٨.

(٢) د. أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة سنة ١٩٩٠م، ص ١١٥.

(٣) د. أحمد عبد الرازق، المرجع نفسه، ص ١١٦.

(٤) د. حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٠.





وقد كان الإقطاع<sup>(١)</sup> من أهم موارد إيرادات الأيوبيين والمماليك<sup>(٢)</sup>، ذلك لأنه مصدر الإيراد الدائم اللازم للصرف على الجيش السلطاني وجيوش الأمراء الإقطاعيين (الجنود)، فضلاً عن النفقات العسكرية الهامة للجيش بنوعيه في زمن الحروب<sup>(٣)</sup> هذا وقد عرف نظام الإقطاع<sup>(٤)</sup> منذ القدم، فقد كان الخليفة يقطع من يريد قطيعه أو إقطاعاً من الأرض في أى بلد من بلاد الدولة، ويقرر على مقطوعها شيئاً يقوم به لبيت المال في كل سنة، وقد سمي ذلك النظام مقاطعه إلا أنه كان قليلاً<sup>(٥)</sup>.

هذا وقد سار الفاطميون في مصر على نظام العباسيين في إقطاع الأراضي أحياناً، وكان يسمى ما عندهم بالسجلات<sup>(٦)</sup> ثم حل نظام الإقطاع في مصر الأيوبية محل نظام الأعطية (الرواتب)<sup>(٧)</sup> فإذا

(١) المقصود بالإقطاع هنا هو ما يتحصل من غله نقداً و عيناً من أراضى زراعية أو جهة من جهات الإيراد، ويعرف هذا النوع من الفقهاء المسلمين بإقطاع الاستغلال من مال الخراج أو الجزية وتقدير الخراج، سواء بالمقاسمة أو على المساحة فضلاً عن مسدة الإقطاع، وحال المقطوع أثناء بقاء الإقطاع من حيث السلاطين والمرضى والموت: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٧٢ - ١٧٣ عن د. الباز العريفي، المماليك، ص ١٦٨.

(٢) Hassanien Rabie; the financial system of Egypt (A.H564-741) A.D 1169-1341); London, oxford university press - New york Toronto, 1972, p133

(٣) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٧٨، سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٧-٨.

(٤) ذكر الدكتور سعيد عاشور، عن الإقطاع ما ذكره د. الباز العريفي والماوردي وقد كان له نفس الرأي حينما قال أننا لا نقصد بالإقطاع مساحة الأرض من حيث الإتساع أو عدم الإتساع، إنما هو في عرف العصور الوسطى مصطلح قصد به طريقة حيازة الأرض وأسلوب إستغلالها، ومدى هذا الاستغلال والحقوق والواجبات المترتبة على هذا الاستغلال، دون أن ترتبط بهذا كله مساحة الأرض، فقد يكون كبيراً يشمل زمام عدة قرى وقد يكون صغيراً لا يتعدى جزءاً من زمام قرية واحدة، وقد يكون بين هذا وذاك، راجع: د. سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٤، أما الدكتور إبراهيم طرخان فيذكر عن التنظيم الإقطاعي أنه مرحلة من مراحل التطور العام في تاريخ الدولة الملكية منذ العصور الوسطى في الشرق والغرب، وتختلف أصول التنظيم الإقطاعي وجدوره وأطواره باختلاف البلاد والأزمنة والخصائص الجغرافية والبشرية: راجع: د. إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٥.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٢٣.

(٦) المصادر لفساء: نفس الجزء، ص ١٣١ ص ١٣٢.

(٧) كانت ظاهرة إحلال الإقطاع محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش، تمثل ظاهرة مهمة من مراحل تطور النظم الإقطاعية في العالم الإسلامي. إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢١، لأنه كان من عادة الخلفاء الراشدين منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبني أمية وبني العباس والفاطميون، أن تجبى أموال الخراج (أى تتجمع كل أموال الخراج) ثم تفرق على الأمراء والعمال والأجناد كل على حسب قدرته، وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك في صدر الإسلام العطاء" راجع: المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٥٣ ص ١٥٤، المقرئ، السلوك، ج ١، ص ١٥٣. إذا كان الفاطميون في مصر قد عملوا بنظام الإقطاع بصورة جزئية وخاصة لولاية الدولة، فقد ظل الفلاحون خاضعون للدولة وليس للمقطوع مع استمرار دفع رواتبه الجند بنظام العطاء، علاوة على أن المقطوع لم يكن مطالباً بتقديم أى خدمة عسكرية، راجع:

- Hassanien Rabie (H.M) : the financial system of Egypt, PP26-28



أردنا أن نرسم صوره حقيقية للإدارة في تلك العصور اللذين نحن بصدد الحديث عنهما (الأيوبي، والمملوكي البحري) فإن المدخل الطبيعي لهذه الصورة يتمثل في النظام الإقطاعي الذي ظهر قديماً لكن على نطاق بسيط، وطبق فيما بعد على نطاق واسع في ذلك العصرين، ولعل النظام الإقطاعي هو الذي شكل الإطار الأساسي الذي تطورت وارتقت داخله الصورة الحقيقية لنظام الإدارة والحكم<sup>(١)</sup>.

فالنظام الإقطاعي كما عرفته وطبقته العصور الوسطى يمثل ظاهرة سياسية اقتصادية حربية اجتماعية إدارية، وليس ظاهرة اقتصادية مرتبطة بالأرض<sup>(٢)</sup>، فالإقطاع الذي يمثل جزءاً أساسياً من دراستنا، والذي عرفته الدولة الإسلامية أواخر العصور الوسطى في معناه أنه نظام محدد الأركان، يقوم في مضمونه وجوهره على أساس فكره الاستفادة من الأرض مقابل الالتزام بواجبات معينة، وبعبارة أخرى فإن النظام داخل إطار مجموعة من الحقوق والواجبات المتبادلة بين المقطاع والمقطع<sup>(٣)</sup>، أي منح أراضي بغرض الانتفاع بها وبدخلها، وقد لجأت الحكومات الإسلامية إلى نظام الإقطاع كوسيلة لدفع رواتب الجنود<sup>(٤)</sup>.

ولتفسير ما حدث لظهور النظام الإقطاعي<sup>(٥)</sup> يمكن القول أن ما حدث في أواخر العصور الوسطى من ضعف العناصر العربية عن أن تستمر في الدفاع عن الكيان الإسلامي (الأمة الإسلامية) ضد

---

=حسین ربيع، النظم المالية، ص ١٢، وظل الخليفة الفاطمي يقرر مقدار من المال على الأرض المقطعة... ومن حقه في أي وقت أن يأخذ الإقطاع ويصادره في أي وقت.

(١) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ص ٧-٨.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٣) Hassanen Rabie, The financial system of Egypt, p133.

(٤) Poliak, A.M.; The Ayyubid feudalism, JR AS (1939) pp 428-432, poliak. A.M;

"Some notes the feudalism system of the Mamluks" JR AS (1937). PP 97-107.

(٥) ظهر النظام الإقطاعي نتيجة لضعف الدولة الإسلامية حق الخلافة العباسية نفسها إلى جانب فقدان العالم الإسلامي منذ أوائل القرن الخامس الهجري لموارده المالية من التجارة الدولية نتيجة سيطرة قوى أجنبية على البحار، وانتزاع دور الوساطة في تجارة العبور الدولية وأخذها من المسلمين، الأمر الذي أدى إلى تدهور الطبقة البرجوازية والتمهيد للسيادة الإقطاعية، إلى جانب ظهور قوى مختلفة متعددة مثل السلاجقة والأتابكة والأيوبيين والمماليك فقد كان ظهورهم تعجيل بظهور النظام الإقطاعي العسكري الذي تمتع فيه المقطاع بكافة الحقوق الملكية. لمزيد من التفاصيل عما سبق ذكره. راجع. إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ص ١٠-١٥، محمد عبد العظيم أبو النصر، السلاجقة، تاريخهم السياسي والعسكري، ط ١، سنة ٢٠٠١م، ص ص ٣٥٣-٣٥٤، راجع أيضاً: محمود إسماعيل عبد الرزاق، الإقطاع الإسلامي من منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجري، حوليات كلية الآداب، رقم ١١، سنة ١٩٨٩، ص ٩. د. حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط المكتبة الأهلية، بغداد سنة ١٩٦٥م، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.



الأخطار العديدة التي جاءت إليه وهددته من جميع أنحائه، ذلك الضعف كان نتاج (سببه) الجهد الكبير الذي بذله العرب منذ بداية ظهور الإسلام<sup>(١)</sup> وقد حمل هذا الجيش المكون من العناصر العربية السابق ذكرها لواء حركة الفتوح الإسلامية من بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي - غرباً، حتى بلاد السند والهند وحدود الصين شرقاً<sup>(٢)</sup> في الوقت الذي بدأ العنصر العربي يفقد قدرته وحيويته وجهده ولم يستطع أن يبذل جهداً كبيراً، كان في هذا الوقت عناصر أخرى من الترك قد دخلت في الإسلام في وقت متأخر نسبياً، وأصبحت بطريقة أو بأخرى جزءاً من الدولة الإسلامية الكبرى مما أعطى الفرصة لهذه الدولة فرصة دخول دماء فتيه نشيطة، تفيض وتمتلي حماسه للإسلام والدين الإسلامي الذي أصبح متغلغل في أعماق قلوبهم، وقدر لقليلة الأتراك السلاجقة القيام بهذا الدور، تلك القبيلة التي أصبحت دولة وظهرت على مسرح الأحداث وحلت محل الدولة البويهية<sup>(٣)</sup> فقد كان السلاجقة أقوياء فرضوا أنفسهم ووصايتهم وسيطرتهم على الخلافة العباسية المنهارة في بغداد<sup>(٤)</sup> الذي لم يصبح فيها للخليفة العباسي من السلطة إلا الاسم<sup>(٥)</sup> فقد كانت دولة السلاجقة دولة حربية<sup>(٦)</sup> قامت تلك الدولة على أساس التوسع الحربي، فالحرب هي أساس وجودها وبقائها والدفاع عن كيائها ضد الأعداء من جيرانها فاعتمدت في ذلك على الجيش وقوته، فقد كان للسلاجقة جيش كبير يحميهم ويدافع عنهم في الداخل والخارج<sup>(٧)</sup>.

(١) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن حركة التوسع الإسلامي، راجع: عبد الحميد العبادي، محمد مصطفى زياده، إبراهيم أحمد العدوي، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، ط ٣، سنة ١٩٥٨م، مكتبة لمحة مصر، ص ١١ إلى ص ٢١، د. محمد عادل عبد العزيز، التاريخ الإسلامي العام، ط ١، سنة ٢٠٠٣م، ص ٩٨ إلى ص ١٦٨.

(٣) د. فتحي أبو سيف، خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين ط ١، سنة ١٩٨٨م، ص ١٣٢-١٣٣ إلى ص ١٣٩.

(٤) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٩.

(٥) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٠، محمد عبد العظيم أبو النصر، السلاجقة، ص ٣٥٨.

(٦) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦.

(٧) إهتم سلاطين وأمراء السلاجقة اهتماماً كبيراً بالجيش، وذلك لأنه عماد وأساس قيام دولتهم فهم أنفسهم رجال حرب وقتال وفرسان، عملوا في الجيش الساماني والغزنوي وغيره كجنود وقاده وفرسان إلى جانب الروح القتالية التي قد تأسست فيهم لطول ممارستهم حياة البداوة والقبلية فأصبح لكل سلطان من سلاطينهم العظام، ولكل أمير من حكام الأقاليم التابعين له جيش كبير مدرب يقوم بتسليحه والإنفاق عليه والإهتمام به. راجع: محمد عبد العظيم أبو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص ٣٥٣.



وقد كان الجيش في عصر السلاجقة يتطلب نفقات كبيرة وباهظة مما يضيف أعباء ثقيلة على ميزانيتهم، هذا إلى جانب أن دولة السلاجقة دولة ذات صفة حربية تطلبت تلك الصفة منذ بداية الدولة وفي وسطها لكثرة الحروب والمعارك التي دخلت فيها أن ينتقل التنظيم المالي فيها من نظام الرواتب والأعطية النقدية إلى قاعدة التعامل على أساس الإقطاعات<sup>(١)</sup>.

والدليل على ذلك ما ذكره العماد الأصفهاني في وصف ما حدث في الدولة السلجوقية زمن السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) ونصه "وكانت العادة جارية بمجباية الأموال من البلاد وصرفها إلى الأجناد، ولم يكن لأحد من قبل إقطاع، فرأى الوزير نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها، ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ففرقها على الأجناد إقطاعاً، وجعلها لهم حاصلاً وارتفاعاً، فتوافرت دوايعهم على عمارتها، وعادت في أقصر مدة إلى أحسن حالة من حليتها"<sup>(٢)</sup> فاقطعوا جنودهم إقطاعات بدلاً من الرواتب<sup>(٣)</sup>.

وقد شرح المقرئ ذلك الانتقال فذكر أن نظام الملك رأى أن يعطى كل جندي (مقطع) قرية أو أكثر من قرية أو أقل من قرية كل على قدر إقطاعه، لأنه نظر بعين سليمة ونظره صائبة أن المقطعين عندما يأخذون الأرض فسوف يعتني كل منهم بها ويرعونها هذا إلى جانب أنهم سوف يعمرون تلك الأراضي، على عكس إذا اشتملت جميع أعمال دولتهم على ديوان واحد، فيحدث بسبب ذلك الفساد والخلل في البلاد<sup>(٤)</sup>.

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٥.

(٢) البنداري الأصفهاني: الفتح بن علي محمد البنداري الأصفهاني، تاريخ آل سلجوق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م، ص ٥٥ ص ٦٠، المقرئ، الخطط، ج ١، ص ١٥٣-١٥٤، سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٧م، ص ٣٨.

(٣) ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، ص ٢٠٥-٢٠٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٢٣، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١١.

(٤) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٩٥. أدى إتساع دولة السلاجقة في عهد ألب أرسلان، وملكشاه إلى عجز خزائنها عن توفير أرزاق الجند، فرأى نظام الملك أن يعطى كل جندي قرية أو أكثر يعيش من إنتاجها وبذلك ضمن أرزاقها. راجع: البنداري الأصفهاني، آل سلجوق، ص ٥٥.

- Carl. F. Pertry ; The Cambridge History of Egypt, p 245.





فقد لجأوا مثلهم مثل كثير من حكام العصور الوسطى في الغرب والشرق إلى نظام الإقطاع الحربي<sup>(١)</sup> بمعنى أن يوزع السلطان الأراضي والبلاد على أمرائه على هيئة إقطاعات تتفاوت مساحتها على حسب درجة كل منهم، لينتفعوا بها ويعيشوا من خيراتها، وذلك مقابل تعهدهم بالخدمة العسكرية، فيأتي الجندي وقت الحرب، ومعه عدد معين من الفرسان والمقاتلين، على حسب مساحة إقطاعه وقيمته وما يأتي به من دخل، فيقوم بواجب الدفاع والحرب، متحملاً كافة النفقات سواء له أو لجنده أو لأتباعه، فإذا حدث وتخلّى عن واجب الدفاع، فقد حقه في التمتع بالإقطاع، من هنا أتاحت الدولة والحاكم توفير جيش من المقاتلين بأقل قدر ممكن من النفقات في عصور قل فيها النقد المتداول واعتمد الجزء الأكبر من النشاط الاقتصادي على أساس عيني<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد حرص الوزير السلجوقي نظام الملك<sup>(٣)</sup> على عدم تركيز الإقطاع في جهة واحدة أو مكان واحد، بل جعل الإقطاع موزع بين أماكن مختلفة<sup>(٤)</sup> هذا النظام الذي فعله نظام الملك يضمن ولاء الجنود خضوعهم وإخلاصهم في عملهم، فيعجز صاحب الإقطاع أن يكون قوة مناوئة في إقطاعه، فعمل على بعثه الإقطاع في أماكن متفرقة ومتباعدة حتى لا يقوى المقطع بتركيز إقطاعه في مكان واحد من تكوين قوة قوية تهدد كيان السلاجقة<sup>(٥)</sup>.

وقد كان من أهم خصائص المجتمع الإقطاعي الذي يسوده النظام الإقطاعي، أنه مجتمع طبقي البنيان، وصل في تطوره إلى حد التطرف<sup>(٦)</sup> حيث انقسم السكان (الشعب) إلى طبقتين، هما الطبقة أصحاب الإقطاعات الزراعية وتسمى الأرستقراطية، وطبقة المزارعين التابعين لتلك الطبقة،

---

(١) من الثابت في تطور النظم الإقطاعية في الشرق والغرب في العصور الوسطى أن الإقطاع اتخذ طابعاً حربياً في بعض الدول التي غلب عليها الجو الحربي، ذلك أن الحكام والملوك كانوا يجدون أنفسهم في حاجة إلى محاربين وفرسان مزودين بالسلاح والخيول، مما يتطلب أموالاً ونفقات لا تتحملها مواردهم، هذا المبدأ الذي يفسر في ضوءه تطور النظام الإقطاعي في الغرب منذ أيام شارل ينطبق أيضاً على النظم الاقتصادية التي عرفت على أيام السلاجقة والأيوبيين والمماليك، راجع: سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٣-١٦٤.

- M.A. Cook (ed) Studies in the Economic History of the Middle East from the Rise of Islam to the present day , London, 1970, pp129-138.

(٢) سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ٩-١٠.

(٣) Carl F. Petry ; The Cambridge History of Egypt. PP 245-246

د. إبراهيم طرخان، الإقطاع الإسلامي (أصوله - تطوره - دراسة مقارنة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧م، ص ٧٢-٧٣.

(٤) د. السيد البار العريبي، المماليك، ص ١٦٥-١٦٦.

(٥) إبراهيم طرخان، الإقطاع الإسلامي، ص ٧٣.

(٦) المرجع نفسه، ص ٤٨.



والتمى جميع من حاز إقطاع إلى الطبقة الأولى<sup>(١)</sup>، ومما قوى هذا النظام ودعّمه، بقاء السلاجقة في حالة حرب مستمرة سواء ضد البيزنطيين ومنافسيهم ثم ظهور الخطر الصليبي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وظهور الخطر المغولي منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي<sup>(٢)</sup>.

المهم أن النظام الإقطاعي الحربي الثقيل بأكمله إلى الدولة التي نشأت وتفرعت في أحضان السلاجقة ثم ورثتهم من بعد ذلك، وهذه الدول هي الدولة الزنكية، والدولة الأيوبية، ثم دولة المماليك والدولة السلجوقية نفسها هي التي أخذت هذا النظام من معاصريهم وأسلافهم في حكم العراق وغيره من بنى بويه<sup>(٣)</sup>، هذا وقد تملك أبق سنقر الملقب بقسيم الدولة<sup>(٤)</sup> والد عماد الدين زنكي إقطاع ضخم في الدولة السلجوقية بصفته من كبار القادة العسكريين في الدولة السلجوقية فاشتمل إقطاعه على حلب وحماه ومنبج واللاذقية وأعمالها، وعندما أسس عماد الدين زنكي دولته ذات العاصمتين حلب والموصل، وتوسع في جروبه ضد الأمراء المسلمين والصليبيين لجأ هو الآخر إلى تعميم نظام الإقطاع، وفعل مثله ابنه نور الدين محمود<sup>(٥)</sup>.

وازدادت جذور النظام الإقطاعي رسوخاً أيام الدولة النورية ثم الأيوبية ثم المملوكية، من ذلك أن نجم الدين أيوب وأخاه أسد الدين شيركوه، ثم صلاح الدين بن نجم الدين وجميع أقاربه تولوا مناصب ووظائف متنوعة في الدولة النورية ومنحوا مقابل ذلك إقطاعات وفيرة فنجم الدين تولى

(١) كارل ستيفنسن، الإقطاع في العصور الوسطى، ترجمة د. محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، ص ٥

(٢) إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٣) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٣. ظهر بنى بويه من الديلم واستبدوا بالسلطة وازداد النفوذ الفارسي الذي كان قد أخذ في الظهور منذ قدوم العباسيين من الشرق واستيلائهم على الخلافة.

راجع: د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٦٢.

(٤) قسيم هذا بمعنى مقاسم، وكان يضاف إلى اللفظ بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل قسيم الدولة، فقسيم الدولة لقب خاص لناصر المله أبق شجاع أبق سنقر، وقد أطلق عليه في نص إنشاء بتاريخ سنة ٤٨٠ هـ في القلعة بحلب، راجع: د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٥) لكي يجب نور الدين أمراءه في نظام الإقطاع الحربي، لجأ أحياناً إلى توريث الإقطاع إلى أبناء المقطعين، وإن كان هذا الإجراء لا يمثل القاعده السائدة بقدر ما يعتبر خروجاً عليها، فكان إذا توفي أحد الأمراء الأجناد، أقر نور الدين ابنه على إقطاع أبيه، وإن كان صغيراً عين وصياً إلى أن يكبر، ويهض بأمر الإقطاع مقابل موهضة بالواجبات والالتزامات المفروضة عليه، الأمر الذي ترتب عليه تعلق الأمراء والجند بالخدمة العسكرية، فكانوا يرددون "هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد، فنحن نقاتل عليها..." وتوريث الإقطاع ترك أثراً واضحاً في الأوضاع الاجتماعية فضلاً عن الأوضاع الحربية والعمرانية.

راجع: سعيد عاشور، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ٣٨، سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة،

ص ١٢-١٣

- Carl. F. petry ; The Cambridge History of Egypt , p228.



دمشق بعد استيلاء نور الدين محمود عليها سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م وحصل على إقطاع كبير، بالإضافة إلى شيركوه الذي تولى منصب قيادة الجيش النورى تلك القيادة العامة جعلته يمتلك إقطاعاً كبيراً في حمص والرحبة، إلى جانب تولى صلاح الدين وظيفة شحنة<sup>(١)</sup> وديوان دمشق، ومنح إقطاع اشتمل على بعض جهات حلب وكفر طاب، وكل ذلك مقابل الخدمات العسكرية في الدولة النورية<sup>(٢)</sup>

### الإقطاع زمن الأيوبيين:

ذكرنا سابقاً أنه تفرعت من الدولة السلجوقية الدولة الأتابكية الزنكية نسبة إلى عماد الدين زنكي أتابك الموصل، ثم الدولة النورية نسبة إلى ابنه نور الدين محمود، وقد وصل نفوذ نور الدين محمود من حلب إلى دمشق ثم القاهرة، وقد تولى ثم خلفه في حكم مصر والشام صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية، ونحن نعرف أن صلاح الدين عاش وتربى في كنف بلاد الشام وشاهد نظمها وإدارتها، فقد عمل صلاح الدين على تطبيق ما شهدته وعاشه من تعميم إقطاعي في الدولة النورية.<sup>(٣)</sup>

من هنا يتضح كيف انتشرت الكثير من النظم إلى مصر والشام حيث استطاعت أن تتفاعل مع طبيعة الزمان والمكان.<sup>(٤)</sup>

فمن حيث الزمان نجد أن هناك أسباباً رئيسية أدت إلى التمسك بنظام الإقطاع الحربي وتطويره والتوسع في تطبيقه طوال عصري الأيوبيين والمماليك، فقد شهدت تلك الدولتين أخطر حلقات الحركة الصليبية، وهى الحركة التي اتخذت شكل هجمات عنيفة شنها الغرب الأوروبي المسيحي<sup>(٥)</sup>

---

(١) شحنة هو حاكم ينوب عن الملك أو السلطان في ضبط البلد وتصريف شؤنها.

راجع: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ١، ص ١٥٢، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ ١، ق ٢، ص ٣٦٥، ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص ١٣٤، د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ ٢، ص ٦٢٣-٦٢٣.

(٢) ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص ١٢٠، أبو شامة، الروضتين، ص ١٠٠-١٢٩-١٣٠، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٦.

(٣) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٦.

(٤) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٢.

(٥) لمزيد من التفاصيل. راجع السيد الباز العريبي، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، جـ ١، دار النهضة العربية سنة ١٩٦٣م، ص ٢٧٧، سيد على الحريري، الحروب الصليبية، تحقيق. عصام محمد شپارو، ط ١. سنة ١٩٨٨م، ص ١٢٤.



وكان هدفها القضاء على الإسلام والمسلمين واتخذت أرض مصر والشام مجالاً لعملياتها الحربية، وقد كان على مصر والشام النهوض بمسئولية الدفاع عن البلاد.<sup>(١)</sup>

فمن الغرب الخطر الصليبي، أما الشرق فقد وصلت غزوات التتار الوثنيين الذين هجموا على البلاد في القرن ٧هـ/١٣م، إلى جنوب فلسطين، أما من الناحية الداخلية، فقد كان هناك عصبية، اعتمد كل حاكم فيه على عصبية عسكرية كانت ترتبط به وتنسب إليه وقد وضعت كل قوتها تحت سطوته وتصرفه، في حين اتخذ هو منها أداة للبقاء والحفاظ على مصالحه ضد خصومه ومنافسيه.<sup>(٢)</sup>

ومن ناحية المكان فقد ضمت الدولتين الأيوبية والمملوكية الكثير من المدن والأقاليم والأراضي الزراعية، وغير الزراعية القابلة للإقطاع الشيء الكثير، والمساحات الواسعة، مما ضمن للنظام الإقطاعي في هذه البلاد المادة الأساسية الخام اللازمة لصناعته وتشكيله، ووفر له ركناً أساسياً وشرطاً جوهرياً من شروطه وجهوده وازدهاره.<sup>(٣)</sup> المهم أن صلاح الدين طور النظام الإقطاعي الذي وجدته في مصر<sup>(٤)</sup> ليتفق مع القواعد التي عرفها ونشأ في ظلها وتربى عليها في الدولة النورية قبل حضوره إلى مصر.<sup>(٥)</sup>

ويمكن أن نتبع التطور التاريخي لنظام الإقطاع باعتباره مورداً مالياً رئيسياً من موارد الدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية، فينقسم الإقطاع إلى قسمين هما: الإقطاع الحربي، الإقطاع

---

<sup>(١)</sup> لمعرفة مزيد من الأدوار التي قامت بها مصر والشام والجهود المبذولة في ذلك ضد الحروب الصليبية راجع: حسين مؤنس، نور الدين محمود سيره مجاهد صادق، القاهرة سنة ١٩٥٩م، ط ١، ص ١٣، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ص ١٧-١٩، عبد العزيز محمود عبد الدايم، بيت المقدس في العصر الأيوبي، القاهرة سنة ١٩٨٩م، ص ٧٨.

- W.B. Stevenson, the crusaders in the Esat , Cambrigde , 1970, p19-92  
- Amin Maalouf, the crusades through Arab eyes, Translated by Jon Roth schild, 1983, p160.

<sup>(٢)</sup> سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ص ١٠-١١.

<sup>(٣)</sup> سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ١١.

<sup>(٤)</sup> عرف نظام الإقطاع قبل عصر الأيوبيين والمماليك في مصر، والدليل على ذلك حينما أنشأ الأيوبيون دولتهم وجدوا للفاطميين نظاماً وضعوه لحكم البلاد وإدارتها، وكان له معاملة وأركانه الثابتة، مثله في العديد من الموظفين وفي كثير من الدواوين، ومن هذه الدواوين كان ديوان الجيش الذي أشرف على إقطاعات الجند، والعسكر بل الأمراء، مما يثبت أن الإقطاع الحربي كان معروفاً بمصر في صورة أو أخرى قبل قيام دولة بنى أيوب. راجع: سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ص ١٠-١١.

<sup>(٥)</sup> عندما انتظمت الأمور لأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بالديار المصرية أقطع البلاد للعساكر التي قدمت معه وصلاح الدين يبين أخيه مباشر للأمور ومقرر لها ويبيده زمام الأمر والنهي. راجع: ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، ص ١٦٥، سعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، ص ص ١١-١٢.





الإداري<sup>(١)</sup>، فالإقطاع الحربي هو الذي لا يختلف في أصوله وقواعده ومظاهره عن الإقطاعات السلجوقية لأنه كان وثيق الصلة بما يؤديه المقطع من خدمات حربية<sup>(٢)</sup> هذا الإقطاع خضع لسيطرة الحكومة المركزية، وهو لم يكن إقطاعياً وراثياً إلا في بعض الحالات النادرة في الدولة النورية كما سبق أن ذكرنا، ومن النادر أن يبذل مدى الحياة<sup>(٣)</sup>.

أما النوع الثاني وهو الإقطاع الإداري الذي اختص به الأمراء من الأسرة الأيوبية الحاكمة<sup>(٤)</sup> وكبار الموظفين والأمراء وافقت هذه الإقطاعات عادة مع وحده إقليمية إدارية<sup>(٥)</sup>.

على أية حال أصبحت مصر مقسمة إلى إقطاعات للسلطان، وإقطاعات لأبناء البيت الأيوبي، وإقطاعات للأمراء الأجناد<sup>(٦)</sup> إلى جانب إقطاعات العربان<sup>(٧)</sup> فعندما أدخل صلاح الدين الإقطاع الحربي إلى مصر أصبحت أرض مصر تقطع للسلطان وأجناده<sup>(٨)</sup>، فعندما جاء إلى مصر نجم الدين أيوب والد صلاح الدين أقطعه صلاح الدين إقطاعاً شتمل على الإسكندرية والبحيرة<sup>(٩)</sup> وأقطع أخوه شمس الدولة تورانشاه إقطاعاً آخر<sup>(١٠)</sup> ذلك الإقطاع اشتمل على قوص وأسوان وعيذاب، وكانت عبره ذلك الإقطاع عام ٥٦٥هـ/١١٧٠م، ٢٦٦ ألف دينار<sup>(١١)</sup> منها إقطاع قوص وحده ١٠٠ ألف دينار<sup>(١٢)</sup>، ومن المرجح أن صلاح الدين أقطع أيضاً جميع أخوته وأبناء أعمامه من البيت الأيوبي إقطاعات مناسبة...، كما أقطع أخاه بوري إقليم الفيوم وعبرته ١٠٠٤٦ ديناراً<sup>(١٣)</sup>.

(١) محمود نديم أحمد فهم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٣م، ص ٥٦.

(٢) محمود نديم، المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٣) السيد الباز العريفي، الإقطاع في الشرق الأوسط، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، العدد الرابع، يناير سنة ١٩٥٧م.

ص ١٤٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٧، محمود نديم أحمد فهم، المرجع السابق، ص ٥٦.

(٤) محمود نديم، المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٥) حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٦) محمود نديم أحمد فهم، الفن الحربي، ص ٥٦.

(٧) حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٨) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٩٧، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٢، محمد أمين، الأوقاف، ص ٢٩٩.

(٩) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ١٢٤، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٧.

(١٠) حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٢٧.

(١١) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ١٨٤.

(١٢) الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ورقة ١٢ب، نقلاً عن د. حسنين ربيع، النظم المالية، حاشية (٤) ص ٢٧.

(١٣) أبو صالح الأرمي، تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمي، ص ٨٩، د. حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٧.



والثابت أن صلاح الدين قد عمم نظام الإقطاع الحربي منذ قيام دولته فصاعداً<sup>(١)</sup> والدليل على ذلك أنه بعد توزيع الإقطاعات على البيت الأيوبي وأقاربه منه، قام بتوزيع إقطاعات أخرى بين قادة الجيش النورى، وهو لا يزال تابعاً للدولة النورية، فعندما بعث السلطان نور الدين محمود الأمير خالد بن القيسرائى خال نور الدين إلى مصر ٥٦٩هـ / ١١٧٤م لحاسبة صلاح الدين على ما قام به، بعد أن أخذت الشكوك تساور نور الدين محمود من حقيقة مطامع صلاح الدين، لكن صلاح الدين عرض على القيسرائى الأجناد ومبالغ إقطاعهم ورواتب نفقاتهم<sup>(٢)</sup>. وفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م بدأت مرحلة جديدة في توزيع الإقطاعات وذلك عندما قام صلاح الدين بعملية الروك<sup>(٣)</sup> وإعادة مسح الأراضي الزراعية<sup>(٤)</sup> وتوزيعها، وعملية الروك تعتبر إجراء زراعي،

(١) أبو شامة، الروضتين، جـ ١، ص ٢١٩، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ١، ص ٢٥٧-٢٥٨، المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ٥٢، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٨.

(٢) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص ٣٣، حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٣) الروك في كتب المؤرخين مصدر الفعل الثلاثى رأك، وهو لفظ جرى في مصطلح الإدارة المالية في مصر والشام في العصور الوسطى للدلالة على عملية قياس الأرض ومسحها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة، وهو المعروف في مصطلح الدواوين في العصر الحاضر باسم "فك الزمام وتعديله"، وهذا اللفظ مأخوذ من الكلمة القبطية روش، ومعناها، قياس الأرض بالحبل وقد وردت هذه الكلمة بالنسخة القبطية لكتاب العهد القديم old Testament أكثر من مرة (سفر عاموس) (إصحاح ٧ آية ١٧، سفر ميخا، إصحاح ٢، آية ٤)، وهى بدورها مشتقة من اللفظ الديوطقى "روخ" ومعناه تقسيم الأرض. راجع: المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٤٦، جـ ١، ق ٣، حاشية (٣) ص ٨٤١-٨٤٢، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٩٥، محمد حمدي المناوى، لهر النيل، ص ١٨٣، محمود الحويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، حاشية (٢) ص ٤٣٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، حاشية (١)، ص ٤٢.

- Poliak ; Feudalism in the Near East , p33.

وكان يلجأ للروك والتقسيم الإقطاعى عندما يريد السلطان حصر الأراضي ومسحها وتقدير درجة خصوبتها أو عدم خصوبتها لتقدير الخراج المناسب لها وإعادة إقطاعها مرة أخرى، راجع: محمود الحويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨.

(٤) ابن ممتى، قوانين الدواوين، ص ٤٥٥. مسحت الأرض في العصور الإسلامية وكانت أول مرة تم فيها مسح الأرض حوالى عام ٩٧هـ / ٧١٥م على يد رفاعه والى مصر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموى، وثابتها سنة ١٢٥هـ / سنة ٧٤٣م، على يد ابن الجحباب عامل الخراج في مصر زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (وقيل في سنة ١٠٦-١٠٧هـ / ٧٢٤-٧٢٥م)، وثالثها حوالى سنة ٢٣٥هـ / سنة ٨٦٧م، وقد تم ذلك في أيام ابن المذبر عامل الخراج بمصر في خلافة المعتز بالله العباسى، ورابعها الروك الأفضلى سنة ٥٠١هـ / سنة ١١٠٧م نسبة إلى الأفضل ابن أمير الجيوش في عهد الخليفة الأمر النساطى، وخامسها الروك الصلاحية نسبة إلى السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م، وسادسها الروك الحسامى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م، وعمله حسام الدين لاجين، وسابعها الروك الناصرى. وسوف يتم الحديث عنه بشئ من التفصيل سواء الروك الحسامى، أو الروك الناصرى. راجع: المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٤١-٨٤٢، النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣١، حاشية (٣) ص ٣٤٥، محمد قنديل البقللى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤م، ص ١٦٤-١٦٥، محمد حمدي المناوى، لهر النيل، ص ١٨٦، عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك =



كان الغرض منه تعديل ما هو مفروض على البلاد من أموال الخراج تعديلاً ملائماً وذلك لما يستجد ويطرأ على حالة الأرض من تغيير سواء بنقص مساحتها أو زيادة تلك المساحة بين وقت وآخر<sup>(١)</sup> من هنا كان لابد من عملية الروك.

هذا وقد كان هناك من الأسباب المختلفة التي أدت إلى إعادة النظر في التوزيع الإقطاعي (مسح الأرض الزراعية) ومنها:

\* النيل وفيضانه (زيادة ماء النيل - أو نقص ماء النيل) أي غرق الأرض أو شرقها،<sup>(٢)</sup> فكلاهما كان يؤثر على الأرض وما بها من زروع، فقد ذكرنا سابقاً أن حدا الوفاء إذا بلغ ١٦ ذراعاً فهي تكفي لزراعة ٣/٤ البلاد والربع الآخر يصيبه ظمأ وشرق، وأن ١٧ ذراع كانت تنفع البلاد بأكملها وتكفي الأراضي كلها<sup>(٣)</sup> وإذا أصبح ١٨ ذراع زاد الخراج<sup>(٤)</sup> وقيل أن ١٨ ذراع هذه تؤدي إلى الفيضان ونقص الخراج، والذي يؤثر في زيادة الخراج أو نقصه هو تراكم الطمي وعدم الاهتمام بتطهير الترع وصيانة الجسور إلى جانب علو الأرض،<sup>(٥)</sup> ومعنى آخر أن حدود الأرض والإقطاعات عرضة لأن تتغير على مرور الزمن نتيجة لتآكل بعض الأراضي الزراعية بسبب مياه النيل، إلى جانب ترسيب الطمي المستمر الذي يؤدي إلى زيادة الأرض،<sup>(٦)</sup> ويجب أن نضع في الحسبان (الاعتبار) أن الأرض التي لم يصلها الماء تصبح أرض بور ولا تزرع أو يكون بها محصول، وفي بعض الحالات قد يصل ارتفاع ماء النيل إلى حد يغمر معه أرضاً لم يكن يصلها الماء وبذلك تدخل في نطاق الأرض الزراعية، فكان من الضروري معرفة مساحة الأرض المزروعة من وقت لآخر<sup>(٧)</sup>.

---

= ورسومهم في مصر، ص ٦٨، عمر طوسون، ماله مصر، ص ٢١٤-٢١٨ جمال الدين الشيال، صفحه من الحياة الاقتصادية في مصر الإسلامية، مجلة الثقافة، العدد ٩٧، ٩٩.

(١) المقرري السلوك، ج ١، حاشية (٣) ص ٨٤١-٨٤٢. لم يكد صلاح الدين يثبت ويرطد أقدامه في مصر حتى أعاد النظر في توزيع الإقطاع فقام عام ٥٧٧هـ ثم عام ٥٨١هـ بإقطاع البلاد والتوقيع على الأجناد. راجع: أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٦٢.

(٢) جمال حمدان، شخصية مصر، ج ٢، ص ٨٩٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٢، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ١٦.

(٤) ابن ظهير، الفضائل الباهرة، ص ١٦٠، المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٢.

(٥) المنوفى، الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد، مخطوط بدار الكتب، ورقة (٢٣).

(٦) جابر سلامة المصري، الزراعة في مصر في عهدي الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٣.

(٧) محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، ص ١٨٤.



مسحت الأرض الزراعية عدة مرات وذلك لتقدير الخراج<sup>(١)</sup> المستحق عليه لبيت المال، وكان الخراج كما سوف يُذكر ضريبة الأرض في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية هو المنبع الرئيسي لدخل الدولة منذ صدر الإسلام ومنه تصرف رواتب الجند والولاة وموظفي دواوين الدولة<sup>(٢)</sup>.

وكانت مصر تدفع خراجاً سنوياً كباقي البلاد الإسلامية التي تعتمد على الخراج، وكان الخراج في مصر مقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً، توزع أجزاؤها على القرى توزيعاً متناسباً مع قدرتها فيكون للسلطان منها أربعة قيراط، وللأجناد عشرة قيراط، وللأمراء عشرة قيراط<sup>(٣)</sup>.

وكانت جباية الخراج سواء في مجموعها الكلي أو في الأجزاء الموزعة على القرى معرضة للتغيير والتعديل، فإذا زادت تعمير البلاد وتوفر زرعها زادت الجباية، وإن قلت تعمير البلاد وأصبحت الأرض بور جدياء وخربت تلك الأرض نقص الخراج، وهذا هو أحد وأهم أسباب تكرار مسح الأراضي<sup>(٤)</sup>.

\* هذا إلى جانب الرغبة في ضبط الإقطاعات وعدم استمرار أراضي معينة في إقطاع معين، وعدم استمرار بعض الإقطاعات في أيدي الوارثين من هنا ثم اللجوء إلى ما يعرف بالروك لإعادة توزيع الأراضي بين السلطان وأرباب الإقطاع<sup>(٥)</sup>.

\* هناك أسباب أخرى لعل أهمها أن يتظلم الأمراء المقطعون من تراكم الخراج عليهم وعجزهم عن الدفع، أو يشكو بعض الأجناد من معاملته أمر ائهم وجبروتهم وطغيانهم على حقوق الأجناد، إلى جانب شكوى الفلاحين من قسوة المقطعين لهم وكثرة المغارم (الضرائب) التي يتعرضون لها فضلاً عن أعمال النهب والسلب من جانب قطاع الطرق والعربان الذين يحتمون بالأمراء<sup>(٦)</sup>.

وكان من الضروري للدولة الأيوبية وهي في طريقها إلى تنظيم مالية البلاد أن تعيد مسح الأراضي لفرض الخراج على أساس سليم<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، حاشية (١) ص ٤٢، ل.أ. سيمينوفا، صلاح الدين والمال في مصر، ص ٨٠.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، حاشية (٣) ص ٣٤٥.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٨٧ ص ٨٨.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، حاشية (٣) ص ٣٤٥، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٤١-٨٤٢، محمد قنديل

البقللى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٦٤-١٦٥

(٥) Poliak, A.N; Feudalism in Egypt Syria , Palestine and the Lebanon, 1939, pp 23-25.

(٦) جابر سلامة المصرى، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣٤٥.





وقد تم ذلك بعد أن أصبح صلاح الدين سلطاناً بسنه واحده<sup>(١)</sup> وقد ظهر الروك الصلاحي وتبين أن خراج الفدان من القمح في العصر الفاطمي بلغ في المتوسط ثلاثة أرداب، فعمل صلاح الدين على تخفيض ذلك إلى أردبين ونصف أردب فقط، أما أراضي أسفل الأرض (الدلتا) فكان الخراج يؤخذ منها نقداً لا غله زمن الفاطميين فأمر صلاح الدين باستمرار ذلك لشده حاجته إلى المال فيما يرجح<sup>(٢)</sup>.

مرة أخرى عاد صلاح الدين النظر في توزيع الإقطاعات وذلك عام ٥٧٧هـ/١١٨١م<sup>(٣)</sup> وقد وصف القاضي الفاضل ذلك قائلاً "استمر انتصاب صلاح الدين في هذه السنة في أمور الإقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها، وإثبات المحروم وزيادة المشكور"<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد استولى صلاح الدين على إقطاعات العربان، عوض بها مقطعي الفيوم، وصارت الفيوم كلها إقطاعات للسلطان<sup>(٥)</sup> والغريب أن صلاح الدين جعل إقليم الفيوم كله إقطاعاً لابن أخيه تقي الدين عمر<sup>(٦)</sup> وذلك عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م، فأصبح له الفيوم والبحيرة، وكانت عبرة الفيوم ٣٠٠ ألف دينار، أما البحيرة فكانت عبرها ٤٠٠ ألف دينار<sup>(٧)</sup> واختلفت عبره كل بلد من بلاد مصر عن غيرها من البلاد الأخرى سواء بالزيادة أو النقصان<sup>(٨)</sup>.

وقد كان للقبائل العربية (العربان) نصيب من التنظيم الإقطاعي، ومن أهم الإقطاعات التي أقطعها لهم صلاح الدين كانت لقبيلة ثعلبه من إقطاعات الأراضي التي كانت تحت سيطرة قبيلة جذام، وقد كان لسائر القبائل إقطاعات متفرقة في مصر<sup>(٩)</sup>، والسبب الأساسي وراء إقطاع صلاح الدين

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٢-٤٣

(٢) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٢، حسنين ربيع النظم المالية، ص ٤٣.

(٣) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٣.

(٤) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٨٦، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٣.

(٥) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٧٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٨.

(٦) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥، المقرئى، السلوك، ج ١، حاشية (٣) ص ٩١، ابن واصل، مفرج الكروب،

ج ٢، ص ١٥٢، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٨.

- ABU SALIH, The AR menian, the churches, Monasteries of Egypt and some Neigh bouring countries, Oxford At the clarendom press, 1895, p89.

تاريخ الشيخ ابى صالح الأرمي، ص ٨٩.

(٧) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، حاشية (٣) ص ٩١.

(٨) لمعرفة ذلك: راجع: المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٧٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٩.

(٩) المقرئى، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق وتأليف، د. عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م،

عالم الكتب، ص ٢٢-٢٧.



للقبائل العربية كان المحافظة على أمن البلاد، إلى جانب الاشتراك معه في الجهاد، فنجد أنهم خانوا صلاح الدين عندما صدروا الغلال إلى بلاد الفرنج، مما جعل صلاح الدين يصادر إقطاع جزام وتعليه<sup>(١)</sup> ففي عام ٥٧٧هـ/١١٨١م صادر صلاح الدين أكثر من ثلثي إقطاعات العربان بوجه عام<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م قرر صلاح الدين تقسيم دولته بين أبنائه وأهل بيته، فأعطى مصر لولده العزيز عثمان<sup>(٣)</sup> والشام لولده الأفضل<sup>(٤)</sup>، وحلب لولده الظاهر، وأعطى أخاه العادل إقطاعات كثيرة بمصر، بلغت قيمة (غله) إقطاع العادل بمصر فقط سبعمائة ألف دينار كل سنة، وكان للعادل مرسوم موقع بما يملكه من إقطاعات بمصر والشام وبلاد الجزيرة<sup>(٥)</sup> إلى جانب أن صلاح الدين جعل أخاه العادل أتابكاً لابنه الملك العزيز، وأعطى لابن أخيه تقي الدين حمّاه والمعمره ومنيح وأضاف إليه ميفارقين<sup>(٦)</sup>.

وخلاصة القول عندما عزم صلاح الدين على تقسيم دولته بين أبنائه وأهل بيته، جعل ذلك التقسيم على أسس إقطاعية، وكذلك حرص بعده أخوه السلطان العادل على أن يكون أولاده هم وحدهم أصحاب الإقطاعات الكبرى في مصر<sup>(٧)</sup>.

وفي عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م حدث تطور كبير في نظام الإقطاع الحربي في الدولة الأيوبية إذ أخذت سياسة العادل أخو صلاح الدين على التدخل في شئون أبناء صلاح الدين سواء في مصر أو الشام وأتيحت له الفرصة حينما بدأ النزاع بين أبناء البيت الأيوبي، وامتد هذا النزاع إلى جميع الطوائف والأحزاب الحربية المختلفة<sup>(٨)</sup> فقد عمل العزيز عثمان على تقريب الأمراء الصلاحية

(١) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٧١.

(٢) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٧٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٩.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٨٣، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٨٥.

(٤) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٨٥.

(٥) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٨٥.

(٦) النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٠٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٠.

(٧) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٤.

(٨) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٣، ص ١٤-١٥، محمود الحويرى، العادل الأيوبي، ص ٤٨-٤٩، الباز العريفي، المماليك، ص ٣٥.



إليه، فغضب من ذلك الأمراء الأسديّة<sup>(١)</sup> من هنا التهز العادل الفرصة وقرب إليه الأمراء الأسديّة، ووعدهم بالوعود والإقطاعات الكبيرة<sup>(٢)</sup>، وعندما صارت الأمور للعادل، نفذ وعوده وأقطع الأمراء الأسديّة الإقطاعات الوافرة العديدة<sup>(٣)</sup>

وأصبحت السلطة في يد السلطان العادل وذلك عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م، واستدعى ابنه الكامل وجعله نائباً عنه في مصر وأعطاه الشرقية وأعمالها إقطاعاً له<sup>(٤)</sup>، وقد حرص السلطان العادل على أن يكون لأولاده أكبر الإقطاعات في مصر<sup>(٥)</sup> ويكونوا هم أصحابها المسئولين عنها، فأقطع ابنه الملك الفائز إبراهيم قوص وأعمالها، وأقطع ابنه الملك المفضل قطب الدين الفيوم بأعمالها وهما من أكبر الإقطاعات<sup>(٦)</sup>.

وفي عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م أعاد السلطان العادل النظر في أمر الإقطاعات كما فعل صلاح الدين من قبل عدة مرات<sup>(٧)</sup> فعمل على إخراج المقطعين من إقطاعاتهم<sup>(٨)</sup> وأقطع جماعه من الأمراء الإقطاعات التي أخلاها لعدم وانصرف أمرائها عن الخدمة، وغير في أعداد العسكر المطلوب من كل إقطاع، وحاسب المقطعين عما تحت أيديهم "فتغيرت لذلك نياتهم"<sup>(٩)</sup>.

المهم أنه أخذ في تقسيم دولته بين أبنائه فأعطى ابنه الأكبر المعظم عيسى دمشق، وأعطى المعظم موسى بلاد الشرق، والملك الكامل مصر، واستقر جميعهم في ممالكهم وصارت "العمدة في كل الممالك عليه"<sup>(١٠)</sup> وسار الملك الكامل على سياسة أبيه العادل بأن أعطى أبناء البيت الأيوبي الإقطاعات الكبيرة، فعندما جاء الملك المظفر صاحب حماه ليقف بجانب الملك الكامل في معركة

---

<sup>(١)</sup> المقرئزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٢٤، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٤٧، النويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١٩.

<sup>(٢)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٤.

<sup>(٣)</sup> حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٠.

<sup>(٤)</sup> المقرئزي، السلوك، جـ ١، ص ١٥٢، حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٣٠.

<sup>(٥)</sup> سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٦.

<sup>(٦)</sup> حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣١.

<sup>(٧)</sup> المرجع نفسه، ص ٣١.

<sup>(٨)</sup> أبو شامة، الروضتين، جـ ٢، ص ٢٣٧.

<sup>(٩)</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ١٢، ص ٦٥.

<sup>(١٠)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٢٧.



المنصورة ضد الصليبيين أعطاه الكامل نظير ذلك إقطاعاً في مصر<sup>(١)</sup> وتوالت إقطاعات السلطان الكامل لأخواته وأقاربه من البيت الأيوبي ... وهكذا

والشيء الواضح أمامنا أن الإقطاع في نهاية العصر الأيوبي قد اكتملت صورته ونضج نضوجاً تاماً واستقرت زواياه وأركانه<sup>(٢)</sup> ومعنى آخر أن النظام الإقطاعي استقر بمعناه الحربي والاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته العصور الوسطى<sup>(٣)</sup>، ففي عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب كان قد أعطى عمه الملك العزيز بن الملك العادل إقطاعاً في مصر عام ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، وذلك مقابل ١٥٠ فارساً<sup>(٤)</sup>، إلى جانب أنه أعطى للخوارزميه في مقابل خدماتهم الحربية<sup>(٥)</sup> ومنح أيضاً ممالكه الأتراك<sup>(٦)</sup> الذي اعتمد عليهم في كل شيء فأعطاهم إقطاعات كثيرة<sup>(٧)</sup> وذلك مكافأة لهم لشبائهم في خدمته عندما ابتعد عنه الناس وخذلوهم، فوجد هؤلاء الممالك بجانبه، وكان كلما أخذ إقطاعاً من أمير أعطاه لملوك من ممالكه وقدمه حتى أصبح أكثر الأمراء ممالكه<sup>(٨)</sup>. هذا وقد أوصى الصالح نجم الدين أيوب ابنه تورانشاه أن يزيد من إقطاعات الممالك البحرية في وصيته التي أوردها النويري ومنها ما نصه "وزيد (كذا) في إقطاعاتهم، وزيد كل أمير ما معه من العدة عشرين فارس (كذا) وأنفق الأموال، وطيب قلوب الرجال تنال غرضك"<sup>(٩)</sup> وبعد وفاه الصالح نجم الدين أيوب قامت زوجته شجر الدر ومعها الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ<sup>(١٠)</sup> الذي كان من كبار دولة

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣١.

(٢) محمود نديم أحمد فهمي، الفن الحربي، ص ٥٦.

(٣) سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٧.

(٤) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، ص ٧٦٦، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣١.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ص ٣٢٢-٣٥٨، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٩٠، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع زمن الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٧، سعيد عاشور، الأيوبيين والمماليك، ص ١٦٤-١٦٥، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٢، يمكن معرفة المزيد عن الخوارزمية راجع: أسامة زكي زيد، الخوارزميون ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية العدد ٣٠، سنة ١٩٨٢، عبد العزيز عبد السلام، بيت المقدس، ص ١٦٥.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٩٠، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢١٧.

(٧) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٢.

(٨) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣١٠، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٢.

(٩) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص ٢٧، ورقة ٩٠ عن حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٢.

(١٠) شيخ الشيوخ معناها العام "كبير الشيوخ" أو رئيس الشيوخ بمختلف دلالات الشيوخ، غير أن الغالب فيها شيخ شيوخ الصوفية أو الخانقارات، د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ٢، ص ٦٣٩، ص ٦٤٠، فقد كان من الظواهر الحضارية التي ترثت على انتشار حركة التصوف السني في مصر الأيوبية معمارياً بناء الخانقارات التي ارتبط بها ظهور وظيفة ولقب شيخ =





الصالح "بإقطاع البلاد بمناشير الأمراء والأجناد"<sup>(١)</sup> ومن هنا يتضح لنا أن الفترة (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) كانت تمثل مرحلة جديدة من مراحل تسلط العناصر العسكرية وإدخال الإقطاع العسكري وفق الخط السلجوقي<sup>(٢)</sup>، وفي ضوء ما سبق عن الإقطاع في العصر الأيوبي يمكن القول:

- تركز نشاط أمراء البيت الأيوبي في إدارتين : ١- الإدارة المالية ٢- الإدارة المحلية

وقد كان كل منها ويثق الصلة ببعضه ببعض، ففي ضوء سياسة الدولة الأيوبية، كان أبناء البيت الأيوبي من الأمراء يديرون شئون إقطاعاتهم التي أعطاها لهم صلاح الدين<sup>(٣)</sup> فهم مسئولون مسئولية كاملة عن الإدارة المالية والمحلية بها<sup>(٤)</sup>.

ولتحقيق الاستقرار وعدم الخلاف، حرصت الدولة الأيوبية كما حرصت من قبلها الدولة السلجوقية على تفريق الإقطاعات وعدم جمعها في إقطاع واحد<sup>(٥)</sup> وذلك حتى لا يستبد المقطعين بإقطاعهم إدارياً، وقد سمحت الدولة الأيوبية عند إعادة توزيع الإقطاعات أو عند وفاة السلطان وتولى سلطان جديد بنقل الإقطاعات من مقطع إلى آخر<sup>(٦)</sup>.

والشيء الملاحظ هنا هو سيطرة أبناء البيت الأيوبي على المناصب الإدارية الهامة وذلك منذ أن تولى الوزارة صلاح الدين الأيوبي بمصر، فكان نجم الدين والده يتحكم في الخزائن ويفعل ما يريد دون أن يرجع إلى صلاح الدين<sup>(٧)</sup> فقام بهذه المهمة على أكمل وجه نظراً لمعرفته وخبرته في إدارة تلك

---

=الشيوخ، وهي الوظيفة الدينية التي أدخلها صلاح الدين في مصر بعد تأسيس الخالقة سعيد السعداء عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م فكان أكبر شيوخها مقاماً يلقب بلقب شيخ الشيوخ.

راجع: السبكي: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م، ص ٩٦-٩٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج-٥، ص ٣٧٣.

(١) المقرئ، السلوك، ج-١، ص ٣٣٣-٣٣٦.

(٢) د. عبد العزيز الدوري، مقدمه في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، يناير سنة ١٩٦٩م، ص ١٠٤.

(٣) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج-٢، ص ٤٧-٤٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج-١١، ص ٣٣-٣٤، ج-١٣، ص ١٤٤.

(٥) أميره إبراهيم، الأوضاع الإدارية والاقتصادية في العصرين الفاطمي والأيوبي، ص ١٥٣.

(٦) المقرئ، السلوك، ج-١، ص ٣٤٣، أميره إبراهيم، المرجع نفسه، ص ١٥٣.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج-٦، ص ٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ج-١، ص ١٨٦.



الأمر<sup>(١)</sup>، والأمر الذي لا شك فيه هو عدم وجود مشاكل وصراعات من أجل تولى وظائف الإدارة المحلية، فكان كل مقطع مستقل بإدارة إقطاعه استقلالاً ذاتياً، وقد نتج ذلك الاستقرار عن أن الأسرة الأيوبية من جنس واحد، ومعظم القيادات الإدارية التي تدير نظام الإقطاع من جيش واحد أبناء عمومته واحده<sup>(٢)</sup>.

وعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بالإدارة المالية، فنجد التسبب في الأمور المتصلة بجمع الخراج والدليل على ذلك عندما كان تقي الدين عمر نائباً عن عمه صلاح الدين بمصر ومعه الملك الأفضل ابن صلاح الدين أرسل يشكو من الأفضل لأنه عجز عن جمع الخراج معه فكان متساهلاً مع الناس وإذا أراد تقي الدين معاقبه أحد منعه<sup>(٣)</sup> وهذا التسامح من جانب الأفضل في جمع الخراج واستخراج حقوق الدولة المالية أمر يضر بالارتفاع العام للبلاد<sup>(٤)</sup> ويجب أن نقف لتأمل ونفكر ونقول أن نظام الإقطاع في حد ذاته كان بإدارة البلاد المالية للإقطاعات لأن هؤلاء المقطعين كان عليهم التزامات عسكرية تجاه دولتهم فكان كل واحد منهم يضع في الاعتبار مواعيد حصاد محصوله في إقطاعه لأنه كان يقوم بالإشراف على جمعه وتشوينه، ففي عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م أرسل صلاح الدين من الشام العساكر المصرية إلى بلادهم لجمع المحصول على أن يعودوا مرة أخرى بعد جمع المحصول والانتهاء منه، من هنا كان التشتت والانشغال بين القيام بإدارة الإقطاع من ناحية، والقيام بالواجبات الحربية من ناحية أخرى، كان هذا التشتت يحدث الخلل والاضطراب في الإدارة المالية للإقطاعات، وما حدث عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م عندما حدثت وقعه عماره اليمنى ضد صلاح الدين، ففي هذا الوقت كانت العساكر الأيوبية متفرقة في جهات إقطاعهم للإشراف على جمع المحصول<sup>(٥)</sup>، كل هذا يؤدي إلى الخلل والاضطراب وسلبات ذلك النظام الإقطاعي.

ويمكن أن نختتم حديثنا عن الإقطاع في العصر الأيوبي بقولنا أنه كان مورداً من موارد الدولة المالية فجرت العادة في الإقطاع الأيوبي أن يمنح الإقطاع مقدار بما يغله من نقد ومحصول وفقاً لعبته<sup>(٦)</sup>.

(١) أميره إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢) أميره إبراهيم، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ١٧٧، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٧٣.

(٤) أميره إبراهيم، المرجع نفسه، ص ١٥٤.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٢٢١.

(٦) محمود نديم أحمد فهمي، الفن الحربي، ص ٥٦، لاشك أن عبء الوجه البحري اختلف عن عبء الوجه القبلي، واختلفت عبء الوجهين وتغيرت بتغير السنين وذلك نتيجة لما يصيب البلاد من نقص في المحصول لانخفاض ماء النيل أو فيضاله، أو للإهمال =



وهذه العبرة هي مقدار الدخل لجهة معينة<sup>(١)</sup> والعبرة هي معدل ما يغله الإقطاع (الغلال التي تخرج منه)، وكانت الوحدة النقدية في ذلك هي ما يسمى بالدينار الجيشى<sup>(٢)</sup> لا الدينار العام<sup>(٣)</sup> وسواء كان الإقطاع تابع للسلطان أو لأحد أبناء البيت الأيوبي أو لأمر من أمراء الجند، كان المقطع يقوم بتحصيل ما يغله الإقطاع من الأموال الخراجية، وما يتبعها من أموال الزكاة والجوالى والهلالي، هذا فضلاً عن رسوم كثيرة يجمعها المقطع في إقطاعه بالإضافة إلى المقرر على الأراضي من خراج وذلك للإنفاق منها على أمور تتعلق بالإقطاع أو بعض الوظائف الأخرى<sup>(٤)</sup>.

الذى يصيب شكايات الرى من عدم تطهير الترع وإصلاح الجسور... وعوامل أخرى تؤدي إلى نقص المحاصيل أو زيادتها، لذلك كانت العبرة أو ما نسميه مقدار الدخل في تغير مستمر، ويتبع هذا التغير تغيير في عبرة إقطاع كل طائفه من وقت لآخر، فنلاحظ أن المبالغ المقدرة تختلف عما يتم تحصيله فعلاً فقد يزيد ما يتم تحصيله وقد ينقص، فعلى سبيل المثال زاد ارتفاع الديوان السلطاني في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م عن ارتفاعه عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م بمبلغ ١٢,٤٤٥، والذى انعقد عليه بارتفاع هذه الديوان في عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م هو ٣١,٦٢٢ ديناراً، على هذا النحو كانت مصر توزع إقطاعياً بين السلطان وجنوده في العصر الأيوبي. راجع: إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٥-٣٦.

لكن الشيء الذى ينبغي ذكره هنا أن تلك العبرة كانت تنقص في السنوات التي يحدث بها أزمات اقتصادية بفعل فيضان النيل أو نقص مائة والدليل على ذلك ما حدث في سنوات ٥٩٠هـ/١١٩٣م، ٥٩٦-٥٩٧هـ/١١٩٩-١٢٠٠م وما أعقبه من حدوث مجاعة أو باء الذى لاكتسح أمامه الكثير من البشر، فلم تجد الأرض من يزرعها أو يحصدها، فكان من الضروري أن يقل ارتفاع البلاد وعبرته وقت تلك الأزمات التي تتعرض لها البلاد.

<sup>(١)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٩٨.

<sup>(٢)</sup> الدينار الجيشى هو مسمى لا حقيقه على حد قول القلقشندي، استعمله أصحاب ديوان الجيش في تقدير عبيره مختلف الإقطاعات، فجعلوا لكل إقطاع عبيره دنائير جيشيه تكثر أو تقل حسب مرتبه صاحب الإقطاع وقيمه وظيفته في الدولة، ومكانه طبقته في المجتمع، راجع: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٢، صلاح الدين البحيري، ديوان الجيش في الدولة الأيوبية، ص ١٨١.

- Mayer: some problems of Mamluk coinage, london, 1939, p439. sqq.

هذا وقد أوضح ابن ممتي في تعريفه للدينار الجيشى فقال إنه دينار فرضي، اختلف في قيمته الحقيقية بالقياس لطبقات المجتمع الأيوبي، فكان الدينار الجيشى للأجناد والأكراد والتركماني في عهد صلاح الدين يساوى ديناراً ذهبياً كاملاً، ولكتائب العربان الكتانيه وغيرهم من أبناء الجيش الأيوبي المصري نصف دينار، أما الغزاه فدينارهم الجيشى ربع دينار بينما أخذ العربان ٨/١ دينار فقط، راجع: ابن ممتي، قوانين الدواوين، ص ٣٦٩. وأشار ابن ممتي في شرح قيمه الدينار الجيشى زمن صلاح الدين إنه اشتمل على ٢٥، الدينار الذهبى الشرعى الرسمى، وورد من الغلة ثلثه من الشعير وثلثيه من القمح، وعلى ذلك بهذه القاعده يكون الإقطاع الذى عبيره ١٠٠ دينار جيشية تفاصيلها كالآتى: ٢٥ ديناراً ذهبياً، ١٠٠ أردب، الثلثان من القمح والثلث من الشعير. راجع: ابن ممتي، قوانين الدواوين، حاشية (٩) ص ٣٦٩، وربما ثبتت قيمة الدينار الجيشى على تلك القاعدة زمن الأيوبيين بدليل أن النابلسي لم يتعرض لذلك الموضوع بقليل أو كثير. راجع: حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦٤.

<sup>(٣)</sup> محمود لديم أحمد فهم، الفن الحربى، ص ٥٦، السيد البار العربى، الإقطاع في الشرق الأوسط، ص ١٤٤.

<sup>(٤)</sup> حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٣.



فيدخل في قائمة تلك الرسوم، رسم الأجران، رسم الحصاد، رسم القلقاس، رسم الجواريف الخاص بإصلاح جسور القنوات<sup>(١)</sup> ثم رسم شد الأحباس للمشرف على أوقاف القرية<sup>(٢)</sup> ورسم الخفارة لجماعات البدو والمحيطين بالقرى لاتقاء شرهم.<sup>(٣)</sup>

هذا فضلاً عن مقرر حارس النهر، وكان الحارس يسمى (خولي النهر) إشارة إلى قيامه بصيانة شواطئ الأنهار والترع، وكانت العادة أن يؤدي سكان القرية له مقرراً تراوح بين أردب وأردبين من القمح يضاف إلى ذلك مقرر الجسور<sup>(٤)</sup> الذي أنفق منه المقطعون في إقامة الجسور البلدية الخاصة بالنفع بناحياتهم.<sup>(٥)</sup>

أما رسم الأتبان فكان يقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم للديوان، قسم للمقطع، قسم للمزارع والعادة الجارية أن المقطع إذا رحل (ترك) عن الإقطاع وله فيه تبين أبقاه لمن يقطع بعده ليجديه الطريق إلى عماره ما يخصه، وإن رغب المزارع في القيام بثمن حصة الديوان، كانت الضريبة عن كل ١٠٠ حمل ٤,٦٦٦ دينار<sup>(٦)</sup> وهناك رسم آخر يسمى المقرر على الفروج (الدجاج)، أما الرسم المسمى باسم رسم المستخدمين فيبدوا أنه كان يدفع نوعاً (عيناً) أو نقداً برسم موظفي الدولة للسلطان.<sup>(٧)</sup>

(١) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده، ص ٥٩-٦٧-٧٣.

(٢) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص ٦٢-٧٧-٨٩-١٠٩-١٤٠، حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣) حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٤) مقرر الجسور: عندما كانت البلاد تحتاج إلى إقامة جسور عليها لتحصيل المنفعة عندما يصل الماء إليها أو يتصرف عنها، تطلب الحال أن يتم تقسيط مقرر الجسور على الجهات والنواحي المختلفة التي تدعوا الحاجة فيها إلى ذلك إقتضاء المصلحة العامة، فعمل أن يؤخذ من كل ناحية ما تحمله وقت التقرير من قطيعه وعلوفه ومؤله ومداميسه وحشيش وأتبان ثم قرر عن كل قطعه عشره دنانير: راجع: المقرري، الخطط، ج-١، ص ١١٠. وأخير من يلزمه في القيام بهذا المبلغ وإخراج القطيعه، واستمرت الأيام تمضى على هذا النحو حتى صار الزاماً للفلاحين أن يدفعوا باستمرار كاله من بعض الخراج، وأن يكون فيما بينهم بنسبة ما يزرعه كل منهم. راجع: ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣٤٢-٣٤٣. وقيل في موضوع آخر أن السلطان كان يجبي رسماً مقررماً نظير إقامة الجسور السلطانية لعموم نفعها، يدفعه المقطعون، وعرف هذا الرسم باسم مقرر الجسور. راجع: إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٤٤.

(٥) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٣٢، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٣-٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٤.

(٧) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده، ص ٨٤، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٣٤.





## الإقطاع في العصر المملوكي:

لاشك أن النظام الإقطاعي بلغ ذروته وتطوره في مصر على عصر سلاطين المماليك، فالمعروف أن المماليك ورثوا سادتهم بنى أيوب لا في ملكهم العريض في مصر والشام فحسب بل أيضاً ورثوا سياستهم ونظمهم التي ساروا عليها<sup>(١)</sup>.

وللقلقشندي عبارة شهيرة وردت في كتابة صبح الأعشى، يقول فيها "ذكر ما استقر عليه الحال من ابتداء الدولة التركية (دولة المماليك) وإلى زماننا على رأس الثمانمائة مما أكثر مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية التي هي أصل الدولة التركية"<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أن أكثر التنظيمات التي طبقت في دولة المماليك مأخوذة عن النظم التي كانت سائدة في الدولة الأيوبية، وعلى رأس هذه التنظيمات، النظم الإقطاعية نفسها لأن المماليك كما نعلم استمدوا وجودهم وبقائهم ومكانتهم في نظر المعاصرين من فكره الحرب نفسها، واتخذوا من هذه الفكرة محوراً لنشاطهم ومجالاً لحياتهم<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن الإقطاع الذي كان أساس الحياة الاقتصادية في العصر المملوكي من اختراع العصر نفسه، بل مر بعدة مراحل إلى أن وصل إلى الشكل الذي عرف في الدولة المملوكية، التي نضج فيها نظام الإقطاع حتى أصبحت أشهر دولة إقطاعية في العصور الوسطى<sup>(٤)</sup>، فقد كانت دولة المماليك دولة إقطاعية بكل معاني الكلمة<sup>(٥)</sup>، وقد كانت الأراضي في العصر المملوكي بمصر توزع إقطاعاً<sup>(٦)</sup> على السلطان والأمراء والأجناد<sup>(٧)</sup> وكانت القاعدة العامة في التوزيع الإقطاعي وحدتها القيراط، فالأرض كانت مقسمة إلى ٢٤ قيراط للسلطان منها أربعة قراريط<sup>(٨)</sup>، وللأجناد

---

<sup>(١)</sup> سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٧.

<sup>(٢)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٧، ص ١١٩.

<sup>(٣)</sup> سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢١٧.

<sup>(٤)</sup> مجدي عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر المماليك، ص ٨٤-٨٥.

<sup>(٥)</sup> محمد محمد أمين، الأوقاف، ص ٢٩٩.

<sup>(٦)</sup> سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٧.

<sup>(٧)</sup> المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٤١-٨٤٢.

<sup>(٨)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦٤-٨٤، عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ص ٦٩، محمود

الحويدي، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨، قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٥.



والأمراء عشرة قراريط<sup>(١)</sup> وللأجناد أيضاً عشرة قراريط<sup>(٢)</sup> إلى أن استمر الحال على ذلك إلى أن تولى حسام الدين لاجين حكم البلاد، فرأى أن يروك البلاد عام ٦٩٧هـ / ١٢٩٧-١٢٩٨م وذلك لأسباب مختلفة منها :

\* أن الأمراء يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد<sup>(٣)</sup> ولا يصل أي شيء منها إلى الأجناد<sup>(٤)</sup> فلا يدفعون عنها المستحقات وما قرره الديوان عليهم، إلى جانب أنها تصبح مغنماً لأعوانهم ومستخدميه<sup>(٥)</sup> على حد قول المقرئى "فيصير ذلك لإقطاع دواوين الأمراء، ويحتمي بها قطاع الطرق، وتثور بها الفتن ويقوم بها الهوشات (كذاب) (المشاجرات) ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية، وتصير مأكلة لأعوان الأمراء، ومستخدميه ومضره على أهل البلاد التي تجاورها فأبطل السلطان ذلك، ورد تلك الإقطاعات، وأخرجها بأسرها من دواوين الأمراء"<sup>(٦)</sup>.

فقد ذكر الأسدي صاحب التيسير والاعتبار أن الدولة الأيوبية لم يحدث بها ما يستدعى الخراب والدمار للبلاد، ولكن الدولة التركية حدث الخلل والاضطراب في أيامهم وذلك بعد مقتل الأشرف خليل، وعندما وقع الخلاف بين أركان الدولة على السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأعقب ذلك الغلاء العظيم في أيام كتبغا، ولكن عندما تولى السلطة الملك المنصور حسام الدين لاجين، فرأى الاضطراب في البلاد إلى جانب نقص الارتفاع (العبرة) أي قيمة دخل البلاد وذلك "لوقوع الخلل في العمارة، ولقوة القوى وضعف الضعيف وتغيير الأحوال، واستطالة أصحاب الأموال وإنفراد أصحاب الوجاهة والجاه والمباشرين بالتدبير والتصرف بغير الحق في غالب الأمور، فاستشار أهل الديانة والأمانة فأشاروا عليه بروك البلاد"<sup>(٧)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦٤، عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ص ٦٩، ازداد عدد أمراء الإقطاعات في عصر المماليك، وتبعاً لتفاوت رتبهم وعدد وظائفهم وعدد مملكتهم تفاوتت أيضاً القيم النقدية للإقطاعات التي منحت لهم إذ كان من المفروض أن يخص كل أمير إقطاعي ثلثي إقطاعاته لمملكته مقابل اشتراكهم في الخدمة الحربية عندما يستدعيهم السلطان مع تقديم مبلغ مالي سنوياً للسلطان: راجع: قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٩.

<sup>(٢)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦٤، محمود الحويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨.

<sup>(٣)</sup> الباز العريبي، المماليك، ص ١٧٢.

<sup>(٤)</sup> المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٨٨، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، حاشية (٣) ص ٨٤١-٨٤٢.

<sup>(٥)</sup> محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد، ص ٢٨٨.

<sup>(٦)</sup> المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٥٠، محمود لديم أحمد فهم، الفن الحربي، ص ٥٨.

<sup>(٧)</sup> الأسدي، محمد بن محمد بن خليل الأسدي، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق د. عبد القادر أحمد ظلميات، دار الفكر العربي، ص ٧٥.



\* وقد كان السبب الأكبر والمباشر في حدوث الروك الحسامي هو انخفاض فيضان النيل الذي تكرر حدوثه إبان الحكم المملوكي الذي كان له أكبر الأثر في تعطيل الزراعة وهلاكها وفساد المحصول تلك الأرض التي تحولت إلى خراب وبوار الأرض نتيجة الأوبئة والمجاعات التي كان من نتيجتها خلو القرى من السكان والدواب<sup>(١)</sup> وبالتالي قلة خراج الأرض ونقصه.

من الناحية الاقتصادية يرى السلطان ضرورة روك البلاد لإعادة النظر فيما طرأ على الأرض من إصلاح أو عمارة أو إهمال، مما ينتج عنه نقص الخراج أو زيادته تبعاً للوضع الراهن الذي آلت إليه الأرض، كأن تكون وسائل الري تحسنت مما يستدعي الجباية، أو تكون الأرض قد ضعفت بسبب ضعف المقطعين وكبر سنهم وعجزهم عن القيام بما يتطلبه استثمارها من جهد وعناية، أو بسبب قلة أهلها في أعقاب حرب أو وباء أو فتنه لنقص في ماء الري أو صارت غامرة أي مقطعتها البحر مما يؤدي إلى نقص الجباية أو إلغاؤها، وفي ذلك يقول بيبرس الدوادار "إن لاجين أزمع روك الديار المصرية وتغيير الإقطاعات وترتيب المعاملات لأن النواحي آلت إلى الخراب، والفلاحين، عجزوا عن دفع الخراج وصارت الأرض قبور لضعف المزارعين<sup>(٢)</sup>."

كل هذه العوامل أدت إلى نقص ما يتحصل من الإقطاعات، فصار المتحصل بعد أن كان ٣٠ ألف درهم<sup>(٣)</sup> هو عشرين ألف درهم<sup>(٤)</sup>.

لجميع ما سبق اجتمع رأى السلطان لاجين ولأبيه منكوقمر<sup>(٥)</sup> سنة ٦٩٧هـ/سنة ١٢٩٧-١٢٩٨م على روك النواحي والبلاد المصرية<sup>(٦)</sup> والجهات المختلفة بها وسائر المعاملات وجميع الإقطاعات وتجديد ترتيبها<sup>(٧)</sup>، بدأ السلطان حسام الدين لاجين عندما كان يروك البلاد بالنظر في إقطاع

(١) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٢-٤٠-٤١-٤٢.

(٢) طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٩٧.

(٣) المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٨٤٩.

(٤) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٣٨.

- poliak , Feudalism in Egypt, Syria, Palstine and the lebanon, p24

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٩٦.

- Satq: The Evolution of the Iqta system under the mamluks – and analysis of al- rowk al – Husami and – al-rowk– El - Nasiri "memoirs of the research Department of the toy Bunko, No 37" Tokyo, 1979, pp 99-131

(٧) بيبرس الدوادار، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة عطا، ج ٩، ص ٣٠٣.



الأمير منكوتر نائب السلطنة فأخرج ما كان فيه من الإقطاعات التي بلغ متحصلها في السنة أكثر من مائه ألف أردب غله<sup>(١)</sup> وعمل مثله جميع الأمراء وأخرجوا كل ما في إقطاعاتهم من هنا بطلت الحمايات<sup>(٢)</sup> وجعل السلطان في هذا الروك الأمراء والأجناد أحد عشر قيراطاً، وللعسكر تسعة قيراط ليخدمهم بها، ثم أقطع الأمراء والأجناد بعشره قيراط، ووفى قيراطاً لزيادة من عساه يطلب زيادة لعله يتحصل إقطاعه وإفراد الخاص السلطاني عدة أعمال جلييلة فتكرت قلوب الأمراء حتى كان من المنصور لاجين ونائبه منكوتر ما كان<sup>(٣)</sup>.

ويمكن تفسير ما سبق كالاتي: عندما اجتمع كبار رجال الدولة لروك أراضى مصر ندب لروك أراضى مصر الأمير بدر الدين بيلبك الفارسي، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري المعروف بالبريدي<sup>(٤)</sup> وكان معه جماعه من الكتاب وكان فيهم تاج الدين عبد الرحمن الطويل<sup>(٥)</sup> مستوفى الدولة<sup>(٦)</sup> وهو من مسالمه القبط<sup>(٧)</sup> وهو على دراية كاملة في معرفة صناعة الكتاب ويعتمد على قوله ويرجع إليه<sup>(٨)</sup>، وعندما اتفها من عمل ذلك الروك في الثامن من رجب سنة ٦٩٧هـ/٥ فبراير سنة ١٢٩٨م فرقت مثالات الأمراء<sup>(٩)</sup> ثم في التاسع من رجب سنة

(١) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ٨٨.

(٢) الحمايات هي مغارم مفروضة على الأراضى والقرى والعقارات مثل الطواحين، والخوانيت والأفران والمساكن، راجع: إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٩٧، المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ١٤١-١٤٢.

(٣) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ٧٧، بيارس الدوادار، زبدة الفكره، جـ ٩، حاشية (٢) ص ٣٠٣، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٩٧، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٩٧.

(٤) النويری، لهایة الأرب، جـ ٣١، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٩٦، النويری، لهایة الأرب، جـ ٣١، ص ٣٤٦.

(٦) عرفها القلقشندي بأنها وظيفة يشغلها مدني من كتاب الأموال ولحوها ومهمته ضبط الديوان والتبیه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ولحو ذلك: راجع: صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٤٦٦، د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ ٣، ص ١٠٨٨.

(٧) لفظ يطلق على كل من دخل في الإسلام حديثاً من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإسلامية، راجع: المقریزی، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٤٣.

(٨) النويری، لهایة الأرب، جـ ٣١، ص ٣٤٦.

(٩) مثالات هي ورقة مختصرة تكتب فيها بيانات الإقطاع أو هي منشور بمنح إقطاع. راجع: العسینی، عقد الجمان، جـ ٣، حاشية (٣) ص ٣٩٤، على إبراهيم حسن، تاريخ الممالیک البحرية، ص ٤٣٦. والمثالات جمع مثال، وهو أول ما يكتب من الوثائق اللازمة لتقرير إقطاع لشخص جديد على الإقطاع، يكتبه ناظر الجيش بقلم خاص وأسلوب معين، ثم يحيله على أحد كتاب ديوان الجيش فيبقى عنده محفوظ في محفوظات ديوانه، ويكتب به مربعة "من ديوان الجيش ويرسلها إلى ديوان الإنشا فإذا وصلت المربعة إلى ديوان الإنشا أحلها كاتب السر في ذلك الديوان على من يكتب بها منشوراً، وكان المنشور يسمى أيضاً في مصطلح الدولة الأيوبية توقيعاً، وهذه الوثيقة الأخيرة هي التي تجعل الإقطاع الذي كان يسمى الخبز أيضاً والجمع =





٦٩٧هـ/ ٦ فبراير سنة ١٢٩٨م فرقت مثالات مقدمي الحلقة<sup>(١)</sup> ثم في العاشر من رجب، فرقت مثالات أجناد الحلقة، وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دربستا<sup>(٢)</sup> لم يتسن منها سوى الجوالى والمواريث الحشرية فإنها كانت من جملة الخاص السلطاني إلى جانب الرزق الأحباسية<sup>(٣)</sup>، وعمل السلطان على إرجاع كل ما أخذه الأمراء من إقطاعات الأجناد وإخراجها كلها من عندهم وردّها لأصحابها<sup>(٤)</sup> وما عدا ذلك فإنه داخل في نطاق الإقطاع<sup>(٥)</sup> وبعد ذلك حولت سنه ست وتسعين إلى سنه سبع وتسعين على العادة<sup>(٦)</sup> وبدأ السلطان يفرق المثالات (أوراق الإقطاعات)

= أخبار، شرعياً بيد المقطع الجديد: راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ١٥٣-١٥٨، المقرئى، الخطط،

جـ ١، ص ٨٨، ابن تغزى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩١، العمرى، المسالك والممالك، حاشية (٢) ص ٤٧.

<sup>(١)</sup> محمود نديم أحمد، فهم، الفن الحربى، ص ٥٩.

<sup>(٢)</sup> ورد هذا اللفظ فى النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣١، حاشية (١) ص ٣٤٨، ودربستا هذا اللفظ فارسى معناه كاملاً: المقرئى،

السلوك، جـ ١، ق ٣، حاشية (٧) ص ٨٤٤، وقد شرح القلقشندي فى صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ١٥٦، هذا اللفظ شرحاً مطابقاً للوارد هنا غير أنه كتبه "كربستا" إن كان جميع البلاد المقطعة لا يستثنى منها شئ، ويكتب خارجاً عن الملك والوقف أو نحو ذلك على ما يقتضيه الحق. راجع: بيارس الدوادار، زبدة الفكره، تحقيق زبيده عطا، جـ ٩، حاشية (٧)، ص ١٥٣-١٥٤.

<sup>(٣)</sup> الرزق الاحباسية هى الأموال المرصوده لأرباب المعاشات. راجع: النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣١، حاشية (٤) ص ٣٤٨، لم تدخل الرزق الاحباسية (الأحباس) ضمن الإقطاعات باعتبارها وفقاً على أعمال البر والخير، على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٤٣٦.

<sup>(٤)</sup> محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون فى مصر، ص ٢٨٨.

<sup>(٥)</sup> النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٣٤٨.

<sup>(٦)</sup> اقتضت عملية الروك تعديلات من نوع آخر للتوفيق بين السنه الخراجية القمرية والسنه الميلادية الشمسية، وذلك بتقديم السنه القمرية سنه كاملة لتنظيم الخراج، ويرجع ذلك إلى وجود تفاوت بين السنه القمرية وهى أساس بل المعتمد عليها فى جباية الخراج، وبين السنه الشمسية المعتمد عليها فى مواسم الزرع ومواعيد استحقاق الجباية، راجع: إبراهيم طرخان، السظم الإقطاعية، ص ١٠٦، وتفسير ذلك أنه لما جاء الإسلام خاف المسلمون من كبس السنين فخافوا الوقوع فى النسئ الذى ذكر فيه سبحانه وتعالى "إنما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا" وعندما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية اسقطوا عن رأس كل ٣٢ سنه قمرية سنه وسموا ذلك الإزدلاق لأن كل ٣٣ سنه قمرية تعادل ٣٢ سنه شمسية بالتقريب.

راجع: Hassanein Rabie, The financial system of Egypt, p133

المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥، المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، حاشية (٤) ص ١٢٧، حاشية (١)، ص ٨٤٥، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ٣٩٨، زبيده عطا، الفلاح المصرى، ص ٩٢، المخزومى: أبى الحسن على بن عثمان المخزومى، المنتقى من كتاب المنهاج فى علم خراج مصر، تحقيق: كلود كاهين، مراجعة: يوسف راغب، ملحق حوليات إسلامية، العدد رقم ٨، القاهرة سنة ١٩٨٦م، ص ٨، ل.أ. سيميوفا، صلاح الدين والممالك، ص ٤٤، هذه المعادلة السابقة لم تكن تسبب خسارة أو مكسب لطرف ما إذا كانت هذه العملية تتم على الورق فقط وعرفت هذه العملية باسم تحويل السنه، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ٢١-٢٢، وقد كان لابد من هذا الإجراء بمعدل كل ٣٣ سنه قمرية لمنع تراكم الخراج على المقطعين وزيادة الضرائب على الفلاحين، والوقوف على صلاحية الأراضى الزراعية لتقدير الضرائب، مما يؤدى فى النهاية إلى الإستغلال الأمثل لهذه الإقطاعات وهو ما لم تفعله الحكومة المملوكية فى غالب الأحوال. =



على الأمراء والمقدمين ولكن عند إعطائهم أوراق إقطاعهم وما يخصهم ظهر في وجوههم التغيير، وذلك بسبب قلة الإقطاع (الخبز) (العبرة)<sup>(١)</sup> ولكنه كاد أن يزيدهم، ولكن منكوتور نائبه منعه من ذلك وحذره أنه إذا أخذ يزيد الأمراء وفتح باب الزيادة تعب من ذلك، ولكن من شكى من قلة إقطاعه يجعله يذهب إلى منكوتور، إلى جانب تفرقة وإعطائه مثالات للأجناد<sup>(٢)</sup> ولم يجرؤ أحد أن يتكلم وذلك لخوفه من السلطان، واستمر تفريق المثالات أياماً<sup>(٣)</sup> فتقبلوها وهم كارهون لها<sup>(٤)</sup>.

=راجع: علاء طه رزق، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك ص ٢٥، وعند بداية العصر الأيوبي إضرار صلاح الدين إلى تحويل السنة الخراجية الشمسية إلى السنة الهلالية حتى يتجنب ما حدث من تأخير عملية التحويل مرتين أواخر زمن الفاطميين، وقام بها مره أخرى عندما كان يروك البلاد وذلك لتعديل القيم الخراجية من ناحية ولعدم استمرار الأرض في يد المقطعين من ناحية أخرى بغض النظر عن زيادة عرقها أو نقصها، راجع: حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤١، فعندما تتقدم الشهور العربية عن الشهور الشمسية فيعتبر الخراج منسوباً للسنة السابقة واستحقاقه في السنة اللاحقة، لذا كانت العادة في مصر أنه إذا مضى ٣٣ سنة قام المسئولون عن شؤون الخراج باعتبار السنة ٣٣ على أنها السنة ٣٥ وإلغاء التي بينهما كالألم تكن، راجع: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٥٤-٦٠-٦١. وبسبب ما سبق من تأخير هذه العملية أواخر زمن الفاطميين مرتين، جعل صلاح الدين سنق ٥٦٥هـ و ٥٦٦هـ الخراجيتين كأنهما سنة ٥٦٧هـ الهلالية، وكان ذلك بناء على إشارة القاضي أبو الحسن علي المخزومي، وهو الرئيس السابق لديوان المجلس الفاطمي إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي، راجع: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٦٠، المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٢٧٦، وأصدر مرسوماً بذلك، هذا وقد تطلبت عملية تحويل السنة الخراجية تحديداً رسمياً لمواعيد جباية الخراج في مصر بشهور معينة، ففي شهر ثورت وهو أول الشهور القبطية (يقابله شهر سبتمبر) يتم تسجيل الأراضي وتوزيع التقاوى على المزارعين. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٣٧، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٢. وفي شهر بشنس (مايو) إعتاد موظفو الدولة الأيوبية جباية المقرر على القمح، وفي شهر برمودة (إبريل) قاموا بتحصيل الضريبة الخراجية المقررة على الشعير والفل والحمص والجلبان والعدس، والملاحظ أن هذه المواعيد تتفق مع إدراك المحصول. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٥٨-٢٧٠، وفي عام ٦٩٧هـ حولت السنة السابقة لها وهي سنة ٦٩٦هـ إلى سنة سبع وتسعين، وهذا التحويل جرت به العادة بعد إقضاء ٣٣ سنة تحول سنة، وهو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية، وهو لا ينقص شيء من الأموال وإنما هو بالأقلام فقط كما سبق أن ذكرنا، والعادة جرت أن تسقط من استحقاق أرباب الإقطاعات في كل سنة، ١١، ٢٥ يوم وهو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية. راجع: النويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٠٢، النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، حاشية (٦) ص ٣٤٧.

- Hassanein Rabie, the Financial system of Egypt., P134.

وذكر المقرئ أن في عام ٦٩٦هـ كتب بمساحة أهل النواحي بما عليهم من بواقي الخراج المنكسر. المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٣٠. ويمكن القول هنا من وجهة نظري ألم تكن حدوث الأزمات والمجاعات والأوبئة في هذه السنة هي سبب مساحة الناس بالخراج المتأخر عليهم، والدليل على ذلك ما ذكره المقرئ حين قال لعل تحويل السنة القمرية تلك السنة كان من الأسباب المساعده على زوال الدولة، المقرئ، السلوك، حاشية (١) ص ٨٤٥.

(1) Hassanein Rabie ; Ibid , P52.

(٢) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٩٤، محمود لديم، الفن الحربي، ص ٦٠، على إبراهيم حسن، تساريخ المماليك البحرية، ص ٤٣٦.

(٣) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٤٦.

(٤) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٣٨.



وترتب على ما سبق ذكره أن لم يكن هناك عدل على الجند فمن الجند من تعب وشقى، ومنهم من سعد بذلك، فمنهم من انتقل من بلاد كلها خيرات وعامرة، إلى بلاد كلها فقر وبور، ومن بلاد بها محصولات ومتحصلات وافره إلى ما هو خراب، وفاز بعضهم بأكثر مما قصد<sup>(١)</sup>

وكان هذا الروك من أكبر الأسباب في زوال الدولة<sup>(٢)</sup> وذلك لأن الأمراء والجنود لم يرضوا عن هذا الروك وشكوا جميعاً مما أصابهم، وكانت إقطاعات الأمراء والجند إما بلاداً يستغلها مقطعها كيفما شاء أو نقوداً يتم تحصيلها من بعض البلاد، إلا أن الجند لم يرضوا عن مقدار نصيبهم في الإقطاعات وشكوا من ذلك لأن الإقطاعات نقصت كثيراً عما كانت في دولة المنصور قلاوون التي كان أقلها يبلغ عشرة آلاف درهم من متحصلها<sup>(٣)</sup> وأكثرها كان يزيد على ثلاثين ألفاً، فصارت أكثر الإقطاعات في هذا الروك متحصلها عشرة آلاف درهم وتتناقص كلما صغرت مساحة الإقطاع، وقلت الأرزاق، فحدث التضامن في القلوب، والبغضاء في النفوس فكان أقوى الأسباب على الفتن والاضطرابات<sup>(٤)</sup> أضف إلى ذلك أنه روعي في تقسيم الأراضي وتوزيعها في شكل إقطاعات هو تفاوتها من حيث الخصوبة ووفره الإنتاج<sup>(٥)</sup> والدليل على ذلك أن السلطان ونائبه منكوتمر خصصوا لأنفسهم الأراضي الخصبة بل أجود الأراضي، فضلاً عن القراريط التسعة التي بقيت للسلطان ونائبه أفضل وأحسن من الإحدى عشر قيراطاً المقطعة<sup>(٦)</sup> أما الأراضي المتوسطة الجودة فيتم إقطاعها للمماليك السلطانية، أما الأراضي التي كانت قليلة الجودة فكان يتم إقطاعها للأجناد والعربان والتركمان<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩١، الباز العريفي، المماليك، ص ١٧٦.

(٢) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٤٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩٥، الباز العريفي، المماليك، ص ١٧٦.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩٢.

(٤) العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٩٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٨، محمود الخويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨.

(٦) بيريوس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا، جـ ٩، ص ٣٤٠، ابن تغرى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩٢.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٨، محمود الخويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨.

لم تقتصر الإقطاعات على الأراضي وأنواعها فقط بل تعدت إلى جميع موارد الدولة والدليل على ذلك ما ذكره القلقشندي "صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال من خراج الأراضي والجزية وزكاه المواشى والمعادن والعشير وغير ذلك ثم تفاحش الأمر . راجع : صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ١١٧.



ومما زاد الحال سوءاً أن منكوتمر نائب السلطنة لم يقبل شفاعة الأمراء الذين توسطوا للأجناد الذين حبسهم منكوتمر نتيجة شكواهم من نقص غله (عبره) إقطاعهم، فاتفقوا جميعهم على العصيان ونشر روح التدمير والسخط في البلاد، والقضاء على السلطان ونائبه منكوتمر، فقد كان هذا الروك من أسباب التخلص من السلطان لاجين وقتله إلى جانب قتل نائبه منكوتمر، إلى جانب أنه سبب في ضعف الجند بمصر وإثلافهم "فإله لم يعمل فيه عمل طائل، ولا حصل منهم زيادة يرضاها وإنما توفر من البلاد جزء كبير"<sup>(١)</sup>

كل هذا بسبب عدم وفاء السلطان ومنكوتمر بما وعدوا به والتزموا به من إنشاء جيش قوى، ولكن اكتفوا باستقالة الأمراء الساخطين المتمردين بإعطائهم بلاد من التسعة قراريط.<sup>(٢)</sup> وعندما قتل السلطان المنصور لاجين بدأ الأمراء يأخذون زيادة على ما كان معهم من إقطاعات أي زيادة على ما كان بيدهم.<sup>(٣)</sup>

ويمكن القول مما سبق أنه نتيجة تلك الفتن خربت البلاد لأن الزراعة هي أساس البلاد ولم يهتم الساخطين من الأمراء والجنود بالأرض التي أقطعت لهم سواء بزراعتها أو محصولها نتيجة انشغالهم بأخذ إقطاعات أفضل من التي بحوزتهم أو أنهم يريدون زيادة على إقطاعهم بأخذ إقطاعات أخرى... كل هذا من سخط وتدمير جعلهم يتركون شئون الزراعة، حتى تطهير الترع والقنوات وإصلاح الجسور كل هذا تركوه بسبب روك السلطان لاجين فهذا الروك من وجهة نظر الباحثة لم يكن ليصلح حال البلاد من الناحية الاقتصادية، بل لقد كان السبب في تدهور واضطراب وفساد الأحوال كلها بما فيهم البلاد والعباد فأهملت كل شئ في الدولة، فكان الجانب السياسي سبب في تدهور الجانب الاقتصادي، فأصبحت البلاد بحاله من التدهور والانحلال<sup>(٤)</sup> إلى جانب ظلم أتباع السلطان ومماليكهم وتكاثر ظلمهم وجورهم<sup>(٥)</sup>، وبعد قتل السلطان لاجين تولى بيبرس الجاشنكير السلطة في عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م، بعد أن عزل الناصر محمد بن قلاوون نفسه للمرة الثانية وذهب هارباً منهم (الأوصياء عليه) فعمل بيبرس على تثبيت سلطانه بأنه قبض على أكثر من ٣٠٠ مملوك وأخرج إقطاعهم (أخبارهم)، كما قطع أخبار المماليك الذين ذهبوا بل لحقوا

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩٢، محمود لديم أحمد فهم، الفن الحربى، ص ٦٠.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩٢، الباز العريفي، المماليك، ص ١٧٦.

(٣) - Satq; The Evolution of the Iqta, PP-105-120.

(٤) ابن تغرى بردى، المصدر السابق، جـ ٨، ص ٩٥، محمود لديم أحمد فهم، الفن الحربى، ص ٦١.

(٥) على إبراهيم حسن، أراء في تاريخ دولة المماليك البحرية، ص ٤.

(٥) المقرئى، إغاثة الأمه، ص ٣٦-٣٧.





بالناصر محمد في الكرك، إلى جانب أنه نفى وأخرج مجموعه من الممالك إلى الصعيد وأخذ أخبازهم.<sup>(١)</sup> هذا إلى جانب العداء العنصري بين الممالك الترك والممالك الجراكسة، فقط ارتفع شأن الممالك البرجية بسبب زعيمهم بيبرس الجاشنكير، فعملوا على أخذ الإقطاعات، ذكر المقرئى "أنه صارت لهم حمايات كثيرة، وتردد الناس، إليهم في الأعمال، وتأمروا عدد كبير منهم"<sup>(٢)</sup>.

وعندما عاد السلطان الناصر محمد مرة أخرى ليمسك زمام الحكم والسلطنة عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٨-١٣٠٩ م أدرك أن سياسة بيبرس الجاشنكير خطيرة تلك السياسة التي ظهرت بوضوح عندما أقطع بيبرس الجاشنكير ممالكه الكثير من الإقطاعات إلى جانب نائب سلطنته سلار<sup>(٣)</sup> الذي أخذ إقطاعات كثيرة هو الآخر تلك التي أقطعها له بيبرس الجاشنكير السلطان، إلى جانب بقية البرجية<sup>(٤)</sup> وكان الخبز (الإقطاع) الواحد ما بين ألف (مثقال) دينار في السنة إلى ثمانمائة (مثقال) دينار<sup>(٥)</sup> فخاف السلطان الناصر محمد أن تحدث الفتنة<sup>(٦)</sup> والاضطراب بأخذ إقطاعاتهم، من هنا بدأ الناصر محمد يفكر جيداً في روك البلاد<sup>(٧)</sup> للأسباب السابقة، فوقع الشروع في الروك<sup>(٨)</sup> عام ٧١٥ هـ/١٣١٥ م.

واستدعى الناصر محمد ناظر الجيش<sup>(٩)</sup> الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش في ذلك الوقت،

<sup>(١)</sup> الباز العريفي، الممالك، ص ص ١٧٦-١٧٧.

<sup>(٢)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ٨٧٥-٨٧٦.

<sup>(٣)</sup> محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون في مصر، ص ٢٨٩.

<sup>(٤)</sup> النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٤٢، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٩٨.

<sup>(٥)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٨٨، ابن بردى تغري، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٤٢.

<sup>(٦)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٥٩، المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٨٨، الباز العريفي، الممالك، ص ١٧٧.

<sup>(٧)</sup> شهاب الدين أحمد السلامي، كتاب مختصر التواريخ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٣٥، رقم الميكرو فيلم ١٨٤٦٤، ورقة ٧٣، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٣٢.

<sup>(٨)</sup> السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ص ١٦٢-١٦٣، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٤٢ على إبراهيم حسن، أراء في تاريخ دولة الممالك البحرية، ص ١٨.

<sup>(٩)</sup> من الوظائف الديوانية الرفيعة التي يعين شاغلها من قبل السلطان، وكان له حق الدخول على السلطان في مجلسه للنظر في مصالح ملكه، وكانت مهمة ناظر الجيش هي النظر في أمر الجيوش وضبطها والنظر في أمورها، وكان ينظر في أمر الإقطاعات بمصر والشام، والقاضي فخر الدين محمد بن فضل الله نصرانياً وأسلم. راجع: حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ ٣، ص ص ١١٩٣-١١٩٤، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٣١١، المقرئى، السلوك، جـ ٢، ص ١٥٠ و ص ٥٤٨ نقلاً عن د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ ٣، ص ١١٩٥.



وقرر معه روك البلاد المصرية<sup>(١)</sup> وخرج الأمراء إلى الأعمال<sup>(٢)</sup> فبدأ الأمراء روك أعمال مصر وعندما نزل كل منهم للعمل اجتمع مشايخ البلاد ودلائها وقياسها وعدوها وسجلات كل بلد ليعرفوا متحصل تلك البلد ومقدار عدد الأقدلة ومبلغ عبرتها وما يأخذه الجنود وما يتحصلوا عليه من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم والكشك<sup>(٣)</sup> والعدس والكعك، ثم قاسوا النواحي المختلفة من البلاد وكتب بذلك عده نسخ واستمر ذلك حتى انتهى عملهم وعادوا بعد خمسة وسبعون يوماً<sup>(٤)</sup> بالأوراق فتسلمها الفخر ناظر الجيش.<sup>(٥)</sup>

وقد كان السبب في عمل الروك الناصري<sup>(٦)</sup> الأسعد بن أمين المعروف بكاتب برلغى<sup>(٧)</sup> إلى جانب جميع مستوفى الدولة، وأقطعت البلاد بمقتضى الروك<sup>(٨)</sup> والزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني<sup>(٩)</sup> التي عينها لهم؛ إلى جانب إقطاعات الأمراء، وأضاف على عبره كل بلد ما كان على فلاحيه من الضيافة<sup>(١٠)</sup> المقررة، وكل بلد بها جوالى<sup>(١١)</sup> وكانت الجوالى قبل هذا الوقت إلى وقت الروك الناصري ديواناً مفرداً يختص بالسلطان فأضاف جوالى كل بلد إلى متحصل خراج تلك البلد<sup>(١٢)</sup>.

- 
- <sup>(١)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٨٨، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٩٨.
- De Sacy, Droit de propriete territorial en Egypt, lere serie, tom II, P222.
- <sup>(٢)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٤٦.
- <sup>(٣)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٨٨.
- <sup>(٤)</sup> ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٤٣.
- De Sacy، P224، ق ١، ص ٨٨.
- <sup>(٥)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٤٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، حاشية (١) ص ٤٢.
- <sup>(٦)</sup> ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٩ حاشية (٦) ص ٤٣.
- <sup>(٧)</sup> الدوادارى، كثر الدرر، جـ ٩، ص ٢٨٦.
- <sup>(٨)</sup> أبطل الناصر محمد الروك الحسامى وراك البلاد بالروك الناصري فزاد عن الروك الحسامى فى أشياء وألقص منه أشياء: راجع: ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٤٦.
- <sup>(٩)</sup> أفرد السلطان الناصر بلاد الخاص لنفسه وهى: الجزيرة وأعمالها، والكوم الأحمر، ومنفلوط، والمرج، والخصوص وغير ذلك...
- راجع: الأسدى، التيسير والاعتبار، ص ٧٢.
- <sup>(١٠)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٤٢، الباز العريقى، الممالك، ص ١٧٨.
- <sup>(١١)</sup> ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٧٣.
- <sup>(١٢)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٥٠.



إلى جانب إبطال الناصر محمد للعديد من المكوس<sup>(١)</sup> وغير ذلك من المظالم<sup>(٢)</sup> وبمعنى آخر يمكن القول أن الناصر محمد أزال عن الناس الضرائب التي كانت ترهقهم، وقضى على إقطاعات الأمراء التي كانت تنقص من دخل الحكومة، ومسح الأراضي المصرية، وأعاد النظر في مصروفات دواوين الحكومة.<sup>(٣)</sup>

ذكر النويري عن هذا الموضوع كله ملاحظات كثيرة ذلك لأن تعديل السلطان الناصر محمد للنظام الإقطاعي لم يخلو من النقد والتجريح<sup>(٤)</sup> فجلس والأمثلة بين يديه<sup>(٥)</sup> ليفرقها على الأمراء كاملة، وعندما يأتي دور الشيخ المسن يخبره السلطان بين الإقطاع والراتب، فيعطيه ما يختاره<sup>(٦)</sup> ولم يقطع العاجزين عن الحركة، لكن كان يعطيه ما يستطيع أن يرتب به حياته ومعيشته ليعوضه عن إقطاعه.<sup>(٧)</sup>

المهم أن السلطان استرجع الأرض التي أخذها البرجية أتباع بيبرس الجاشنكير من أراضي الجيزة وغيرها، إلى جانب ما أخذه بيبرس وسلار، وغيرهم من المتاجر، وأضاف ذلك للخاص.<sup>(٨)</sup>

ولم يقبل السلطان شكوى كل من تضرر من هذا الإقطاع، وقيل أن النائب وأكابر الأمراء ذكروا أن من رد مثلاً أو تضرر أو شكا كان مصيره الضرب والحبس وأخذ إقطاعه منه "فلم يجسر أحد

---

<sup>(١)</sup> المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٨٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ١٧٧، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦٥، الدواداري، كثر الدر، جـ ٩، ص ٢٨٦. يوضح لنا الروك الناصري كثيراً من المكوس والضرائب البقي كانت مفروضة على الشعب وألغاهما الناصر محمد بن قلاوون، وقد عدها المقرئزي، فكانت أكثر من ١٨ ضريبة كما يتضح أيضاً أن إقطاعات الأمراء ملجأ للصوص وقطاع الطرق يجدون فيها الأمن مقابل سطوهم على الأهالي لصالح صاحب الإقطاع: راجع: المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٨٨-٨٩، المناوي، نهر النيل ص ١٨٩.

<sup>(٢)</sup> ابن حبيب، تذكرة البنية، جـ ٢، ص ٣٢٥.

<sup>(٣)</sup> السير ولیم مویر، تاریخ دولة المماليك في مصر، ص ٨٨-٨٩.

<sup>(٤)</sup> النويري، كفاية الأرب، جـ ٣٠، ص ٩١.

<sup>(٥)</sup> الأسدي، التيسير والاعتبار، ص ٧٢. كان الناصر محمد بن قلاوون يسأل من يقف أمامه من الأمراء والجنود عند إستلامهم إقطاعهم عن أصل كل منهم ووقت حضوره إلى مصر ومع من جاء من التجار وإلى من صار مع الأمراء وعن المصاف التي حضرها وعما يعرفه عن صناعة الحرب، فإذا أعجب به السلطان ووقع إختياره عليه منحه الإقطاع. راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٥١.

<sup>(٦)</sup> النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٥٢.

<sup>(٧)</sup> المصادر نفسه، نفس الجزء و الصفحة.

<sup>(٨)</sup> المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٥٦.



أن يخالف ما رسم به" <sup>(١)</sup> وظلم أكثر الأجناد <sup>(٢)</sup> لأنهم أخذوا إقطاعات غير التي كانت معهم فقد كان كثير من الأمراء إقطاعه يبلغ ألف دينار فأصبح إقطاعه مائتي دينار، <sup>(٣)</sup> وعندما أراد الأمراء التحدث في هذا الموضوع نهامهم نائب السلطنة أرغون عن ذلك. <sup>(٤)</sup>

كما سبق يمكننا وصف دولة المماليك بأنها الدولة الإقطاعية الكبرى التي قامت في العصور الوسطى، ومع ذلك لم يكن للمقطع فيها حق الاستغلال أو الارتفاق، معنى هذا أنه إذا مات المقطع أخذ السلطان إقطاعه واستولى عليه فوراً، ووزعه من جديد <sup>(٥)</sup> فالإقطاع لا يورث وإنما يعود بعد وفاة صاحبه أو عند غضب السلطان عليه لسبب أو لآخر إلى السلطان ليمنحه ويعطيه لشخص آخر من نفس الطائفة. <sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> المقرئى، السلوك، نفس الجزء والصفحة

<sup>(٢)</sup> ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٥٤.

<sup>(٣)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٩٠-٩١.

<sup>(٤)</sup> ابن تغرى بردى، المصدر السابق، جـ ٩، ص ٥٤، ذكر في موضوع آخر رأى للدكتور/ على إبراهيم حسن في كتابه تاريخ المماليك البحرية، ص ٣٥٠، أنه زيدت أنصبه الأمراء والجند عما كانت عليه في الروك الحسامى الذى عمله السلطان لاجين، فأصبحت تلك الأنصبه ١٤ قيراطاً بعد أن كانت ١١ قيراطاً وهذا يخالف الرأى الذى ذكره كلاً من المقرئى في كتابه السلوك وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة من أن الأمراء والاجناد شكوا من نقص قيمة إقطاعهم بل أخبازهم ولم يجرؤ أحد أن يتكلم مع السلطان في ذلك، ولنا أن نقول (وجهة نظر الباحث) أن هذا الروك لم يكن به ظلم لأن السلطان تحرى العدل والدقة عند تفريقه ورق الإقطاعات الذى يسمى (مثلاً) فأعطى كل ذى حق حقه في عرض الطباق الذى كان للمماليك فأعطاهم الكثير من الرواتب والإقطاعات كل حسب مقدرته وقدراته، هذا إلى جانب أنه كان لم ينس الشيخ المسن ولا الإنسان العاجز، فلم يكن هذا ظلم، ولكن لأن المماليك والأمراء والاجناد أحسوا بالظلم لأنهم في قرار أنفسهم طامعون في كل شئ ويريدون الزيادة بل يريدون أن يأخذوا الكثير والكثير ويستأثرون لأنفسهم بنصيب الأسد فلم يعجبهم ذلك التقسيم وهذا الروك لذلك قيل أنهم أحسوا بالظلم، الطباق: جمع طبقه وهى ثكنات الجيش المملوكى بالقلعة، حيث كانت كل طبقه تضم أبناء الجيش الواحد من المماليك، وقد وصف المقرئى في كتابه الخطط، جـ ٢، ص ٢١٣-٢١٤ تنظيم تلك الطباق وأدوار تربيته المماليك بها وصفاً شاملاً، كما أنه ذكر أن السلطان الناصر محمد جدد تلك الطباق الكائنه بساحه الإيوان من القلعة. راجع: المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، حاشية (٢)، ص ١٥٦.

<sup>(٥)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٢، سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٣٤٨، كان الإقطاع في العصر المملوكى شخصياً بحيث لا دخل لحقوق الملكية أو أحكام الوراثة فيه، فالمقطع يستغل إقطاعه بدلاً من السلطان على أن يؤول الإقطاع كله إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة المقطع المنصوص عليها في المثال أو بسبب العزل من الوظيفة أو بسبب وفاة المقطع وإخلاله بشروط العقد القائم. راجع: المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، حاشية (٣)، ص ٥١٩، سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٢٢، سعيد عاشور، الإقطاع والفلاح زمن الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٨، سعيد عاشور، المجتمع المصرى عصر سلاطين المماليك، ص ٢١.

<sup>(٦)</sup> ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن آيدمر العللى المعروف بابن دقماق (٧٥٠-٨٠٩هـ)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعه: د. أحمد دراج، ص ٧.





فقد قيل عن هذه الظاهرة "أن الإقطاعات المعروفة في هذا الزمن إنما هي إقطاعات إرفاق"<sup>(١)</sup> وقد ساعد على تأكيد هذه الظاهرة تقاليد النظام الإقطاعي نفسه، والتي كانت حائل دون تكوين طبقه تتوارث ملكيه الأرض، وذلك بسبب الترقية أو العزل من الخدمة أو النقل إلى إقليم آخر... وغير ذلك مما تعرض له الأمراء المقطعون حيث كان يتبع ذلك دائماً تغيير الإقطاع الممنوح لهم فضلاً عما سعى إليه السلاطين من أخذ إقطاعات الأمراء المغضوب عليهم لتوزيعها على المماليك الجدد اللذين اشتروهم.<sup>(٢)</sup>

ويمكن القول أن الإقطاع كان مصدر ثروة كبيرة للمماليك فقد أعطى السلطان لأمرائه وجنوده الكثير<sup>(٣)</sup> فإقطاع الأمير بلغ متوسطه مساحة تتراوح بين زمام قرية وعشر قرى، على حين تراوح إقطاع المملوك السلطاني بين زمام قرية ونصف، أما جنود الحلقة<sup>(٤)</sup> فلم يقل إقطاع الواحد منهم عن نصف زمام قرية، وقد كان إقطاع الأمير كبير<sup>(٥)</sup> يغل مائتي ألف دينار في حين أن إقطاع أمير الطبلخاناه<sup>(٦)</sup> بين ١٣٠ ألف دينار و٢٣ ألف دينار في حين أن أمراء العشرافات<sup>(٧)</sup> بلغ قيمة إقطاع الواحد منهم ٧ آلاف دينار، وأجناد الحلقة أعلاها ١٥٠٠ دينار<sup>(٨)</sup>.

هذا إلى ما كان مقرراً للأمراء الموجودين والمسند إليهم خدمة السلطان من الرواتب السلطانية من اللحم والتوابل والعليق والزيت والكسوة والشمع، كما كان للمماليك السلطانية وأجناد الحلقة

---

<sup>(١)</sup> تاج الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٠٥.

(2) Poliak: feudalism in Egypt, P7.

<sup>(٣)</sup> سعيد عاشور، الإقطاع والفلاح، ص ٢١٨، سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٢١.

<sup>(٤)</sup> جند الحلقة هم عصب الجيش وغالبية وكانوا كثيرين، وكانوا يعيشون على الإقطاعات والجامكيات، راجع: د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٣٦٥ ص ٣٦٦.

<sup>(٥)</sup> أمير كبير قد تكون لقباً فخرياً أو تدل على طائفه من طوائف الأمراء أو مرتبه معينه أو أسم وظيفه، وتعتبر أعلى مراتب، وتعتبر أعلى مراتب الأمراء أو رؤساء الأمراء، وكانوا يمنحون أكبر الإقطاعات. راجع: د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٢٤٤ ص ٢٤٥.

<sup>(٦)</sup> هو أمير الأربعين وطلبخاناه لفظه فارسيه معناها بيت الطبل وهو أحد المخازن الخاصة بالسلطان يحفظ فيه الطبول والأبواق وما يتعلق بها من الأدوات، وهي فرق الموسيقى الخاصة بالسلطان، وكانوا هم الطبقة التالية من طبقات الأمراء في عصر المماليك. مزيد من التفاصيل: أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣، د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢ إلى ص ٢٣٦.

<sup>(٧)</sup> أمير عشره هو إحدى رتب الأمراء في عصر المماليك، وهي في الدرجة الثالثة بعد أمير مائه وأمير طبلخاناه أو أمير أربعين ويأتي بعده أمير خمسة، وكانت تسند إليهم وظائف مختلفة إلى جانب ولاية الأقاليم. مزيد من التفاصيل: راجع: حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٢٣٧ إلى ص ٢٤١ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤.

<sup>(٨)</sup> سعيد عاشور، الإقطاع والفلاح، ص ٢١٨، سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٠، على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٤٤١.



رواتب معينه من عند السلطان تلك الرواتب كانت تختلف مقاديرها سواء بالزيادة أو النقصان، والشئ الذي يجب ملاحظته هنا أن رواتب هؤلاء الأمراء والمماليك والأجناد لم تكن لها علاقة بما يأخذونه من إقطاع<sup>(١)</sup> وإنما كان السلطان يمنحها لهم على سبيل الهبة ولذلك كانت تمنح أحياناً لمن لا إقطاع له كأبناء الأمراء فيعطى له من عند السلطان "دنانير وخبز ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة"<sup>(٢)</sup> ونتيجة روك الناصر محمد للبلاد أن صار مقدار ما يتحصل من الأرض (الارتفاع) أي خراج مصر ما يقرب من العشرين ألف ألف دينار<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد بلغت جملة الأراضي الزراعية طبقاً للروك الناصري التي منحت على سبيل الإقطاع ٣,٦٣٥,٦٤٠ فداناً إقطاعياً أي ما يعادل ١,٣٣٦,٩٣٤ بالفدان الحديث<sup>(٤)</sup>.

غير أنه يبدو أن هذا الرقم قد تناقص بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون وذلك لما أصاب الدول بل البلاد من خراب نتيجة لإهمال مرافق الزراعة من ترع وقناطر وخلجان وجسور وعدم اهتمام الجنود المقطعين بأي شئ سوى جمع الضرائب والأموال وهذا ما سوف توضحه الصفحات القادمة.

وبعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م، لم يهتم الجند بإقطاعهم أو بالبقاء عليها، وأخذوا يتنازلون عن إقطاعهم لبعض الأفراد مقابل مبلغ معين من المال، أو يعطيهم في المقابل إقطاع آخر، وانتشرت هذه الظاهرة بصورة واضحة في عهد الأمير شجاع الدين أغرلو شاد الدواوين<sup>(٥)</sup> وذلك عندما استأثر بالنفوذ والسيطرة على كل شئ في عهد الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م<sup>(٦)</sup> الذي عرف بحبه وشره الزائد في الحصول على المال<sup>(٧)</sup>.

(١) wiet ; (G) ; Histoire de la Nation Egyptienne, tom IV. (l'Egypt Arabe); P395.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٥٠-٥١.

(٣) الأسدي، التيسير والإعتبار، ص ٧٦.

(٤) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٠٧-١٠٨.

(٥) عظم شأن شاد الدواوين وذلك عندما خلت الدولة من الوزير، إذ كان شاد الدواوين مستقل بتدبير أمور الدولة، وهي من وظائف الشدود، وكانت مهمته استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه. راجع: صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٢، حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ ٢، ص ٦١١ ص ٦١٢.

(٦) علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٤٤٢.

(٧) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٧٦. من المعروف أن دولة المماليك قامت على أساس الإقطاع، وكان أهم التزامات وواجبات الأمير في الدولة هي القيام بالخدمة الحربية التي هي أساس حيازة الإقطاع لكن بعدما حدث وذكرناه سابقاً لم يعد =



فقد استجد هذا الأمير نظاماً وأشياء لم تكن موجودة من قبل منها التنازل عن الإقطاعات والمقايضة بها للآخرين<sup>(١)</sup> فمن أراد أن يقاضى أحد بإقطاعه (تبادل الإقطاعات) دفع هو ومن قايضه مبلغاً معيناً لبيت المال<sup>(٢)</sup> وانتشرت السوق والعامة والأسافل والأراذل في الإقطاعات، حتى أصبح جند الحلقة معظمهم أصحاب حرف وصناعات، وخربت جميع أراضي إقطاعهم<sup>(٣)</sup>.

ولم تجد الأرض من يهتم بها ويزرعها ويحني محصولها تلك الأرض والزراعة بها التي كانت أساس الاقتصاد المملوكي الذي بدأ يهتز ويضعف ويصيبه الاضطراب نتيجة عدم وجود الجنود المقطعين لتلك الأرض واهتمامهم بها، حتى أن السلطان الكامل شعبان أصبح هو الآخر يخرج الإقطاعات بمال معلوم<sup>(٤)</sup> حتى المراعى هي الأخرى "الكلاء المباح" خضعت للتوزيع الإقطاعي، ولم يكن لصاحبها قبل ما حدث إلا الإشراف على تنظيم استغلالها بالعدل بين الناس، فأصبح الأمير المقطع هو الذي يتولى أمر استغلالها لنفسه باعتبار أنها جزءاً من إقطاعه<sup>(٥)</sup>.

ومما زاد الأمر سوءاً وأدى لحدوث الفتن والاضطرابات والانقلاب الذي أدى إلى خلع السلطان الكامل شعبان ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، هو أنه عندما أراد الخروج للحج طلب من أهل النواحي وأصحاب الإقطاعات مطالب متنوعة لتجهيزه للخروج للحج مثل، الجمال، الشعير وغير ذلك... مما أثقل كاهلهم، وكثرت مغارم الولاة ومطالبهم بسبب سفر السلطان، فشكا أصحاب الإقطاعات ما أصابهم من الضرر من كثرة مغارم السلطان ولم يعطى أحد لشكواهم أي اهتمام، وكان هذا من أسباب الفتنة التي منعت السلطان من الحج وخلعه في نفس العام<sup>(٦)</sup>.

---

= يحدث هذا، راجع: د. عبد اللطيف إبراهيم، من وثائق التاريخ العربي، إعداد المشتغلين بالوثائق، مجلة المكتبة العربية، مج ١، عدد ٤، هامش (٢)، ص ١٢.

- Poliak: Feudalism in Egypt, P37.

(١) David Ayalon; Studies on the structure of the Mamluk Army, II. B.S O.A. vol 5. 1953. P453.

(٢) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة المماليك، ص ٢٧٧، جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٢٩١، محمود نديم أحمد فهم، الفن الحربي، ص ٦٥.

(٣) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٩.

- Poliak : Feudalism in the Near East, P88.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٨٤، علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٣٦، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٧٦.

(٥) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١٦٧، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٧٦.

(٦) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٠٣-٢٠٤.



أضف إلى ما سبق من ضعف للنظام الإقطاعي وانهاره ما حدث في عهد السلطان حاجي عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦م عندما منح الإقطاعات للمغنيين والشعراء بل وللنساء أيضاً، والدليل على ذلك عندما درب أحد المغنيين جاريه السلطان على الغناء أعطاه السلطان إقطاع في الحلقة زيادة عما معه.<sup>(١)</sup> وليس السلطان حاجي فقط هو الذي منح الأمراء والشعراء بل النساء الإقطاعات ولكن السلطان حسن هو الآخر منحهم إقطاعات، بل الأمراء أنفسهم منحوا الشعراء إقطاعات، فالأمير تنكز، حينما مدحه الشاعر الطنبغا الجاولي نسبة إلى مخدمه الأول سنجر الجاولي نائب غزه أعطاه إقطاعاً بحلقه دمشق<sup>(٢)</sup>.

وتوالى نظام أن من أراد أن يدخل في جند الحلقة يدفع لبيت المال رسماً معيناً من المال بقدر إيراده في الحلقة سنة كاملة، وكان الهدف من وراء ذلك هو إيجاد مورد جديد من موارد بيت المال، لكن هناك من أدرك من الأمراء خطورة هذا العمل ورأوا أن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تحول معظم الجند إلى أجناد في الحلقة وبذلك يقل عدد جندهم، وأبلغوا السلطان بذلك فألقى هذا النظام<sup>(٣)</sup>.

ومره أخرى فتحت أبواب المقايضة في عهد السلطان حسن بن الناصر محمد فباع الجند إقطاعاتهم بهدف الحصول على المال واستولى كثير من العامة على بعض الإقطاعات وبلغ ثمن الإقطاع الواحد ٢٠ ألف درهم، وكانت هناك جماعه من الوسطاء عرفوا باسم "المهيسين" كانت مهمتهم إقناع الجند ببيع إقطاعاتهم لمن يدفع ثمناً مناسباً، وكانوا يأخذون في الصفقة الواحدة ١٠% من ثمن البيع، وأصبح أمر بيع الإقطاعات أمراً شائعاً مألوفاً حتى أصبح معظمها ملكاً لأصحاب الحرف في الوقت الذي ترك معظم الجنود إقطاعاتهم، وأصبح عدد الجند الذين يملكون إقطاعات أقل بكثير مما كان من قبل<sup>(٤)</sup>.

وما حدث من سوء الأحوال الاقتصادية وأدى إلى ازديادها ما حدث عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م عندما حدث الوباء العظيم وفناء الناس نتيجة حدوثه، فترتب على هذا الوباء، هلاك كثير من الفلاحين وموتهم، فاضطر الجنود أن يأخذوا غلمانهم ويخرجوا لجمع المحصول من الغلال، ولم يحصد كثير من الناس أي شيء من إقطاعاتهم، لكل ذلك أصبحت الإقطاعات خراب بوار بل

<sup>(١)</sup> إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص ١٦٦.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، نفس الصفحة.

<sup>(٣)</sup> المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٩.

<sup>(٤)</sup> على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٤٤٣.





عاطلة ولا تجد من يستغلها من الأمراء أو يزرعها من الفلاحين، فتصرف فيها أصحابها سواء بالبيع والتنازل عنها والمقايضة<sup>(١)</sup>، فمن أراد ورغب في التنازل عن إقطاعه أعطى مالا إلى بيت المال على حسب ما يقرره آخروا شاد الدواوين الذي عمل ديواناً مخصوصاً لهذا الغرض سماه ديوان البدل، فدخل في أجناد الحلقة أصحاب الوظائف الدينية والديوانية وكذلك أصحاب الحرف والصنائع من المصريين<sup>(٢)</sup>.

ظل هذا يحدث إلى أيام السلطان صالح بن الناصر محمد الذي سمح للأجناد أن يبيعوا إقطاعهم أو أن يقاضوا عليها بالأموال أيضاً، أو أن يتنازلوا عنها، وأصبح بيع الإقطاعات أمراً شائعاً فألوفاً في ذلك الوقت حتى أصبح معظم الأراضي ملك لأصحاب الحرف في الوقت الذي ترك فيه معظم الأجناد إقطاعهم<sup>(٣)</sup> وخربت الأراضي والذمم، وانقسم الممالك على أنفسهم أحزاباً مختلفة وشيعاً بتجسس كل منهم على الآخر، وانتشرت بينهم حوادث السلب والنهب<sup>(٤)</sup>.

ولقد كان لحدوث الوباء العظيم أكبر الأثر على الإقطاعات، فعندما حل حدوثه حدثت أزمة اقتصادية عظيمة وكبيرة انهارت بسببها البلاد والعباد، وانحلت إقطاعات كثيرة، وقد كان الأمير منجك اليوسفي وزير الدولة في هذا الوقت، فرأى أن يوفر الجوامك والرواتب<sup>(٥)</sup> وكتب هذا لجميع أصحاب الوظائف وأصحاب الأشغال والممالك السلطانية أوراق (مثالات) تخص كل منهم بجامكيته... فأخذ جماعه من الأقباط ومن الكتاب ومن الموقعين إقطاعات في نظير جوامكهم وتوفر في الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد أقطع الممالك العربان إقطاعات أيضاً، فيمكن القول أنهم سمحوا للعربان للحصول على بعض الإقطاعات القليلة الشأن في مقابل حراسه الطرق التي تمر ببلادهم إلى جانب تقديم الخيل للجيش علاوة على الرغبة في كسب ودهم وولائهم، في الوقت الذي لم تألوا فيه الدولة جهداً في عمليات الإبادة ضد جميع العربان نتيجة ثورتهم الكثيرة والمتكررة<sup>(٧)</sup>.

(١) محمود نديم أحمد فهمي، الفن الحربي، ص ٦٥.

(٢) الباز العريني، الممالك، ص ١٩١.

(٣) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٥٨.

(٤) نعيم زكي فهمي، التجارة الدولية، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٥) صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٤٥٧، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، حاشية (٦٩) ص ٥٤، الباز العريني، الممالك، ص ٢٠٠.

(٦) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٧) Poliak ; Foudalism in Egypt, PP 9-27



هذا وقد أقطع المماليك للعربان إقطاعات في أماكن بعيدة، أكثرها في الشرقية وفي أطراف مملكتهم، وفي الواحات البعيدة جداً، وما يترتب على ذلك من صعوبة الاستغلال لغير العرب<sup>(١)</sup> لكن من الملاحظ أن إقطاعات العربان لم تزيد عن إقطاع جندي في الجيش المملوكي<sup>(٢)</sup> وما فعله المماليك من حرمان الأعراب من الأرض الزراعية كان سبب في قيام العربان بالكثير من الثورات مما كان له أكبر الأثر في تدمير وتخريب أجزاء كبيرة في سائر أقاليم مصر<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من ثراء سلاطين المماليك وأمراءهم وبذخهم الذي بلغ ذروته في المأكل والملبس والسكنى واقتناء الجواري والعبيد وحياسة الأراضي، والعقارات، الخيل، الأنعام، الغلال، الذهب والجواهر وغير ذلك من متاع الحياة فإن النظام الحاكم كان في حالة شكوى مستمرة ودائمة من العجز المالي تعبيراً عن واقع ظهر ووضح في عجز السلاطين عن صرف مرتبات الجند النقدية والعينية<sup>(٤)</sup> والدليل على ذلك ما حدث عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م أن بعض المماليك الأجلاب، وقفوا للأمراء وطالبوهم بالنفقة التي وعدوهم بها وهي مبلغ ٥٠٠ دينار لكل واحد من المماليك، فأعطوا لكل واحد منهم ١٠٠ دينار فرفضوا ذلك، فقبضوا على طشتمر اللفاف أمير كبير وقتلوه ولكن المماليك صمموا أن يأخذوا الـ ٥٠٠ دينار، فعملوا على جمع الأموال من الناس للنفقة على الجند، وأخذوا ينهبون الأموال، وأخذوا الأموال ما لا ينحصر، فقبضوا على المحتسب وأعيان التجار وأجبروهم على النفقة، ثم قبضوا على جماعه من الطواشي<sup>(٥)</sup> هكذا الممارت الدولة وزال حالها.

### الأسباب التي أدت إلى انهيار النظام الإقطاعي:

رأينا من خلال الصفحات السابقة أن النظام الإقطاعي لم يأت ثمرته المرجوة، فقد كان النظام الإقطاعي مبنى أساساً ليكون مصدر الثروة الأساسية للمقطعين<sup>(٦)</sup> فهو اعتمد بشكل أساسي على الأرض وإنتاجها، فاستهدف عدم التمكين لقيام أسرات قوية إقطاعية، ففرق الإقطاعات في أنحاء متفرقة، كما كان الإقطاع يتغير مع تغير وظيفة صاحبه، وكانت النتيجة

(١) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج-٣، ص ٤٥٨.

(٣) سبق الحديث في الفصل الأول عن ثورات العربان ضد الأيوبيين والمماليك أنظر ص ٦٧-٧٠.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ٢، ص ١٩٢-١٩٣.

(٥) علاء طه رزق، السجون والعقوبات، ص ٦٦-٦٧.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٤.



- الطبيعية لذلك هي حرص كل صاحب إقطاع على أن يكون لنفسه أكبر قدر ممكن من الثروة<sup>(١)</sup> وتحقيق أكبر عائد للأرض الزراعية<sup>(٢)</sup> دون أدنى اهتمام منهم سواء لرعايتهم أو وسائل رعايتها أو تطويرها<sup>(٣)</sup> فلم يهتموا بإصلاح الأراضي الزراعية أو صيانة الجسور، فتقطعت هذه الجسور وغرقت البلاد والأراضي، وضعف سيطرة باقي المقطعين على المساحات البعيدة عن إقطاعهم وإهمالهم للأشراف عليها<sup>(٤)</sup>.

مما أدى إلى زيادة اعتماد أبناء الطبقة الحاكمة على الرواتب النقدية حتى يحافظوا على حياه الترف والبدخ التي عاشوها، وقل إنتاج البلاد من جميع المصنوعات إلى أدنى حد، والنتيجة هي مزيد من استنزاف رصيد البلاد من الذهب والفضة ومزيداً من التدهور الاقتصادي والأزمات الاقتصادية<sup>(٥)</sup> مما أدى إلى كثرة حوادث الشعب والتمرد والاعتداء على الناس في الشوارع والأسواق<sup>(٦)</sup>.

- وفي ظل الانخفاض المستمر في عائد ما تنتجه الأرض وتدهور هذا الإنتاج اتجهوا إلى بيع إقطاعهم والتنازل عنها فيما عرف بالمقايضة أو المبادلة، وكان هذا بدوره سبباً رئيسياً في هدم النظام الإقطاعي بل شرخه، خاصة بعد إنشاء ديوان البدل الذي يرجع إلى شاد الدواوين (أغرلو) في عهد السلطان شعبان بن الناصر محمد كما سبق أن ذكرنا بسبب حاجة الدولة إلى المال، وهذا أعطى المجال والفرصة للعامة من الناس ليطمكوا الإقطاع<sup>(٧)</sup>.

وترتب على ما سبق ذكره ضعف الجيش المملوكي ودخول أعداد كبيرة دون الكفاءة القتالية<sup>(٨)</sup> فعندما كان السلطان قوياً كان المقطعون يخافون منه، أما إذا كان ضعيفاً فإن الجنود يعجزون عن أداء وظيفتهم، إلى جانب فشلهم في إخضاع الطامعين...، والنتيجة المتوقعة هي أن يكون النظام الإقطاعي عاملاً من عوامل الهدم والانحلال لا من عوامل القوة والتماسك<sup>(٩)</sup>.

(١) قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) علاء طه رزق، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٤) Poliak : Feudalism in Egypt , PP 20-27.

(٥) قاسم عبده قاسم، المرجع نفسه، ص ١٤٧.

(٦) قاسم عبده قاسم، دراسات في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢.

(٧) مجدى عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر المماليك، ص ٢٣٠.

(٨) علاء طه رزق، السجون والعقوبات، ص ٢٤-٢٥.

(٩) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٢.



- هذا إلى جانب أن المقطعين أصحاب الإقطاعات فضلوا الإقامة بالقاهرة والمدن الكبرى واكتفوا بإرسال مندوبين عنهم للإشراف على هذه الأملاك واستخلاص عائداها من الفلاحين أضعافاً مضاعفة، إلى جانب ذهابهم إلى القاهرة للمشاركة في الحروب الداخلية التي قامت بين الفرق العسكرية وذلك لطمعهم في المكاسب المادية من الأسلاب والمغانم المرتبطة بنتائج الفتن شبه المستمرة بين الأمراء<sup>(١)</sup>.

- بالإضافة إلى أن كثرة الولاية والعزل للنواب أو الولاة والتعاقب على ذلك المنصب جعل هناك اضطراب سياسى، وجعل كل وال يعمل على تكوين ثروة تنفعه في مستقبله قبل ترك منصبه هذا أدى إلى عدم الاهتمام بشبكات الري وترميم الجسور مما أدى بدوره إلى ضياع ماء النيل، وشكوى الناس المستمرة من نقص المياه، مما عمل على كثرة أراضي الشراقي وغلو الأسعار<sup>(٢)</sup>.

- وذكر المقرئى في ذلك أنه في عهده "فسدت حاله الجسور والترع والخلجان"<sup>(٣)</sup> مما أدى إلى قلة الخراج وما حدث من سياسة الاعتصار المملوكية للفلاحين، ومما ترتب عليه من ارتفاع منسوب الأرض الزراعية مما جعل مياه الفيضانات التي كانت تغرق هذه الأراضي سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكي البحري لم تعد كافية لري أكثر الأراضي، وأهملت الدولة عمليات الإصلاح والترميمات بما تحصل عليه من أموال برسمها مقرر الجسور فوزعت هذه الأموال بعد تحصيلها على السلطان والأعيان، وسخر أهل البلاد في عمل الجسور مما أدى إلى بوار معظم الأراضي<sup>(٤)</sup>.

والأمثلة على تقطع الجسور كثيرة سواء في العصر الأيوبي أو المملوكي البحري وقد سبق الحديث عنها، كل هذا حدث نتيجة إهمال الممالك لوسائل ضبط النهر<sup>(٥)</sup>.

ولعل ما سبق يوضح الأثر الضار على الاقتصاد الزراعي والكيان السياسي للدولة، فأصبحت العلاقة بين المقطع والفلاح علاقة استغلالية، مما أدى إلى تدهور النظام العسكري المملوكي، ولعل

<sup>(١)</sup> علاء طه رزق، المرجع السابق، ص ٢٤.

<sup>(٢)</sup> مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية، ص ٢٣١.

<sup>(٣)</sup> المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٦٠.

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٩ مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية، ص ٢٣١-٢٣٢.

<sup>(٥)</sup> قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى، ص ٢١-٢٢.





ما دفع هؤلاء المقطعين إلى عملية النهب هذه، هي إحدى النظريات الملكية الإقطاعية التي مؤداها أن أراضي مصر كلها ملك خاص للحكام، وأن جميع موارد الدولة من نصيبه هو وحاشيته<sup>(١)</sup>.

إن علاقة المقطع بالأرض في ظل النظام الإقطاعي لم تكن مستقرة فلم يكن إقطاع الأمير يتم في مكان واحد... لكننا نلاحظ أنه كان موزعاً بين أكثر من إقليم... وتفرق إقطاع الأمير في عدة أماكن وجهات مختلفة، وكان هدف الممالك من ذلك هو عدم التمكين لنفوذ الأمراء إذا ما استقروا في إقطاعات لفترة طويلة، إلى جانب زيادة مسئولية الأمير، وإبعاد تفكيره عن المؤتمرات التي كانت في القاهرة... ولا شك أن هذا قد أتى بنتائج عكسية على المقطع لأن توزيع الإقطاع في أكثر من جهة وعدم استقراره في يد المقطع، أدى إلى عدم رغبة المقطع في الإقامة في إقطاعه، وكان هذا هو سبب تدهور الإقطاع<sup>(٢)</sup> الذي أصبح كارثة على الاقتصاد المصري<sup>(٣)</sup>.

### أثر النظام الإقطاعي على الفلاحين (الفلاح في ظل النظام الإقطاعي):

ارتبط النظام الإقطاعي بالفلاح ارتباطاً وثيقاً، فعند الحديث عن النظام الإقطاعي لابد من الحديث عن الفلاح في ظله، ولنا أن نتحدث عن الفلاح ووضعه وأحواله في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري ففي العصر الأيوبي كان وضع الفلاح جيد للغاية<sup>(٤)</sup> فقد وضعت الدولة الأيوبية نظم خاصة تحمي الفلاحين من سادتهم الإقطاعيين<sup>(٥)</sup> وتجدد الإيجارات والجبایات التي يدفعها الفلاح لسيده الإقطاعي<sup>(٦)</sup> فقد كان السادة الإقطاعيون في العصر الأيوبي في نعمه محدودة<sup>(٧)</sup> لأنهم أمروا المقطعين بضرورة الأمر بالمعروف واتباع العدل، والحفاظة على الإقطاع

(١) جمال الدين محمد الشيال، صفحه من الحياة الاقتصادية في مصر الإسلامية، مجلة الثقافة، العدد ٩٧، القاهرة سنة ١٩٤٠م، ص ٢٢.

(٢) مجدى عبد الرشيد بحر، القرية المصرية، ص ١٣٥-١٣٦-١٣٧.

(٣) قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ المجتمع المصري، ص ٢١-٢٢.

(٤) Poliak ; the Ayyubid Feudalism , JRAS, 1939, P 430.

(٥) سعيد عاشور، الأيوبيون والممالك، ص ١٦٥-١٦٦.

(٦) محمود محمد الخويرى، مصر في العصور الوسطى، ط ١، سنة ١٩٩٦م، ص ٣٠.

(٧) سعيد عاشور، الأيوبيون والممالك، ص ١٦٦، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢١.

- Ibid, P430.



وعمارته وحسن إدارته والاهتمام بالقضاء وعدم أخذ الرشوة من الناس وحسن الجوار مع زملائه<sup>(١)</sup>.

أما في العصر المملوكي: فقد كانت نظره المجتمع إلى الفلاح نظره حقيرة. بفعل النظم الاقتصادية القاسية التي انتشرت وسادت في العصور الوسطى<sup>(٢)</sup> من جراء النظام الإقطاعي ذلك النظام الذي حرم الفلاح المصري من كثير من حقوقه بل أبسط الحقوق، فقد كان ذلك النظام سمة أساسية من سمات العصور الوسطى<sup>(٣)</sup>. فقد عاش الفلاح في العصر المملوكي عيشة ذليلة في ظل النظام الإقطاعي الذي جعلهم أشبه بعبيد الأرض<sup>(٤)</sup> فالإقطاع أصبح يعنى رق الأرض، حتى صار الفلاح عبداً قنّاً للأرض<sup>(٥)</sup> فأصبحت حالتهم سيئة للغاية<sup>(٦)</sup>.

هذا كله نتيجة المغارم المالية<sup>(٧)</sup> والقيود التي فرضت عليه بالقوة والإجبار، فنحن نعلم أن الأرض الزراعية في مصر كان لها أهمية كبيرة على مر العصور، ذلك لأن الحياة الاقتصادية في مصر تعتمد منذ القدم وبصفه أساسية على الزراعة، وما تنتجه الأرض من غلات ومحاصيل وخضروات، وبمعنى آخر أن الزراعة هي الدعامة الأساسية للاقتصاد المصري ثم تلتها بقية الدعائم، حتى أن الصفة التي غلبت على مصر أنها بلد زراعي<sup>(٨)</sup> هذا وقد كانت ملكية الأرض من أهم العوامل التي لها دخل في نظام الحكم، وفي وجود فوارق اجتماعية كبيرة بين طبقات الشعب<sup>(٩)</sup> داخل نطاق الدولة الواحدة<sup>(١٠)</sup>.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٣-٣٤، ص ١٤٤-١٤٨، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٨.

(٣) يوسف الشربيني، هز القحوف في شرح قصيده أبو شادوف، عرض: طاهر أبو فاشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م، ص ٣٠.

(٤) عبد المجيد مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، سنة ١٩٨١م، ص ١٦١.

(٥) عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ص ٦٩.

(٦) عبد العزيز الدوري، مقدمه في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للنشر، ط ١، سنة ١٩٦٩م، ص ١٠٧-١٠٨.

(٧) مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية في عصر المماليك، ص ١٥٤.

(٨) جابر سلامة المصري، الزراعة في عهد الأيوبيين والمماليك، ص ٥٨.

(٩) ذكر Stanley أن المجتمع المصري ينقسم إلى طبقتين الأولى وهى طبقة المماليك تلك الأقلية الحاكمة والمسيطرة، والثانية وهى الجموع الفقيرة من المصريين الذين كانوا أداة لفلاحه الأرض ودفع الضرائب، راجع:

- Stanley; lane-poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1936, PP 252-253.

(١٠) يوسف الشربيني، هز القحوف في شرح قصيده أبو شادوف، ص ٣٠.



وخلال العهدين الأيوبي والمملوكي البحري برزت أهمية الزراعة وبالتالي انعكس ذلك على المنشآت والمرافق الخاصة المتعلقة بزيادة إنتاجية الأرض والاهتمام بها، والتي أثرت في حياة البلاد بشكل مباشر، كما كان لها أثر في حياة الدولة الاقتصادية والاجتماعية، والشئ الذي لاشك فيه والذي زعزع الحياة الاقتصادية وأثر على حياة الفلاحين هي ارتفاع القيمة التجارية للأرض الزراعية مما جعلهم تحت رحمة كبار الأمراء الإقطاعيين.<sup>(١)</sup>

ويذكر د/ سعيد عاشور عن تاريخ الأرض زمن الأيوبيين والمماليك أنه يرتبط بظاهرة اقتصادية لها أهميتها وخطورتها هي ظاهرة الإقطاع، فإذا أردنا أن نعثر على صفة مميزة للريف المصري في ذلك العصر، فلن نستطيع أن نصفه إلا بزمن الإقطاع.<sup>(٢)</sup>

هذا إلى جانب ما فرض عليه من ضرائب (أنواع مختلفة من الضرائب)<sup>(٣)</sup> منها الخراج، فلم يكن الخراج هو كل ما يأخذه المقطعون من الفلاحين، بل أضيف إليه هدايا عينيه في أوقات معينة من السنة وهي المعروفة بالضيافة، هذه الهدايا تشتمل على الأغنام والدجاج والكشك والبيض، والتي قرر الناصر محمد إبطاها عندما رآك البلاد، وأضاف أثامها إلى عبء الإقطاع<sup>(٤)</sup> ونحن نعلم أن الخراج هو ضريبة تؤخذ بنسبه المحصول للأرض، وهو لا يقل عن خمس المحصول، والأمر الغريب في ذلك هو أن ما يتعين على الفلاح من خراج للديوان يجبي منه سواء ألجب زرعه أم لم ينجب<sup>(٥)</sup> فقد كان الفلاحين يدفعون الخراج الذي أقطع لأفراد الجيش مقابل خدمتهم الحربية.<sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٥-١٦٦.

<sup>(٢)</sup> سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٢. ينبغي أن ندرك جيداً أن الزراعة والفلاحة هما قوام المجتمع الإقطاعي وأن سواد ذلك المجتمع مكون من الفلاحين راجع: ج.و. كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا نقله إلى العربية د. محمد مصطفى زيادة، ط ٢، مكتبة النهضة العربية، سنة ١٩٩٥ م.

<sup>(٣)</sup> سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٨. للحكومة المركزية الحق في فرض ضرائب على الفلاحين الذين يعملون في إقطاعات الأمراء وأثرت هذه الضرائب فيما يحصل عليه من خراج، وأثار هذا الإجراء سخطهم وحنقهم، راجع: السيد الباز العريفي، المماليك، ص ٢٠٠.

<sup>(٤)</sup> النويري، نهاية الأرب، ج ٨، ص ٢٤٥، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٤٣٠.

<sup>(٥)</sup> جابر سلامة المصري، المرجع السابق، ص ٧٩.

<sup>(٦)</sup> مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية في عصر المماليك، ص ١٥٥.



ومهما يكن من أمر فقد تعددت التزامات الفلاح المالية تجاه المقطع التي كان أولها إيجار الأرض التي يزرعها وهو مبلغ محدد متفق عليه أو قسم من المحصول وهو النظام المعروف بنظام المقاسمة<sup>(١)</sup> إلى جانب أن الفلاح المصري لم يكن حراً في استخدام المحاصيل الزراعية التي يحصدها ويجنيها من حقله، وقد ذكر المقرئ في كتاب الخطط، أن جميع تبن مصر مقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم للسلطان، وقسم للمقطع، وقسم للفلاح<sup>(٢)</sup> ولم يمنع هذا من تطبيقه على كافة المحاصيل الأخرى، ولكن الشيء الذي هز كيان الفلاحين وأصابعهم هو تلاعب أصحاب الإقطاع ومباشريهم عند قيام الفلاحين بسداد ما عليهم من أموال وغرائب، إذ لم يعط الفلاحون ما يثبت قيامهم بالسداد، فاستغل المقطعون والمباشرون ذلك وغالطوا الفلاحين في حساباتهم، وربما ظالبوهم بأموال دفعوها قبل ذلك.<sup>(٣)</sup>

ويذكر الأسدي عن أصحاب الجباية والخراج "أنهم كانوا يأخذون الأموال في كل وقت وحين وأنهم ألزموا الفلاحين بأشياء كثيرة... ولم يستطيع أحد منهم أن يشتكى"<sup>(٤)</sup>

إلى جانب نصف العشر الذي يؤخذ من الفلاحين دون المقطعين على نسبة المتحصل لهم من العين والغلة، وهذا فيه ظلم كبير، لأن العشر ونصف العشر زكاه أوجبها الشرع في بعض المزروعات.<sup>(٥)</sup>

وبخلاف المغارم الحربية، كانت هناك مغارم تفرض على البلاد بسبب الأعمال العامة فيقرر الأمراء على الفلاحين ضريبة سنوية للإنفاق منها على عماره الجسور، وتطهير الترع والقنوات<sup>(٦)</sup> أو حفر الخلدجان<sup>(٧)</sup> كذلك حصل الأمراء من الفلاحين ضريبة بنحو ١٠% في مقابل إمداد الفلاحين

<sup>(١)</sup> فرض الولاة على أهل القرية الواحد نظام المسئولية المشتركة فيما يستحق عليهم من أموال، حق في حالة توزيع زمام القرية الواحدة بين عدة ملاك أو مقطعين، اعتبر كل فلاح شريكاً لزملائه عند وصول المشد إلى القرية توزع نفقات إقامته على الفلاحين من حيث المأكل والمشرب وما تحتاج إليه دوابه من علف ويلتزم الفلاح بكل ذلك قهراً مهما بلغ فقره، وربما هرب الفلاح لضيق يده فتلتزم زوجته وأولاده بالملسوب، وتضطر إلى بيع ما لديها لشراء ما يلزم المشد من دجاج ولحم. راجع: سعيد عاشور، المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، ص ٥٠، سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٦١-١٦٢، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢٠.

<sup>(٢)</sup> المقرئ، الخطط، ج-١، ص ١٧٨.

<sup>(٣)</sup> جابر سلامة، المرجع السابق، ص ٨٢.

<sup>(٤)</sup> الأسدي، التيسير والإعبار، ص ٤٤.

<sup>(٥)</sup> ابن ممتي، قوانين الدواوين، حاشية (١٠) ص ٣١٣.

<sup>(٦)</sup> النويري، لهية الأرب، ج-٨، ص ٢٥٢.

<sup>(٧)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١ ق ١، ص ٥٢١-٥٢٢.





بالتقاوى، وأضافوا إلى ذلك في بعض البلاد العشر فيأخذ عن كل أردب من التقاوى ١١ أردباً، وحدث ذلك عادة حين أباحت الدولة للأمراء والأجناد بيع إقطاعاتهم أو التنازل عنها<sup>(١)</sup> أو مقايضتها، هذا بالإضافة إلى ما يأخذ من أرباب المواشى في كل سنة عند هبوط النيل وذلك مقابل رعى الماشية فيتقاضى عن كل رأس من الماشية مبلغاً معيناً في الشهر أو السنة<sup>(٢)</sup>.

كما يفرض رسوماً معينة على صيد السمك عند هبوط النيل، ورجوع الماء من المزارع إلى النهر، أما ما قرر على البساتين والكروم فسيخرج على حكم الضريبة عند نضج كل صنف<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى ما يأخذه صاحب الإقطاع من (أموال) مقررات على عسل التمر والمصنوعات المحلية من الثياب والبسط<sup>(٤)</sup>، أضف إلى ما سبق ما كان يدفعه أرباب الحرف والصنائع المقيمون بالإقطاع من الأجور عن الخوايت والحمامات والأفران والطواحين الدائرة بالبقر، أما ضريبة الرؤوس المفروضة على أهل الذمة (غير المسلمين) والتي عرفت بالجوالى فإنها أضيفت إلى غيره الإقطاع منذ إجراء الروك الناصرى ٧١٥هـ/١٣١٥م.<sup>(٥)</sup>

استغل المقطعون والمباشرون فساد العملة فلم يسلم الفلاحون من ذلك الفساد فحصل المقطعون من الفلاحين على أموال بالزيادة، فإذا أحضر الفلاح المال من بلده موزوناً وأتى به إلى دار الأمير أو الحاكم لرئيس الصيارف أخذوا منه النقود ليزنوها من جديد بصنج زائدة فيظهر النقص في مال الفلاح، ويخرجوا منها عدة قطع لحاس وقطع ذهبية بها نواقص وخوارج وينتهي الأمر بالفلاح إلى الترسيم<sup>(٦)</sup> وفاءً للعجز حيث يضطر إلى أن يستدين بفائدة بعد أن يذوق سوء العذاب داخل السجن<sup>(٧)</sup>، ولم يكن الفلاح مكلفاً بهذه الالتزامات المتنوعة فحسب<sup>(٨)</sup> بل كان الولاة يظلمون الفلاحين ويجورون عليهم، فيفرضون عليهم ما يسمى بالقدوم، وهى قدر معين من المال، فعندما يحدث عدم استقرار للولاة ويعزلون، فكان يأتى ولاه غيرهم ويفرضون على

---

<sup>(١)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٠٧، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٨، ص ٢٥٣-٢٥٤، النويرى، نهاية الأرب، جـ ٨، ص ٢٦٢، الباز العريق، الممالك، ص ١٩٨-١٩٩.

<sup>(٢)</sup> النويرى، المصدر نفسه، جـ ٨، ص ٢٦٣.

<sup>(٣)</sup> النويرى، نهاية الأرب، جـ ٨، ص ٢٧١.

<sup>(٤)</sup> النويرى، المصدر نفسه، جـ ٨، ص ٢٦٦، الباز العريق، الممالك، ص ١٩٩-٢٠٠.

<sup>(٥)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٦٣.

<sup>(٦)</sup> الأسدى، التيسير والإعبار، ص ٤٤.

<sup>(٧)</sup> المصدر نفسه، ص ٤٤.

<sup>(٨)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٥١.



الفلاحين قدوماً ثانياً ويأخذونه منهم مرة أخرى، كل هذه المظالم على الفلاحين بغير حق، ونتيجة لذلك اختل إقليم مصر غاية ما يكون من الاختلال بسبب ذلك.<sup>(١)</sup>

والعبء الأكبر الذي تحمله الفلاح بالإضافة إلى جميع ما سبق أنه عند خروج كل سلطان للحرب كان عليه أن يجبي أموالاً من قوت الشعب، خاصة أهل القرى الذين تحملوا العبء الأكبر في ذلك نظراً لوجودهم على الأرض الزراعية مصدر النفقة على الجيش وقت ذلك، والدليل على ذلك أنه عام ٦٥٧-٦٥٨هـ/١٢٥٩-١٢٦٠م، فرض السلطان المظفر قطز على كل فرد من أهل مصر ديناراً، بالإضافة إلى مغارم أخرى<sup>(٢)</sup> مع العلم أن الجميع يعرف بشراء الممالك وأمرائهم، وما حدث عام ٦٩٩-٧٠٠هـ/١٢٩٩م عند هزيمة الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية أمام محمود غازان حفيد جنكيز خان بالقرب من دمشق، فأخذ يستعد للقائه مره أخرى، ومن بين الاستعدادات والإجراءات التي اتخذها لذلك هي جباية أموال زائدة عن كل حركة للحرب، إلى جانب طلب الخيل والرماح والسيوف بالإضافة إلى دنالير عينيه جبيت من سائر مصر خصوصاً بلاد الوجهين القبلي والبحري.<sup>(٣)</sup>

هكذا فقد صارت سنه بأن يفرض كل سلطان عند خروجه للحرب أموالاً تجبي من قوت الشعب سيما أهل القرى الذين تحملوا العبء الأكبر في ذلك.<sup>(٤)</sup>

كل ذلك وقع على كاهل الفلاح في العصر المملوكي، وفرضت عليه هذه المغارم فرضاً ظلماً وعدواناً بدون وجه حق، وكان على أهل القرى أن يدفعوها سواء رضوا أم أبوا، فإن كانت هذه المكوس مغارم مقنعه توارت خلف أسماء أخرى، فإن هذه كانت مغارم مقننه فرضت باسمها الحقيقي جهاراً نهاراً، لذلك فقد أسماها المعاصرون بأسماء مختلفة مثل المغارم أو الكلف والمظالم مما يعكس رأى الناس فيها<sup>(٥)</sup> مما يوضح مدى الإرهاق الذي ينوء بعبئه الفلاح<sup>(٦)</sup>، ومما زاد الطين بله قسوه وظلم وجبروت ولاه الأمور أثناء جباية الضرائب (تحصيل المغارم) فقد كانت طرق جباية أي شئ تعسفيه إلى حد كبير، ففي عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م في أيام حكم السلطان صالح بن محمد

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٢٥١.

(٢) المقرئى، السلوك، ج١، ق٣، ص ٨٩٧، ٩٠٦، ٩٠٧.

(٣) مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٤.

(٤) المقرئى، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢، مجدى عبد الرشيد، المرجع نفسه، ص ١٥٤.

(٦) عبد العزيز الدورى، مقدمه في التاريخ الاقتصادى، ص ١٠٧-١٠٨.



بن قلاوون، جمع المقطعون الخراج قبل ميعاده من الفلاحين وذلك للخروج والاستعداد للقضاء على فتنه العربان بالصعيد بقياده الأمير شيخو، فأمر السلطان الفلاحين ببيع خيولهم بالسوق وتوريد أثمانها مما عليهم من الخراج فبيعت عده خيول ووردوا ثمنها للمقطعين.<sup>(١)</sup>

وقد كان الغلاء وارتفاع الأسعار له تأثير كبير على حياة الفلاحين، فكثيراً ما إستغلت أوقات الغلاء وارتفاع الأسعار في إيقاع الظلم بالفلاحين، فعلى أساس ذلك كان يرفع المقطعون قيمة الإيجار فيتسلط أجناد الأمراء وموظفونهم عليهم تقريباً من أمرهم للترقى في خدمتهم والوسيلة إلى ذلك هي المال... فجعلوا زيادة الإيجار في كل عام حتى بلغ الفدان نحو من إثني عشر أمثاله، وعندما تضاعفت أجره الفدان وتزايدت كلفه الحرث والبذر والحصاد، وإشتدت وطأهم على أهل الفلاحة، وكثرت المغارم في عمل الجسور<sup>(٢)</sup>، مما دفع بالكثير من الفلاحين للهرب من قراهم والتشرد بهم في البلاد، وقد أثر ذلك على الزراعة فتعطلت أكثر الأراضي الزراعية لقله الفلاحين الذين يقومون بزراعتها، وبالتالي خربت القرى مما أدى إلى قلة الإنتاج الزراعي، وترتب على ذلك أن إهتز اقتصاد الدولة، هكذا قاسى الفلاحون كثيراً من ظلم المماليك، وفقدت القرية أمنها، وعاش الفلاحون في خوف واضطراب دائم يتمنون الموت عن الحياة البائسة التي يحيونها في ظل نظام الإقطاع المملوكي<sup>(٣)</sup>، فلا ينتظر في ظل هذه الأوضاع أن يحيا الفلاح حياة آمنة مستقرة طالما كان تحت رحمة الطبيعة من ناحية، وتحت رحمة الحكام من ناحية أخرى، وإذا كانت الطبيعة تشدد قبضتها على الفلاح حيناً وترحمه أحياناً، فإن الحكام كانوا لا يرحمونه في الغالب، فأثقلوا عليه الالتزامات والرسوم، ولم يتهاولوا في جمع المفروض عليه من ضرائب وأموال.<sup>(٤)</sup>

والشيء الذي أدى إلى خراب البلاد (أودى بحياة البلاد) هو أن الفلاح لم يسلم من خطر العربان<sup>(٥)</sup> الذين عملوا على إفساد حياة البلاد والاعتداء المستمر على الفلاحين<sup>(٦)</sup> وقتلهم<sup>(٧)</sup>

<sup>(١)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٣، ص ١٦ ص ٣٤، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٥١.

<sup>(٢)</sup> جابر سلامة المصرى، المرجع السابق، ص ٧٥-٧٦.

<sup>(٣)</sup> لبيب إبراهيم مصطفى، الفن والقلقل الداخلى في دولة سلاطين المماليك، ص ٩٨-٩٩.

<sup>(٤)</sup> سعيد عاشور، الأيوبيين والمماليك، ص ١٦٣، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢٠.

<sup>(٥)</sup> سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٦٢، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢٣.

<sup>(٦)</sup> سعيد عاشور، التدهور الاقتصادى في دولة سلاطين المماليك في ضوء كتابات بن إياس (بحوث ودراسات في تاريخ العصور

الوسطى)، سنة ١٩٧٧م، ص ٣٥٩.

<sup>(٧)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٣٧.



ونهب مواشيهم ومحاصيلهم مما جعل الريف يتعرض لأزمات تخريرية<sup>(١)</sup> إلى جانب إعلان العصيان على الحكام، فقد ترتب على ذلك إرسال الحكومة للحملات العسكرية لتأديب هؤلاء العربان<sup>(٢)</sup> مما يعود على الفلاحين بأبلغ الضرر، حيث يشتد ظلم ووطأه أجناد المماليك على الفلاحين فيعملون أعمالاً فظيعة يهلكون فيها الحرث والنسل، ولا يعودون إلا وقد شمل الخراب تلك الديار التي نزلوا بها.<sup>(٣)</sup>

والشيء الذي لا يمكن إنكاره هو أن نظام الإقطاع وضع قيوداً على الفلاحين، وهي إجبارهم على الزراعة (الفلاحة) بالإضافة إلى إجبارهم على إستغلال الأرض لحساب طبقة المماليك بجميع فئاتهم على أساس أن هؤلاء طبقة حربية لا تقوم بزرع الأرض مما جعل الفلاحين أجراء لا يستطيعون مغادره الأرض.<sup>(٤)</sup>

فيذكر السبكي "ومن قبائح ديوان الجيش إلزام الفلاحين بالإقطاعات بالفلاحة، والفلاح حر لا يد لأدمى عليه"<sup>(٥)</sup> وشرح المقرئى مفسراً هذه العبارة بصدد حديثه الذي يقارن فيه بين نظم الزراعة في مصر الإسلامية في عصر الفتوح الكبرى، ونظمها في عصره، فذكر أنه لم يعرف في ذلك للأول "هذه الأبدية التي يقال لها الفلاحين في عهده، ويسمى المزارع المقيم بالبلدة فلاحاً قرارياً، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق فهو قن، ومن ولد له كذلك"<sup>(٦)</sup>، وإذا هرب الفلاح فراراً من الظلم والقسوة أعيد قسراً<sup>(٧)</sup> حتى أنه أصبح يفضل الموت على الحياة لما فيها من ظلم وغبن وتسخير<sup>(٨)</sup> معنى هذا أن الفلاح المصري عاش مربوطاً إلى الأرض التي يفلحها ويفنى في خدمتها، وليس له من خيراتها إلا القليل.<sup>(٩)</sup>

(١) سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، ص ٣٦٠.

(٢) سعيد عاشور، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٣) جابر المصري، المرجع السابق، ص ٨١.

(٤) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص ٢٧٨.

(٥) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٤٤.

(٦) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٣٨.

(٧) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٣-٢٥٢.

(٨) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٨.

(٩) سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٩٩، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٨. وقد ذكر بن خلدون وهو الذى قضى فتره من أنشط مراحل حياته في ظل سلطنة المماليك أن الفلاحة معاش المستضعفين ويختص أهلها بالذل، وهذا الحكم الذى أصدره بن خلدون على الفلاحين إنما يعبر في الواقع عن نظره معاصريه إليهم، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢١.





وكانت أفخر مأكولات الفلاح هو تناوله للشعير والجن القريش والبصل، ولا عجب فإن الغلال كانت خيراتها تذهب لأهل الدولة ذوى الجاه والسلطان "الذين تزايدت في اللذات رغبتهم فخرجت معظم القرى لموت أكثر الفلاحين وتشردهم في البلاد"<sup>(١)</sup>

والحق أن الفلاح تعرض للعسف والإرهاب في أيام حكم المماليك الإقطاعي، فقد كان الهدف في جميع الأحوال هو تحويل كد الفلاح وعرقه إلى خزائنه الإقطاعي في العهد المملوكي.<sup>(٢)</sup>

ولرى في أدب هذا العصر صوراً لهذه الأموال التي كانت تتدفق على بيت المال من عرق الفلاحين وكدهم، فيوضح البوصيرى في ذلك قائلاً: عن أمير يجمع المال

ملأت فيها بيوت المال من ذهب	وفضه يا حبذا الصبر
والمال يجنى كما تجنى الثمار بها	حتى كأن بنى الدنيا لها شجر
وتابعت بعضها الغلات في سعر	بعضها إلى شون ضاقت بها الحذر
وسيقنت الخيل للأبواب مسرجه	لم تحصى عدا وتحصى الأغم الزهر
والجن تحسبها سحباً مفوضه	في الحق منها قضاء الجور منحصر
وكل مقترح ما دار في خلد	يأتى إليك به في وقته القدر
وما هممت بأمر غير مطلبه	إلا تيسر من أسبابه العسر
والعاملون على الأموال ما علموا	من أي جهد يأتى وما شعروا
وما أرى بيت مال المسلمين درى	من أين تأتى له الأكياس والبدر <sup>(٣)</sup>

والبوصيرى هنا يعلى من قدر أمير من الأمراء عندهم وليس من شئ أفضل من أن يحسن في عمله في جمع المال؟... ثم يوضح تدفق المال ويتسأل عن هذا المال وإلى الغلات التي تتابع بعضها بعضاً، وإلى الخيل الكثيرة المتعددة والتي تفوق النجوم عدداً، وإلى هذه الهجن التي يضيق بها الفضاء؟... كل هذه الأموال تتدفق لتستحيل بعد ذلك إلى مجالس هو ولذه، لقد صدق البوصيرى حين شبه الناس بالشجر فهكذا هم في نظر الحكام لا يزيدون عن ذلك.<sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> الشربيني، هنز القحوف، ص ٥٩، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢٢.

<sup>(٢)</sup> يوسف الشربيني، هنز القحوف، ص ٣٠.

<sup>(٣)</sup> فوزى محمد أمين، المجتمع المصرى في أدب العصر المملوكى الأول، دار المعارف، سنة ١٩٨٢م، ص ١٣٢.

<sup>(٤)</sup> المرجع نفسه، ص ١٣٣.



كل ما سبق أثر على جميع نواحي الحياة بل كان له أثره في إختلال أحوال البلاد المصرية نتيجة ما سبق ذكره... هكذا عاش الفلاح المصري خلال العصور الوسطى حياة كلها ظلم وغبن ومغارم وتسخير وإنه لم يستمتع بثمره جهده بل استولى عليها غيره ليعيش ذليلاً حقيراً بين منزله<sup>(١)</sup> محروماً من كل شيء<sup>(٢)</sup>... ألم يكن لهذا النظام مساوئه التي قضت على حياة القرى والريف، وحياة الفلاح نفسه، مما أدى إلى خراب الزرع والبلاد والعباد، بل أثر في حدوث الأزمات الاقتصادية.

### أثر الأزمات الاقتصادية على مرافق البلاد المرتبطة بالري والزراعة:

مر العالم بما يعرف بالعصر البدائي حيث تسيطر الطبيعة على الإنسان، ذلك الإنسان الذي كان يمارس أنشطته اقتصادية بسيطة، تلك الأنشطة تتمثل في الصيد والقنص والرى وتربية الحيوان، وعندما بدأ الإنسان في إكتشاف الزراعة، والإشتغال بها بدأ الانتقال من المجتمع البدائي إلى مجتمع أكثر تطوراً<sup>(٣)</sup> وأدرك أن موارد هذه الأرض بما وسعت تقصر عن الوفاء بالحاجات البشرية، وأدرك ضرورة العمل على حلها.<sup>(٤)</sup>

ولاشك أن الزراعة هي أصل الحياة في مصر منذ القدم، وقد إرتبطت الزراعة وقيامها بنهر النيل وما تفرع عنه من نزع وقنوات وخلجان، ولقد أدرك المصريون القدماء ذلك منذ أن استقروا على ضفافه، وإنتفعوا بما يقدم لهم من أسباب الحياة<sup>(٥)</sup>، فقد قيل أن النيل لا جدال أبو مصر<sup>(٦)</sup> فعملوا على إستغلاله، فقاموا بتقسيم الأرض إلى مساحات وحدتها الفدان، ثم قاموا بشق الترع وأقاموا الجسور في الجهات المختلفة لضمان رى البلاد<sup>(٧)</sup> وأيما كان الأمر سواء كان الفيضان مرتفعاً أو منخفضاً فقد حاولوا الانتفاع بمياه النهر، وقد ذكر النويرى عن قانون الأراضي في

(١) جابر المصري، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٢) سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢٤.

(٣) د. سمير محمد السيد الحسني، تاريخ الفكر الاقتصادي، مطبعة حسان سنة ١٩٨٤م، ص ١٢-١٣.

(٤) د. إبراهيم دسوقي أباطه، الاقتصاد الإسلامي (مقوماته ومناهجه)، مراجعه: د. على عبد الواحد وافي، ص ٩.

بلانكا تيرا فيرا، النيل يمر ببلادي، ترجمة عبد الرؤوف عز الدين، صلاح عطيه نور الدين، مراجعه د. على إبراهيم عبده، الدار القومية للنشر، ص ١٣.

(٥) عمر طوسون، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، مكتبة مديولى، ط ٢، سنة ٢٠١٠م، ص ١٩٧.

(٦) Lorin, Henri , L'Egypt d'aujourd'hui, le caire , 1926, P 129.

(٧) عمر طوسون، المرجع نفسه، ص ١٩٧.



مصر قائلاً "على ما يشمل الري من أراضيها ويعلوه النيل وينتفع بحفر الترع وضبط الجسور وتصريف المياه عن الأراضي"<sup>(١)</sup>.

والحقيقة التي لا يمكن أن ننكرها هي أن مصر اعتمدت طول تاريخها في حياتها الاقتصادية على الزراعة<sup>(٢)</sup> ذلك لأن الزراعة مصدر ثروة البلاد<sup>(٣)</sup> فبالزراعة إشتغلت غالبية أهلها، وعلى الإنتاج الزراعي عاش معظم سكانها، ومعنى هذا أن تاريخ مصر، خاصة في جوانبه الاجتماعية والاقتصادية إنما هو في حقيقة أمره تاريخ الأرض والفلاح<sup>(٤)</sup> فالزراعة والفلاح هما قوام المجتمع الإقطاعي، وإن سواد ذلك المجتمع مكون من الفلاحين<sup>(٥)</sup> غير أن الفلاح لم يعرف من وسائل الزراعة وأدواتها غير الوسائل والأدوات العتيقة التي عرفت منذ أيام الفراعنة<sup>(٦)</sup>.

وطالما تطرق الحديث عن الري والزراعة فينبغي علينا أن نعرف طريقة زراعة الأرض فقد كانت الأرض الزراعية تزرع مرة واحدة في العام فيما عرف برى الحياض، فقد اعتمدت مصر في زراعتها على رى الحياض<sup>(٧)</sup> خاصة في العصور الوسطى بما جعل البلاد والعباد تحت رحمة

---

<sup>(١)</sup> النويرى، نهاية الأرب، جـ ٨، ص ٢٤٧، محمد حمدي المناوي، نهر النيل، ص ١١٩. عندما فتح عمر بن العاص مصر أدرك حقيقة هامة عن مرافق البلاد والخراج، وذلك عندما بعث رسالته للخليفة عمر بن الخطاب قائلاً "... لا يجي خراج زرعها إلا في أوائله، وأن يصرف ثلث هذا الخراج، في إقامة جسورها وتطهير ترعها لأنه سيكون في ذلك أثر ظاهر في تطوير مرافق الزراعة وما تعتمد عليه وما يترتب على ذلك من النهوض بوسائل الزراعة ووفرة إنتاجها: راجع: الحجازي، نيل الرائد، مخطوط بدار الكتب، ص ١٠ "ويترتب على عملها رى البلاد الذى به مصالح العباد". راجع: المقريزى، الخطط، ج ١، ص ٦١.

<sup>(٢)</sup> ج.ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم، دار المعارف، ط ١، سنة ١٩٦٤م، ص ٤٦ إلى ص ٥٩، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢١٢.

<sup>(٣)</sup> محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون في مصر (الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص)، دار الفكر العربي، ص ٢٨٧.

<sup>(٤)</sup> سعيد عاشور، الأرض والفلاح، ص ٢١٢، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦١-١٦٢.

<sup>(٥)</sup> ج. و. كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا، نقله إلى العربية د. محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة الأميركية، ط ٢، سنة ١٩٥٥م، ص ٦٥.

<sup>(٦)</sup> سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٨.

<sup>(٧)</sup> راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٨٠، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦١-١٦٢، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع زمن الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٩، ل.أ. سيمينوف، صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة: حسن بيومى، المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٩٨م، ص ٢١٥. كان هناك نوعين من الري هما رى الحياض والرى الدالم إلا أن مصر لم تستخدم الري الدالم لأول مرة إلا في القرن الـ ١٩ وذلك اعتمدت الزراعة في كافة العصور السابقة على رى الحياض. راجع: سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢١٩، مجدى عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر المماليك، ص ١٧٥.



الفيضان<sup>(١)</sup> ذلك لأن الري الحوضي يعتمد بصفه أساسيه على الفيضان لذلك عني المصريون منذ قدم تاريخهم بحفر الخلدجان والترع وإقامه السدود لضمان الانتفاع بمياه الفيضان سواء جاء مرتفعاً أو جاء منخفضاً<sup>(٢)</sup>.

والطريقة السائدة في ري الحياض هي تقسيم الأرض الزراعية إلى أحواض تقام حولها الجسور بمساحات مناسبة محدده، فعند فيضان النيل ووصول مياه النهر إلى الأراضي تظل فيها فترة<sup>(٣)</sup> ثم تنتقل المياه من حوض إلى آخر عن طريق المزارع من حدود أسوان إلى حدود الإسكندرية وسائر الريف، فيظل الماء من بداية الحر (الصيف) إلى الخريف ثم ينصرف فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك<sup>(٤)</sup> أي أن الماء يظل في الأرض فترة حوالى ٤٥ يوماً، كانت هذه الفترة كافية لري الأرض، وترسيب الغرين، وفي أثناء تلك الفترة التي يغطى فيها ماء الفيضان الأرض، أصبحت وكأنها بحر حقيقى، تظهر فيه القرى وكأنها جزر لا يستطيع أحد أن يصل إليها وعندما يتم ري ناحية أوجه من الجهات يبدأ أهلها في قطع الجسور التي تحيط بها لتصريف المياه الزائدة عن حاجة الري وذلك من أماكن معينة يعرفها مشايخ البلاد، وكل هذا يتم في أوقات محدده<sup>(٥)</sup>.

ويحدثنا عبد اللطيف البغدادى قائلاً "بأن الأراضي كلها تزرع ولا يراح منها شيء"<sup>(٦)</sup> ويمكن القول أنه في وقت الفيضان، كان المصريون يقسمون الأرض إلى حياض يصلها الماء بواسطة شبكه من الترع التي تسد حتى يبلغ ارتفاع النيل حداً معيناً، وعندما يتم غمر هذا الحياض بالماء كان لابد ومن الضروري أن يكون الفيضان عادياً، وأن تظهر الترع في فصل الجفاف، وأن يكون مستوى ماء الفيضان أعلى من مستوى قاع الترع<sup>(٧)</sup> التي تحمله إلى الخيض<sup>(٨)</sup>.

(١) سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢١٩، جمال حمدان، شخصية مصر، ج ٢، ص ٩٠١.

(٢) لعل خطر الفيضان العالى قد تضاعف حيث يستطيع أن يدمر المحاصيل القالمة، وقد كان الفيضان العالى أشد خطوره من الفيضان الواطى (المنخفض): راجع: جمال حمدان، شخصية مصر، ج ٢، ص ٩٠٠-٩٠١.

(٣) يبدو أن نظام الري بالحياض وعدم تقدم وسائل الصرف وبقاء الماء زمناً طويلاً على سطح الأرض كان يحدث بعض التعفن، وبذلك تصبح البيئة صالحة لأن يعيش فيها مكروب المرض. راجع: راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٨٠.

(٤) ابن حوقل: أبى القاسم بن حوقل النصيبى، كتاب صوره الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ص ١٤٧.

(٥) محمد محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ١٦.

(٦) عبد اللطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار، ص ١٣.

(٧) راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٦٣.

(٨) المرجع نفسه، نفس الصفحة.





وهذا النظام الحوضي الذي ساد أراضي مصر كان يستلزم إقامة الجسور.<sup>(١)</sup>

إذ أنه يتوقف على تلك الجسور بقاء الماء فوق سطح الحياض، ومنع الماء من التسرب مرة أخرى إلى النهر من وراء الجسور<sup>(٢)</sup> فالجسر عبارة عن سد تراي مبنى على حافة النهر يحفظ الماء من أن يفيض على ضفتيه ويفرق البلاد المحيطة به، وتستمر هذه الجسور في حجز مياه الفيضان حتى يستفاد منها في عمليات الري، وحتى يذهب النيل وينصرف ويزول الخوف من خطر الفيضان<sup>(٣)</sup> ويمكن التحكم في تلك الجسور بدرجة ما وعلى حساب أن يكون هناك احتياطي للمياه المتراكمة.<sup>(٤)</sup>

ولقد كان هناك نوعين من الفيضان ألا وهما الفيضان المنخفض والفيضان العالي<sup>(٥)</sup> أما معنى الفيضان المنخفض فمعناه عدم رى جميع الأراضي مما يتبعه نقص في المحصول إلى جانب عجز الحكومة عن جباية الخراج<sup>(٦)</sup> أما الفيضان العالي فقد كان يؤدي إلى غرق الأراضي وفساد الزرع، وهلاك النسل، وخراب البيوت، وهلاك وموت الماشية اللازمة للزراعة<sup>(٧)</sup> وبرغم أنه كان قليل الحدوث إلا أن أثره كان خطيراً<sup>(٨)</sup> ويصعبه الوباء<sup>(٩)</sup> وتنقص مساحة الأرض المزروعة<sup>(١٠)</sup> ومع ذلك في كلتا الحالتين كانت البلاد مهددة بالقحط<sup>(١١)</sup> وقد كانت الأرض الزراعية في مصر

---

<sup>(١)</sup> محمد محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ١٧، الجسر مفرد والجمع جسور أو أجسر، وجمع بن سيده القليل منها على أجسر، وهو ما يربط بين مكانين بحيث يسهل الاتصال والتنقل بينهما، والجسور توضع فوق المجارى المائية، وعرف نوعين من الجسور أحدهما الجسور الخشبية والثاني الجسور البنائية؛ راجع: د. سامي محمد لوار، المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، دار الوفاء للنشر، ص ٥٠، عنه أنظر: الفيروزبادي، القاموس المحيط، مادة جسر، ابن سيده، المخصص، المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٥٨٦.

<sup>(٢)</sup> راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٦٣.

<sup>(٣)</sup> ابن ممتي، قوانين الدواوين، ص ٢٣٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٣٩، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٣.

<sup>(٤)</sup> ل. أ. سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك في مصر، ص ١٢٥.

<sup>(٥)</sup> جمال حمدان، شخصية مصر، ج ٢، ص ٨٩٩-٩٠٠.

<sup>(٦)</sup> عندما كان النيل يصل إلى حد الوفاء ثم يعقب ذلك هبوط سريع مفاجئ قبل أن يتم الري جميع أراضي الفيضان فكان يسمى فيضان منخفض له أثره على الزرع وكل شئ في الحياة راجع: راشد البراوي، حالة مصر، ص ٧٩.

<sup>(٧)</sup> راشد البراوي، المرجع نفسه، ص ٧٩.

<sup>(٨)</sup> محمد محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ٣٨.

<sup>(٩)</sup> سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٢، سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢١٩، راشد البداوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٦٣.

<sup>(١٠)</sup> محمد حمدي المناوي، نهر النيل، ص ١٦٧.

<sup>(١١)</sup> محمد محمود أبو زيد، المرجع نفسه، ص ٣٨.



يتفاوت سطحها ما بين عال مرتفع لا يكفيه في الري الفيضانات العالية، ومنخفض يروى من الزيادات القليلة، ولأن أراضي مصر متفاوتة بين الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كبيراً<sup>(١)</sup> فقد كان الري يتم على أربع مراحل ألا وهي:

١- عند وفاء النيل (تمام الزيادة ١٦ ذراعاً) ويحدث ذلك غالباً في شهر مسرى (أغسطس)<sup>(٢)</sup> وعنده تروى الأرض بطريقة معتدلة وعند ذلك يفتح سد خليج القاهرة<sup>(٣)</sup> حتى يجرى فيه الماء إلى حد معلوم، ويقف حتى يروى كل الأراضي التي تحد هذا الحد<sup>(٤)</sup> وهي الأراضي المرتفعة التي لا يصل إليها الماء إلا من زيادة كبيرة.<sup>(٥)</sup>

٢- وفي يوم النيروز<sup>(٦)</sup> (أول توت - سبتمبر) يفتح الحد الثاني الذي وقفت عنده المياه ليرى الأراضي تحت هذا المنسوب، وتسمى السدود<sup>(٧)</sup> والتي تسمى في هذا اليوم باسم النيروزيه.<sup>(٨)</sup>

٣- تأتي المرحلة الثالثة في عيد الصليب وبعد النيروز بسبعة عشر يوماً، فيجرى الماء إلى حد معين حتى يروى ما تحت هذا المنسوب من الأرض.<sup>(٩)</sup>

(١) د. محمد بركات البيلي، الأزمات الاقتصادية، ص ٧-٨

(٢) شهر مسرى من الشهور القبطية يقابلها من الشهور الميلادية شهر أغسطس، وبدقة أكثر من ٢٥ يوليو - ٢٤ أغسطس: راجع: زبيده محمد عطا، الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩١ م، ص ٩٧، بلانكايرا فيرا، النيل يمر ببلادي، ص ٦٦.

(٣) كان خليج القاهرة من أهم معالم القاهرة حتى نهاية القرن الماضي وكان يعرف بخليج أمير المؤمنين والخليج الكبير وهو خليج قديم كان يعرف قبل الإسلام بخليج تراجان ويرجع إلى العصر الفرعوني: راجع: محمد حمدي المناوي، نهر النيل، ص ١٢٨، سامي محمد نوار، المنشآت المائية، ص ٣٩.

(٤) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ١٩، محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ١٨.

(٥) محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ١٨.

(٦) يوم النيروز هو أول توت بالشهور القبطية، ويقابله بالشهور الميلادية، ٢٩-٣٠ أغسطس، راجع: زبيده عطا، الفلاح المصري، ص ٩٧.

(٧) السدود عبارة عن جدران ضخمة لحجز المياه، وضبط مناسبتها بواسطة بوابات تسمح بتصريف الماء الزائد الذي يخشى منه على جدار السد وأحياناً تكون السدود بدون بوابات مثل السدود الترابية التي كانت تقطع بعد رفع منسوب المياه وتخزين الفائض منها في خزانات ضخمة لاستخدامها إذا لزم الأمر أو لتجنب أخطار الفيضانات فلا تغرق البلاد ولا الزراعة: لمزيد من التفاصيل: راجع سامي محمد نوار، المنشآت المائية، ص ١٦٠.

(٨) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ١٩، محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ١٨-١٩، محمد بركات البيلي، الأزمات الاقتصادية، ص ٨.

(٩) قاسم عبده، المرجع نفسه، ص ١٩، محمود أبو زيد، المرجع نفسه، ص ١٩، محمد بركات البيلي، المرجع نفسه، ص ٨.



٤- وتكون المرحلة الأخيرة للري بمياه النيل، حتى تفتح سدود بقية الترع والخلجان التي تحت هذا المنسوب الأخير بمياه النيل، وبذلك يتم رى ما تبقى من الأراضي الزراعية ويسير النهر شمالاً بما يتبقى من مياه الفيضان ليصبها في البحر المتوسط.<sup>(١)</sup>

وعندما يغمر الفيضان ماء الأرض كلها وفقاً للمراحل السابق ذكرها بعد فتح الترع والخلجان، تبدأ عملية الزراعة، حيث تزرع الأرض بالمحاصيل الشتوية وتبقى بعد ذلك دون زراعته حتى يأتي ماء النهر بفيضان جديد يحمل إليها عناصر الخصب والنماء.<sup>(٢)</sup>

ولقد كان لنظام الري الحوضي عيوب أهمها ما يلي:

فعلى الرغم من بساطة الري الحوضي وسهولته إلا أن له بعض العيوب، فعندما يبدأ الفيضان مبكراً تدخل المياه الأحواض إما مباشرة أو عن طريق الرش وفي هذه الحالة تتعرض المحاصيل الزراعية للفساد والتلف، إلى جانب أنه عندما يتأخر الفيضان لا تملأ الأحواض بالمياه في الوقت المناسب، ويؤخر هذا عملية بذر الحبوب، وهذا يعرض المحاصيل للتلف وذلك لشدة الحرارة في الربيع التالي.<sup>(٣)</sup>

بالإضافة إلى أنه في حالة ارتفاع فيضان النيل تنشأ الحاجة إلى المراقبة الدقيقة للجسور وتقويتها حتى لا تغرق الأراضي بأكملها وتهدم البيوت، وإذا استغرق الفيضان مدة طويلة فيؤدى ذلك إلى تأخير صرف المياه مما يؤدى إلى إتلاف النمو، أما إذا كان الفيضان منخفضاً فلا تحصل الأحواض على حاجتها من المياه ولذلك لا تتمكن من إنتاج محصول وفير.<sup>(٤)</sup>

مما سبق يمكن القول أن نظام الري الذي عرفته مصر في عهدي الأيوبيين والمماليك لم يكن من اختراعاتهم أو ابتكارهم، إنما هو متوارث عن أجيال المصريين<sup>(٥)</sup> وتطورت شبكته الترع والسدود والقنوات في العصر الأيوبي ليكتمل شكلها في العصر المملوكي البحري والجركسى. فقد أدى وجود النظام الإقطاعي في العصر الأيوبي والمملوكي إلى اهتمام الحكام بضبط مياه النهر

(١) محمد حمدى النصارى، نهر النيل، ص ١٦٧، قاسم عبده، المرجع السابق ص ١٩، محمود أبو زيد، المرجع السابق ص ١٩.

(٢) محمود أبو زيد، النيل ومصر، ص ١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٤) نفسه، نفس الصفحة.

(٥) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ٢٢.



والسيطرة عليها وحسن توزيعها، باعتبار أن الزراعة ثروة قومية، فتفاوت هذا الاهتمام بين سلطان وآخر، فكان اهتمامهم بأمر النيل لزيادة غله إقطاعاتهم التي استأثروا بغالب نتاجها.<sup>(١)</sup>

كما احتكروا الغلال والأقوات بينما عاش غالبية أبناء الشعب حياه بعيده كل البعد عن المستوى الآدمي<sup>(٢)</sup> وأول المرافق التي إهتم بها الحكام هي الجسور، فقد كان لها أهمية كبيرة كما سبق أن ذكرنا لضرورة ضمان رى البلاد والأراضي المختلفة الواقعة بها في الوقت المناسب بالقدر المناسب، وكان السلطان يعين لكل من أعمال البلاد أميراً في كل عام لكشف الجسور وصيانتها وتجديد ما يكون قد قُدم منها، وكان يسمى كاشف الجسور<sup>(٣)</sup> وكاشف التراب أحياناً<sup>(٤)</sup> لأن التراب كان المادة الأساسية المستخدمة في بناء الجسور، وكان كشافى الجسور يعينون من بين مقدمي الألوف ويكون خروجهم لكشف جسور البلاد.<sup>(٥)</sup>

وبجانب الاهتمام بالجسور نجدهم إهتموا بحفر الترع والخلجان<sup>(٦)</sup> وهى من المنافع العامة، وكان المشتركون في الأعمال العامة هم المقطعون، فقد كان من الأعمال العامة للمقطعون القيام بجمع المحصول، وحفر الخلجان وعماره الجسور وما نحو ذلك<sup>(٧)</sup> من حيث إشرافهم عليها سواء بالحفر أو بالتطهير.<sup>(٨)</sup> وبمعنى آخر كان المقطع سواء الأيوبي أو المملوكي يقوم بخدمات حربية للدولة وإلى جانب تلك الخدمة كان عليه أيضاً أن يهتم بصيانة الجسور والسدود وقنوات الري والطرق، والاهتمام بالزراعة والإشراف على الحصاد.<sup>(٩)</sup>

(١) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٣) هو أحد المفتشين أو الكشاف في عصر المماليك، وكانت مهمته كشف الجسور والتفتيش عليها إقليم معين لتحصيل البلاد وقبض الغلال وكان كل من كشاف الجسور يوجه لأقليم معين. راجع: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٢، ص ٩٣٢، وعن كاشف الجسور أنظر: مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية عصر سلاطين المماليك، ص ٤٨٠.

(٤) عبد النعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ص ٧٢.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٩٦، حسن الباشا، الوظائف، ج ٢، ص ٩٣١.

(٦) الخلجان هى أمهات الترع التي تغذى غيرها من الترع الأخرى الأصغر منها: راجع: محمد حمدى المناوى، نهر النيل، ص ١١٩، وكلمة خليج مأخوذة من فعل خلج أى الترع، والخليج لغوياً معناه نهر يقتطع من النهر العظم إلى موضع ينتفع به فيه، أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٨٩، وقيل الخليج شعبه تنشعب من الوادى تعبر بعض ماله إلى مكان آخر والجمع خلجان وخليجاً النهر جناحه مزيد من التفاصيل راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٨١-٨٢-٨٣-٨٤.

(٧) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٠١.

(٨) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٩) Ashtor; Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages, PP237-





ففي العصر الأيوبي والمملوكي كانت الترع والخلجان هي الوسيلة الوحيدة لتنظيم وتوزيع المياه على الأراضي لريها وكان معظمها في الوجه البحري في حين أن الترع والخلجان في الوجه القبلي كانت قليلة.<sup>(١)</sup>

ومع ذلك فقد اعتمد الوجه البحري على مياه الأمطار في الزراعة<sup>(٢)</sup> وفي العصر الأيوبي والعصر المملوكي البحري جرت العادة أثناء فيضان النيل أن تصرف مياهه في الخلجان والترع، حيث تأخذ النواحي كميات المياه التي تحتاجها للري، فعلى حسب قول بن مماتي "أن لكل ناحية شرب معلوم في وقت مفهوم"<sup>(٣)</sup> وعندما يتم ري ناحية قام خولي البلد والمشايخ بقطع الجسور المحيطة بها في أوقات معلومة لديهم "حسب ما تشهد به قوائين البلاد المعمول بها"<sup>(٤)</sup> كما سبق أن ذكرنا.

هذا وقد تعارف الفلاحين في العصرين الأيوبي والمملوكي على تقسيم الأرض الزراعية<sup>(٥)</sup> على حسب الحبوب التي تزرع في كل قسم وحسب الأرض التي تشرق منها وحسب الأراضي التي تغرقها المياه وتسمى المستبحرة أيضاً، وقد زرع الفلاح أرضه على أساس الدورة الزراعية التي تتناسب وتتفق مع الشهور القبطية<sup>(٦)</sup> فحتى العصر الحديث لازال الفلاحون المصريون يحسبون مواعيد الزراعة وحصاد المحاصيل وفقاً لهذه الشهور، وقسمت السنة الزراعية إلى ثلاث مواسم، موسم الفيضان (توت، بابه، هاتور، كيهك) وفيه يغمر النيل الأرض لري ظمنها وتجديد

<sup>(١)</sup> محمد بن أحمد بن إياس الحنفى الجركسى، لبذه من نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص ٤٧.

A paris l'Imprimerie Imperiale . Mdcec. VIII. Extrait du tome VIII Ire Partie des Notices et Extraits de Manuscrits de la Bibliotheque imperiale,

ذكر المقرئ في الخطط، أن أرض مصر أقسام كثيرة منها عال ومنخفض، فالأول لا يصل إليه إلا من زيادة كبيرة، والثانية

(المنخفضة) يروى من يسير للزيادة والأراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كثيراً ولذلك إحتيج في بلاد الصعيد إلى

حفر الترع في أسفل الأرض إلى عمل الجسور حتى يحتبس الماء ليروى أهل النواحي على قدر حاجتهم إليه عند الإحتياج

راجع: المقرئ، الخطط، جـ ١، ص ٥٥-٦١.

<sup>(٢)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٣١٢.

<sup>(٣)</sup> ابن مماتي، قوائين الدواوين، ص ٢٢٩.

<sup>(٤)</sup> المقرئ، الخطط، جـ ١، ص ٩٨.

<sup>(٥)</sup> ابن مماتي، قوائين الدولة، ص ٢٠١-٢٠٤.

<sup>(٦)</sup> سميت الشهور القبطية.. (توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبة، أمشير، برمها، برمودة، بشنس، بؤونه، أبيب، مسرى) ويوافقها

على الترتيب الشهور الميلادية، ١٢ سبتمبر، ١٢ أكتوبر، ١١ نوفمبر، ١١ ديسمبر، ١٠ يناير، ٩ فبراير، ١٠ مارس،

٩ أبريل، ٩ مايو، ٨ يوليو، ٨ يوليو، ٧ أغسطس، هذه هي الشهور التي تحدد زراعة المحاصيل: راجع: محمد حمدي المناوي، نهر

النيل في المكتبة العربية، حاشية (٢) ص ١٧٣.



خصوبتها، يأتي بعده موسم الزرع (طوبه، أمشير، برمها، برمودة) عندما ينحسر النيل وتجف الأرض، وأخيراً موسم الحصاد (بشنس، بؤونه، أييب، مسرى)<sup>(١)</sup> المهم أنه: هناك دلائل توضح اهتمام الأيوبيون في بعض فترات حكمهم بشبكات الري وعمليات الزراعة، حيث ذكر المقرئزي أن الأيوبيين اهتموا بعمليات الري والزراعة، عندما ذكر قناطر الجيزة التي تزيد عن أربعون قنطرة وقد قام بالإشراف على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش وتم ذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي، ولبناءها تم هدم الأهرام بالجيزة وأخذوا حجرها وبنوا هذه القناطر.<sup>(٢)</sup>

واستمرت هذه العناية بأمر الري وشؤونه، ففي أواخر العصر الأيوبي قام الصالح نجم الدين أيوب بإنشاء قنطرتين على الخليج الكبير وهما موجودتين على بستان الخشاب وباب الخرق، وتسميان بقنطرة السد<sup>(٣)</sup> وقنطرة باب الخرق.<sup>(٤)</sup> وقيل أنها "عند فم النيل في أعوام بضع وأربعين وستمائة"<sup>(٥)</sup>

لكن رغم اهتمام الأيوبيين بشبكات الري والزراعة، إلا أن هذا لا يمنع من توقف هذا الاهتمام خاصة عندما كانت البلاد تتعرض لأزمات اقتصادية، تلك الأزمات التي كانت سبب في حدوث

(١) د. زبيده عطا، الفلاح المصري، ص ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠.

(٢) المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ط ١٥١، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٦. حدث لهذه القناطر عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م إنقطاع وإلشفاق فيذكر المقرئزي قائلاً "تولى أمر هذه القناطر من لا بصيره عنده فسدها وجاء أن يحبس الماء فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاثة قناطر وإنشقت" راجع: المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ١٥١. هذا وإن دل فإنه يدل على الإهمال في البناء والتشييد وعدم مراعاة الدقة في تنفيذ ذلك.

(٣) يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، مخطوط بدار الكتب المصرية، جـ ١، تاريخ ٥٦٢٣، ميكروفيلم ٣٦٤٢١، سنة ١٩٣٥ م، ورقة ٤١، وهي القنطرة المعروفة بسد مصر، كانت على الخليج المصري فيما بين مصر والقاهرة، أنشأها الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م على الخليج بالقرب من فمة وقد عرفت القنطرة بذلك الأسم بسبب السد الذي كان يقام سنوياً من التراب بجوار هذه القنطرة عندما يبدأ النيل في الزيادة وقت الفيضان لكي يصد الماء، وعندما تصل الزيادة إلى ١٦ ذراع يفتح السد حينئذ. راجع: المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٤٧٠-٤٩٣، جـ ٢، ص ١٤١، د. عبد اللطيف إبراهيم، وثيقة مسرور بن عبد الله الشيلي الحمدار، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢١، جـ ٢، ديسمبر سنة ١٩٥٩ م (مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٦٤)، حاشية (٢) ص ١٦٢.

(٤) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٢٠٥، المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ١١٣، ١٤٦، ١٤٧، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٢٩٩. قنطرة باب الخرق يقال للأرض البعيدة التي تخرقها الرياح لإستوائها الخرق، وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موضوعها ساحل ومورده للسائقين في أيام الخلفاء الفاطميين فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق وعمر به المناظر في سنة تسع وثلاثين وستمائة أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها إلى الميدان المذكور وقيل لها قنطرة باب الخرق، راجع: المقرئزي، الخطط، جـ ٣، مكتبة الآداب، ص ٣٩، (طبعة أخرى غير طبعه بولاق، هذه الطبعة ٤ أجزاء في مجلدين).

(٥) على مبارك، الخطط، جـ ١٨، ص ١١٤.



المجاعات والأوبئة، فنجد بعد حدوث الأزمة يعقبها الوباء ثم المجاعة فيموت أكثر الناس خاصة الفلاحين أي أن الأزمة بما يعقبها من وباء ومجاعة كان تأثيرها الأول يظهر في الريف ذلك لأن الفلاح كان عليه عبء الزراعة والحصاد، وكل شئ يخص الزراعة، فبموت الفلاحين تتوقف الزراعة التي هي أساس ثروة البلاد، إلى جانب أن الجسور والترع والقنوات لم تجد من يطهرها وبصونها، فلا تجد من يرعاها وبرمها، أضف إلى ذلك موت الأبقار والحيوانات وهي مسئولة جنباً إلى جنب مع الفلاح لأنها مسئولة عن أعمال الحرث والري، كل هذا يؤدي إلى إهمال شبكة الري وبالتالي يتم إهمال الزراعة ومن هنا يقل الإنتاج وتحدث مجاعة كما سنرى في الدلائل على ما سبق من حديث.

ففي عام ٥٩٠هـ/١١٩٣م حدث وباء شنيع كان له أثره في حدوث أزمة اقتصادية فعلى أثره مات أهل الريف فلم تجد الأرض من يزرعها أو يحرثها فتوقفت الزراعة لأن الفلاحين الذي يقع عليهم عبء الزراعة قد ماتوا، هذا إلى جانب إهمال الجسور التي لم تجد من يرعاها ويعمل على صيانتها بالإضافة إلى أن الحيوانات هي الأخرى قد مائت<sup>(١)</sup> فخرج الجنود بغلمانهم وتولوا هم زرع الأرض، ومع ذلك لم يزرع أكثر البلاد لعدم الفلاحين.<sup>(٢)</sup>

وقد حدث الكثير من الأوبئة، تلك الأوبئة كان لها أكبر الأثر على أحوال البلاد الاقتصادية خاصة الزراعة، فقد كان لنقص فيضان النيل عام ٥٩٦-٥٩٧هـ/١١٩٩-١٢٠٠م الذي بلغ ١٣ ذراع إلى وقوع الوباء<sup>(٣)</sup> والفناء<sup>(٤)</sup> وعدم القوت<sup>(٥)</sup>، ونتيجة لذلك مات ٣/٤ إقليم مصر لما أبعد<sup>(٦)</sup> وظل هذا الوباء لمدة ثلاث سنوات وما يدريك وباء يظل لمدة ٣ سنوات فإنه يفنى الكثير والكثير من أهل مصر فقيل أن السلطان العادل كفن العديد من الأموات وبلغ ما كفنه في مدة قليلة ما يزيد على مائتي ألف وعشرين إنسان.<sup>(٧)</sup>

(١) على مبارك، الخطط، ج-٧، ص ١٨، ج-٢٠، ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج-٧، ص ١٩.

(٣) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج-١، ق ٢، ص ٤٧١.

(٤) المقرئ، الخطط، ج-٢، ص ٢٣٥.

(٥) المقرئ، السلوك، ج-١، ق ١، ص ١٥٧-١٥٨، ابن الأثير، الكامل، ج-٩، ص ٢٥٥.

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج-٢، ص ١٥٨، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج-٤، ص ٣٢٨.

(٧) المقرئ، الخطط، ج-٢، ص ٢٣٥، عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٧١.



كل هذا أثر أيضاً على الحياة الزراعية لموت أهل الريف وتأثرت الجسور والزراعة والترع لأنها لا تجد من يطهرها ويعتنى بها.

هكذا كان لحدوث الأوبئة والمجاعات أثر على الحياة الزراعية خاصة شبكة الترع والجسور والزراعة والأمثلة عديدة والدلائل واضحة ولم يسع هنا الحديث عن كل مثال لأن سوف تكون النتيجة واحدة وهي إهمال جميع مرافق البلاد نظراً لعدم من يرعاها ويهتم بها وما حدث في سنوات ٥٧٧هـ - ٥٩١هـ - ٥٩٢هـ - ٥٩٤هـ - ٥٩٥هـ - ٥٩٦هـ - ٥٩٧هـ - ٥٩٨هـ - ٥٩٩هـ - ٦٣٢هـ - ٦٣٣هـ - ٦٣٩هـ - ٦٤٣هـ خير دليل في العصر الأيوبي على ما سبق ذكره.

وخير مثال على ذلك أيضاً ما حدث في أواخر العصر الأيوبي عندما أمر الصالح نجم الدين أيوب بتطهير بحر المنهي<sup>(١)</sup> بالفيوم<sup>(٢)</sup> ذلك البحر الذي يمد الفيوم بماء النيل وكان في حاجة لتطهيره وحفرة من وقت لآخر وذلك لإزالة الطمي المتراكم حتى لا يسد مجرى البحر، فأعطى السلطان أوامره بتطهير وإزالة الطمي المتراكم حتى يرجع ماء النيل في إمداد البلاد على عادته، إلى جانب أنه حفر عند رأس بحر المنهي بحراً أو تركه كبيرة تخترق إقليم الفيوم من شرقه إلى غربه.<sup>(٣)</sup>

هذا وإن دل على شيء فإنه يدل على عدم اهتمام سلاطين الأيوبيين في أواخر العصر الأيوبي وقبل بداية حكم الصالح نجم الدين أيوب بشيكات الري وأمور الزراعة وذلك ربما لإنشغالهم بالحروب الداخلية والصراع على السلطة والفوز بها أو لأسباب أخرى ثم ذكرها في الفصل الأول من الرسالة.<sup>(٤)</sup>

---

(١) ذكر المقرئ هناك ما يسمى بخليج الفيوم الأعظم، فيصل الماء إلى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهي: مزيد من التفاصيل: راجع: المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٩٩، مكتبة الآداب بالأوبرا.

(٢) يتميز إقليم الفيوم عن غيره من الأقاليم بموقعه الفريد وقد استفاد المصريون منذ القدم من هذا الموقع وذلك باستخدام منخفض إقليم الفيوم لتصريف مياه الفيضان وتخزينها وذلك للاستفادة منها ولها عند الإحتياج إليها، أو لتصريفها في وقت الفيضان العالي وبذلك يحمى هؤلاء أرض الدلتا المنخفضة من الغرق. لمزيد من التفاصيل: راجع: النابلسي، تاريخ الفيوم، ص ١٧، سامي محمد نوار، المنشآت المائية، ص ١٢٨، سعيد عاشور، الفيوم في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني (بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى)، جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٧ م.

(٣) سعيد عاشور، الفيوم في العصور الوسطى، ص ٣٤٠.

(٤) عن تلك الأسباب والصراعات أنظر الفصل الأول من الرسالة، ص ٥١-٥٧.





وكما اهتم سلاطين الأيوبيين بشبكات الري والزراعة، فقد اهتم سلاطين المماليك أيضاً بالزراعة باعتبار المجتمع الأيوبي والمملوكي مجتمع إقطاعي يعتمد على الأرض وما تنتجه من محاصيل زراعية، فكان أساس ذلك المجتمع هي الزراعة باعتبارها مصدر الثروة الأول الذي عاش عليه المصريون في مختلف العصور، كما أنها ولا تزال الحرفة الأساسية لمعظم الأهالي، ولذلك اهتم سلاطين المماليك بحفر الترع وإقامة الجسور<sup>(١)</sup> وذلك حرصاً على وصول المياه إلى تلك الأراضي التي لم تصل إليها من قبل.<sup>(٢)</sup>

والدلائل على ذلك كثيرة، فقد اهتم السلطان الظاهر بيبرس، والناصر محمد بن قلاوون بإقامة الجسور وحفر الترع لإحكام شبكة الري، وقيل أنه أحكم أرض مصر كلها بوجهيها القبلي والبحري بالترع والجسور حتى أتقن أمرها... وزاد خراج مصر في أيامه زيادة هائلة.<sup>(٣)</sup>

فقد اهتم الظاهر بيبرس ببناء القناطر والسدود للحجز ورفع منسوب الماء مثلما حدث عند بنائه لقنطره أبي المنجا<sup>(٤)</sup> إلى جالب إنشائه قناطر السباع التي كانت عالية ومرتفعه.<sup>(٥)</sup>

وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون ذكر أنه إذا سمع عن عدم وصول الماء إلى بلد أو قرية أي أن تلك البلد تتعرض للشرافي حزن لذلك حزناً كثيراً فيبعث إلى المقطع المسئول عن أحوال تلك القرية ويسأله ويهتم بالأمر، ويستفسر عن كل شئ حتى يتوصل إلى ريتها بكل ما تصل إليه قدرته<sup>(٦)</sup>

---

<sup>(١)</sup> د. إبراهيم عبد المنعم سلام، جوانب من تاريخ مصر في عصرى الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ، ص ٤٢٤.

<sup>(٢)</sup> د. محمود الخويرى، مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٨.

<sup>(٣)</sup> المقرئى، الخطط، ج-٢، ص ١٤٦.

<sup>(٤)</sup> أنشأ السلطان الظاهر بيبرس هذه القناطر والسد الملحقة به عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦-١٢٦٧م فجاءت من أعظم القناطر وانتهى العمل من بناء القناطر والسد في عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م، وقد كانت هذه القناطر تعمل في وقت زيادة فيضان النيل على حجز رفع منسوب المياه حتى يمكن للماء أن يروى محافظة الشرقية، ويطلق على هذه القناطر خطأ اسم قناطر أبي المنجا وهو الوزير اليهودى الذى حفر بحر أبي المنجا ثم بيت القناطر فوق هذا البحر. لكل ما سبق راجع: المقرئى، الخطط، ج-٢، ص ٥٦٢، المقرئى، السلوك، ج-١، ق ٢، ص ٦٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج-٧، ص ١٤٨-١٤٩.

<sup>(٥)</sup> أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ونصب عليها سباعاً من الحجارة فإن ركنه كان على شكل سبع فليل لها قناطر السباع، وكانت عالية مرتفعه، راجع: المقرئى، الخطط، ج-٢، ص ١٤٦، طبعة أخرى، ج-٢، ص ٢٣٨.

<sup>(٦)</sup> د. محمد مصطفى زيادة، حركة البناء والتعمير في عصر الناصر محمد، مجلد ٩-١٠، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سنة ١٩٦٢م، ص ٢٤٦.



فقد إهتم بعمارة الجسور وحفر الترع الموجودة بأرض مصر<sup>(١)</sup> والأمثلة عديدة على إنشاء السدود والجسور وحفر الترع والعناية بها<sup>(٢)</sup>، إلى جانب ذلك فقد اهتم سلاطين المماليك بإقليم الفيوم ومنحوا العناية الخاصة، ومن الشواهد التي تشير إلى اهتمام كثير من سلاطين المماليك بأمر ذلك الإقليم هو الاهتمام بجسوره والعناية بها وبحفر ترعة، ففي عام ٧١٤هـ/١٣١٣-١٣١٤م أمر الناصر محمد الأمير بدر الدين بكتوت الشمسي للعناية بجسور الفيوم<sup>(٣)</sup>.

لكن على الرغم من اهتمام سلاطين المماليك بشبكة الري من الترع والقناطر والسدود والجسور، إلا أنه حتى في فترات القوة والازدهار نجد أن هناك جسور قطعت من زيادة فيضان النيل ونجد الزراعة تلفت وفستت وغير ذلك من أمور سوف نوضحها من الدلائل الآتية:

ففي عام ٧١٦هـ/١٣١٦م إنقطع أحد الجسور بالجيزة نتيجة زيادة ماء النيل فاجتمع الناس لسد ذلك الجسر ولكن غرق منهم نحو ثلاثين إنساناً وقع عليهم الجسر، فعملت الحكومة على أخذ الناس من الشوارع بالقوة لسد الجسر ونزلوا في المراكب لسد الجسر فالقلب بهم وغرقوا جميعاً<sup>(٤)</sup>، وما حدث عام ٧١٧هـ/١٣١٧م عندما زاد ماء النيل حتى صار ١٨ ذراع و ٩ أصابع ففاضت المياه وغرقت الأرض بما فيها الأقباب والزراعات، وتقطعت الجسور الموجودة بمنية الشيرح وقلبيوب وظلت تفرق ليلة بأكملها وهرب الناس وقد ضاعت أموالهم وتلفت غلاتهم فعمل متولى القاهرة على غلق دكاكين الناس والأسواق، وأخذ الناس والجنود والأمراء لينقذ ما بقي من الجسور<sup>(٥)</sup>، وكما ذكر المقرئى "تلفت المشمومات والفواكه وقلت الخضره"<sup>(٦)</sup> "وتلفت مطامير الغله من الماء حتى بيع القمح بفلس"<sup>(٧)</sup> وحتى الصعيد لم تسلم هي الأخرى من الخراب وغرق الأقباب ذلك لأن الماء كما قيل "أقام عليها سنه وخمسون يوماً"<sup>(٨)</sup> وخربت الجسور وعلاها الماء وسقطت بعض

(١) ابن تفرى بردي النجوم الزاهرة، ج-٩، ص ٣٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن حفر الترع وإقامة السدود والجسور راجع: المقرئى، الخطط، ج-٢، ص ١٤٤-١٤٥-١٤٦، ابن تفرى بردي، النجوم الزاهرة، ج-٩، ص ٨٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ١، ص ٤٥٥، السيوطى، حسن المحاضرة، ج-٢، ص ٢٠٩.

(٣) المقرئى، السلوك، حوادث، سنة ٧١٤هـ.

(٤) المقرئى، السلوك، ج-٢، ق ٢، ص ٤٥٠، ج-٢، ق ١، ص ١٦٥.

(٥) المقرئى، السلوك، ج-٢، ق ١، ص ١٧٣.

(٦) المقرئى، الخطط، ج-٢، ص ١٦٦-١٦٧.

(٧) على مبارك، الخطط، ج-٢٠، ص ١٣٩.

(٨) المقرئى، الخطط، ج-٢، ص ١٦٧.



البيوت بالقاهرة ومصر وفسدت جميع الأراضي<sup>(١)</sup> كل هذا حدث نتيجة قلة الاعتناء بالجسور<sup>(٢)</sup> وإهمال أمر شبكات الري التي تحكم موارد البلاد الاقتصادية، من هنا تحرك السلطان وعمل الجسر من بولاق إلى منية الشيرج وذلك خوفاً على القاهرة من الغرق<sup>(٣)</sup>.

وتكرر ما حدث عام ٧١٧هـ، وحدث في عام ٧٢٣هـ لأن النيل زاد وانتهت زيادته إلى ١٨ ذراع و ٦ أصابع<sup>(٤)</sup> فغرقت البساتين<sup>(٥)</sup> والزرع والغلال.. وكسرت الترع والجسور وتصريفها إلى البحر المالح، ورسم بعمل جسر لثلاث تغرق في نيل آخر<sup>(٦)</sup>.

حتى إقليم الفيوم الذي إعتنى الحكام والسلاطين به وأولوه اهتمامهم، فإنه تعرض في كثير من الأحيان إلى هزات اقتصادية عنيفة ذلك بسبب خطورة ارتفاع الفيضان وما كان يترتب عليه من إنقطاع الجسور وغرق الأراضي أو بسبب إهمال الحكومة والولاة وعدم حرصهم على صيانة مرافق البلاد من ترع وجسور وغير ذلك<sup>(٧)</sup> فما حدث عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م عندما إنقطع جسر الفيوم بسبب زيادة ماء النيل التي وصلت إلى ١٨ ذراع و ١٩ إصبعاً<sup>(٨)</sup> فغرقت الأقباب والمعاصر وكثير من شئون الغلال... فغرقت الفيوم لإنقطاع هذا الجسر<sup>(٩)</sup> ولكن الناصر محمد أمر بعمارته<sup>(١٠)</sup>.

واستمر قطع الجسور والقناطر بسبب زيادة ماء النيل وفيضانه، والناصر محمد يبذل كل ما وسعه للقضاء على ظاهرة قطع الجسور والقناطر، ففي عام ٧٣٩هـ/١٣٣٨م كان السلطان قد أنشأ

<sup>(١)</sup> المقرئى، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(٢)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٧١.

<sup>(٣)</sup> المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ١٦٧.

<sup>(٤)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٥١.

<sup>(٥)</sup> تلك البساتين هي بستان الخشاب وهو واقعاً في المنطقة المحدوده الآن بشوارع القصر العيني ومجلس الأمة. راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٤٥. وبستان بولاق وباب اللوق.

<sup>(٦)</sup> أمر السلطان الناصر محمد، الفخر ناظر الجيش بعمل جسر لتلافي خطر الفيضان، وبدأ المهندسون والعمال في إنجاز هذا العمل تحت إشراف ناظر الجيش، وتم عمله في حوالى عشرين يوماً، وأُنقذت البلاد من الغرق، وزاد المحصول بعد إقامة ذلك الجسر: راجع: د. منى سعد محمد الشاعر، شبكة الري المصرية في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٤٥٠-١٣٨٣م)

المؤتمر الدولى حول التاريخ الاقتصادى للمسلمين، جـ ٢، سنة ١٩٩٨م، ص ٥٩. المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ١٦٦.

<sup>(٧)</sup> سعيد عاشور، الفيوم في العصور الوسطى، ص ٣٤٠.

<sup>(٨)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٥٨.

<sup>(٩)</sup> المقرئى، نفس المصدر، ص ٢٥٨.

<sup>(١٠)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.



قناطر بجسر شبين وكان سبب إنشائها أن بلاد الشرقية كانت تشرق نتيجة لعلو البلاد بها وكانت لا تروى إلا من بحر أبي المنجا، ولما كانت أيام النيل أي زيادته أبطل السلطان فتح سد بحر أبي المنجا، وفتح بدلاً منه سد شبين، فتم رى البلاد كلها، واستبحرت عدة أماكن<sup>(١)</sup> ولكن حدث ما لم يحمد عقباه فقد إنقطع مقطع في تلك القناطر وصارت البلاد المنخفضة مستبحرة، فرأى السلطان عمل زربية<sup>(٢)</sup> كالجسر ترد قوة الماء<sup>(٣)</sup> وفعلاً تم سد المقطع ولكن بعد أن صرف عليه ثلاثون ألف دينار.<sup>(٤)</sup>

ومما سبق نرى أنه على الرغم من إنقطاع الجسور والقناطر والسدود إلا أن هناك من الأمراء والسلاطين من كان يهتم بإصلاحها وترميمها كما سبق أن ذكرنا وهم السلاطين الأقوياء الذين زاد في عهدهم الخراج على أثر اهتمامهم بشبكات الري على الرغم من إنقطاع أجزاء منها في عهدهم وتكرار هذا الإنقطاع باستمرار على الرغم من أن هناك استقرار سياسى إلى حد ما.

ولكن الشئ الذي لاشك فيه أن أمر العناية بشبكة الري من جسور، وقناطر، سدود، وحفر ترع لم يستمر بنفس الحماس والقوة التي شهدتها بعض الفترات التاريخية من تاريخ الأيوبيين والمماليك، فنجد أن العصر المملوكي لم يخلو من فتن وإضطرابات، وأزمات سياسية بل واقتصادية، بالإضافة إلى فيضان النيل أو نقص مياهه.. وغير ذلك مما أثر على عمل الحكام في أحكام تلك الشبكة، فنجد إهمال الحكام لحفظ الجسور، وتطهير الترع، والقنوات، مما أثر على الإنتاج الزراعي تأثيراً بالغاً وعلى الخراج أيضاً فقل الخراج عن فترة السلاطين الأقوياء، وبعد أن كان يصرف على الجسور السلطانية من الديوان العام أصبح يجبى من النواحي أموالاً للإنفاق على إصلاح الجسور التي غالباً ما كانت تذهب إلى جيوب الأمراء المماليك، ثم يسخرون أهالى البلاد في عمل الجسور وإصلاحها.<sup>(٥)</sup>

(١) المقرئى، المصدر السابق، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٦٦.

(٢) الزربية مفردا زراى وهى هنا فيما يظهر ما يبتنيه أصحاب البيوت المطلة على النيل من حوائط لحماية بيوتهم من فعل الماء، ومن سلاسل لتسهيل الوصول من تلك البيوت إلى النهر، كما هو متبع في البيوت الباقية على شواطئ النيل بدمياط وسمندور ورشيد، هذا وقد عرف دوزى الزربية بأنها باب السر (Port secrete) ولم يزد على ذلك، راجع: المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٥١.

(٣) المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٩٣.

(٤) المصدر نفسه، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٧٢.

(٥) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٩٦.





فقد كانت للفن والاضطرابات والثورات وما يعقبها من الفوضى والاضطراب وخراب الشوارع للمزروعات كما حدث في أعوام كثيرة ومختلفة من حكم دولة المماليك البحرية لذكر منها على سبيل المثال ما حدث عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م عندما تولى الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن الناصر محمد ابن قلاوون<sup>(١)</sup> ونقص ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض<sup>(٢)</sup> ولم يعطى ذلك السلطان لما حدث أي اهتمام فانشغل بلهوه وسيرته السيئة عن أحوال البلاد فإزدادت أحوال البلاد سوءاً واضطراباً، بالإضافة إلى الفتنة التي حدثت بعد وفاة السلطان حاجي بن الناصر محمد بسبب لهوه هو الآخر أكثر من أخيه الكامل سيف الدين شعبان، فبعد قتل حاجي ظلت مصر يومين بلا سلطان وثارَت الفتنة<sup>(٣)</sup> وذلك بسبب قتله<sup>(٤)</sup>.

وفي خضم تلك الأحداث المتلاطمة من فن واضطرابات، ولهو السلاطين وإنشغالهم عن أمور البلاد خاصة بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون ٧٤١هـ/١٣٤٠م<sup>(٥)</sup> الذي وهنت البلاد وضعفت بعد وفاته، فكانت الدولة تعجز عن اتخاذ التدابير السنوية المعتادة لتطهير الترع وإقامة الجسور وصيانتها حتى تظل في حالة صلاحه لأداء وظيفتها<sup>(٦)</sup> إلى جانب ذلك أن الوباء الذي يحدث نتيجة نقص ماء النيل أو زيادة ماء النيل كان يقضى على الناس، خاصة الأيدي العاملة من الفقراء وفناء الفلاحين وهجرتهم من القرى، والهروب بعيداً عن مواطن الداء وتصبح الأرض الزراعية يهملها أهلها ويرحلوا عنها<sup>(٧)</sup> ونتيجة لذلك كان يقل الخراج مثلما حدث في عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م فقد حدث الوباء العظيم في تلك السنة، ذلك الوباء الذي لم يحدث بمثله وباء في سائر الأقطار<sup>(٨)</sup> فأباد كل روح بجدها أمامه من بشر وحيوانات وطيور أي كل ما في الكون من كائنات حيه فلم تجد الأرض من يزرعها ولا من يحصد<sup>(٩)</sup> واشتد الموقف سوءاً لموت الفلاحين مما أدى ذلك الأمر إلى اضطراب اقتصادى فترة طويلة من الزمن<sup>(١٠)</sup> ونتيجة لذلك لم

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١١٦، على مبارك، الخطط، جـ ١، ص ٣٦.

(٢) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٩.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥١٦-٥١٧-٥١٨.

(٤) ابن حبيب، تذكرة النبوة، جـ ٣، ص ١٠٣، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٧.

(٥) د. على إبراهيم حسن، آراء في دولة المماليك البحرية، ص ١٨.

(٦) د. راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٨٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٨) ابن حبيب، تذكرة النبوة، جـ ٣، ص ١١٠-١١١.

(٩) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٧.

(١٠) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ٥٦، قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٦١.



تجد الترع ولا الجسور ولا السدود من يهتم بأمرها فتخربت وفسدت على حد قول القلقشندي "وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور في زماننا وترك عمارة الجسور البلدية، واقتصروا الأمر على عمارة الجسور السلطانية إلى الشئ اليسير الذي لا فائدة منه لولا ما من الله به على العباد من زيادة ماء النيل التي جاوزت ١٩ ذراعاً لفات رى البلاد وتعطلت زراعتها"<sup>(١)</sup> وتوالى حدوث شراقي البلاد وفساد الجسور التي لم تجد من يعتني بها نتيجة ما سبق أن ذكرنا من اضطرابات وفتن.<sup>(٢)</sup>

وعندما أراد الأمير منجك اليوسفي وزير مصر عمل جسر<sup>(٣)</sup> نتيجة إنقطاع جسر عام ٧٤٨-٧٤٩هـ/١٣٤٨م وإنكشفت الأراضي من ماء النيل بالبر الشرقي فيما يلي بولاق<sup>(٤)</sup> فأراد سده فيما يلي بر الجيزة<sup>(٥)</sup> ففرض على كل من له دكان بمصر والقاهرة درهمين فضة، وكل نخله في البلاد درهماً من الفضة، فجمع أموال كثيرة، فعمل جسرين صرف على عمارتهما أربعمائة ألف دينار فلما زاد ماء النيل جاء على الجسر فانقلب حتى محاً أثره<sup>(٦)</sup> ولم يفد من ذلك شيئاً<sup>(٧)</sup> فحدث أن سخط الناس عليه.<sup>(٨)</sup>

والشئ الذي حدث بعد ذلك والذي زاد حالة البلاد سوءاً وخراب ودمار هو ما فعله الولاية عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م عندما باع هؤلاء الولاية الجراريف المستخدمة في صيانة الجسور وأهملوا الجسور فخربت النواحي ولحق الأذى بالفلاحين.<sup>(٩)</sup> وأصبحت الحكومة فاسدة لا نفوذ لها في أي شئ فأهملت الجسور التي لم تجد من يرعاها. وتوالى سلسلة إنقطاع وخراب البلاد وهدم الدور والبيوت وشراقي البلاد في سنوات ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، ٧٦١هـ / ١٣٥٩م، ٧٧٨هـ /

<sup>(١)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ج-٣، ص ٤٤٩.

<sup>(٢)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج-١٠، ص ٢٣٢-٢٣٣.

<sup>(٣)</sup> كان السبب في عمل هذا الجسر هو جفاف مياه النيل ناحية ساحل القاهرة فأصبحت المياه ملوثة ولا تصلح للشرب فتم الاتفاق على بناء جسر على شاطئ النيل من ناحية الجيزة في اتجاه القاهرة، وتقرر جمع نفقات هذا الجسر من كافة طوائف الرعية بما فيهم اليهود والنصارى ولم يعف أحد من أداء هذه الضريبة الطارئة. راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،

ج-١٠، ص ١٥٥، قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٩١.

<sup>(٤)</sup> المقرئزي، الخطط، ج-٢، ص ٣١٧.

<sup>(٥)</sup> المصدر نفسه، ج-٢، ص ٣١٧.

<sup>(٦)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج-١٠، ص ١٣٠-١٣١، المقرئزي، الخطط، ج-٢، ص ١٦٧.

<sup>(٧)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ١، ص ٥٢١-٥٢٢.

<sup>(٨)</sup> المقرئزي، الخطط، ج-٢، ص ١٦٨.

<sup>(٩)</sup> المقرئزي، السلوك، ج-٢، ق ٣، ص ٨١١، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٨.



١٣٧٦م، ٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١م<sup>(١)</sup> حدث كل هذا في عهد سلاطين ضعفاء الشخصية قليلي الحيلة كل ما يهمهم هو اللهو والفساد واللامبالاه بحياة البلاد والعباد، فتحكم في هؤلاء السلاطين نواب السلطنة والوزراء، ليحدث الخراب بالبلاد.

هكذا نجد أن الحكومة القوية كانت تسيطر على زمام الأمور وتحكم قبضة البلاد، وتهتم بكل موارد الدولة الاقتصادية بما فيها شبكة الري تلك التي كانت أساس كل شئ في البلاد، نظراً لوجود النظام الاقطاعي القائم على الزراعة في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، وإرتبطت أعمال ضبط النهر والاهتمام والعناية بالمشروعات المتصلة بها في ضوء عدم حدوث أزمات اقتصادية أو حكام أقوياء، ولكن على العكس فإن حدوث الأزمات الاقتصادية وإهمال شئون البلاد كان له تأثيره على شبكة الري في ظل حكام ضعاف وفي ضوء أوبئة ومجاعات يعجز في ظلها عن الاهتمام بأي شئ في البلاد.

ومهما يكن من أمر فإن صيانة الجسور كانت مسألة حيوية لأمن وحفظ البلاد، وكانت تتم عن طريق دعمها المستمر بالتراب والشقاف وتثبيتها باللبش<sup>(٢)</sup> والمداومة على ذلك حتى يزول الخوف من خطر الفيضان.<sup>(٣)</sup>

وعلى الرغم من اهتمام بعض سلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية بتطهير الترع وإقامة الجسور والقنوات وإحكام شبكة الري في بعض فترات تلك العصور، فرغم ذلك لم تنجو الجسور من الإلحاق وغرق الأراضي وفساد الزراعة كما سبق أن ذكرنا في سنوات ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، ٧١٦هـ/١٣١٦م، ٧١٧هـ/١٣١٧م، ٧٢٣هـ/١٣٢٣-١٣٢٤م، ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، ٧٤٠هـ/١٣٣٩م؛ أما ما توالى من انهيار شبكة الترع والجسور والقناطر فقد حدث نتيجة عدم تطهير الترع وترميم الجسور والقنوات والقناطر، فحدث ذلك بسبب فساد أمور الحكم والفن والاضطرابات، فقد حدث أن انقطعت الجسور ولم يعد يهتم الحكام بتطهير القنوات وصيانة الجسور خاصة عندما أصاب البلاد ما يسمى بالفناء الأسود وتوالى ذلك

<sup>(١)</sup> للمزيد من التفاصيل عن إقطاع الجسور في هذه السنوات وما فعله الأمراء، راجع: سعيد عاشور، الفيوم في العصور الوسطى، ص ٣٤٠، ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص ٨٨، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٦٥، ص ٥٢١-٥٢٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢١٣-٢١٤، ابن قاضي شهاب، ج ٣، ص ٨١.

<sup>(٢)</sup> اللبش جمع لبشة وهي حزم القش وسيقان النبات. راجع: خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢٩.

<sup>(٣)</sup> خليل بن شاهين، المصدر نفسه، ص ١٢٩، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٥.



في سنوات ٧٤٨-٧٤٩هـ/١٣٤٨م، ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، ٧٥٥هـ/١٣٥٤م،  
٧٦١هـ/١٣٥٩م، ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، ٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١م كما سبق أن ذكرنا وقد  
ذكر المقرئ عن تدهور حال الترع والجسور قائلاً أن للترع والجسور فوائد لو أحسن صيانتها  
ورعايتها والاهتمام بها "لولا إتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقله الانتفاع بماء  
النيل، كما جرى في زماننا هذا".<sup>(١)</sup>

ويجب أن نضع في الاعتبار أن الزراعة كانت تزدهر وتؤتي نتاج ثمارها حينما كان يهتم بشبكة  
الري مثلما حدث في عهد الناصر محمد بن قلاوون فقد قيل أن خراج مصر زاد في عهده مقدار  
النصف.<sup>(٢)</sup>

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أدت إلى تدهور الزراعة وإهمال مرافق البلاد فيما يلي:

١- نقص فيضان النيل وقصوره في سنوات كثيرة وتعرض البلاد لمجاعات رهيبة ووباء قضى على  
كثير من أهلها، تلك المجاعات كانت نتيجة ترك أهل الريف لقراهم والهجرة إلى المدن  
الكبرى بل إلى خارج البلاد<sup>(٣)</sup> فقلت الأيدي العاملة ولم تجد الأرض من يزرعها فبعد الغلاء  
الذي حدث في عهد الملك العادل أبي بكر سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وظل في البلاد ثلاث  
سنوات فيقل عن ذلك "كان النيل إذا طلع لم يجد من يزرع الأراضي فكانت الترع تخرج  
بنفسها يحرقون ويزرعون بأيديهم ويبدرون في الأرض الغلال لعدم وجود الفلاحين"<sup>(٤)</sup> وهناك  
من أرجع قصور النيل إلى فساد تلك الجسور وعدم العناية بها.<sup>(٥)</sup>

٢- كان للنظام الإقطاعي دوراً كبيراً في سير تلك الأحداث، فعندما ظهر النظام الإقطاعي  
ازدادت الحالة سوءاً منذ أن قسمت البلاد إلى إقطاعات بين الأمراء والجنود، وأصبح الفلاح  
قناً ترتبط حرثته بالأرض التي يعمل فيها، وصار صاحب الإقطاع لا هم له إلا جباية ما

<sup>(١)</sup> المقرئ، الخطط، ج-١، ص ٦١.

<sup>(٢)</sup> إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٧٥.

<sup>(٣)</sup> عبد اللطيف البغدادي، الإفاداة والاعتبار، ص ٤٩.

سعيد عاشور، الفلاح والإقطاع، ص ٢٢٣.

- GARCIN (J.C) Note sure les repports entre bedouins et fellahs al'epoque mamluke  
(Annales Islamologiques, tom, Xive, PP147-163)

عن عماد بدر الدين أبو غازي، تطور الحياة الزراعية زمن المماليك الجراكسة، ط ١، سنة ٢٠٠٠م، ص ٣٥.

<sup>(٤)</sup> ابن إلياس، بدائع الزهور، حوادث سنة ٥٩٧هـ.

<sup>(٥)</sup> محمد بركات البيلى، الأزمات الاقتصادية والأوبئة، ص ٨.





يستطيع جبايته دون أي اهتمام أو رعاية أو عناية بالأرض وتطهير الترع وصيانة الجسور، حتى الجسور السلطانية لم يكن نفعا كبيرا.<sup>(١)</sup>

٣- لاشك أن الأحوال السياسية للبلاد كان لها الأثر الكبير في أعمال النهر وضبطه وكفائه جهاز الري وشبكته، فالظروف السياسية التي مرت بها البلاد من ضعف واضطرابات كثيرة، إلى جانب تغير الحكام باستمرار، فلم يتمكن هؤلاء الحكام نظراً لقصر مدتهم والتطاحن المستمر والتنافس فيما بينهم على من يتولى الحكم وقتل بعضهم البعض من العناية بشتون مرافق البلاد<sup>(٢)</sup> بل إنصرف معظمهم بل كلهم إلى تحقيق مطامعهم الشخصية على حساب مصالح الناس والرعية<sup>(٣)</sup> تلك الحالة السياسية التي ترتبط بوجود حكومة قوية حتى يمكن إنجاز تلك الأعمال، وهذا يرتبط بقوة وجلوس السلطان على كرسي الحكم، فإذا كان قوياً سارت أعمال ضبط النهر وصيانة الجسور وبنائها وشق الترع وتطهيرها على أكمل وجه كما ظهر ذلك في عصر الظاهر بيبرس، والناصر محمد بن قلاوون اللذان خلفا كثيراً من منشآت شبكة الري، أما إذا كانت الحكومة ضعيفة فإن ذلك كان ينعكس على مرافق البلاد تلك التي كان يدب فيها الإهمال والخراب والضعف، من هنا تكثر حوادث إنقطاع وإهيار الجسور، وإنسداد الترع بالرمال والطين، وتداعى القناطر وتصدعها، بالإضافة إلى تعرض الأراضي الزراعية لأخطار الجفاف والعطش إلى جانب الغرق.<sup>(٤)</sup>

٤- وما أدى إلى تدهور الزراعة أيضاً كثرة المغارم وتنوع المظالم التي عانى منها الفلاح أشد المعاناة على أيدي الولاة والحكام، مما أدى إلى إضطرار الفلاحين للهروب من قراهم وبلادهم فخربت القرى وبالتالي تأثر الإنتاج الزراعي إلى جانب إهمال مرافق البلاد من جسور وترع وغير ذلك من مرافق، إلى جانب هروبهم من هجمات العربان الشرسة التي على أثرها يحول للأراضي الزراعية إلى صحراء جرداء.<sup>(٥)</sup>

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٩.

(٢) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢٣.

(٣) محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، ص ١٧٠.

(٤) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥١.

(٥) lapidus, Muslim cities, PP21-22.

عن لبيبة إبراهيم مصطفى، الفن والقلاقل الداخلية في دولة سلاطين المماليك، ص ٢٣٠.



جميع ما سبق يدل على نقص عدد القرى في مصر، فقد كان عدد القرى في العصر الأموي أكثر من ١٠,٠٠٠ قرية<sup>(١)</sup> ثم نقص عدد القرى حتى أصبح في عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م في ولاية أنوجور بن الأخشيد ٢٣٩٥ قرية، وفي العصر الفاطمي وصل إلى ٢٠٦٢ قرية<sup>(٢)</sup> وبعد أن رآك السلطان لاجين البلاد أصبحت قرى مصر بمقتضى هذا الروك ٢٠٧١ قرية، وكان سبب نقص هذه القرى ربما لأن تلك القرى خربت بفعل الأوبئة والجماعات أو هروب أهلها منها من ظلم المقطعين، أو ربما لأنها أضيفت إلى غيرها من النواحي<sup>(٣)</sup>.

أما عدد القرى في الروك الناصري حينما رآك الناصر محمد البلاد عام ٧١٥هـ/١٣١٥م أصبح ٢٤٨٠ قرية مثلما ورد في كتاب التحفة السنية لابن الجيعان<sup>(٤)</sup> وقد كان نتيجة هذا الروك أن اختفت أسماء بلاد مثل جزيرة قويسنا التي كانت ضمن أعمال الوجه البحري فلما عمل الروك الناصري حذفت من الأعمال المصرية وتوزعت بعض قراها على الأعمال الغربية والبعض الآخر على المنوفية وبذلك إختفى اسمها<sup>(٥)</sup>.

وهناك قرى حذفت بأكملها مثل حوف رمسيس وقد أطلق العرب هذه الكلمة على بعض الأقاليم المصرية، فقد ذكر أبي صالح الأُمي أن هذا الحوف من الأقسام الإدارية التي أنشئت في أوائل الدولة الفاطمية وكان يشمل على ١٠١ ناحية ذات وحده مالية... ولما عمل الروك الناصري حذف حوف رمسيس من عداد الأقسام الإدارية في مصر<sup>(٦)</sup>.

وفي عهد السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) أصبحت ٢٢٧٠ قرية<sup>(٧)</sup> ولو أخذنا هذه الأرقام بحذر فإنها تدل على خراب القرى التي كانت عامر<sup>(٨)</sup> هذا وإن دل على شيء فإنه يدل على كثرة الجماعات والأوبئة والطواعين التي أدت إلى خراب تلك البلاد.

(١) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٧٣-٧٤.

(٢) عمر طوسون، مالية مصر، ص ٢٢٩، أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٤١.

(٣) محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، ق ١، البلاد المندرسة القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣-١٩٥٤م، ص ٢٠.

(٤) لمزيد من التفاصيل: أنظر: ابن الجيعان: يحيى بن شاكر بن الجيعان، كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية. تحقيق: برنهارد مورتيس، القاهرة سنة ١٨٩٨م، الطبعة الأهلية، سنة ١٩٩٢م، ص ١٥-٢٠، محمد رمزى، القاموس الجغرافى، ص ٢١.

(٥) محمد رمزى، القاموس الجغرافى، ق ١، ص ١٢٨.

(٦) المرجع نفسه، ق ١، ص ٢٣٦.

(٧) محمد حمدى المناوى، نهر النيل، ص ١٧١.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٨٩.



ذكرنا سابقاً أنه من أسباب تدهور وسائل الري والزراعة بل الزراعة نفسها كثرة المغارم تلك المغارم تسمى ضرائب وهى فرضت على جميع أهل البلاد.<sup>(١)</sup>

فقد كان من المفروض أن تقوم أعمال ضبط النهر من إقامة الجسور وشق الترع وبناء القناطر من الخراج أي من بيت المال<sup>(٢)</sup> فقد ذكر المقرئى أن تمويل أعمال الري من القناطر والخلجان والترع والجسور كانت في القدم من ثلث خراج البلاد لأن بها مصالح العباد<sup>(٣)</sup> ويذكر "أنه يجب إنفاق ربع حصيلة الخراج على الجسور إذ عملت كما ينبغي"<sup>(٤)</sup>، فقد كانت الدولة عند جمع الخراج تأخذ جزء منه لتقييم به الجسور بنوعيتها سواء كانت الجسور السلطانية أو الجسور البلدية، فضلاً عن حفر القنوات وإقامة القناطر وغير ذلك من المنشآت والعمائر المفيدة<sup>(٥)</sup>، وكان من المفروض أن تتم عمارة الجسور السلطانية من أموال الديوان السلطاني في عصر المماليك<sup>(٦)</sup> لكن هناك إشارات كثيرة تدل بوضوح على أن مصادر تمويل هذه الأعمال كانت هي الرعاية نفسها خاصة إذا كان هناك مشروع لإنشاء جسر جديد<sup>(٧)</sup> مثلما حدث عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م عندما أراد الوزير منجك اليوسفي عمل جسر فجمع من الرعاية نقوداً وأموالاً كثيرة وفرض ضرائب على كل شيء كما سبق أن ذكرنا.

والواقع أن الخسائر الضخمة التي حدثت نتيجة إهمال شبكة الري وما تبعها من إهمال في الزراعة كانت أحد الأسباب الأساسية لذلك الاضطراب الذي حدث في الاقتصاد المملوكي لأن ما حدث من انخفاض في إيرادات الدولة أثر في بقية أنشطة الدولة وبدأت الحكومة تتجه إلى إجراءات أخرى لتعويض ذلك النقص<sup>(٨)</sup> كما سوف نرى في الصفحات القادمة.

ومما سبق نستنتج أن المجاعات المخيفة والأوبئة الرهيبة في مصر سواء في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري كان أهم ما تتميز به الحالة الاقتصادية في ذلك العصر، تلك المجاعات التي

(١) محمد حمدي المناوي، المرجع السابق، ص ١٧١.

(٢) منى سعد، شبكة الري المصرية في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٧٣.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٦١.

(٤) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٣٩، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٣٢-٣٣.

(٥) عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ص ٧١.

(٦) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٦٣٩.

(٧) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٣٢-٣٣.

(٨) لبيبة إبراهيم مصطفى، الفتن والفتن، ص ٩٧-٩٨.



اكتسحت أرض النيل في فترات مختلفة فراح ضحيتها الكثير<sup>(١)</sup>، كما أن حوادث انقطاع الجسور وتهدم القناطر وشراقي الأرض تكثر الإشارة إليها في عصر المماليك البحرية عنه في العصر الأيوبي، فضلاً عن عدم تجديد أي منشآت تخدم النهر، ويمكن تفسير ذلك في ضوء حالة الاضطراب والفوضى التي سادت أوجه الحياة المصرية جميعاً<sup>(٢)</sup> كما يجب أن نستنتج أن تدهور الإنتاج الزراعي يمكن تفسيره في ضوء الحقيقة القائلة بأن إهمال وسائل الري من جسور وترع وغيرها، وارتفاع الأراضي الزراعية عن منسوب مياه النهر بدرجة كبيرة (بفعل التراكم المستمر لطمي النيل مع إهمال شبكة الري)<sup>(٣)</sup> جعل المساحة التي تروى من مياه الفيضان تقل تدريجياً، ومن الجدير بالملاحظة أن معظم الأراضي الزراعية في هذا الوقت كانت تعتمد على نظام ري الحياض الذي يعتمد بدوره على مياه الفيضان وتزرع الأرض بمحصول واحد في العام، ومن ناحية أخرى فإن توزيع إقطاعات الأمراء في أنحاء مختلفة من البلاد، ثم تغييرها المستمر مع تغير وظائف الأمراء جعلهم يحرصون أن يجنوا منها أكبر قدر ممكن من الأرباح، دون أن يبذلوا جهداً يذكر لتحسين إنتاجيتها أو رعايتها، وهو ما أدى في النهاية إلى الكثير من حوادث انقطاع الجسور وعطش الأراضي وشرقها وبوار مساحات كبيرة منها.<sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٤٢٧.

<sup>(٢)</sup> قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٣٣.

<sup>(٣)</sup> لاشك أن مياه الفيضان إلى جانب أنها تغمر الأرض فتروى ظمأها فإنها تجدد خصبها كل عام بما تحمله من طمي، ويعمل البغدادي سبب خصوبة أرض مصر بقوله "أن أرضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه يأتيها طين أسود علك (لرج) فيه دسومه كثيرة يسمى (الابلز) من بلز وأمرأة بلز أي ضخمة مكتزة يأتيها من بلاد السودان مختلطاً بماء النيل عند مده، فيستقر الطين وينضب الماء فيخرج ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها ولهذا العلة تكون أرض زكية كثيرة والأثناء والربيع إذ كانت أقرب إلى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فإنها أسافة مضوية (أرض رقيقة ضعيفة لا تكاد تنبت شيئاً) إذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لأنه يأتيها الماء وقد راق وشفاء، ونتيجة لهذا الترسيب السنوي الذي يحمله النيل، ارتفع سطح الأرض عاماً بعد عام، لذلك تغير ارتفاع النيل المناسب للري من فترة لأخرى، فكلما تقدم الزمن صارت الحاجة ماسة إلى فيضان أعلى: راجع: محمد حمدي المناوي، لهر النيل في المكتبة العربية، ص ١٦٧، حاشية (٣)، ويذكر القضاي أنه عند الفتح العربي لمصر كان الارتفاع المناسب للفيضان حتى تحضب الأرض وتكفي أهلها سنتين هو ستة عشر ذراعاً، راجع: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٩٣، المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٥٩. ولكن بعد الفتح بثلاثة قرون يذكر المسعودي أن هذا القدر يكفي الناس وأن ترك ربع الأرض ظامئة، وأن الزيادة النافعة هي ١٧ ذراع في حين أن زيادة ذراع آخر ضاره لأنها تسبب استبحار بعض الأراضي فلا يمكن زراعتها، وبعد ذلك بأقل من ٣ قرون أخرى نجد أن الأمر يستلزم من بلوغ النيل ١٨ ذراع حتى يروى جميع الأرض. راجع. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٤٤، والشئ الذي لاشك فيه هو أنه لم يكن ارتفاع الأرض هو السبب الوحيد الذي أدى إلى تغير قانون الري إذ أنه بطبيعة الحال كان يقابل ارتفاع الأرض الزراعية في مجرى النهر نفسه نتيجة الترسيب، ومن هذه الأسباب الأخرى إهمال الجسور وعدم العناية بالخلجان والترع، راجع: المناوي، لهر النيل، ص ١٦٩.

<sup>(٤)</sup> قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك، ص ١٧٦-١٧٧.





## تأثير الأزمات الاقتصادية على الخراج:

من أهم موارد الدولة المالية سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكي البحري، فقد كانت تلك الدولتين في حاجة إلى مورد مالى دائم لا ينقطع من الأموال، خاصة وأن حروبهما كانت مستمرة وبعثاتها الخارجية كثيرة، وحركة العمران في نمو، وقد اعتمدت في جميع ما يلزمها من أموال على مصادر متعددة ومتنوعة فكان أهمها الخراج، ويعتبر الخراج من الموارد المالية الشرعية للبلاد<sup>(١)</sup> ويختلف الفقهاء على تعريف الخراج فمنهم من يذكر "أله أهم وأثبت الموارد المالية لبيت المال، وهو مصطلح مالى له مدلول عام ومدلول خاص، فالخراج من جهة يعنى الضريبة بمعناها العام، أو جملة موارد بيت المال، أي مجموع إيرادات الدولة أو الولاية"<sup>(٢)</sup> أما المعنى الخاص لمصطلح الخراج فهو الضريبة المفروضة على الأرض الزراعية وقد فرض في الأصل على الأرض المفتوحة صلحاً ثم فرض بعد ذلك على الأرض المفتوحة عنوه.<sup>(٣)</sup>

ويمكن القول أن الخراج هو الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي التي تزرع حبوباً ولحلاً وفاكهة وعنباً<sup>(٤)</sup> يدفعها الفلاح المزارع (الأيوبي - المملوكي البحري) للمقطع صاحب الأرض الإقطاعية، ليؤديها بدوره إلى خزانة الدولة، بعد أن يستقطع منها مختلف المصروفات، إلى جانب ما يؤخذ من الفلاحين كهدايا مثل الدجاج والغنم والكشك<sup>(٥)</sup> وغير ذلك من منتجات القرية<sup>(٦)</sup>، وكل هذا لا يكون إلا على النواحي الإقطاعية أي الأرض الزراعية الممنوحة كإقطاعات<sup>(٧)</sup> أما

---

(١) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ٢٨٤.

(٢) د. محمد أمين صالح، النظام المالى والاقتصادى في الإسلام، ط ١، مكتبة لفضة الشرق، سنة ١٩٨٤، ص ٢٩.

(٣) محمد أمين صالح، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠، د. عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك، ص ٢٧٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٩، المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٣، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة،

ج ٩، حاشية (٤) ص ٤٩، راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٢٩.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٣، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، حاشية (٤) ص ٤٩ إبراهيم طرخان، النظم

الإقطاعية، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٦) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٨٣-٨٤، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة، ص ٣٩، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص

٥٠٦-٥٠٧.

(٧) هناك مورد آخر غير المكوس خضع للتوزيع الإقطاعى وهو "الهدية والضيافة" وخلاصة ذلك أن يقوم الفلاحين بتقديم الهدايا مما

تنتجه قريتهم لأمرأ الإقطاع مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره، فإذا نزل المقطع وأعوانه إحدى قرى إقطاعه كانت

ضيافتهم على الفلاحين، واتخذت ذلك عادة عند المقطعين واعتبروها ضمن المال الخراجى، لكن السلطان الناصر محمد عندما

راك البلاد كما سبق أن ذكرنا أضاف ذلك إلى عبء الإقطاع الذى أعطاه لأتباعه كذلك أقطعت الزكاه أوضمت. راجع:

إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٨١.



النواحي والجهات التي كانت تخص السلطان، فكان يؤخذ منها ما يسمى بالحقوق، والحقوق هي إجراء مطبق في بلاد الخاص السلطاني (تلك البلاد التي تخص السلطان والتي بها الإقطاعات التي تخصه وهي الأربع قراريط) وهذه الحقوق هي المقابل بالهدايا والضيافة في إقطاعات الأمراء، وتلك الحقوق كانت تظهر عند عملية تحضير الأرض على الفلاحين، وقد عرفها النويري بأنها "درهم يقوم بها المزارع عن كل فدان غير الغلة وتكون من أربعة دراهم إلى درهين".<sup>(١)</sup>

وكان الخراج يختلف باختلاف البلاد فخراج الوجه القبلي كان غير خراج الوجه البحري، فالوجه القبلي كان خراجه عيناً<sup>(٢)</sup> وهو عبارة عن غلال من قمح وشعير وحمص وفول وعدس...<sup>(٣)</sup> وكان يؤخذ من هذه الأصناف ما بين أردبين إلى ثلاثة أراذب وربما زاد أو نقص وفي معظم الأحوال كان يؤخذ مع هذه الأراذب مع كل أردب درهم أو درهين بحسب أراضي البلاد المقطوعة والضرائب المفروضة عليها سواء زادت أو نقصت<sup>(٤)</sup>، وكان هناك ما يسمى بقاعدة البدل في دفع الخراج<sup>(٥)</sup> وكانت تتم تلك القاعدة إذا لم يتيسر لبلد من البلاد الوفاء بما هو مقرر عليه من الغلال فيؤخذ عوضاً عنها صنف آخر مع مراعاة أهمية هذا الصنف فمثلاً أردب القمح يساوي أردبين من الشعير، أو ثلاثة أراذب من الفول أو ثلاثة أراذب من الجلبان<sup>(٦)</sup> أما الوجه البحري فكان معظم خراج بلاده نقداً<sup>(٧)</sup> دراهم<sup>(٨)</sup> ولم يؤخذ من خراج الوجه البحري غلة إلا قليل عكس الوجه القبلي<sup>(٩)</sup>، وكان الخراج يقدر عادة على أساس خصوبة الأرض المقطعة

(١) النويري، نهاية الأرب، جـ ٨، ص ٢٤٥.

(٢) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٩٩، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢١-٢٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٤) النويري، نهاية الأرب، جـ ٨، ص ٢٤٩، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٩-٤٥٠. يحصل صاحب الإقطاع على ما يتحصل من إقطاعه من خراج، وهو ما يستأدى سنوياً من المقرر على الأراضي المرصدة للزراعة والنخل والبساتين والكروم، ويقدر الخراج عادة على مساحات الأراضي المقطعة وفقاً لخصوبتها وسهولة ربيها، راجع: الباز العريني، الماليك، ص ١٩٧. فيفرض على كل صنف من أصناف المزروعات قطعة مقرر لا يختلف أمرها. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٢.

(٥) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٩٩، مجدى عبد الرشيد، القرية المصرية، ص ١٤٢.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٥، الباز العريني، الماليك، ص ١٩٧.

(٧) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٢١-٢٢، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٩٩.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٠، د. على حسين الشطشاط، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء للنشر سنة ٢٠٠١م، ص ١١٠، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين الماليك في مصر، ص ٢٧٨.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤٩-٤٥٥، النويري، نهاية الأرب، جـ ٨، ص ٢٤٩. ربما يرجع الفرق في نوعية الخراج المفروض على إقليم مصر إلى طبيعة الأرض في كل منهما وعلاقتهما بفيضان النيل: أمال أحمد حسن العسري، المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة ١٩٧٤م، ص ١١.



وسهولة رى تلك الأراضي<sup>(١)</sup> وكان الخراج لا يجمع إلا إذا وصلت زيادة النهر إلى الحد المطلوب، فإن نقص ذلك الحد لم يأخذوا الخراج على قدر ذلك النقص<sup>(٢)</sup> إذ أن الخراج يتوقف على حالة الفيضان وعلى نوع الأرض، ولتقدير الخراج تقديراً سليماً كان العرب يقومون بمسح شامل للأرض لتقدير الخراج<sup>(٣)</sup> فإذا وفى النيل ١٦ ذراع كان فيه تمام خراج السلطان وخصب الناس وفيه ضرر للبهائم<sup>(٤)</sup> فقد وفى خراج مصر، فإذا زاد بعد ذلك ذراعاً واحداً زاد في الخراج مائة ألف دينار لما يروى من الأعلى، فإن زاد بعد ذلك ذراعاً أخرى نقص مائة ألف من الخراج لما يستجر من البطون.<sup>(٥)</sup>

وكان من الطبيعي أن يترتب على حالة فيضان النيل سواء بالزيادة أو النقص أن تعجز الحكومة عن جباية وجمع الخراج<sup>(٦)</sup> وعندما كان النيل لا يصل إلى حد الوفاء كانت الحكومة (الدولة) تمتنع نهائياً في أخذ حقها من الخراج إلى بعض الوقت.<sup>(٧)</sup>

وبوجه عام فإن الأزمات الاقتصادية التي كان سببها فيضان النيل كانت تسبب إضطراباً في جباية الخراج وفي الاقتصاد العام<sup>(٨)</sup>، مثلما حدث في عام ٥٩٠-٥٩٢هـ/١١٩٤-١١٩٦م عندما نقص ماء النيل عن حد الوفاء إذ بلغ ٢٢ إصباعاً من ١٧ ذراع<sup>(٩)</sup> وذلك في عهد العزيز عثمان فتبعه حدوث مجاعة ثم أعقبه الوباء والفناء<sup>(١٠)</sup> ومات أهل القرى وهلك الزرع والثمار فلم تجد الأرض من يزرعها أو يحصد المحصول لعدم الفلاحين<sup>(١١)</sup> ولم يكن في استطاع الدولة الأيوبية أن

<sup>(١)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٢.

<sup>(٢)</sup> الكندي، فضائل مصر المحروسة، حاشية (١) ص ٤٢، زبيده عطا، الفلاح المصري، ص ٩٧.

<sup>(٣)</sup> زبيدة عطا، الفلاح المصري، ص ٩٧. تأثرت الضريبة الخراجية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري بعاملين أولهما القيام بعملية الروك لتعديل القيم الخراجية، والثاني هو عملية تحويل السنة الخراجية، وقد سبق الحديث عنهما في عملية الروك.

<sup>(٤)</sup> ابن ظهير، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، مطبوعات دار الكتب سنة ١٩٦٩م، ص ١٦٠.

<sup>(٥)</sup> المستبحر كل أرض منخفضة (وطينة) نفذ إليها الماء ولم يجد مصرفاً حتى فات أوان الزرع والماء باق (موجود) على الأرض. راجع: الكندي، فضائل مصر المحروسة، حاشية (١) ص ٤٢.

<sup>(٦)</sup> راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٦٣.

<sup>(٧)</sup> المرجع السابق، ص ٣٢٦.

<sup>(٨)</sup> أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٣٧، عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ص ١١٥.

<sup>(٩)</sup> المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١١٩.

<sup>(١٠)</sup> المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٢١.

<sup>(١١)</sup> على مبارك، الخطط، ج ٧، ص ١٩.



تجمع الخراج، فقل الخراج في تلك السنوات لحدوث الأزمة، وفي ذلك يذكر المقرئى "وفيه وقفت وجوه المال، وانقطعت جباية الديوان بمصر، وأحيل على الجهات بأضعاف ما فيها، وقيقت وجوه قصرت الأيدى عن استخراجها".<sup>(١)</sup>

وشهد عصر السلطان العادل هو الآخر نقص فيضان النيل والذي لم يبلغ إلا ثلاثة عشرة ذراعاً فوق الوباء والفناء وهلك أهل القرى<sup>(٢)</sup> ولم تجد الأرض أيضاً من يزرعها أو يحصدها، فلم تزرع الأراضي ولم تجبى الأموال<sup>(٣)</sup> وقل الخراج أيضاً في هذه السنوات ٥٩٦-٥٩٧هـ/١١٩٩-١٢٠٠م وتأثرت موارد البلاد خاصة الزراعة أيضاً بحدوث الوباء عام ٦٢٧هـ/١٢٣٠م بسبب انخفاض منسوب مياه النيل<sup>(٤)</sup>.

وما ينطبق على العصر الأيوبي ينطبق على العصر المملوكي البحري بسبب نقص فيضان النيل وما يتبعه من نقص في الخراج أو عدم جبايته بالمرّة ومثال ذلك ما حدث عام ٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م عندما نقص ماء النيل وتوقفت عن الزيادة، فأصبحت البلاد في قحط شديد هذا إلى جانب حدوث الطاعون الذي بسببه فنى أهل مصر وعدموا<sup>(٥)</sup> فلم تجد الأرض أيضاً من يزرعها أو يحصدها، وفسدت الزروع كلها ولم يجبى خراج مصر بل قل الخراج لموت الناس والأمثلة على ذلك متعددة وكثيرة في العصر المملوكي البحري كما حدث في سنوات ٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨-١٣٠٩م، ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، ٧٣٢هـ/١٣٣١م، ٧٤٦هـ/١٣٤٦م، ٧٤٩هـ/١٣٤٩م، ٧٧٥-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٤م، كانت هذه السنوات السابقة حدث بها فيضان لماء النيل سواء بالزيادة واستبحار وغرق الأراضي، أو بالنقص وشرق وخراب وبور الأراضي، أثر على الخراج في جمعه أو عدم جمعه بسبب تقلص المساحات المزروعة من الأراضي التي يتحصل عنها الخراج<sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> المقرئى، السلوك، ج-١، ق-١، ص ١٣١-١٣٣.

<sup>(٢)</sup> ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج-١، ق-٢، ص ٤٧١.

<sup>(٣)</sup> المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٠، المقرئى، السلوك، ج-١، ص ١٥٨.

<sup>(٤)</sup> أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج-١، ص ٢٥٩.

<sup>(٥)</sup> الحنبلى، شذرات الذهب، ج-٥، ص ٤٢٨.

<sup>(٦)</sup> أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٣٧.





وقد ذكر في هذا ابن الجيعان قائلاً "فلما تطاول الزمان وخرب غالب البلدان وتبدلت الأحوال وعُمر ما كان خراباً وخرب ما كان عامراً... وعظم الخطب واتسع لم يبق للعبرة عبرة ولكن يستأنس بها الآن في الجملة... ويظهر ذلك بالتأمل والتبصر والاعتبار".<sup>(١)</sup>

وعلى الجانب الآخر نجد أنه حتى إذا وفي النيل، فقد كانت هناك عوامل أخرى تؤدي إلى نفس النتيجة، فقد كانت الأرض لا تزرع بسبب قلة الأيدي العاملة في الزراعة، والتي كانت تضطر لهجرة السكان من الأرض وذلك لاختلال الأمن وانتشار عوامل السلب والنهب أثناء الأزمات، أو لأن الأوبئة والأمراض التي تصاحب حدوث الأزمات كانت كفيلة بمحصد أرواح سكان الريف، فلا تجد الأرض من يزرعها رغم توفر مياه الري<sup>(٢)</sup>

يضاف إلى ذلك عامل هام ألا وهو الفتن والاضطرابات والفساد الإداري الذي يؤدي إلى عدم الاهتمام بمشروعات الري وإقامة الجسور وتطهير النهر، وإقرار الأمن في المناطق الريفية وهي أسباب تؤدي في مجملها إلى تقلص المساحة المزروعة وبالتالي إلى قلة الخراج المتحصل منها.<sup>(٣)</sup>

فنلاحظ أنه في عصر السلاطين الأقوياء في فترات مختلفة من الحكم زيادة الخراج بينما في حالات السلاطين الضعاف وحالات الفوضى والاضطراب نجد قلة الخراج، ففي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م بلغت الضرائب النقدية المتحصلة من الوجه البحري كما ذكرها القاضي الفاضل مبلغ وقدره (١,١٥١,٦٥٣ ديناراً)<sup>(٤)</sup> ومن الوجه القبلي ١,٦١٠,٤٤١<sup>(٥)</sup> وهذا يقدر بحوالى ٢,٧٦٢,٠٩٤ دينار قيمة المستخرج من الوجهين البحري والقبلي خارجاً عن جهات مالية كثيرة بالدولة<sup>(٦)</sup> وهذا يجب أن نضع تلك الجهات الخارجة والتي لم يذكر خراجها عن الحديث الذي ذكره عمر طوسون عن خراج البلاد في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي والتي بلغت عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م (٥,٤٨٠,١٥٧ ديناراً)<sup>(٧)</sup> وهذا يختلف عما ذكره المقريزي سابقاً وربما بل من المحتمل لأن عمر طوسون أضاف خراج مناطق مالية أو جهات مالية لم يذكرها المقريزي

(١) ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ص ٣.

(٢) أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٧-١٣٨.

(٤) المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٨٧.

(٥) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٦) نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٧) عمر طوسون، مالية مصر، ص ٦٠-٦٢.



فهذا هو الفرق بين الخراجين، وقد ذكر عمر طوسون أيضاً أنها لا تدل على إيرادات مصر كلها.<sup>(١)</sup>

ونتيجة حالة الاستقرار التي عاشتها الدولة المملوكية في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى وإهتمامه بوسائل الري وإحكام شبكة الترع والجسور والقناطر وإهتمامه بتطهير الترع فقد زاد خراج مصر في عهده زيادة كبيرة، إذ بلغ الخراج وحده (١٠,٨١٦,٥٨٤ ديناراً)<sup>(٢)</sup> ولكن ابن إياس ذكر أن خراج مصر في عهد الظاهر بيبرس بلغ (١٢,٠٠٠,٠٠٠ ديناراً)<sup>(٣)</sup> هذا وإن دل فيدل على الاستقرار السياسي والاقتصادى وقوة الدولة في عهده.

وبعد عملية الروك الحسامى عندما رآك البلاد، السلطان حسام الدين لاجين ٦٩٧هـ/١٢٩٧م نجد حسب ما ورد عند عمر طوسون أن خراج الوجهين القبلي والبحري أصبح ١٠,٨١٦,٥٨٤ ديناراً<sup>(٤)</sup>.

وعندما رآك الناصر محمد البلاد ٧١٥هـ/١٣١٥م كانت جملة الخراج للوجهين البحري والقبلي ٩,٤٢٨,٢٨٩ بالدينار<sup>(٥)</sup>، وهنا نلاحظ نقص خراج الوجهين القبلي والبحري في عهد الناصر محمد بن قلاوون عنه عن خراج حسام الدين لاجين، فقليل السبب في ذلك هو أن الروك الناصرى زاد عن الروك الحسامى في مواضع ونقص في مواضع أخرى<sup>(٦)</sup>، هذا وقد ذكر الأسدى أن مقدار ما يتحصل من الأرض زمن الناصر محمد بن قلاوون من الارتفاع ما يقرب من العشرين ألف ألف دينار.<sup>(٧)</sup>

ولكن من بعد وفاة السلطان الناصر محمد امتد تأثير الأزمات التي حدثت من بعده على الخراج وذلك بسبب إهمال مشروعات الري، وقلة الأيدي العاملة، وبسبب هجرة الأرض لموت السكان

<sup>(١)</sup> عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٦٠-٦٢.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص ٦٠ ص ٦٢.

<sup>(٣)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ص ٢٦٦.

<sup>(٤)</sup> عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٢٤٥، كانت عبء البلاد دائمة التغير نظراً لما يصيب البلاد من نقص المحصول لانخفاض النيل أو طغيانه أو للإهمال أو غير ذلك من العوامل التي تؤدي إلى نقص المحصول أو زيادته، فيختلف التقدير من سنة لأخرى، راجع: إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٥.

<sup>(٥)</sup> عمر طوسون، مالية مصر، ص ٢٦٤.

<sup>(٦)</sup> المرجع نفسه، ص ٢٦٤.

<sup>(٧)</sup> الأسدى، التيسير والاعتبار، ص ٧٦.



بالأوبئة، فقد كان الوباء الأسود ٧٤٩هـ هو سبب خراب البلاد فقد أثر على خراج مصر حتى سقوط الدولة المملوكية البحرية نتيجة الاضطراب وتكرار حدوث الأزمات والفساد الإداري إلى جانب عجز الدولة عن مواصلة مشروعات الري الكبيرة، إذا ما علمنا أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج... لأنه يترتب على عملها رى البلاد<sup>(١)</sup> فما بالك بخراب البلاد وقلة بل عدم تحصيل خراجها إذن فسوف تخرب جسورها بل كل شئ في الدولة، لم تظهر الترع وتتوقف مشروعات الري فقط، بل يخرب كل شئ يختص بمشروعات الري.

والشيء الذي لا يمكن إغفاله أن كل شئ خضع للإقطاع الذي توسع فيه الممالك فجعلوا الأرض والجزية والخراج والزكاة و المكوس جعلوها كلها إقطاعات بين السلطان وأجناده<sup>(٢)</sup> إذ أن كل شئ غير الهواء خضع للإقطاع في العصر المملوكي.

### الزكاة<sup>(٣)</sup> من الموارد المالية الشرعية أيضاً:

وقد فرض صلاح الدين الأيوبي الزكاة عام ٥٦٧هـ/١١٧١م بعد أن زالت الدولة الفاطمية وزال معها المذهب الشيعي من مصر، وذلك لأنه كان يرغب في أن يعرف الناس بأن مذهب السنة قد عام مرة أخرى إلى مصر، وتعويضاً عما أحدثه من إلغاء المكوس الفاطمية<sup>(٤)</sup> وقد ذكر ابن ممتي<sup>(٥)</sup> أن صلاح الدين كان حريص على جمع أموال الزكاة على الذهب والفضة<sup>(٦)</sup>

(١) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ٦١.

(٢) يوسف الشربيني، هز القحوف، ص ٣٣.

(٣) الزكاة تجب على كل مسلم تام الملك على ما يجب فيه الزكاة ولا تصلح الزكاة حتى ينوئ لها زكاة ماله أو زكاة واجبة: راجع: ابن ممتي قوانين الدواوين، ص ٣٠٨، وهي نظام اقتصادي اجتماعي، وعباده مالية تحقق مصلحة الفرد والجماعة: د. سعيد محمد إسماعيل الصاوي، حول النظم الإسلامية وعلاقتها بالدعوة إلى الله تعالى، ط ١، سنة ١٩٩٦م، مكتبة الأندلس بطنطا، ص ١٤، وتساعد على التكافل الاجتماعي، في المجتمع الإسلامي، وهي أخذ قدر محدد في أموال أغنياء المسلمين بشروط خاصة تصرف لفئات محدده شرعاً لتحقيق أهداف مختلفة، د. على حسين الشطاط، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١١٢، د. محمود إبراهيم مصطفى الخطيب، الزكاة فريضة عادلة بالمعيار الشرعي والوضعي الاقتصادي والمالي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد ٣٥، سنة ١٩٨٨م، ص ٩٤ إلى ص ١١٧.

(٤) المقریزی، الخطط، جـ ١، ص ١٠٨، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٥٤.

(٥) ابن ممتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٠-٣١٦.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٧.



وعروض التجارة والماشية بأنواعها إلى جانب المزروعات، وقد أعفى بعض المواد الغذائية الضرورية في الحياة اليومية مثل السمسم، بذر الكتان، التين، الزيتون، الخضر.<sup>(١)</sup>

هذا وقد بلغ المتحصل من الزكاة لعامي ٥٨٦-٥٨٧هـ/١١٩٠-١١٩١م، تقريباً ١١٨٦١ ديناراً<sup>(٢)</sup> لكن صلاح أدرك أن تلك الضريبة يمكن أن تبلغ أكثر من ذلك بكثير إذا تولى جبايتها رجل يثق به، فعين رجلاً اسمه ابن حمدان للإشراف على جمعها وجبايتها، وتعهد هذا الرجل أن يجمع هذه الضريبة في السنة الواحدة ٥٢ ألف دينار.<sup>(٣)</sup>

هذا وقد حصل صلاح الدين الأيوبي من تجار الكارمية<sup>(٤)</sup> على زكاة أربع سنين مقدماً<sup>(٥)</sup> وهذا يرجح أنه كان في حاجة إلى المال من كثرة حروبة الخارجية والجهاد ضد أعداء الإسلام وبسبب تحصيناته الحربية للبلاد وكثرة صرفه على تلك المنشآت الدفاعية، فاضطر إلى أن يأخذ الزكاة مقدماً حتى يخرج من ضائقته المالية على أكثر الترحيح، ولكن من الواضح أن لفظ الزكاة قد تطور في معناه ومدلوله خاصة أثناء وجود الضائقة المالية والأزمات الاقتصادية، والدليل على ذلك ما حدث في عهد العزيز عثمان عندما جمع الموظفون أموال الزكاة من تجارة جاء بها الشاعر ابن عيين من اليمن<sup>(٦)</sup> إلى جانب أنهم أخذوا الزكاة من رجل فقير يبيع الملح في قفه على رأسه<sup>(٧)</sup> بل أخذوا خمس دراهم زكاة على جمل يبيع هذا الجمل بخمسة دنانير ذهب.<sup>(٨)</sup>

(١) ابن ممالى، قوالين الدواوين، ص ٣١٠-٣١٦.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٧ عن د. حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٥٥.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٨، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٣٢.

(٤) للتجار دور مهم في اقتصاد الدولة إذ تستفيد منهم فائدة مباشرة عن طريق الضرائب التي تفرضها عليهم. راجع: د. حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٣٢٨، هذا وقد كان تجار الكارم دعامة كبرى في بناء مصر الاقتصادية ويرجع ذلك إلى توحيد زعامتهم بين الشرق والغرب، وكانوا هم المسيطرون على تجارة الشرق بعد أن انتقل مركز التجارة من موانئ المحيط الهندي إلى موانئ البحر المتوسط وكان طبعاً أن ينقل تجار الكارم مركز نشاطهم إلى القاهرة ليكونوا بالقرب من المركز التجارى الجديد، وقد كان لهم جهود اقتصادية ضخمة في مجال التجارة نتيجة لتضخم رؤوس أموالهم، فتوطدت مكائنتهم وأصبح لهم مكانه اجتماعية وسياسية مرموقة، راجع: محمد عبد الغنى الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكى، سنة ١٩٩٩م، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص ١٦١-١٦٣.

(٥) المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٧٣-٧٤، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٩، أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٥١، د. نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ٣٥٣.

(٦) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٨، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٥٥.

(٧) المقرئى، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠٩.





فمن المرجح بل الأكيد أن العزيز عثمان لجأ إلى هذا العمل وهو فرض زكاة على كل شئ حتى من الفقراء الذين يبيعون الملح نتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية التي مرت بها البلاد في عهده ٥٩٢هـ/١١٩٤-١١٩٥م، فاحتاج إلى المال للخروج من تلك الضائقة المالية التي مرت بها البلاد ونقص الأموال واضطراب وتدهور كل شئ بسبب تلك الأزمة، وتطور الأمر وتعددت الزكاة حتى أطلق على كثير من الأشياء زكاة حتى لو لم يكن زكاة، فقد جمعت الزكاة زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب من نواحي مختلفة وجهات عديدة واختلفت مسميات الزكاة، فكان منها زكاة الرقيق، زكاة السلال العنب والزيتون<sup>(١)</sup> زكاة الدولة<sup>(٢)</sup> ولذا بلغت ما تحصل من زكاة الفيوم فقط ١٧٩٥ ديناراً.<sup>(٣)</sup>

ويمكن القول أن تعدد الزكاة في عهده أنه عندما تملك زمام الأمور لم يجد في خزانة الدولة الموالي بل وجد الخزانة خالية<sup>(٤)</sup> فاضطر إلى فرض زكاة على كل شئ لسد العجز المالي الذي تعرضت له البلاد، ومن هنا كان حدوث الضائقة المالية وعدم وجود المال له تأثيره على الزكاة وكثرتها وتنوعها.

وما حدث عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م عندما حدثت الأزمة الاقتصادية التي عجزت معها الدولة عن تدبير المال للأزم لحروب التتار، فأخذ قطر ثلث زكاة الكارم من تجار الكارميه معجلاً بسبب حروبه ضد التتار<sup>(٥)</sup>، وهناك من السلاطين من رأى الظلم والإجحاف بالرعية<sup>(٦)</sup> فألغوا بعض الزكاوات مثل المنصور قلاوون الذي ألغى زكاة الدولة<sup>(٧)</sup> والظاهر بيبرس الذي ألغى بعض الزكاة المقررة على تجار الكارم تشجيعاً لهم للتردد على مصر<sup>(٨)</sup>

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٥٦.

(٢) زكاة الدولة هي مال مقرر على كل مستخدم للدوايب (الآلات) في الري أو الغزل أو صناعة السكر، راجع: المقرئزي، السلوك، ج ١، حاشية (٢) ص ٦٦٤، النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، حاشية (٢)، ص ٩، د. زبيدة عطا، زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٥٨.

(٣) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلادها، ص ٢٤.

(٤) عباس حلمي اسماعيل، السياسة الداخلية في الدولة الأيوبية في مصر بعد السلطان العادل، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة (بدون سنة)، ص ١٢١.

(٥) محمد عبد الغنى الأشقر، تجارة التوابل، ص ٢٤٨.

(٦) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٣٠، النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٩.

(٧) العيني، المصدر نفسه، ص ٢٣٠، النويري، المصدر نفسه، ص ٩.

(٨) المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٤٣٧، محمد عبد الغنى، تجارة التوابل، ص ٧٢.

- Garcin (Jc) , un centre musulman de la haut Egypt medivale, qus Institut francais d' Archeologie orientale , du caire VI, 1976. P 220.



## المكوس: (١)

هي من الموارد المالية غير الشرعية<sup>(٢)</sup> استحدثت زيادة على الخراج<sup>(٣)</sup> والواقع أن الخسائر الضخمة التي مُنيت بها البلاد خاصة في الزراعة وتدهور حالة الريف، وقلة الإنتاج الزراعي، وعجز الكثير من أصحاب الأراضي عن زراعتها لغلو البذور وقلة المزارعين، كان من أهم تدهور واضطراب الاقتصاد الأيوبي والملوكي البحري الذي أدى بدوره إلى قلة إيرادات الدولة المالية وخاصة الخراج، وكان من الحكومة أن لجأت إلى موارد مالية أخرى وجهات تحصل بها على الأموال اللازمة للبلاد فاتجهت إلى فرض الضرائب والمكوس المختلفة بكافة أشكالها وأنواعها بصورة شديدة على العباد، وكانت تلك المكوس لا تفرض على الأرض الزراعية أو على الرؤوس، وإنما تفرض على الإنتاج، وقد اتخذت أسماء مختلفة منها هلالى (الأموال الهلالية)<sup>(٤)</sup> بحكم أنها تجبى على البضائع<sup>(٥)</sup> الموجودة في الأسواق على حكم الشهور الهلالية... وكانت تفرض على

---

<sup>(١)</sup> مفردھا مكس بمعنى ضريبة أسواق معروفة من قبل في العصر الجاهلي، وكلمة مقس اسم قرية على ساحل النيل في شمال القاهرة، وكانت تعرف باسم أم دين، وسميت بعد ذلك بهذا الاسم لأن الماكس كان يقعد بها ليستخرج المكس فكلمة مقس تحريف لكلمة مكس. راجع: د. سيدة الكاشف، مصر في عصر الولاة، سلسلة الألف كتاب (٢٤١) ص ٤٠ عن د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، حاشية (١) ص ١٤٢، المسبحي: الأمير المختار عز الدين محمد بن عبد الله أحمد، أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد وتبارى بيلكي، هامش (٤) ص ٢٠.

<sup>(٢)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، حاشية (٢) ص ٢٦٧، راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٤٠، كان هذا النوع من الضرائب (المكوس) يثير حفيظة الفقهاء حيث يعتبرونه غير مشروع إذ أن التجارة في الإسلام ليس عليها أى ضرائب، فضلاً عن أن المصادر الطبيعية للثروة كالنطرون والكلاء والمصايد مما لم تمتد إليه يد الإنسان بالرعاية، كانت تعد أيضاً من الأنشطة التي يحرم فرض الضرائب عليها. راجع: ضياء الدين بريس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، سنة ١٩٦٩، ص ١٣٩.

<sup>(٣)</sup> النويرى، نهاية الأرب، جـ ٢٩، حاشية (٢) ص ٢٣٥.

<sup>(٤)</sup> المال الهلالى هو عده أبواب أحدثها ولاءه السوء شيئاً بعد شىء... وقيل أن عمر بن عبد العزيز لم يأت ذلك وكتب ضلعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه النجس، وأول من أحدث مالا سوء مال الخراج بمصر أحمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين واستمرت إلى الدولة الفاطمية. راجع: المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٠٣-١٠٤، وكانوا يطلقون على الضرائب المختلفة من المكوس إسم المال الهلالى: راجع: راشد البراوى، الحالة الاقتصادية، ص ٣٤٠، وكانت هذه الضرائب يتم تحصيلها من أصحاب الحرف من الصناع والصباغين والعطارين... فضلاً عن إيجارات الطواحين والحمامات والأفران ومصايد الأسماك ومعاصر الزيت، والرباع السكنية، راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٩، هامش (٣) ص ٤٩، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٨، المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٠٧، ابن مائى، قوانين الدواوين، ص ٣٤١.

<sup>(٥)</sup> عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، ص ٧٣.



التجاره وما بها من الصادر والوارد<sup>(١)</sup> بالمعنى الضيق، ولكن بالمعنى العام كانت تفرض على كل شئ مثل المراعى، المياه، المصائد، البضائع، عبور البضائع، الرقيق، المزر، والبغى من النساء والمسجونين حتى الحجيج<sup>(٢)</sup> وقد فرضت المكوس على كل شئ ما عدا الهواء وحده أخلى سبيله، وبقي حراً على حد قول المقرئى<sup>(٣)</sup> بغض النظر عن المكوس التي ألغاه صلاح الدين الأيوبي والمظالم<sup>(٤)</sup> وهو لا يزال نائباً عن نور الدين محمود في مصر<sup>(٥)</sup> تلك المكوس التي كانت جملة حصيلتها في السنة ١٠٠ ألف دينار.<sup>(٦)</sup>

والشئ الذي يجب أن نذكره هنا أن بعض الوزراء دأبوا على إرضاء سلاطينهم وملوكهم بكافة الطرق والوسائل كما فعل الوزير ابن شكر في عصر الملك الكامل عندما عمل هذا الوزير على إرضاء السلطان الكامل، فاجتهد بدوره في تحصيل المال بمختلف الطرق والوسائل الشرعية أو غير الشرعية، وأتخذ في سبيل ذلك طرق مختلفة، منها أنه فرض ضرائب سماها الحقوق على التجار والأغنياء<sup>(٧)</sup> فضلاً عن أنه فرض عوائد وأعطيه على الصناع وقرر مالا سماه التبرع على الأملاك<sup>(٨)</sup> فاستخرج من الناس، أجر أملاكهم شهرين<sup>(٩)</sup>، وفرض مكوساً على دواب الركوب والحمل وسائر المبيعات والرقيق من عبيد وجواري...

---

(١) عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك، ص ٧٤، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٤١.  
(٢) أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٤٢، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٤١.  
(٣) أورد المقرئى قائمة تفصيلية بأنواع المكوس الملغاه ومقدار كل منها يتضح أنها قد فرضت على التجارة الخارجية مثل مكس البهار والبضائع والقوافل وعلى التجارة الداخلية مثل سمسه التمر ورسوم على أسواق الغنم بالقاهرة ومصر، وعبور الأغنام بالجيزة وعلى المواد الخام... والدواجن التي يتم تربيتها... راجع: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥.  
(٤) مصطفى صفوى القلعاوى، صفوه الزمان فيمن تولى مصر من أمير وسلطان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٢٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٣٨، عبد العزيز الدورى، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص ١٠٤.  
(٥) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ١٨٠-٢٠٥، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٨٠.  
(٦) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥، ابن إياس بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٣٨، أبو شامة الروضتين، ج ١، ص ١٧٤، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٥٠٧، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٨٠، راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٤٣٢.  
(٧) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٦٠.  
(٨) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٥.  
(٩) ابن إيبك، كثر الدرر، ج ٧، ص ٢٠٧.



وأباح ابن شكر بيع الخمر مقابل دفع الضمان<sup>(١)</sup> فكانت بعض الخانات توزع في اليوم ١٧ ديناراً<sup>(٢)</sup> فاشتد سخط الناس على ابن شكر الذي أثقل كاهلهم بجميع ما سبق ذكره.

وعندما تولى العزيز عثمان بن صلاح الدين حكم مصر، عادت جميع المكوس الذي كان قد أبطلها ولده صلاح الدين، بل أنه زاد في طلبها وتعت في ذلك أي أنه زاد في شناعتها<sup>(٣)</sup> وإنغمس بالمعاصي، حتى أن العنب غلا سعره في عهده لكثرة من يعصره، وكثرت بيوت المزاره والخانات، وأماكن الحشيش، وفرضت على هذه الأماكن الضرائب الثقيلة<sup>(٤)</sup>

ومن المرجح أن العزيز عثمان اتجه لهذا المورد المالي لفرض على الخمر رسوماً إستثنائية أثناء الأزمة المالية التي حدثت في عهده<sup>(٥)</sup> نتيجة نقص الأموال وقلة الخراج لعدم زراعة الأرض فاتجه إلى المكاسب الخبيثة<sup>(٦)</sup>، وفرض عليها مكوس للخروج من أزمته الاقتصادية التي حلت بالبلاد في عهده، وقد أدت زيادة المكوس إلى إثقال كاهل الشعب سواء في المدينة أو الريف خاصة في عهد دولة المماليك البحرية، فمنذ بداية دولة سلاطين المماليك ظهرت العديد من الضرائب المختلفة نتيجة وجود النظام الإقطاعي الذي جعل المقطع يتحكم في الفلاحين ويفرض عليهم مكوساً مختلفة لا حصر لها تلك المكوس أثرت على إرهاب الفلاحين وهروبهم من بلادهم بسبب جبروت

---

<sup>(١)</sup> الضمان نظام مالي غير شرعي أشبه بنظام الالتزام، يلتزم بموجبه الضامن بدفع مقدار معين عن كل جهة تضمنها مقدماً ثم يطلب بذلك المقدار، فإن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه (صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٦) وكان نظام الضمان سائداً في زمن الفاطميين منذ وصولهم إلى مصر وورثة عنهم الأيوبيون... وكانت توليه الدواوين، كما يذكر ابن مماتي تتم بثلاثة أوجه، بالأمان أو ببذل ضمان، وفي حالة الضمان كان إذا تأخر من مال الضمان شيء لزم الضامن القيام به، فإن بقي له في ذمة المعاملين مال كان للسلطان أن يقبل الحوالة عليهم بعد إعترافهم أو لا يقبل، وله أن يطالبه بما في ذمته ويعود متولى الديوان بالضمان بالطلب على من كان الباقي عنده، راجع: ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٩٨-٣٠٠، المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٨٣-٨٤.

- Rabie. H, The financial system of Egypt, PP 136-137.

جميع ما سبق نقلاً عن: ابن الطوير: (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسرائي)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق، أيمن فؤاد سيد، فرانص شتاير شتوتغارت، سنة ١٩٩٢م، هامش (١) ص ٨٠.

<sup>(٢)</sup> المقرئزي، السلوك، ص ١١٩-١٣٦ عن: عباس حلمي (سماعيل، السياسة الداخلية في الدولة الأيوبية، ص ٤٧.

<sup>(٣)</sup> المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١٠٥.

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(٥)</sup> المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٥، ج ٢، ص ٥.

<sup>(٦)</sup> المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٣٤، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٨١.





المقطعين ومن تلك الرسوم، رسم الأجران، ورسم الخفارة، ورسم خولي البحر، ومقرر الجسور، وموظف الأتبان...<sup>(١)</sup>

إلى جانب ما استحدثه باسم الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية... إلخ مما أدى إلى تأثيرها المدمر على الأسواق والتجارة الداخلية بوجه عام<sup>(٢)</sup> واعتبرت من مظالم المماليك<sup>(٣)</sup> حتى أن القلقشندي ذكر عنها قائلاً "أن البلوى قد وقعت بهذه المكوس، وخرجت في التزيد عن الحد، ودخلت الشبهه في أموال الكثير من الناس بسببها"<sup>(٤)</sup>، وذكر أيضاً "صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال، من خراج الأرضين، والجزية وزكاة المواشي، المعادن، العشر... وغير ذلك ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها وعمت بذلك البلوى".<sup>(٥)</sup>

ويلاحظ أن هذا النوع من الضرائب المسماه المكوس أنها لم تكن ثابتة طوال عصر المماليك، فربما يتطرق أحد السلاطين في جمعها أو زيادة قيمتها كما حدث في عام ٦٥٦ هـ بعد أن تولى الوزارة الأسعد هبه الله الفائزي وكان نصرانياً وأسلم<sup>(٦)</sup> وكان وزيراً في عهد السلطان قطز ففرض مكوساً كثيرة بمصر<sup>(٧)</sup> وفتح أبواب المظالم التي لم تعهده مصر قبله<sup>(٨)</sup>، هذا إلى جانب أن السلطان قطز نفسه فرض المكوس الكثيرة لقتال التتار<sup>(٩)</sup> فأحدث مكوساً على الغلات ورسوم الولاية التي يجمعها الولاية من عرفاء الأسواق ومكوس مقرر الاقصاب والمعاصر وهو ما يجبي من مزارعي قصب السكر إلى جانب مقرر وفاء النيل وغيرها<sup>(١٠)</sup>، إلى جانب ذلك لجد سلاطين أتقياء عملوا على التخفيف من كاهل تلك المكوس على الرعية فألغوا بعض هذه المكوس أو معظمها<sup>(١١)</sup>

(١) المقرئزي الخطط، جـ ١، ص ١٠٧.

(٢) قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٦٧.

(٣) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة المماليك في مصر، ص ٢٧٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٦٦-٤٦٧.

(٥) المصدر نفسه، جـ ١٣، ص ١١٧.

(٦) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٩٨-٣٠٢.

(٧) المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ٢٣٧، مصطفى الصفوي القلعاوي، صفوه الزمان، مخطوط، ص ٢٩.

(٨) المقرئزي، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٩) نفسه، جـ ١، ص ١٠٥، جـ ٢، ص ٣٠١.

(١٠) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٩٨-٣٠٢.

(١١) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك، ص ٢١٧.



فعندما تولى المنصورة قلاوون الحكم أبطل العديد من المكوس والمظالم<sup>(١)</sup> إلى جانب الناصر محمد بن قلاوون الذي ألغى العديد من المكوس أيضاً.<sup>(٢)</sup>

ولكننا نجد أنه في العصر المملوكي لأول مرة تلغى المكوس في أثناء الأزمات الاقتصادية في عصر الأشرف شعبان بن الامجد حسين بن محمد بن قلاوون فقد أبطل المكوس والضمانات<sup>(٣)</sup> ففي عام ٧٧٥-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٤م، حدث انخفاض ماء النيل وبلغت زيادته ١٦ ذراعاً<sup>(٤)</sup> ولم تكن هذه الزيادة كافية لري جميع الأراضي فشرقت البلاد<sup>(٥)</sup> واستمرت تلك الأزمة إلى عامي ٧٧٨-٧٧٩هـ/١٣٧٦-١٣٧٧م<sup>(٦)</sup> وانتشر الوباء والطاعون، فأراد الأشرف شعبان أن يخفف من وطأة تلك المكوس على الناس فآلغاها نظراً للظروف المختلفة التي أصابت البلاد.

### الجوالى (الجزية):

الجوالى أو الجزية ضريبة مفروضة على أهل الذمة من اليهود والنصارى<sup>(٧)</sup> مقرره على رعايهم كل سنة<sup>(٨)</sup> من البالغين، خارجاً عن نطاقها النساء والصبيان والرهبان والارقاء والمجانين<sup>(٩)</sup> فضلاً عن الشيوخ والفقراء في بعض الأحيان<sup>(١٠)</sup>، وقيل أنه اختلفت قيمتها في العصر الأيوبي في عصر صلاح الدين باختلاف الأفراد الذين فرضت عليهم هذه الضريبة، فكانت على الشخص من الطبقة العليا  $\frac{1}{4}$  دينار، ومن الطبقة الوسطى حوالى دينارين، ومن الطبقة السفلى ديناراً أو جزء من الدينار، ويضاف إلى كل جزية درهمان وربع برسم المباشرين على جباية الجوالى.<sup>(١١)</sup>

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه، جـ ١، ق ٢، ص ١٦٦-١٦٧، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٦٦-٤٦٧.

(٤) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٤٠.

(٥) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٩.

(٦) ابن إياس، المصدر نفسه جـ ١، ق ٢، ص ١٦١-١٦٨.

(٧) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ١٠٧، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى، ص ٢٨٠، راشد البراوى، حالة مصر، ص ٣٣٩.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٨.

(٩) النويرى، لهية الأرب، جـ ٣، حاشية (٢) ص ٣٤٨، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٧-٣١٨، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة، ص ٤٠.

(١٠) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٧-٣١٨، النويرى، لهية الأرب، جـ ٨، ص ٢٣٦-٢٣٧، كان تحول كثير من أهالى البلاد المفتوحة إلى الإسلام سبباً في ان الجزية لم تعد مصدراً هاماً للدخل بحيث أصبحت تعرف بلفظة الجوالى، ولعلها مأخوذة من كلمة جالية مما يدل على أن دافعى الجزية قل عددهم. راجع: عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٤٠.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٦٢، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٨.



ثم تغير ذلك<sup>(١)</sup> أواخر زمن الأيوبيين، فصارت ضريبة الجوالى موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة<sup>(٢)</sup>، وكانت الجوالى تجمع من المشتغلين بالتجارة أو الصناعة وغيرهم، وكانت تدخل في الخراج أي الضريبة المفروضة على الأراضي<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر المقرئى عن قلة الجوالى حينما ذكر انه "في وقتنا هذا فإن الجوالى قلت جداً لكثرة إظهار النصارى للإسلام"<sup>(٤)</sup>، وفي عهد العزيز عثمان تغير جمع الجوالى وذلك بسبب الأزمة المالية التي أثرت عليها، إذ أن السلطان إضطر إلى إقتراض المال من الأمراء عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م، لدفع مرتبات شهر لحاشيته، وكان قد أخر دفع مرتباتهم إلى ١٤ شهر<sup>(٥)</sup> وتوصل السلطان إلى عمل إحالة لجوالى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦-١١٩٧م وجمعها ممن يدفعوها إلى الديوان السلطاني، وذلك بالإضافة إلى ما تعودوا على جمعه من الجوالى في إقطاعهم<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد نقصت هذه الجزية (الجوالى) في عصر المماليك البحرية حتى أصبحت تتراوح بين ٢٥ درهم و ١٠ دراهم على الفرد، وكان يخصص جزء من متحصل إيرادها إلى بيت المال في حين يخصص الباقي للإنفاق على بعض القضاة وأهل العلم، أما في الأقاليم وخارج القاهرة فإن الوضع استمر بأن تكون جزية أهل الذمة في كل بلد لمقطع تلك البلد من أمير أو غيره، وتجري مجرى مال ذلك الإقطاع<sup>(٧)</sup>، وتطور أمر الجوالى (الجزية) بين التوزيع الإقطاعي، وبين استيلاء السلاطين عليها، فاعتبروها ضمن إقطاعهم، فحتى قبل حدوث الروك الناصرى لم تكن الجزية تدخل ضمن الإقطاع، إذ اختص الملوك بها لنفسهم، ثم دخلت الجزية (الجوالى) في الإقطاعات في الروك بإضافة جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها فأصبح أهل الذمة يدفعون جواليهم إلى المقطع<sup>(٨)</sup>.

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٥.

(٢) النابلسى، تاريخ الفيوم وبلاده، ص ٢٩-٧١.

(٣) راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٣٩.

(٤) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٧.

(٥) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٦.

(٦) المقرئى، السلوك، ج ١، ص ١٣٣-١٣٤.

(٧) سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ٢١٥.

(٨) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٨١.



## المواريث الحشرية:

من الموارد المالية أيضاً للدولة هم الذين يموتون دون وريث<sup>(١)</sup> وهى تركات من يموت ولا وارث له<sup>(٢)</sup> فيذهب ماله إلى بيت المال<sup>(٣)</sup> حتى إذا ترك المتوفى وارث لا يستحق كل الميراث حسب الشرع، فيأخذ ما يحق له فقط ويذهب الباقي للدولة<sup>(٤)</sup> ففي عام ٥٨٧هـ/١١٩١م توفي صفى الدين أبو الفتح بن القابض وهو من كبار رجال موظفي الدولة وكان بلا وريث، وكان لديه ثروة كبيرة فورثها الديوان السلطاني وأخذ جميع ماله<sup>(٥)</sup>.

ولاشك أن كثرة الأزمات الاقتصادية وانخفاض فيضان النيل أو زيادته إلى حد الغرق وإرتفاع نسبة الأوبئة والطواعين وموت بل وهلاك الكثير من الناس كانت من الأسباب التي جعلت إيرادات المواريث الحشرية شبه ثابتة، فقد كانت المبالغ التي تأتي من المواريث أيام الأوبئة والأزمات الاقتصادية والمجاعات في زيادة مستمرة أي تزداد باستمرار<sup>(٦)</sup>، ففي الوباء الذي أعقب انخفاض فيضان النيل عام ٥٩٦-٥٩٧هـ/١١٩٩-١٢٠٠م نتيجة موت الآلاف من الناس ذكر أن العادل وحده كفن من الأموات في مدة قليلة نحو مائتي ألف وعشرين إنسان<sup>(٧)</sup> فمن الطبيعي أن يذهب كل ما يمتلكه من إرث إلى ديوان المواريث الحشرية<sup>(٨)</sup> وما حدث أيضاً في عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بعد انخفاض ماء النيل من الوباء والطاعون أن مات الناس كل يوم بالآلاف، حتى قيل أنه خرج في اليوم الواحد ألف وخمسمائة جنازة<sup>(٩)</sup> أيضاً من الطبيعي أن يعود مال جميع

<sup>(١)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ج-٣، ص ٤٦٠، ج-٤، ص ٣٣، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٧٩-١٨٠، النويري، نهاية الأرب، ج-٣١، هامش (٤) ص ٢١٧.

<sup>(٢)</sup> القلقشندي، المصدر نفسه، ج-٤، ص ٣٣، النابلسي، لمع القوانين المعنية في دراوين الديار المصرية، ص ٥٤.

<sup>(٣)</sup> ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٤٥٣، النويري، نهاية الأرب، ج-٣١، هامش (٣) ص ٣٤٨، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، هامش (٣) ص ٦٦، النابلسي، لمع القوانين، ص ٥٤.

<sup>(٤)</sup> ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٣١٩، حسنين ربيع النظم المالية، ص ٤٧.

- Hassanien Rabie; The financial system of Egypt, pp 134-135.

<sup>(٥)</sup> العماد الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٤١٠-٤١١، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٧.

<sup>(٦)</sup> راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٥٠.

<sup>(٧)</sup> المقريري، الخطط، ج-١، ص ٢٣٥، السلوك، ج-١، ص ٣٧٣، منشورات بيطون.

<sup>(٨)</sup> كان هذا الديوان يختص بتصريف شؤون المواريث الحشرية من يموت ولا وارث له، وكان يحصل على مال المواريث الحشرية من القساطر والقاهرة وقد جرت العادة في هذا الديوان أن كاتبه في كل يوم يكتب تعريفاً بمن يموت بمصر والقاهرة من حشري وأهلى من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ إلى الجهات المختصة، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج-٤، ص ٣٣، ج-٣، ص ٤٦٠، ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٤٥٣.

<sup>(٩)</sup> الحنبلي، شذرات الذهب، ج-٥، ص ٤٢٨.





من مات إلى ذلك الديوان المواريث، وكانت الدولة تلجأ إليه أيضاً عندما تحتاج إلى الأموال ويكون لديها عجز مالى، مثلما حدث في عهد السلطان صلاح الدين حينما إشتدت حاجته إلى المال فأخذ مال الأيتام في معركة عكا (نوبه عكا) فأخذ ما يبلغ عن ٣٠ ألف دينار وتأخر في سداده ولم يسدد منه إلا قليلاً<sup>(١)</sup> وما حدث عام ٦٩٥ هـ عندما اشتد ظلم الوزير صاحب فخر الدين الخليلي، عندما توقفت أحوال الدولة من كثرة النفقات، فاتجه إلى متحصل المواريث الحشرية وجعلها للغداء والعشاء.<sup>(٢)</sup>

وكان ديوان المواريث الحشرية يضع العراقييل أمام كل وارث يطالب بحقه في ميراث المتوفى فيلزمه هذا الديوان بإثبات نسبه أو استحقاقه للميراث، فيعاني الذي يطالب بحقه عناءاً طويلاً ومشقة كبيرة في عمل الإجراءات اللازمة لذلك، فيضطرون إلى التنازل عن حقوقهم وترك المطالبة بها.<sup>(٣)</sup> وقد قلت حصيلة ديوان المواريث الحشرية على عهد الصالح نجم الدين أيوب لا لانعدام الأوثنة في زمنه بل لتقصير مستخدمي الديوان في الاستيلاء على تركة من ليس له وارث أو تحصيل نصيب الديوان في تركة ما له وارث لا يستحق كل التركة، وأهم المستخدمين أيضاً حجج من يموت، وتتضمن هذه الحجج أموالاً كثيرة على المدنيين أن يدفعوها في وقت معلوم وهي موزعة في البلاد المختلفة بالوجهين البحري والقبلي بعيداً عن مقر الديوان وأهملوا السفر ولم يسافروا لجمعها ونتج عن هذا الإهمال الشامل في ديوان المواريث الحشرية أن عجز عن تحصيل نصيبه في بعض تركات من يموت خارج القاهرة<sup>(٤)</sup>، فما حدث عام ٧٣٨ هـ في عهد الناصر محمد بن قلاوون عندما عين صدر الدين الطيبي ناظراً لديوان المواريث الحشرية فطلب منه النشو ناظر الخاص أموالاً، فالتزم ناظر الديوان بإعطائه المال، وبسبب ذلك كان ناظر الديوان هذا يأخذ أموال التركات بدون أن يعطى الورثة منها شيئاً، فإن كان للمورث مركز كبير (جاه) وكان له ولد معروف ألزمه بإثبات نسبه إلى الميت وأنه يستحق ميراثه، فإن أثبت ذلك أرجعه إلى ما يتحصل من المواريث فيماطل

(١) المقریزی، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٢١.

(٢) على مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ١٣٨.

(٣) المقریزی، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٢١.

(٤) عباس حلمي، السياسة الداخلية في الدولة الأيوبية، ص ١٥٤.



بذلك مدة <sup>(١)</sup> حتى يترك ميراثه <sup>(٢)</sup> هكذا ارتبطت المواريث الحشرية بالحالة الاقتصادية للدولة خاصة أيام العشرة المالية. <sup>(٣)</sup>

وكانت هناك موارد مالية أخرى للدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية، مثل الأحكار <sup>(٤)</sup> دار الضرب <sup>(٥)</sup> والشغور <sup>(٦)</sup> لكن لم يظهر تأثير الأزمات الاقتصادية عليها، ولم ترد أي إشارة في كتب المؤرخين لأى أثر من أثر الأزمات عليها.

### المصادر: (٧)

من الموارد المالية الطارئة والشاذة وغير الثابتة <sup>(٨)</sup> وهى تعتبر سريعة العائد لجأت إليها الدولة لملء الخزانة الخاوية أو لمواجهة نفقات عادية أو طارئة كالحروب والجماعات والحفلات وغيرها <sup>(٩)</sup> هذا إلى جانب تمويل سفر السلطان أو للحج <sup>(١٠)</sup>، ولاشك أن السبب الأساسي وراء المصادرات كان سبباً اقتصادياً، حيث أن هناك علاقة عكسية فكما كان اقتصاد الدولة قوياً وثابتاً كان هناك الرخاء والسعة، أما إذا كان اقتصاد الدولة ضعيفاً ومتذبذباً، فيسود الظلم

<sup>(١)</sup> محمد أمين، الأوقاف، ص ٩٣.

<sup>(٢)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٣٥-٤٣٦.

<sup>(٣)</sup> البيومى إسماعيل، المصادرات، جـ ١، ص ١٤٤.

<sup>(٤)</sup> الأحكار ضمن موارد الدولة المتغيرة وهى حصيلة الأجور المقررة على ساحات كانت حكرًا ثم عمرت بالمساكن أو أنشئت بها البساتين، وظلت بأيدي أصحابها يدفعون عنها القيمة الإيجارية المقررة عليهم سنوياً. راجع: ابن مماتي، قوانين السرايين، ص ٣٤٢.

<sup>(٥)</sup> هى من موارد الدولة الأيوبية وهو مبلغ ما فرضته الدولة على أصحاب الأموال من الذهب والفضة وذلك مقابل قيام الدولة بسك تلك الأموال لهم بسكتها الرسمية، راجع: سعيد عاشور الأيوبيون والمماليك، ص ١٨٠، حسين ربيع، النظم المالية، ص ٤٩.

<sup>(٦)</sup> هى من الموارد المالية للدولة وهى ما يؤخذ من التجار الواصلين في البحر إلى الديار المصرية وكانت يؤخذ منها ما يعادل ٥/١ عن كل ما يجلبه التجار وهى تدخل ضمن موارد الدولة الضريبية التى عرفت بالسواحل، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٩٦.

<sup>(٧)</sup> المصادرة هى عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان أو بالمطالبة أو بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون أن يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض: د. البيومى إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٧م، جـ ١، ص ٢٣، وذكر بعض الباحثين أن المصادرة عمل تعسفى مجاف للعدالة ودليل على فساد الإدارة. راجع: محمد هجعت مختار عصفور، المصادرة في مصر المملوكية الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر المماليك، القاهرة سنة ١٩٩٠م، ص ٣-٥.

<sup>(٨)</sup> Hassanien Rabie: The Financial System of Egypt. P121.

<sup>(٩)</sup> د. البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص ٥٦.

<sup>(١٠)</sup> المرجع نفسه، ص ٥٦.



والجور على جميع الناس، وقد ذكر ابن خلدون في كتابه المقدمة "أن سبب تعدى الدولة على أموال الرعية حاجتها إلى المال من أجل الصرف على جميع نواحي الحياة".<sup>(١)</sup>

وتعددت المصادرات في العصر الأيوبي فنجد في عام ٥٧٧هـ/١١٨١م أن صلاح الدين صادر أملاك العربان بالشرقية، وصادر جميع مستغلاتهم<sup>(٢)</sup> (غلاتهم) وأمرهم بالرحيل إلى البحيرة وهذا بسبب أنهم أرسلوا الغلال إلى بلاد الفرنج<sup>(٣)</sup> في الوقت الذي أصاب مصر البلاء بسبب الفئران الذين أفسدوا الغلال<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٦١٢هـ/١٢١٥م صادر العادل ما يقرب من ٣٠٠٠ تاجر من الفرنج بالإسكندرية لأنه توجس منهم وشك فيهم وظن أنهم سيقومون بهجوم على المدينة.<sup>(٥)</sup>

وما حدث عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م عندما صادر الوزير صفى الدين ابن شكر أصحاب الأموال بمصر والقاهرة من التجار والكتّاب، وقرر التبرع على الأملاك.. وأحدث أشياء وحوادث كثيرة، وحصل على أموال كثيرة<sup>(٦)</sup> وربما يرجع ما فعله ابن شكر لأن البلاد كانت في حالة حرب مع الصليبيين في الحملة الصليبية الخامسة فاحتاجت الدولة إلى الأموال فعملوا على مصادرة الناس.

وفي عصر المماليك اختلف الأمر حيث كانت المصادرات إحدى سمات السياسة الداخلية للدولة المملوكية البحرية، ولم تكن إنطلاقاً من دوافع دينية، بل كانت تعبيراً عن العلاقة بين الحكام ورعاياهم من المسلمين وأهل الذمة<sup>(٧)</sup>، وتوالت المصادرات المختلفة في العصر المملوكي، ولم يجهد المماليك أنفسهم في معالجة الوضع الخاطئ في الدولة بل أسهل شئ عندهم هو المصادرة وذلك لسد العجز المالي ومواجهة الطارئ ففي عام ٦٥٨هـ/١٣٥٧-١٣٥٨م صادر قطز الترك الأهلية والكتاب لمواجهة حرب التتار<sup>(٨)</sup>.

<sup>(١)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٩٠.

<sup>(٢)</sup> جمع المستغل بفتح الغين، وهو كل ما أغل من أرض أو عقارات أو حانوت أو سوق أو طاحون، والمستغل بكسر الغين ما يأتي من المال أو غيره من هذه الأشياء، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، هامش (٤)، ص ١٨ (Dozy: supp. Dict. Ar).

<sup>(٣)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٧١.

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه، جـ ١، ق ١، ص ٩٤.

<sup>(٥)</sup> هايد. ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، سنة ١٩٨٥ - ١٩٩١م، جـ ٢، ص ٥٥.

<sup>(٦)</sup> المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ٣٢٤، منشورات بيزون.

<sup>(٧)</sup> قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٧٢.

<sup>(٨)</sup> Rabie, The Finicial System, P 129., Laoust, Le Hanbalisme sous les Mamluks Bahrides (Revue de Etades Islamiques, Tome XX VTTT, cahier1, Paris 1960, PP410.



بالإضافة إلى أنهم كانوا يصادرون أموال العامة من الناس في كل مكان في مصر، كان يقرر عليهم إيراد خيل أو دفع ما يعادل ثمنها<sup>(١)</sup>

وقد ذكر ابن إياس أنه عام ٧٠٠ هـ صودرت أموال العامة للصرف على حروب التتار<sup>(٢)</sup> لأن الناصر محمد أراد تمويل حملته لمواجهة غازان خان ملك التتار فشاور الأمراء في ذلك فاقترحوا عليه أن يجمع نفقه تلك الحرب من المباشرين وأعيان التجار والعامة، وتولى ذلك الأمر الوزير سنقر الأعسر فجمع الأموال بالشدة<sup>(٣)</sup>

وما حدث عام ٧٣٧ هـ عندما ثار الجند بسبب تأخر صرف كسوتهم، فألزم السلطان النشو ناظر الخاص بتدبير ذلك فقام بمصادرة ناظر المواريث بمبلغ ٥,٠٠٠ دينار، وناظر قليوب بـ ٨٠,٠٠٠ درهم ثم أخذ بضائع التجار، وبعض الترك وودائع الأيتام<sup>(٤)</sup> لدفع رواتب الجند.

وعندما كانت الدولة تلجأ إلى المصادرات لسد نفقات الجيش وتجهيزاته تشدد جامعوا الأموال على الفقراء واستخدموا وسائل التعذيب لاستخلاص الأموال وأخذها منهم<sup>(٥)</sup>.

ورغم أن الكثير ممن كتب عن العصر المملوكي البحري كانوا قد كتبوا وانبهروا بعصر الناصر محمد بن قلاوون وذكروا أنه عصر الازدهار، نجد نحن على الجانب الآخر أن المصادرات كثرت بصورة واضحة في عهد هذا السلطان خاصة في ظل وزيره النشو ناظر الخاص، فصادر النشو الكثير من الناس في أعوام ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م، ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م كل هذه الفترة شهدت العديد من المصادرات سواء في الوجهين القبلي أو البحري، أي أيضاً المصادرات شملت مجموعة موظفي الدولة من الإداريين في الإقليم<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد عملت الدولة المملوكية البحرية على مصادرة الوزراء والقضاة، فما حدث عام ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م عندما قبض على الوزير منجك وصادرت الدولة جميع أملاكه وحواصله<sup>(٧)</sup>.

---

(١) Ayalon, The system of Payment in Mamlouk Military, orient, leiden 1955, PP289-290

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٠٩.

(٣) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤١٤.

(٥) GlubbJB : Ashort History of Arab peoples, London, 1978, P.219.

(٦) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٦٠-٤٠٨-٤١٣-٤٦٩.

(٧) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٢٣.





بالإضافة إلى مصادرة القاضي علم الدين بن زنبور الدميرى والقبض عليه ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، فوجد عنده من الأموال ما لا يحصى عدده والكثير من الذهب والفضة وغير ذلك جمعه في مدة قليلة<sup>(١)</sup> وقد كانت للأزمة الاقتصادية الكبيرة التي حدثت عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م والتي حدثت نتيجة انخفاض مياه النيل وما تبعه من حدوث أوبئة ومجاعات في عهد السلطان المنصور شعبان الذي صادر رجال دولته كمقدم الدولة، والوزير، وناظر الدولة، بسبب قطعهم للجوامك وعجزهم عن تدبير الدولة مالياً.<sup>(٢)</sup>

وقد بلغ من ظلم المماليك وعسفهم أنهم صادروا النساء ففي عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م صادر الأتابك برقوق زوجة الأتابك أينك البدري وأخذ منها أموالاً كثيرة، فكان أشنع ما يكون فعله عندما صادروا نساء الأمراء، فكانت أول من صودر من نساء الأمراء.<sup>(٣)</sup>

إلى جانب أنه عندما كانت تقوم الفتن والاضطرابات في الدولة كانت تمتد الأيدي بالمصادرة في كل شئ ففي عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م عندما قامت الفتنة بين الأميرين بركة الجوباني، والأمير برقوق صادر برقوق الأمير بركة وأخذ كل أمواله إلى جانب الذهب والفضة والقماش والسلاح والخيام والبغال والجمال... وغير ذلك<sup>(٤)</sup>، إلى جانب ذلك فما حدث عندما مات أحد التجار وترك الكثير من المال والبهار والقماش وغير ذلك وله أربعة أولاد منهم ذكور وإناث، فعندما علم برقوق بموت ذلك التاجر أرسل وأخذ كل ما يمتلكه هذا التاجر، ولم يعط أولاده شيئاً من مال أبيهم الذي تركه لهم.<sup>(٥)</sup>

هكذا نجد أن المصادرات من موارد الدولة المالية الطارئة والسبب في ظهورها هي رغبة الدولة في سد العجز في الأموال أثناء حدوث الأزمات الاقتصادية سواء تحتاج للمال عند خروجها للحرب وتجهيز الجيوش وسد نفقات أو دفع رواتب الجنود، إلى جانب حدوث المجاعات والأوبئة، أضف إلى ذلك شره الحكام وحبهم لجمع المال وظلمهم وظلم أتباعهم وحاشيتهم في أخذ أموال الناس بالقوة.

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٤٤-٥٤٥-٥٤٦.

(٢) البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص ٢٦٢.

(٣) ابن إياس، المصدر نفسه جـ ١، ق ٢، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(٥) المصدر نفسه، حوادث سنة ٧٨٢هـ.



## أثر الأزمات على المصروفات في الدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية:

لاشك أن من أشق وأصعب الأمور على الباحث في المسائل المالية أن يحصل على إحصاء منظم ودقيق بين مصروفات الدولة ووجوه إنفاقها<sup>(١)</sup> وكل ما أورده لنا المؤرخين أرقاماً عن بعض أبواب النفقات في المناسبات السنوية كالكسوة في الأعياد الدينية والقومية، وما كان ينفق على بعض خزائن القصور دون تفصيل لماهية هذه النفقات أو مبلغ اختلافها من عام لآخر.

ولاشك أن من أهم الصفات التي إتصفت بها الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية باعتبارهما من الدول الإقطاعية الكبرى في الشرق والغرب هو الازدواج في الإدارة المالية، ذلك الازدواج الذي كان أساسه وجود جهاز مالي كبير يتصف بالمركزية إلى جانب وجود أجهزة إقطاعية محلية صغيرة بمختلف الأقاليم في وقت واحد، وقيام كل من هاتين الناحيتين الإداريتين بشئون معينة للإيراد والمنصرف في الدولة، مع الأخذ في الاعتبار أن إنتقال النظم المالية في الدولة الأيوبية من الاقتصاد النقدي إلى الاقتصاد الإقطاعي إلى ضعف ثم زوال ديوان المال، ليحل محله ديوان جديد اختص بالنظر في جميع شئون الدولة المالية من إيرادات ومصروفات، لذا سمي ديوان النظر<sup>(٢)</sup>، وكان لهذا الديوان أهمية كبيرة في الدولة نظراً لأنه اختص بمراقبة حسابات الدولة والإشراف على إيراداتها ومصروفاتها، ووصف المقرئى ناظر هذا الديوان بأنه من أكبر موظفي الدولة وأهمهم عملاً، وأعلامهم قدراً إذ صار له "أمر ونهى وحال جليلة لكثرة الحمول الواردة وخروج الأموال المصروفة في الرواتب لأهل الدولة وكانت أمراً عظيماً"<sup>(٣)</sup>، ونظراً لأهمية عمله وكثرة أعبائه ساعده عدد من الموظفين أهمهم مستوفى الصحة، وهو بمثابة وكيل الديوان وشهود بيت المال وصيرفي بيت المال<sup>(٤)</sup>.

وأول ما بدأ به أوجه الإنفاق في الدولتين الأيوبية والمماليك البحرية هي رواتب الجنود والتي كان مسئول عنها ديوان الجيش خاصة في ظل النظام الإقطاعي الذي ساد تلك الدولتين، حيث

(١) راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٥٤.

(٢) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٠، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٧٨.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٤) الصيرفي من وظائف كتاب الأموال، وهو الذى كان يتولى قبض الأموال وصرفها، وهو مأخوذ من الصرف، مزيد من التفاصيل راجع: د. حسن الباشا، الفنون والوظائف الإسلامية، ج ٢، ص ٧٢٣-٧٢٥.



كان الإقطاع يرتبط ارتباطاً قوياً بديوان الجيش<sup>(١)</sup> أو ديوان الإقطاع الذي عبر القلقشندي عن ديوان الجيش بأنه "مظنة الإقطاع"<sup>(٢)</sup> فقد كان مسئول مسئولية كاملة عن توزيع الإقطاعات<sup>(٣)</sup> بل كان مركز توزيع الإقطاعات<sup>(٤)</sup> هذا فضلاً عن شئون الصرف العام على الجيش والتعبئة والأسلحة والمؤن، والحاميات والحصون والقلاع، والمواقع، والمدن العسكرية مثل العادلية - المنصورية الصلاحية.<sup>(٥)</sup>

وتفصيل ذلك أن ذلك الديوان هو المسئول العام عن رواتب الأمراء والجنود والعسكريين والمقطعين وكان هذا الديوان يسجل كل شئ عن أسماء أصحاب الإقطاعات كل على حسب طبقته، وجميع أفراد الجيش وجيوش الأمراء، وعمن انتقل إليه الإقطاع، وعدد الجند الذين يقتنيهم في إقطاعه وأمام كل اسم عبره إقطاعه رمزاً لا تصريحاً، وتجنب هذا الديوان ذكر عبره (مقدار الدخل) أي إقطاع من الإقطاعات.. إلى جانب أنه ذكر أسماء العساكر الذين يتقاضون أجورهم نقداً أو غله لا إقطاعاً<sup>(٦)</sup>، وقد كان لديوان الجيش ناظر يعرف بناظر ديوان الجيش فكانت وظيفته أهم الوظائف في الدولة، وكان يساعده بعض كبار الموظفين مثل صاحب ديوان الجيش وينوب عنه الناظر في تصريف شئون الديوان ومستوفى الجيش ويقوم بتحديد الرواتب التي تصرف للجنود ويتم تسجيلها في كشوف خاصة بمساعده شخص يسمى مستوفى الإقطاعات ومستوفى الرزق ويشرف على صرف مرتبات الأجناد وأرزاقهم العينية<sup>(٧)</sup>

ولا شك أن حروب صلاح الدين سواء الداخلية والخارجية أي حركة الجهاد الكبرى ضد الصليبيين كانت قد أرهقت خزانه الدولة بل استنزفت جميع مواردها المالية.<sup>(٨)</sup>

---

(١) د. صلاح الدين البحيري، ديوان الجيش في الدولة الأيوبية، مقال بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة سنة ١٩٧٦ - ١٩٧٧ م، ص ١٧١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٥٣، إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١١٩.

(٣) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٢٧٠، - Poliak, feudalism in Egypt, P4

(٤) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦٢، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٤٥.

(٥) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٤٥.

(٦) النويري، لمحة الأرب، ج ٨، ص ٢٠٢-٢٠٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦٢.

(٧) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٤٦.

(٨) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٦٧-٦٨.



أي أنها وجهت كل قوتها ومواردها المالية للصرف على الحروب الصليبية، والإنفاق على العمارة الحربية وتجهيز الجيوش والأسطول<sup>(١)</sup>، ففي عام ٥٧٧هـ/١١٨١م بلغت عدة الجيش الأيوبي في مصر ٨٦٤٠ فارساً، وصلت النفقة عليهم مبلغاً كبيراً بلغ ٣٦٧٠٥٠٠ دينار، يضاف إلى ذلك المبلغ جامكيات الأمراء المحلولين ورواتبهم وهم الذين إملت عنهم (أخذت منهم) إقطاعاتهم، وصاروا طبقة مستثناه تعيش على الرواتب وكذلك كان شأن فرق العربان الكنانية والمصرية والفقهاء، والمستخدمين المرافقين للجيش، وتدل هذه المبالغ إن بلغت صحتها على مدى توجيه الموارد الاقتصادية للدولة الأيوبية للصرف على حروب صلاح الدين، ثم زادت نفقات الجيش الأيوبي بعد ذلك حتى بلغت عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م في أواخر عصر صلاح الدين نقلاً عن القاضي الفاضل مبلغ ٦٥٣٠١٩ ديناراً<sup>(٢)</sup> ولكننا نلاحظ أنه في وقت الحروب تزداد النفقة على الجيش والصرف عليه أما في أوقات السلم تقل النفقة على الجيش، والدليل على ذلك أنه بعد وفاة صلاح الدين قلت حركة الجهاد ضد الصليبيين فانخفضت نفقات الجيش نتيجة انخفاض الجيش الأيوبي إنخفاضاً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

وفي عهد السلطان الكامل زادت مصروفات الجيش بسبب حربه ضد الصليبيين بالحملة المعروفة بالخامسة، حتى إنتهت تلك الحملة بجلاء الصليبيين عن دمياط، فانخفضت المصروفات العسكرية عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م إلى ٦٠٠ ألف دينار فبلغ راتب الجندي العادي ٢٠ دينار مصرية، ولكل من كبار الجنود راتب تراوح بين ٤٠ - ٥٠ ديناراً، ومرة أخرى زادت المصروفات والنفقة على الجيش في عهد الصالح نجم الدين أيوب بسبب حروبه ضد الصليبيين، فاعتمد على الخوارزمية والأكراد ولكنهم غدروا به، ثم استبدل بهم فرق أخرى من المماليك البحرية الصالحة واشترى من المماليك الترك ما لم يشتري أحد حتى كان أكثر جيشه من المماليك فأعطاهم الإقطاعات الكثيرة والرواتب والجوامك تقديراً لإخلاصهم له<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من إرتباط الإقطاع بالأرض الزراعية إلى جانب الخراج الذي كان يتحدد على أساس الاهتمام بتلك الأرض ومقدار الدخل الذي تخرجه ومدى اهتمام الدولة بشبكة الري فكان الخراج يزيد ويأخذ المقطعين والجنود رواتبهم كاملة دون شكوى أو تضجر، وعندنا بعض

(١) مرفت عثمان حسن، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي، ص ١ المقدمة.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٨٧، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦٦.

(٣) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٦٧.





التقديرات للمبالغ التي كان يحصل عليها أمراء الإقطاع فقد بلغ إقطاع أمير مائه من ١٠٠ ألف إلى ٨٥ ألف دينار جيشية، أما أمير الطبلخانة فمن ٤٠ إلى ٣٠ ألف دينار، وكان أعلى إقطاعات أمراء العشرات ١٠ آلاف دينار وأقلها ٧ آلاف دينار، وأخذ المماليك السلطانية من ١٥٠٠ دينار إلى ٦٠٠ دينار في السنة، وخص جندي الحلقة من ٩٠٠ دينار إلى ٤٠٠ دينار في السنة.<sup>(١)</sup>

وقد رت تلك المبالغ السابقة وفقاً للروك الناصري في العصر المملوكي البحري فكانت تقدر بالدنانير الجيشية أيضاً وقد بلغ الدينار الجيشى زمن الناصر محمد عندما راك البلاد من عشرة دراهم إلى سبعة دراهم، فقد صار سعر الدينار الجيشى عام ٧٧٣هـ/١٣٧٥م، ١٣ ١/٢ درهم، وظل هذا الدينار مستعملاً للدلالة على ما يتحصل من خراج البلاد الداخلة في الإقطاع الخاص بالجيش.<sup>(٢)</sup>

وعلى الوجه الآخر نجد عندما ينخفض ماء النيل ويتسبب في حدوث أزمة اقتصادية ينتج عنها الوباء والمجاعة وموت الآلاف من الناس كانت الأرض الزراعية لا تزرع ولا تحصد وبالتالي يقل الخراج، وكان الخراج يقل أيضاً عندما تحدث الفتن والاضطرابات وذلك لأن الأمراء والجنود يشورون على بعضهم البعض وبالتالي يتركون إقطاعاتهم وبالتالي يهملون عملية تطهير الترع وصيانة الجسور فيقل الخراج فتعجز الدولة عن دفع رواتب الجنود والأمراء ومن هنا نشور ثائرتهم ليطالبوا برواتبهم المتأخرة عنهم وذلك مثلما حدث عام ٧٣٧هـ في عهد الناصر محمد عندما ثار الجند لتأخر صرف رواتبهم، وكسوتهم فقام ناظر الخاص المعروف بالنشو بتدبير نفقاتهم.<sup>(٣)</sup>

هذا إلى جانب عجز الدولة عن دفع رواتب الجنود وجاماكياتهم عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م نتيجة انخفاض ماء النيل وتفشى الأوبئة وقلة خراج الأرض، فعجزت عن تدبير ماليتهم<sup>(٤)</sup> وثارت الفتن والاضطرابات والفساد في الدولة بسبب ذلك.<sup>(٥)</sup>

أما عن مرتبات أرباب الأقلام والمقصود بهم هنا فئة الموظفين المدنيين والكتاب والقضاة وغيرهم وكانت مرتباتهم تصرف مشاهرة أي في غره كل شهر عربى من عين، وغله وكان لأعيانهم

<sup>(١)</sup> السيد الباز العرينى، المماليك، ص ١٨٣.

<sup>(٢)</sup> poliak , Feudalism in Egypt P21.

<sup>(٣)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٠٩.

<sup>(٤)</sup> البيومى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص ٢٦٢.

<sup>(٥)</sup> علاء رزق، السجون والعقوبات، ص ٦٦-٦٧.



الرواتب الجارية في اليوم من اللحم بتوابله، وكان لأكبرهم الشمع والزيت والكسوة في كل سنة<sup>(١)</sup>، وكان الوزير أكثرهم مرتباً إذ كان ما يأخذه في الشهر مائتان وخمسون ديناراً جيشياً أما معلوم القضاء والعلماء فكان أكثر من خمسون ديناراً شهرياً بالإضافة إلى ما يحصلون عليه من أوقاف المدارس وغيرها وكانوا يتوارثون هذه المرتبات إبناً عن أب ويرثها الأخ عن أخيه، وقد ذكر أن مجموع الأموال المصروفة من الرواتب لأهل الدولة بلغت في السنة نحو رعمائة ألف دينار ومن الغلال ما بين فول وقمح وشعير حوالي ٣٠٠ ألف أردب<sup>(٢)</sup>، كل هذه الرواتب أرهقت ميزانية الدولة إرهاقاً عجزت معه الدولة في تلبية متطلبات كثيرة بالدولة.

هذا وقد أرهق الملوك والسلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية خزانة الدولة بكثرة نفقاتهم المستمرة ومظاهر الترف والأبهة والعظمة، فكان المسئول عن ذلك ديوان الخاص السلطاني الذي كانت مهمته الإشراف على شئون السلطان المالية ومراقبة الخزانة السلطانية<sup>(٣)</sup> وكان المسئول عن هذا الديوان موظف كبير سمي بناظر الخاص<sup>(٤)</sup>، فنجد أنه على الرغم من حدوث الأزمات الاقتصادية التي تعجز الدولة عن إتخاذ التدابير اللازمة لها نجد العزيز عثمان بن صلاح الدين أثناء الأزمة الاقتصادية التي حدثت في عهده عام ٥٩٠-٥٩٢هـ/١١٩٤-١١٩٦م يمنح المنح والهدايا التي خرجت في عهده من الديوان السلطاني<sup>(٥)</sup>.

إلى جانب العادل الصغير الذي أرهق خزانة الدولة هو الآخر بالإنفاق والإسراف والسخاء بالمنح والهدايا والعطايا التي وزعت في عهده، حتى قيل أنه أنفق في مدة قصيرة ما يزيد على ٦ آلاف دينار و ٢٠ مليون درهم<sup>(٦)</sup> حتى ذكر المقرئ في ذلك نقلاً عن د. حسنين ربيع "أن أموال الهدايا كانت تحمل من ديوان الخاص إلى الأمراء وغيرهم على أقفاص الحمالين، ولم يترك أحداً في دولته إلا وشمله إنعامه"<sup>(٧)</sup>.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥١.

(٢) أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر في عصر الدولة المملوكية الأولى، ص ٤٦٨.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٢، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١١١.

(٤) من أهم وظائف ناظر الخاص الاهتمام بأمور الخزانة السلطانية وكانت بقلعه الجبل، وكانت توضع بها كل أمور المملكة وأموالها، ومن مهامه أيضاً أنه يجب أن يكون عارفاً بأمور الحساب وتحصيل الأموال وزيادتها، راجع: حسن باشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٢٠٨.

(٥) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦١.

(٦) المرجع نفسه، ص ٦١.

(٧) المرجع نفسه، ص ٦٢.



وفي عهد المماليك البحرية نجد زيادة مظاهر الترف والبذخ والعظمة والأبهة التي ظهرت في حفلات الزواج، الختان، الأسمطة (الولائم) وفي شراء المماليك والخيول، إلى جانب الخلع التي كان يخلعها السلاطين على الوزراء والعلماء والقضاة، إلى جانب رحلات الصيف التي كانت تكلف الدولة وترهق خزائنها بالكثير من الأموال، إذا علمنا أن السلطان كان يأخذ في خروجه الكثير من الأموال والأجناد وكل هذا من مصاريف الخاص السلطاني.<sup>(١)</sup>

وقد قدرت الأموال التي دُفعت في شراء المماليك في فترة ٧٣٢-٧٣٧هـ/١٣٣١-١٣٣٦م بحوالى أربعة آلاف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار<sup>(٢)</sup>، وقيل أنه كان يصرف على الأسمطة السلطانية والولائم الكثير والكثير، فقد كان السماط يعمل مرتين يومياً، وقد بلغ مصروف السماط في كل يوم من أيام عيد الفطر خمسون ألف درهم إلى جانب الأسمطة المتنوعة في المناسبات<sup>(٣)</sup> إلى جانب ما يصرف للأمراء من رواتب عينية من اللحم والزيت وغيره من الأصناف المتعددة وهي من أوسع جهات الصرف حتى أن ثمن اللحم وحده بلغ ٣٠ ألف درهم في كل يوم خارج عن الأصناف الأخرى، هذا إلى جانب النفقات والمصروفات على حفر الترع، والقنوات، وإقامة الجسور، والقناطر، وكان يتم ذلك في ظل السلاطين الأقوياء فقط، وقيل أن المصروفات على هذه المشاريع بلغ ربع متحصل الإقطاعات.<sup>(٤)</sup>

أضف إلى ذلك إرهاب خزانة الدولة بتلك المباني والمنشآت التي حرص السلاطين والأمراء على تشييدها، فمدارس ومساجد الناصر محمد بن قلاوون، وما كان يصرف عليها يومياً ٨ آلاف درهم<sup>(٥)</sup> وكان لبناء السلطان حسن لمدرسته التي كان مخصص لها يومياً في كل يوم عشرون ألف درهم حتى قيل أن من شدة كثرة الإنفاق على تلك المدرسة خشى السلطان حسن أن يترك بنائها حتى لا يقال عليه أن ملك مصر عجز عن إتمام ما بناه لترك بنائها بسبب كثرة ما صرف عليها<sup>(٦)</sup>، وليت سلاطين المماليك إقتصدوا في نفقاتهم الخاصة حتى يخففوا عن رعاياهم تلك

(١) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٤٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٧٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٧٩.

(٥) المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٥٣٧، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧٦.

(٦) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣١٦، النابلسى، الحقيقة والحجاز، ص ٢١٦.



الأعباء الثقيلة الموجودة والمتروكة على أكتافهم، وإنما استمروا في سياسة البذخ والانفاق في الوقت الذي يشكو منه الناس بسبب كثرة الالتزامات المفروضة عليهم.<sup>(١)</sup>

ولاشك أن سياسة البذخ والإسراف من جهة والمنازعات بين أمراء المماليك والفتن والاضطرابات من جهة أخرى أضرت وأدت إلى ضعف الأوضاع الاقتصادية ضعفاً شديداً فقد تعطل موسم الحج أكثر من مرة بسبب فقر الخزانة.<sup>(٢)</sup>

هذا وقد أرهقت الحروب الداخلية ضد طوائف العربان خزانه الدولة المملوكية البحرية أيضاً عندما خرجت الحملات العسكرية للقضاء على ثورات العربان وفسادهم فلم تقف سلطة المماليك مكتوفة الأيدي أمام ثورات تلك العربان فخرجت الحملات إلى الصعيد والبحيرة والشرقية وغيرها من أماكن تواجدهم للقضاء عليهم، فجاءت تلك الحروب لتلقى أعباء ثقيلة على خزانة الدولة وبالتالي فإنها زادت الأوضاع الاقتصادية سوءاً فوق سوء.<sup>(٣)</sup>

إلى جانب الحروب الخارجية التي زادت من الأوضاع الاقتصادية ضعف وسوء، فعندما خرج قطر لمحاربة التتار جمع الأموال الكثيرة من الرعية على مختلف طبقاتهم، فأنفق تلك الأموال على العسكر والعربان وجهاز حالة وجيشه<sup>(٤)</sup> وما فعله قطر أرهق وزاد الأعباء على الناس وأرهقهم مادياً في ظل ظروف اقتصادية سيئة كانت تمر بها البلاد نتيجة حالة الحرب والخزانة خاوية، فزادت الحالة الاقتصادية ضعفاً وسوءاً، هذا إلى جانب حروب الناصر محمد بن قلاوون ضد المغول بالشام التي أدت إلى أن تكون الخزانة خالية من الأموال فلا درهم ولا دينار بها وذلك عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م عندما هُزم من التتار عند حمص<sup>(٥)</sup> فرجع يطلب الأموال ليحارب التتار مرة أخرى ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، فطلب النفقة على الجيش والأموال للإنفاق على الحملات العسكرية<sup>(٦)</sup> فأثقل أمر أهله على الناس لأنهم جمعوا الأموال من الناس في الوجه البحري والوجه القبلي مائة ألف دينار.<sup>(٧)</sup>

(١) سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، ص ٣٥٧.

(٢) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١١٦.

(٣) سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، ص ٣٦٠ ص ٣٦٢.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٠٥.

(٥) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٠٨.

(٦) بيرس المنصوري، زبدة الفكر، تحقيق د. زبيدة عطا، ج ٩، ص ٣٣٤.

(٧) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٩٠٦.





كل هذا أثر على الأحوال الاقتصادية لتصبح أسوأ ما تكون، تلك الحروب الخارجية والحملات الدفاعية الداخلية كانت لها أثرها الفعال في إثقال كاهل الدولة والخزانه والرعية، فحاول السلاطين وأمرائهم تعويض ذلك النقص لتعويض الخزانه بالأموال، فالتجته إلى فرض المكوس والرسوم والمقررات على الناس..<sup>(١)</sup>

### أثر الأزمات الاقتصادية على الأوقاف:

على الرغم من تقسيم أراضي مصر بين السلطان وجنوده، إلا أنه لم يتبق من أرض مصر خارجاً عن الإقطاع إلا القليل<sup>(٢)</sup> فقد قال القلقشندي في ذلك "إلا النذر اليسير مما يجرى في وقف السلطان من الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها... مما لا يعتد به لقلته"<sup>(٣)</sup>، هذا معناه أن هناك أراضي كانت تقف على أعمال البر والمنشآت الخيرية وأن تلك الأراضي لم تكن شيئاً مذكوراً بالمقارنة إلى الأرض التي تدخل ضمن نطاق الإقطاع<sup>(٤)</sup>، لكننا بعد ذلك نجد أن الأوقاف انتشرت في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي حتى شملت بلاداً بأكملها<sup>(٥)</sup> وتطور إزدهار الأوقاف في العصر المملوكي تطوراً كبيراً، فقد حرص السلاطين والأمراء والأثرياء على وقف كافة ممتلكاتهم وبلغت الأوقاف التي يوقفها السلاطين والأمراء حداً كبيراً<sup>(٦)</sup> من المتحصلات، فقليل أن متحصل أوقاف مدرسة السلطان حسن في كل سنة يزيد عن متحصل مملكه ضخمة.<sup>(٧)</sup>

والذي ساعد على انتشار الأوقاف، وتشجيع السلاطين والأمراء وعامة الناس من الأثرياء وقف أملاكهم، هو إعفاء هذه الأوقاف من الضرائب والخراج، وكافة الأمور المالية وكان الأساس في هذا الإعفاء هو أن الأموال الموقوفة في سبيل الله ليس فيها زكاة، لأن المفروض في الوقف أنه صدقة وأن مصاريف الزكاة وأموال بيت المال، إنما توضع في مثل الموقوف عليهم ريع الوقف،

(١) سعيد عاشور، مصر في عصر المماليك البحرية، ص ١٠٨.

(٢) د. محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٢٩٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٥.

(٤) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٣-٣٤.

(٥) د. البيومي إسماعيل الشربيني، النظم المالية في مصر والشام عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٨م، ص ١١٨-١١٩.

(٦) محمد أمين، المرجع نفسه، ص ٣٠٣.

(٧) المرجع نفسه، نفس الصفحة.



سواء كانوا من الفقراء والمساكين أم من العلماء وطلبة العلم، أما الأوقاف الأهلية الموقوفة على أشخاص بعينهم فحكمها حكم سائر الأموال<sup>(١)</sup> ولعل الدافع وراء قيام الواقفين بعمل هذه المنشآت الخيرية هو التقرب إلى الشعب وإظهاراً للتقوى وإشباعاً لحاجة اقتصادية.<sup>(٢)</sup>

فالمساجد والمدارس وغيرها من المنشآت الدينية نجدها انتشرت بأعداد كبيرة سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكي البحري، وكان بها طلاب للعلم إلى جانب المدرسون والمحدثون والخطباء والقراء والمؤذنون، وألّف على جميع هؤلاء من ريع الوقف حسب ما قرره الواقف<sup>(٣)</sup> من هنا ساهمت الأوقاف بدور فعال في إثراء الحركة العلمية والتعليمية دون أن تنفق الدولة في هذا المجال الكثير<sup>(٤)</sup>، إلى جانب أن تلك الأوقاف كان لها الفضل الأول في الاهتمام بالناحية العلاجية، وتولى الصرف على هذه البيمارستانات ديوان الاحباس<sup>(٥)</sup> باعتبار الرعاية الصحية من أعمال البر والخير كما كان لهذه الأوقاف الفضل في استمرار الصرف على المنشآت العسكرية الهامة مثل الأبراج والقلاع والأسوار وقاعات السلاح، فجعلها بصفة دائمة في حالة تأهب وإستعداد لصد الأعداء في أي وقت، وتزداد أهمية هذه الأوقاف في وقت الحرب إذ تمثل الأوقاف مورداً مالياً ثابتاً.<sup>(٦)</sup>

فعند تجهيز الجيوش والإعداد لها تكون الحاجة إلى المال لها ضرورتها وأهميتها القصوى للإلتفاق على تلك الجيوش، وفي مثل هذه الأحوال يقع الاعتداء على الأوقاف والرزق الأحباسية عامة<sup>(٧)</sup> ففي

(١) د. محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ص ٩٢-٩٣.

(٢) البيومي اسماعيل، المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣) البيومي اسماعيل، النظم المالية في مصر والشام، ص ١٢١.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٥) ديوان الاحباس أو الأوقاف هو المسئول عن شؤون المؤسسات الدينية والخيرية، من مساجد ومدارس وربط وزوايا وغيرها كما يشرف على الأراضي والعقارات المحبوسة عليها، وكانت شؤون الاحباس في العصر الأيوبي من اختصاص القاضى، لكن الممالك قسموا هذه الشؤون إلى عدة أقسام منها الأوقاف المحبوسة على الحرمين وفداء الأسرى المسلمين، وتسمى الأوقاف الحكومية ويقال لمن يتولاها ناظر الأوقاف وهو غالباً قاضى قضاء الشافعية، ومنها ما اختص بالأوقاف الأهلية ولكل وقف منها ناظر خاص يوليه السلطان أو القاضى ويختار غالباً من أولاد الواقف، ومنها الاحباس الخاصة بالمساجد والزوايا وكان ينفق من ريعها على هذه المؤسسات الدينية ثم يوزع الفائض على شكل صدقات وعطايا على المحتاجين، وأشرف على هذا التقسيم الدوايدار وناظر الخاص، راجع: د. عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر المماليك، ص ص ١٣٤-١٣٥، سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٥٠.

(٦) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٢٣١.

(٧) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦٩.



أوقات الأزمات الاقتصادية كانت تفرض مبالغ مالية عليها، وفي هذه الحالة كان المستفيدون من الأموال يتضررون كثيراً من فرض تلك المبالغ المالية.<sup>(١)</sup>

وقبل الحديث عن تأثير الأزمات الاقتصادية على الأوقاف لابد أن نشير إلى أنواع الأوقاف المختلفة حتى يتضح تأثير تلك الأزمات على الأوقاف.

فهناك أنواع مختلفة من الأوقاف منها الرزق الأحباسية - الرزق الجيشية - أراضي الأوقاف فالرزق الأحباسية هي الأتيان التي أعطاه الخلفاء والملوك والسلاطين إلى بعض الناس بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية أي رزقه بلا مال<sup>(٢)</sup> أي بدون مال خراج، وبمعنى آخر معفاة من الضرائب، وتعرف هذه الأراضي باسم "الرزق" أو أراضي الرزق، ومعنى الأحباسية هو حبس هذه الرزق أو غيرها أو وقف ريعها على جهات معلومة محددة، على الرغم أن منها ما هو ليس موقوفاً وغير داخل في نطاق الوقف، فيصرف ريعه لأصحابها المستحقين، أما الموقوف منها فيصرف ريعه أو يحبس على المساجد، والكنائس، والأديرة، أو على أحد الفقهاء وذريته من بعده<sup>(٣)</sup> وغيرها من الجهات الخيرية وأعمال البر<sup>(٤)</sup> بحسب ما يشترط عليه الواقف، ويشرف عليها دوادار السلطان<sup>(٥)</sup> ومعه ناظر الأحباس<sup>(٦)</sup> ولها ديوان يديرها كما سبق أن ذكرنا.

وكانت الرزق الأحباسية يتوارثها الخلف عن السلف<sup>(٧)</sup> وقد كانت أراضي الرزق الأحباسية كثيرة ومنتشرة في معظم قرى مصر، حيث وجد في كل قرية قطعة أرض رزقه، خارجة عن الإقطاع والوقف والرزق الجيشية، ومثل الأوقاف كانت أراضي الرزق الأحباسية سواء كانت

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٩، حاشية (٦)، ص ٥٣.

(٣) القلقشندي، المصدر السابق، جـ ٤، ص ٥١، محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٨-١٠٩.

(٤) راجع: كتاب وقف بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ، الوثيقة رقم ٣٠ محفظة ٥، ملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبوة، جـ ٢، حاشية (٢) ص ٣٧٣، د. محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) دوادار: تتألف من كلمتين دواه العربية وهي ما يكتب منه، ودار الفارسية بمعنى ممسك، والمعنى الكلي ممسك الدواه أو الموكل بالدواه ويقصد بذلك الموكل بدواه السلطان أو الأمير، وكان الدوادار مطلعاً على ما يجري في الدولة من أمور، وما يقدم إلى السلطان من المكاتبات والرسائل، وما يخرج عنه من أوامر وتعليمات كان يشترط عليه كتم الأسرار: مزيد من التفاصيل راجع: حسن الباشا، الفنون والوظائف الإسلامية على الآثار العربية، جـ ٢، ص ٥١٩-٥٣٦.

(٦) متولي الوقف أو والي الوقف، وكان يعين لكل وقف ناظر يشرف عليه ويراعى مصالحه ويقوم بتعميره وتنميته، ويدبر أموره، ويراقب موظفيه، ويحصل إيراده، ويصرفه حسب شروط الواقف، راجع: حسن الباشا، الفنون والوظائف الإسلامية، جـ ٣، ص ١٢١٥.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٥١.



على المؤسسات، أو على الأفراد<sup>(١)</sup> ولنحل هذه الرزق بوفاء المستحقين (انقراضهم)، وتعود مرة أخرى إلى الديوان الذي خرجت منه، وكانت تخرج من بيت المال، كما خرجت رزق كثيرة من الأعمال الخيرية التابعة لديوان الخاص.<sup>(٢)</sup>

أما عن الرزق الجيشية: فهي أراضي تمنح من ديوان الجيش إلى الأمراء والأجناد الذين أقعدهم المرض، أو لكبر سنهم فعجزوا عن أداء واجباتهم الحربية المرتبط بالإقطاع، كما لم تمنح الرزق الجيشية للأمراء المتقاعدين وغير المتقاعدين، بل منحها السلطان أحياناً إلى زوجات الأمراء والأجناد وأراملهم وأولاد الناس وذرية السلاطين السابقين<sup>(٣)</sup> أو يمنحها السلطان إلى الذين غضب عليهم أو استولى على إقطاعاتهم، ثم عفا عنهم، وهذا الأمير المتقاعد أو المعزول هو ما عرف في المصطلح باسم "الطرخان"<sup>(٤)</sup> وجميع ما سبق كان كتاب الجيش يسمون الرزق الجيشية بالرزق المبررة لجرياتها مجرى الصدقة<sup>(٥)</sup>، وانتشرت أراضي الرزق الجيشية في أقاليم مصر كلها<sup>(٦)</sup> وكانت هذه الرزق تستثنى من الوقف والبيع شأنها شأن الأوقاف الأخرى<sup>(٧)</sup>، وغير ذلك من الأوقاف كانت هناك الأوقاف الحكومية ومعظم أوقافها ربايع أي دور ومبان، وكان المسئول عنها قاضي القضاة الشافعي<sup>(٨)</sup>، أما الأوقاف الأهلية، وهي الأوقاف التي لها ناظر من أولاد الواقف نفسه، أو من ولاة السلطان أو القاضي، وتشتمل أيضاً على أوقاف الخوانق وأماكن المتصوفة، والمدارس والجوامع، والترب.<sup>(٩)</sup>

(١) البيومي إسماعيل، النظم المالية، ص ١١٢.

(٢) محمد أمين، الأوقاف، ص ١٠٩.

(٣) Poliak. A. N.: Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1939, p.30.

(٤) ترخان لقب معروف عند المغول، ويقال أيضاً طرخان وعرف هذا اللقب في دولة المماليك التركية ونظمت اختصاصاته وهو من يسمح له بالخدمة السلطانية، يقيم حيث يشاء ويرحل متى شاء، مرة بمعلوم يتناوله مجاناً، ومرة بغير معلوم، وقد تكون الطرخانية للعسكريين من أمراء وأجناد وقد تكون لغيرهم من موظفي الدولة، وكانت الطرخانية تمنح في حالة العسكريين إما كأمان وعفو لعاص سلم نفسه أو هارب رجع، وإما لمحارب تقاعد عجزاً وكبر سنه بعد أن أمضى خدمته في طاعة وحسن عمل، وكانت تعطى في حالة الموظفين من غير العسكريين كمكافأة لمن ترك الخدمة لكبر سنه، وهي هنا أشبه بالإحالة على المعاش، وقد يمنح في هذه الحالة معلوماً شهرياً مقداره نصف مرتبه أثناء الخدمة، وقد يستقر هذا المعلوم لأولاده من بعده ثم لأولاد أولاده، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٤٨-٥٢، وحسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ١، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥١، ج ٦، ص ١٨٥.

(٦) ابن الجيعان، كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ص ١٦٩، ١٧٠، ١٧٧.

(٧) البيومي إسماعيل، النظم المالية، ص ١١٣.

(٨) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٥٠.

(٩) البيومي إسماعيل، المرجع نفسه، ص ١٠٥-١٠٦.





لم تقتصر الأوقاف في عصر المماليك على الحوانيت والفنادق والخانات كما كان الحال في العصور السابقة، بل اتسعت الأوقاف في ذلك العصر حتى شملت كثيراً من الأعيان الموقوفة مثل معاصر الزيت والقصب، والحمامات والطواحين والأفران والمصابن ومصانع النسيج وغيرها.<sup>(١)</sup>

لكن الأساس في كل ذلك بل الصدارة في هذه الأوقاف كانت للأراضي الزراعية الواسعة<sup>(٢)</sup> التي كانت تزداد مع مرور الزمن.<sup>(٣)</sup>

أما عن تأثير الأزمات على الأوقاف: فلا شك أن الأوقاف كانت تمثل إحدى الركائز الأساسية في اقتصاد البلاد بما تؤديه من خدمات في شتى المجالات، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، فسرعان ما تسرب الفساد إلى الأوقاف، وتدهورت وطمع فيها السلاطين، والشيء الذي دفع السلاطين للاعتداء على الأوقاف هو حاجتهم إلى المال وذلك للإنفاق على إعداد الجيوش، وتجهيزها ومن هنا وقع الاعتداء على الأوقاف والرزق الأحباسية<sup>(٤)</sup>، فعلى أثر عودة السلطان الناصر محمد الثالث إلى الحكم ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م، استولى الناصر على الأوقاف التي أوقفها بيبرس الجاشنكير على الخانقاة التي بناها وهي الخانقاة المظفرية بيبرس ووزعها إقطاعات<sup>(٥)</sup> وعندما رآك الناصر محمد البلاد عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م، عمل على إرجاع الرزق من الأوقاف من كل من يمتلك رزقه (من واضعي اليد عليها)، وما هو خاص ببيبرس الجاشنكير أخرجه، ولم يترك شيئاً مما أوقفه بيبرس حتى حله وجعل الجميع إقطاعات.<sup>(٦)</sup>

ولعل الاستغلال السيئ لأراضي الرزق الأحباسية، بالإضافة إلى كره السلاطين الجدد للسلاطين السابقين عليهم بسبب ما منحوه من الرزق لمن يستحق ومن لا يستحق، مما كان يؤثر على قوة الجيش، ويؤثر على موارد الدولة، مما كان يدفع هؤلاء السلاطين إلى حل هذه الرزق واستردادها، كما كان يحدث مع أراضي الأوقاف، وإن كان السلاطين قد وجدوا معارضة شديدة في حل

(١) عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر المماليك، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) البيومي إسماعيل، المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣) سعيد عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٥٠.

(٤) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٦٩.

(٥) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٦) المرجع نفسه، ص ٦٩-٧٠.



الرزق من العلماء والأئمة، الذين ظلوا يدافعون عن هذه الرزق، وأصدروا فتوى بعدم جواز حلها<sup>(١)</sup> برغم شروط الواقفين.<sup>(٢)</sup>

والذي أدى أيضاً إلى تدهور الأوقاف ليس طمع السلاطين فقط، لكن الأمر تطور إلى ما يخص القضاة، فقد كان قاضي القضاة الشافعية هو المسئول عن الإشراف على الأوقاف في عهد المماليك فهو لا يحصل على تلك الوظيفة بسبب كفاءته وحسن عمله، بل يحصل على تلك الوظيفة مقابل رشوة أو بدل، وكثيراً ما استخدمت هذه الكلمة في عصر المماليك لتدل على البرطلة (الرشوة)<sup>(٣)</sup>، هذا بالإضافة إلى أن هناك عوامل أخرى أدت إلى زعزعة نظام الوقف وتدهوره، منها استبدال الوقف بما يساوي قيمته، وقيام المسئولين بالاستيلاء على الأوقاف بطريقة أو بأخرى، وبيعها لمن يريد مقابل مبلغ من المال، إلى جانب قيام السلطان وحاشيته باستئجار الأوقاف بمبلغ مالي بسيط، ثم يؤجرونها، كل هذه المحاولات هدفت إلى الاستيلاء على ثروات الأوقاف وأثرت في اقتصاد الدولة المملوكية.<sup>(٤)</sup>

هكذا تعرضت جميع موارد الدولة من أوقاف إسلامية ودمية للحل والإقطاع أيضاً إلى جانب الجزية والزكاة والمعادن التي تعرضت أيضاً للإقطاع<sup>(٥)</sup>، والدلائل مختلفة والأمثلة عديدة على تدهور تلك الأوقاف.

فيذكر المقرئ في بداية حديثه عن المدرسة الفاضلية<sup>(٦)</sup> وما حل بالمكتبة الملحقة بها، فقد كانت تلك المكتبة بها مائة ألف مجلد، ولكن بيعت كلها وذهبت هباء وكان السبب في بيع تلك الكتب، أنه عندما حدث الغلاء بمصر في عهد السلطان كتبغا ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، حدث لهم الضرر والضيق، فباع الطلبة كل مجلد من الكتب برغيف من الخبز حتى يسدوا به جوعهم، وبذلك ذهب معظم ما كان بتلك المكتبة وما كان فيها من الكتب.<sup>(٧)</sup>

(١) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٧١، البيومي إسماعيل، المرجع السابق، ص ١١٣.

(٢) إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص ٧١.

(٣) أحمد عبد الرازق، البدل والبرطلة، ص ٣٠.

(٤) البيومي إسماعيل، النظم المالية، ص ١٢٢.

(٥) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٢.

(٦) أنشأها القاضي الفاضل سنة ٥٨٠هـ، ووقفها على الفقهاء الشافعية والمالكية وذلك في العصر الأيوبي، راجع: المقرئ،

الخطط، ج ٢، ص ٣٦٦، محمد أمين، الأوقاف، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٧) محمد أمين، الأوقاف، ص ٢٩٩.



وما حدث عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، في عهد السلطان الناصر محمد يدل على مدى تدهور تلك الرزق، فقد بلغت الرزق الأحباسية في عهده، مائة وثلاثين ألف فدان.<sup>(١)</sup>

تلك الرزق كانت معفاة من الضرائب<sup>(٢)</sup> وقد حاول النشو (عبد الوهاب شرف الدين) ناظر الخاص<sup>(٣)</sup> ضم الرزق الأحباسية إلى الديوان الخاص، إلا ما كان منها على مسجد عامر فيبقى له النصف، ويستولى على النصف الآخر<sup>(٤)</sup> مع أنه كان يطالب المزارعين بخراج هذه الرزق لمدة ثلاث سنوات مقابل ١٠٠ درهم عن الفدان، وقد كان النشو هذا شرهاً طماعاً في أموال الأوقاف والاستيلاء عليها، فقد سبق له الاستيلاء على ٢٥٠٠ دينار آتية من الشام من ربيع وقف الأشرفية<sup>(٥)</sup> وذلك عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، وعندما علم الناصر محمد بذلك أخذها منه،<sup>(٦)</sup> ومما بلغ من ظلم النشو وعسفه بالناس والرعية أصحاب الرزق الأحباسية، فقد حاول أخذ تلك الرزق بالإضافة إلى الأموال، وذلك حينما قال للسلطان محمد بن قلاوون أن تلك الرزق حصل الناس عليها بالرشاوي (البراطيل) والتقرب إلى الأمراء والحكام، وأكثرها كان ملك أشخاص من فقهاء الأرياف لا يعرفون الفقه ويسمون أنفسهم الخطباء، فلا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرأون القرآن، وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب، كل هذا من أجل تدبير الأموال اللازمة، فأنتهى الأمر بالقبض على النشو قبل اتخاذ أي قرار في هذا الأمر.<sup>(٧)</sup>

وما حدث عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م في عهد الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد عندما فرض أموال على الرزق بكافة أنواعها ومنها الرزق الأحباسية، فقد فرض ١٥٠ درهم على كل من بيده رزقة من أرض مصر<sup>(٨)</sup> ويعلق بن تغري بردي على كثرة الرزق في العصر المملوكي فيذكر في حوادث عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، في عهد المظفر حاجي قائلاً: "وفي هذه الأيام توقفت أحوال الدولة من كثرة الرزق بأرض بهتيم من الضواحي، وبأراضي الجيزة وغيرها".<sup>(٩)</sup>

(١) المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٢٩٥؛ المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٨٦، علي مبارك، الخطط، جـ ٣، ص ١٠٧.

(٢) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٨٦.

(٣) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٤) المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٢٩٥، محمد أمين، الأوقاف، ص ١١٠-١١١.

(٥) المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٢١١-٣٨٠.

(٦) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٤٣، محمد أمين، الأوقاف، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٧) المقرئزي، الخطط، جـ ١، ص ٢٩٥، محمد أمين، الأوقاف، ص ١١٠-١١١.

(٨) المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٣، ص ٦٨٩، محمد أمين، الأوقاف، ص ١١٠-١١١.

(٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٥٦، المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٧٢٤.



وتتابع استمرار تطاول الأمراء والسلاطين على أراضي الأوقاف والرزق الأحباسية، ففي عهد السلطان صالح بن محمد بن قلاوون عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، تعرضت الرزق الأحباسية الذميمة للحل والإقطاع، تلك الرزق خاصة بأهل الذمة من اليهود والنصارى، فقد قام بإحصاء تلك الرزق سواء ما كان منها مفرقاً في إقطاعات الأمراء، أو بعيداً عنها أو قائماً بذاته في جهات معينة بأرض مصر، وكانت نحو ٢٥ ألف فدان موقوفة على الكنائس والأديرة، فأعطى جزء لكل أمير صاحب إقطاع، كما أعطى جماعة الفقهاء بعضاً منها، وتكررت عملية الحل والإقطاع لهذه الرزق في عهد السلطان حسن وأتابكه الأمير صرغتمش<sup>(١)</sup>.

وفي عهد السلطان على بن شعبان ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، جمع الأمير برقوق الذي كان في ذلك الوقت كبير الأمراء، جمع القضاة وشيوخ العلم، وتحدث معهم في حل الأراضي الموقوفة على المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء، وعلى الرزق الأحباسية، وجهاز الأوراق بجميع الأراضي التي وقفت بمصر والشام وما هو مملوك منها، وتطلع إلى مبلغها فوجد أن مبلغها في السنة الواحدة مبلغ ضخيم جداً، وبرر برقوق فعلته هذه بأن هذا الوضع هو الذي أضعف جيش المسلمين، فاعترض شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، غير أن هذا الأمر انتهى بإخراج عدة أوقاف وتوزيعها في شكل إقطاعات<sup>(٢)</sup>.

مما سبق نستنتج أنه بسبب كثرة الأوقاف وما يتحصل منها من مبالغ ضخمة، وعدم خضوعها لفرض ضرائب عليها أو أي أموال نجد أن أيدي السلطة في الدولة قد اتجهت إليها عندما كانت الخزانة خاوية فارغة ليس بها أموال، وعاجزة عن الإنفاق على الجند ومتطلبات الدولة فاتجه معظم السلاطين إلى تلك الأوقاف لتمويل مشروعاتهم، وسد العجز في دولتهم سواء رضوا نظارها وقضاها أو لم يرضوا<sup>(٣)</sup>.

وبالطبع إن جميع ما ذكرنا من وجوه الإنفاق المختلفة لم تكن تمر دون إرهاب ميزانية الدولة فبمطالعة "الإستثمار" أو "الروزنامج"<sup>(٤)</sup> الذي يتضمن ما أنفق عيناً ونقداً من بيت المال سواء في

(١) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٧١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٩-٧٠.

(٣) البيومي إسماعيل، النظم المالية، ص ١١٩.

(٤) الإستثمار هو السجل الحكومي الذي يشتمل على أرزاق ذوي الأقالام وغيرهم من أرباب المناصب في الدولة مياومه ومشاهره ومساكنه من الرواتب من مبلغ عين وغله. (المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣٩٨، ج ٢، ص ٢٢٤، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٩١)، نقلاً عن: ابن الطوير، لزهة المقلتين، هامش (١)، ص ٧٦.





العصر الأيوبي أو المملوكي البحري، لاحظ المنصرف على المباني في الوقت نفسه نعرف ما أنفق في مطابخ وأسمطة السلاطين ونواب السلطنة والأمراء، هذا فضلاً غير ميزانية دار الفطر والكسوات التي كانت توزع في المناسبات المختلفة.<sup>(١)</sup>

والشيء الذي يجب ألا نغفله هنا عدم إحساس الملوك والسلاطين والأمراء بما يثن به الشعب فكانوا لا يشعرون بمحدوث الأزمات الاقتصادية أو نوبات الغلاء المتكررة وكانوا لا يتأثرون بها إلا في القليل النادر ممن عنده مروءة وإحساس بحال الفقراء من الناس وهم قلة قليلة مثل الظاهر بيبرس البندقداري، وربما ينتج عدم إحساس السلاطين بباقي أفراد الشعب نظراً للطبقة التي فرضها الممالك من أول يوم حكموا فيه البلاد، ونتيجة للفوارق والطبقة عاش المصريين حالة من الدولية والاغتراب أرغمهم عليها الممالك الذين استأثروا بكافة الامتيازات السياسية والاجتماعية دون غيرهم من عامة المجتمع المصري مما أوجد حالة من القصور في الطاقة الإبداعية للأغلبية المدنية من الفلاحين والعمال والمثقفين أثرت سلباً على قوة الدولة.<sup>(٢)</sup>

---

(١) ابن الطوير، لزهة المقلتين، ص ٨٥.

(٢) أرلولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: محمد فؤاد شبل، القاهرة، ط ٢، سنة ١٩٦٦م، ج ١، ص ٢٩٢-٢٩٣-٤١٣-٤١٧، علاء طه رزق، السجون والعقوبات، ص ٤.



## الفصل الثالث

### تأثير الأزمات الاقتصادية على المسكوكات (النقود)

- الملامح العامة للتداول النقدي في نهاية العصر الفاطمي إلى نهاية العصر الأيوبي.
- أثر الأزمات الاقتصادية على دار الضرب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.
- العوامل المؤثرة في قيام دور الضرب بعملها.
- تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن النقود الذهبية في العصر الأيوبي.
- تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن النقود الذهبية في العصر المملوكي البحري.
- تأثير الأزمات الاقتصادية على عيار النقود الذهبية في العصر الأيوبي.
- تأثير الأزمات الاقتصادية على عيار النقود الذهبية في العصر المملوكي البحري.



## الفصل الثالث

### تأثير الأزمات الاقتصادية على المسكوكات (النقود)

الملاحظ العامة للتداول النقدي من نهاية العصر الفاطمي إلى نهاية العصر الأيوبي:

لا شك أن النقود الرئيسية مثل الذهب كانت تمثل انعكاساً للحالة الاقتصادية في كثير من الدول الإسلامية التي سكته، لأن ارتفاع وزنها ونقاء عيارها كان دليلاً على الازدهار الاقتصادي في هذه الدول مثل الدولة الطولونية، وبداية الدولة الفاطمية بل النصف الأول منها، كما أن انخفاض وزن هذه النقود وتدهور عيارها كان دليلاً على تدهور الحياة الاقتصادية في الفترة التي ضربت فيها مثل العصر الأيوبي، والمملوكي بشقيه البحري، الجركسي، والذي عانت فيه النقود من اضطراب وفساد لم تعرف له مثيلاً من قبل<sup>(١)</sup>.

فلا يمكن لأحد أن يغفل عما حدث في أواخر العصر الفاطمي حينما أثرت الحوادث السياسية في المركز الاقتصادي للشرق العربي، إذ أخذت الدولة الفاطمية في التدهور والانحلال والاضمحلال، وفقدت صقلية أيام الخليفة المستنصر، وتحولت السلطة إلى الوزراء الذين كانوا أصحاب النفوذ على الخلفاء الضعاف، واشتد التنافس بين هؤلاء الوزراء على المناصب، إلى جانب تزايد نفوذ الوزراء والعسكريين<sup>(٢)</sup> نجد على الجانب الآخر انقطاع الدعوة للخلفاء الفاطميين منذ عهد المستعلي بالله من أكثر مدن الشام، واستعاد الصليبيون عسقلان في عهد الخليفة الظافر ونهب ملك صقلية النورمندی مدينة تنيس التي هوجمت أكثر من مرة<sup>(٣)</sup> وهدد الفرنج المصريين أثناء حكم الخليفة العاضد لدين الله، مما اضطره إلى الاستنجاد بالملك العادل نور الدين محمود صاحب دمشق<sup>(٤)</sup>، وقد كان يهدف التعجيل بالقضاء على الدولة الفاطمية<sup>(٥)</sup> وفعلاً ضعف أمر الخليفة العاضد<sup>(٦)</sup>.

---

(١) د. رأفت محمد محمد النبراوي، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، ط ١، سنة ٢٠٠٠م، ص ١٦.

(٢) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٩٤.

(٣) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ١٧٦ - ١٨٢.

(٤) Amin Maalouf, The Crusades Through Arab Eyes, Translated by Jon Roth Schild, 1983, P. 160.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٣٢ - ٣٣٣، السيد الباز العريتي، مصر في عصر الأيوبيين، ص ٢٤.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، ص ١٧٢ - ١٧٤.



وأزيل شعار الدولة الفاطمية<sup>(١)</sup> وسقطت تلك الدولة التي أسدل الستار عليها في هدوء "دون أن ينتطح فيها عتزان"<sup>(٢)</sup> في أول جمعة من المحرم ٥٦٧ هـ / ١٠ سبتمبر ١١٧١ م<sup>(٣)</sup> فقد كانت الأحداث السابق ذكرها أثر كبير في القضاء نهائياً على الدولة الشيعية الفاطمية<sup>(٤)</sup>، وقيام الدولة السنية الأيوبية في مصر والشام على يد قائدها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أحد قواد نور الدين محمود<sup>(٥)</sup>.

والواقع أن دراسة الأوضاع النقدية في مصر الأيوبية تستند في تفسيرها إلى الأحوال الاقتصادية التي عاصرت الدولة الأيوبية مدى الثمانين عاماً التي حكمت فيها مصر (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠ م)، وهي فترة لها أهميتها في تاريخ الشرق العربي كله<sup>(٦)</sup>، ويكفي الإشارة هنا إلى الحركة الصليبية والمطامع الغربية في البلاد العربية وإلى النشاط التجاري الهائل بين مصر وجيرانها من دول البحر المتوسط وخاصة الجمهوريات الإيطالية، ذلك النشاط الذي لم يكن ليحد من إندفاعه تدخل البابوية أو أعمال القرصنة التي لجأت إليها بعض الدول الأوروبية في البحرين الأبيض والأحمر لقطع تجارة مصر مع الشرق الأقصى وأوروبا على السواء<sup>(٧)</sup>.

والواقع أن بعض الكتاب المحدثين وعلى رأسهم (ميشيل دي بور)<sup>(٨)</sup> يميل إلى اعتبار عصر سيادة الفضة هو العصر الأيوبي، لكن لا يمكن القول بأن سيادة الفضة في المعاملات الأيوبية والكماش كمية الذهب من الأسواق المصرية كان حدثاً مفاجئاً أو طارئاً على العصر الأيوبي بل

(١) المقرئزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٤٣، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ ١، ص ٢٢.

(٢) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ١٥٦، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٦٩٨.

(٣) أبو شامة، الروضتين، جـ ١، ق ٢، ص ٤٩٢، ابن الأثير، الكامل، جـ ٩، ص ١١١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٧٠.

(٤) المقرئزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٤٣، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٦٩٩.

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع:

- Gaston wiet; le Egypt Arabe le Histoire de la Nation Egyptienne, IV, Paris, 1973, P.309.

الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غير، حققه وضبطه على مخطوتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، جـ ٣، ص ٥٤٧ إلى سنة ٧٠٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤٩.

(٦) ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق د. عبد الرحمن فهمي، ص ٣٧.

(٧) السيد الباز العريبي، مصر في عصر الأيوبيين، ص ٢٠١ - ٢٠٩.

(٨) M.de Bouard: L'Evolution Monetaire de l'Egypt Medieval (l'Egypte contemporaine) t.xxx, Caire, 1939, P. 427.





لا بد أن تكون له مقدمات متغلغلة وكامنة في تلك الأحداث السياسية والمركز الاقتصادي لمصر في أواخر العصر الفاطمي<sup>(١)</sup>.

فقد بدأت حدوث الضائقة المالية في مصر منذ عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م وكان أثرها شديداً للغاية على أهل مصر، وذلك لأن الذهب والفضة خرجا منها، وهما المعدنان اللذان لهما أهميتهما الخاصة<sup>(٢)</sup> في الدول، وقد ذكر المقرئ في ذلك قائلاً: "وفيها عمت بلوى الضائقة المالية بأهل مصر، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا، وعُدما فلم يوجد، ولهج الناس بما غمهم من ذلك، وصاروا إذا قيل دينار أجمر فكأنما ذكرت حرمة الغيور له، وإن حصل في يده فكأنما جاءت بشارة الجنة"<sup>(٣)</sup>، هذه العبارة تدل على انقلاب في تاريخ العملة وهو انقلاب لم يحدث له مثيل، وقد كان لسلسلة من العوامل جاءت وظهرت بالتدرج في نهاية العصر الفاطمي، وتفاعلت مع بعضها البعض فأوصل البلاد إلى مصير كهذا<sup>(٤)</sup>، وليس أدق من وصف المقرئ لتلك الحالة التي يوضح فيها ما وصل إليه النقد المصري بعد زوال الدولة الفاطمية، وخروج الأموال والنفائس من القصر<sup>(٥)</sup> وما حدث هو خروج الدراهم والدنانير والمصاغ والجواهر والملابس والأثاث والأقمشة والسلاح الشيء الكثير والكثير ما لا يفي به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر، ولا تشتمل على مثله الممالك، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة<sup>(٦)</sup>، كما أن المقرئ بين ووضح في العبارة السابقة قيمة النقود في مصر التي يعبر عنها بكلمة المصارف أي سعر صرف الدينار<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق د. عبد الرحمن فهمي، ص ٣٨.

(٢) F.A.Bradford: Money and Banking 6<sup>th</sup> ed, New York, 1949, PP. 16 – 17.

(٣) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٤٦ – ٤٧، المقرئ، شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق وإضافات على بحر العلوم، منشورات المطبعة الخيرية، بغداد، ١٩٦٧م، ص ٦٦ – ٦٧.

(٤) راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠٧.

(٥) د. سيدة إسماعيل كاشف، دراسات في النقود الإسلامية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر ١٩٦٤ – ١٩٦٥م، ص ٩٢.

(٦) الأب أنستاسي الكرملي، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط ٢، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧م، ص ٦٦ – ٦٧، د. سيدة كاشف، المرجع نفسه ٤ ص ٩٢.

(٧) المرجع نفسه، نفس الصفحة.



## العوامل أو الأسباب التي أدت إلى نقص معدن الذهب خلال العصر الأيوبي:

١. لا شك أن النزاع السياسي بين وزراء الدولة الفاطمية في عهد آخر خلفاء الدولة الفاطمية وهم الخلفاء الضعاف شغل الدولة عن الاهتمام بمرافق البلاد الاقتصادية فتسدهور حال الزراعة والصناعة، إلى جانب انخفاض استغلال مناجم الذهب في الصحراء الشرقية بحيث عجزت عن تمويل دور الضرب في البلاد<sup>(١)</sup> فلم يعد للحكومة أي إشراف رسمي على ما يستخرج منها بل ترك أمرها للوزراء يجمعون منها ما يمكنهم جمعه<sup>(٢)</sup> هذا إلى جانب عدم العناية والاهتمام الكافي بطرق استغلال تلك المناجم<sup>(٣)</sup>.

٢. عدم اهتمام الفاطميين بعمليات التجارة في أواخر أيامهم، وانشغالهم بعمليات إخماد الفتن والاضطرابات الداخلية، وبسبب ما فرضه الفاطميون من ضرائب باهظة للصرف على الحروب الفاطمية السلجوقية كل هذا أدى إلى قلة الصادر من الشب والنطرون وغيرها من السلع التي استندت عليها الثروة المصرية<sup>(٤)</sup>.

وما حدث لنهب الصليبيين لمدينة تنيس أعظم مراكز النسيج للأقمشة الفاطمية الدقيقة الصنع، فأصبحت صناعة المنسوجات بحجية كبيرة حرمت خزائن الفاطميين من حوالي ٢٠,٠٠٠ دينار سنوياً عندما كانت صادرات الدولة عديدة وكثيرة من تلك الأقمشة<sup>(٥)</sup> فقلت الصادرات المصرية من تلك المنسوجات وهبطت بشكل كبير.

٣. تدهور وتحلل الخلافة الفاطمية في آخر أيامها فقد كانت تحتضر وتحلل أثناء النزاعات السياسية الأخيرة ، ففي الوقت الذي كان صلاح الدين يعمل على الاستقلال بحكم مصر، اختفت من البلاد الذهب والفضة<sup>(٦)</sup> ففساد الحكم، وفساد الإدارة وحدوث

---

(١) راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٩٢.

(٢) عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، مقال في كتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، ص ٥٤٣.

(٣) ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة: د. عبد الرحمن فهمي، ص ٣٩، د. عبد الرحمن فهمي، من فضة الأيوبيين إلى نحاس الماليك، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية، العدد ٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٠ - ٧١.

(٤) De Bollard: Evolution Montaire de l' Egypte Medievale, P. 448.

(٥) عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، ص ٥٤٣، توفيق اسكندر، نظام المياضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧م، ص ٤٣ - ٤٤.

(٦) عندما كان الذهب والفضة من أشرف الأشياء كان النظر في أمورهما من أشرف الأمور، راجع: أبي الحسن علي ابن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، حققه: د. حسين مؤنس، ١٩٨٦م، ص ٩٦، وللذهب والفضة أهميتهما لما لهما من خصائص عديدة: راجع:

= F.A.Bradford; Money and Banking 6<sup>th</sup> ed, New York, 1949, PP. 16 - 17



الكوارث الاقتصادية من أوبئة ومجاعات وارتفاع الأسعار<sup>(١)</sup> كل هذا كفيل باختفاء الذهب والفضة من البلاد.

٤. تسرب الذهب والنفائس أثناء العمليات الحربية التي قامت بها البلاد<sup>(٢)</sup> والتي قامت بها مصر أيضاً منذ أواخر العصر الفاطمي وأوائل العصر الأيوبي<sup>(٣)</sup> حيث عمل الصليبيون أثناء احتلالهم بلاد الشام في العصر الأيوبي على تهريب الذهب من البلاد إلى أوروبا ومدنها مثل مارسيليا وبرشلونة والبندقية فقلت كميات الذهب الموجودة بالأسواق في مصر والشام<sup>(٤)</sup> فقد استهلكت عمليات الكفاح والجهاد الكثير من الدنانير الذهبية<sup>(٥)</sup> لذلك قل وجود الدنانير وقلت كميات الذهب اللازمة لضرب دنانير جديدة حتى أن مرتبات الجنود الأيوبيين رغم أنها مقدرة اسمياً بالذهب<sup>(٦)</sup> كانت تصرف بالدرهم الفضية على أساس أن سعر الدينار ١٦ درهماً<sup>(٧)</sup> فقد كانت ميزانية الدولة الأيوبية عامة مقدرة بالدنانير الذهبية، مع أن المصروفات لم تكن تسدد بغير الدرهم الفضية<sup>(٨)</sup>.

---

= فللذهب نفس الخصائص وكذلك الفضة وهذا للسلع بحسب اختلاف نوع المعدن، كذلك كان الذهب والفضة دائماً موضع طلب لإشباع حاجات التزين، راجع: د. محمد لبيب شقير، النقود، مكتب النهضة المصرية ١٩٩٥ م، ص ١٠، بالإضافة إلى سهولة النقل وعدم البلى ومجانسة أجزائها وصعوبة تزيفها وسهولة تمييزها وخصائص قابلية التجزئة والتشكيل والطرق والسبك دون تغير في ثمنها كما أن قيمتها لا تتغير كثيراً، د. نعيم زكي فهمي، التجارة الدولية، ص ٣٥٦، هذا وقد كان الذهب فئة نادرة من المسكوكات عالية القيمة سهلة التداول في العديد من الحضارات المختلفة، راجع: ديفيد وليام ماكداول، مجموعات النقود (صياستها - تصنيفها - عرضها) ترجمة: نبيل محمود زين الدين، حامد رمضان الجوهري، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ م، ص ٥.

(١) توفيق اسكندر، المرجع السابق، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) د. سيدة الكاشف، دراسات في النقود الإسلامية، ص ٩٢.

(٣) د. رأفت النبراوي، النقود الإسلامية، ص ٨٤، د. ضيف الله يحيى الزهراني، زيف النقود الإسلامية، ١٩٩٣ م، ص ٤٢ - ٤٣.

(٤) ابن بعرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق عبد الرحمن فهمي، ص ٣٩ - ٤٠، د. رأفت النبراوي، النقود الصليبية في الشام ومصر، ط ١، دار لمحة الشرق، القاهرة ١٩٦٦ م، ص ١٨٨.

(٥) حسين عبد الرحيم، النقود، إشراف وزارة المالية، ص ٧٢.

(٦) رأفت النبراوي، النقود الإسلامية، ص ٨٤، عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، مقال في كتاب القاهرة، ص ٥٤٤.

(٧) وقيل في موضع آخر أن مقدار سعر الدينار الذهب تتراوح فيما بين ١٣,٣٣٣ إلى ١٦ درهم، راجع: د. سامح عبد الرحمن فهمي، المسكوكات والقيم النقدية في وثائق الممالك البحرية في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٨٠ م، ص ٢٩٦.

- Hassanien Rabie: The Financial System of Egypt; P. 170.

(٨) سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٢٩٦، سهام محمد المهدي سليم، دار ضرب الإسكندرية ونقودها الإسلامية من الفتح العربي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٨٥ م، ص ٢٧٧.



٥. النفقات الباهظة التي ألّفها صلاح الدين (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ / ١١٦٩ - ١١٩٣ م) في سبيل إقامة دولته من هدايا وهبات ومبان، إلى جانب النفقات التي تكلفتها المنشآت التي أقامها صلاح الدين مثل القلعة وسور القاهرة فضلاً عن المنشآت الأخرى المختلفة كل ذلك أدى إلى أن تظل الخزانة خاوية<sup>(١)</sup>.

٦. يضاف إلى ذلك النفقات الباهظة التي تكلفتها العمليات الحربية بين المصريين والصليبيين من ناحية وبين صلاح الدين وبقايا الفاطميين من ناحية أخرى، إلى جانب ذلك الحروب الداخلية بين أبناء البيت الأيوبي، والتي استغرقت وقتاً طويلاً من عمر الدولة<sup>(٢)</sup>.

٧. لا شك أن سياسة الاكتناز<sup>(٣)</sup> التي لجأ إليها مختلف الناس وتحويل ما لديهم من ذهب إلى

مصوغات<sup>(٤)</sup> لزينة النساء أو الخزينة في البيوت<sup>(٥)</sup> وقد لجأ السلاطين أيضاً إلى تلك السياسة وذلك كي يحتفظوا بالنقود الجيدة فقط من الدنانير الذهبية دون غيرها<sup>(٦)</sup>.

---

(١) رضا رمضان السيد أبو الزهر، الزغل في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٣ م، ص ٣٠، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ٧٢.

(٣) الاكتناز هو نوع من أنواع الطلب على النقود، لأن الذهب والفضة سلع لها سعر التداول في السوق، وعندما كانت ترتفع أسعار السلع الغذائية عند حدوث الأزمات كانت تنخفض القوة الشرائية للنقود فيسرع الناس إلى اختزان الذهب (الدالير) وذلك خوفاً من خسارته وطمعاً في الاستفادة من قيمته، وذلك بعد أن تنتهي الأزمة، والشئ الذي ساعد على ازدياد ظاهرة الاكتناز تلك الأرباح الهائلة التي كان التجار يحصلون عليها من وراء ارتفاع السلع الغذائية، فقد كانوا يجمعون الكثير من النقود الذهبية التي يضطر أصحابها للتخلي عنها من أجل شراء الطعام، وبعد أن تنتهي الأزمة تستعيد النقود قوتها الشرائية وترتفع قيمتها... وعندما كانت تحدث كل مجاعة أو أزمة اقتصادية كانت تدفع بمزيد من الذهب إلى ظلام الاكتناز خاصة وأن الذهب كان يعتبر بالنسبة للدراهم عملة جيدة، وطبقاً لقانون غريشام (جريشام) فإن العملة الرديئة (الفضة) تطرد العملة الجيدة (الذهب) من السوق، وأخرجتها من دائرة التعامل الدائم، وقد أدى ازدهار التجارة الخارجية إلى تدعيم مركز التجار المالي، ومكنهم من الاحتفاظ بشرواقتهم وتنميتها حتى إنهم كانوا يعدون قوة تمويلية ضخمة يمكن أن تقوم بتمويل السلطان أو الملك في وقت الأزمات، حتى أن بعض رجال الدولة اقترحوا مصادرة التجار أثناء الأزمات، راجع: د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٨٣ - ١٨٤.

- Ehrenkreutz (A); Arabic Dinars Struck by the Crusaders; Journal of Economic and Social History of Orient, Vol. VII Part II, 1964, P. 179.

عن د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٤) توفيق إسكندر، نظام المقايضة في تجارة مصر، ص ٤٣ - ٤٤.

(٥) راشد البداوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٤٠٧.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٠٧.





## الإجراءات التي اتخذها صلاح الدين لمواجهة الأزمة النقدية:

ولمواجهة الأزمة النقدية التي تعرضت لها مصر في بداية العصر الأيوبي، اتجه صاحب الدولة صلاح الدين الأيوبي إلى العمل على إيجاد حل لتلك الأزمة فعمل على الآتي:

١. أمر صلاح الدين بضرب عملة ذهبية جديدة وذلك عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وعامي ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م - ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م<sup>(١)</sup> تلك الدنانير كانت كاملة من ناحية العيار الشرعي<sup>(٢)</sup> لوحة (١)، هذا على الرغم من وجود أزمة نقدية بالبلاد.

٢. جعل صلاح الدين الدراهم الفضية قاعدة التعامل<sup>(٣)</sup> وأصدر مرسوماً بذلك لاستخدامها في السوق المحلية<sup>(٤)</sup> وأصبحت البضائع والرواتب تقدر بالدنانير الذهبية ولكن تصرف قيمتها بالدراهم الفضية، والدليل على ذلك أن المقرئى أشار إلى أن راتب مدرس الفقه الشافعي بالمدرسة الناصرية زمن صلاح الدين بلغ ٤٠ ديناراً في الشهر، وأن هذا المرتب لم يصرف ذهباً، بل كان يصرف بالفضة، حيث كانت قاعدة التعامل كل دينار ٣٣٣، ١٣ درهم، وهذا يدل على ارتفاع أثمان الذهب في هذا الوقت<sup>(٥)</sup>.

٣. أدى انتشار الدنانير السورية<sup>(٦)</sup> في مصر والشام في المعاملات إلى طرد الدنانير الأيوبية الجيدة من الأسواق على حد قول القانون الاقتصادي الحديث، من هنا تدخل صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٨ م ومنع التعامل بتلك النقود والتي تضرر الناس من المعاملة

---

(1) Lane-Poole (S); Catalogue of the Collection of Arabic Coins, PP.203 – 204.

(٢) يرى الفقهاء أن إصدار النقود القانونية وظيفة دولة، لا يجوز أن يمارسها أو يدعيها فرداً أو مؤسسة، يقول النووي: "قال أصحابنا: ويكره لغير الإمام ضرب الدراهم والدنانير وإن كانت خالصة، لأنه لا يؤمن فيها الغش والإفساد، راجع: النووي، المجموع، ج٦، المكتبة السلفية، ص ١٠، نقلاً عن: يوسف كمال محمد، فقه الاقتصاد النقدي (المصرفية الإسلامية والسياسة النقدية)، ط ١، ١٩٩٦ م، ص ٩٨.

(٣) كانت الفضة بمصر تتخذ حلياً وأواني، وقد يضرب منها الشيء للمعاملات التي يحتاج إليها في اليوم لنفقات البيت: راجع: المقرئى، إغالة الأمة، ص ٦٤.

Balog: History of the dirhem, P. 113.

(٤) رضا رمضان أبو الزهر، الزغل في مصر والشام، ص ٣٠.

(٥) المقرئى، الخطط، ج٣، ص ٤٠٠.

- Hassanien Rabie; The Financial System of Egypt, P. 172.

(٦) الدينار الصوري هو الدينار الذي ضربه الصليبيون تقليداً للدنانير الفاطمية ثم الأيوبية، لمزيد من التفاصيل راجع: - د. رافقت محمد محمد البراوي، النقود الصليبية في الشام ومصر، دار النهضة الشرق، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦ م، ص ٢٧٨.



بها، وأمر أن تضرب دنانير من الذهب<sup>(١)</sup> المصري الخالص، وما يضرب من الدراهم الفضية الخالصة<sup>(٢)</sup>.

٤. ومن ضمن الإجراءات التي اتخذها صلاح الدين لتوفير معدن الفضة لإصلاحاته النقدية فقد عمل على خلع مناطق الفضة من المساجد بالقاهرة، وكان وزن إحداها التي كانت بحراب الجامع الأزهر خمسة آلاف درهم نقره<sup>(٣)</sup>، وذكر أن الغرض من ذلك كان لإخفاء معالم أسماء الخلفاء الفاطميين الموجودة على تلك المناطق إلا أنها لم تكن المناطق الوحيدة التي سجل عليها أسماءهم وألقابهم، ومن ثم فمن المرجح أن الغرض من خلعه كان بقصد إعادة صهرها وضربها مرة أخرى للتغلب على تلك الأزمة النقدية التي تعرضت لها مصر، خاصة أن المقریزی قد وزن إحداها بالدراهم<sup>(٤)</sup>.

هذا وترى الدكتورة سهام المهدي ونحن نرجح رأيها أن تلك الخطوة وهي خلع مناطق الفضة كانت إحدى الوسائل التي لجأ إليها صلاح الدين للتغلب على تلك الأزمة النقدية في معدن الذهب حيث جعل الدراهم قاعدة التعامل كما سبق أن ذكرنا، لتكون بديلاً عن الدنانير الذهبية من جهة وليحصل في مقابلها على الذهب المختزن لدى العامة، والذي ألجأهم الاضطرابات الجارية في أواخر العصر الفاطمي وبداية عصر صلاح الدين إلى اكتنازه من جهة أخرى، ومن هنا صار الدينار وحدة معاملة يصرف قيمتها بالدراهم، ومن المحتمل أن صلاح الدين رفع القيمة الفعلية للدراهم بالنسبة للذهب عن النسب الشرعية بينهما بحيث صار صرف الدينار ١٣,٣٣٣ درهم مع صرفه الشرعي عشرة دراهم<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكر القاضي الفاضل أن سبب تلك الضائقة المالية هي اختفاء الذهب لا الفضة من أيدي الناس، وأن الفضة ظلت وسيلة التعامل إلى حد كبير بدليل قوله: "لو لم تكن الدراهم سلعة لا تخرج من مصر كما يخرج الدينار لما وجدت كما لا يوجد الدينار"<sup>(٦)</sup>.

---

(١) سيدة الكاشف، المرجع السابق، ص ٩٢، حسين محمود الشافعي، العملة وتاريخها، ص ٩٩، حسين عبد الرحمن، النقود، ص ٧٥، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٠، ص ٣.

(٢) المقریزی، السلوك، ج ٢، ص ٩٩، الستاس الكرملی، النقود، ص ٦٧، حسين ربيع، النظم المالية، ص ٩٨.

- Hassanien Rabie; The Financial System of Egypt. P. 174.

(3) Ibid, P. 174.

(٤) سهام المهدي، المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(5) Sauvare (M.H); Matériaux Pour Servir à l' Histoire de la Numismatique et de la Metrologie Musulmane, P. 80.

(٦) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ١٧٧.

- Hassanien Rabie; op. cit., P. 174.



٥. إلا أن الأحوال الاقتصادية عادت إلى الوضع الأسوأ وذلك باستمرار الحروب ونفقاتنا المستمرة ضد الصليبيين، نتج عن ذلك أن صلاح الدين أمر بضرب دراهم من خليط معدني نصفه من الفضة والنصف الآخر من النحاس<sup>(١)</sup> سماها الدراهم الناصرية<sup>(٢)</sup>. لوحة<sup>(٣)</sup> (٢)، وقد كانت القيمة الفعلية لهذه الدراهم ٢٦,٦٦٦ درهماً للدينار الواحد<sup>(٣)</sup> تلك الدراهم، أعرض عنها أهل القاهرة، وذلك بسبب كثرة نسبة النحاس فيها<sup>(٤)</sup> هذا وقد كانت القيمة الاسمية التي حددها سعر الصرف الأيوبي لهذه الدراهم الناصرية تتفوق على قيمتها المعدلية، مما أضر بالناس ضرراً بليغاً حتى لقبوها في مصر والإسكندرية بالزيف<sup>(٥)</sup> أي الدراهم الزائفة هذا وقد ظهر ما هو أردأ من تلك الدراهم من العملات

(١) المقریزی، شذور العقود، ص ١٧٢، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٠، ص ٣٩، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على المناوي، النقود والمكايل والموازن، تحقيق د. رجاء محمود السامرائي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، سنة ١٩٨١م، ص ٢٣، حسن محمود الشافعي، العملة وتاريخها، ص ٩٩.

- Paul - Balog; History of The Dirhem in Egypt From the Fatimid Conquest Until the Collapse of the Mamluk Empire (358 H - 922 H/ 968 AD - 1517 AD); Tom III, 1961, P. 123.

(٢) ابن بعرة كشف الأسرار، مقدمة المحقق د. عبد الرحمن فهمي، ص ٤٠.

- Balog; op. cit., P. 123.

لم يقض الإصلاح النقدي الذي قام به صلاح الدين على الأزمة النقدية في البلاد لفساد حال الدراهم الفضية وارتفاع قيمتها النقدية مقابل الذهب لذا استمرت تلك الإصلاحات مع إجراء بعض التعديلات عليها من قبل خلفاء صلاح الدين،

- Rabie; H.M; The Financial System of Egypt, PP. 173 - 177

راجع:

- النجدي، النظام النقدي المملوكي، ص ٤١.

(3) Ehrenkreutz; Contributions to the Knowledge of the Fiscal Administration of Egypt in the Middle Ages, Bulletin of the school of Oriental and Africa Studies University of London, Vol. 16. Part 3, 1954, P. 504., Rabie; The Financial; P. 175.

(4) Paul - Balog; Ayyubid Divional Currency Issued in Egypt By Al-Kamil Muhammad I, Tirage a Part de la "Gazette Numismatique Suisse" 27, 1977, Cahier 107. P. 36.

- عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة، ص ٥٤٤.

(٥) المقریزی، شذور العقود في ذكر النقود، ص ٦٠، ابن بعرة كشف الأسرار، مقدمة: د. عبد الرحمن فهمي، ص ٤٠، د. حسين

ربيع، أنظم المالية، ص ٩٩، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، النقود والمكايل والموازن، ص ٢٣، د. ضيف الله يحيى

الزهراني، زيف النقود الإسلامية، ١٩٩٣م، ص ٣١، د. رافت النراوي، النقود الإسلامية، ص ٥٥، أطلق على المسكوكات

الفاصلة مصطلح (الزيف) جمع زيف، وزافت الدراهم تزيفاً وزيفاً أي فسدت وبارت، والمقصود هو القطعة النقدية غير

الحالصة أو التي خلطت بمعادن رخيصة. راجع: سيدة كاشف، دراسات في النقود، ص ٩٩. وكثيراً ما يطلق هذا اللفظ على

النقود القديمة (العتق) لكثرة ما بداخلها من الفساد والغش. راجع: ابن منظور: العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن

مكرم المعروف بابن منظور الأفریقی المصری الأنصاری الخرجی، لسان العرب، ط ١، المطبعة الأميرية ببولاق، ج ١١،

ص ٤٢ - ٤٣ (مادة زيف)، المقریزی، النقود، ص ٦٠، النجدي، النظام النقدي، هامش ٢، ص ٥٣٩.



القديمة الناقصة، وهي المعروفة باسم الدراهم السوداء<sup>(١)</sup> تلك الدراهم التي كانت عبئاً ثقيلاً على الناس خصوصاً في وقت نقص فيه الدينار بشكله المعتاد<sup>(٢)</sup>.

استمر الحال على ذلك حتى بعد وفاة صلاح الدين وولده العزيز عثمان<sup>(٣)</sup> ففي عهد الملك العزيز ابن صلاح الدين، والذي بدأ سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ضربت نقود نحاسية تحمل اسمه وهي أقل دقة في كل شيء<sup>(٤)</sup> وفي عهد الملك ناصر الدين محمد بن عبد العزيز الملقب بالمنصور ضربت نقود رديئة الصنع خالية من النقوش وذلك عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م<sup>(٥)</sup>.

ومن المرجح أن النقود النحاسية ضربها الملوك الأيوبيون حتى تكون عملة مساعدة إلى جانب الدراهم الفضية الرديئة في ظل الظروف الاقتصادية القاسية التي مرت بها البلاد من أوبئة ومجاعات في ظل فيضان النيل، إلى جانب استمرار الحروب ونفقاتها ضد الصليبيين، كل هذا أدى إلى الإضراب النقدي العام<sup>(٦)</sup>.

ازدادت الحالة الاقتصادية النقدية سوءاً في عهد الملك العادل عندما أمر عام ٦١١ هـ / ١٢١٤ م باستخدام ما هو معروف باسم القراطيس السود العادلة<sup>(٧)</sup> البتي استخدمها وزناً لا عدداً<sup>(٨)</sup>.

---

(١) د. حسين ربيع، النظم المالية، ص ٩٩، Paul-Balog; History of Dirhem, P. 123، ذكر المقرئى أن معاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصرى وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها فى القديم الفلوس فقط، فقطعها الملك الكامل فبقيت إلى الآن مقطوعة منها. راجع: المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٣٦٧، وذكر القلقشندى أن الدراهم السوداء تعتبر اسماً على غير مسميات كالدينار الجيشى ودينار الأسطول. راجع: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٣، د. خلف فارس الطراولة، المسكوكات الأيوبية فى ضوء متحف الآثار الأردنى، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٧٣.

(٢) خلف الطراولة، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٣) حسن محمود، العملة وتاريخها، ص ٩٩.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٥) Hassanien Rabie; The Financial System, PP. 503 – 504.

(٦) حسين ربيع، النظم المالية، ص ٩٨ – ٩٩.

(٧) ذكر المقرئى أن القراطيس نوع من الفلوس النحاسية وهى دراهم ملفوفة على شكل إصبع. راجع: المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، هامش ٥، ص ٢٠٥، وهى كانت مشهورة بدمشق، فنقلت هذه الفلوس الخفاف إلى مصر وخلطت بفلوس المعاملة، وهى الفلوس المضروبة حسب قوانين الدول القائمة، وتكون متداولة بين الناس مقبولة لديهم بقيمتها الرسمية. راجع: المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، هامش ٧، ص ٢٠٥.

(٨) خلف الطراولة، المرجع السابق، ص ١٧٣.





وفي عهد الملك الكامل حاول إصلاح النقد المصري كله من ذهب وفضة ونحاس فعمل على إبطال التعامل بالدرهم الناصرية سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م<sup>(١)</sup> المسماة بالعتق<sup>(٢)</sup> ثم ضرب السلطان الكامل دراهم فضية مستديرة<sup>(٣)</sup> لوحة<sup>(٤)</sup>، سماها الدراهم الكاملية<sup>(٥)</sup> وذلك عندما أصدر الكامل أوامره إلى حاملي الدراهم الناصرية المعروفة (بالزئوف) أن يتوجهوا إلى الصيارفة لاستبدالها بالدراهم الكاملية على حساب كل رطل من الدراهم الناصرية بدرهمين ونصف من الدراهم الكاملية، والتي كانت أحسن وأفضل عياراً لأنها تحتوى على ثلثين من الفضة وثلث من النحاس<sup>(٥)</sup> وتسمى بالدراهم النقرة<sup>(٦)</sup> وقد أدى انتشارها ورواجها في مصر إلى طرد الذهب من الأسواق<sup>(٧)</sup>.

هناك من يميل إلى اعتبار عصر الأيوبيين في مصر هو عصر سيادة الفضة<sup>(٨)</sup> وأن الدراهم الفضة قد راجت في دولة بني أيوب في مصر رواجاً كبيراً، وقل الذهب بالنسبة إليها وصارت تنسب إليها

(١) ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق د. عبد الرحمن زكى، ص ٤٠، د. رأفت النبراوي، المسكوكات الإسلامية، ص ١٠١.

- Balog; History of the Dirhem In Egypt, P. 123.

(٢) من المحتمل أن تكون الدراهم العتق هي الدراهم الفاطمية القديمة، أو هي الدراهم الناصرية السابقة بعد أن انحطت قيمتها انحطاطاً تاماً، أو هي القراطيس السود. د. حسين ربيع، النظم المالية، ص ١٠٠، وقيل أنها تعرف في مصر والإسكندرية بالورق. محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، النقود والمكايل، ص ٢٣، الستاس الكرملي، النقود، ص ٦٧، على مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ٣٩، وهناك من يذكر أن الدراهم العتق أى القديمة المطبوعة من الأزمنة السابقة قد تلفست وكسرت بمرور الزمن، وحصل للناس ضرر لأنه أبطل التعامل بها، وكان الناس يتعاملون بها كأنها دراهم صحيحة، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، هامش ٣، ٤. ص ١٣١.

(٣) الدواداري، كثر الدرر، ج ٧، ص ٢٧١، الستاس الكرملي، النقود، ص ٦٧، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص ٩٣.

- Balog; History of the Dirhem, P. 123.

- Balog; The Coinage of the Ayyubids, Royal Numismatic Society, Special Publication, No. 12, London, 1980, P. 29.

(4) Rabie; The Financial System of Egypt, P. 504.

(٥) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٦٥ - ٦٦، المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١١٠، المقرئى، شذور العقود، ص ٦٠، ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٤٠، حسن محمود الشافعى، العملة وتاريخها، ص ١٠١، عبد الرحمن فهمى، من فضة الأيوبيين إلى نحاس المماليك، ص ٢٣، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص ٩٣، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، النقود والمكايل والموازن، ص ٢٣، عبد الرحمن فهمى، مجموعة النقود العربية وعلم النميات، مطبعة دار الكتب ١٩٦٥ م، هامش ١ ص ٢٢٩.

- Balog; History of the Dirhem, P. 123.

(6) Balog; The Coinage of the Ayyubids, P. 29.

أطلق عليها اسم الدراهم النقرة نسبة إلى دقتها وضبطها في الوزن والعيار والسك، النجيدى، النظام النقدي، ص ٤٩ - ٤٢. لمزيد من التفاصيل أنظر:

- Balog; History of the Dirhem, P. 123. 130 - 133.

- Balog; The Coinage of the Ayyubids, P. 37.

(٧) ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق، ص ٤٠، رأفت النبراوي، النقود الإسلامية، ص ١٠١.

(8) M. de Bouard; l'Evolution Monetaire de l'Egypte Medievale (l'Egypt Contemporaine) TXXX. Caire, 1939, P. 427.

هذا وقد عرفت مصر الدراهم الفضية منذ عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ولما شحت العملة الذهبية في عهد صلاح الدين، وفي عهد خلفائه أصبحت الدراهم الفضية هي العملة الرئيسية التي استقر عليها النقد منذ عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م = أحمد دراج، إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري، الموسم الثقافي بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م، ص ٢١٢ هامش ٣ ص ٢١٣.



أثمان المبيعات عامة، وقيم الأعمال، وبها يؤخذ خراج الأرضين<sup>(١)</sup> وأجرة المساكن وغير ذلك، وقد كان الدرهم الكامل يزن ١٨ خروبه أي ٣,٣٩ جم<sup>(٢)</sup>.

وفي نفس العام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م أصدر الملك الكامل فلوساً نحاسية<sup>(٣)</sup> لوحة (٤)، نتيجة حاجة الناس للتعامل بما هو أقل من الدرهم، وقيل أنها أصبحت عملة شرعية أو قانونية<sup>(٤)</sup> وكانت قيمة تلك الفلوس النحاسية كل ٤٨ فلس بدرهم واحد كاملي<sup>(٥)</sup> حتى أن تلك الفلوس انقسمت إلى قطع وكسور<sup>(٦)</sup> وذلك لتسهيل عملية الشراء والبيع بين الناس<sup>(٧)</sup> في الأسواق<sup>(٨)</sup> غير أن التعامل ظل يجري على قاعدة الفضة<sup>(٩)</sup>.

ولا شك أن عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م كان عاماً هاماً في تاريخ النقد الأيوبي ذلك العام الذي قلب الموازين والأمور رأساً على عقب، فقد حدثت أزمة نقدية اقتصادية في القاهرة على

---

(١) ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق، ص ٣٨، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص ٩٣، النجدي، النظام النقدي، ص ٤١ - ٤٢.

(٢) رأفت النبراوي، النقود الإسلامية، ص ١٠١، -Balog; The Coinage of the Ayyubid, P. 29.

(٣) الدواداري، كثر الدرر، ج ٧، ص ٢٧١، - Hassanien Rabie; The Financial System, P. 181.

وهناك من ذكر أن كلمة فلس لا تعني بالضرورة عملة نحاسية بالرغم من أن استعمالها هو الشائع ويعتقد أن كلمة فلس تشير إلى أى قطعة من العملة تقبل بالوزن، وهى كلمة استعارها العرب من البيزنطيين. راجع: عبد الرحمن فهمي، صنيج السكة، ص ٣٦.

(٤) Balog; Ayyubid Divional Currency, P.62.

(٥) المقرئزي، إغالة الأمة، المقدمة ص ٣.

(٦) يقسم الفلس إلى أربع قطع تقوم كل قطعة مقام فلس، يشتري بها ما يشتري بالفلوس حتى يستطيع غير القادرين من الناس على شراء حاجاتهم، حتى يكون الفرق هم، راجع: المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٧٠، يحكم الفقهاء على بخس قيمة النقود بألسه جريمة يعاقب عليها شرعاً من يتسبب فيها ويقول ابن العربي: وكسر الدنانير والدراهم ذنب عظيم، لأنها الواسطة في تقدير قيم الأشياء والسييل إلى معرفة كمية الأموال وتزيلها في المعاضات، حتى عبر عنها بعض العلماء أنها القاضى بين الأموال عند اختلاف المقادير أو جهلها، وإن من حبسها ولم يصرفها فكأنما حبس القاضى وحجبه عن الناس، والدراهم والدنانير إذا كانت صحاحاً قام معناها، وظهرت فالدنم، فإذا كسرت صارت سلعة وبطلت فيها الفائدة، فأضر ذلك بالناس، فلأجله حرم، وقال ابن المسيب، قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الأرض وكذلك قال عمر بن عبد العزيز، بأن ذلك تأويل قوله تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" (الأعراف، آية رقم ١٥)). راجع: يوسف كمال محمد، فقه الاقتصاد النقدي، ص ٩٩.

(٧) د. حسنين ربيع، النظم المالية، ص ١٠١، المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٧٠، ضربت الفلوس النحاسية بالقاهرة ومصر، وصارت من جملة النقود، وثقرت القيمة عن كل درهم ورق من معاملة الديار المصرية ستة عشر فلساً. السويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، هامش ٢ ص ١٣١.

(٨) خلف الطراونة، المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٩) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٣١٣، أحمد دراج، المرجع السابق، هامش ٢ ص ٢١٣.



عهد الملك الكامل، تلك الأزمة التي أدت إلى زيادة كميات الفلوس النحاسية<sup>(١)</sup> زيادة غير طبيعية حتى أصبحت العمليات التجارية لا تجد ما يكفيها من الدراهم الفضية الأيوبية<sup>(٢)</sup>، وانحط السعر انحطاطاً كبيراً، وانخفضت قيمة الدينار من الدراهم الفضية إلى عشرة فقط وإلى ١٨ من الدراهم الفلوس النحاسية<sup>(٣)</sup>.

وكان الباب مفتوحاً لظهور العملات الفضية الأجنبية في أسواق القاهرة مثل نقود البندقية التي بدأ ضربها عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م، واتبعت فلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية التجارية نفس الطريق الذي اتبعته البندقية، ولا شك أن هذا الوضع كان عاملاً هاماً في اختفاء الفضة من مصر فقد تنافس الأوروبيون على امتصاصها من الأسواق وقربوها إلى دور السك الإيطالية النشطة<sup>(٤)</sup>.

هكذا ولأول مرة في تاريخ النقد تصبح الفلوس النحاسية عاملاً هاماً في السوق النقدية، وأصبحنا نسمع عن الدراهم الفلوس، وهي النقود النحاسية التي ضربها الملك الكامل، وتراجعت ونقصت أمامها الدراهم الفضة، بحيث لم تعد تكفى لسد حاجة التجار<sup>(٥)</sup> ولكن السلطان الكامل عاد مرة أخرى وأبطل المعاملة بالفلوس عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م في القاهرة ومصر<sup>(٦)</sup> وأن يحمل الناس ما لديهم من فلوس نحاسية إلى الصيارف ليأخذوها منهم بالوزن، وتراوح سعر الرطل منها ما بين ٢,٢٥ - ٢,٥ درهم كاملي<sup>(٧)</sup> فتلف مال كثير للناس<sup>(٨)</sup>.

اختلفت الأسباب وراء حدوث تلك الأزمة النقدية التي حدثت عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م في عهد السلطان الكامل فمن المحتمل حدوثها للأسباب الآتية:

- 
- (١) ابن بعرة، كشف الأسرار، مقدمة المحقق، ص ٤١، ضيف الله الزهراني، زيف النقود، ص ٣١ - ٣٢.
  - (١) ابن بعرة، المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٤١.
  - (٣) ضيف الله الزهراني، المرجع نفسه، ص ٣١ - ٣٢.
  - (٤) عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة، ص ٥٤٤، رأفت النبراوي، النقود الإسلامية، ص ١٠١، سيده كاشف، المرجع السابق، ص ٩٣، أحمد دراج، المرجع السابق، ص ٢١٧.
  - (٥) ابن بعرة، المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٤١، الزهراني، زيف النقود، ص ٣١ - ٣٢.
  - (٦) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٧.
  - (٧) حسين ربيع، النظم المالية، ص ١٠١.
  - (٨) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٧.



أولاً: نقص فيضان النيل الذي كان سبباً في حدوث الكثير والكثير من تلك الأزمات وما يعقبه من الأوبئة والمجاعات التي تؤدي إلى إما زيادة الأسعار أو انخفاض الأسعار لموت كثير من الناس وتراكم الأشياء فلم تجد من يشتريها لفناء الناس<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الفتن والاضطرابات الداخلية التي حدثت بعد وفاة صلاح الدين للحصول على كرسي الحكم والاستئثار بالسلطة، تلك التي أدت إلى عدم اهتمام السلاطين والأمراء بأمور البلاد ودور الضرب وإهمال الإشراف عليها<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: الحروب الصليبية التي تكبدت البلاد النفقات الباهظة من أجل الصرف عليها، فاختفت الفضة من الأسواق نظراً لتفريغها للخارج خاصة دور السك الإيطالية كما سبق أن ذكرنا<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: ربما يكون شره الملك الكامل وحببه الشديد لجمع المال لأن تلك العملية عادت عليه بكثير من الأرباح والأموال، والدليل على ذلك أنه عثر في خزانته بعد وفاته على ٦ مليون دينار لكن الملك الكامل عاد مرة أخرى وضرب كميات كبيرة من الفلوس وذلك عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م<sup>(٤)</sup> وعادت تلك العملية على السلطان بربح كثير وذلك نظراً لانخفاض الأثمان التي دفعها في شراء الفلوس النحاسية<sup>(٥)</sup>، وتضرر الناس وأصابهم الإحباط من أحوال النقد التي ساءت وتدهورت وفسدت في عصر السلطان الكامل، وارتفع سعر الفضة ارتفاعاً ملحوظاً، فبلغ سعر الدينار الذهب آخر زمن العادل ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، ١٢,٥ درهم<sup>(٦)</sup>.

وفي عهد الملك الصالح إسماعيل ٦٣٧ - ٦٤٣هـ / ١٢٤٠ - ١٢٤٥م، صنعت دراهم مقلدة مصنوعة من النحاس، ومطوية بطبقة من الفضة، وصل وزن بعضها إلى حوالي ٢,٨٥ جم<sup>(٧)</sup>.

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٥٩، ابن تفردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٨٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل. راجع: ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٤ - ١٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١،

ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠، ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١، ق ٢، السيد الباز العريفي، الماليك، ص ٣٥.

(٣) عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة، ص ٥٤٤، رأفت النبراوي، النقود الإسلامية، ص ١٠١.

(٤) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٥٤.

(٥) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ١٠١.

(٦) المرجع لفسد، ص ١٠٢، خلف الطراولة، المسكوكات الأيوبية، ص ١٧٤.

(٧) د. رأفت النبراوي، النقود الصليبية في الشام ومصر، ص ٦٨.





وأدى نقص الفضة بصورة كبيرة بل خطيرة إلى وصف ضرب تلك الدراهم بالسوداء<sup>(١)</sup> ومما سبق يمكن القول:

١. نقص واختفاء الذهب سبب أزمات نقدية خطيرة في البلاد تضرر من خلالها عامة الشعب من خلال عمليات البيع والشراء التي كانت تتم.
٢. تحول مصر منذ نهاية العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي من نظام المعدن الفردي الذهب إلى نظام المعدنين، حيث أصبحت الدراهم عملة رئيسية في الأسواق يتم التعامل بها.
٣. وصل الأمر إلى استعمال الفلوس النحاسية وذلك عام ٦٣٠هـ في البلاد في المعاملات اليومية حيث أصبحت الفلوس النحاسية عملة قانونية شرعية، وتسمى في المعاملات الدراهم الفلوس، والدليل على وجود أزمة نقدية اقتصادية في البلاد هو استخدام الدراهم الفضية والفلوس النحاسية كعملة رئيسية بدلاً من الذهب، ومما زاد الأمر سوءاً اختفاء الفضة ونقصها بكمية كبيرة ملحوظة، وإحلال الفلوس النحاسية محلها في المعاملات الخاصة بالبيع والشراء.
٤. على الرغم من الإجراءات التي قام بها صلاح الدين ومن بعده الملك الكامل الأيوبي فإن ذلك لم يحل مشكلة نقص معدني الذهب والفضة في ذلك العصر والتي نتج عنها هو انتشار الغش (غش العملة) والذي ظهر بصورة واضحة في الدراهم الفضية حتى في الفلوس النحاسية، هكذا أثار النظام النقدي منذ نهاية العصر الفاطمي واستمر طوال العصر الأيوبي ولم تنجح إصلاحات السلاطين الأيوبيين في القضاء على تلك الأزمات والتي كادت أن ترهق الشعب فقد كان لها أثرها على جميع نواحي الحياة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية.

#### أثر الأزمات الاقتصادية على التداول النقدي في العصر المملوكي البحري:

بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب، وقتل توارن شاه انتهى عصر الدولة الأيوبية في مصر وبدأ عصر جديد هو عصر المماليك البحرية، ولم تستقر المسكوكات على حال في العصر المملوكي البحري، على الرغم من أنهم اتبعوا السياسة النقدية التي سار عليها أسلافهم الأيوبيين والمتمثلة في ضرب الدنانير الذهبية، والدراهم الفضية والفلوس النحاسية<sup>(٢)</sup>، إلى جانب إتباعهم سياسة أخرى أدت إلى نقص معدني الذهب والفضة في ذلك العصر وقد كانت أسباب نقص ذلك المعدنين متعددة ومتنوعة نذكر منها ما يلي:

(١) أشتور (الياهو)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عيلة، مراجعة:

أحمد غسالو سبالو، دار قتيبة، دمشق، ص ٣٨١.

(٢) إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٥٢٢، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص ٩٤، محاسن الوقاد، اليهود في مصر

المملوكية، القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٧٦ - ١٧٧.



١ . سياسة البذخ والإسراف وإنفاق الذهب والفضة في الصرف على الموائد والحفلات (زواج - ولادة - ختان)، إلى جانب العمائر المختلفة التي قاموا بتشييدها<sup>(١)</sup>، فقد قاموا بشراء ما يحتاجون إليه من الدول الأوروبية وبلدان الشرق الأقصى التي كانت تشتترط دفع الذهب والفضة قيمة لهذه السلع، فاستترفت مدخرات الدولة من هذين المعدنين الذهب والفضة<sup>(٢)</sup>.

٢ . استخدام سلاطين المماليك الذهب والفضة في تزيين أبواب العمائر وسقوفها وتزيين الأسلحة عن طريق التكفيت بالذهب والفضة، واستخدام الذهب والفضة في صناعة الطسوت وأواني الشرب المختلفة<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر المقرئى عن قلة الدراهم في العصر المملوكي يرجع لأمرين، أحدهما: "عدم ضربها أبداً، والثاني: سبك ما مع الناس منها لاتخاذها حلياً لتفننهم في المباهاة والتعظيم والترف بأفخر الثياب وجيليل الشارة"<sup>(٤)</sup>.

٣ . الاكتناز سواء للذهب<sup>(٥)</sup> أم الفضة، فقد قام بعض الأفراد والسلاطين بتحويل خام الذهب والفضة إلى حلى وتحف ذهبية وفضية ليزينوا بها قصورهم.

٤ . إحجام الناس عن إخراج الذهب والتعامل به عند ارتفاع سعر هذه النقود<sup>(٦)</sup>.

٥ . خوف العديد من رجال الدولة والعامة من سياسة المصادرات التي كان يتبعها سلاطين العصر المملوكي البحري، كنوع من أنواع العقاب، لذلك قاموا باكتناز ثرواتهم النقدية سواء كانت ذهب أم فضة، ودفنوها في الأرض للحفاظ عليها من المصادرة<sup>(٧)</sup>، ففي عام

---

(١) حسين عبد الرحيم عليوه، المكان والفن الإسلامى، بحث بمجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الثانى، مايو ١٩٨١م، ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) رأفت النبراوى، أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) رأفت النبراوى، المرجع نفسه، ص ٤٨، محمد جمال الدين سرور، دول بني قلاوون في مصر، ص ٣٠٨.

(٤) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٧١، القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٦٧.

(٥) Shoshan (Boaz): Money, Price and Population in Mamluk Egypt 1382 - 1517, (Adissertation Presented to the Faculty of Princetor University in Condidacy for degree of Doctor of Philosophy (1977)); PP. 99 - 109.

عن د. رأفت النبراوى، أسعار السلع والجوامك، ص ٤٤.

(٦) رضا رمضان أبو الزهر، الزغل في مصر والشام، ص ٤٤.

(٧) Jere Bacharach: Foreign Coins, Forgers Forgeries in Fifteenth Century Egypt (Essay Was Presented by Kirsnowski at the International. Numismatic Congress. New York, Sept. 10, 1973), P. 502.

عن رضا رمضان، المرجع نفسه، ص ٤٤.



٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م تم القبض على الوزير منجك وتم الإحاطة على أملاكه وحواصله<sup>(١)</sup> ووجد عنده الكثير من الذهب والفضة، إلى جانب أنه في عام ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م تم مصادرة القاضي علم الدين بن زنبور فوجد عنده من الأموال ما لا يُحصى، فوجد عنده من صناديق الذهب والفضة والألماس والفيروز...<sup>(٢)</sup>.

وقد نتج عن اكتناز الذهب والفضة اختفاء الذهب والفضة من الأسواق مما أدى إلى حدوث أزمة نقدية ترجع بالدرجة الأولى إلى مدى توافر هذين المعدنين من عدمه فكان ذلك سبباً في حدوث الأزمات الاقتصادية<sup>(٣)</sup>.

٦. سياسة الاحتكار التي سار عليها سلاطين المماليك تلك السياسة التي أضرت بالناس ضرراً كبيراً ففي عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ابتكر الناصر محمد مظلمة لم يسبق لها مثيل، حيث أنه ألزم أهل الصاغة، ودار الضرب، عدم بيع أحد منهم ذهباً، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب ليصك بسكة السلطان<sup>(٤)</sup>.

٧. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى نقص الذهب والفضة هي سياسة الحصار الاقتصادي الأوروبي خاصة بعد سقوط عكا عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م في بلاد الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون، تلك السياسة كانت على شكل حرب اقتصادية مخططة ولها مقدمات خطط لها الصليبيون بهدف إنهاء السيطرة الإسلامية على التجارة بين الشرق والغرب<sup>(٥)</sup>، وعملت على إضعاف موارد السلطان وحرمانه من الأرباح التي تأتي عن طريق التجارة<sup>(٦)</sup> فمنعت التعامل مع البلاد الخاضعة للسلطان، ومنع زيارة الفرنج للمسلمين<sup>(٧)</sup> بالإضافة إلى وجوب امتناع المسيحيين عن شراء البهار من المصريين... تلك السياسة التي تؤدي إلى إفقار خزانة السلطان وإحاق الضرر بإمبراطوريته<sup>(٨)</sup> ففي الوقت الذي كانت فيه البلاد تتعرض للأوبئة والمجاعات ونقص مياه النيل، كانت الخزنة

٥

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٤٤ - ٥٤٦.

(٣) رضا رمضان، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٣٩٣.

(٥) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر، ص ١٠٠.

(٦) محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون في مصر، ص ٣٤٠.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٤٠.

(٨) Hanotaux; Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV. PP. 489 - 490.



خاوية من أي شيء، هكذا عمل الأوروبيون على ضرب مصر وتخطيط اقتصادها<sup>(١)</sup> كل هذا أدى إلى نقص الذهب والفضة.

هكذا كانت السياسة الخاطئة التي سار عليها سلاطين المماليك سواء في البذخ والإسراف أو المصادرات أو الاحتكار، ضاربة بكل شيء عرض الحائط حتى في ظل الظروف والأزمات الاقتصادية الحرجة التي كانت تمر بالبلاد ويثن منها الشعب عامة والفقراء خاصة، فكانت السلطة والأمراء لا يرون إلا أنفسهم فكانوا سبباً في حدوث الأزمات النقدية، التي بدورها كانت سبباً في حدوث الأزمات الاقتصادية وبمعنى آخر كانت الأزمة النقدية يعقبها حدوث أزمة اقتصادية بسبب سياسة المماليك الخاطئة في كل شيء، هكذا أرهقوا جميع من حولهم، ولم يرهقوا هم أنفسهم، فجميع ما سبق بل أكثر من هذا كان سبب في حدوث الأزمات الاقتصادية والنقدية واستنزاف أموال البلاد في صرفها فيما لا يعنى أو يهيم.

ويمكن القول بأن النقود ارتبطت بالحالة الاقتصادية والسياسية للبلاد، فلم تستقر النقود المملوكية على حال طوال العشر سنوات الأولى من حياة المماليك والسبب في ذلك هو عدم استقرار الأحوال السياسية بسبب اجتياح المغول للخلافة العباسية في بغداد ثم استيلائهم على بلاد الشام حتى تمكن المماليك من الانتصار عليهم في موقعة عين جالوت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م<sup>(٢)</sup>، إلى جانب الفتن والثورات الداخلية المستمرة منذ قيام دولة المماليك الأولى والتي لم تهدأ نيرانها إطلاقاً<sup>(٣)</sup> كل هذا كان يتطلب العديد من النفقات الباهظة التي كانت تلقى على الدولة أعباءً مالية<sup>(٤)</sup> إلى جانب طمع الجنود وازدياد حبههم للمال وشرائهم له، فصاروا لا يخرجون لأي حرب إلا بعد أن يأخذوا الثمن مقدماً أضعافاً مضاعفة<sup>(٥)</sup>.

والشيء الذي لا يمكن إغفاله أن من أهم الأسباب التي ساعدت على فساد النقود المملوكية هو تدهور الأوضاع الاقتصادية التي شهدتها ومرت بها البلاد، ذلك التدهور كان نتيجة إهمال الزراعة والصناعة والتجارة، إلى جانب فيضان النيل الذي يؤدي إلى استبحار البلاد، أو نقص ماؤه الذي يؤدي إلى جفاف البلاد مما تبعه حدوث الأوبئة والمجاعات، فقد كان لسوء الأوضاع

(١) سعيد عاشور، الحصار الاقتصادي على مصر، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) د. سامح عبد الرحمن فهمي، إضافة جديدة في سكة السلطان الظاهر بيبرس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، العدد الخامس ١٤٠١ هـ، ص ٢٣٦، عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة، ص ٥٤٧، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص ٩٤، الستاس الكرمل، النقود، ص ٦٨.

(٣) Bernard Lewis; Egypt and Syria (The Cambridge History of Islam) Vol. IA. Cambridge University, London 1970, PP. 228 - 229.

(٤) رضا رمضان أبو الزهر، الزغل في مصر والشام، ص ٧٢.

(٥) سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي، ص ٧٦.





الاقتصادية أثرها الكبير على النقود المملوكية، حيث أدت إلى انهيار النظام النقدي، واختفاء الذهب والفضة من الأسواق، مما أدى إلى ظهور النقود الأجنبية في الأسواق بصورة واضحة<sup>(١)</sup>، مما أدى إلى أن يلجأ السلاطين إلى تزيف العملة عن طريق اقتطاع جزء منها أو خلطها بمعادن أقل في القيمة أو ضربها ناقصة الوزن حتى يستطيعوا مواجهة التدهور الاقتصادي ويزيدوا من إيراداتهم لمواجهة تلك الأزمات الطاحنة<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن أزمة النقود الفضية في الدولة المملوكية كانت ظاهرة مستمرة وذلك بسبب نقص الدراهم الفضية، فقد كان هناك نقص كبير لم يكن يكفي المعاملات المالية، من هنا توقفت الدولة عن ضرب الدراهم الفضية، فحلت محلها النقود النحاسية، وذلك في محاولة لعلاج ما تعانيه البلاد من أزمة اقتصادية نقدية في نقص معدن الفضة<sup>(٣)</sup>.

### الأسباب التي أدت إلى نقص معدن الفضة:

تضافرت عدة عوامل أدت إلى نقص معدن الفضة من أهمها: أن الجمهوريات الإيطالية وخاصة البندقية كانت هي (المورد الأساسي للدولة المملوكية) المصدر الأساسي لتصدير الفضة للدولة المملوكية، ولكن توقفت تلك الإمدادات بسبب حاجة أوروبا إلى معدن الفضة لتصنيعها نقوداً فضية، حيث أدت الظروف السياسية إلى انخفاض واردات الجمهوريات الإيطالية من الفضة من مناطق الإنتاج في آسيا، وهي الواردات التي كانت تقوم بتصديرها للفائدة التجارية المملوكية، ولم تكن الكميات الواصلة من مناطق الإنتاج في أوروبا تزيد من حاجتها بحيث تقوم بتصديرها، بل أن بعض المراجع التاريخية<sup>(٤)</sup> تفيد أن تلك الكميات انخفضت لانخفاض إنتاج مناجم وسط أوروبا من الفضة خصوصاً في الفترة ٧٥١ - ٨٥٤هـ / ١٣٥٠ - ١٤٥٠م، بالإضافة إلى ظاهرة الاكتناز التي كان نتيجة تحويل معدن الفضة إلى أوان أو حلى أو غير ذلك من الصناعات، فقد كان معظم الناس حريصين على الاحتفاظ بالفضة الخالصة النقية بعد أن كثر فيها الفساد بالغش، وخلطها بالمعادن الرديئة كالحديد والرصاص والقصدير، أضف إلى ذلك عملية التكفيت التي انتشرت بصورة كبيرة في ذلك العصر خاصة تكفيت المعادن، فقد فقدت

(١) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ١٨٩، رضا رمضان، المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) رضا رمضان، المرجع نفسه، ص ٦٩.

(٣) النجدي، النظام النقدي المملوكي، ص ١١١.

حصلت الدولة المملوكية على احتياجاتها من الفضة من عدة مصادر خارجية عن طريق الجهات التي تنتج خامات الفضة أو تلك التي تتاجر فيها مكونة حلقة وصل بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، ويذكر أن الجمهوريات الإيطالية خلال العهد المملوكي البحري، أهم مصدر من المصادر التي اعتمدت عليها في خامات الفضة. راجع: النجدي، النظام النقدي، ص ١١١ - ١١٢.

(٤) د. رافت محمد محمد، النقود الإسلامية، ص ٢٩٦، النجدي، النظام النقدي، ص ١١١ - ١١٢.



الأسواق نتيجة لما سبق ذكره كميات وأعداد كبيرة من الدراهم الفضية التي صهرت وحولت إلى تلك الصناعات<sup>(١)</sup>، والدليل على اختفاء الفضة من الأسواق أن كثرت الإصدارات النقدية المملوكية من الفلوس النحاسية بكميات كبيرة في الوقت الذي لدرت فيه إصدارات النقود الأخرى مثل الذهب والفضة لعدم توفر معدنها بالكميات التي تكفى لاحتياجات الدولة، ومختلف المعاملات المالية فيها، وقد انعكس هذا النقص بوضوح على اتجاه السياسة النقدية للسلطان نحو العملات النحاسية، وسك إصدارات عديدة منها<sup>(٢)</sup>، وخير دليل على ذلك ما حدث عام ٦٥٠ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م حيث أخذت دور الضرب تكثُر من ضرب الفلوس، فأصبح كل درهم يساوى ٢٤ فلساً بعد أن كان يساوى ٤٨ فلساً، فبدأت أحوال الناس في الاضطراب وثقل الأمر عليهم<sup>(٣)</sup>.

وانتشر الفساد النقدي في عهد زين الدين كتبغا عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م عندما خفض ماء النيل فحدثت أزمة اقتصادية تبعها أزمة نقدية، حيث ضرب السلطان العادل كتبغا (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م) فلوساً خفيفة الوزن<sup>(٤)</sup> وتقرر المعاملة بها بالميزان<sup>(٥)</sup> ولأول مرة في تاريخ التعامل بالفلوس تؤخذ وزناً لا عدداً<sup>(٦)</sup> وكل رطل منها بدرهمين<sup>(٧)</sup>، كان هذا أول ما عرف بمصر من وزن الفلوس والمعاملة بها وزناً لا عدداً، ودخلها الفساد النقدي بصورة كبيرة وواضحة.

استمر الفساد النقدي الموجود من عهد كتبغا في العملات النحاسية عهد السلطان المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م) دون اتخاذ أي إجراءات لمواجهة هذا

(١) لمزيد من التفاصيل عن أسباب نقص الفضة في العصر المملوكي البحري: راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٦٣، د. رأفت النبراوي، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٢) النجدي، النظام النقدي، ص ٢٢٧، لم يكن للفلوس النحاسية وزن شرعي لأنها لا تدخل في النصاب الشرعي للنقود بالإضافة إلى أنها ليست من النقود الشرعية التي أقر الإسلام وزنها أو التعامل بها، هذا وقد جعلت هذه الفلوس هدفاً للفساد النقدي الذي اتسم به العصر المملوكي البحري، ووزن تلك النقود التي عملت به دولة المماليك البحرية منذ قيامها إلى انتهائها كانت فلوساً ثقيلة الوزن، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٣) المقرئ، إغاثة الأمة، المقدمة، ص ق.

(٤) في عام ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ كثرت الفلوس في الدولة، فعملت كل أوقية بسدس درهم: راجع: المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٠، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦٩، على مبارك، الخطط، جـ ٢٠، ص ١٣٧.

(٥) العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٣.

(٦) المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٧١.

(٧) العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٣، المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣٧، على مبارك، الخطط، جـ ١، ص ٢٠، جـ ٢٠، ص ١٣٨.



الخلل في الوضع النقدي للدولة<sup>(١)</sup>، ونحن نرجح أن السلطان لاجين لم يستطع مواجهة الأزمة النقدية والفساد النقدي في البلاد نظراً للظروف المختلفة السيئة التي أدت إلى سوء الوضع الاقتصادي في الدولة تلك الظروف تمثلت في انخفاض ماء النيل، وحدوث الأوبئة والجماعة، إلى جانب الفتن والاضطرابات المختلفة التي حدثت في عهده من أجل الوصول إلى كرسي السلطنة، فكل هذه الأحوال والظروف حالت بينه وبين عملية إصلاح الفساد الذي انتشر في البلاد من جراء استخدام الفلوس في المعاملات اليومية وما توالى من ضرب فلوس مختلفة في سنوات مختلفة من تاريخ العصر المملوكي البحري يوضح كيف تغلغلت الفلوس النحاسية وانتشرت في تلك الدولة، ففي عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م حدث الغضب والتدمر، واختلف السوق العامة في أخذ الفلوس المصكوكة عدداً، وقرروا أمرها وأخذوها عن طريق الوزن، وقطع سعرها بسدرهمين ونصف الرطل<sup>(٢)</sup>.

وتوالى الأحداث ففي عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م التشرت الفلوس النحاسية الخفيفة الوزن من خلال ما فعله الزغلية<sup>(٣)</sup> بها فقد خففوا وزنها، فتوقفت أحوال الناس، واضطربت أمورهم، وشكى الناس للسلطان ما حدث، فقرر السلطان ضرب فلوس جدد زنة الفلوس منها درهم، وضرب منها نحو ٨٠ ألف رطل واستقرت الفلوس العتق<sup>(٤)</sup> كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب، فاستمر ذلك ومشت الأحوال، إلا أن الظلم ازداد على الناس، لأن الرطل العتق يبلغ ٧ دراهم بالعدد<sup>(٥)</sup> وتكرر ذلك عام ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م<sup>(٦)</sup>.

(١) Hassanien Rabie; The Financial System of Egypt, PP. 188 – 189.

النجدي، النظام النقدي المملوكي، ص ٢٢٢.

(٢) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٤١٠، المقریزی، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٧.

(٣) الزغل بمعنى الخلط، والمقصود هنا التزييف والغش ومنه الخلط، ومن يقوم به يسمى زغلي وجمعه زغلية أو زغليين، راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٢٣ مادة زغل، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٢٠٥، النجدي، النظام النقدي، هامش ١ ص ٥٣٩.

(٤) الفلوس الجسد يتم التعامل بها عن طريق العدد، وعندما تصبح فلوساً عتقاً، فإنه يتم التعامل بها عن طريق الوزن، لأن الوزن في هذه الحالة يكون أكثر دقة في تحديد القيمة النقدية للفلوس، والعصر المملوكي ملئ بأمثلة مختلفة على استخدام الوزن طريقة لتحديد سعر تبادل الفلوس النحاسية.

راجع: النجدي، النظام النقدي المملوكي، ص ٣٤٩.

(٥) المقریزی، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٢٠٦.

وقيل في موضع آخر أنهم خففوا أوزانها حتى صار الفلوس يزن سدس درهم. راجع: المقریزی، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٢٠٥، ضيف الله الزهراني، زيف النقود الإسلامية، ص ٣٣.

(٦) كثر الزغل في الفلوس حتى صار وزن الفلوس نصف درهم، فتوقف الناس عن أخذ الفلوس، وكثر ردها وعوقب الباعة على ذلك بالضرب والتجريس إلى أن فسد الحال، وغلقت الحوايت، وارتفعت الأسعار. المقریزی، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٢٥٣، وقد عمل الزغلية فلوساً خففاً عليها بقجسة، فتوذى أن يؤخذ الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل فمشى =



والدليل الأكيد على استخدام الفلوس الجديدة في عصر المماليك البحرية في عملية البيع والشراء وكنقود رئيسية وأساسية، وثيقة مؤرخة ٢٣ جماد آخر عام ٧٣٠ هـ تنص على أن كل ما يصرف من النقود في هذه الوثيقة يكون من الفلوس الجدد<sup>(١)</sup>، فهي وثيقة بيع من ناصر الدين محمد بن شعبان بن عبد الله وابن أخت شقيقة خليل بن علي بن رسلان بن عبد الله المعروف والده بالمارديني إلى شهاب الدين أحمد بن محمد الجرائحي.

هذا وإن دل فبدل على أن الفلوس النحاسية كانت قاعدة التعامل الأساسية منذ العصر المملوكي البحري في التعامل والتداول النقدي، في عصر الناصر محمد بن قلاوون الذي ذكر عنه المؤرخون أنه عصر الازدهار والتقدم ولكن من وجهة نظر الباحثة من جانب واحد ولكن بقية الجوانب الأخرى نجد الجانب المظلم خاصة الجانب الذي يتعلق بالنقود فقد تم ضرب العديد والعديد من الفلوس في عهد الناصر محمد بن قلاوون، تلك الفلوس كانت متعددة ومتنوعة الأشكال<sup>(٢)</sup> لوحدة (٥)، وكان الزيف في النقود النحاسية بمعدن الرصاص وصار الفلوس الكبير يقص إلى ثلاثة قطع، ويخرج فصارت الباعة ترددها وذلك عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م<sup>(٣)</sup>.

وتوالت المظالم على الناس، وتوقفت أحوالهم في القاهرة من ناحية الفلوس، وصعب عليهم حتى شراء الخبز إلا بصعوبة ومشقة<sup>(٤)</sup> خاصة بعد أن ابتدع النشو المظالم حينما أرغم الصاغة ودار الضرب بالألا يبيع أحداً منهم ذهباً بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب ليصك بصكة السلطان ويضرب دنائير هرجه<sup>(٥)</sup> عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ثم تصرف هذه الدنائير الهرجه بالدرهم، فجمع من وراء ذلك أموالاً كثيرة للديوان<sup>(٦)</sup>، وتجمع ذهب مصر كله في دار الضرب، ولم

---

= الحال قليلاً، واستمر تعنت وزجر الناس، وكثر تعطيلهم الحوايت وغلقها، راجع: المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٠٦، وقد وصف النويري في كتابه نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢، هذه الفلوس التي ضربها الناصر محمد وصفاً دقيقاً بالآتي: "وخرجت الفلوس الجدد من دار الضرب، وعلى أحد وجهيها اسم السلطان، وعلى الوجه الآخر مثال بقجة مربعة، وزن كل فلس منها نصف وربع وثمان درهم"، راجع أيضاً: المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ١، حاشية ١ ص ٢٠٦.

(١) وثيقة بيع مؤرخة بـ ٢٣ جماد آخر سنة ٧٣٠ هـ، برقم ٦٢٧ جـ، المحفوظة. بقسم المحفوظات والوثائق بوزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة.

(٢) Paul -- Balog; The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria; Numismatic Studies No. 12; The American Numismatic Society – New York – 1964. P. 147.

(٣) ضيف الله الزهراني، زيف النقود، ص ٣٤.

(٤) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٩٣.

- Rabie; the Financial System of Egypt, P. 196.

(٥) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٩٣.

(٦) نفسه، نفس الجزء والصفحة.





يستطيع أحد أن يبيع شئ منه في الصاغة ولا غيرها<sup>(١)</sup>، وما حدث عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م عندما طرح النشو مبلغ مائتي ألف درهم فلوساً نحاساً ضرب إسكندرية، وتروجه، وفوة، وبلاد الصعيد على التجار وأرباب المعاملات<sup>(٢)</sup> فتوقفت الأحوال، وذلك لأن الفلوس كانت تؤخذ بالعدد، وكثر فيها الزغل من الرصاص ونحوه وصارت الفلوس تقطع إلى قطع وكسور ولكن الباعة ترددها<sup>(٣)</sup>.

استمرت أحوال الدولة النقدية سيئة للغاية نتيجة التعامل بالفلوس عن طريق العدد وتوقفت أحوال الدولة بسبب النقص الفاحش في أوزانها والتلاعب في عيارها وخلطها بالرصاص وغيره من المعادن الرديئة وذلك في أعوام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م، ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م<sup>(٤)</sup>، وما حدث عام ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١ م من تدهور للأحوال الاقتصادية في الدولة المملوكية البحرية والتي كان سببها الطاعون الذي أصاب البلاد والعباد في تلك السنوات المظلمة من تاريخ دولة المماليك البحرية أدت إلى توقف أحوال الدولة<sup>(٥)</sup> والمحط قدر النقود بأنواعها من الذهب والفضة، إلى جانب أن نساء مصر تخلت عن لبس الذهب والفضة والجواهر والحراير<sup>(٦)</sup> وأغلقت الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالمعادن الرديئة مما أدى إلى حدوث الخلل في عيارها<sup>(٧)</sup>.

وفي عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون تم ضرب الفلوس الجدد ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م وقد كان زنة كل فلس منها مثقال (٢٥، ٤ جم)<sup>(٨)</sup> وكان قبل ذلك الفلوس العتق كل رطل ونصف بدرهم<sup>(٩)</sup> وكان صرغتمش مدبر أمر المملكة في عهد الناصر حسن هو الذي أشار عليه بضرب تلك الفلوس الجدد، كل فلس بدرهم وشئ بدرهمين<sup>(١٠)</sup>، وامتازت تلك الفلوس بثقل وزنها وكبر حجمها فاستحسنها الناس وأقبلوا على التعامل بها<sup>(١١)</sup> ولكن ما لبثت تلك الفلوس أن

(١) المقرئزي، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(2) Rabie; op-cit, P. 197.

(٣) المقرئزي، المصدر نفسه، ج-٢، ق٢، ص ٤٤٤.

- Rabie; op-cit, P. 197.

(٤) ضيف الله الزهراني، زيف النقود، ص ٣٤.

(٥) على السيد على محمود، الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٣٣، ١٩٨٦ م، ص ١٧١.

(٦) المقرئزي، الخطط، ج-٢، ص ١٠٤، على السيد، المرجع نفسه، ص ١٧٥.

(٧) رضا رمضان أبو الزهر، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٨) المقرئزي، الخطط، ج-٢، ص ٣١٧، والمثقال هو قيراط من ٢٤ قيراطاً من الدرهم، انستاس الكرملي، النقود، ص ١٣١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج-٣، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٩) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، النقود والمكايل والموازين، ص ١٠٨.

(١٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ١، ص ٥٦٤.

(١١) النجدي، النظام النقدي، ص ١٧٩.



الفلوس أن فسدت لأنها تم نقصها والتلاعب فيها في نقص وزنها عن المثقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم وصار تكوينها غير مستدير<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٦٣ م كان التعامل أيضاً بالدرهم النقرة، والدليل على ذلك أنه تم بيع منزل من فاطمة السيد ابنة علي بن السيفي الدمري، وكيلها القاضي محمد بن علم الدين الحسن الدجوى إلى أحمد بن محمد بن أحمد الحوجي الجاني، وكيله طشتمر بن عبد الله السيفي يلبغا المنصوري فقد باعوها على ما استقر بتلك الوثيقة بـ ٣٢ ألف درهم نقره المتعامل بها يومئذ بالديار المصرية<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لسوء أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية بسبب الفتن والاضطرابات التي حدثت في نهاية ذلك العصر، فقد دخلت إلى مصر الدراهم الحموية وذلك عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م، وكثر ضرب الفلوس بطريقة واضحة وقلت الدراهم<sup>(٣)</sup> في الوقت الذي لا تزال فيه الدراهم الظاهرية والكاملية موجودة بمصر والشام إلى أن فسدت تلك الدراهم في عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م<sup>(٤)</sup> وبدخول الدراهم الحموية<sup>(٥)</sup> إلى مصر كثر كره الناس لها وغضبوا منها، كل هذا في عهد الظاهر برقوق، فعندما علم بذلك عين الأمير محمود بن علي استاداراً وما فعله أنه أكثر من ضرب الفلوس وأبطل ضرب الدراهم فتناقصت وصارت عرضاً ينادى عليه في الأسواق بجراج<sup>(٦)</sup> واستمر الحال على ذلك إلى أن توقفت أحوال الناس عام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م، وتوقفت عملية البيع والشراء، وقل جلب البضائع من المأكّل وغير ذلك جميعه، وذلك لأن الأمير جركس الخليلي نادى في القاهرة أن يكون الفلوس العتق<sup>(٧)</sup> كل رطل بدرهم وثلاث بعدما كانت كل رطل بدرهم ونصف، ثم فرق على الصيارف فلوساً استجد ضربها وعمل عليه رنكه فمناها فلس زنته أوقية لتكون كل أربعة دراهم بفلس ومنها ما زنته نصف أوقية كل ٨ بدرهم حساباً عن كل فلس بـ ٨ دراهم، ومنها ما يكون كل ٤٨ فلس بدرهم فحدث للناس الضرر العظيم<sup>(٨)</sup>.

(١) النجيدى، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) وثيقة بيع مؤرخة بـ ١١ رمضان ٧٦٣ هـ، برقم ٥٣ جـ، محفوظة بقسم الوثائق والمخطوطات بوزارة الأوقاف بالقاهرة.

(٣) علي مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ١٤٠.

(٤) الستاس الكرملى، النقود، ص ٦٨.

(٥) الدراهم الحموية نسبة إلى حماء من ديار الشام والمراد بها هنا الدراهم التي ضربت في عصر المماليك البحرية، الستاس الكرملى، النقود، هامش ٥ ص ٦٨.

(٦) الكرملى، المرجع نفسه، ص ٦٨، علي مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ٤٠، حسين عبد الرحمن، النقود، ص ١٠٢.

(٧) ابن تغري، بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢١٠ - ٢١١.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٩٦.



## أثر الأزمات الاقتصادية على دور الضرب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري:

ورث الأيوبيون دور الضرب<sup>(١)</sup> من المؤسسات والمنشآت الفاطمية التي اهتموا بها ورعوها أشد رعاية لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بحياة البلاد الاقتصادية<sup>(٢)</sup> وقد تعددت دور الضرب في العصر الأيوبي<sup>(٣)</sup> فأول دور الضرب هي ما كانت معروفة قبل أيام صلاح الدين باسم الدار الآمرية بالقاهرة نسبة إلى الخليفة الأمر الفاطمي، ومكانها في هذا الوقت بسوق القشاشين بجوار الجامع الأزهر<sup>(٤)</sup> ثم نقلها صلاح الدين إلى إحدى خزائن القصر الفاطمي<sup>(٥)</sup> والدار الثانية هي التي افتتحها صلاح الدين دار ضرب الإسكندرية، وربما كانت هي الدار الفاطمية بتلك المدينة، وسار العمل فيها على مثال ما كان جارياً في دار الضرب القاهرية<sup>(٦)</sup> أي أن العمل في دار الضرب المصرية كان بدار ضرب القاهرة<sup>(٧)</sup>، ودار ضرب الإسكندرية<sup>(٨)</sup>، والعمل فيهما واحد<sup>(٩)</sup>.

تعددت مسئوليات دار الضرب باعتبار أنها المورد الرئيسي من موارد الدولة لأنها كانت تقوم بأعمال سك العملة وتنظيم التعامل بالمسكوكات بين المورد والتاجر والدولة<sup>(١٠)</sup> فمنذ الفتح

---

(١) أشار البقلي محمد في التعريف بمصطلحات صبح الأعشى للقلقشندي، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٢٩، إلى أنها أي دور الضرب الموضوع الذي تضرب فيه الدراهم وتسك فيها المسكوكات، وقد كانت دار الضرب على قدر كبير من الأهمية لما يخزن في خزانها من سبائك ذهبية، فضية، ونحاسية، لذلك تخضع للإشراف من قبل الخليفة أو السلطان بشكل مباشر، راجع: سامح عبد الرحمن فهمي، نص يضيف جديداً لقيم دار الضرب، هامش ١، ص ٦، أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت ١٩٨١، ص ١٤٩، خلف الطراولة، المسكوكات الأيوبية، ص ٣٩.

(٢) راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠٨.

(٣) هناك سبعة دور ضرب أيوبية منها داران رئيسيتان ضربت فيهما السكة الذهبية وهما القاهرة والإسكندرية، وخمسة دور ضرب فرعية ضربت فيهم الدراهم وأنصاف الدراهم والفلوس النحاسية، وهذه الدور هي حلب، حماة، حمص، دمشق، الرها. راجع: ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٢٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٩.

(٥) المقريري، الخطط، ج ١، ص ٤٠٦ - ٤٤٥.

(٦) ابن ماضي، قوانين الدواوين، ص ٣٣١.

(٧) قيل أن دار الضرب بالفسطاط من أوائل دور سك العملة في العالم العربي. راجع: حسن محمود الشافعي، العملة وتاريخها، ص ٣١، في الوقت الذي سميت فيه دار الضرب سميت أيضاً دار العيار لأنها الدار التي تعنى عناية خاصة بوزن الذهب والفضة وزناً מדقاً وكان يحفظ فيها الموازين والمكاييل والصنج.

راجع: أنستاس الكرملي، النقود العربية، حاشية ٢، ص ٤٨، المخزومي، المنتقى من كتاب المنهاج في علم الخراج، ص ٣٠.

(٨) د. سامح عبد الرحمن فهمي، نص يضيف جديد لقيم ضرب المسكوكات، هامش ١، ص ٥ - ٦، ابن بكرة، كشف الأسرار، مقدمة: د. عبد الرحمن فهمي محمد، ص ٢٩ - ٣٠، خلف الطراولة، المرجع السابق، ص ٣٢ - ٣٣.

(٩) ابن ماضي، قوانين الدواوين، ص ٣٣١.

(١٠) خلف الطراولة، المرجع السابق، ص ٤٠، دار ضرب النقود أو سك العملات من الجهات الرئيسية في الدولة، ومن أهم المؤسسات في حياة المجتمعات، فهي الجهة الوحيدة التي تملك حق إصدار مختلف أنواع العملات سواء كانت ذهبية أو فضية أو نحاسية، وما عداها لا يحمل أي صفة قانونية بل يدخل في نطاق عمليات التزييف التي تخارها الدولة، النجدي، النظام النقدي المملوكي، ص ٤٩.



العربي ودار الضرب تؤدي خدمات جلية لا تقل شأنًا عما تؤديه مصارف الإصدار اليوم، فهي التي تضرب الكميات اللازمة من السكة الجارية في التعامل واللازمة لتنشيط التجارة، وهي التي تزيد في إنتاجها أو تقلل منه حسب حاجة السوق المحلية بل كانت تتدخل إذا دعت الضرورة لتثبيت أسعار السكة خوفاً من تفاقم الأزمات المالية، فضلاً عن ذلك فقد كانت دار الضرب المصرية مورداً هاماً من موارد بيت المال لأنها تقوم بسك ما يقدمه الأفراد إليها من سبائك طبقاً للوزن المعدني المقرر قانوناً نظير رسوم لا تتجاوز نفقات القيام بهذه العملية، وذلك إلى جانب قيامها بضرب العملة أيضاً لحساب الدولة<sup>(١)</sup>، ولم يكن سك النقود حقاً للحكومة وحدها بل كان مصرحاً للأفراد بالالتجاء إلى دار الضرب بما معهم من سبائك ذهبية، حيث تسك نقوداً مقابل رسوم معينة، وفيما يُعتقد أن الناس كانوا يتجهون إلى دار الضرب للكشف عن نقودهم والتأكد من درجة نقاوتها أو يلجأون إلى الصيارف حيث لديهم موازينهم وأساليبهم الفنية اللازمة لبيان مبلغ نقاوة المعدن<sup>(٢)</sup>.

### العوامل المؤثرة في قيام دار الضرب بعملها:

أولى سلاطين الأيوبيين والمماليك دور الضرب الكثير من الرعاية والاهتمام، والدليل على ذلك الإشراف المباشر منهم على تلك الدور، والنظر في أمورها المختلفة لتأدية مهمتها على أكمل وجه، وعلى الجانب الآخر تقوم الدولة بتكليف أحد الأمراء أو النواب في الأقاليم للقيام بمهمة الإشراف والمراقبة<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذا الاهتمام وتلك الرعاية لم تستمر طوال الوقت، فقد ترك السلاطين شئون تلك الدور إلى الأمراء والنواب، ومن المرجح أنه نتيجة ترك شئون دور الضرب للأمراء والنواب أن دب الفساد وتطرق الضعف إليها، فبرغم النظام الإداري المنظم في عصر الأيوبيين والمماليك إلا أنه بدأ يتخلله الفساد والضعف، حيث تعرضت معظم الأجهزة الإدارية للفساد ومنها دار الضرب والعاملون بها وذلك عندما قهّاون بعض السلاطين في الإشراف على هذه الدور، هذا الإشراف كان الوسيلة التي تحافظ بها الدولة على سلامة وزن وعيار النقود الصادرة عن هذه الدور وحمايتها من الغش<sup>(٤)</sup>.

هكذا انعدمت الصلة تماماً بين سلاطين تلك العصور ودور الضرب التي كان منوطاً بها إصدار النقود الذهبية والفضية، مما سهل على العاملين بها إلى جانب عامة الشعب أيضاً إلى تزيف هذه

(١) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٢٩، راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠٩.

(٢) راشد البراوي، المرجع نفسه...، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) النجدي، النظام النقدي، ص ٧٠.

(٤) رضا رمضان، المرجع السابق، ص ٦١.





النقود، والسبب في فساد أحوال النقود وكثرة تزيفها راجع إلى سوء نظر ولاية الأمور وعدم اهتمامهم بالإشراف على سك النقود بأنفسهم<sup>(١)</sup> مما يؤدي إلى التلاعب في كل شيء، ذلك التلاعب الذي كان يتم نظير زيادة يدفعها الموردون إلى النظار بدار الضرب<sup>(٢)</sup>، ومن ناحية أخرى فإن دار الضرب قد فشا وانتشر فيها الفساد والاختلاس والرشوة مما أثر على إنتاجها<sup>(٣)</sup> حيث لجأ العاملون بدار الضرب إلى اختلاس الذهب بإنقاص عشر الوارد من الدنانير أثناء عملية التعليق مما يضيع على أصحاب الذهب بعض حقوقهم، وكانت نسبة الفاقد من الذهب كما ذكرها بن بكرة تبلغ نسبتها ما بين ٢,٥ أو ٥% في الذهب العادي وبلغت ١١% أو أقل من ذلك بالنسبة للذهب الدون<sup>(٤)</sup>.

وما حدث عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م في عهد السلطان كتبغا عندما تصرف الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي في التصرف في دار الضرب، فسك فلوساً خفافاً ناقصة الوزن والعيار أيضاً وتوزن بالميزان، فكان ذلك بمثابة تفريط من السلطان في حق سك النقود مما سمح بظهور الغش والفساد والزغل في هذه النقود<sup>(٥)</sup>.

وما حدث عام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م قام السلطان الصالح حاجي بن شعبان بن حسين (٧٨٣ - ٧٨٤ هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢ م) بإسناد نظاره الخاص إلى سعد الدين بن البقرى، وبالتالي أصبح مسئولاً عن دور الضرب، فقام بضرب فلوس مزيفة، وأمر الناس بالتعامل بها فلم يمش الحال فعمل على إبطالها<sup>(٦)</sup>.

هكذا نلاحظ أن إهمال الدولة للرقابة على دور الضرب وقيامها بإسناد هذه المهمة لعدد من النظار والوكلاء أو المباشرين أدى إلى الغش والفساد والزغل في هذه النقود، حيث كانوا يعملون للحصول على جمع الأموال بصورة كبيرة ولو كان على حساب مصلحة الدولة وعامة الشعب<sup>(٧)</sup>.

ولا شك أن دور الضرب تأثرت بما تعرضت له مصر من أزمة اقتصادية منذ أواخر العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي، حيث أدى نقص معدن الذهب إلى إنقاص قيمة النقود سواء

(١) رضا رمضان، المرجع السابق، ص ٦١.

(٢) سهام المهدي، المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) النابلسي، لمع القوائين، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ٣١.

(٥) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠٣.

(٦) رضا رمضان، المرجع نفسه، ص ٦١.

(٧) المرجع نفسه، ص ٦٢.



الذهب أو الفضة أو النحاس، فضلاً عن عدم المحافظة على مستوى ثابت في وزن تلك النقود، ومما يؤكد ذلك قيام دار الضرب بإعادة ضرب الدينار القديمة في بداية عصر صلاح الدين، وقد انتهت هذه الأزمة مؤقتاً في عصر صلاح الدين بعد أن عمل على استقرار الأوضاع الاقتصادية في مصر بإحياء الصناعة والاهتمام بتنشيط التجارة<sup>(١)</sup>.

لكن على الرغم من حدوث العديد من الأزمات الاقتصادية التي كان سببها هجر النيل أو المجاعة أو الأوبئة أو الفتن والاضطرابات أو الحروب الخارجية، إلا أن إصدارات دار الضرب من النقود سواء الذهب أو الفضة لم تتوقف، بدليل أنه في سنوات حدوث الأزمة الاقتصادية نجد أن السلاطين يضربون الدينار والدراهم، ففي عام ٥٧٠هـ ضرب صلاح الدين ديناراً بالقاهرة كان وزنه ٤,٧٤ جم<sup>(٢)</sup> إلى جانب إصدارات أخرى من النقود الذهبية كانت بدار ضرب القاهرة في أعوام ٥٧١هـ - ٥٧٥هـ - ٥٧٦هـ - ٥٧٨هـ - ٥٧٩هـ - ٥٨٠هـ - ٥٨١هـ - ٥٨٢هـ، وظلت إلى عام ٥٨٩هـ وكلها كانت بأوزان شرعية أو تزيد عن تلك الوزن بقليل<sup>(٣)</sup> رغم مرور البلاد بأزمة اقتصادية نتيجة النفقات الباهظة التي تكلفتها الحروب الصليبية كما سبق أن ذكرنا.

ورغم مرور البلاد بأزمة اقتصادية في عهد العزيز عثمان ٥٨٩ - ٥٩٥هـ / ١١٩٣ - ١١٩٨م، إلا أن دار ضرب القاهرة والإسكندرية ظلت تصدران نقوداً ذهبية بأوزان شرعية أيضاً<sup>(٤)</sup>.

وهكذا طوال العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، رغم مرور البلاد بأزمات اقتصادية عنيفة بسبب نقص فيضان النيل، وحدوث المجاعات والأوبئة والفتن والاضطرابات في عهد كتبغا، والكثير من سلاطين تلك الدول نجدهم يضربون دنانير ذهبية باسمهم ففي عام ٦٩٤ - ٦٩٥هـ، ضرب زين الدين كتبغا نقوداً ذهبية بوزن تزيد وتخالف الوزن الشرعي للدينار أحد تلك الدنانير كان يزن ٨,٤٠ جم والأخر يزن ٦,٩٠ جم<sup>(٥)</sup> فنحن نعلم أن الوزن الشرعي للدينار يزن ٤,٢٥ جم، وربما كان هذا الوزن الزائد كان من مضاعفات الدينار نظراً لظروف الأزمة التي تمر بها البلاد.

هكذا تنابعت إصدارات داري ضرب القاهرة والإسكندرية لإصدار مختلف العملات، ولكن والشئ الذي لا شك فيه هو توقف دار الضرب وإنتاجها عام ٧٤٨ - ٧٥٢هـ /

(١) سهام المهدي، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٢٧.



١٣٤٧ - ١٣٥١ م) عندما انتشر الوباء الأسود في جميع أرجاء العالم في فترة حكم الناصر حسن بن قلاوون الأولى، وتسبب هذا الوباء في توقف أحوال الدولة والناس في كل الأمور والأحوال وذلك لانعدام الاتصال بكل شيء في العالم<sup>(١)</sup> فكان نتيجة حدوث هذا الوباء قلة إصدارات دور الضرب بالقاهرة والإسكندرية لحدوث هذا الوباء اللعين، هكذا كان سبب الأزمات الاقتصادية هي تلك الخسائر الفادحة التي منيت بها فئات من الشعب من كثرة تغيير السلاطين للعملة، وكثرة التلاعب والتزييف في أوزانها ومعاييرها وأسعارها<sup>(٢)</sup>.

عند الحديث عن الإصدارات النقدية للدولة المملوكية يلاحظ أنها اشتملت على كميات كبيرة من العملات النحاسية (الفلوس)، في الوقت الذي ندر فيه إصدارات النقود الأخرى مثل الذهب نظراً لعدم توفر معدنها بالكميات التي تكفي لاحتياجات الدولة ومختلف المعاملات المالية فيها، وقد انعكس هذا النقص بوضوح على اتجاه السياسة النقدية للدولة نحو العملات النحاسية، وسك إصدارات عديدة منها<sup>(٣)</sup>.

وقد اضطرب النظام المالي بسبب ظروف عصر المماليك البحرية وانتشار الفتن والاضطرابات، انخفاض مياه النيل وتكرار ذلك بصورة واضحة، المجاعات والأوبئة، الفساد الإداري وغير ذلك من الأسباب، هذا ومن المعروف أن إصدارات النقود ترتبط ارتباطاً قوياً بالسلطان المملوكي سواء بقوته أو ضعفه، فهي مقبولة وموضع ثقة العاملين طالما السلطان قوياً، أما إذا حدث وآل الأمر لسلطان آخر فإن النقود تتبدل وتتغير، فالنقود تتأثر بالمدة التي يقضيها السلطان في الحكم، فهناك من السلاطين من يحكم لمدة قصيرة فيصدروا كميات قليلة من النقود، ولم تكن تتاح لهم الفرصة في إصدار مختلف الأنواع النقدية، مثل العادل سلامش الذي أصدر عملات فضية فقط عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م<sup>(٤)</sup> أو بيبرس الثاني (الجاهشكير) الذي أصدر هو الآخر عملات فضية فقط عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م<sup>(٥)</sup>، وربما حدث ذلك لمروء البلاد بفترة من الفتن والاضطرابات بين المماليك للوصول إلى كرسي السلطنة على اعتبار أنهم كلهم أقوياء وأسوياء فلماذا لا يصلون إلى كرسي الحكم وهذا ما لاحظنا طوال عصر المماليك البحرية، إلى جانب

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢٣٧، ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ٣، ص ١١٠ - ١١١

(٢) لبيبة إبراهيم مصطفى، الفتن والاضطرابات الداخلية، ص ١٠٩.

(٣) النجيدى، النظام النقدي، ص ٢٢٧.

(٤) سامح فهمي، المسكوكات والقيم النقدية، ص ٦٠٤.

(٥) سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٦٠٧.



فيضان ماء النيل الذي كان نقصه أو زيادته يسبب خراب وضعف في الأحوال الاقتصادية أيضاً إلى جانب عوامل مختلفة كثيرة سبق ذكرها في الفصل الأول من الرسالة<sup>(١)</sup>.

ولم تعرف النقود العربية فترة من الاضطراب كتلك الفترة التي شملت العصر المملوكي. كله واختلفت النقود اختلافاً كبيراً ولم تستقر على حال ولم يكن لها سمة عامة واحدة كما كان ملحوظاً في نقود العصور السابقة<sup>(٢)</sup> فلم لا يحدث الاضطراب.

### تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن النقود:

لاشك أن العصر الأيوبي والعصر المملوكي البحري كانا قد شهدا العديد من تغيير الأوضاع وكان كلاهما لهما تأثيره المباشر في الحياة العامة بصفة عامة والحياة الاقتصادية بصفة خاصة، حيث كانت الحروب الصليبية لها أثرها في كل شئ في نواحي الحياة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، تلك الحروب التي سببت العديد من الأزمات الاقتصادية بصفة عامة، والأزمة النقدية بصفة خاصة نظراً لاختفاء الذهب من الأسواق واعتبار الفضة قاعدة التعامل العامة، وظهور الفلوس النحاسية التي تم التعامل بها جنباً مع جنب هي والفضة كما سبق أن ذكرنا.

وما حدث في العصر المملوكي البحري من الفتن والاضطرابات وسوء الأحوال الطبيعية كالتخفيض فيضان النيل وحدوث المجاعات والأوبئة، ونقص معدني الذهب والفضة لسوء تصرف الأفراد سواء كانوا حكاماً وأفراداً، وظاهرة الاكتناز التي أودت بالحياة الاقتصادية إلى مرحلة النهاية كل هذا كان سبباً في إفساد العملة وتزييفها<sup>(٣)</sup>، هذا إلى جانب سوء تصرف بعض السلاطين أو الحكام وما كانت تتعرض له النقود من قص وهرش وغش أو زغل من جانب الزغلية وغيرهم من عامة الناس، وكان من نتائج هذا الفساد حدوث نقص في وزن النقود إلى جانب الخلل الذي أصاب عيار تلك النقود وشكلها وحجمها، مما أدى إلى البحث عن عملات أخرى تحوز ثقة المتعاملين<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من ضرب الحكام لدنانير من الذهب فنجد أنها خضعت لتغيرات متعددة من حيث العيار والوزن والحجم<sup>(٥)</sup> لوحة (٦) فضلاً عن التقلب في أسعارها وفقاً لرغبة السلطان في الكسب

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر الفصل الأول، ص ٢٩-١٠٢.

(٢) حسن محمود الشافعي، العملة وتاريخها، ص ١٠٢.

(٣) النجيدى، النظام النقدي المملوكي، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٤) المرجع لفساد، ص ٢٥٦.

(٥) عبد الرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة، ص ٥٤٧، ضيف الله الزهراني، زيف النقود، ص ٥٤٧.





عن طريق المضاربة في هذه النقود الذهبية مما أفقد الشعب الثقة في هذه الدنانير<sup>(١)</sup> كما سوف نوضح ذلك في الفصل القادم بمشيئة الله.

وقد كان التلاعب في النقود إما عن طريق تخفيض قيمتها<sup>(٢)</sup> بجمعها من الأسواق (جمع النقود القديمة) وإعادة ضربها نقوداً جديدة تفل في القيمة، فيضطر الناس إلى التعامل بها بالقيمة الجديدة، وإما أن يقوموا بغشها عن طريق التلاعب في العيار أو إنقاص الوزن<sup>(٣)</sup>، هذا وقد حاول السلاطين أن يوازنوا بين نقص معدني الذهب والفضة، وحاجتهم إليها فقاموا بتغيير وزنها مع الاحتفاظ بقيمتها الاسمية<sup>(٤)</sup>.

وسوف نلاحظ أن وزن الدنانير الذهبية والدرهم الفضية كان يتراجع وينقص وزنهم من حين لآخر ومن فترة لآخرى<sup>(٥)</sup>، هذا إلى جانب ذلك قام بعض الأفراد بجمع النقود النحاسية والفضية وصهرها لتصنع أواني منزلية ثم يقومون ببيعها للناس طمعاً في الربح مما كان سبباً في تناقص كميات النحاس الموجودة بمصر، وقد ترتب على ذلك تزيف النقود بمعادن رخيصة الثمن عديمة القيمة<sup>(٦)</sup>، حتى الفلوس النحاسية عديمة القيمة قليلة الفائدة لم تسلم من تزيفها وخلطها بالمعادن الرديئة، أو تهريبها للخارج لغلاء النحاس، ففي عام ٧٥٩هـ/١٣٥٧م عز وندر وجود النحاس بمصر، وأصبح في غاية الغلاء، ويرجع ذلك إلى أن التجار حملوا الفلوس المضروبة إلى بلاد الحجاز واليمن وغيرها من الدول للإتجار بها، فطمع التجار ورغبتهم في الحصول على الأرباح جعلتهم يقومون بشراء الفلوس النحاسية وبيعها<sup>(٧)</sup>.

كان زيف العملة سبب هام من أسباب الأزمات الاقتصادية، ومظهر ذلك في إنقاص وزنها، وخلط الفلوس النحاسية بمعادن أخرى أقل قيمة خاصة حين أصبح التعامل بالفلوس على أساس الوزن وليس العدد كما حدث عند حدوث الأزمة النقدية عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م عندما أصبحت الفلوس النحاسية عاملاً هاماً في السوق النقدية<sup>(٨)</sup>.

(١) عبد الرحمن فهمي، المرجع السابق، ص ٥٤٧.

(٢) سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي، ص ٨٢.

(٣) ديفيد وليام ماكدوال، مجموعات النقود، ص ٤١.

(٤) رضا رمضان، المرجع السابق، ص ٥١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٥، سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٧) رضا رمضان، المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٨) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٤١، ضيف الله الزهراني، زيف النقود، ص ٣١-٣٢.



وضرب الفلوس بكميات كبيرة عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م<sup>(١)</sup>، إلى جانب انتشار الفلوس عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م فضربت فلوساً خفيفة<sup>(٢)</sup> تم التعامل بها بالميزان<sup>(٣)</sup> وقد كان هذا أول مرة في تاريخ التعامل بالفلوس أن تؤخذ عن طريق الوزن لا العدد<sup>(٤)</sup> هذا بسبب الظروف الاقتصادية السيئة التي أصابت البلاد سواء فتن واضطرابات، نقص ماء النيل، مجاعة، وباء وغير ذلك من أسباب.

هذا ويمكن القول أن جميع النقود سواء كانت الأيوبية أو المملوكية تعرضت للفساد، ولكن تفاوتت درجة ذلك الفساد من نوع لآخر، فكانت الفلوس النحاسية أكثر عرضه للفساد من الدراهم الفضية والدنانير الذهبية الذين تعرضا هما أيضاً لنقص الوزن وانخفاض العيار، فكما تعرض الذهب والفضة للتلاعب والفساد، فقد تعرضت أيضاً الفلوس النحاسية لأوجه مختلفة وعديدة من التلاعب وكان هدفاً ورغبة في الكسب والفائدة والربح<sup>(٥)</sup>، وقد استغلت الفلوس النحاسية أكثر من غيرها في عمليات التلاعب والغش لسهولة وقوع الفساد بها، وقد تساهلت الدولة ممثلة في الحكام والسلاطين في أمرها حتى تم تحديد قيمتها بأعلى من قيمتها الحقيقية فكثرت أعدادها وزادت الفلوس المزيفة والمخلوطة<sup>(٦)</sup> بالمعادن الرديئة<sup>(٧)</sup>.

هذا وقد تعددت العوامل المختلفة التي أدت إلى القلق والاضطراب الاقتصادي في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري كان أولها تزيف النقود المتداولة بين الناس، تلك التي كانت لها أسوأ الأثر على حركة الأسواق<sup>(٨)</sup> ذلك أن السلاطين عندما أكثروا من صرف الفلوس واختلفوا في تقديرها بالوزن فحينما يكون الرطل منها بـ ٦ دراهم، وأحياناً يكون بـ ١٢ درهم أو ٢,٥ درهم، فقد كان التجار يرغمون الأهالي على التعامل بها وفق القيمة التي تحددها الحكومة، مما يضطر كثيرين إلى إغلاق حوانيتهم خوفاً من بخس بضائعهم، ويصاحب هذه الحالة ارتفاع الأسعار

(١) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٤.

(٢) المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٨١٠، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦١.

(٣) العيى، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٣.

(٤) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٧١.

(٥) النجيدى، النظام النقدى، ص ٥٤١-٥٤٢، توجد قاعدة نقدية تقول كلما زاد الفرق بين القيمة الاسمية والقيمة الحقيقية للنقود كلما كانت عرضه للتزيف والتلاعب، وهذا ما كان عليه الوضع بالنسبة للنقود الذهبية والفضية والفلوس النحاسية، عندما يقوم المسئولين بالدولة بالتلاعب بأسعارها وتوجيهها نحو الارتفاع وهى فى الحقيقة ذات قيمة نقدية منخفضة، راجع: النجيدى، النظام النقدى، هامش ٢ ص ٥٤٢.

(٦) النجيدى، المرجع نفسه، ص ٥٤١.

(٧) نفسه، نفس الصفحة.

(٨) قاسم عبده قاسم، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ٧٠.



وقلة الخبز<sup>(١)</sup>، وعلى الجانب الآخر نجد أن الناس كانوا يمتنعون عن التعامل بها، فتصاب الحركة التجارية الداخلية بالكساد، إلا أن الدولة كانت تلجأ في بعض الأحيان إلى إصدار عملات جديدة بأسعار جديدة لمواجهة التضخم، وما ينتج عنه من آثار سلبية على الأسواق الداخلية على الرغم من حرصهم على تحقيق المكاسب من سك النقود الجديدة بأسعار تفوق قيمتها الشرائية من ناحية، وعدم وجود سياسة ثابتة في هذا الصدد من ناحية ثانية، فضلاً عن تعود الناس على عدم ثبات سياسة الحكام من ناحية ثالثة كل هذا يؤدي بالضرورة إلى ازدياد منحى التدهور بمرور الزمن<sup>(٢)</sup>، وهذا ما حدث بالفعل على مرآى ومسمع من حكم الأيوبيين والمماليك البحرية الذين ضربوا بمصالح الناس عرض الحائط واهتموا بمصالحهم الشخصية لجمع أكبر قدر ممكن من الثروة والنقود وصرفها في اللهو والعبث وغير ذلك مما لا يفيد الناس بأى شئ كما سبق أن ذكرنا في معرض الفصول السابقة، بل أكثر من ذلك، وقد أخذنا الدنانير كمثال لوزن النقود ومعرفة تأثير الأزمة عليها لأنها هي الأساس الذي يقوم عليه اقتصاد البلد ويظهر تأثير الأزمة عليها بدقة.

ولمعرفة كيف أثرت الأزمات على الدنانير لابد من ذكر متوسط أوزانها وذلك قبل الأزمة وأثناء الأزمة وبعد الأزمة. (العصر الأيوبي)

### تأثير الأزمات الاقتصادية على وزن الدنانير في العصر الأيوبي: أولاً: في عهد صلاح الدين الأيوبي:

في عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م بلغ وزن ٩ قطع من النقود الذهبية ٣٩,٢٢ جم<sup>(٣)</sup> كان متوسط وزن تلك الدنانير ٤,٣٥ جم وذلك عن طريق أخذ المتوسط العام الذي يساوي المتوسط = عدد وزن القطع / عدد القطع = ٣٩,٢٢ جم / ٩ = ٤,٣٥ جم.

(١) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٤٧-٤٨، السلوك، ج ٢، ص ١٧، ج ٣، ص ٨٢-٨٣، السخارى، النقد المسبوك، ص ٢٦٠ نقلاً عن: د. سعيد عاشور، المجتمع المصرى في العصر المملوكى، ص ٨٨.

(٢) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٧١.

(٣) هذا الرمز ANS-UM اختصاراً لـ

ANSUM (4.11) University of Pennsylvania Museum Collection, Philadelphia, on Permanent Loan to ANS.

- Paul - Balog ; The Coinage of the Ayyubids, London, 1980, P. 175. (4.24)

د. رافت التيراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية والقرالب والميداليات الإسلامية المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة للكتاب بالاشتراك مع مركز البحوث الأمريكى .

- Undena Publication, 1982, P.67. (4, 82)

ابن بكرة، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، ص ٩٨. (4.740)



وهكذا يسير المنوال فيما يأتي ذكره من ذكر لمتوسط وزن تلك النقود ، وفي عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، بلغ وزن ١٠ قطع من النقود الذهبية ٤٠,٧٥ جم<sup>(١)</sup> كان متوسط أوزانهم ٤,٠٧٥ جم، وفي عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م بلغ وزن ٩ قطع من النقود الذهبية ٣٧,٣٨ جم<sup>(٢)</sup> متوسط أوزانهم ٤,١٥ جم، وفي عام ٥٧٣هـ / ١١٧٧م بلغ وزن ٩ قطع من النقود الذهبية ٣٨,٥٨ جم<sup>(٣)</sup> كان متوسط أوزانهم ٤,٢٨ جم، وفي عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م بلغ وزن ٥ قطع من النقود الذهبية ٢٢,٦ جم<sup>(٤)</sup> متوسط وزانهم ٤,٥٢ جم، وفي عام ٥٧٥هـ / ١١٧٩م بلغ وزن ١٤ قطع من النقود الذهبية ٥٨,٢٦ جم<sup>(٥)</sup>، بلغ متوسط أوزانهم ٤,١٦ جم.

وفي عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م بلغ وزن ٩ قطع من النقود الذهبية ٣٧,١٢ جم<sup>(٦)</sup> كان متوسط أوزانهم ٤,١٢ جم، وفي عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م بلغ وزن ٧ قطع

- Lane-Poole (s), BMC,. Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, IV and IX, London 1879-1889 – P. 243. (3.45)

- Fahmy1 (4.24). Khediv. 1301 (4.70); Yapi-kredi (4.30)

عن Balog Pb1.

- Henri Lavoix; Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque National (Egypt et Syrie); Ristmpa de U edizione di parigi, 1896, P.175 (4.62)

(١) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٧، (3.71) - (4.52)، ابن بكرة - كشف الأسرار ص ٩٨ ، (3.900)

- ANS – UM (4.1) – Balog (4.37). BMC 243 (3.45), Dacumha II 1455 (4.13), Munchen 94066 (4.22). Paris (4.45)- Samir Shamma (3.90).

- Balog, Op.cit, P. 61.

عن Balog ص ٦٢

(٢) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٧ (3.71) - (4.52).

- ANS – UM (3.75) – Balog (3.72 ill , 4.15) – Berlin 96. 1898 (5.11) – BMC 244 (4.54) – Munzel (4.25) – Paris – Mecca (4.50) – Paris Trade (3.23).

- Balog; op-cit, P. 62.

عن Balog ص ٦٢

(٣) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٧، (3.66).

Lavoix; op-cit, P. 175, (4.58)

- Artuk 710 (3.75)-Balog (4.50)-BMC 245 (4.65)- Paris (3.62)- Paris Trade (4.68; 4.15) – Paris-Mecca, (4.56).

عن Balog; op. Cit. P. 62.

(4) Lavoix; op. cit. P. 175, (3.95)

- Balog, Op. cit., P. 62 Leuthold (4.51) – Paris (4.63) – Paris – Mecca (4.51) – Samir Shamma (5.00)

(5) Lavoix,op.cit,p. 175, (2.98)

(٦) ابن بكرة - كشف الأسرار، ص ٩٩، (3.73) (3.30) (3.52)

- Lavoix,op.cit, P. 175. (4.40)

د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٧، (4.61).

عن ANS-UM (5.21)- Khediv. 1308 (4.60)- Samir Shamma (4.10)- Yapi – Kredi(3.65)

Balog; op. cit., P. 68





٣٥,٩٦ جم<sup>(١)</sup>، كان متوسط أوزانهم ٥,٠٩ جم، وفي عام ٥٧٨ هـ بلغ وزن ٩ قطع ٣٩,١٤٦ جم<sup>(٢)</sup>، متوسط أوزانهم ٤,٣٤ جم، وفي عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م بلغ وزن ١٢ قطعة ٥٣,٠٦٥ جم<sup>(٣)</sup>، متوسط أوزانهم ٤,٤٢ جم، وفي عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م، بلغ وزن ٢٠ قطعة ٨٧,١٥ جم<sup>(٤)</sup> متوسط أوزانهم ٤,٣٥ جم، وفي عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م بلغ وزن ١٠ قطع ٤٢,٣٣ جم<sup>(٥)</sup> متوسط أوزانهم ٤,٢٣ جم، وفي عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م بلغ وزن ٢٥ قطعة ١١٥,١٣ جم<sup>(٦)</sup> متوسط وزانهم ٤,٦٠ جم، وفي عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م بلغ وزن ٣١ قطعة ١٤٦,٨٥ جم<sup>(٧)</sup>، متوسط وزانهم ٤,٤١ جم، وفي عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م بلغ وزن ٨ قطع

(١) د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (5.02) - Paul-Balog, op. cit, P. 68. - Artuk 711 (4.35) - Balog (5.29) - Leuthold (4.60) - Paris (6.63) - Samir Shamma (4.10 - 5.70).

(٢) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ٩٩، (4.640)، د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية ص (4.59).

- Ibid, P.68.-ANS-UM (3.736) - Paris - Mecca (5.46) (4.08) - Paris trade (4.47) (3.32) - Samir Shamma (4.85) - Wien 7719 (4.00).

(3) Lavoix; op. cit: P. 194, (5.80 - 5.10)

- Paul - Balog; op. cit., P. 68. - ANS - UM (4.169) (3.766) - Balog (4.15) - Leuthold (4.18) - Munzel (3.82) - Yapi-Kredi (4.25).

د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (4.92)، ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ٩٩، (4.44) (4.14) (4.33)

(٤) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ٩٩، (3.62) (3.70) (4.970) (4.37)

- د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧. (4.23)

Paul - Balog; op.cit, P.69; ANS-UM (3.79) - BMC 249 (4.04) - BM (5.15) - Leuthold - (4.75) - Paris- Mecca (4.71) (4.64) (4.78) (4.72) (4.02) - Paris-trade (4.74) (3.94) (4.56) (4.47) (3.65) - Samir Shamma (4.30).

(٥) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٠٠، (4.66) (3.29)، د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (4.64)

- Lavoix; op.cit, P. 176, (4.08), Balog; op.cit. P. 69, ANS-UM (4.86) - Leuthold (3.58) Paris - trade (3.41) (4.70) - Paris-Mecca (4.36) - Samir Shamma (4.75).

(٦) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٠٠، (6.45) (4.43) (4.15) (4.57) (4.24) (3.62) (4.32) (4.64) (4.83)

- د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (3.50)

- Balog; op.cit: P.69. ANS-UM (5.53) (4.70) - Berlin 607 / 1892 (4.06) - BMC 251 (4.39) - Paris-Mecca (5.69) (5.46) (5.41) - Paris-trade (3.73) (3.71) (3.96) (3.20) - Samir Shamma (4.60) (4.67) (3.95) (3.15) - Yapi-Kredi (4.17).

(٧) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٠٠، (4.14) (4.78) (3.85) (3.69) (3.90) (4.85) (5.07) (3.55) (5.15) (4.43) (4.45)

- د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (4.11) (5.10)

- Balog; op.cit, P 69, ANS-UM (3.98) - Balog (4.42) - BMC 253 (4.16) - Leuthold (4.18) (4.34) - Munzel (5.42) - Paris-Mecca (5.80) (4.06) (5.25) (4.43) (4.40) - Paris-RN 1935 (3.78) - Paris-trade (5.02) (3.60) (4.07) (4.58) (4.29) - Samir Shamma (4.00).



٣٤,٣٧ جم<sup>(١)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٢٩ جم، وفي عام ٥٨٥ هـ/١١٨٩م بلغ وزن ١٤ قطعة  
 ٦٧,٣٧ جم<sup>(٢)</sup> كان متوسط وزنهم ٤,٨١ جم، وفي عام ٥٨٦ هـ/١١٩٠م بلغ وزن ٢٨ قطعة  
 ١٢٦,٠٤ جم<sup>(٣)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٥٠ جم وفي عام ٥٨٧ هـ/١١٩١م بلغ وزن ٣١ قطعة  
 ١١٧,٠٢ جم<sup>(٤)</sup>، متوسط وزنهم ٣,٧٧ جم، وفي عام ٥٨٨ هـ/١١٩٢م بلغ وزن ٤٩ قطعة  
 ١٩٧,٩٢ جم<sup>(٥)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٠٣ جم، وفي عام ٥٨٩ هـ/١١٩٣م بلغ وزن ١٧ قطعة  
 ٧٤,٩ جم<sup>(٦)</sup> متوسط وزنهم ٤,٤٠ جم.

- 
- (١) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠١. (4.12)، - د. رأفت التبراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧. (4.93) (3.32). Lavoix: op. cit, P. 176, (4.10). Balog; op.cit; P.69, ANS-UM (4.58). Balog (4.87)-Leuthold (4.08)-Samir Shamma (4.37).  
 (٢) - د. رأفت التبراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (5.69)، ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠١، (4.02) (4.32) (5.37) (6.47) (6.57) (4.77).  
 Ibid, P. 69; ANS - UM (4.41) - Artuk 712 (4.80) - Paris-Mecca (4.48) (4.58) - Paris-trade (4.07) (3.48). . Lavoix: op.cit., P. 176, (4.34)  
 (٣) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠١، (5.49) (4.90) (5.06) (7.37) (4.76) (4.65). د. رأفت التبراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (4.31) (4.93) (6.24).  
 -Ibid, P. 70; Leuthold (4.60) (3.10) - Paris-Mecca (4.60) (5.49) (4.11) (3.83) - Paris-trade (3.79) (4.41) (3.68)(4.22)(3.84) (4.33)(4.02) (4.27)-Samir Shamma (4.55)-Yapi-Kredi (4.10)  
 (٤) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠١. (3.53) (3.47) (2.71) (3.92) (4.05).  
 - د. رأفت التبراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧. (4.29).  
 Ibid. P.70: ANS - UM (3.47) - Artuk 713 (3.75) - Balog (4.55) - BMC 257 (4.54) - unzel - (3.43) - Paris-Mecca (4.7) (3.55) (3.76) (3.34) (4.56) - Paris-trade (3.85) (3.76) (3.18) (3.65) (3.27) (4.17) (3.80) (4.23) (3.83) - Samir Shamma (4.3) (3.93) - Yapi - Kredi (4.14) - wien 12324 (4.15) (3.20) 7548 (2.57).  
 (٥) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٢، (5.19) (4.18) (3.64) (4.15) (5.36) (3.21) (4.02) (3.89) (3.37) (4.60) (3.68) (3.95) (4.38) (3.47) (5.50).  
 - د. رأفت التبراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧، (5.47).  
 (٦) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٢. (4.42 - 4.68)، د. رأفت التبراي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٧ - ٦٨، (3.61 - 5.72 - 4.32 - 2.61)، وليم قازان، المسكوكات الإسلامية، بنك بيروت ش.م.ل، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٣٣٥

- Lavoix; op. cit. P. 177; (2.60)
- Balog; op.cit. P. 70; ANS-UM (3.50) - Artuk 714 (3.40) - Balog (3.97) - BMC 259 (4.76) - da cunha 1457 (4.65) - leuthold (3.46) (3.99) - Munzel (5.16) - Qstrup 1555 (3.03) - Paris-Mecca (3.66 - 4.66 - 3.08 - 3.33 - 4.73 - 4.72 - 3.12) Paris-Vogue 1538 (3.95) - Paris-Trade (4.14 - 3.28 - 4.63 - 3.63 - 3.72 - 3.74 - 4.30 - 4.24 - 3.61 - 3.58 - 4.35 - 3.27) - Samir Shamma (4.60 - 4.70) - Yapi - Kredi (4.30).
- Ibid, P. 71. Da cunha 1458 (5.06) - Leuthold (5.31) - Paris-Mecca (4.20) - Paris-trade (4.52 - 3.75 - 3.00) Samir Shamma (3.35 - 4.30).
- Lavoix; op. cit., P. 194.(5.80) (5.10)



وعند تحليلنا لمتوسط وزن النقود في فترة حكم صلاح الدين عام ٥٧٠هـ / ١١٧١م إلى عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م نجد أنه في الأعوام التي حدثت فيها أزمات اقتصادية بلغ متوسط وزن النقود الذهبية ما يعادل الوزن الشرعي لتلك الدنانير، ففي عام ٥٧٠هـ / ١١٧١م حدثت أزمة اقتصادية فكان متوسط وزن النقود بلغ ٤,٣٥ جم، وفي عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م أثرت الحروب الصليبية التي قام بها صلاح الدين على متوسط وزن النقود من خلال إحدى ثلاثين قطعة بلغ متوسط أوزانهم ٣,٧٧ جم أي أن النسبة منخفضة عن الوزن الشرعي للدينار وربما كان هذا بسبب الحروب التي كان لها الأثر الأكبر في وزن الدنانير فجاءت منخفضة عن الوزن الشرعي لها، وبمرور السنوات صارت وزن النقود تميل نحو الارتفاع أو الانخفاض، وهو ما لم يحدث من قبل في العصر الفاطمي<sup>(١)</sup>، فنحن نجد من خلال مجموعة النقود التي تم إصدارها من عام ٥٧٠هـ — ٥٨٩هـ منها ما يعادل أو يوازي الوزن الشرعي للنقود وهو ٤,٢٥ جم، ومنها ما هو منخفض عن الوزن الشرعي للدينار، ومنها ما ارتفع عن الوزن الشرعي للدينار، فهناك ٩٦ قطعة من النقود الذهبية تقل أوزانها عن الوزن الشرعي وتتراوح أوزانها فيما بين ٣,٢٣ جم إلى ٣,٩٧ جم، وهناك خمسة قطع تقل عن الوزن الشرعي أيضاً وتتراوح أوزانها بين ٢,٥٧ جم إلى ٢,٩٨ جم، وهناك أيضاً ما يرتفع عن الوزن الشرعي للدينار ٣٥ قطعة تزيد عن ٥ جرامات فأكثر، إلى جانب ثلاث قطع تزيد عن ٦ جرامات فأكثر في سنوات مختلفة، ولكن من الواضح عن طريق أخذ متوسط النقود السابق ذكرها في تلك السنوات أنها لم تتأثر بحدوث الأزمات الاقتصادية إلا في القليل النادر كما سبق أن ذكرنا، فمتوسطها قبل الأزمة كما هو في أثناء الأزمة وبعد حدوث الأزمة.

هكذا يمكن القول أن دراسة وزن النقود تعتبر على قدر كبير من الأهمية وذلك لأنها تعكس لنا الجوانب الاقتصادية التي تمر بها الدول سواء في لوحي الرخاء أو الضائقة والأزمة.

#### دنانير العزيز عماد الدين عثمان ٥٨٩هـ — ٥٩٥هـ:

وفي عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م بلغ وزن ٥٨ قطعة ٢٣٩,٠٣٤ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنهم ٤,١٢ جم، وفي عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣ — ١١٩٤م بلغ وزن ١٨ قطعة

(1) Balog; The Coinage of the Ayyubids, P. 104.

(2) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٧، — 3.38 — 4.30 — 5.07 — 6.29 — 4.15 — 3.72 — 3.71 — 4.17 — (4.53) — 5.01 — 3.09 — 3.32 — 4.67 — 4.02 — 4.46 — 4.84 — 3.87 — 3.12 — 3.91.

Balog; op.cit. P. 104. ANS-UM (4.024) — Ashmolean.C.Kay (3.47) — Balog (4.71) (4.07) — Berlin-Guthrie (3.70) — BMC 287 (3.32) — 288 (3.56) — da cunha 1458 (5.06) — Khediv 1342 (4.30) — Leuthold (5.56 — 3.86 — 3.28) — Paris-Mecca=



١٢,٧٣ جم<sup>(١)</sup> متوسط وزنهم ٤,٠٦ جم، وفي عام ١١٩٤/١١٩٥م بلغ وزن سبع قطع ٣١,١٦ جم<sup>(٢)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٤٥ جم، وفي عام ١١٩٥/١١٩٦م بلغ وزن ١٨ قطعة من النقود الذهبية ٩٠,٣ جم<sup>(٣)</sup> متوسط وزنهم ٥,٠١ جم، وفي عام ١١٩٦/١١٩٧م بلغ وزن ١٥ قطعة من النقود الذهبية ٧٣,٧٨ جم<sup>(٤)</sup> متوسط وزنهم ٤,٩١ جم، وفي عام ١١٩٧/١١٩٨م بلغ وزن ٢٤ قطعة من النقود الذهبية ١١١,٠٨ جم<sup>(٥)</sup> متوسط وزنهم ٤,٦٢ جم، وفي عام ١١٩٨/١١٩٩م بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٢٢,٤١ جم<sup>(٦)</sup>، متوسط وزنهم ٣,٧٣ جم.

= (4.72 - 3.72 - 3.72 - 3.76 - 2.48 - 3.35 - 5.22 - 2.87 - 4.05) - Paris-trade (5.03 - 4.92 - 3.93 - 3.79 - 4.38 - 4.22 - 4.78 - 4.14 - 4.33 - 3.92 - 4.66) - Samir Shamma (3.20 - 4.55 - 3.35 - 4.20 - 4.60) - Yapi-Kredi (4.80-3.80).

(١) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٧، (4.22 - 4.71 - 3.54 - 4.34 - 4.41 - 3.42)

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٨، (4.17)

- Balog; op.cit. P. 104. ANS-Newall (3.967) - ANS-UM (4.533) - Ashmolean A.C.Kay (3.79) - Berlin - Guthrie (3.76) - BMC 290 (4.69) - Munzel (2.70) - Paris-Mecca (4.40 - 3.38 - 4.45) - Paris-trade (4.66 - 3.98).

(٢) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٨، (4.49)، قازان، المسكوكات، ص ٣٣٥، (4.91)

- Balog; op.cit., P. 104; Balog (4.65) - Qstrup 1566 (4.15) - Paris (4.85) Paris-Mecca (4.61) - Yapi-Kredi (3.50).

(٣) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٨، (5.05 - 3.40)، د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٨، (5.52).

- Balog; op.cit., P. 105. ANS-UM (4.836 - 5.42) - Balog (5.64 - 4.95) - BM (5.96) - Mitchell-Brown (4.74) - Leuthold (3.75 - 5.46) - Paris-Mecca (3.86 - 6.01 - 6.35) - Paris-trade (4.08 - 4.63 - 4.43 - 4.13) - Samir Shamma (5.85 - 4.68).

(٤) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٨، (5.04) (4.16) (5.91) (4.97) (4.89)

- Balog; op.cit., P. 105. ANS-UM (5.88 - 5.41 - 5.48) - BMC 294 (5.96) - Lavoix 503 bis (3.72) - Munzel (4.15) - Leuthold (4.92) - Paris-Mecca (4.35) - Paris-trade (3.77) - Samir Shamma (5.17).

(٥) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٠٨، (3.46 - 3.53 - 4.28 - 3.65)

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٨، (5.91)

- Balog; op.cit., P. 105. ANS-UM (4.98) - Artuk 721 (5.20) - Balog (5.84) - Leuthold (4.46 - 5.84 - 3.28 - 5.40) - Paris-Mecca (6.11) (3.98) - Paris-trade (3.52 - 4.90 - 3.67 - 4.23 - 3.49 - 4.98 - 3.57) - Samir Shamma (5.55 - 7.10) - Yapi-Kredi (3.35).

(٦) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٢، (3.76 - 4.50 - 3.71)

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٦٨، (3.23)

- Lavoix; op.cit. P.196, (4.00).

- Balog. Op. cit., P. 114, Paris-Mecca (3.21).







وعند تحليلنا لمتوسط وزن تلك النقود نجد أنها قريبة من الوزن الشرعي في سنوات ٥٨٩هـ — ٥٩٠هـ — ٥٩١هـ هذا قبل حدوث الأزمة الاقتصادية التي ألمت بالبلاد عام ٥٩٢هـ ولكن رغم ظروف البلاد وحدث الأزمة الاقتصادية في هذا العام إلا أن متوسط وزن النقود لهذا العام كانت أعلى من الوزن الشرعي للدينار أي أنها لم تتأثر بتلك الأزمة وزاد متوسط وزنها رغم سوء أحوال البلاد الاقتصادية فبلغ عدد ١٨ قطعة كان وزنها ٩٠,٣ جم فكان متوسط وزنها هو ٥,٠١ جم، ولكن رغم استمرار الأزمة الاقتصادية إلا أن السنوات التي تمت فيها تلك الإصدارات كان متوسط أوزانهم قريب من الوزن الشرعي أو يزيد بنسبة بسيطة عنه.

ولكن نجد أن عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨ - ١١٩٩م، قل متوسط عدد وزن الدنانير عن الوزن الشرعي للدينار، والبعض الآخر يزيد عن الوزن الشرعي لها فبلغ وزن ٦ قطع ٢٢,٤١ جم كان متوسط وزنها ٣,٧٣ جم، أي أنه يقل عن الوزن الشرعي فربما تكون الأزمة الاقتصادية التي مرت بها البلاد وحدثت الأوبئة والجماعات قد أثرت على وزن النقود في ذلك العام فجاءت تنقص عن الوزن الشرعي، ومن ناحية أخرى نجد عند تحليلنا لوزن النقود دون أن نأخذ في الاعتبار متوسط أوزانها نجد أنها هي الأخرى كان معظمها يصل إلى الوزن الشرعي، وبعضها يقل عن الوزن الشرعي للدينار، والبعض الآخر يزيد عن الوزن الشرعي ففي المجموعة السابقة التي ذكرناها نجد أن هناك ٥٠ قطعة يقل وزنها عن الوزن الشرعي وتزن أكثر من ٣ جرامات، و ٣ قطع يزيد وزنها عن ٢ جرام، أما عدد القطع التي تزيد عن الوزن الشرعي فقد بلغ ٢١ قطعة يزيد وزنها عن ٥ جرامات أي زيادة عن الوزن الشرعي، و ٣ قطع يزيد وزنها عن ٦ جرامات، وقطعة واحدة يزيد وزنها عن ٧ جرامات، أي أن وزن النقود كانت تميل إلى الارتفاع أكثر من المعدل الطبيعي لها حتى تتجاوز الوزن الشرعي والبعض الآخر كان يقل عن المعدل الطبيعي للوزن الشرعي.

المنصور محمد بن عثمان: ٥٩٥ - ٥٩٦هـ / ١١٩٨ - ١١٩٩م:

في عام ٥٩٥هـ بلغ وزن ١٠ قطع ٤٥,٦٣ جم متوسط أوزانهم ٤,٥٦٣ جم<sup>(١)</sup>، وفي عام ٥٩٦هـ / ١١٩٨ - ١١٩٩م بلغ وزن ٧ قطع ٣٢,١٢ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنها ٤,٥٨ جم.

(١) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٢، (3.76 - 4.50 - 3.71)

- Balog; op.cit. P. 114. ANS-UM (4.68) - Balog (5.27) (4.44) - Berman 182 (4.49) - BMC 299 (6.05) - Leuthold (4.04) - Paris-Mecca (4.69).

(٢) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٢، (4.34)

- Balog; op.cit.; P. 114. ANS-UM (4.00) - Balog (6.21) - Leuthold (3.96) - Paris-Mecca (3.95 - 3.46) - Yapi-Kredi (6.20).



في عام ٥٩٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢٠٠ م، بلغ وزن ١٣ قطعة من النقود الذهبية ٥٦,٥٢ جم<sup>(١)</sup> كان متوسط وزنهم ٤,٣٤٧ جم، وفي عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠١ - ١٢٠٢ م بلغ وزن ١٨ قطعة ٨٣,٥٤ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنهم بلغ ٤,٦٤ جم، وفي عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٢ - ١٢٠٣ م بلغ وزن ٢٦ قطعة من النقود الذهبية ١٢٢,٥٦ جم<sup>(٣)</sup> متوسط وزنهم ٤,٧١ جم، وفي عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٤ - ١٢٠٥ م، بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٦,٧٥ جم<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٨ - ١٢٠٩ م، بلغ وزن ٧ قطع ٢٨,٢٢ جم<sup>(٥)</sup> متوسط وزن ٤,٠٣ جم، وفي عام ٦٠٧ هـ / ١٢٠٩ - ١٢١٠ م، بلغ وزن ٥ قطع، ٢٠,٣ جم<sup>(٦)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٠٦ جم، وفي عام ٦٠٨ هـ / ١٢١٠ - ١٢١١ م بلغ وزن ٣ قطع، ١٤,٢٣ جم<sup>(٧)</sup> متوسط وزن ٤,٧٤ جم، وفي عام ٦٠٩ هـ / ١٢١١ - ١٢١٢ م بلغ وزن ٣ قطع ١٨,٨٠ جم<sup>(٨)</sup>، متوسط وزنهم ٦,٢٦ جم، وفي عام ٦١٠ هـ / ١٢١٢ - ١٢١٣ م بلغ وزن ٢ قطعة ٩,٣٧ جم<sup>(٩)</sup>،

- (١) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٤، (3.95 - 5.05 - 3.00 - 4.44 - 5.00 - 4.15 - 5.38 - 3.35)  
- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٩، (3.86)  
- Balog; op. cit.; P.116. Balog (6.83)-BMC 342 (3.79)- 343 (3.82)-Paris-Mecca (3.90).  
(٢) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٤،  
(3.97) - (5.02) - (4.26) - (4.34) - (4.45) - (4.64) - (6.53) - (3.78) - (3.92) - (4.21) -  
(4.55) - (4.70) - (3.95) - (5.30) - (5.23) - (4.22)  
- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٩، (6.65)  
- Balog; op.cit.; P. 117. ANS -UM (3.82).  
(٣) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٥،  
(5.04) - (5.97) - (3.71) - (5.21) - (5.14) - (7.60) - (4.750) - (4.90) - (4.70) - (4.96) -  
(5.88) - (4.50) - (3.54) - (3.55) - (6.77) - (4.30) - (4.18) - (5.06)  
- Balog; op.cit., P. 117. ANS-UM (4.80) - Balog (3.62) - BMC 345 (3.84) -  
Leuthold (4.86 - 3.98 - 3.04) - Paris - Mecca (4.86) - Yapi-Kredi (3.80).  
(4)Lavoix; op.cit. P. 224, (6.75) gm.  
(٥) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٥، (4.57)  
- Balog; op. cit., 117. ANS (3.734) - Artuk 728 (4.40) - BMC 346 (4.70) -  
Horovitz (3.47) - Yapi-Kredi (3.45 - 3.90)  
(٦) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. نيكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٩، (3.86)  
- Balog; op.cit.; P. 118. BMC 347 (3.00) - Paris (4.82) - Yapi-Kredi (4.17 - 4.45).  
(٧) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١١٥، (5.46 - 4.60)  
- Balog; op.cit., P. 118, (4.17)  
(8) Ibid, P. 118. ANS-UM (6.307) - Balog (7.00) - Yapi-Kredi (5.50).  
(9) Ibid, P. 118, (4.12)



متوسط وزنهم ٤,٦٨ جم وفي عام ٦١٤هـ/١٢١٦-١٢١٧م، بلغ وزن ٣ قطع ١٥,٩٣ جم<sup>(١)</sup>  
بمتوسط وزن ٥,٣١ جم.

الكامل ناصر الدين أبو بكر أبو المعالي محمد بن العادل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م):

في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ٨,٩١ جم<sup>(٢)</sup> متوسط  
وزنهم ٤,٤٥ جم، وقد بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٢٥,٢٣ جم<sup>(٣)</sup>، وذلك في عام  
٦١٦هـ / ١٢١٩م، وقد بلغ متوسط وزنهم ٤,٢٠ جم، أما في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م فقد بلغ  
وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٢,٨٣ جم<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٦١٨هـ/١٢٢١م بلغ وزن قطعتين  
من النقود الذهبية ٨,٩٥ جم<sup>(٥)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٤٧ جم، أما في عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م قد  
بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٣,٨٥ جم<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م كان وزن ٦  
قطع من النقود الذهبية ٣١,٥٤ جم<sup>(٧)</sup>، متوسط وزنهم ٥,٢٥ جم، وفي عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م  
بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٢٦,٨٨ جم<sup>(٨)</sup>، متوسط وزنهم ٤,٤٨ جم، وفي عام  
٦٢٥هـ/١٢٢٧م بلغ وزن ١٣ قطعة من النقود الذهبية ٦٣,٧٧ جم<sup>(٩)</sup>، متوسط وزنهم  
٤,٩٠ جم، وفي عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م بلغ وزن ١٧ قطعة من النقود الذهبية ٩٦,٤٩ جم<sup>(١٠)</sup>،

- 
- (1) Balog; op.cit. P. 119. BMC 352 (4.36) – Yapi-Kredi (6.50) gm.  
- ولیم قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٥، gm (5.07)  
(2) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٦٩، (5.21)  
- Lavoix; op.cit. P. 224, (3.70)gm.  
(3) Balog; op. cit., P. 146. – Balog (4.64) – Berlin 237 /1881/(3.41) – BMC 373  
(3.69) – Samir Shamma (4.50) (5.30) – Weyli 6517 (3.69).  
(4) ولیم قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٧، gm (2.83)  
(5) Balog; op.cit., P.147. Balog (4.60) – (4.35) gm  
(6) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٢٣، (3.850)  
(7) Balog; op.cit., P.147. ANS-UM (5.16) – Balog (6.95) – Horovitz (5.72) –  
Qstrup 1575 (4.21) – Samir Shamma (6.30).  
- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠.  
(8) Balog; op.cit., P.147. Artuk 736 (3.90) – Ashmolean A.C.Kay (4.61) – Balog  
(4.92) – Horovitz (4.20) – Munzel (5.10).  
(9) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٢٣، gm (5.06) (4.64)  
- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠، gm (4.92)  
- Lavoix; op.cit. P. 241, (4.73) gm.  
- Balog; op. cit.; P. 148 Artuk 737 (5.40) – Balog (5.15) – BMC 376 (5.28) –  
377(4.45)–378(5.15)–379(4.66)–Munzel(4.72)–Paris(3.86)–Samir Shamma (5.75).  
(10) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠، gm (7.23)  
- ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٢٣، gm (5.22) (7.30)



بلغ متوسط وزنهم ٥,٣٦ جم، وقد بلغ وزن ٢٤ قطعة من النقود الذهبية عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، ١١٤,٨ جم<sup>(١)</sup>، كان متوسط وزنهم ٤,٧٨ جم، وفي عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، بلغ وزن ٣٠ قطعة من النقود الذهبية ١٣٤,٧٣ جم<sup>(٢)</sup>، ٤,٤٩ جم، وفي عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م، بلغ وزن ١٨ قطعة من النقود الذهبية ٧٢,١٢ جم<sup>(٣)</sup> متوسط وزنهم ٤,٠٠ جم وقد بلغ وزن ١٦ قطعة من النقود الذهبية أيضاً ٨٠,٦٢ جم<sup>(٤)</sup> متوسط وزنهم ٥,٠٣ جم، وذلك في عام ٦٣٠هـ/١٢٣١ - ١٢٣٢م، وفي عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م بلغ وزن ١٣ قطعة النقود الذهبية ٦٧,٥٦ جم<sup>(٥)</sup>، متوسط وزنهم ٥,١٣ جم.

=- Balog; op.cit., P. 149, Artuk 738 (7.30) – Balog (4.25) (5.35) – Berlin-Guthrie (6.25) – Berman 191 (6.40) – BMC 380 (3.31) – 381 (3.31) – Horovitz (740) (5.44) (3.22) – Munzal (4.48) – Paris (5.78) – Samir Shamma (4.80) (5.30) – Yapi-Kredi (4.15).

(1) Lavoix; op.cit. P. 242, (5.07) gm

- قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٧، (5.86) gm

- ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٢٤، (4.49) gm (4.98).

- Balog; op. cit., P. 149, ANS-UM (3.94) – Artuk 739 (6.10) – Balog (6.50) (4.40) (5.87) – BMC 383 (4.02) – 383 (3.95) – Horovitz (5.80) (3.65) – Munchen 82626 (6.203) – Munzel (5.14) – Samir Shamma (4.50 – 4.88 – 3.63) – Yapi-Kredi (6.75 – 5.12 – 5.00 – 4.50 – 4.45) gm.

(٢) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٢٤، (5.10 – 4.59 – 5.31 – 5.21 – 5.63)

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كاتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠، (6.07) gm

- Lavoix; op. cit., P. 337, (4.27) gm

- Balog; op. cit., P. 149, ANS-UM (5.78) (5.03) – Artuk 740 (4.30).

- Ashmolean.J.Schulman (4.05) – Balog (3.92 – 4.13) – Berlin – Guthrie (3.74 – 3.87) – BMC 384 (4.83) – 385 (4.78) – 386 (5.21) – 387 (5.39) – 388 (6.01) – Munzel (7.06) – Paris (6.30) – Samir Shamma (5.17) – Yapi-Kredi (5.30 – 5.05 – 3.80 – 4.20 – 3.52 – 3.90).

(٣) قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٧، (7.82) gm

- ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٢٤، (6.37 – 5.30 – 5.94 – 5.29)

- Balog; op.cit. P. 149, Artuk 741 (4.50) – Balog (4.50) – BMC 389 (3.45) – 390 (4.01), 391 (4.42) – 392 (3.92) – 383b (4.47) – Horovitz (5.10) – Paris (6.78) – Parisvogue (5.56) – Yapi-Kredi (7.00 – 5.95 – 4.64).

(٤) ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٢٥، (6.82 – 4.12 – 7.60) gm

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كاتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠، (4.93)

- Lavoix; op. cit., P.242, (5.05 – 6.13) gm.

- Balog; op. cit., P.149, ANS (4.75) – Artuk 742 (4.95) – Baloy (2.30) – Horovitz (6.20) – Munzel (4.48) – Paris R.N. 1935 (4.52) – Samir Shamma (3.95 – 3.85 – 2.90) – Yapi-Kredi (4.12) gm

(٥) قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٧، (4.78) gm

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كاتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠، (4.32) gm

- ابن بعرة، كشف الأسرار، ص ١٢٥، (5.48 – 4.89) gm





وفي عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٣ - ١٢٣٤م، بلغ وزن ١٨ قطعة من النقود الذهبية ٩٢,٨٩ جم<sup>(١)</sup>، متوسط وزنهم بلغ ٥,١٦ جم، وفي عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٤ - ١٢٣٥م بلغ وزن ١١ قطعة من النقود الذهبية ٦١,٤٤ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنهم ٥,٥٨ جم، وفي عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٥ - ١٢٣٦م، بلغ وزن ١٣ قطعة من النقود الذهبية ٦١,٤٣ جم<sup>(٣)</sup> متوسط وزنهم ٤,٧٢ جم، وبلغ وزن ٧ قطع من النقود الذهبية ٣٥,١٦ جم<sup>(٤)</sup> متوسط وزنهم بلغ ٥,٢٢ جم وذلك في عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٦ - ١٢٣٧م.

وفي عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٧ - ١٢٣٨م، بلغ وزن ١٩ قطعة من النقود الذهبية ١١٨,٩٣ جم<sup>(٥)</sup> متوسط وزنهم ٦,٢٥ جم، وفي عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٨ - ١٢٣٩م، بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٣٤,٩٥ جم<sup>(٦)</sup> متوسط وزنهم ٥,٨٠ جم.

دنانير الصالح نجم الدين أيوب: ٦٣٧ - ٦٤٧ / ١٢٤٠ - ١٢٤٩م:

ضرب الصالح نجم الدين أيوب دنانير ذهبية هو الآخر، ففي عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠ - ١٢٤١م، بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٢٨,٦٩ جم<sup>(٧)</sup> بلغ متوسط وزنهم ٤,٧٨ جم، وفي

= - Balog; op.cit., P. 150, Artuk 743 (4.40) - BMC 394 (4.98) - 395 (7.06) - Horovitz (6.20) Munzel (4.80)- Paris (7.24)- Paris R.N. 1935 (4.17) - Yapi-Kredi (4.70-4.54).

(١) د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٠ gm (5.95)

- ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٢٥، gm (3.70 - 4.80 - 5.26 - 4.34)

- Balog; op. cit., P.150, Artuk 744 (5.85)- Ashmolean A.C.Kay (4.37)-Balog (4.46 - 6.84) - BMC 374 (7.43) - 396 (5.33) - 397 (5.80) - Horovitz (5.95 - 2.85) - Munzel(6.60)-Paris R.N.1935(6.11)- Samir Shamma (3.90)-Yapi-Kredi (3.35)gm.

(٢) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٢٥، (4.70)، د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود

والصنح الزجاجية، ص ٧١، (4.63)، قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٧، (6.06)

- Balog; op.cit., P.150. ANS (4.79) - Balog (6.21) (5.68) - Berlin-Guthrie (7.61) BMC 398 (5.78) 399 (3.92) - Horovitz (5.90) - Paris (6.16).

(٣) قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٧، gm (4.72)

- Balog; op.cit., P.150. Artuk 745 (4.30) - Balog (5.63 - 4.13) - BMC 400 (4.49) - 401 (4.56) - 402 (5.20) - Horovitz (3.80) (6.91) - Mitchell - Brown (3.67) - Samir Shamma (4.17) - Yapi-Kredi (5.55 - 4.25).

(4) Lavoix; op.cit. P. 242, (5.10) gm., - Balog; op. cit., P.150, Balog (5.71) - BMC 403 (3.03)- 404 (6.01)-Horovitz (5.95)-Qstrup 1576 (3.71)-Yapi-Kredi (5.65).

(5)Balog; op.cit., P.179, ANS-UM (5.79) - Artuk 748 (3.40) - Awad (5.70) - Balog (4.94 - 7.28-5.90 - 4.23) - BMC 421 (3.80). Fahmy 285 (6.54) - 286 (4.65)- Horovitz (6.45). Khediv 1429 (4.20) - Leuthold (10.90 - 10.00 - 5.42) - Munzel (5.67)-Qstrup 1590 (3.51)-Samir Shamma (5.86)- Weyl 6529 (3.50).

(6)Balog; op.cit., P. 179. ANS (4.94) - ANS-UM (5.51) - Balog (4.47 - 3.70) - Fahmy 287 (6.23) 288 (7.25).

(٧) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٢٨، gm (6.45)، د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك،

كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٢، gm (4.30)



عام ٦٣٩هـ / ١٢٤١ - ١٢٤٢م، بلغ وزن ٥ قطع ٢٢,٧٩ جم<sup>(١)</sup> بلغ متوسط وزنها ٤,٥٥ جم، وفي عام ٦٤٠هـ / ١٢٤٢ - ١٢٤٣م، بلغ وزن ٧ قطع ٢٩,٧٢ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنها ٤,٢٤ جم وفي عام ٦٤١هـ / ١٢٤٣ - ١٢٤٤م، بلغ وزن ٥ قطع ٢٣,٩٧ جم<sup>(٣)</sup> متوسط وزنها ٤,٧٩ جم، وفي عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤ - ١٢٤٥م، بلغ وزن ٤ قطع ١٧,٠٢ جم<sup>(٤)</sup> متوسط وزنها ٤,٢٥ جم، وفي عام ٦٤٣هـ / ١٢٤٥ - ١٢٤٦م بلغ وزن ١٠ قطع ٤٦,٩٦ جم<sup>(٥)</sup> متوسط وزنها ٤,٦٩ جم وفي عام ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م، بلغ وزن قطعة واحدة ٤,١٩ جم<sup>(٦)</sup>.

وعند تحليلنا لمتوسط وزن مجموعة النقود السابق ذكرها فنحن نجد في عهد المنصور محمد بن عبد العزيز عثمان، فعلى الرغم من حدوث أزمة اقتصادية في البلاد واستمرارها من عام ٥٩٢هـ / إلى عام ٥٩٥هـ وما بعد ذلك إلا أن متوسط وزن النقود لم يتأثر بتلك الأحوال الاقتصادية السيئة التي عمت بالبلاد في عهده، فتراوح المتوسط عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م حول ٤,٠٦ جم أي زيادة طفيفة قل عن الوزن الشرعي الذي يبلغ ٤,٢٥ جم، ولكن من الناحية الأخرى نجد أن هناك دنالير زادت عن الوزن الشرعي للدينار، وهناك دنالير أخرى انخفض الوزن الشرعي لها، فهناك ٥ قطع من النقود الذهبية يزن حجمها ٣ جرامات فأكثر أي تقل عن الوزن الشرعي، أما القطع الذهبية التي زادت عن الوزن الشرعي لها فكان عددها ٣ يزيد وزنها عن ٦ جرامات، وقطعة نقود ذهبية واحدة يزيد وزنها عن ٥ جرامات، كل هذا في مجموعة من قطع النقود

- 
- Balog; op.cit., P.182., BMC 423 (4.23) – Horovitz (3.96) – Khediv 1431 (4.20) – Yapi-Kredi (5.55).
- (١) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ٢٩، gm (4.310)، د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٧٢، gm (4.31).
- Balog; op. cit., P.182, ANS-UM (4.32) – Balog (4.36) – Khediv 1430 (4.20).
- (٢) قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٨، gm (4.38)، د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٧٢، gm (4.38).
- Balog; op.cit., P.182, Ashmolean. A.C. Kay (4.08) – Balog (4.17) – BMC 425 (4.30) 426 (4.18). Khediv. 1432 Paris (4.24).
- (3) Ibid, P.182, Artuk 753 (4.50)– BMC 426 d (4.23)–Qstrup1592(4.30)–Wien629(4.30).
- قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٣٨، gm (6.64).
- (4) Balog; op.cit., P.183, Artuk 752 (4.25) – Balog (4.28) - BMC 426 k (4.21) – Leuthold (4.28).
- (5) Ibid. P. 183. Awad (4.10) – Balog (4.38) (4.30) (4.35) – Berlin 239/1881 (4.30) – BMC 427 (4.30) – Horovitz (4.20) – Paris (4.28) – Weyl 6532 (8.70) – Yapi-Kredi (4.05).
- (٦) ابن بكرة، كشف الأسرار، ص ١٢٩، gm (4.19).



الذهبية عددها ١٦ قطعة، أي أن هناك تذبذب واضح واختلاف في وزن الدنانير سواء بالزيادة أو بالنقص، وتسمى في هذه الحالة قطع نقود ذهبية.

أما الفترة التي حكم فيها العادل محمد بن أيوب البلاد، فهي فترة من أسوأ الفترات التي حدثت فيها أزمة اقتصادية في البلاد نتيجة انخفاض مياه النيل فاضطربت أحوال البلاد المصرية كلها، فقد بلغ متوسط وزن ١٣ قطعة من النقود الذهبية في عام حدوث الأزمة ٤,٣٤ جم، وظل على ذلك الحال في سنوات ٥٩٩هـ - ٦٠٨هـ، ولكنه عاد إلى الزيادة عن الوزن الشرعي وظهر ذلك في عام ٦٠٩هـ أنه من خلال ٣ قطع بلغ متوسط أوزانهم ٦,٢٦ جم فزاد الوزن الشرعي للدينار نفسه، أي أن متوسط وزن النقود في فترة حكم الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب لم تتأثر بحدوث الأزمات الاقتصادية في البلاد، إلا أننا نجد على الجانب الآخر قطع نقود ذهبية اقتربت من الوزن الشرعي للدينار، وهناك البعض قل عن الوزن الشرعي للدينار، والبعض الآخر زاد عن الوزن الشرعي للدينار فنجد أن هناك ٢٤ قطعة نقود ذهبية بلغ وزنها ٣ جرامات فأكثر حيث انتهى عند ٣,٩٧ جم أي أقل عن الوزن الشرعي للدينار، وهناك عدد كبير من القطع الذهبية تبلغ وزن الواحدة منها ٦ جرامات فأكثر من ذلك، وعددها ٥ قطع من النقود الذهبية، ربما أراد أن يتم التعامل بها على أساس أنها دينارين، وهناك قطعتين من النقود الذهبية وزنها ٧ جرامات فأكثر، و ١٦ قطعة يزيد وزنها عن ٥ جرامات، إذن هناك تذبذب حول وزن الدنانير فهناك من لم يبلغ الوزن الشرعي، وهناك من زاد عن الوزن الشرعي لتلك الدنانير فنجد الانخفاض والارتفاع والتذبذب الدائم، لذلك تسمى في هذه الحالة قطع من النقود الذهبية، وليست دنانير.

وعند تحليلنا لمتوسط وزن نقود ودنانير الملك الكامل (٦١٥ - ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ - ١٢٣٧م) نجد في السنوات التي سبقت حدوث الأزمة الاقتصادية التي جاءت في عام ٦١٧هـ بسبب الحملة الصليبية الخامسة على البلاد، نجد أن متوسط وزن قطعتين من النقود الذهبية بلغ عام ٦١٥هـ، ٤,٤٥ جم، و ٦ قطع عام ٦١٦هـ، بلغ ٤,٢٠ جم أي أنها تقترب كلها من الوزن الشرعي للدينار سواء زادت بنسبة طفيفة أو قلت أيضاً بنفس النسبة، لكن نتيجة مجي الحملة الصليبية الخامسة إلى دمياط وتوغلها في عام ٦١٧هـ، نجد أن هذه الحملة كان لها أثر كبير على الوضع الاقتصادي للبلاد فظهر أثرها في قطعة نقود تقل عن الوزن الشرعي للدينار لتزن ٢,٨٣ جم، ولكن في السنة التي مازالت فيها الحملة موجودة على أرض مصر بلغ متوسط وزن قطعتين من النقود الذهبية ٤,٤٧ جم أي أننا نستنتج أنه ربما تكون حالة البلاد الاقتصادية كانت لا تؤثر في النقود في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى كان لها تأثير كبير، وعلى الجانب الآخر إذا أخذنا في الاعتبار أن هناك وزن زادت عن الوزن الشرعي للدينار والبعض الآخر انخفض عن هذا الوزن نجد





أنه بلغ عدد القطع التي زادت عن الوزن الشرعي للدينار قطعتين بلغ وزنها أكثر من ١٠ جرامات، ١٣ قطعة بلغ وزنها أكثر من سبع جرامات، ٢٩ قطعة بلغ وزنها أكثر من ٦ جرامات، ٦٤ قطعة يزيد وزنها عن ٥ جرامات، أي أن هناك ١٠٨ قطعة من النقود الذهبية للملك الكامل يزيد وزنها عن الوزن الشرعي للدينار، أما بالنسبة للنقود الذهبية التي يقل وزنها عن الوزن الشرعي فهناك ٣٦ قطعة تزن ٣ جرامات فأكثر، وهناك ٤ قطع يبلغ وزنها ٢ جرام فأكثر.

هكذا نجد التذبذب الواضح في وزن الدينار التي ضربت في عهد الملك الكامل سواء بالارتفاع أو بالانخفاض، فنجد أنها تجاوزت نسبة كبيرة عن وزنها الشرعي فنجد أن النسبة التي بلغت ١٠ جرامات فأكثر ربما أنه دمج دينارين في دينار واحد، ربما بل من المحتمل أنها ضربت على أساس أنها ثلاثة دنانير فتصبح في هذه الحالة قطعة ذهبية واحدة، ولكنه أيضاً لم يلتزم الوزن الشرعي في ذلك لأنه ربما اعتبر وزن القطعة الذهبية الواحدة ٥ جرامات، فلم يلتزم بالنسبة الشرعية للوزن، وربما بل من المرجح أن الهدف من ذلك التعامل بالدينار عن طريق الوزن وليس العدد

ورغم الظروف الاقتصادية السيئة التي مرت بالدولة الأيوبية نتيجة الفتن والاضطرابات بين أبناء البيت الأيوبي في بداية حكم الصالح نجم الدين أيوب الذي وجد خزانة البلاد خاوية من النقود أي لم يجد أي شيء في خزانة الدولة، إلا أننا نجد أن متوسط وزن قطع النقود الذهبية التي تم إصدارها في عصره قميل كلها حول الوزن الشرعي أو تزيد بنسب مختلفة ولكنها كلها تتراوح بين ٤,١٩ جم إلى ٤,٧٩ جم، أي أنها لم تتأثر بأحوال البلاد الاقتصادية التي كانت تنتشر في البلاد نتيجة الفتن والاضطرابات إلى جانب مجيء الحملة الصليبية السابعة، ولكن من ناحية أخرى نجد أن هناك قطع من النقود الذهبية زادت نسبتها ووزنها عن الوزن الشرعي للدينار، وهناك قطع من النقود الذهبية المنخفض وزنها عن الوزن الشرعي للدينار، فالمجموعة السابقة من قطع النقود الذهبية توضح أن هناك قطعة واحدة من الذهب بلغ وزنها ٨,٧٠ جم، ربما كان دينارين في دينار واحد، وقطعتين يزيد وزنها عن ٦ جرامات، وقطعة أخرى واحدة زاد وزنها عن ٥ جرامات، وما يقل عن الوزن الشرعي فقد بلغ دينار واحد.

ونتيجة لما سبق نرجح أن هذا الاضطراب الذي بدا واضحاً في وزن الدينار سواء بالارتفاع أو الانخفاض ربما كان مقصوداً حتى يصير التعامل بها بالوزن وليس بالعدد وهذا ما وضح من خلال وزن قطع من النقود الذهبية قفزت عن الوزن الشرعي للدينار إلى الضعف في الأمثلة السابقة.

### أوزان الدينار في العصر المملوكي البحري وأثر الأزمات الاقتصادية عليها:

كانت شجر الدر أول ملكة تفتتح حكم مصر في عصر المماليك البحرية بل بالتحديد في بداية ظهور نجم المماليك البحرية، وذلك عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، حيث تربع على عرش مصر،





وأصدرت نقوداً من نوع الدنانير الذهبية تحمل أسماءها، والدليل على ذلك أنه في عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية ١٣,١٨ جم<sup>(١)</sup> متوسط أوزانهم ٤,٣٩ جم وفي عهد الصغير الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى عام ٦٤٩هـ / ١٢٥١م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ٩,٢٥ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنهم ٤,٦٢ جم.

وفي عهد المظفر عز الدين أيك عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ٦,٩٣ جم<sup>(٣)</sup> متوسط وزنهم ٤,٦١ جم، وفي عهد المنصور نور الدين علي ٦٥٧هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٨م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٠,٣٨ جم<sup>(٤)</sup> بلغ متوسط وزنهم ٥,١٩ جم.

وفي عهد المظفر سيف الدين قطز ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م، بلغ وزن ١٥ قطعة من النقود الذهبية ٩٣,٠٨ جم<sup>(٥)</sup>، متوسط وزنهم ٦,٢٠ جم، وفي عهد الظاهر بيبرس البندقداري تم ضرب نقود ذهبية بأوزان مختلفة وفي سنوات مختلفة ففي عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م بلغ وزن قطعة واحدة من الذهب ٥,٦١ جم<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٥,٢٨ جم<sup>(٧)</sup>، وفي عام ٦٦١هـ بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٠,٢٥ جم<sup>(٨)</sup>، بلغ متوسط وزنهم ٥,١٢ جم، وفي عهد العادل بدر الدين سلامش ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م لم يتم ضرب نقود ذهبية، ولكن تم ضرب دراهم فضية<sup>(٩)</sup> ويرجح أن سوء الأحوال الاقتصادية واستمرار حدوث الفتن والاضطرابات وصراع المماليك وقتالهم خاصة وأن كل شخص منهم يرى في نفسه القدرة والقوة التي يحكم بها البلاد

(1) Balog; The Coinage of the Mamluk Sultans, P. 71, BMC 469 (4.40) – Balog, BIE 1950, P. 231. (4.32).

- وقد ذكر د. سامح فهمي في رسالته للدكتوراه عن المسكوكات والقيم النقدية في العصر المملوكي البحري قطعة من الدنانير بوزن (4.46) وتأخذ نفس الرقم الذي أخذه بالوج وهو ٤٦٩ والتي تزن (4.40)، إذ تكون القطعة الثالثة هي التي تزن gm (4.46)، راجع: د. سامح فهمي، المسكوكات والقيم النقدية، ص ٦٠٠.

(2) Balog; op. cit, P 71, Balog, BIE 1949, PP. 187 – 190 (4.99) gm.

- وليم قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٤٠. (4.26)gm

(3) Balog; op. cit, P. 75, Thrburn. BMC, 470 a (4.21) gm

- وليم قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٤٠. (5.42)gm

(4) Balog; op. cit, P. 79, Balog, BIE 1950, P. 237, No. 3 (5.80) Gotha No. 1046 (4.58) gm.

(5) Ibid, P. 83. Balog, BIE 1950, PP. 239 – 294; No. 9 (600); No. 10 (5.25); No. 11 (7.14) No. 12 (6.0), No. 13 (5.49), No. 14 (7.49), No. 15 (5.40), No. 16 (7.46), No. 17 (6.41), No. 18 (5.85), No. 19 (9.38), No. 20 (5.34), No. 21 (5.24), No. 22 (5.24), No. 23 (5.30).

(6) Ibid, P. 88. (5.61) gm.

(7) Ibid, P. 88. Siouffi. P. 18, (5.28) gm.

(8) Ibid, P. 88. L 707 (5.80) – Balog (4.45) gm.

(9) Ibid, P. 110.



فمن هنا ساءت الأحوال والظروف، ولم تسمح بضرب دنانير من الذهب، واستعاض عنها بضرب الدراهم الفضية، وفي عهد الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م، تم ضرب قطعة واحدة من الذهب بوزن ٤,٦٠ جم<sup>(١)</sup>، وعام ٦٩١هـ/١٢٩٢م ضربت قطعة ذهبية لأنها زادت عن الوزن الشرعي حيث بلغت ٦,٨٠ جم<sup>(٢)</sup>.

وفي نفس فترة حكم الأشرف خليل ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، بلغ وزن ٥ قطع ٣١,٠٦ جم<sup>(٣)</sup> بلغ متوسط وزنهم ٦,٢١ جم، ولم يتم ضرب نقود ذهبية عام ٦٩٣ - ٦٩٤هـ/١٢٩٣ - ١٢٩٤م<sup>(٤)</sup>، وفي عهد العادل زين الدين كتبغا بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٦,٧٩ جم<sup>(٥)</sup> بمتوسط ٨,٣٩ جم وكان ذلك عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وفي عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية لكتبغا أيضاً ١٢,٥٤ جم<sup>(٦)</sup> متوسط وزنهم ٦,٢٧ جم، وفي عهد السلطان المنصور حسام الدين لاجين ٦٩٧هـ/١٢٩٧م بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية ١٧,٢٢ جم<sup>(٧)</sup> متوسط وزنهم ٥,٧٤ جم.

وفي فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون الثالثة بلغ وزن قطعة واحدة من الذهب عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، ٣,٦٦ جم<sup>(٨)</sup>، وفي نفس فترة حكم الناصر محمد الثالثة بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، ٧,٢٧ جم<sup>(٩)</sup> متوسط وزنهم ٣,٦٣ جم، وفي عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م في عهد بيبرس الثاني لم يتم ضرب نقود ذهبية ولكن تم ضرب دراهم فضية<sup>(١٠)</sup> وربما لم يتم إصدار دنانير ذهبية لسوء أحوال البلاد الاقتصادية حيث قصر ماء النيل عن الحد الطبيعي

(1) Balog; op. cit., P. 120. (4.60) gm.

(2) Ibid, P. 120. ANS (6.80) gm.

(3) Ibid, P. 121. BMC 495 (6.42), Khediv. 1510. ANS (3.84) - Balog (5.80)

- وهناك قطعتين تم ضربهما في عهد الأشرف صلاح الدين خليل أوزانهما (7.12) (7.88)، د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د ليكول، د. جبري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٧ ولكن السنة مفقودة أي الرقم الأخير ٦٩٢، ويرجع إلى أنهما تم ضربهما في عهد الأشرف خليل ٦٩٢هـ.

(٤) ذكر Balog أنه لم يتم ضرب دنانير ذهبية عام ٦٩٣هـ ولا توجد عملة، ص ١٢٥، راجع:

- Balog; op. cit, P. 125

(٥) قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٤٢، gm (8.39)

د. سامح فهمي، المسكوكات والقيم النقدية، ص ٦٠٦، gm (8.40)

(6) Balog; op. cit, P. 126. (6.60) gm.

- Henri Lavoix; Catalogue des Monnaies Musulmanes, PP. 336 - 337. (5.94).

(7) Lavoix; op.cit. P. 346, (5.37) gm, ولكن التاريخ مفقود (٦٩٢)، BM. Salurgie 1901. 10-681 (5.50) - ANS (6.35)

(٨) كتالوج المتحف البريطاني عن د. سامح فهمي، المرجع السابق، ٤٩٨ gm (٣,٦٦)، ص ٦٠٦.

(٩) د. سامح فهمي، المرجع السابق، (٦,٠٩) gm (١,١٨)، ص ٦٠٦.

(١٠) د. سامح فهمي، المسكوكات والقيم النقدية، ص ٦٠٧.



في الوقت الذي شرقت فيه البلاد مع ارتفاع الأسعار ووجود الفلاء<sup>(١)</sup>، هذا إلى جانب الفتن والاضطرابات التي سادت في تلك الفترة بين المماليك للوصول إلى كرسي الحكم على اعتبار أنهم كلهم أقوياء.

كل هذه الأسباب حالت دون ضرب نقود ذهبية ربما لاختفاء الذهب أو اكتنازه أو قهره للخارج، فسوء الأحوال الاقتصادية أدت إلى سوء الأحوال النقدية في هذا العام.

ولكن في نفس العام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م عندما تولى الناصر محمد بن قلاوون الحكم للمرة الثالثة بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٧,٨٢ جم<sup>(٢)</sup> أي أنه يزيد عن الوزن الشرعي للدينار بكثير، ولم يعرف ما الهدف الذي جعل الناصر محمد يضرب مثل هذا الدينار، هل أراد أن يتم التعامل بالدينارين على أساس الوزن وليس العدد أم ماذا؟.. ربما أراد دمج ينارين في دينار واحد فأصبحت قطعة نقود ذهبية وليست دينار أي على أساس الوزن وليس العدد.

وفي عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م، بلغ وزن ٧ قطع من النقود الذهبية يزيد وزنها عن الوزن الشرعي لحجم الدينار، إذ كان مجموع وزنها ٤٩,٥ جم<sup>(٣)</sup> بمتوسط وزن ٧,٠٧٢ جم، وفي عام ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م بلغ وزن قطعة من الذهب ٩ جم<sup>(٤)</sup>، وبلغ أيضاً وزن قطعة واحدة من الذهب ٨,٥٩ جم، وفي عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م<sup>(٥)</sup>، زيادة عن الوزن الشرعي لحجم الدينار، وفي عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣١ - ١٣٣٢ م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١١,٣٨ جم<sup>(٦)</sup> بمتوسط وزن ٥,٦٩ جم، وفي عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٦ - ١٣٣٧ م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١١,٤٦ جم<sup>(٧)</sup> بمتوسط وزن ٥,٧٣ جم، وزادت وزن الدينارين بصورة غير طبيعية، ففي عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ - ١٣٣٩ م، بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٧,٩٢ جم<sup>(٨)</sup> وفي عام

(١) حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٣٩.

(٢) سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٦٠٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٠٧، دار الكتب ١٥١٢، ٢٠٤٩ gm (٧,٥٣)، المتحف البريطاني ٤٩٩ (٥,٩٧) جم، دار الكتب ١٥٢٣، ٢٠٥٠ (٥,٤٩٧) جم، دار الكتب ١٥١٣، ٢٠٥١ (٥,٤٩٧) جم، دار الكتب ١٥٢٣، ٢٠٥٢ (٨,٥٥٠) جم، باللوح ١٧٧ (٥,١٠) جم.

Balog; op.cit. P. 137. - BMC 499 (5.95) gm

هذا الرقم ذكره سامح فهمي بوزن ٥,٩٧ جم، وعند باللوح ٥,٩٥ جم بنفس الرقم.

(٤) سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦٠٧.

(٥) د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٨.

(٦) Balog; op. cit, p 139. BM, Lincoln Johnston 1906 4-350 (6.0); Jungfleisch (5.38) gm

(٧) د. رأفت البراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٧٧، (5.44) gm

(٨) Balog; op. cit, p 139 - BMC 500 (7.92) gm.



٧٤٠هـ / ١٣٣٩-١٣٤٠م بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٧,٨٥ جم<sup>(١)</sup> وفي عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٦,٨٠ جم<sup>(٢)</sup>.

وعند تحليلنا لوزن النقود في عصر المماليك البحرية نجد تباين وزن النقود الذهبية دليل على أنه لم يكن هناك التزام بالوزن الشرعي للدينار، وذلك نظراً لندرة الإصدارات الذهبية من ناحية وللتعامل بالوزن من ناحية أخرى.

فمنذ بداية عهد المماليك إلى نهاية عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون نلاحظ أنها كانت قريبة من الوزن الشرعي للدينار في أول الأمر، على الرغم من انخفاض وارتفاع معدل الزيادة من قطعة لآخرى، ولكن الملاحظ هو زيادة نسبة متوسط وزن النقود عن الوزن الشرعي للدينار حتى في أيام الأزمات الاقتصادية، فبرغم مرور البلاد بأزمة اقتصادية في عهد السلطان قطز عند محاربته للتتار وعدم وجود أي شيء في خزانة البلاد، إلا أنه في ذلك العام ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م كان متوسط وزن ١٥ قطعة من النقود الذهبية ٦,٢٠ جم، وهو ما يعكس الحالة الاقتصادية للبلاد في ذلك الوقت، من المرجح أن تذبذب وزن النقود الذهبية وعدم ثبات وزنها دليل على تدهور اقتصادي تعاني منه البلاد، فربما أن تلك النقود الذهبية قد ضربت بعد هزيمة التتار لأن خزانة البلاد خاوية ولم يوجد بها نقود أو حتى ذهب، وكان كله موجود عند الأمراء وكبار رجال الدولة وكانت حالة البلاد الاقتصادية سيئة لدرجة كبيرة لم تسمح معها بضرب نقود ذهبية ذات وزن شرعي للدينار.

هذا وعلى الرغم من استقرار الحالة الاقتصادية في عهد الظاهر بيبرس إلى حد ما فيحتمل أن تكون الحالة النقدية مستقرة معها إلى حد ما بدليل أن متوسط وزن النقود الذهبية التي ضربت في عهده وان كانت تزيد أوزانها بدرجة قليلة عن الوزن الشرعي للدينار إلا أنها كانت في ثبات في سنوات حكمه كلها، أي كانت ثابتة تتراوح ما بين ٥ جرامات إلى أكثر من ذلك بقليل.

وبمقارنة سنوات ضرب النقود الذهبية وأوزانها وأوزانها في عصر المماليك البحرية نجد أنه في عهد السلطان العادل بدر الدين سلامش ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م لم يتم إصدار نقود ذهبية في عهده، ويرجح ذلك سوء الأحوال الاقتصادية التي عاشتها البلاد في عهده والتي شهدت مزيد من الفتن والاضطرابات التي عاشها المماليك من أول حكمهم إلى نهايته فتسبب ذلك في سوء أحوال البلاد الاقتصادية والنقدية والتي أثرت على النقود فلم يضرب نقود ذهبية في هذا العام واستعوض

(1) Lavoix; op.cit; p 326 – (7.85) gm.

Balog; op. cit., p 139

L 814 (7.85) Lavoix

(2) Balog; op. cit., p 140 – BMC 500k (6.80) gm

أيضا عند بالوج نفس الوزن ونقله عن





بضرب دراهم فضية حتى يتيسر بها المعاملات النقدية، ولكن نعود مرة أخرى لنجد ارتفاع متوسط وزن الدنانير بنسب ٤,٦٠ جم، ٦,٨٠ جم في أعوام ٦٩٠هـ، ٦٩١هـ على الرغم من حروب الأشرف خليل لاسترداد عكا من أيدي الصليبيين كانت في تلك الأعوام إلا أننا نجد أن الدينار يدور حول الوزن الشرعي عام ٦٩٠هـ، ويرتفع وزنه الشرعي عام ٦٩١هـ، أي أن هناك عدم استقرار في وزن النقود سواء بالارتفاع أو الانخفاض.

والشيء الواضح في تلك الفترة هو ارتفاع وزن الدنانير بصورة كبيرة في سنوات متتالية إلا أنه في عام ٦٩٣هـ كما ذكر Balog أنه لم تضرب نقود ذهبية ربما لأن تلك الفترة شهدت سوء في أحوال البلاد الاقتصادية خاصة عندما نقص ماء النيل عن الزيادة وهبط فأصبحت البلاد بأسوأ أزمة اقتصادية في زمن المماليك البحرية، لذلك فمن المرجح أنه لم يتم ضرب دنانير ذهبية في ذلك العام، وعلى الجانب الآخر نجد أنه في عام ٦٩٤هـ ومع استمرار حدوث الأزمة الاقتصادية التي أصابت البلاد والعباد إلا أن العادل كتبها ضرب نقوداً ذهبية متوسط نسبها زاد عن الوزن الشرعي للدينار زيادة بمشابة الضعف، ففي عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م كان متوسط وزن قطعتين من النقود الذهبية ٨,٣٩ جم وهذا في حد ذاته بمشابة الضعف إذ بلغ وزن كل قطعة واحدة من النقود الذهبية ٨,٣٩ جم، ٨,٤٠ جم وفاقتهما أوزانها الوزن الشرعي للدنانير، وحدث ذلك نتيجة ما فعله كتبها ووزيره فخر الدين، واتسع تلزم أعمال الدولة مقابل أخذ البراطيل من الولاة والمحتسبين، فحدث أن ضربت أعداد هائلة من الفلوس حتى انتشرت... وصار أمر عدها في المعاملات شاقاً عسيراً فأصبح النقد يوزن ولا يعد، وهذه أول مرة يخسر النقد فيها صفة العد ليصبح محلاً للوزن.

استمرت حالة التذبذب في وزن النقود في العصر المملوكي البحري سواء بالارتفاع أو الانخفاض، ذلك الانخفاض في الوزن الذي يرجع إلى قرض حواف الدنانير، وخاصة دنانير السلاطين الأوائل منهم، هذا إلى جانب عمليات القص والهرش وهي عمليات بطبيعة الحال كان لها تأثير على وزن النقود الذهبية، ومن المرجح أنه قصد بقرض الدينار ضبط المعاملة به أثناء المبادلات التجارية، وذلك بقرض الزائد منها حيث أصبح التعامل بالدينار المملوكي بالوزن وليس بالعدد<sup>(١)</sup> كما سبق أن ذكرنا، ففي عام ٧٠٧هـ انخفض متوسط وزن النقود الذهبية وقل بنسبة كبيرة عن الوزن الشرعي للدينار، فقد بلغ متوسط وزن قطعتين من النقود الذهبية في تلك العام ٣,٦٣ جم، ومن المحتمل أن يكون ذلك الانخفاض ناتج عن الأزمة الاقتصادية التي نتجت عن الفتن والاضطرابات

(١) سهام المهدي، دار ضرب الإسكندرية، ص ٢٨٨.



بين الممالك من اجل الوصول إلى كرسي السلطنة مما أدى إلى إهمال شئون البلاد من مختلف النواحي والجهات.

ولظراً لاستمرار سوء الأحوال الاقتصادية في تلك الفترة فلم يتم ضرب نقوداً من الذهب في عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م في عهد بيبرس الجاشنكير وربما تم ذلك لسوء أحوال البلاد الاقتصادية حيث ازداد الأمر سوءاً بنقص مياه النيل عن الحد الطبيعي وشراقي أراضي البلاد وارتفاع الأسعار واستمرار موجة الغلاء في البلاد، كل هذه الأسباب أدت إلى عدم ضرب نقود ذهبية.

وما حدث في عهد الناصر محمد بن قلاوون يوضح أن الوزن الشرعي للدينار كان قد اختفى تماماً فأخذ يرتفع بصورة غير طبيعية وبنسبة كبيرة، ففي عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م كان متوسط وزن ٧ قطع من النقود الذهبية هو ٧,٠٧٢ جم، بالإضافة أنه في عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م وصل وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٨,٥٩ جم، أي أن الدينار فقد وزنه الشرعي واختفى ذلك الوزن تماماً من تاريخ الممالك البحرية، أو ربما لأنه كان دينارين في دينار واحد، وأصبح الوزن المرتفع للدينار وفقدانه الشرعية سمة من سمات تاريخ النقود في العصر المملوكي البحري، حتى في عصر الناصر محمد بن قلاوون لم يلتزم بالصيغة الشرعية للدينار، ربما لأنه أراد أن يتم التعامل بالدنانير على أساس الوزن وليس العدد لذلك زادت أحجام الدنانير وأوزانها بصورة كبيرة وزيادة غير طبيعية، حيث أصبحت مضاعفات الدينار هي أساس التعامل في ذلك العصر.

وبعد انتهاء عصر الناصر محمد بن قلاوون وتولى أولاده وأحفاده السلطة نجد أن الدنانير بدأ وزنها يرتفع ارتفاعاً غير طبعياً عن الوزن الشرعي بنسبة كبيرة، ففي عام ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م تولى المنصور سيف الدين أبو بكر الحكم فُعثر في عهده على قطعة واحدة من النقود الذهبية بلغ وزنها ٧,٣٩ جم<sup>(١)</sup> وذكر بالوج أن هذا السلطان لم يُضرب في عهده الدراهم ولكن ضربت العديد من الفلوس، وعُثر على قطعة واحدة من النقود الذهبية<sup>(٢)</sup>، هذا وإن دل فانه يدل على سوء الأوضاع التي سادت في البلاد من جميع النواحي سواء أكانت سياسية، أو اقتصادية بسبب الفتن والاضطرابات، والصراعات المختلفة بين فئات الممالك مما أدى إلى الإهمال في كل شيء حتى أنهم لم يراعوا وزن الدنانير التي تم ويتم ضربها، وضرب العديد من الفلوس النحاسية.

(1) Broach p.342 no. 6 (p1.Ino.5). (7.39) gm

عن Balog; op.cit. p164

(2)Balog; op. cit. p164



وفي عام ٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٣,٣٥ جم<sup>(١)</sup> بمتوسط وزن ٦,٦٧ جم، وتم هذا في عصر الناصر شهاب الدين أحمد، ولكن في عهد الصالح عماد الدين إسماعيل ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٩,٣٧ جم<sup>(٢)</sup> متوسط وزنهم ٩,٦٨ جم، وفي عهد نفس السلطان ولكن في عام ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٨,٨٥ جم<sup>(٣)</sup>، وفي عهده أيضا عام ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١١,٢٨ جم<sup>(٤)</sup> متوسط وزنهم بلغ ٥,٦٤ جم، وفي عهد السلطان الكامل سيف الدين شعبان ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م بلغ وزن خمس قطع من النقود الذهبية ١٦,٥٤ جم<sup>(٥)</sup> متوسط وزنهم بلغ ٥,٥١ جم، وفي عهد المظفر سيف الدين حاجي ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م بلغ وزن ٥ قطع من النقود الذهبية ٣٠,١٨ جم<sup>(٦)</sup> متوسط وزنهم ٦,٠٣٦ جم، وفي عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م في عهد الناصر ناصر الدين حسن تم ضرب نقوداً ذهبية في أعوام مختلفة بأوزان مختلفة في عهده، ففي هذا العام بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٤,٧٢ جم<sup>(٧)</sup> متوسط وزنهم بلغ ٧,٣٦ جم، وفي عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١١,٤٧ جم<sup>(٨)</sup> بمتوسط بلغ ٥,٧٣ جم في نفس عهد الناصر حسن وهي الفترة الأولى من حكمه.

(1) Broach p.342 (6.96) – Munchen (6.39) gm

عن Balog; op.cit. p167

(2) Broach p.343 no. 8.b. whitaking (8.50). ANS(10.87) gm

عن Balog; op.cit. p169

(3) Lavoix; op.cit, p.347. (8.85) gm – Balog; op.cit, p.169

(4) Broach p.345 no. 8, a (6.95). Khediv. 1519.

عن Balog; op. cit. p169

وهناك دينار آخر ضرب في عهد الصالح عماد الدين إسماعيل وليس به السنه ولكن مكتوب عليه ضرب خمس وأربعين ومفقود

السبع مائة ٤٥ ويزن ٤,٣٣ جم عن Balog; Ibid. p170

(5) Balog; op.cit. p170 – Dr. F. Burgess 86-4-6-7 (6.66). Thorburn (4.83) gm.

د. سامح فهمي، المسكوكات والقيم النقدية، ص ٦١٠، (5.50) gm. (دار الكتب ١٥٢٧، ٢١٤٠)

(6) Balog; op. cit., 180, BMC 546d (5.77) – Johnston, Muh Coins. Thorborn (5.82) –

Balog (7.33) gm, Lavoix; op.cit, p355 – (5.21) gm.

د. سامح فهمي، المسكوكات والقيم النقدية، ص ٦١٠، (5.94) gm. عن دار الكتب.

(7) Lavoix; op. cit.; p359. (7.01) gm, Balog; op. cit.; p184. BMC 550 (7.71) gm.

(8) Balog; op.cit. p185 – BMC 550 h (6.74) gm.

د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١١، (4.732) gm. عن دار الكتب (٢١٥٧/٨٥٢٩)



أما في عهد الصالح الدين صالح عام ٧٥٢هـ / ١٣٥١م، بلغ وزن ٤ قطع من النقود الذهبية ٢٨,٣١ جم<sup>(١)</sup> بلغ متوسط وزنهم ٧,٠٧ جم، وفي عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م كان وزن ٣ قطع من النقود الذهبية ١٩,٩٨ جم<sup>(٢)</sup> بلغ متوسط وزنهم ٦,٦٦ جم، وفي عام ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م بلغ وزن ٤ قطع من النقود الذهبية ٢٦,٧٧ جم<sup>(٣)</sup> بلغ متوسط وزنهم ٦,٦٩ جم، وفي عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٠,٨٤ جم<sup>(٤)</sup> بمتوسط وزن ٥,٤٢ جم، وفي عهد الناصر حسن (الفترة الثانية من حكمه) عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية ٢٠,٥٢ جم<sup>(٥)</sup> متوسط وزنهم ٦,٨٤ جم، وفي عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٢,٩٦ جم<sup>(٦)</sup> بمتوسط وزن ٦,٤٨ جم، وبلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية في عام ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م ١٩,٢٥ جم<sup>(٧)</sup> بمتوسط وزن ٦,٤١ جم. وفي عام ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م، في عهد الناصر حسن أيضا بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية ٢٨,٧٣ جم<sup>(٨)</sup> بمتوسط ٩,٥٧ جم، وبلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨-١٣٥٩م، ١٢,٩٤ جم<sup>(٩)</sup> متوسط وزنهم بلغ ٦,٤٧ جم، وفي عام ٧٦١هـ / ١٣٥٩-١٣٦٠م بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٣,٢ جم<sup>(١٠)</sup>، متوسط وزنهم ٦,٦ جم، وفي عام ٧٦٢هـ / ١٣٦٠-١٣٦١م، بلغ وزن ٤ قطع من النقود الذهبية ٣٤,٦٣ جم<sup>(١١)</sup>

- 
- (1) Balog; op. cit.; P188 – BMC 555d (7.18) ANS (6.71) - Balog (7.47) gm  
د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١١، gm(6.950). عن دار الكتب (٢١٧٤/١٥٣٥٢)
- (2) Ibid.; P188 – BMC 555 (6.87); Broach p346 no. 20 (7.19) gm  
د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١١، gm (5.920). عن دار الكتب (٢١٧٥/١٥٣٢)
- (3) Lavoix; op.cit, p364. (8.74) gm.  
Balog; op. cit.; BMC 555,a (6.20) – White-King 2237 (8.50)- Thorborn (5.60) gm.  
د. سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٦١١، gm (6.20).
- (4) Balog; op. cit.; p189. - (5.27) gm.,  
د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١١، gm (5.57).
- (5) Lavoix; op. cit., p360. (6.81) gm., Balog; op. cit.; p192. – BMC 556, k (7.52).  
د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦٧، gm (6.208).
- (6) Balog; op. cit.; p192. – BMC 556, p (6.87); 556, q (6.09) gm.  
(7) Lavoix; op. cit., p360. (8.28) gm., Balog; op. cit.; p192. – BMC 557, (5.10) gm.  
قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٤٢، gm (5.87). عن Balog; op.cit. p164
- (8) Balog; op. cit, p193. – Beyram 264 (8.30) – Siouffi (10.25) gm.  
Lavoix; op.cit, p361. (10.18) gm.
- (9) Balog; op. cit.; p193. – BMC 560, f (5.64) – Balog (7.30) gm.  
(١٠) د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١٢، gm (6.60).
- Balog; op. cit.; p193. – Horovitz (6.60) gm.
- (11) Balog; op.cit.; p203. – BMC 569, m (9.33) – Broach 22/1 (8.04); 22/4 Munchen. ANS (8.91) gm.  
د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١٢، gm (8.35).





بمتوسط بلغ ٨,٦٥ جم، وفي عام ٧٦٣هـ / ١٣٦١-١٣٦٢م، بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٤٥,٤٣ جم<sup>(١)</sup> متوسط وزنهم ٧,٥٧ جم، وفي عام ٧٦٤هـ / ١٣٦٢-١٣٦٣م، بلغ وزن ٥ قطع من النقود الذهبية ٣٤,٠٥ جم<sup>(٢)</sup> بمتوسط ٦,٨١ جم، وفي نفس العام ٧٦٤هـ في فترة حكم الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني، بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٩,٥٠ جم<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٢-١٣٦٣م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٦,٩٨ جم<sup>(٤)</sup>، متوسط وزنهم ٨,٤٩ جم، وفي عام ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م، بلغ وزن ٥ قطع من النقود الذهبية ٩٤,٩٢ جم<sup>(٥)</sup> وقد بلغ متوسط وزنهم ١٠,٩٨ جم، وفي عام ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٣,٨٧ جم<sup>(٦)</sup>، بمتوسط وزن ٦,٩٣ جم، وقد بلغ وزن ٧ قطع من النقود الذهبية ٥٩,١١ جم<sup>(٧)</sup>، بمتوسط وزن ٨,٤٤ جم وذلك في عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩م. وفي عام ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م، بلغ وزن ٧ قطع من النقود الذهبية ٥٧,٥٨ جم<sup>(٨)</sup> بمتوسط وزن ٨,٢٢ جم، وفي عام ٧٧٣هـ / ١٣٧١م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٧,٥٢ جم<sup>(٩)</sup>

(١) ولیم قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٤٤ gm (7.13)، د. سامح فهمی، المرجع نفسه، ص ٦١٢ gm (7.25).  
عن دار الكتب ٢١٧٩/١٥٣٢

Balog; op. cit.; p201. – Broach 22/3. Gotha 1047 (7.62). Schulman; List no. 19 (7.62) – Schulman; Cat. March 1929 (7.62); Wien 796 I (7.40) gm.  
(2) Lavoix; op. cit., pp366 - 367. (7.38); (6.14) gm, Balog; op. cit.; p201. – BMC 570, (6.93) gm.

د. سامح فهمی، المرجع السابق، ص ٦١٢ gm (7.55) دار الكتب برقم ٢١٧٩/١٥٣٢ gm (6.05) دار الكتب برقم ٢١٨٣, ١٥٣٣.  
(3) Balog; op.cit; p208. – 396 (9.50) gm.  
(4) Ibid.; p208. – (6.32); (10.66) gm.  
(5) Lavoix; op.cit, p372. - (11.12) gm.  
Balog; op. cit.; p208. – BMC 576 (9.07) – Gotha (7.80).

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كاتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٨٤ gm (7.91).  
- د. سامح فهمی، المرجع نفسه، ص ٦١٣ gm (7.90).

(6) Balog; op. cit.; p209. – BMC 576, h (6.61) – Horovitz, Thorbarn (7.26) gm..  
(٧) ولیم قازان، المسكوكات الإسلامية، ص ٣٤٤ gm (7.13).

- د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كاتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٨٤ gm (8.39)، gm (7.94).

- د. سامح فهمی، المرجع نفسه، ص ٦١٣ gm (8.40).  
Balog; op. cit.; p209. – BMC 576, m (11.40) – white – king 22.39 (6.10), Balog (9.75)  
(٨) د. سامح فهمی، المرجع نفسه، ص ٦١٣ gm (7.90) – gm (7.10) عن دار الكتب بأرقام ٢١٩٥/١٥٣٦، ٢١٩٤/١٥٣٦، د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جيري باركاراك، كاتالوج النقود والصنج الزجاجية، ص ٨٤ gm (7.88).

Balog; op. cit; p209. – BMC 576 (8.03) – ANS (9.72) – Jungfleisch (10.15) - Horovitz (6.80) gm.  
(9) Balog; op. cit.; p209. – BMC 576, x (7.32) – Soret 3e Lettre, no. 168 (10.20).



بمتوسط وزن ٨,٧٦ جم، وقد بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية ٢٠,٤٥ جم<sup>(١)</sup> وذلك عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م، بمتوسط وزن ٦,٨١ جم، وقد بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، ٢٣,٦٥ جم<sup>(٢)</sup> بمتوسط وزن ٧,٨٨ جم، وفي عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م، بلغ وزن ٥ قطع من النقود الذهبية ٣٣,٥٧ جم<sup>(٣)</sup> بمتوسط وزن ٦,٧١ جم، وقد بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م ٧,٧٨ جم<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٦,٩٢ جم<sup>(٥)</sup> بمتوسط وزن ٨,٤٦ جم، وفي نفس العام ولكن في عهد المنصور علاء الدين على بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٨,٧٢ جم<sup>(٦)</sup> بمتوسط وزن ٩,٣٦ جم، وقد بلغ وزن ٣ قطع من النقود الذهبية عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م، ٢٦,٠٧ جم<sup>(٧)</sup> بمتوسط وزن ٨,٦٩ جم، وفي عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م، بلغ وزن قطعتين من النقود الذهبية ١٣,٨٣ جم<sup>(٨)</sup> بمتوسط وزن ٦,٩١ جم، وفي عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م بلغ وزن ٦ قطع من النقود الذهبية ٤١,٣ جم<sup>(٩)</sup> بمتوسط وزن ٨,٢٦ جم، وفي عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ٦,٩٦ جم<sup>(١٠)</sup> وفي عام ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، بلغ وزن ٤ قطع من النقود الذهبية ٣٨,٢١ جم<sup>(١١)</sup> بمتوسط وزن ٩,٥٥ جم، وفي عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م، بلغ وزن قطعة واحدة من النقود الذهبية ١٢,٨١ جم<sup>(١٢)</sup> وأخير سنوات ضربت فيها العملة في عهد صلاح الدين حاجي الثاني وذلك أعوام ٧٨٣هـ، ٧٨٤هـ.

- 
- (١) د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١٣، gm (6.50) عن دار الكتب برقم ٢١٩٦/١٥٣٦.  
 Balog; op. cit.; p209. – ANS (8.80) – (5.15) gm.  
 (2) Balog; op. cit.; p209. – (8.01), (9.50), (6.14) gm.  
 (٣) د. رأفت النبراوي، د. نورمان، د. ليكول، د. جبري باركاراك، كتالوج النقود والصنح الزجاجية، ص ٨٤، (5.92) – gm(8.24)، د. سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٦١٣، (8.22)، gm(5.875) عن دار الكتب ٢١٩٨/١٥٣٦ – ٢١٩٩/١٥٣٦.  
 Balog; op. cit.; p210. – BMC 577 (5.31) gm.  
 (4) Balog; op. cit.; p210. – BMC 577, f (7.78) gm.  
 (٥) د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١٣، gm (6.75) عن دار الكتب ٢٢٠٠/١٥٣٦.  
 Balog; op. cit.; p210. – BMC 577, k (10.17) gm.  
 (6) Balog; op. cit.; p230. – Jungfleisch BIE IX, 1926 (7.90) gm.  
 - د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١٥، gm (10.82).  
 (7) Lavoix; op. cit, p383. - (10.55) gm., Balog; op. cit.; p231. (7.94).  
 - د. سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٦١٣، gm (7.58).  
 (8) Balog; op. cit.; p231. – BMC 608, e (7.84) – Balog (5.99) gm.  
 (9) Ibid.; p231. – BMC 609 (9.60); 609, a (7.65) – Fonrobert 6569 (4.30) – ANS (4.68); Jungfleisch (7.90) – (7.17) gm.  
 (10) Ibid.; p231. – (6.96) gm.  
 (11) Lavoix; op. cit, p389. – 935 (12.37) gm.  
 Balog; op. cit.; p238. – 510 (5.63) - 511 (9.07) – 512 (11.14) p239.  
 (12) Balog; op. cit.; p239. Jungfleisch (12.81) gm.



وعند تحليلنا لأوضاع البلاد الاقتصادية من ناحية النقود في عهد أولاد وأحفاد الناصر محمد بن قلاوون نجد أن معدل الزيادة في وزن الدنانير ارتفع بصورة كبيرة وبشكل مبالغ فيه، فنظراً لسوء الأحوال التي سادت البلاد بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون نجد الاضطرابات والصراعات والفتن قد أثرت على النقود، فلم يُعثر إلا على قطعة واحدة من النقود الذهبية زاد وزنها بنسبة كبيرة عن المعدل الشرعي لوزن الدينار، فبلغ عام ٧٤٢هـ في عهد المنصور سيف الدين أبو بكر ٧,٣٩ جم، إلى جانب أنه لم يتم ضرب دراهم فضية، وأكثروا من ضرب الفلوس النحاسية، وفي عهد الصالح عماد الدين إسماعيل ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م بلغ متوسط قطعتين من النقود الذهبية ٩,٦٨ جم، وقطعة أخرى تم وزنها عام ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م، لتزن ٨,٨٥ جم، مما يدل على أنها مجرد سبيكة مختومة. وتوالى استمرار ارتفاع وزن النقود الذهبية بصورة مبالغ فيها حتى في أحلك ظروف الأزمات الاقتصادية خاصة عندما حدث الوباء العظيم عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، فبلغ متوسط وزن قطعتين من النقود الذهبية ٧,٢٤ جم، هكذا استمرت سلسلة الأزمات الاقتصادية والتي أثرت بشكل مباشر على النقود خاصة الدنانير والتي صار معظمها يزن أكثر من ٦ و ٧ جرامات، ووصل البعض الآخر منها إلى أكثر من ٨ جرامات، والبعض الآخر أكثر من ٩ جرامات إلى أن وصل إلى نهاية ذلك العصر ووصل إلى أكثر من ١١ جرام وذلك في عهد المنصور حاجي بن شعبان، حتى أنه وصل إلى سبيكة مختومة.

هكذا نجد أنه منذ بداية عصر سلاطين المماليك البحرية وتوالى الصراعات وسلسلة الفتن والاضطرابات التي عاشتها البلاد، إلى جانب نقص مياه النيل وسلسلة المجاعات والأوبئة وتكرار حدوثها من وقت إلى آخر، هذا إلى جانب ما فعله الزغلية في التلاعب بالعملة عن طريق تخفيض قيمتها، وغشها بالتلاعب في عيارها أو إنقاص وزنها، بالإضافة إلى سياسة الاكتناز التي انتشرت في الدولة وإخفاء الذهب عن طريق صهره كحلي أو للزينة أو إخفائه وقهره للخارج.

هذا ويجب أن نقر ونضع في الاعتبار أن للتدهور الاقتصادي أثره الواضح على النقود المملوكية، واختفاء الذهب والفضة من الأسواق، لذلك لجأ بعض السلاطين إلى غش وتزييف النقود عن طريق قصها أو اقتطاع جزء منها، أو ضربها ناقصة الوزن كما سبق أن ذكرنا، أو زيادة وزنها بنسبة مبالغ فيها ليتم التعامل بها عن طريق الوزن وليس العدد، هكذا أثرت الأزمات الاقتصادية بشكل أو بآخر على وزن النقود سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكي البحري.

هكذا لا نستطيع إنكار أن النقود عاشت فترات اضطراب عديدة، فتعددت الإصدارات النقدية نتيجة التغير المستمر لسلاطين المماليك والذي كان بسبب الفتن والاضطرابات التي سادت ذلك العصر، فشاع التلاعب في العملة فلم تحافظ على وزن معين أو حتى وزنها الشرعي، فاستمرار كان الفساد النقدي والغش في العملات الصادرة الجديدة، فاستحال التعامل بها عن



طريق العدد، ثم استخدامها عن طريق الوزن، وعند استخدام طريقة الوزن في تداول النقود بدلاً من العدد حتى لا تقع خسارة أو نقص في حالة نقص وزن العملة أو اختلاف عيارها<sup>(١)</sup>.

### تأثير الأزمات الاقتصادية على عيار الدينار في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري:

نظراً لندرة المعلومات وقلتها بالنسبة للعيار في كلا العصرين الأيوبي والمملوكي البحري فسوف نذكر ما أتيج لنا منها عن تأثير الأزمة الاقتصادية عليها، فقد ارتبط عيار الدينار ارتباطاً وثيقاً بأوضاع البلاد الاقتصادية، فأحياناً يرتفع وأحياناً أخرى ينخفض نتيجة عدم استقرار الأوضاع الاقتصادية، والمقصود بالعيار هو النسبة القانونية بين وزن الذهب أو الفضة الصافي في قطعة النقود أو السكة وبين وزنها الكلي، وهو يحدد النسبة للعدد ١,٠٠٠ أو العدد ٢٤ الذي يمثل الوزن الكلي، كأن يقال أن ديناراً ما عياره ٢١ قيراطاً، وهو ما يعنى أنه يحتوى على ٢١ من ٢٤ جزء أو ٨٧٥ من ألف جزء تقريباً<sup>(٢)</sup>.

وكان يتم التلاعب في العيار عن طريق إضافة بعض المعادن التي تقل في القيمة إلى سبيكة هذه الدينار، أو ضرب الدينار منذ البداية من الفضة أو النحاس، ثم يتم طلاؤه بطبقة من الذهب، وفي بعض الأحيان كان يتم تفريغ قطعة السكة الذهبية وذلك بإحداث حفرة صغيرة فيها لأخذ ما فيها من الذهب واستبداله بمعدن آخر أقل في القيمة، ثم يمويه مكانها بلون المعدن الأصلي، فتظهر وكأنها سليمة لم يدخلها الغش<sup>(٣)</sup>.

هذا ويلاحظ أن الدينار المنخفضة العيار يرجع تاريخها إلى السنوات الأولى من حكم صلاح الدين وحتى عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م، ولم يصل عيار أي منها في ما عدا إصدارات عام ٥٧٩هـ إلى أكثر من ٩٥٪، ثم بدأ عيار الدينار في الارتفاع منذ عام ٥٧٩هـ، وحتى عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، لم يكن هذا الارتفاع كبيراً وظل العيار منخفضاً بين ٩٤٪ و ٩٦٪، ولا يوجد من إصداراتها غير ديناراً واحداً عياره ٩٨٪، ومنذ عام ٥٨٣هـ، لوحظ الارتفاع في عيار بعض الدينار متضاربة العيار فمنها دنائير عيارها ٩٤٪، وأخرى عيارها ٩٨٪<sup>(٤)</sup>.

هذا ويرجع الانخفاض في عيار الدينار في بداية عصر صلاح الدين إلى نقص السيولة النقدية من الذهب في ذلك الوقت والتي سبق وأن أشرنا إليها في قول القاضي الفاضل عام ٥٦٧هـ أن

(١) النجدي، النظام النقدي، ص ٥٤٠-٥٤١.

(٢) سهام المهدي، دار ضرب الإسكندرية، ص ٢٥٢، رضا رمضان أبو الزهر، الزغل في مصر والشام، ص ٢٥٢.

(٣) النجدي، النظام النقدي المملوكي، ص ٥٤٨.

(٤) سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ٢٧٦.





البلوى عمت بأهل مصر لاختفاء الذهب والفضة من البلاد، ونلاحظ أن العيار في عصر العزيز عثمان بن يوسف كان مرتفعاً بنسبة كبيرة عن دنابير والده صلاح الدين، إلا أنها امتداد لما صارت عليه في أواخر عصر والده مع ملاحظة التضارب أيضاً بين الارتفاع والانخفاض في العام الواحد<sup>(١)</sup>.

وبالنظر إلى أقوال المؤرخين عن الحالة الاقتصادية في عصره نتيجة سوء هذه الأحوال حيث لجأ إلى الاقتراض من التجار عندما عزم على السفر في عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م<sup>(٢)</sup> وطلب من قاضى القضاة أن يقرضه مال الأيتام وأحال به على بيت المال<sup>(٣)</sup> كما لم يجد لديه المال اللازم لتجهيز الرجال للوقوف ضد مؤامرات عمه الملك العادل وأخيه الأفضل عندما حضرا من دمشق يريدان أخذ القاهرة في عام ٥٩١هـ / ١١٩٤م، ومن ثم صارت أمور الدولة في يد الملك العادل الذي أصلح أمورها وضبط أعمالها<sup>(٤)</sup>، إلا أنه في عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م اشتدت الأمراض والغلاء وانتشرت المجاعة واقترض المال من الأمراء وأحيل على الجوالى للسنة التالية<sup>(٥)</sup> كما سبق أن ذكرنا ورغم ما كانت عليه البلاد من سوء الأحوال فقد نجح العزيز عثمان من الاحتفاظ بقدر معقول من الانضباط داخل دار الضرب، ويُرجح أن هذا الانضباط جاء لأن الدناير الذهب كانت ضرورية لحركة التجارة الخارجية أكثر من ضرورتها داخل السوق المحلية التي التشر فيها التعامل بالدرهم الناصرية التي ضربها صلاح الدين في عام ٥٨٣هـ<sup>(٦)</sup>.

هذا ويلاحظ انخفاض العيار في عصر المنصور محمد بن عثمان ويعتبر هذا استمراراً لما كان عليه في عصر والده العزيز محمد<sup>(٧)</sup>، وفي عهد الملك العادل انخفاض العيار انخفاضاً شديداً وذلك لسوء أحوال البلاد الاقتصادية فقد انتشرت في البلاد المجاعة والأوبئة عام ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م بسبب توقف ماء النيل عن الزيادة وشمل الوباء البلاد المصرية كلها واستمر توقف ماء النيل عن الزيادة ثلاث سنوات، ومن جهة أخرى ما حدث من فتن واضطرابات فقد كان العادل مشغولاً بتوطيد مركزه في بلاد الشام ضد أبناء أخيه صلاح الدين، إلى جانب الحروب التي خاضها مع الفرنج، وكل هذا بالطبع احتاج إلى الكثير من بذل الأموال مما تسبب في ضعف الحالة الاقتصادية ومن ثم

(١) سهام المهدي، المرجع السابق، ص ٢٨٠.

(٢) المقریزی، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) المقریزی، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٢١-١٢٢.

(٤) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) المقریزی، الخطط، ص ١٠٥، المقریزی، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٣٣.

(٦) المقریزی، شذرات العقود في ذكر النقود، ص ٦٠.

(٧) سهام المهدي، دار ضرب الإسكندرية، ص ٢٨٢.



العيار<sup>(١)</sup>، هذا وقد انخفض عيار الدنانير في عصر الملك الكامل مما لا يتفق مع ما ذكره المؤرخون من الانضباط المالي والإداري<sup>(٢)</sup> في عصره، فقد أشار بن بعره إلى عنايته بالعيار بقوله "وحيف عيار الدنانير المختومة باسمه عن الآمرية وهي أعلى منها ولا في شرق الأرض ولا مغربها ديناراً أعلى من مستوى عيار الامرى إلا الكاملى"<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر بن العميد أنه كان يباشر دولته بنفسه ويحضر الدواوين بين يديه ويراجعهم فجمع من الأموال والذخائر ما ليس له حصر<sup>(٤)</sup> وخلف من الأموال ما يزيد على ستة آلاف دينار مصرية فضلاً عن عشرين ألف ألف درهم ناصرية، ويقال أن ابنة الملك العادل سيف الدين فرقها على الأمراء والأجناد دون غيرهم، فكانت الأموال تحمل إليهم في أقفاص الحماليين<sup>(٥)</sup> ومع ذلك فإن الظواهر النقدية المتمثلة في قلة الأمثلة من الدنانير وتضارب عيارها بين الارتفاع والانخفاض توضح العكس من ذلك، حيث تشير إلى انعدام الرقابة على إصدارات دور الضرب<sup>(٦)</sup>، هذا ويمكن إرجاع ذلك التناقص لإحدى عاملين:

أولاً: ما تركه الملك الكامل من ثروة كان بفعل الاكتناز من جهته لأنه كان مغرمًا بجمع المال<sup>(٧)</sup> ولا يعكس الحالة الاقتصادية في مصر<sup>(٨)</sup>.

ثانياً: ما أنفقه الكامل خلال عصره من التجهيزات الحربية لمقاومة الصليبيين، وما خرج من البلاد من الذهب لشراء المواد الاستراتيجية اللازمة للإعداد الحربي، ومن ناحية أخرى فقد تعرض التجار البنادقة للتضييق عليهم من قبل السلطات الأيوبية بسبب موقف دولتهم العدائي لمصر، وفي المقابل منعت البندقية وصول أية بضائع أو مواد حربية إلى مصر كما منعت تجارتها من حمل أية مواد استراتيجية وشددت هذا الحظر في عام ٦٢١هـ / ١٢٢٤م<sup>(٩)</sup>.

(١) سهام المهدي، المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٢) نفسه، ص ٢٨٦.

(٣) ابن بعره، كشف الأسرار، ص ٥٠، عن سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ٢٨٦.

(٤) ابن العميد، المكين جرجس بن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق كلود كاهن، ص ١٤٤.

Claud Cahan, Extrait du Bulletin d'Etude Orientales de L'institut Francais Des Damas, Tom XV. 1955-57.

(٥) ابن العميد، المرجع نفسه، ص ١٤٨، عن سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ١٤٨.

(٦) سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ١٤٨.

(٧) المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢٦٠، عن سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ٢٨٦.

(٨) سهام المهدي، المرجع نفسه، ص ٢٨٦.

(٩) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٦٦، حسين ربيع، النظم المالية، ص ١٠٠.



ومن المرجح أن بقية المدن الإيطالية اتبعت نفس الوسائل للضغط على اقتصاديات مصر انتقاماً لاستعادة دمياط من الصليبيين، ومن الظواهر الدالة على ذلك تلك الأزمة النقدية التي دفعت الملك الكامل لضرب الدراهم المستديرة في عام ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م، وأمره بجمع الدراهم القديمة وتسليمها إلى دار الضرب بسعر ستين درهماً بدينار، فنال الناس أبلغ الضرر من تلك النسبة الصرفية الجائرة<sup>(١)</sup>، وتوضح كثير من محاولات الإصلاح النقدي إلا أن ثمة أزمة نقدية كبيرة تعرضت لها مصر، وعلى الرغم من تلك الأزمة فقد تأثرت دور الضرب بتلك الأزمة فقل إنتاجها من الإصدارات النقدية خاصة الدنانير، وانخفض عيار دنانيرها بسبب حدوث تلك الأزمة.

### ثانياً: عيار الدنانير في العصر المملوكي البحري وتأثير الأزمات الاقتصادية عليه:

انخفض عيار الدنانير في بداية العصر المملوكي البحري حتى عام ٦٥٩هـ / ١٢٥٩م - ١٢٦٠م، وذلك راجع إلى ظروف البلاد الاقتصادية السيئة، فقد انخفض العيار في عصر قطز نظراً لما ورثه المماليك عن الأيوبيين بسبب ما خاضوه من حروب ضد الصليبيين في بداية نشأة الدولة المملوكية<sup>(٢)</sup> إلى جانب حروب التتار تلك التي استنزفت الأموال بل معظم موارد الدولة<sup>(٣)</sup>، ولكن عاد الدينار وارتفع عياره عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٠ - ١٢٦١م، في عهد الظاهر بيبرس وحتى نهاية عهده<sup>(٤)</sup> وذلك لاستقرار الأوضاع في دولته واستقرارها والقبض بيد من حديد على كل شئ في الدولة<sup>(٥)</sup>، هذا وقد حدث انخفاض في عيار الدنانير في بداية عهد المنصور قلاوون وذلك لأنه كان مشغولاً بمحاربة التتار والفرنج وتجهيز الجيوش لذلك، إلى جانب تدعيم سلطانه في مصر والشام<sup>(٦)</sup>.

وهكذا كان التدبذب المستمر للارتفاع والانخفاض في عيار الدنانير وخاصة في السنوات التي كان يحدث فيها فتن واضطرابات وانخفاض مياه النيل أو لحدوث المجاعات وانتشار الأوبئة أو غير ذلك مما يؤثر على حالة النقد فينخفض عيار الدنانير، ففي عام ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م انخفض عيار الدنانير في عهد الناصر حسن بل نستطيع القول أنه انخفض عيار النقود بصفة عامة وذلك نتيجة

(١) المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٢٤٧-٢٥٤، عن سهام المهدى، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٠٥.

(٣) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٤) سهام المهدى، المرجع نفسه، ص ٢٩٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٩٦.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٩٧.



لأن مصر كانت تعاني من أزمة في معدن الذهب، مما أدى إلى أن يضرب السلطان حسن فليسوس جدد، حيث حلت الفلوس محل الدراهم في التعامل على النطاق المحلي<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن السبب في تلك الأزمة هو ما أنفقه السلطان الناصر حسن على منشآته الخاصة التي استترفت جميع بل كل موارد الدولة<sup>(٢)</sup>، بالإضافة إلى التشار الفساد الذي تمثل في سيطرة الأمراء واستغلال نفوذهم في تكوين الثروات الضخمة دون النظر لمصالح الدولة نفسها ومن ثم انتشرت البطالة في الولايات<sup>(٣)</sup>.

وهناك عيار لدنانير معينة لا تعكس صورة حقيقية للحالة الاقتصادية في عصور مختلفة والدليل على ذلك أن الحالة الاقتصادية في عصر السلطان حاجي كانت سيئة نتيجة الفن والاضطرابات وحدوث الأوبئة والمجاعات، فقد كان ارتفاع الدينار في عهده يشير إلى جودة العيار وإحكام الرقابة على دار الضرب في عصره، فالدنانير ثقيلة الوزن ولا تتميز بالجودة ولا بالوحدة في الوزن، مما يعنى أنها سبيكة مختومة بخاتم السلطان، وهذا يرجع إلى أن نظام التعامل قام على قاعدة الدينار المقدر قيمة صرفه بالدرهم، ومن ثم كان الدينار مجرد وحدة حسابية فقط<sup>(٤)</sup>.

هكذا كان للأزمات الاقتصادية أثر كبير على عيار النقود في العصر الأيوبي وعصر المماليك البحرية إلى جانب الفن والاضطرابات وسوء سياسة السلاطين أنفسهم في عدم إصلاح الأحوال النقدية وسياسة البذخ والإسراف وغير ذلك من الأمور التي سببت تلك الأزمات الاقتصادية في البلاد وبدورها أدت إلى حدوث الأزمات النقدية.

من خلال العرض التاريخي للنقود لحنا الأزمة الاقتصادية التي بدأت في نهاية العصر الفاطمي واستمرت إلى نهاية العصر الأيوبي، نجد أن هذه الأزمة لعبت فيها الحروب الصليبية الدور الأكبر، فعلى ضوء ذلك نصبت مخزونات الذهب، فتم تخفيض قيمة الدينار، وأصبح الذهب معدوماً تماماً، وقد علل الدكتور عبد الرحمن فهمي ذلك في عاملين رئيسيين هما:

- الاكتناز Theasaurisation الذي لجأ إليه سلاطين الدولة الأيوبية للاحتفاظ بالنقود الجيدة فقط من الدنانير الذهبية دون غيرها.

(١) سهام المهدي، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٢) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٣) د. أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ١١٧.

(٤) ابن الفرات، مج ٩، ص ٦، ٨، ١٢٦، ١٤٢، ١٥٨، ١٦١، ابن الصيرفي، نزهة النفوس الأبدان، ج ١، ص ١٩٤ -

٢٠١، نقلاً عن سهام المهدي، دار ضرب الإسكندرية، ص ٢٩٨.





- تسرب الذهب من البلاد خلال العمليات الحربية التي ارتبطت بها مصر والشام منذ أواخر العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي.

هذا وقد بدأت العملة النحاسية تسيطر على البلاد سيطرة كاملة في عام ٦٣٠هـ — ١٢٣٢م، تلك السيطرة التي شملت مجريات الحياة العامة في التداول بين الناس، واختفت الفضة من الأسواق إلى حد كبير، وضربت الدراهم الفلوس وحلت محل الدراهم الفضية، وقد نتج عن ذلك الحدث الخطير في تاريخ النقود أن أصبحت الفلوس عملة رسمية في البلاد ذات سيادة وسيطرة، فضلاً عن اختفاء الفضة من البلاد وقربها إلى أوروبا لتأخذ طريقها إلى دور الضرب الإيطالية النشطة.

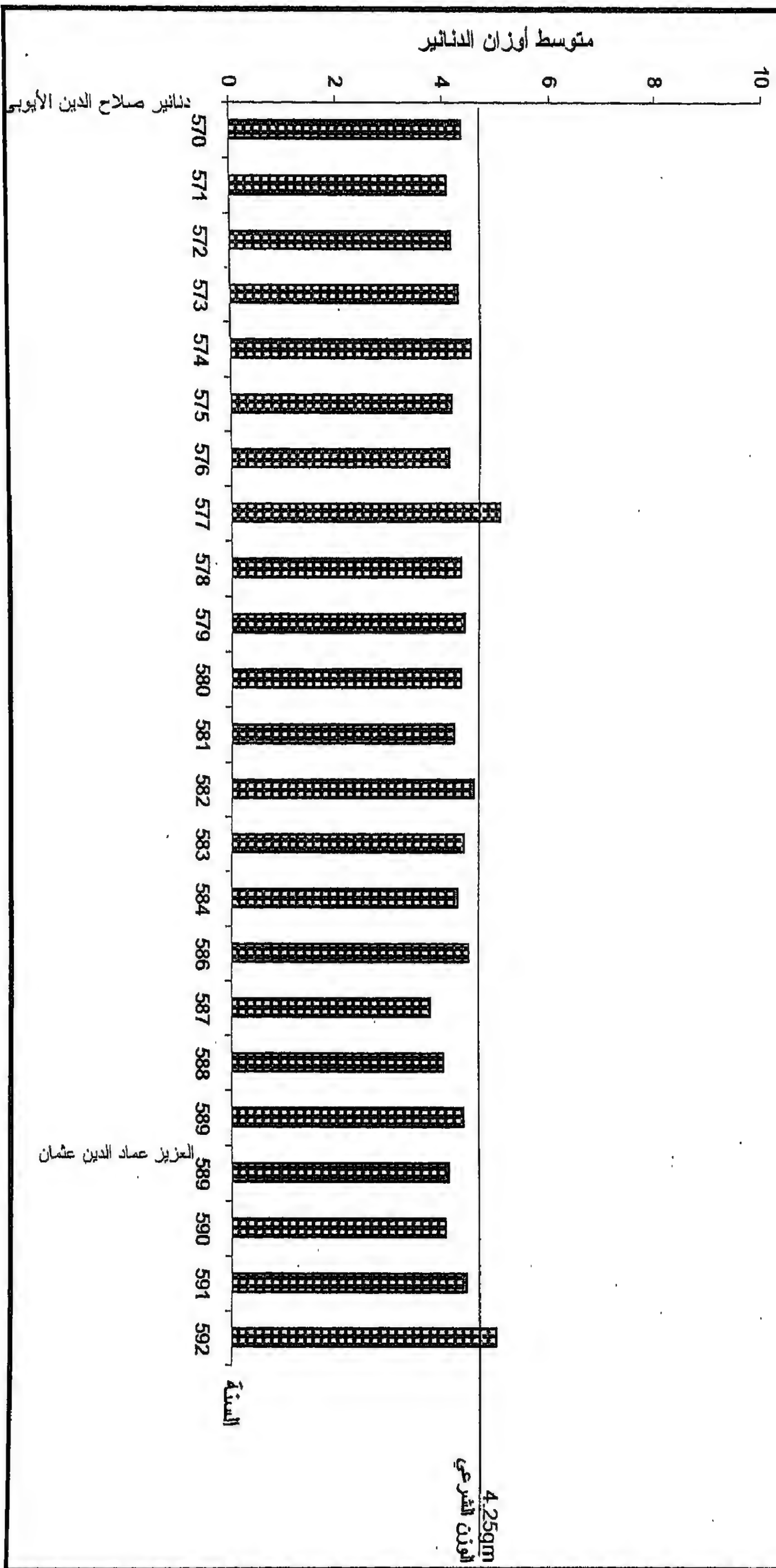
ويمكن القول أنه خلال العمليات الحربية التي تعرضت لها مصر والشام من جحافل الجموع الصليبية تعرض اقتصادها للضغط الكبير، فقام تجار العملة من الفرنج والمسلمين على حد سواء بتهريب المعادن الثمينة، ومنها العملات الذهبية والفضية إلى خارج البلاد.

وقد كانت الدول الصليبية هي المستفيدة من ذلك التحول الخطير، مما وضع صلاح الدين في مأزق نقدي حاد وخطير، اضطر من خلاله إلى تخفيض نسبة لقاء العملة الفضية إلى ٥٠% حتى الإصلاح الذي قام به الملك الكامل للنقود لم يكن يجدي بأي شئ ولم يحل الأزمة.

وجاء العصر المملوكي البحري ليزيد الطين بلة، وتختفى النقود الذهبية والفضية وتضرب الكثير من النقود النحاسية التي هي في الأساس ليس لها وزن شرعي، وليست عملة شرعية، إلى جانب اختفاء الدنانير ذات الوزن الشرعي، وأصبحت الدنانير المضاعفة الوزن تحل محلها في كل شئ، تلك الدنانير التي بدأ التعامل بها بالوزن وليس بالعدد، مما أدى إلى سوء أحوال البلاد الاقتصادية، واضطراب أحوال العباد.

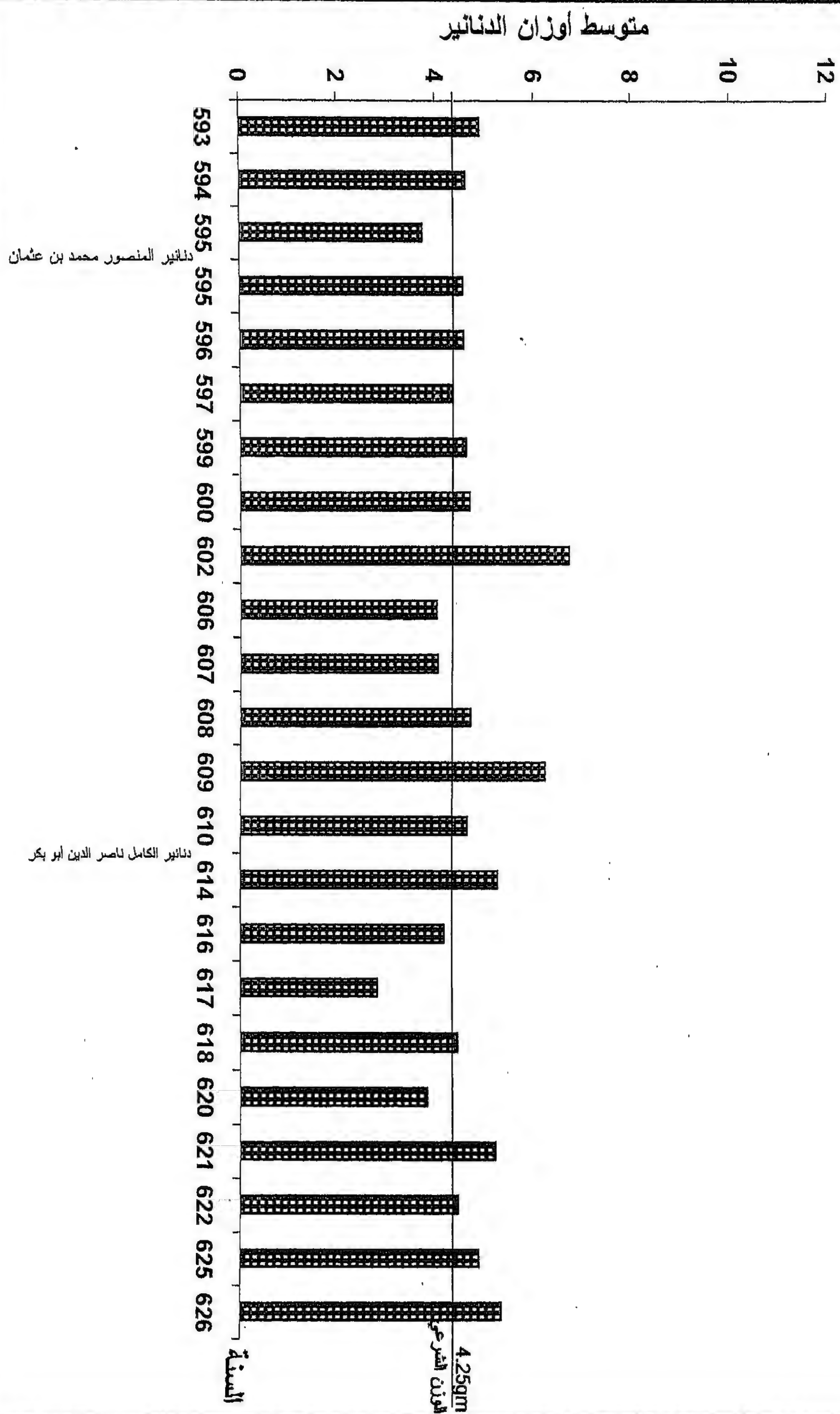


# متوسط أوزان الدنانير في العصر الأيوبي



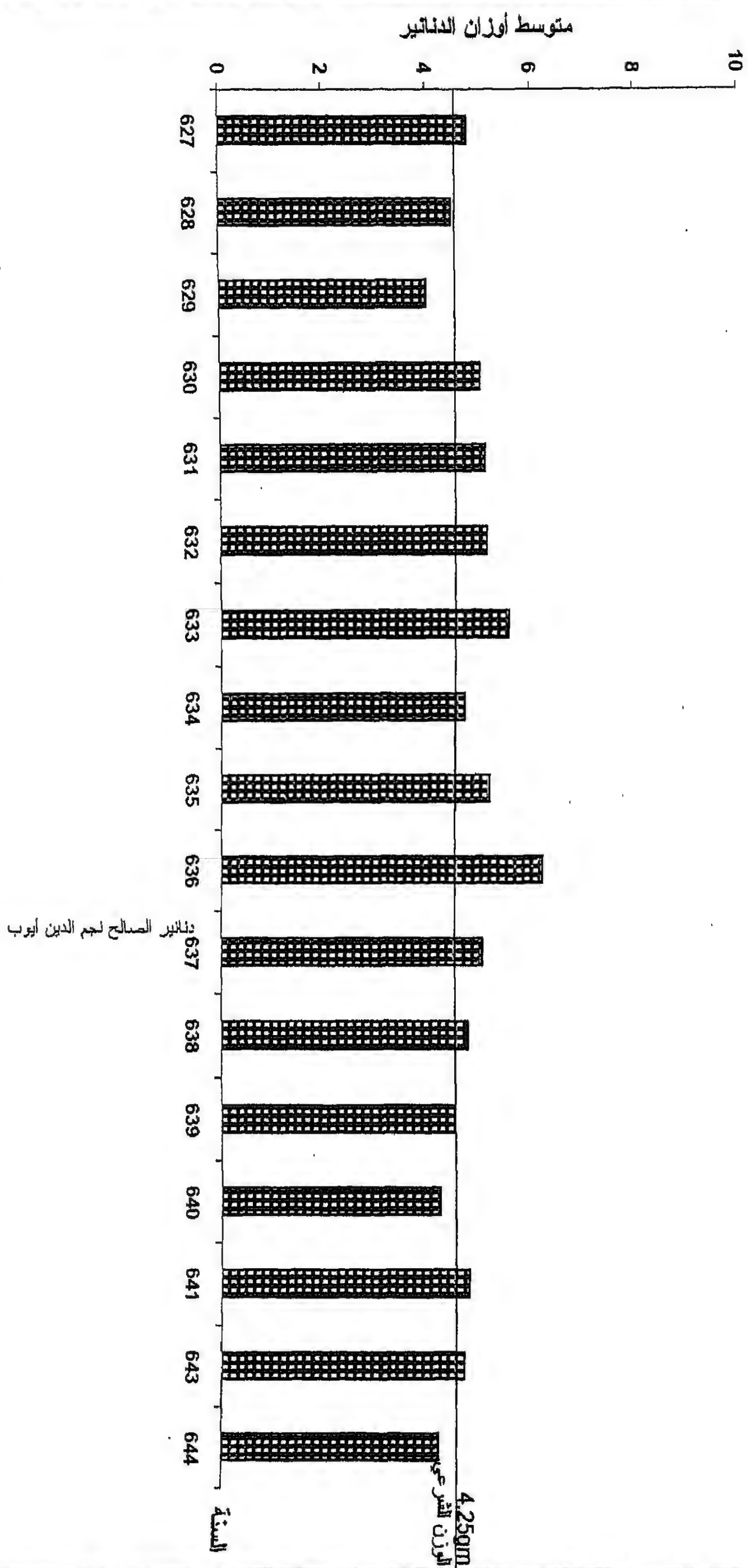


# متوسط أوزان الدنانير في العصر الأيوبي





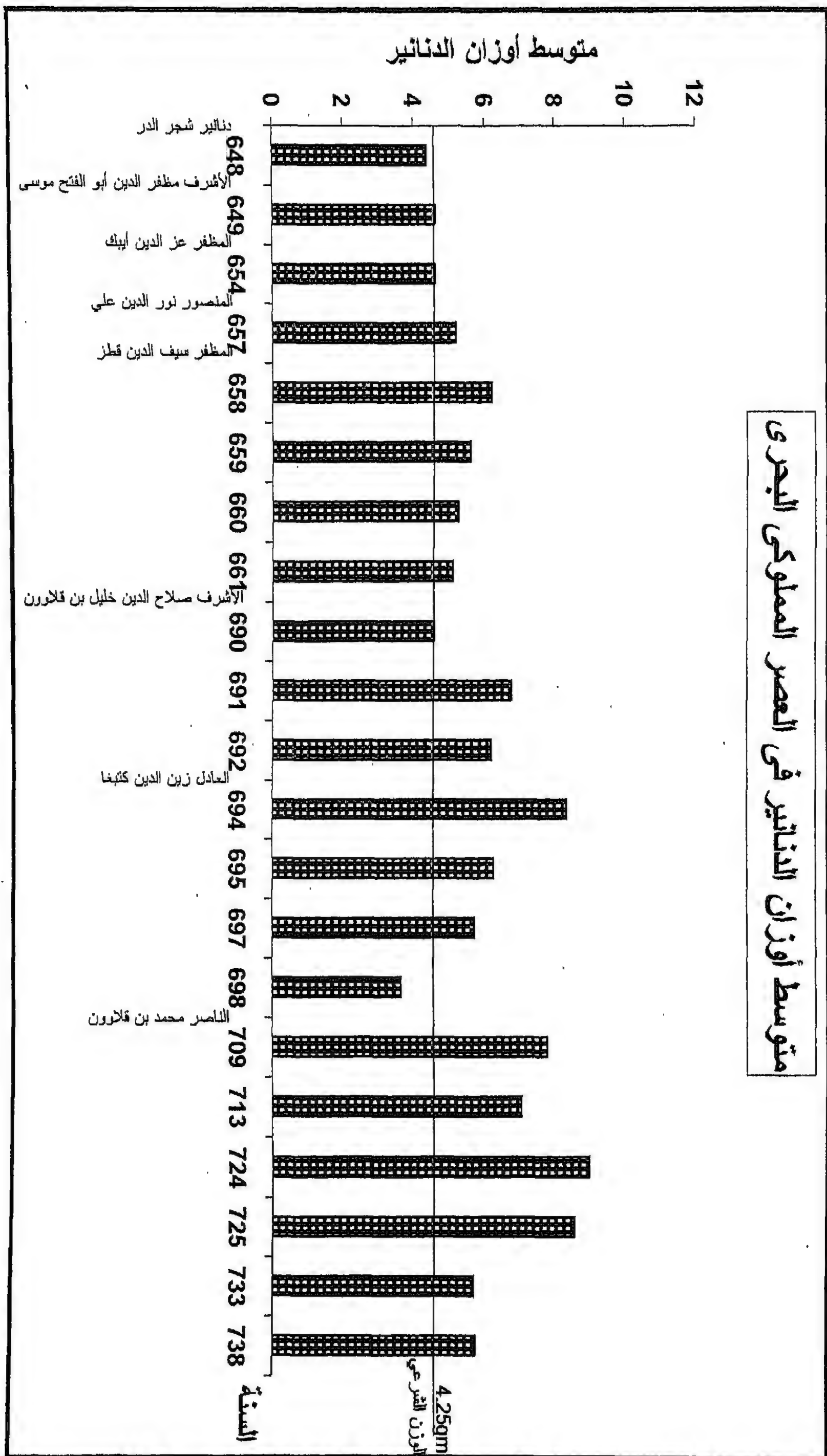
# متوسط أوزان الدناتير في العصر الأيوبي





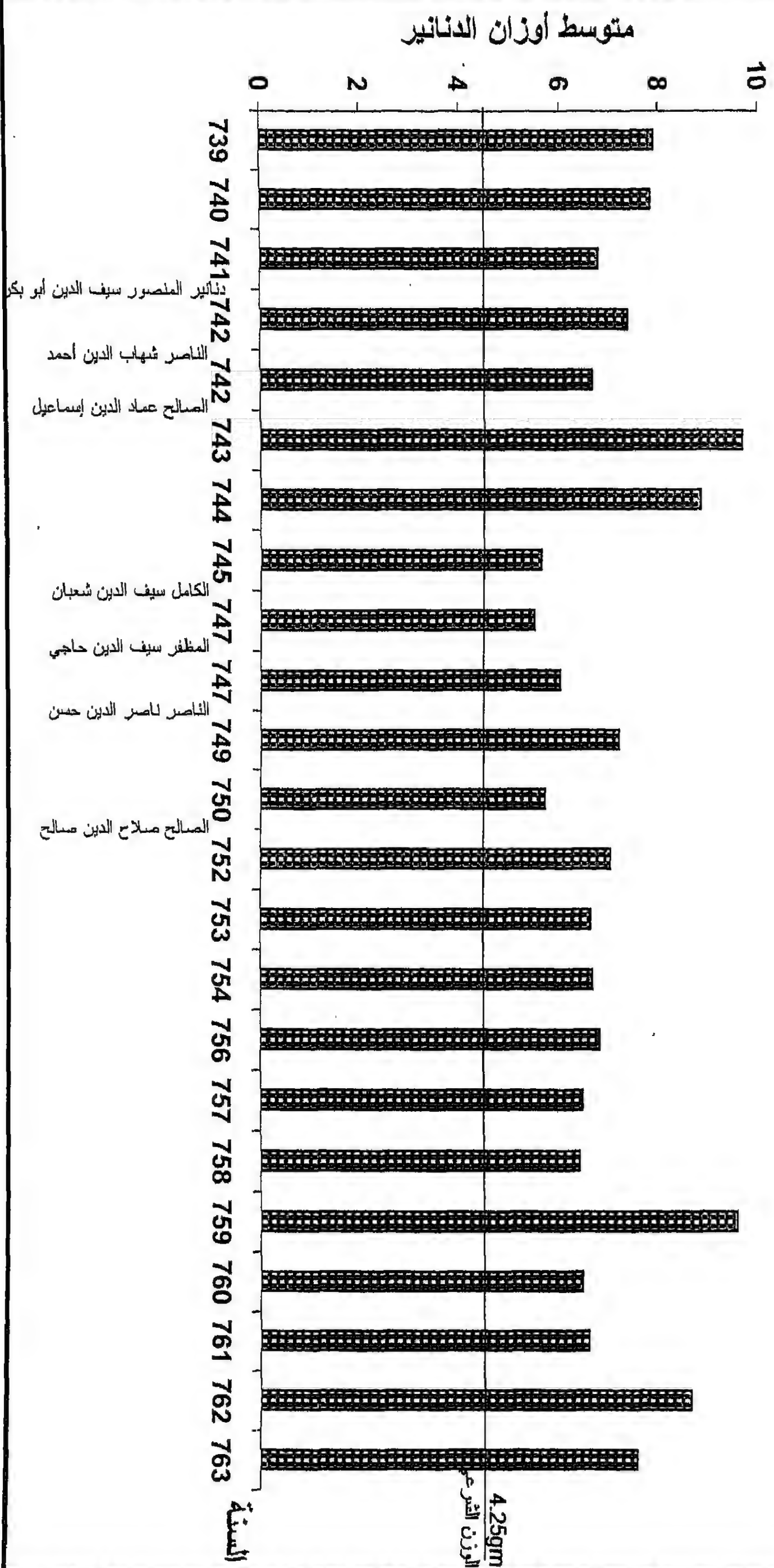


# متوسط أوزان الدنانير في العصر المملوكي البحري



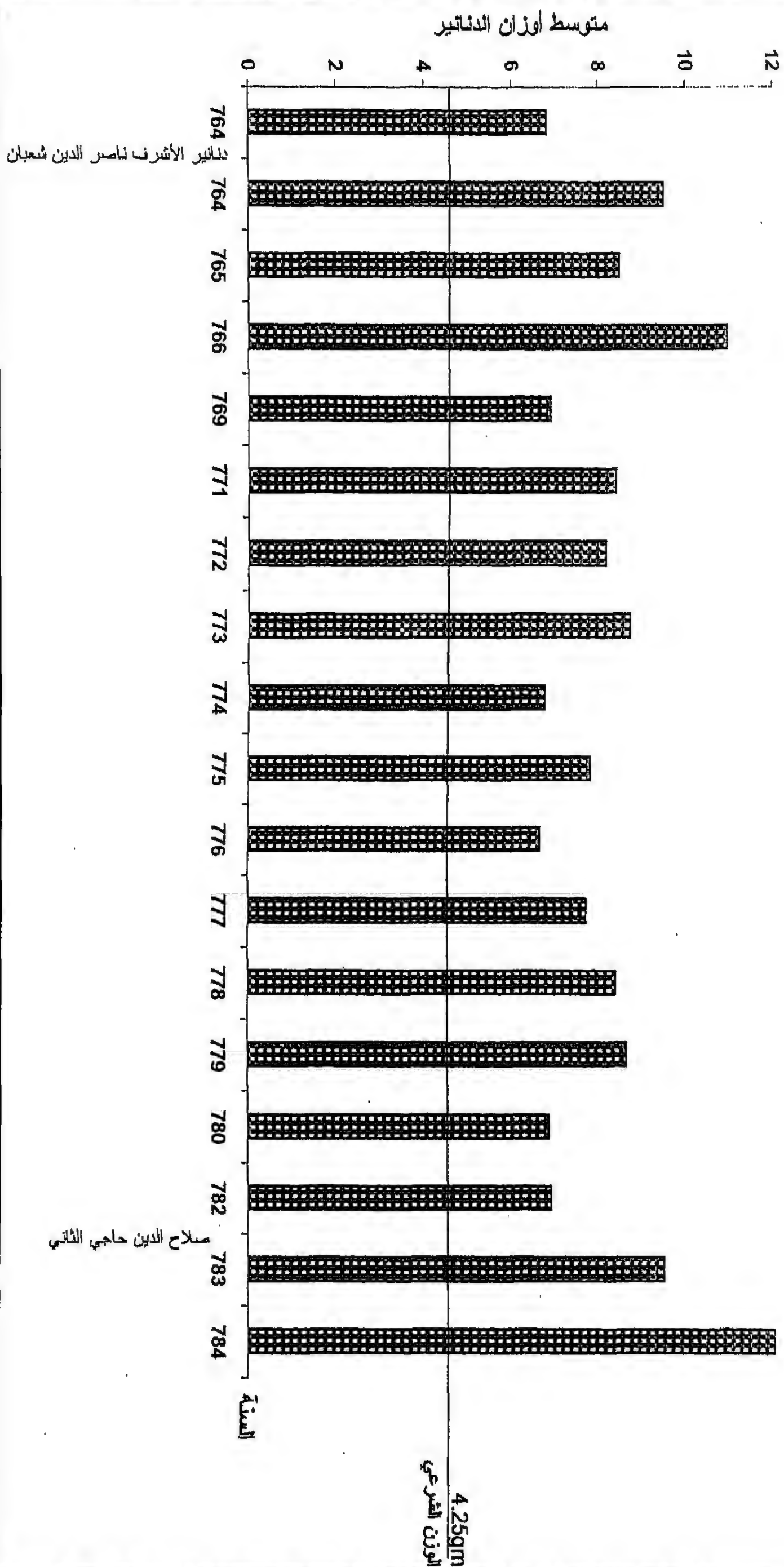


متوسط أوزان الدنانير في العصر المملوكي البحري





# متوسط أوزان الدنانير في العصر المملوكي البحري





## الفصل الرابع

### تأثير الأزمات الاقتصادية على الأسعار والقيم النقدية والرواتب

- السلع الغذائية
  - سعر القمح - الخبز والدقيق - الأرز والشعير - الفول -
  - أدوية المرضى - الماء - اللحوم ومنتجات الألبان.
- موقف الحكومة من الغلاء وارتفاع الأسعار.
- موقف التجار من حدوث الأزمات وارتفاع الأسعار.
- أثر الأزمات الاقتصادية على أسعار الإبدال.
- الرواتب واختلاف الوظائف من منشآه لأخرى.
- علاقة الأسعار بالمرتبات.
- التمثيل الإحصائى لتطور سعر القمح فى العصرين الأيوبى والمملوكى البحرى أثناء الأزمات الاقتصادية (الكيلوجرام/درهم).
- التمثيل الإحصائى لمستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب.





## الفصل الرابع

### تأثير الأزمات الاقتصادية على الأسعار والقيم النقدية والرواتب

تكاد ظاهرة تحرك الأسعار بالارتفاع أن تكون القاسم المشترك بين مختلف أحداث الأزمات الاقتصادية التي حدثت بمصر مهما اختلفت الأسباب التي كانت وراء حدوث هذه الأزمات سواء كانت طبيعية أو سياسية أو اقتصادية<sup>(١)</sup>، ومن خلال الدراسة التحليلية لأسباب وحوادث الأزمات السابق الحديث عنها يمكن القول بأن العوامل الطبيعية من حدوث فيضان النيل، أو هبوط مياهه إلى الحد الذي يقلل من حركة الملاحة في نهر النيل، وما ينتج عن ذلك من قلة مجيء مراكب الغلال من الوجه القبلي مما يؤدي بدوره إلى ارتفاع الأسعار وقلة الخبز<sup>(٢)</sup>، هذا إلى جانب انتشار الآفات والرياح والمطر والحرائق والزلازل، وغير ذلك من عوامل طبيعية سبق الحديث عنها ولا داعي لتكرارها<sup>(٣)</sup>، إلى جانب العوامل البشرية المختلفة والتي كانت أسباباً رئيسية وأساسية في حدوث ارتفاع أسعار السلع الغذائية كان هناك عامل هام هو عامل انهيار النظام النقدي الذي تحكم في أسعار السلع الغذائية، بل كان سبباً رئيسياً في حدوث الأزمات التي مرت بها مصر<sup>(٤)</sup>، هذا وقد كان لظاهرة التزيف في النقد والفلوس ما يترتب عليها من ارتفاع الأسعار، وإغلاق الأسواق، وصعوبة الحصول على الغذاء، وتخزين الأمراء القمح في شئونهم والامتناع عن بيعه للطحانين والخبازين<sup>(٥)</sup>، لأن النقود المزيفة يتم التعامل بها داخل الأسواق والخوانيت<sup>(٦)</sup> فترتفع الأسعار.

وقد كان ارتفاع الأسعار في الأسواق نتيجة حتمية وفورية للتزيف والغش في النقود حيث يسود الشك في النقد، وتضطرب حالة المعاملات التجارية ويخشى الناس حدوث ظاهرة

(١) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٥٤.

(٢) المقريري، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٢٨، د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٠.

(٣) عنها أنظر الفصل الأول.

(٤) د. رأفت محمد النبراوي، أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مركز البحوث ١٧، الرياض ١٩٩٠م، ط ١، ص ٤١.

(٥) د. حياة ناصر الحجى، أحوال العامة في حكم المماليك (دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، ط ٢، الكويت ١٩٩٤م، ص ١٩٢.

(٦) Eliyahu Ashtor: L' Evolution Des Prix Dans Le Proche oriental Basse E Poque, J.E.S.H.O, vol.17, part 1, Leiden 1961, p p. 44-45.



التضخم<sup>(١)</sup> بسبب تناقص الذهب في خزانة الدولة، فيكثر التهالك على شراء البضائع بأنواعها من الحوائت وخاصة الأقوات والأطعمة، الأمر الذى يسبب ارتفاع الأسعار<sup>(٢)</sup>، وذلك مثلما حدث عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م عندما توقف حال الناس بسبب كثرة الزغل في الفلوس وكانت المعاملة بها عدداً عن كل درهم فضة عده ثمانية وأربعين فلساً من ضرب السلطان فعملها الزغلية وخففوا وزنها حتى صار الفلوس زنته سدس درهم، وكانت معاملة دمشق بالفلوس التى يقال لها القراطيس، والقراطيس ستة فلوس، ويعد في الدرهم ٢٤ قراطيس فأبطل السلطان القراطيس من دمشق، وضرب بها كل فلس زنته درهم وصار الدرهم بـ ٤٨ فلساً مثل معاملة مصر فنقلت هذه الفلوس الخفاف القراطيس إلى مصر، وخلطت بفلوس المعاملة حتى كثرت وقلت الجياد فتعبت الناس فيها وزادت الأسعار كلها حتى غلقت الباعة والحوائت عندما نودى أن تكون الفلوس بالميزان<sup>(٣)</sup>، ويمكن القول أن من أهم عوامل انهيار النظام النقدي الذى أدى إلى ارتفاع الأسعار هو شره الحكام في تحقيق الربح السريع بضرب الفلوس وفرضها على الناس، حتى

---

(١) التضخم هو زيادة الطلب على العرض: رمى زكى، مشكلة التضخم في مصر وأسبابها ونتائجها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ط ١، ص ١، وفي موضع آخر التضخم هو عبارة عن كمية كبيرة من النقود تطارد كمية قليلة من السلع: فؤاد هاشم عوض، اقتصاديات النقود والتوازن النقدي، المطبعة الجديدة، القاهرة، ص ٥٢، السيد محمد الملط، نقود العالم متى ظهرت؟ ومتى اختفت؟، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م، ص ٩٤، ويعتبر التضخم أنه أشبه باليد الخفية التى تحرك الأسعار وهو من أعقد الأمور تحليلاً ومعالجة في الفكر الاقتصادي ومعنى التضخم يمكن أن يدرجه الشخص العادى فيما يلمسه من موجه واضحة من الغلاء ومن ارتفاع متواصل للأسعار ومن تدهور مستمر في القوى الشرائية للنقود، والتضخم له معنيين، (أ) التدهور المستمر في القوى الشرائية للنقود وهذا المعنى لا يخرج عن كوننا ننظر إلى التضخم كنتيجة حدثت بالفعل واتخذت من الارتفاع المتتالي للأسعار مظهرها لكى تجسد نفسها من خلاله وعند هذا الحد يبدو الأمر سهلاً لكل فرد يتعامل بالنقود. (ب) أما المعنى الثانى فيراد به التضخم كعملية تميل إلى رفع مستوى الأسعار بشكل مستمر وعند هذا المعنى تصبح المسألة أكثر تعقيداً، لأنها تنصب على البحث عن القوى الديناميكية التى تحرك الأسعار لأعلى، مزيد من التفاصيل: راجع: رمى زكى، مشكلة التضخم ص ١٧-١٨-٢٠.

(٢) حياة ناصر الحجي، أحوال العامة، ص ٢٥٩، رأفت البراوى، أسعار السلع الغذائية والجوامك، ص ٥٩.

(٣) أدى الإكثار من الفلوس إلى ظهور تضخم نقدي أشبه بالتضخم النقدي الذى نشاهده اليوم عندما تكثر الدولة من إصدار الورق النقدي ذى القيمة الاعتبارية وعندما كان النقد في أساسه عبارة عن وسيط بين بضاعتين تكونان محل التبادل، وكانت زيادة البضائع في المجتمع تتطلب مبدئياً زيادة ماثلة في النقد، وكان اللجوء إلى الإكثار من النقد مع إبقاء كميات السلع على حالها أو مع إنقاصها يؤدي إلى إيجاد قيم اصطناعية لا واقع لها فمن الطبيعى أن يعاد تقسيم النقود على كميات البضائع القائمة، مما يجعل سعر البضاعة يزيد بالنقد، أي تهبط قيمة النقد وترتفع أسعار البضائع، فالتضخم النقدي يؤدي قبل كل شيء إلى ارتفاع أثمان السلع بصورة عامة ويؤدي هذا الارتفاع إلى هبوط قوة العاملين الشرائية لأن الأجور تبقى مستقرة مدة من الزمن ثم تأخذ بالارتفاع البطئ شيئاً فشيئاً نتيجة نضال القوى العاملة اليومى المرير، بينما تكون أسعار المواد الضرورية للعيش سريعة الارتفاع مما يجبر الناس على العيش في ضنك وبؤس، وكذلك يكون أمر أصحاب الدخل المحدود من الموظفين... ولكن الأسعار تسابق الريح في ارتفاعها فيصبحون ضحية التضخم النقدي، راجع المقريرى، إغالة الأمة، ص ٢٠.



صارت النقد المعتمد عليه في الدولتين الأيوبية والمملوكية<sup>(١)</sup> البحرية كما سبق أن ذكرنا في الفصل الثالث من هذا البحث.

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن التحكم في عرض السلع لا ندرتها من أهم العوامل على الإطلاق في ارتفاع الأسعار، وقد شهدت الدولتان الأيوبية والمماليك البحرية خلال هذه الفترات أي فترات الأزمات تكالب وتصارع الناس في طلب الغلال والبقول لحفظها في المخازن والأهراء والشون ثم بيعها عندما تشتد الأزمة بسعر أعلى لتحقيق ربح أكبر<sup>(٢)</sup>، وكان نظام المقايضة سبباً في ارتفاع أسعار السلع الغذائية، حيث أن النقص في النقود الذهبية والفضية قد أدى إلى ظهور نظام المقايضة، ونظام نصف المقايضة في التجارة، ويعني نظام نصف المقايضة أن تدفع نصف ثمن السلع نقداً، والنصف الآخر سلعا، وقد ترتب على هذا النظام ارتفاع أسعار السلع الغذائية ارتفاعاً مضطجعاً فسر المقايضة يزيد على سعرها النقدي<sup>(٣)</sup> مما أدى إلى رفع الأسعار بطريقة غير طبيعية، إلى جانب أن الحروب والأخطار الخارجية كانت من أهم العوامل البشرية التي تحكم في أسعار السلع الغذائية، وذلك لأن الطلب على السلع الغذائية يشتد ويقوى عند الشعور بقدوم خطر خارجي لحرص الناس الشديد على شراء كمية كبيرة من الأغذية الموجودة بالأسواق، بالإضافة إلى قيامهم بتخزين الغلال التي لديهم ضماناً لقوتهم وقوت عيالهم أثناء الأزمة المتوقعة<sup>(٤)</sup> في حالة الحصار وذلك مثلما حدث عام ٦١٥هـ / ١٢١٨م عند حدوث الحملة الصليبية الخامسة فقد أحاط الفرنج بدمياط من البر والبحر، وحصروها وبدءوا يضيّقوا على أهلها فمنعوا وصول المؤن والأقوات إلى الناس<sup>(٥)</sup>، هذا وقد حفر الفرنج خندقاً على معسكرهم المحيط بدمياط، وبنوا سوراً فقاتلهم أهل دميّاط أشد قتال، ومع قلة الأقوات اشتد غلاء الأسعار<sup>(٦)</sup> وقد كانت مدة الحصار على ثغر دميّاط ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً<sup>(٧)</sup> واستمر ذلك الغلاء أعوام ٦١٦هـ — ٦١٧هـ — ٦١٨هـ / ١٢١٩م — ١٢٢٠م — ١٢٢١م، ففي عام ٦١٦هـ / ١٢١٩م بلغ

(١) د. رأفت النبراوي، أسعار السلع الغذائية والجوامك، ص ٤٨.

(٢) د. حياة لاصر الحجي، أحوال العامة، ص ٢١٧.

(٣) د. رأفت النبراوي، المرجع لنفسه، ص ٤٨.

(٤) د. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٣.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٣٢-٣٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٩٨، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٩٤.

(٦) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٩٨، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٩٤.

(٧) النويري، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.



سعر البقرة الواحدة ١٦٠٠ دينار<sup>(١)</sup>، أما في عام ٦١٧هـ / ١٢٢٠م بلغ سعر أردب القمح ٢,٥ دينار<sup>(٢)</sup> و ٣ دنائير<sup>(٣)</sup> وسعر الدجاجة الواحدة بثلاثين ديناراً<sup>(٤)</sup>، والبيضة بدينار<sup>(٥)</sup>، وكان للحملة الصليبية الخامسة أكبر الأثر في حدوث أزمة اقتصادية وذلك لارتفاع أسعار المواد الغذائية، أو عدم وجودها من الأصل لأن الحملة استمرت أحداثها ووقائعها على مدى أربعة أعوام استنفدت جميع موارد الدولة المالية والمؤن والطعام حتى الدخيرة والبشر<sup>(٦)</sup>، هذا بالإضافة إلى المؤامرات والصراعات والثورات التي قامت من أجل الصراع والوصول إلى السلطة، فكانت تؤدي إلى توقف الحياة وتعطيل حركة البيع والشراء وإغلاق الأسواق وسعى الناس وقهافتهم على شراء ما يلزمهم من السلع الغذائية المختلفة، ومن ثم زيادة الطلب على هذه السلع فينتج عنه ارتفاع مطرد في الأسعار<sup>(٧)</sup>، وأدت السياسة التعسفية التي سار عليها سلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية في جباية وجمع الأموال من الفلاحين إلى هجرة العديد من سكان الريف إلى المدن، فترتب على ذلك خلو وفراغ القرى من سكانها الفلاحين<sup>(٨)</sup> مما أدى إلى حدوث فراغ اقتصادي لجميع المرافق الاقتصادية للدولة، ومن ثم لم يوجد إلا القليل النادر ممن يقوم بزراعة الأراضي مما تسبب في قلة المحاصيل الزراعية وعدم كفايتها لسد احتياجات الناس فنتج عن ذلك ارتفاع أسعار السلع الغذائية<sup>(٩)</sup>.

ومع تعدد الأسباب يتكرر ظهور الغلاء فترتفع أسعار المواد الغذائية الضرورية لدرجة أنه يتعذر الحصول عليها، ويندر وجودها في الأسواق ويستحيل بل يتعذر على معظم الناس شرائها إن وجدت بذلك السعر المرتفع، ونتيجة لذلك تتوقف حركة البيع والشراء، ويتجمد النشاط الاقتصادي بمختلف مظاهره التجارية فيقاسى الباعة من قلة مواردهم المالية، ومعاناتهم الدائمة من

(١) النويرى، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) الدوادارى، كثر الدرر، ج ٧، ص ٢٠٨.

(٣) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٥.

(٤) النويرى، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) نفسه، نفس الجزء والصفحة، وعند المقرئى في السلوك بعدة دنائير، ج ١، ق ١، ص ٢٠١.

(٦) د. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ١٠٨.

(٧) د. رأفت النبراوى، أسعار السلع والجوامك، ص ١١٠، ولزيد من التفاصيل عن تلك المؤامرات والصراعات والفتن راجع:

الفصل الأول من الرسالة فلا داعى هنا للتكرار.

(٨) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٤-٣٥، د. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٨٠.

(٩) د. رأفت النبراوى، أسعار السلع الغذائية، ص ٨٥.





الجوع والفاقة، ومن ثم ترتب على ذلك صعوبة وتدهور بل اضطراب حالة الازدهار الاقتصادي في دولة المماليك خلال هذه الفترة<sup>(١)</sup>.

ويمكن القول أن كلاً من العوامل الطبيعية، والعوامل البشرية تشابكت مع بعضها البعض ونسجت خيوطاً تلك الخيوط كانت سبباً في حدوث الأزمات الاقتصادية بل أيضاً ارتفاع أسعار السلع الغذائية، إذ أن أسباب الأزمات الاقتصادية هي نفسها كانت نتيجة لحدوث ارتفاع أسعار السلع الغذائية.

### السلع الغذائية:

تشمل قائمة السلع الغذائية كل ما يحتاج إليه الإنسان لغذائه سواء من مأكّل و شراب، في كافة صوره سواء كانت محاصيل تحصد من الأرض أو حيوانات أو يدخل فيه العمل الإنساني بالصنعة والتحويل، ويمتد أيضاً إلى الأشربة وخاصة الماء، وما قد يستعمل كدواء أثناء حالات انتشار الأوبئة<sup>(٢)</sup>.

### تطور سعر القمح:

يعد القمح الغذاء الرئيسي للسكان وخاصة في المدن، وهو أول السلع التي تحتفى عند استشعار حدوث الأزمة أو المجاعة، ويعنينا بداية أن نصل إلى تحديد سعر تقريبي للقمح في خلال العصر الأيوبي والعصر المملوكي البحري في غير أوقات الأزمات (المجاعات)، إذ لم تشر المصادر التاريخية إلى سعر القمح في الأوقات العادية، وإن كان لدينا ثلاثة أسعار للقمح، أحدها قبل العصر الفاطمي، والثاني في العصر الأيوبي، والأخير في العصر المملوكي، والسعر الأول في بردية نشرها Grohmann وترجع إلى عام ٢٨٨هـ / ٩٠١م، وهي تتضمن بعض الأسعار الخاصة بسلع اشتراها كاتب البردية، يهمنها منها متوسط سعر القمح كان ٢٣/١ أردب لكل دينار<sup>(٣)</sup>.

(١) د. حياة الحجي، أحوال العامة، ص ٢١٩.

(٢) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٥٧.

(3) Grohmann (A); Arabic Papyri in the Egyptian Library, Vol. VI, Cairo, 1962, PP 35-36. Pls. II. IV.

ففي السطر ١٧ بـ ٢,٣٣٣ أردب لكل دينار، وفي السطرين ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ دينار عن ثمن ٨ أردب وهو ما يعني أن كل دينار يشتري ٢,٢٨ أردب أي ٢,٣٣ أردب، نقلاً عن د. أحمد الصاوي، المرجع السابق، هامش ١، ص ١٥٨.



وباستخدام النظام المترى<sup>(١)</sup> نجد أن هذه الكمية توازي ١٧٠ / ٤٠٠ كيلوجرام<sup>(٢)</sup>، أما السعر الثاني فقد أورده لنا المقرئى نقلا عن القاضي الفاضل الذى ذكر أن سعر القمح أثناء الرخاء الذى عم البلاد عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م بلغ مائة أردب بثلاثين دينار<sup>(٣)</sup>، ومعنى هذا أن الأردب الواحد كان بثلاث دينار أى بنحو ٠,٠٠٤٥ من الدينار للكيلوجرام، والسعر الأخير ينقله القلقشندي عن كتاب "مسالك الأبصار" للمقرئ الشهابي ابن فضل الله<sup>(٤)</sup> الذى ذكر أن أواسط سعر أردب القمح أيامه ١٥ درهماً<sup>(٥)</sup>، وإذا أخذنا فى الاعتبار استمرار ارتفاع قيمة الذهب (الدنانير) مقارنة بالفضة (الدراهم) نتيجة لعامل الندرة، حيث بلغ سعر الدينار بعد موت الناصر فرج ثلاثين درهماً<sup>(٦)</sup> نجد أن سعر الأردب حوالى نصف دينار أى أن ثمن الكيلوجرام هو ٠,٠٠٦٨ من الدينار فإذا ما اعتبرنا من الناحية الحسابية فقط أن الدينار يساوى مائة قرش فإن هذه الأسعار تكون على النحو التالى:

سعر عام ٢٢٨هـ ٥,٨ مليم للكيلوجرام (سعر للأجل)

سعر عام ٥٨٧هـ ٤,٥ مليم للكيلوجرام

سعرها قبل عام ٧٤٩هـ ٦,٨ مليم للكيلوجرام<sup>(٧)</sup>

ويكون متوسط هذا السعر ٥,٧٣ مليما للكيلوجرام الواحد<sup>(٨)</sup> وهو لا يبتعد كثيراً عن سعر علم ٢٨٨هـ، وهو ما اتخذناه أساساً للسعر العادى أثناء العصر الأيوبي باعتبار أن سعر الدينار بالدراهم تراوح ما بين ١٣,٣٣٣ إلى ١٦ درهماً وذلك فى العصر الأيوبي<sup>(٩)</sup>، أما فى العصر

(١) راجع: هنتس (فالتز)، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى، ترجمة عن الألمانية، د. كامل العسلى، عمان ١٩٧٠م، ص ٥٤، الأردب يوازي ٧٣,١٢٥ كيلوجرام.

(٢) د. أحمد الصاوى، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٤، د. أحمد الصاوى، المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٤) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م ومؤلفه هو مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، أنظر: أحمد عبد الرازق، دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة، القاهرة ١٩٧٤، ص ٤٧، عن د. أحمد الصاوى.

المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٧.

(٦) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٧٢، د. أحمد الصاوى، المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٧) د. أحمد الصاوى، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٨) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٩) سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٢٩٦.



المملوكى البحرى فقد حدث تذبذب فى سعر الدينار بالدرهم فنجده فى أحيان يرتفع وفى أحياناً أخرى ينخفض كما سوف نرى.

وإذا ما بدأنا دراسة تطور سعر القمح فى العصر الأيوبي نجد أنه وصل سعر الكيلوجرام عند بداية العصر الفاطمى عام ٣٥٨هـ<sup>(١)</sup> ٢,٣٥ درهماً، وإذا ما تتبعنا سعر القمح فسوف نتبعه بالكيلوجرام، حيث أن القمح هو الغذاء الرئيسى والأساسى لجميع أفراد الشعب من أغنياء وفقراء لذلك فسوف نذكر السعر بالكيلوجرام.

وبداية نذكر أنه عندما حدثت المجاعة<sup>(٢)</sup> عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م بلغ سعر الكيلوجرام من القمح ١,٤٥٥,٠٤ من الدرهم، وأثناء الأزمة الاقتصادية التى حدثت عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م<sup>(٣)</sup> بلغ سعر الكيلوجرام ٠,٣٢٨٢,٥١ من الدرهم، ثم ارتفع السعر فى نفس العام ليصل سعر الكيلوجرام إلى ١,٠٩٤,٠١٧ من الدرهم، وفى مجاعة عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، بلغ سعر الكيلوجرام ١,٠٩٤,٠١٧ من الدرهم، ثم مع استمرار الأزمة وحدثت المجاعة فى العام التالى ارتفع سعر القمح ليصل سعر الكيلوجرام ١,٣٦٧٥٢١٣ من الدرهم، وظل السعر على ذلك فى العام التالى ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، أى سعر الكيلوجرام ١,٣٦٧٥٢ من الدرهم وذلك فى بداية العام، وفى منتصف العام ارتفع السعر ليصل سعر الكيلوجرام إلى ١,٧٥٠,٤٢٣٧ من الدرهم، ثم بلغ أقصى ارتفاع له حيث وصل سعر الكيلوجرام إلى ٢١,٨٨٠,٣٤١ من الدرهم، حيث اشتد الغلاء<sup>(٤)</sup> بطريقة ملحوظة.

هذا وقد تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية شديدة جداً عندما حدث التضخم النقدى الذى أدى إلى ارتفاع الأسعار وذلك من عام ٦١٥-٦٣٥هـ / ١٢١٨-١٢٣٧م، حيث انهارت قيمة النقود وارتفعت أسعار البضائع، وأصبح النقد يوزن ولا يعد وأدى الإكثار منها إلى تضخم نقدى وارتفاع فى الأسعار<sup>(٥)</sup>، أضف إلى ذلك ما حدث عند مجيء الفرنج إلى دمياط ٦١٦هـ / ١٢١٩م فضايقوا أهلها وحاصروا المدينة فنفذت المؤونة والأقوات واشتد الغلاء بها جداً حتى

(١) ٢,٥ وبيه بدينار، المقرئى، إغاثة الأمة، ص ١١، د. أحمد الصاوى، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١١١.

(٣) النويزى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٥٢.

(٤) ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج ١، ق ٢، ص ٤٧٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٢٧، ابن عباس، شق

الأزهار، ص ٨١، الدوادارى، كثر الدرر، ج ٨، ص ٣٤٨.

(٥) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٧٤-١٠٨-١١١.



مات أهلها من الجوع<sup>(١)</sup>، هذا وقد كان عام ٦١٧هـ / ١٢٢٠م من أشق السنين وأشدّها على أهل مصر<sup>(٢)</sup> فارتفعت الأسعار ارتفاعاً بالغاً، ففي بداية العام وصل سعر الكيلوجرام من القمح ٠,٥٤٧٠٠٨٥ من الدرهم، ثم ارتفع بعد ذلك ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٠,٦٥٦٤١٠٢ من الدرهم وكانت تقديرات الأسعار في السنوات التالية تتراوح بين الارتفاع والانخفاض ففي أثناء المجاعة التي حدثت عام ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م بلغ سعر الكيلوجرام قمح ٢,٠٥١٢٨٢ من الدرهم لتصل نسبة التضخم إلى ٧٥٠% ثم إلى ٦٠٠%، وعاد وانخفض السعر عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م إلى ٠,٦٨٣٧٦٠٦ من الدرهم.

وإذا ما انتقلنا إلى عصر المماليك البحرية نجد أن الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣-١٢٦٤م ارتفع سعر القمح ليصل الكيلوجرام منه إلى ١,٣٦٧٥٢١٣ من الدرهم ثم يبلغ ذروته ليصل إلى ٢,٠٥١٢٨٢ من الدرهم ثم يعود مرة أخرى إلى ١,٣٦٧٥٢١٣ من الدرهم.

هكذا نجد أن معدل التضخم في هذه المجاعة يتذبذب بين الارتفاع والانخفاض فنجد أنه يصل إلى ٥٠٠% في البداية ثم يصل إلى ذروته ٧٥٠% من السعر العادي ثم ينخفض ليصل إلى التضخم الأول ألا وهو ٥٠٠% من السعر العادي أيضاً، هكذا نجد أن السنة الواحدة تسجل لنا أسعاراً مختلفة بين الارتفاع والانخفاض مما يوضح عدم استقرار سعر واحد للقمح فكان يرتفع ثم يسجل بعد ذلك أعلى ارتفاع، حيث نسبة التضخم تزيد هي الأخرى بنسبة واضحة وملحوظة مما يؤدي إلى بؤس عدد كبير جداً من الشعب.

وفي مجاعة عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م بلغ سعر الكيلوجرام ٠,٥٤٧٠٠٨٠ من الدرهم أي أنه بدأ في الارتفاع في ذلك العام، ولكن في العام التالي لاستمرار حدوث المجاعة بلغ الارتفاع ذروته، ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ١,٦٤١٠٢٥٦ من الدرهم وذلك بنسبة تضخم ٤٨٠% من السعر العادي، ثم انخفض قليلاً ليصل سعر الكيلوجرام إلى ١,٣٦٧٥٢١٣ من الدرهم وذلك بنسبة تضخم تصل إلى ٤٠٠% من السعر العادي، ثم ارتفع السعر مرة أخرى ليصل سعر الكيلوجرام قمح ٢,٠٥١٢٨٢ من الدرهم أي بنسبة تضخم تصل إلى ٦٠٠% من السعر العادي، ثم يواصل السعر ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٢,١٨٨٠٣٤١ من

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٣٢-٣٣، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٩٨.

(٢) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠٥.





الدرهم، بنسبة تضخم تصل إلى ٦٤٠% من السعر العادى، وواصل السعر ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٢,٣٢٤٧٨٦٣ من الدرهم، بنسبة تضخم تصل إلى ٦٨٠% من السعر العادى، ثم بلغ السعر ذروته وأقصى ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٢,٥٩٨٥٩٠٥ من الدرهم بنسبة تضخم تصل إلى الذروة لتبلغ ٧٦٠% من السعر العادى، ثم ينخفض السعر بنسبة قليلة ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٢,٣٢٤٧٨ من الدرهم بنسبة تضخم ٦٨٠% من السعر العادى، ثم يبدأ السعر فى الانحلال والانخفاض ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٠,٣٤١٨٨٠٣ من الدرهم، والى لم يسجل لها نسبة تضخم لأن هذا هو السعر العادى الذى كان يباع به القمح قبل وجود الأزمة الاقتصادية ألا وهو ٢٥ درهم<sup>(١)</sup> لأردب القمح، ومرة أخرى وفى نفس العام ارتفع السعر قليلاً ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٠,٤١٠٢٥٦٤ من الدرهم، ثم واصل ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٠,٨٢٠٥١٢٨ من الدرهم لتصل نسبة التضخم إلى ٢٤٠% من السعر العادى، ثم يرتفع ويواصل ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام إلى ١,٢٣٠٧٦٩٢ من الدرهم لتصل نسبة التضخم إلى ٣٦٠% من السعر العادى.

هكذا سجلت لنا الأزمة الاقتصادية عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م تذبذب فى الأسعار ما بين الارتفاع والانخفاض ولكن الانخفاض كما رأينا يكون بنسبة ضئيلة ثم تتبعها ارتفاع وانخفاض أيضاً فى نسبة التضخم فى تلك المجاعة القاسية، وتتوالى نسب الارتفاع فى أسعار القمح مع استمرار وجود المجاعة، حيث سجلت أسعار عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م أعلى نسبة ارتفاع لأسعار القمح، فقد وصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٢,١٨٨٠٣٤١ من الدرهم حيث وصلت نسبة تضخم هذا السعر إلى ٤٥٧,١٤٢٨٥%، ثم ارتفع مرة أخرى ليصل سعر الكيلوجرام من القمح ٢,٤٦١٥٣٨٤ من الدرهم بنسبة تضخم وصلت إلى ٥١٤,٢٨٥% من السعر العادى، ثم وصل إلى قمة ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٢,٥٩٨٢٩٠٥ من الدرهم بنسبة تضخم وصلت إلى ٥٤٢,٨٥٧% من السعر العادى، ثم انخفض بنسبة قليلة ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٢,٢٨٣٧٦٠٦ من الدرهم بنسبة تضخم وصلت إلى ٤٧٧,١٤% من السعر العادى، ثم ارتفع مرة أخرى ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٢,٤٦١٥٣٨٤ من الدرهم وذلك بنسبة تضخم تصل إلى ٥١٤,٢٨٥٧١% من السعر العادى، ثم انخفض بنسبة قليلة ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٢,٣٢٤٧٨٦٣ من الدرهم بنسبة تضخم تصل إلى ٤٨٥,٧١٤٢٨% من السعر العادى.

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٥٧.



هكذا اتخذ التضخم في سعر القمح شكل التضخم الزاحف Greeping Inflation<sup>(١)</sup> بمعنى تزايد السعر من فترة إلى أخرى<sup>(٢)</sup>، هكذا تذبذب سعر القمح ما بين الارتفاع والانخفاض لكن الانخفاض في هذه المرة كما لاحظنا كان بنسبة ضئيلة وقليلة لكن ظل السعر حول معدل ١٦٠ درهم و ١٩٠ درهم، ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى بنسبة قليلة، وكل هذا بسبب سوء الأحوال الاقتصادية وسوء الفساد في الإدارة. ومع استمرار حدوث تلك المجاعة سجل لنا سعر القمح في عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، حيث وصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٢,٣٢٤٧٨٦٣ من الدرهم بنسبة تضخم وصلت إلى ٨٥٠% من السعر العادي، ولكنه انخفض مرة أخرى ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ١,٣٦٧٥٢١٣ من الدرهم حيث وصلت نسبة التضخم إلى ٥٠٠% من السعر العادي، وفي الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩-١٣٠٠م والتي سببت حدوث مجاعة، بلغ سعر الكيلوجرام من القمح ٢,١٨٨٠٣٤١ لتصل نسبة التضخم إلى ١٢٣٠,٧% وهذه النسبة مرتفعة إلى أقصاها.

وفي مجاعة عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م بلغ سعر الكيلوجرام من القمح ٠,٥٤٧٠٠٨٥ من الدرهم بنسبة تضخم وصلت إلى ١٦٠% وهذه النسبة قليلة إذا ما قورنت بنسب التضخم التي حدثت في السنوات السابقة في حالة حدوث المجاعة، وفي مجاعة عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧-١٣٠٩م ارتفعت الأسعار<sup>(٣)</sup> ليصل سعر الكيلوجرام قمح ٠,٦٨٣٧٦٠٦ من الدرهم، لكن رغم حدوث الأزمة الاقتصادية عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٣-١٣٢٤م إلا أن سعر الكيلوجرام من القمح وصل إلى ٠,٢٣٢٤٧٨٦ من الدرهم، ولكن هذه نسبة ضئيلة ونلاحظ من خلالها عدم وجود أزمة في القمح رغم وجود أزمة اقتصادية في هذا العام.

وأثناء الغلاء الذي حدث في البلاد<sup>(٤)</sup> عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م حدث ارتفاع حاد في الأسعار حيث وصل سعر الكيلوجرام من القمح في ذلك العام إلى ٠,٩٥٧٢٦٤٩ من الدرهم بنسبة تضخم تصل إلى ٤٦٦,٦% من السعر العادي، ولكن في نفس العام سعت الدولة القمح ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٠,٢٠٥١٢٨٢ من الدرهم، ليعود فيرتفع إلى ٠,٢٧٣٥٠٤٢ من الدرهم، فواصل السعر ارتفاعه ليصل سعر الكيلوجرام إلى ٠,٤١٠٢٥٦٤ من الدرهم،

(١) د. رمزي زكي، التضخم في مصر، ص ٢٣ عن د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر، ص ١٥٩.

(٢) د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٥٩.

(٣) ابن إياس، نبذة من لشق الأزهار في عجائب الأخبار، ص ٨٠-٨١.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٧١-٤٧٢.



ليرتفع أكثر فيصل إلى ٥٤٧٠٨٥ من الدرهم، وظل السعر على ذلك مع استمرار حدوث الأزمة عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، ولكن الدولة سعت القمح فوصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٤١٠٢٥٦٤ من الدرهم، فلم يستطع أحداً يبيعه أكثر من ذلك<sup>(١)</sup>، ولكن الوباء الذي حدث عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ارتفع السعر إلى أقصاه ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ٤١٠٣٢٣، ١٦ من الدرهم، وذلك عندما عم الغلاء والوباء الدنيا جميعها<sup>(٢)</sup>، وأثناء المجاعة التي حدثت<sup>(٣)</sup> عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م بلغ سعر الكيلوجرام من القمح ٤١٠٢٥٦٤ من الدرهم، أما سعر الكيلوجرام عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م<sup>(٤)</sup> بلغ ١٢٣٠٧٦٩٢ من الدرهم، ليواصل ارتفاعه بنسبة كبيرة وملحوظة ليصل إلى ١٠٢٥٦١٠٦٤ من الدرهم، وهذا حدث عندما اضطربت أحوال البلاد فوقع الغلاء<sup>(٥)</sup>، أما في مجاعة عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م<sup>(٦)</sup> بلغ سعر الكيلوجرام ٢٠٥١٢٨٢ من الدرهم، ثم انخفض قليلاً ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ١٣٦٧٥٢١٣ من الدرهم، وذلك في ربيع أول من نفس السنة، ربيع أول ٧٧٦هـ / أغسطس ١٣٧٤م<sup>(٧)</sup>، ثم عاد وارتفع بنسبة قليلة في جماد الأولى عام ٧٧٦هـ / ٢٢ أكتوبر ١٣٧٤م<sup>(٨)</sup> ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ١٧٠٩٤٠١٧ من الدرهم، وانخفض مرة أخرى بنسبة طفيفة في ٢٢ جماد الأولى ٧٧٦هـ / نوفمبر ١٣٧٤م<sup>(٩)</sup> ليصل سعر الكيلوجرام ١٠٤٢٧٣٥، وعاد مرة أخرى إلى السعر السابق ليصل في رجب وشعبان ٧٧٦هـ / ديسمبر ١٣٧٤م - يناير ١٣٧٥م<sup>(١٠)</sup> ليصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ١٧٠٩٤٠١٧ من الدرهم. أما في مجاعة عام ٧٨٣هـ / ١٣٨١م<sup>(١١)</sup> وصل سعر الكيلوجرام ٨٢٠٥١٢٨.

(١) المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٣٩٥.

(٢) ابن تيمى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٩٥، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٤٣.

(٣) حامد زيان، المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٦٥-٦٦.

(٥) ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٩٠.

(٦) المقرئى، الخطوط، ج ١، ص ٣٣٩.

(٧) المقرئى، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢٣٢.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ١٤٠.

(٩) المقرئى، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢٣٣.

(١٠) المصادر نفسه، ص ٢٣٥.

(١١) المصادر نفسه، ج ٣، ق ٣، ص ٤٥٧، ابن قاضى شهبه، تاريخ ابن قاضى شهبه، ج ٣، ص ٥٦، السيوطى، حسن

الغاضرة، ج ٢، ص ١٦٦.



من الدرهم، أما في محرم عام ٧٨٤هـ / مارس ١٣٨٢م<sup>(١)</sup> وصل سعر الكيلوجرام من القمح إلى ١,٤٣٥٨٩٧٤ من الدرهم، وفي آخر المحرم ٧٨٤هـ / أبريل ١٣٨٢م<sup>(٢)</sup> انخفض السعر ليصل الكيلوجرام إلى ٠,٥٤٧٠٠٨٥ من الدرهم. هكذا يتضح أن سعر القمح لم يكن ثابتاً بمصر خلال المجاعات التي حدثت في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري فكان يرتفع تارة ثم ينخفض تارة أخرى بحسب أحوال البلاد السائدة والظروف المختلفة التي شهدتها في ظل المجاعات.

### سعر الخبز والدقيق:

الدقيق هو طحين القمح، ولهذا فإن ارتفاع سعر القمح أثناء المجاعات يؤدي إلى رفع سعره بالتبعية، وإذا كانت الدولة تستطيع أن تتحكم في سعر القمح عن طريق محاصرة السواحل التي ترد إليها الغلة أو البيع من مخازنها بالسعر الذي تحدده، فإن التحكم في سعر الدقيق مرحلة ما قبل الخبز كان يتم عن طريق قصر بيع القمح للطحانين والتشديد عليهم بالبيع بالسعر المنخفض<sup>(٣)</sup>. هذا وقد كان على الجانب الآخر من ذلك هو اختفاء الخبز الذي يعد أقبح مظاهر المجاعة التي تمس الناس مباشرة حيث يتزاحم الناس على الأفران وذلك بغية الحصول على احتياجاتهم، ويكثر التلاعب في أسعاره عن أي سلعة أخرى، وذلك لتعدد هذه الطرق فانتقال الخبز من الأفران إلى دكاكين بئاعي الخبز، كان يزيد من كلفه نتيجة لزيادة هوامش الربح الخاصة بتجار الخبز، فضلاً عن أجرة الأفران، ولما كان الخبز يباع وقتها بالوزن فإن الأفران كانت تلجأ إلى الغش عن طريق إخراج الخبز قبل نضجه مما يزيد من نسبة الماء فيزيد وزنه<sup>(٤)</sup> وفي بعض الأحيان كان الخبازون يخلطون الخبز بالطفل<sup>(٥)</sup> فيزداد سواده، مستغلين في ذلك تكالب الناس على الخبز وسرعة شرائه بعد خروجه من الأفران مباشرة، إذ أن الغش في الخبز كان يظهر بشكل واضح وذلك من خلال أنواع الخبز:

---

(١) المقريري، السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٦.

(٣) أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٦٢.

(٤) المسبحي، أخبار مصر، ج ٤٠، ص ٢٧٦، المقريري، انعاظ الخنفاء، ج ٢، ص ١٣٥، كانت الأفران تجدد في ازدحام الناس سبباً يدعو إلى ذلك، نقلاً عن د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٦٤.

(٥) المسبحي، أخبار مصر، ج ٤٠، ص ٢٧٦، المقريري، انعاظ الخنفاء، ج ٢، ص ١٦٦، عن د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٦٤.





فالنوع الأول: هو أسمر اللون وهو من دقيق اسمر أقل نقاوة وهو أرخص الأنواع ويسمونه بالخبز الأسود<sup>(١)</sup> أو الخشكار<sup>(٢)</sup> أو خبز الأفران<sup>(٣)</sup>.

والنوع الثاني: هو الخبز الأبيض وهو على نوعين الحوارى<sup>(٤)</sup> ثم السميز<sup>(٥)</sup> الأكثر جودة وثمنه أكثر ارتفاعاً من سابقه الأسمر، ويمكن اعتبار أسعار الخبز الواردة في المصادر التاريخية مشيرة إلى خبز الأفران الأسمر ما لم ينص صراحة على أنها تتعلق بالأنواع الفاخرة من الخبز كما في بعض الحالات<sup>(٦)</sup>.

أما عن أسعار الخبز نفسها أو الدقيق فقد سجلت لنا سنوات مختلفة حدثت بها مجاعات وكان لها أثراً كبيراً على تطور سعر الخبز أو الدقيق. ففي مجاعة عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣-١١٩٤م عظم ضجيج الناس من الجوع<sup>(٧)</sup> بلغ كل رطل من الخبز ١,٥ درهم<sup>(٨)</sup>، وفي عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م، بلغ سعر ٣ أرطال بدرهم<sup>(٩)</sup> ومن شدة حدوث الأزمة في هذا العام خطف الناس الخبز متى ظهر لهم، وقيل أنهم إستفوا التراب وأكلوا الزبل، وهلك كل من الفقراء والأغنياء... فقد كان من الناس من يقف على الحوانيت ويقول "أشمتوني رائحة الخبز"<sup>(١٠)</sup>، واستمرت الأزمة حتى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ليصل الرطل من الخبز إلى ١,٥ درهم<sup>(١١)</sup>.

وفي بداية العصر المملوكى وأثناء الأزمة الاقتصادية التي حدثت في عهد الظاهر بيبرس وصل سعر ٣ أرطال من الخبز بدرهم نقره<sup>(١٢)</sup>، وما حدث عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م أثناء المجاعة الشديدة

(١) المقرئى، اعطاء الخفاء، ج ٢، ص ٧٤، عن د. أحمد الصاوى، المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٢) الخبز الخشكار هو الدقيق الذى لم يستقصى طحنه ولا نخلة، والخبز الخشكار هو المصنوع بدقيق القمح والردء، راجع المسبحى: الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد، أخبار مصر، حققه وكتب مقدمته وحواشيه د. أيمن فؤاد سيد، وتيسارى بيالكى، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، هامش ٣، ص ٤٨.

(٣) د. أحمد الصاوى، المرجع نفسه، ص ١٦٥.

(٤) الحوارى هو الدقيق الأبيض أو لباب الدقيق، المسبحى، أخبار مصر، هامش ٤، ص ٤٨.

(٥) د. أحمد الصاوى، المرجع نفسه، ص ١٦٥.

(٦) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٢١.

(٨) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٦.

(٩) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٣٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١١) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٠.

(١٢) ابن تيمزى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢١٣، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٥٠٦.



وصل الحال بأهل مصر حتى صاروا يذهبون الخبز من الأسواق والأفران وهو عجيب، ويرمون أنفسهم على طبق العجين من شدة الجوع والضرب بالعصا على رؤوسهم وظهورهم، ولا يلتفتون حولهم فيضربون حتى يقع الفرد منهم مغشياً عليه وهو ماسك رغيفاً أو قطعة منه بأسنانه<sup>(١)</sup>، هذا وقد وصل رطل الخبز في هذا العام بدرهم نقره<sup>(٢)</sup> وأثناء مجاعة عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩ - ١٣٠٠م، بلغ سعر رطل الخبز بدرهمين<sup>(٣)</sup> وأثناء أزمة عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، بلغ كل ٥ أرطال بدرهم<sup>(٤)</sup> وأثناء المجاعة التي حدثت عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، بلغ سعر رغيف الخبز بـ ٤ دراهم<sup>(٥)</sup> وقد بلغ سعر بطه الدقيق<sup>(٦)</sup> من نفس العام بـ ١٤ درهم<sup>(٧)</sup>، ومع استمرار حدوث الأزمة بلغ رطل الخبز ونصف الرطل بدرهم<sup>(٨)</sup> وذلك عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م ثم تطور الأمر حتى وصل الأمر مع اشتداد حدوث الأزمة كل ٣ رطل من الخبز بـ ٤ دراهم<sup>(٩)</sup> وقد وصل سعر بطه الدقيق في جمادى الأول ٧٧٦هـ / أكتوبر ١٣٧٤م بـ ٣٠ درهم<sup>(١٠)</sup> وفي رجب وشعبان ٧٧٦هـ / ديسمبر ١٣٧٤م، ويناير ١٣٧٥م وصل سعر بطه الدقيق ٣٤ درهم<sup>(١١)</sup> هذا وفي مجاعة عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م، بلغ كل رطلين من الخبز بدرهم<sup>(١٢)</sup> وفي آخر الحزم عام ٧٨٤هـ / أبريل ١٣٨٢م، بلغ سعر البطه الدقيق ١١ درهم<sup>(١٣)</sup>.

هكذا كان سعر الدقيق والخبز بمصر يتراوح بين الارتفاع والانخفاض حيث كان يرتفع مرة وينخفض مرة أخرى حسب الظروف<sup>(١٤)</sup>، إذا أمعنا النظر في كيفية ارتفاع أسعار المواد الغذائية في الفترة السابق الحديث عنها أدركنا أن ارتفاع أسعار السلع الغذائية من جهة، وارتفاع بعضها

(١) العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠١.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦١، المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣.

(٣) المقرئ، المصدر نفسه، ص ٨٩٣.

(٤) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٣٩.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٥.

(٦) البطه هي وبيه ونصف وبيه والويه مكيال للحبوب سعته سدس الأردب، راجع: رأفت النبراوي، أسعار السلع الغذائية، ص ٢٣٢.

(٧) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٨) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٣٩.

(٩) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(١٠) نفسه، ص ١٤٠.

(١١) المقرئ، المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(١٢) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(١٣) المقرئ، المصدر نفسه، ص ٤٦٦.

(١٤) رأفت النبراوي، أسعار السلع الغذائية، ص ٢٣٢.



الفترة السابق الحديث عنها أدركنا أن ارتفاع أسعار السلع الغذائية من جهة، وارتفاع بعضها من جهة أخرى جعل من الصعب على عامة الناس في ذلك الوقت أن يجدوا كفايتهم من الغذاء<sup>(١)</sup>.

وقد كان لهذه الأوبئة والمجاعات أثارها الاقتصادية التي يمكن أن نلمس أهم مظاهرها في حقيقة التدهور الزراعي، وما كان ينتج عن ذلك بالضرورة من ارتفاع الأسعار بشكل مستمر فضلاً عن اختفاء السلع الضرورية في معظم الأحيان، لقد كانت الأسباب نتيجة لأسباب وعوامل أخرى مما يجعل الأسباب والنتائج تتشابك مع بعضها البعض فلا يمكن الفصل بينهما، غير أن التدهور الاقتصادي بات واضحاً تمام الوضوح في قصور الإنتاج الزراعي عن الوفاء بحاجة البلاد من ناحية، وفي كثرة اختفاء الخبز والقمح بشكل معتاد كاد يكون سنوياً من جهة أخرى، كما ظهر هذا التدهور الاقتصادي في الانخفاض الواضح للإنتاج الصناعي... إلى جانب انهيار النظام النقدي<sup>(٢)</sup>، هذا ويمكن القول أن السبب الأساسي في ارتفاع أسعار القمح والخبز يرجع إلى غرق الأراضي الزراعية نتيجة لزيادة مياه النيل، وهذه الزيادة تؤدي إلى غرق الأراضي، وما عليها من محاصيل زراعية، ومن ثم يقل إنتاج المحاصيل بل ينعدم أحياناً وبالذات محصول القمح مما ينتج عنه قلة وجود الدقيق الذي يصنع منه الخبز وليس قلته فقط بل يؤدي إلى ندرته أيضاً، ولذلك يرتفع سعر الخبز، وقد ارتفعت الأسعار لقلة الغلال، وصار الخبز لا يجلس به أى شخص لبيعه في الحوايت لا بالقاهرة ولا بمصر<sup>(٣)</sup>.

### سعر الأرز والشعير:

كان للأرز الذي يزرع في دلتا وادي النيل أهمية خاصة في غذاء المصريين في المدن كما يتضح من اهتمام المؤرخين بإيراد أسعار الشعير (الأرز) وقت الأزمات خاصة وأنه كان يمثل بديلاً مقبولاً للقمح، وخاصة في صورته الأولى قبل عملية التذرية وهو الشعير، والأرز بطبيعته يحتاج إلى ماء وفير لأجل زراعته، ولذا فإن انخفاض الفيضان كان يعنى في التحليل النهائي إنحسار مساحة الأراضي المزروعة به<sup>(٤)</sup>، هذا وقد ارتفع سعر الشعير في أثناء الأزمات الاقتصادية وحدوث المجاعات ارتفاعاً ملحوظاً، ففي العصر الأيوبي أثناء أزمة عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م بلغ سعر

(١) رأفت النبراوي، أسعار السلع الغذائية، ص ٤٠.

(٢) رأفت النبراوي، المرجع نفسه، ص ص ٤٠-٤١.

(٣) نفسه، ص ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٧١.



أردب الشعير ٤٠ درهم<sup>(١)</sup> ليصل إلى قمة ارتفاعه في العام التالي ٥٩٦هـ / ١١٩٩م، ليصل سعر الأردب من ٥٠ إلى ٦٠ درهم<sup>(٢)</sup> ثم ينخفض مرة أخرى في نفس العام ليصل إلى ٣٠ درهم<sup>(٣)</sup> ثم ارتفع السعر ليصل في العام التالي ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م إلى ٦ دنانير<sup>(٤)</sup> أي ٧٩,٨ درهم. وإذا انتقلنا إلى عصر المماليك البحرية فنجد أنه ارتفع سعر أردب الشعير إلى ٧٠ درهم<sup>(٥)</sup> وذلك أثناء الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ٦٦٢هـ / ١٣٦٣م، وأثناء حدوث الأزمة الاقتصادية عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م ارتفع سعر أردب الشعير ليصل إلى ١٠٠ درهم<sup>(٦)</sup> إلى ١٢٠ درهم<sup>(٧)</sup> وعاد وانخفض مرة أخرى ليصل إلى ٦٠ درهم<sup>(٨)</sup>، ومع استمرار حدوث الأزمة الاقتصادية عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م فقد وصل سعر أردب الشعير إلى ١٢٠ درهم<sup>(٩)</sup> ثم انخفض قليلاً ليصبح ١٠٠ درهم<sup>(١٠)</sup> ثم أصبح ٨٠ درهم<sup>(١١)</sup> ثم ارتفع السعر مرة أخرى في العام التالي ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م فبلغ سعر الأردب من الشعير إلى ١٢٠ درهم<sup>(١٢)</sup>، هذا وقد ارتفع سعر الشعير ارتفاعاً كبيراً وملحوظاً وذلك في عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩-١٣٠٠م، حيث وصل سعر الأردب إلى ١٨٠ درهم<sup>(١٣)</sup>.

وعلى الرغم من حدوث أزمة اقتصادية عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م تبعها وباء وغلاء ومجاعة إلا أن سعر الأردب الشعير انخفض ليصل سعره إلى ٢٠ درهماً<sup>(١٤)</sup>، وأثناء أزمة عام ٧٣٧هـ /

(١) الدواداري، كثر الدرر، ج ٧، ص ١٣٩، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٢٨.

(٢) الدواداري، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٧٤.

(٣) المقریزی، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٣٠.

(٤) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢١٣، المقریزی، المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٥٠٦.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٨٦، العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٧٥، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٩٩.

(٧) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٨) المقریزی، إغاثة الأمة، ص ٣٢، علي مبارك، الخطط، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(٩) علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(١٠) المقریزی، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.

(١١) الدواداري، كثر الدرر، ج ٨، ص ٣٦٣.

(١٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٩، علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٧.

(١٣) المقریزی، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٩٣.

(١٤) المصدر نفسه، ج ١، ق ٣، ص ٥٥.





١٣٣٦م بلغ سعر الأردب ٢٨ درهماً<sup>(١)</sup> ووصل السعر في عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م إلى ٢٢ درهم<sup>(٢)</sup>، هذا وقد سجل السعر في عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م مرتين، ففي ربيع الأول عام ٧٧٥هـ / أغسطس ١٣٧٣م، ٨٠ درهم<sup>(٣)</sup> وفي جمادى الأول عام ٧٧٥هـ / أكتوبر ١٣٧٣م وصل السعر إلى ٢٥ درهماً<sup>(٤)</sup> وقد سجل سعر أردب الشعير عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م ستة أسعار، ففي ربيع الأول ٧٧٦هـ / أغسطس ١٣٧٤م وصل سعر الأردب إلى ٦٠ درهم<sup>(٥)</sup> ثم ارتفع في ربيع الآخر ٧٧٦هـ / سبتمبر ١٣٧٤ إلى ١١٠ درهم<sup>(٦)</sup>، وفي نفس العام أيضاً في جمادى الأولى ٧٧٦هـ / أكتوبر ١٣٧٤م، بلغ سعر أردب الشعير ٩٠ درهم<sup>(٧)</sup>، ثم عاد وانخفض في ٢٢ جمادى الأولى ٧٧٦هـ / أكتوبر ١٣٧٤م إلى ٦٠ درهماً<sup>(٨)</sup> ثم عاد ليرتفع مرة أخرى في نفس العام في رجب وشعبان عام ٧٧٦هـ / ديسمبر ١٣٧٤م، ويناير ١٣٧٥م ليصل إلى ٩٠ درهم<sup>(٩)</sup> ولكنه انخفض مرة أخرى انخفاضاً ملحوظاً وصل إلى ٢٠ درهم<sup>(١٠)</sup> في ذو القعدة ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م. ولكن سعر أردب الشعير بلغ ذروته بل أكثر في ذو الحجة من عام ٧٨٠هـ / مارس ١٣٧٩م حيث وصل من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ درهم<sup>(١١)</sup>، وفي محرم ٧٨٤هـ / مارس ١٣٨٢م وصل سعر أردب الشعير إلى ٥٠ درهم<sup>(١٢)</sup> ثم انخفض السعر في آخر المحرم ٧٨٤هـ / إبريل ١٣٨٢م<sup>(١٣)</sup> ليصل إلى ٢٢ درهم<sup>(١٤)</sup>.

هكذا نلاحظ أن سعر الأردب الشعير أثناء سنوات الأزمات الاقتصادية كان يتسم بالتذبذب سواء بالارتفاع مرة والانخفاض مرة أخرى حتى أنه كان لا يستقر على سعر ثابت، وهذا إن دل

(١) المقريري، المصدر السابق، ج ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ق ٣، ص ٧١٩.

(٣) ابن إياس، المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ١٢٥.

(٤) المقريري، المصدر نفسه، ج ٣، ق ١، ص ٢٢١.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ق ١، ص ٢٣٢، ابن إياس، المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ١٣٦.

(٦) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٨) المقريري، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢٣٣.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(١٠) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٤٥، المقريري، المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(١١) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

(١٢) المقريري، المصدر نفسه، ص ٤٤٦، ابن إياس، المصدر نفسه، ج ١، ق ١، ص ١٤٠.

(١٣) المقريري، المصدر نفسه، ص ٤٤٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٤٦٦.



على شيء فيدل على سوء الأوضاع الاقتصادية حيث أننا وجدنا أن العام الواحد كان يوجد به أكثر من سعر للأردب فتارة يرتفع إلى أقصى حد وتارة أخرى ينخفض ثم يرتفع ثم ينخفض كما حدث في عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤-١٣٧٥م كما سبق أن ذكرنا، فهذا سوء تصرف وسوء سياسة من الدولة نفسها تجاه الأفراد.

### سعر الفول:

الفول هو غذاء غني بالبروتين النباتي الذي يعتمد عليه الشعب المصري منذ القدم في غذاءه واتخاذ له كوجبة رئيسية وأساسية، هذا وقد كانت أسعاره هي الأخرى تتأثر بحدوث المجاعات والأزمات الاقتصادية، فترتفع عن العادة.

ففي مجاعة عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م-١١٩٩م بلغ سعر الأردب من الفول ٤٠ درهم<sup>(١)</sup> ثم ارتفع أكثر من ذلك مع استمرار حدوث تلك المجاعة ليصل في العام التالي ٥٩٦هـ / ١١٩٩م إلى ٥٠ درهم ثم إلى ٦٠ درهم<sup>(٢)</sup> واستمر ذلك السعر أيضا في عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م فقد بلغ ٦ دنانير<sup>(٣)</sup> أي ٦٠ درهما، وأثناء الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م بلغ سعر الأردب من الفول ٥٠ درهما<sup>(٤)</sup> وبلغ سعر الأردب من الفول أثناء مجاعة عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م ٥٠ درهما<sup>(٥)</sup> وتطور السعر تطوراً ملحوظاً حتى وصل إلى قمة ارتفاعه في نفس العام ليصل إلى ١٠٠ درهم<sup>(٦)</sup>، ومع استمرار حدوث تلك المجاعة وصل سعر أردب الفول في العام التالي ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م إلى ١١٠ درهم<sup>(٧)</sup> ولكنه انخفض بنسبة قليلة ليصل في نفس العام إلى ٩٠ درهم<sup>(٨)</sup> ثم وصل إلى ٨٠ درهم<sup>(٩)</sup> وعاد السعر وارتفع مع استمرار حدوث الأزمة

(١) الدواداري، كثر الدرر، ج ٧، ص ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٥٨.

(٤) المقرئزي، إغاثة الأمة، ص ٣٩.

(٥) المقرئزي، إغاثة الأمة، ص ٣٩، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(٦) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٧٥، وهو ذكر أن سعر الشعير ١٠٠ درهم والفول والحب نحو ذلك.

(٧) المقرئزي، إغاثة الأمة، ص ٣٣، العيني، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٠، على مبارك، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(٨) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٣، وقد ذكر ابن الفرات أن سعر الأردب من الفول وصل من ٨٠ إلى ٩٠ درهم، راجع: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ج ٨، ص ٢٠٨.

(٩) الدواداري، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣٩.



في العام التالي عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م ليصل السعر إلى ١٢٠ درهم<sup>(١)</sup>، ويعتبر هذا أقصى سعر وصل إليه الفول في حدوث المجاعات والأزمات الاقتصادية لأن المجاعات اللاحقة لذلك العام توضح أسعار أقل من الأسعار السابق ذكرها ففي مجاعة عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م بلغ سعر الأردب ٣٢ درهم<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م بلغ سعر الأردب من الفول ٢٠ درهم<sup>(٣)</sup> ثم وصل إلى ٢٥ درهم<sup>(٤)</sup> أثناء حدوث الأزمة الاقتصادية عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م. هذا وفي عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤-١٣٧٥م سجل لنا هذا العام أسعاراً مختلفة تتذبذب بين الارتفاع والانخفاض، ففي ربيع الأول عام ٧٧٦هـ / أغسطس ١٣٧٤م وصل سعر أردب الفول إلى ٥٠ درهم<sup>(٥)</sup> وعاد وارتفع في ٢٢ جمادى الأول عام ٧٧٦هـ / نوفمبر ١٣٧٤م إلى ٥٥ درهم<sup>(٦)</sup> ثم وصل أقصى ارتفاع له في رجب وشعبان عام ٧٧٦هـ / ديسمبر ١٣٧٤- يناير ١٣٧٥م إلى ٨٠ درهم<sup>(٧)</sup>، وفي عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م بلغ سعر أردب الفول إلى ٢٢ درهم<sup>(٨)</sup>.

مما سبق نلاحظ عدم استقرار سعر الفول عند حد معين، بل نجد التذبذب الواضح ما بين الارتفاع والانخفاض في سعر الأردب الواحد حيث سجلت لنا بعض سنوات المجاعات أعلى سعر وصل إليه الأردب وهو عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م ليصل إلى ١٠٠ درهم ثم إلى ١١٠ درهم في العام الذي يليه، ثم تذبذب السعر تذبذباً واضحاً حيث انخفض بعد ذلك، ولكن كان يسجل لنا سعر غلاء أيضاً أثناء حدوث المجاعات، هكذا لم يستقر سعر الفول في أثناء الأزمات الاقتصادية عند حد معين.

### أسعار الأدوية وأغذية المرضى:

في الأوقات التي كانت تحدث فيها أزمة اقتصادية يتبعها حدوث مجاعة مصحوبة بالوباء، كانت أسعار الأغذية التي تستعمل كدواء للمرضى تسجل ارتفاعاً خاصاً من حيث أنها غذاء

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٩٠.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ق ٣، ص ٧١٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ق ١، ص ٢٢١.

(٥) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ٢٣٢، ابن إياس، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦.

(٦) المقرئزي، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ٢٣٣.

(٧) المصدر نفسه، ج ٣، ق ١، ص ٢٣٥، ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٨) المصدر نفسه، ج ٣، ق ٢، ص ٤٦٦.



ودواء في نفس الوقت، ففي عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥-١١٩٦م كثرت الأمراض الحادة بمصر والقاهرة إلى جانب حدوث الحميات المحرقة<sup>(١)</sup> التي زادت إلى حد لا يمكن وصفه وزادت وأفرطت في الزيادة بنسبة كبيرة وملحوظة، فغلت الاشرية والسكر وعقاقير العطار<sup>(٢)</sup>، ففي مجاعة ذلك العام بلغ سعر البطيخة ٢٤ درهم<sup>(٣)</sup> وفي جماد الأولى من نفس العام بيعت البطيخة الواحدة بـ ١٠٠ درهم<sup>(٤)</sup>.

وأثناء حدوث مجاعة عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩م بلغ سعر رطل البطيخ الأخضر بـ ٤ دراهم<sup>(٥)</sup> والسفرجلة<sup>(٦)</sup> أى حبة السفرجل بلغت ٣٠ درهم<sup>(٧)</sup> وفي مجاعة عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥-١٢٩٦م بلغت البطيخة الواحدة ٤٠ درهم<sup>(٨)</sup> والرطل الواحد من البطيخ بـ ٤ دراهم نقره<sup>(٩)</sup> والبطيخة الخضراء الصيفية بـ ١٠٠ درهم<sup>(١٠)</sup> وفي نفس العام ومع استمرار حدوث تلك المجاعة بلغ سعر ٣ حبات سفرجل بدرهم<sup>(١١)</sup> وتطور الأمر حتى وصلت السفرجلة الواحدة إلى ٣٠ درهم<sup>(١٢)</sup>، وقيل أن سبب غلاء أسعار الفاكهة في ذلك العام هو هبوب رياح جاءت بعدها حمى عمت الناس فغلا سعر السكر والعسل وما يحتاج إليه المرضى، وعدمت الفواكه<sup>(١٣)</sup>.

ومن شدة غلاء الأسعار أثناء مجاعة ٦٩٤-٦٩٥هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م فقد بلغت أرباح العطارين والأطباء أقصاها نظراً لاشتداد الطلب على الأدوية والأطباء، فقد بلغت أرباح أحد

(١) المقرئى، المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٥٢.

(٦) السفرجل نوع من أنواع الفاكهة وأصله جزيرة كريت وزراعة السفرجل معروفة من قديم الزمان، وخاصة بالجزء الشرقى من أوروبا، راجع: رأفت النبراوى، أسعار السلع، ص ٤٣٣.

(٧) النويرى، المصدر نفسه، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٣، العيى، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٩) النويرى، المصدر نفسه، ج ٣١، ص ٢٩٣.

(١٠) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٣، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨، وقد ذكر على مبارك أن الرطل من البطيخ بلغ سعره ٢ درهم، على مبارك، الخطط، ج ٧، ص ١٩.

(١١) المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٣، على مبارك، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(١٢) ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨، النويرى، ج ٣١، ص ٢٩٣، المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٣١٨.

(١٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩.





العطارين من الأدوية في يوم واحد ٣٢ ألف درهم<sup>(١)</sup> كذلك بلغ متوسط المكسب اليومي للطبيب حوالى مائة درهم<sup>(٢)</sup>، ومع وصول المجاعة إلى ذروتها عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٥-١٢٩٦م بلغ سعر التفاحة الواحدة، الرمانة الواحدة<sup>(٣)</sup>، السفرجلة الواحدة كل واحدة منها ٣٠ درهم<sup>(٤)</sup>.

وفي عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م فشا بالناس أمراض حادة، وعم الوباء، وطلبت الأدوية والأطباء، وعز سائد ما يحتاج إليه المرضى<sup>(٥)</sup> بل قل وندر وجوده، حتى أنه بلغ سعر رطل البطيخ بدرهم<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م حدث بمصر أمراض كثيرة نادراً ما سلم منها أحد أو دار أو بيت فغلت الأسعار والأدوية والأشربة، وبيعت الرمانة الحامضة بثلاثة أرباع درهم نقره، والعناب الرطل المصرى بستة دراهم نقره، وكذلك الأجاص والقراصيا والقلب اللوز<sup>(٧)</sup>، وفي مجاعة عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م بلغ سعر الرمانة الواحدة ١٦ درهم<sup>(٨)</sup> والبطيخة الصيفية ١٠٠ درهم<sup>(٩)</sup> ومع استمرار حدوث المجاعة عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م بلغ سعر البطيخة الواحدة ٧٠ درهم<sup>(١٠)</sup> وحنة السفرجل الواحدة بلغت ٥٠ درهم<sup>(١١)</sup> والرمانة ١٦ درهم<sup>(١٢)</sup> وفي ربيع الآخر من نفس العام بلغ الرطل من حب الرمان ١٠,٥ درهم<sup>(١٣)</sup> وفي شهر جمادى الآخرة بلغت البطيخة الصيفية ٩٠ درهم<sup>(١٤)</sup> والتفاحة الواحدة بلغت كل واحدة منهما ٥٠ درهماً<sup>(١٥)</sup>، ومن الملاحظ أن سعر

(١) قاسم عبده قاسم، النيل واجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ص ٥٩-٦٠.

(٢) قاسم عبده، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) ذكر السيوطي أن عبد الله بن أحمد، أخرج في رواه المسند وابن السني بسند رجال ثقات عن علي ابن أبي طالب قال: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ للمعدة، راجع: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٤٣١، هذا وقد ورد ذكر الرمان في القرآن الكريم في سورة الرحمن "فيهما فاكهة ونخل ورمان" صدق الله العظيم، آية رقم (٦٨).

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٩٠.

(٥) المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٥٥، ابن تغزى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٤٣.

(٦) المقرئ، المصدر نفسه، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٣.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٢٥.

(٩) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ص ١٢٥-١٢٦.

(١٠) ابن تغزى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٦، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٥، وقد ذكر المقرئ في كتابه إغالة الأمة ألها بلغت ١٥٠ درهم، راجع: المقرئ، إغالة الأمة، ص ٤٠.

(١١) النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٦.

(١٢) السيوطي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٥، ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٤١، ابن تغزى بردى، المصدر نفسه، ص ٦٦.

(١٣) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(١٤) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ١٤١.

(١٥) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.



البطيخ كان يرتفع عند انتشار مرض الطاعون مما يؤكد أن له علاقة في علاج هذا المرض الخطير، لأن الناس كانوا يقبلون على شرائه بشكل غير عادى، ويرجع سبب ارتفاع ثمن البطيخ إلى كثرة عدد الموتى من الناس بمرض الطاعون وزيادة إقبال الناس على شرائه، فقل وجوده وارتفع سعره<sup>(١)</sup>.

هكذا نجد أنه كان من نتيجة حدوث الغلاء تفشى الجوع خاصة بين الطبقات الفقيرة مما يترتب عليه انخفاض شديد في مستوى المعيشة وما يتبعه من سرعة انتشار الأوبئة والأمراض التي كانت تظهر بشكل واضح في ظل تلك الأزمات خاصة بارتفاع أسعار الأدوية خاصة الفاكهة لأنها كانت تستخدم كدواء للمرضى فغلت سعرها كما سبق أن ذكرنا.

### سعر الماء:

حتى ماء الشرب كانت أسعاره تتعرض للارتفاع أثناء الأزمات الاقتصادية والمجاعات متأثرة في ذلك بثلاثة عوامل قد تجتمع سوياً في مجاعة واحدة هي:

١. انخفاض منسوب مياه النيل مما يعنى زيادة الجهود المبذولة لرفع الماء.
٢. قلة حيوانات الحمل كالجمل والبغال بسبب نفوقها أو ذبح بعضها للأكل.
٣. إن الارتفاع العام في أسعار المأكولات كان يؤدي إلى ارتفاع الأجور حتى يتمكن الأجراء من شرائهم<sup>(٢)</sup>.

ففي أثناء مجاعة ٧٤٦-٧٤٧هـ / ١٣٤٥-١٣٤٦م، بلغت راوية الماء ٢ درهم فضة<sup>(٣)</sup> وفي عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م بلغت راوية الماء ١٢ درهم<sup>(٤)</sup> لأنه في تلك السنة حدث الوباء العظيم الذي عم جميع أنحاء الأرض، هذا وقد بلغت راوية الماء أثناء مجاعة ٥ دراهم<sup>(٥)</sup> وارتفع سعر الماء في عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م لتصل راوية الماء في ذلك العام إلى ٤ دراهم<sup>(٦)</sup>.

---

(١) ابن إياس، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٧٥.

(٣) السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٣-١٦٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٣٠، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٩.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٣٠.

(٥) ابن إياس، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ١٢٥.

(٦) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٩.



## أسعار أخرى لمواد غذائية مختلفة:

بلغ أردب العدس أثناء مجاعة عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م، ١١٠ درهم<sup>(١)</sup> والتمرس وصل سعره إلى ٦٠ درهم<sup>(٢)</sup> بلغ سعر البر ١٩ درهم<sup>(٣)</sup> وقد بلغ رطل الزيت من نفس العام ٦ دراهم<sup>(٤)</sup>، ومع استمرار حدوث الأزمة والمجاعة ففي العام التالي ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م بيعت قطعه السكر بثقلها فضة<sup>(٥)</sup>، وعندما حدثت مجاعة عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م بلغ سعر السكر دراهم<sup>(٦)</sup> وفي أثناء مجاعة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م وصل سعر القمح الحمص المصلوق بـ ٣ دراهم<sup>(٧)</sup> ومن نفس العام وصل فدان البرسيم سعره إلى ١٧٠ درهم<sup>(٨)</sup>.

## تطور أسعار اللحوم والدواجن ومنتجات الألبان:

يعد البروتين الحيواني أحد المصادر المهمة لغذاء الإنسان، بل أن معدلات استهلاكه يمكن أن تومئ إلى مستوى الدخل في دول العالم<sup>(٩)</sup> ويأتي البروتين الحيواني من جميع الحيوانات كالبحر والغنم أو من الطيور كالحوم الدواجن وبيضها<sup>(١٠)</sup>، وتتأثر أسعار الحيوانات واللحوم أثناء المجاعات والأزمات بعدة عوامل منها:

١. قلة الكلاء الناتج عن عدم وفاء الفيضان أو زيادته المفرطة مما يؤدي إلى موت الماشية<sup>(١١)</sup>.
٢. انتشار الأوبئة بين الحيوانات ووفاة أعداد هائلة منها فيؤدي ذلك إلى حدوث أزمة اقتصادية لارتفاع أسعارها وأسعار اللحوم.

---

(١) المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٣٣، العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠٠، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.

(٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٩٣.

(٥) ابن إياس، ج ١، ق ١، ص ٣٩٠.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٥٥.

(٧) المقرئزي، المصدر السابق، ج ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.

(٨) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٩) مورلايه (فراليس) وكوليتز (جوزيف)، صناعة الجوع، ترجمة أحمد حسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٦٤، الكويت ١٩٨٣،

ص ص ٣٠٦-٣٠٧، عن د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٧٢.

(١٠) د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٧٢.

(١١) كان في استئجار جزء من الأرض ضرر للحيوانات لعدم المراعى، أنظر: أحمد الغزالي، تحفة الخليل، ورقة ١٢٣، عن د. أحمد

الصاوي، المرجع نفسه، نفس الصفحة.



٣. مع تفاقم أزمة المواد الغذائية المزروعة تتجه الأنظار إلى الثروة الحيوانية ويزداد الطلب عليها فترتفع الأسعار، ويظهر من أسعار اللحوم أنها كانت تشمل بالأساس لحوم الأبقار، ولحم الضأن، وإن سعر الأخير كان أكثر ارتفاعاً بعض الشيء<sup>(١)</sup>.

فما حدث عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م من حدوث أزمة اقتصادية تبعتهامجاعة، حدث الوباء في الأبقار والجمال والحمير فمات منها الكثير والكثير<sup>(٢)</sup> حتى وصل سعر البقرة الواحدة ٧٠ ديناراً<sup>(٣)</sup>، هذا إلى جانب تغلغل الموت وتفشييه في الأبقار، ففي خلال شهر واحد مات من الأبقار التي كان يملكها أحد الأشخاص ٣٤٠ رأس ماتوا كلهم في شهر واحد، فارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها<sup>(٤)</sup> ونتيجة قلة اللحوم من الأبقار فنجد على الجانب الآخر ارتفاع في أسعار الدواجن ومنتجاتها نتيجة لقلّة وجود اللحوم، فنجد سعر الفروج من نفس العام وصل إلى ٢,٥ دينار<sup>(٥)</sup>.

وفي مجاعة ٥٩٢هـ / ١١٩٥-١١٩٦م بلغ سعر الفروج ٣٠ درهم<sup>(٦)</sup> وفي عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨-١١٩٩م.

بلغ سعر الفروج ٢,٥ دينار<sup>(٧)</sup> وقيل أن الفروج بيعت بـ ١٠٠ درهم<sup>(٨)</sup> إلى جانب أن البيضة الواحدة بيعت بدرهم<sup>(٩)</sup>، هذا وفي نفس العام من حدوث المجاعة بلغ ثمن الشور الواحد ٧٠ دينار<sup>(١٠)</sup> ومع استمرار تتابع حدوث الأزمة بلغ رأس البقر الواحد في عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩م بـ ٧٠ دينار<sup>(١١)</sup> وبلغ سعر البقرة الهزيل ٦٠ دينار<sup>(١٢)</sup> وقيل الهزيل بدون ذلك<sup>(١٣)</sup>، هذا وازداد

(١) المقرئى، إغالة الأمة، ص ١٦، عن د. أحمد الصاوى، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١١٩.

(٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٦.

(٤) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٣٣.

(٥) على مبارك، المصدر نفسه، ج ٢٠، ص ١٣٦.

(٦) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٣١.

(٧) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٠.

(٨) عبد اللطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار، ص ٧٠.

(٩) البغدادى، المرجع نفسه، ص ٧٠.

(١٠) البغدادى، نفسه، ص ٦٩، المقرئى، إغالة الأمة، ص ٢٩.

(١١) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٥٨.

(١٢) المقرئى، المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(١٣) البغدادى، الإفادة، ص ٦٩.





سعر الطيور أيضا من نفس العام ٥٩٦هـ / ١١٩٩م ليبلغ سعر الفروج ٥٠ درهم<sup>(١)</sup> وثفاقت تلك الأزمة عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ليصل سعر الدجاجة في ذلك العام إلى ١٠٠ درهم<sup>(٢)</sup> وسعر ٢ بيضة بدرهم<sup>(٣)</sup> وبلغ من شدة تلك الأزمة في ذلك العام وقلة الحيوانات أن وصل الأمر بأن أكل الناس القطط والكلاب<sup>(٤)</sup> بل أن الدجاج عدم من أرض مصر<sup>(٥)</sup>، وفي أثناء حدوث الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ٦١٦هـ / ١٢١٩م مع دخول الصليبيين لمصر وحدث ارتفاح الأسعار بطريقة ملحوظة بل ومبالغ فيها فقد بلغ سعر البقرة في ذلك العام ١٦٠٠ دينار<sup>(٦)</sup> وفوق ذلك اشترط البائع أن يكون له رأسها وبطنها<sup>(٧)</sup>، وبلغ سعر الدجاجة الواحدة في نفس العام ٣٠ ديناراً<sup>(٨)</sup> والبيضة الواحدة بدينار<sup>(٩)</sup>.

هذا وفي أثناء حدوث الأزمة الاقتصادية عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م بلغ سعر رطل اللحم ٤٤ درهم<sup>(١٠)</sup> ونتيجة لفناء الأبقار عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م فقد ارتفع سعر البقر بزيادة أثمانها<sup>(١١)</sup>. وما حدث من مجاعة رهيبة أيام فترة حكم العادل كتبغا ازدادت أسعار اللحوم باستمرار، فقد بلغ سعر الرطل اللحم عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م إلى ٣ دراهم<sup>(١٢)</sup> وتطور ذلك السعر حتى بلغ مع استمرار حدوث تلك الأزمة عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م إلى ٧ دراهم للرطل<sup>(١٣)</sup> لقد هلك

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٥٢.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥٨، المقرئزي، السلوك، ص ١٥٨.

(٣) المقرئزي، السلوك، ص ١٥٨.

(٤) المقرئزي، السلوك، ص ١٥٦.

(٥) المقرئزي، السلوك، ص ١٥٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٢٧، الدواداري، كثر السدر، ج ٧، ص

١٤٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٥٥.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٩٤.

(٧) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٨) نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٩) نفسه، نفس الجزء والصفحة، وقد ذكر المقرئزي أنها بلغت عدة دنائير، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٢٠١.

(١٠) حامد زيان، الأزمات، ص ٣١، هذا وقد ذكر المقرئزي في السلوك أن سعر الرطل وثلاث بدرهم، المقرئزي، السلوك،

ج ١، ق ٢، ص ٥٠٦.

(١١) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٣٣.

(١٢) المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٣٢، العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٧٧، علي مبارك، الخطط، ج ٧، ص ١٩، ج

٢٠، ص ١٣٧.

(١٣) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.



الأبقار في ذلك العام لعدم وجود العلف، حتى الكلاب والقطط هلكت هي الأخرى من الجوع في ذلك العام<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ سعر الفروج عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م، ٣٠ درهم<sup>(٢)</sup>، هذا وقد انخفض السعر في نفس العام ليصبح ٢٠ درهم<sup>(٣)</sup> ثم إلى ١٩ درهم<sup>(٤)</sup> والبيض بلغ كل ٣ حبات بدرهم<sup>(٥)</sup> ثم انخفض في نفس العام ليصبح كل ٧ حبات من البيض بدرهم<sup>(٦)</sup>، ومع تفاقم الأزمة الاقتصادية واشتداد المجاعة في العام التالي ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م بلغ سعر الرطل من اللحم ٢,٥ درهم عند المقرئ<sup>(٧)</sup> ولكن ابن إياس ذكر أن سعر اللحم في ذلك العام بلغ ٧ دراهم<sup>(٨)</sup>، هذا وقد بلغ سعر الفروج ١٥ درهم<sup>(٩)</sup> والبيضة الواحدة ٤ دراهم<sup>(١٠)</sup> وكثر الشح وعظم الضجيج في الأسواق من شدة الغلاء<sup>(١١)</sup>، وعندما اشتد الأمر على الناس أكلوا القطط والكلاب<sup>(١٢)</sup> والحمير والبغال والخيول والجمال<sup>(١٣)</sup> ولم يبق عند أحد شيء من الدواب، حتى قيل أن كل كلب ابتاع بـ ٥ دراهم، وكل قط بـ ٣ دراهم، ولطف الله تعالى بأهل مصر، فأرسل عليهم جراداً كثيراً فأكل منه الناس وصار يباع منه كل ٤ أرطال بدرهمين<sup>(١٤)</sup>، وظهر دور المحتسب في ذلك الوقت حيث كان يعزز في كل يوم جماعة من الطبّاخين واللحامين بسبب بيع اللحوم المستقدرة والمحرومة شرعاً كلحوم الدواب والميتة وغير ذلك<sup>(١٥)</sup> ولكن دون جدوى، وعند حدوث الأزمة الاقتصادية التي

---

(١) المقرئ، المصدر السابق، ص ٧٣٣.

(٢) المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣٠، العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠٠، على مبارك، الخطط، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.

(٣) التويري، المصدر السابق، ج ٣١، ص ٢٩٣.

(٤) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٥) المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣٣، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦١، العيني، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٦) المقرئ، السلوك، ص ٨١٣، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.

(٧) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٣٠.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٩٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٩٠.

(١٠) المصدر نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(١١) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٥.

(١٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٦٠.

(١٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٧.

(١٤) ابن إياس، المصدر نفسه، ص ٣٩١.

(١٥) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.



حدثت عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩-١٣٠٠م بلغ سعر رطل اللحم ١٢ درهم<sup>(١)</sup> وبلغ سعر ٤ بيضات بدرهم<sup>(٢)</sup>، ولما كان الجبن من منتجات الألبان فقد وصل سعره هو الآخر إلى قمة الارتفاع لأنه كان يتأثر هو الآخر بحدوث المجاعات فقد وصل سعر رطل الجبن بـ ١٢ درهم<sup>(٣)</sup>.

ونتيجة لفناء الأبقار عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م تعطلت أحوال الزراعة وتضرر الناس من ذلك حيث قضى الوباء في ذلك العام على الأبقار فعوضوا حدوث ذلك النقص في البقر ببيع الجمال والحمير، وقد بلغ ثمن الثور الواحد حوالى ١٠٠٠ درهم<sup>(٤)</sup>، واتجهت الحكومة إلى منع الناس من عدم ذبح الأبقار ولا العجول وكتبوا إلى جميع أنحاء البلاد "لتجهيز الأبقار من سائر الدوايب السلطانية"<sup>(٥)</sup>، وأثناء الأزمة الاقتصادية عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م بلغ سعر رطل اللحم ٢,٣٣٣ درهم<sup>(٦)</sup> وقد ذكر المقرئ أن سعر اللحم ارتفع في ذلك العام نتيجة قلة جلب الأغنام حتى بيع الرطل بـ ١,٢٥ درهم<sup>(٧)</sup> والسبب في ذلك أن النشو ناظر الخاص كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها، هذا إلى جانب أن النشو في عصر الناصر محمد كان قد استجد للسواقى التى بالقلعة أبقاراً وأحضر أبقارها التى قد ضعفت وعجزت مع الأبقار التى ضعفت بالدوايب، وطرحها التجار والباعة بقياس القاهرة ومصر وأسواقها حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصه منها شئ على قدر حاله، فبلغ كل رطل منها بدرهمين وثلاثاً، ورميت تلك الأبقار على الطواحين والحمامات على رأس بمائة درهم ولا تكاد تبلغ عشرين درهماً، فلبى الناس من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة<sup>(٨)</sup>، وفي عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م بلغ رطل اللحم الضأن درهمين<sup>(٩)</sup> ورطل اللحم البقرى درهم ونصف<sup>(١٠)</sup> وبلغ ثمن البيضة الواحدة ١٠ دراهم<sup>(١١)</sup>،

(١) المقرئى، المصدر السابق، ج ١، ق ٣، ص ٨٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ق ٣، ص ٩١٣-٩١٤، العيى، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٣٧.

(٥) العيى، المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٦) المقرئى، المصدر نفسه، ج ٢، ق ٢، ص ٤٠٩.

(٧) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٨) المصدر نفسه، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(٩) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ١٢٥.

(١٠) المصدر نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(١١) المصدر نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.



وفي عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م بلغ ثمن الدجاجة ٤٥ درهم<sup>(١)</sup> ثم ارتفع السعر حتى بلغ ١٠٠ درهم فما فوقها<sup>(٢)</sup> وفي نفس العام بلغ زوج الاوز ٢٠ درهم<sup>(٣)</sup>.

### موقف الحكومة من الغلاء وارتفاع الأسعار:

للأزمات الاقتصادية أثرها الشديد على حياة الناس من جميع النواحي، فبطبيعة الحال كان عدد الفقراء يتزايد باستمرار عقب حدوث المجاعات بصفة مستمرة إذ أن الناس كانوا يضطرون إلى أن يبيعوا جميع ممتلكاتهم حتى يستطيعوا شراء ما يحتاجون من الغذاء، ومن ثم يدخلون في عداد المعدمين<sup>(٤)</sup>، هذا في الوقت الذي يترك فيه الفلاحون بلادهم، لأن حالتهم كانت سيئة من كثرة الجوع فهأجروا إلى القاهرة بحثاً عن الطعام الذي يوزع في القاهرة أحياناً خلال هذه الأزمات<sup>(٥)</sup> من هنا كانت الدول تتدخل للتخفيف من حدة تلك الأزمة وحدوث المجاعة، ولم توجد سياسة اقتصادية قائمة على أساس من التخطيط تضمن عدم حدوث المجاعة، وعلى كل حال فإن هذه الكوارث سواء اتخذت شكل المجاعة أو الوباء حاولت الدولة في بعض الفترات تفاديها وعدم حدوثها، فلم تقف الحكومة ساكنة أمام الأزمات بل كانت تتخذ أشد الإجراءات وأنفعها للترفيه عن الناس، ووقف موجة الغلاء وتوفير الأقوات حتى لا ينتشر القحط والوباء<sup>(٦)</sup> فتخفف من حدة الأزمة على الناس.

ففي عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م عندما حدثت الأزمة الاقتصادية بسبب انخفاض مياه النيل حاول الملك العادل تخفيف حدة الأزمة الاقتصادية بأن قسم الفقراء على أرباب الثروة من الأغنياء، وكذلك فعل مثله جميع الأمراء وأرباب السعة<sup>(٧)</sup> أي المتيسرين الحال من الناس، وما حدث في مجاعة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م عندما اشتد الجوع بالناس وأكلوا الميتة، وجد السلطان أنه لا بد من تخفيف حدة تلك الأزمة بأن فرق بعض الفقراء على الأغنياء، والتزم الملك العادل بمؤلة ستة آلاف نفر<sup>(٨)</sup>، هذا إلى جانب إجراءات التسعير<sup>(٩)</sup> فمن الوسائل التي اتخذتها الحكومة لمكافحة

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٣٨، ص ١٤١.

(٢) المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٤٠.

(٣) ابن إياس، المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ١٣٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٥) المقرئزي، إغالة الأمة، ص ٣٣ - ٣٥.

(٦) د. راشد البدرأوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ١٠٠.

(٧) علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩.

(٨) الدواداري، كثر الدرر، ج ٧، ص ١٤٨.

(٩) كانت الدولة تحاول تسعير البضائع لاسيما في أوقات الأزمات الاقتصادية، ومن الناحية القانونية اختلف الفقهاء حول شرعية نظام التسعير فبينما قال البعض أنه يحرم على المحتسب التسعير في كل وقت أجاز البعض الآخر التسعير زمن الغلاء، كما =





تسعير السلع الغذائية الضرورية وتحتيم بيعها في بعض أوقات الأزمات في مكان معين تحت الإشراف الدقيق من جانب المحتسب وأعواله<sup>(١)</sup>، فعندما حدثت الأزمة الاقتصادية عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م أمر السلطان مستخدمى الأهراء<sup>(٢)</sup> أى المسئولين عن الأهراء ببيع القمح بخمسة وعشرين درهماً ورق، ومنع الناس من شراء الكثير منه إلا المثونة<sup>(٣)</sup>، فقد كانت الأهراء الحكومية عاملاً من عوامل مكافحة الأزمات<sup>(٤)</sup>، ولكن غالباً كان تسعير الغلال إحدى الوسائل التي تلجأ إليها الحكومة (الدولة) بعد أوقات المجاعات ولكن النتيجة غالباً ما تكون عكس المتوقعة من هذه الإجراءات، إذ تتعقد الأمور ويختفى القمح، وتشتد بالناس المجاعة فتضطر الحكومة إلى إبطال التسعير<sup>(٥)</sup>.

هذا وقد لجأ سلاطين المماليك إلى التسعير في ظل حدوث الأزمات الاقتصادية، فعندما حدثت الأزمة الاقتصادية في عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ٦٦٢هـ/١٢٦٣م "رسم السلطان بالتسعير طلباً للرفق بالرعية والجبر للكسير واشتد الحال وقلت الأقوات"<sup>(٦)</sup>، وعندما قل ماء النيل وعدمت الأقوات فأمر السلطان بجميع الفقراء والحرافيش وفرقهم على الأمراء<sup>(٧)</sup> وطلب منهم

---

صرأى بعض الفقهاء أن التسعير يجوز في حالة إذا كانت البضائع الخاضعة للتسعير من إنتاج البلاد وليست من الواردات، راجع: السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٩٢.

(١) المقرئى، إغالة الأمة، ص ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦، راشد البراوى، حالة مصر، ص ١٠٠ - ١٠١ إن تدخل الدولة في شئون السوق من خلال التسعير لم يكن يؤتى ثماراً إيجابية دائماً لا سيما وأن المحتسب المسئول عن مراقبة الأسعار لم يكن دائماً على المستوى المطلوب من الكفاءة والأمانة. راجع: قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٦٦.

(٢) الأهراء السلطانية هي الأماكن التي تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالسلطان احتياطياً وذلك في وقت الأزمات والطوارئ الاقتصادية، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة، وكان لخاص السلطان أيضاً شون، وهذه يوضع بها ما يستهلك طول السنة من الغلال والأحطاب والأتبان وما أشبه ذلك. راجع: المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٢، هامش ١ ص ٥٠٧، المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٤٦٤، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٣. وكان يختزن في تلك الأهراء ثلاثمائة ألف أردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها عدة مخازن وكان لها المستخدمون والأمناء، وكان يصرف منها لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات والجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان. راجع: على مبارك، الخطط، ج ٢، ص ٣١. وتعتبر الأهراء مخازن عامة، فمثلاً نجد أن السلطان الملك الأشرف شعبان قد حجز على بيع الغلال وكل من يريد بيع غلاته، عليه أن يحملها إلى الأهراء السلطانية ويقبض ثمنها، فلما وقع الغلاء فتحت الأهراء وبيع ما فيها، ويقال أن السلطان كسب في هذه العملية ٣٠٠ ألف دينار. راجع: إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٢٥١.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١٦١.

(٤) راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ١٠٢.

(٥) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٣، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢١٤.

(٦) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٧) السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥٩، الحنبلى، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٠٧ النويرى، نهاية الأرب،

ج ٣٠، ص ٩٦.



أن لا يسألوا بعد ذلك أحداً من الناس<sup>(١)</sup> هذا إلى جانب أنه أعطى التجار والأغنياء<sup>(٢)</sup> جزء من الفقراء، وشرع الناس في فتح مخازن الغلال وتفرقه الصدقات<sup>(٣)</sup> على الفقراء فقل وجود الفقراء<sup>(٤)</sup> وحلت الأزمة<sup>(٥)</sup>، وما حدث عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م عندما حدثت أزمة اقتصادية ارتفع معها سعر القمح أمر السلطان بفتح شئون الأمراء وبيع القمح منها بسـ ٢٥ درهماً للأردب فانحط السعر<sup>(٦)</sup> وعندما حدثت الأزمة الاقتصادية نتيجة قصور ماء النيل ونقص مياه الفيضان عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م مما أدى إلى اشتداد الغلاء وانتشار الوباء في جميع أنحاء مصر<sup>(٧)</sup> وانشغل الناس بموتاهم والمرضى بسقمهم<sup>(٨)</sup>، فحاول السلطان العادل كتبغا للتخفيف من حدة تلك الأزمة على إخراج الغلال من المخازن وتفريقها على المخازن للحد من تلك الأزمة<sup>(٩)</sup> هذا إلى جانب أنه جمع الفقراء والمحتاجين وألزم كل من الأعيان والتجار بإطعام عدد معين منهم<sup>(١٠)</sup> لكنه كان سيئ التدبير<sup>(١١)</sup> فعجز عن تدبير أمور الدولة<sup>(١٢)</sup> ويبدو أن المشكلة كانت أكبر من شخصية السلطان الحاكم وإدراكه الفكري بحيث أصبح من المستحيل الحيلولة دون تفاقم الأزمة<sup>(١٣)</sup> هذا وفي عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ارتفعت الأسعار ارتفاعاً كبيراً فتوقفت أحوال الناس وأمسك الأمراء وغيرهم عن البيع طلباً للفائدة<sup>(١٤)</sup> فخاف السلطان من نتيجة ذلك فطلب المحتسب نجم الدين محمد بن علي الأسعدي المحتسب وفي هذا الوقت بلغ الأردب ٥٠ درهماً وأنكر ما فعله وكان معه والي القاهرة علاء الدين علي بن حسن وافي وكان ظالماً غشوماً، فضرب والي عدد من الطحانين والخبازين بالمقارع، وكان الأمر صعباً لدرجة أنه تم غلق

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣١٩.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٥٩، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢١٣-٢١٤، المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥٠٨.

(٣) المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥٠٨، المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٦.

(٤) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٦.

(٥) العيني، عقد الجمان، جـ ١، ص ٣٧٥ - ٣٧٦، علي مبارك الخطط التوفيقية، جـ ١، ص ٢٨.

(٦) المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٧١٧-٧١٨.

(٧) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٣ - ٦٤.

(٨) بييرس الدواidar، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جـ ٩، ص ٢٨٧.

(٩) علي مبارك الخطط التوفيقية، جـ ٧، ص ١٩.

(١٠) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٣٥.

(11) Lane - Poole: A History of Egypt, pp. 289-290.

(١٢) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٦٣ - ٦٤.

(١٣) حياة ناصح الحجي، أحوال العامة، ص ١٨٩.

(١٤) المقرئ، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٩٤.



الوالى عدد من الطحانين والخبازين بالمقارع، وكان الأمر صعباً لدرجة أنه تم غلق الحوانيت بالقاهرة ومصر، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة<sup>(١)</sup>.

وكان موقف السلطان من ذلك أنه أمر بإحضار الغلال من غزة والكرك والشوبك وبلاد دمشق، وعدم خزن الغلال بها حتى تأتي كلها إلى القاهرة ومصر وعدم بيع القمح بأكثر من ٣٠ درهماً للأردب ومن تجراً وباع بأكثر من ذلك فهب ماله (أخذ ماله) وتقدم السلطان إلى الأمراء بعدم مخالفة ما سبق، ولم يبيع مباشرة الأمراء شيء وتوقفوا عن البيع وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئاً فاشتد أمر ذلك وباع الشماسرة الأردب في الخفاء ودون أن يعلم أحد بستين وبسبعين درهماً، وصار الأمراء يخرجون الغلة من الشون على "أنها جارية لمخاديمهم وما هي إلا مبيع بما ذكر"<sup>(٢)</sup>، وعندما اشتد الغلاء عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م اتخذ الأمير منجك نائب السلطنة في هذا الوقت الإجراءات اللازمة لتخفيف حدة تلك الأزمة على الشعب فعمل على تفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم من التجار الأثرياء وكبار الأعيان، فبعث إليهم الفقراء كلاً على قدر طاقته<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م حدث ارتفاع هائل في الأسعار وهاج الناس وحدث اضطراب لقلّة الخبز في الأسواق فأمر الأمير برقوق بفتح شون الذخيرة والبيع منها بسعر جيد<sup>(٤)</sup>. أضيف إلى ما سبق أن كثيراً ما لجأ السلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية إلى المصادرة وتنظيم بيع الغلال<sup>(٥)</sup> وقد كان السبب الأساسي وراء المصادرات هو أسباب اقتصادية وخاصة ارتفاع الأسعار، وقد لجأت الدولة إلى المصادرات حتى تستطيع أن تحد من تطور الأزمة والقضاء على ظاهرة ارتفاع الأسعار<sup>(٦)</sup>.

### موقف التجار من حدوث الأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار:

كانت طبقة التجار أمام حدوث هذه الأزمات والكوارث تستغل حدوث هذه الأزمات والمجاعات، وغير ذلك لجنى أكبر قدر ممكن من الأرباح الكثيرة والمكاسب المتعددة<sup>(٧)</sup> دون مراعاة الفئات المطحونة من الشعب، وعلى الرغم من تنوع التجارة وتعدد التجار إلا أن تجار الغلال

(١) المقرئى، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٢) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٤٠.

(٤) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٥) راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن المصادرات: راجع: الفصل الثانى من هذا البحث.

(٧) على مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ١٣٨.



كانوا هم أكبر وأكثر فئات استغلالاً لحدوث الأزمات الاقتصادية أشد الاستغلال، فقد كان هؤلاء التجار يسارعون بتخزين الغلال طمعاً في الحصول على أرباح أكثر عن طريق رفع الأسعار<sup>(١)</sup>، وقد كان بعض تجار الغلال يختارون توقيتاً قاتلاً ألا وهو بداية زيادة النيل لبدأوا مخططهم، فيشترون جميع الكميات المعروضة للبيع في الأسواق ويحتكرونها ثم يعملون بعد ذلك على إطلاق الشائعات بأن النيل لن يبلغ الوفاء<sup>(٢)</sup>، ونتيجة لذلك يشتد الإقبال على شراء الغلال بينما يقل المطروح من البضائع في الأسواق ويشتد تزاحم الناس على الأفران، والأسواق وحوانيت بيع الغلال، ويحدث بعد ذلك بطبيعة الحال ارتفاع خطير في الأسعار<sup>(٣)</sup>، وتمتد حتى الأسعار على حسب قول المقرئى إلى كل شيء " إلى كل ما يباع ويشترى من مأكول ومشروب وملبوس... " <sup>(٤)</sup>، كل هذا يحدث نتيجة لهبوط مياه النيل وتعطل الزراعة والتي تعتبر بحق كارثة قومية تقض مضاجع كل الطبقات، فتضطرب أحوالهم، ويعظم خوفهم ويشتد بكاءهم، وضجيجهم في الأسواق<sup>(٥)</sup>، هذا وقد ارتفعت أرباح التجار ارتفاعاً فاحشاً فقد بلغت أرباح الواحد منهم في اليوم الواحد ما بين مائة درهم ومائتي درهم<sup>(٦)</sup> أثناء الأزمة التي حدثت في عصر السلطان كتبغا وذلك عام ٦٩٤ - ٦٩٥ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٥ م<sup>(٧)</sup>، وقد ذكر لنا المقرئى أن أرباح التجار زادت زيادة كبيرة وخاصة العطارين حتى أن أحد تجار العطارة بالقاهرة قد باع العطارة بمبلغ ٣٢ ألف درهم<sup>(٨)</sup> وقد كان بعض التجار يلجأوا إلى أساليب الغش أثناء هذه الأزمات، فيخلطون الدقيق بغيره من المواد كما حدث أيام الناصر محمد بن قلاوون أثناء مجاعة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م<sup>(٩)</sup> حتى أصبح الخبز كالكسب من السواد<sup>(١٠)</sup>.

وعلى الرغم من أن الأوبئة والمجاعات كانت تحقق الكثير من أرباح التجار في أحيان كثيرة إلا أنها كانت أيضاً تسبب لهم خسائر فادحة في أحيان أخرى، ففي عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م زعم كثير

(١) ياسر حلمى أحمد عبده، طبقة التجار في مصر في عصر دولة المماليك وأثرهم في المجتمع المصرى، رسالة ماجستير، كلية

الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٦ م، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) ياسر حلمى، المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٣) على مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ١٣٨.

(٤) المقرئى، إغالة الأمة، ص ص ٤١ - ٤٣.

(٥) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ص ٥٣ - ٥٤.

(٦) المقرئى، إغالة الأمة، ص ص ٣٥ - ٣٦، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٠، ص ١٣٨.

(٧) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ص ٥٨ - ٥٩.

(٨) المقرئى، إغالة الأمة، ص ص ٣٥ - ٣٦، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ص ٥٩ - ٦٠.

(٩) قاسم عبده قاسم، المرجع نفسه، ص ص ٥٨ - ٥٩.

(١٠) المقرئى، إغالة الأمة، ص ٣٩.





من أصحاب الأموال ومعظمهم من التجار أن هذا الغلاء كسنة الغلاء التي حدثت في عهد يوسف عليه السلام، وطمع أصحاب الغلال فامتنعوا عن بيع الغلال، وعندما حدث الرخاء مرة أخرى لم ينتفعوا بشيء منها بل رماها لأنها تلفت ولم تصلح لأى شيء<sup>(١)</sup>، أضيف إلى ذلك أن تجار الملابس والأمتعة والأقمشة، وتجار المواد الغذائية كانوا يتعرضون لخسائر فادحة أثناء حدوث المجاعات والأوبئة وذلك لفناء أعداد كثيرة ومختلفة من أفراد الشعب، مثلما حدث في الوباء الذى عم البلاد من مشارق الأرض إلى مغاربها في عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، فانحطت الأسعار وانخفضت انخفاضاً كبيراً، فانحط سعر القماش كما انحط سعر الذهب والفضة<sup>(٢)</sup> ولم تجد كل هذه السلع من يستهلكها وتعطلت الأسواق<sup>(٣)</sup>.

هكذا كان عدم وفاء النيل والأوبئة والمجاعات فرصة ذهبية لتحقيق الأرباح للتجار إلى جانب تحقيق أعلى المكاسب، ولكن كانت هذه الكوارث على المدى الطويل سبباً في إضعاف قوة المجتمع الشرائية نتيجة لقلّة العدد وافتقار أعداد كبيرة منه، مما أدى إلى تدهور أحوال التجار الذين كان يرتبط ازدهارهم بازدهار المجتمع عديداً واقتصادياً<sup>(٤)</sup>، هذا وقد ساهم بعض التجار في حل بعض الأزمات الاقتصادية ولكن من خلال تدخل الدولة والحكومة عندما كان يقع على عاتقها تحمل مسؤولية الناس والشعب لتخرجهم من براثن تلك الأزمات، ويمكن الترحيح أن هناك بعض العوامل التي دفعت هؤلاء التجار إلى رفع أسعار السلع الغذائية، حيث كانت الضرائب الطارئة التي فرضت على هؤلاء التجار كانت لها نتائج بالغة الأهمية، فقد اضطر هؤلاء التجار إلى دفع هذه الضرائب التي كانت تزداد مع زيادة نسبة التدهور في ميزانية الدولة، وقد كان من الأمور الطبيعية أن تساهم هذه الضرائب في ارتفاع الأسعار من جهة وزيادة المحاولات للغش والسرقة في الموازين والمكاييل من جهة أخرى<sup>(٥)</sup>، وقد كانت هذه الضرائب تدفع بالتجار إلى رفع أسعار السلع الغذائية عدة مرات في بعض الأحيان لتعويض ما دفعوه بمقدار ما يؤخذ منهم<sup>(٦)</sup> وهو ما أشار إليه المقرئى نقلاً عن القاضى الفاضل الذى ذكر أن فرض الضرائب سيجعل "المتعيشين من أرباب الدكاكين يزدون في أسعار مأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم"<sup>(٧)</sup>، والنتيجة المؤكدة في

(١) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ١٩.

(٢) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢١٠.

(٣) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤) ياسر حلمى أحمد، طبقة التجار في مصر، ص ٢٢٥.

(٥) قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى، ص ٦٨.

(٦) عدنان الحارثى، التطور العمرانى، ص ٢١٧.

(٧) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ١٠٥.



ذلك هو ارتفاع الأسعار، وانكماش حركة الأسواق وقلة عددها<sup>(١)</sup> فقد كان يترتب على ارتفاع الأسعار قلة كميات السلع بحيث تصبح غير كافية لإحتياجات أبناء الشعب المصري، فترتفع الأسعار حسب قانون العرض والطلب الذى يبين أنه إذا زاد الطلب وقل العرض ارتفع السعر<sup>(٢)</sup>.

وهناك عامل آخر ذو أهمية كبيرة أدى إلى ارتفاع الأسعار وهو نظام طرح البضائع وتقوم فكرة هذا النظام على أساس أن تفرض الدولة ما يتوفر لديها من سلع وبضائع لسبب أو لآخر، على التجار بالسعر الذى تراه وبالكمية التى تريدها بغض النظر عن حاجة الأسواق، كما أن التاجر لم يكن له حق الرفض أو حتى المساومة على الأسعار<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن ذلك كان نظام طرح البضائع يعتمد على احتكار بضاعة بعينها<sup>(٤)</sup> سواء كانت أقمشة، ثياب، فراريج، زيت، عسل، أبقار، ماشية، أو غير ذلك ..... هذا وقد كان نظام طرح البضائع إجراء اقتصادى تعسفى من قبل الدولة، وسبب كثيراً من المتاعب للتجار كما كان من عوامل انكماش حركة الأسواق الداخلية، إذ كان من الطبيعى أن يحاول التجار تعويض ما تكبدوه من أموال فى هذه البضائع المفروضة عليهم فضلاً عن تحقيق نسبة من الربح، وهو ما كان يؤدى إلى ارتفاع الأسعار أو كساد حركة الأسواق<sup>(٥)</sup>، ومهماً يكن من أمر ارتفاع الأسعار ومحاولة التغلب على ذلك. فإن بداية الشعور بالضائقة الاقتصادية وارتفاع الأسعار يكون عادة فى الفسطاط والقاهرة وذلك بسبب اعتمادها

---

(١) رأفت النبراوى، أسعار السلع الغذائية، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) رأفت النبراوى، المرجع نفسه، ص ١١٣.

(٣) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعى، ص ٦٣.

(٤) الاحتكار هو جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه التظار وقت الغلاء، الأسدى، التيسير والاعتبار، هامش ١ ص ١٣٨، وقيل أن الاحتكار حرام والمحتكر ملعون قال صلوات الله وسلامه عليه: "من احتكر طعاماً أربعين يوماً ثم تصدق بثمنه لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره، وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال: "من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكأنما قتل نفساً وكان الاحتكار من الظلم"، راجع: ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٦٥، وقد ذكر الأسدى أن الاحتياط على الغلات واحتكارها وتخزينها للحصول على الفائدة الكثيرة والكبيرة منها لا يجوز فى الشريعة المطهرة لأنه فيه استيلاء على القوت بالقوة، وهذا القوت جعله الله تعالى رزقاً للناس والبهائم .... والاستيلاء على ذلك القوت بالقوة من الأقوياء من أعظم الأمور والأسباب التى تؤدى إلى الغلاء والضرر بالضعفاء والفقراء، راجع: الأسدى، التيسير والاعتبار، ص ١٤٥، هذا وقد كان احتكار القوت وتلاعب المحتكرين به فى غفلة من أولياء الأمر بل هناك مساهمة الدولة نفسها باحتكار المواد الغذائية، ومنع الناس من الوصول إليها إلا بأغلى الأثمان إلى جانب أن الأمراء هم الآخرون يريدون الثروة، واحتكار القوت كان أكبر وسيلة للوصول إلى ذلك، وكان السلطان هو الآخر تاجراً فهو يحتكر البضائع للتجارة وللضغط السياسى على الشعب عند الحاجة، كان هناك إذن سوء تدبير، واستثمار بشع، وتقاعس عن الاهتمام بشئون الرعية، وضعف فى الإدارة، راجع: المقرئى، إغاثة الأمة، ص ص م - ن.

(٥) قاسم عبده قاسم، تاريخ مصر الاجتماعى، ص ٦٥.



على غلات الأقاليم وخاصة الوجه القبلي<sup>(١)</sup> وإن كانت الفسطاط تظل أرخص في السعر بسبب قرب النيل من الفسطاط، فالمراكب التي تصل بالمحاصيل ترسو هناك "ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لأنه بعيد عن المدينة"<sup>(٢)</sup>.

مما سبق نستنتج أن حركة الأسعار شملت كافة السلع الغذائية أو غيرها من السلع المعيشية كالأمتعة والملابس، وإن اتسمت كل منهما بالتحرك في اتجاهين مختلفين تمام الاختلاف، فبينما ترتفع أسعار السلع الغذائية تنحدر قيمة الأمتعة وما شابهها وذلك بتأثير قوانين العرض والطلب، وهو طلب بطبيعته غير مرن فترتفع الأسعار، وبالمقابل تتجه كميات النقود الموجودة بأيدي الناس إلى شراء الأغذية ويعرض الناس أمتعتهم لأجل تأمين النقود اللازمة للغذاء، وأمام كثرة المعروض من الأمتعة، وقلة الطلب عليها تنخفض أسعارها، تلك العلاقة العكسية هي ما يميز حركة الأسعار أثناء الأزمات والمجاعات<sup>(٣)</sup>.

### أثر الأزمات الاقتصادية على أسعار الإبدال:

شهدت المسكوكات الإسلامية بمصر في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري فترة عصيبة من الاضطراب والتدهور لم تشهدها مصر من قبل في العصور السابقة، عندما ساءت أحوال الناس وذلك بسبب مصادرة الحكومة لحاصلاتهم أو شرائها بأثمان قليلة، كما أن كثرة الأوبئة والطواعين وما كان يصاحبها من قحط وغلاء بسبب قصر أو زيادة النيل، وشرق الأراضي وقلة الغلات حتى شمل الخراب الشنيع عامة أهل مصر<sup>(٤)</sup> والذي كان بدوره عاملاً لازدياد الحالة سوءاً، وقد كان للأزمات المالية التي مُنيت بها مصر منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أثرها على القيم النقدية والأسعار في الأسواق المصرية زمن الأيوبيين والمماليك، ولعل الإشارة إلى الحالة الاقتصادية في تلك الأونة من العصرين الأيوبي والمملوكي البحري توضح لنا الكثير من الحقائق التي تعد أساساً للتفسيرات العلمية التي يمكن الاعتماد عليها كما وردت في

(١) أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٥٧، راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ٨١.

(٢) المقريري، الخطط، ج ١، ص ٣٦٧، عن د. أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ١٥٧.

(4) D. Ayalon "Studies on the Structure of the Mamluk Army" Bulletin of the School of Oriental and African Studies, XV, 1953.

D. Ayalon; The System of Payment in Mamluk Military Journal of the Economic and Social History of the Brient.

عن د. سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٢٩٤.



المصادر التاريخية، فيذكر المقرئ أن الدراهم الفضة قد انتشرت في دولة بني أيوب انتشاراً كبيراً فقل الذهب بالنسبة إليها وصارت المبيعات الجليلة تباع وتقوم بها<sup>(١)</sup>، ويشير المقرئ في موضع آخر إلى أن الفلوس النحاس في عصر المماليك قد سادت حتى ساءت الأمور بسبب هذه الكثرة<sup>(٢)</sup>، وكما سبق أن ذكرنا أن النقود الرئيسية من الذهب قل وجودها في الأسواق المصرية منذ العصر الأيوبي لأسباب مختلفة تم الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث، وعلى أية حال فإن مرتبات الجنود في العصر الأيوبي كانت تصرف بالدراهم الفضية رغم أنها مقدرة اسمياً (حسابياً) بالذهب على أساس أن مقدار سعر الدينار الذهب تتراوح فيما بين ١٣,٣ إلى ١٦ درهماً، كما أن ميزانية الدولة في العصر الأيوبي والمملوكي البحري كانت مقدرة بالذهب من الدنانير على الرغم من أن المصروفات لم تكن تسدد بغير الدراهم الفضة التي كانت تشكل عصب الوحدات النقدية في تلك الفترة<sup>(٣)</sup>، هذا وقد صارت الدولة المملوكية على نفس نمج الدولة الأيوبية في تقدير الرواتب ومصروفات الميزانية بالدنانير الحسابية التي تقوم عند الدفع بالدراهم الفضة<sup>(٤)</sup>، ففي عهد الناصر محمد بن قلاوون كان سعر الدينار الحسابي محدداً، وكانت الحكومة قد حددته من قبل الأمراء والموظفين كلاً على حسب درجته دون أن تقيد نفسها بسعر السوق<sup>(٥)</sup>.

ومن هنا يمكن القول أن الدولة كانت تحدد الرواتب على أساس الدينار كعملة شرعية، ونظراً لندرة الذهب كانت الدولة تقرر أن يكون الصرف بالدراهم على أساس أن يكون هناك سعر ثابت أقل من سعر التداول وغير قابل للزيادة مع ارتفاع سعر الذهب في مواجهة الفضة، وهذا السعر كانت تلتزم به بغض النظر عن سعر التداول، والذي عادة ما يكون أقل، وعندما كانت الدولة لم تعطى سعر حقيقى كان الارتفاع في سعر الذهب لم يزد عندما كانت الدولة تصرف مرتبات الناس بالفضة، ومن هنا كانت تحدث زيادة في أرباح بعض الوظائف، ومنها نظار الأوقاف تلك الزيادة الناتجة عن فروق أسعار الذهب مقابل الفضة مما يعطى فرصة لازدياد التنافس على وظائف نظار الأوقاف، ولمعرفة أسعار صرف الدينار المقدر بالدراهم النقرة فقد تتبع تطورهما في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، حتى نقف على سعر المبادلة بين الذهب

(١) المقرئ، إغالة الأمة، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٣) عبد الرحمن فهمي، من فضة الأيوبيين إلى نحاس المماليك، ص ٥٨ - ٥٩، سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٢٩٦.

(٤) سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٢٩٦.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٩٦.





والفضة<sup>(١)</sup> والذي يعيننا هنا هو أن الدراهم الفضة قد أصبحت هي النقود الرئيسية، وعندما كان سعر الدينار من الدراهم النقرة لا يثبت على حالة واحدة بل يرتفع مرة وينخفض مرة أخرى بحسب الظروف وما تقتضيه الأحوال<sup>(٢)</sup> كما سوف نوضح الآن.

ففي العصر الأيوبي عام ٥٧٢هـ / ١١٧٧م كان سعر صرف الدينار ١٣,٣ درهم، حيث بلغ راتب من يدرس بالمدرسة الصلاحية<sup>(٣)</sup> في ذلك العام أربعين ديناراً<sup>(٤)</sup> حيث كان سعر صرف الدينار بـ ١٣,٣ درهم<sup>(٥)</sup> ولكن في عام ٥٨٣هـ / ١١٨٨م عندما تدخل السلطان صلاح الدين في شئون الدينار والدرهم في هذا الوقت واتخاذ إجراء مخالف تمام المخالفة عندما أمر بضرب دراهم من خليط نصفه من فضة والنصف الآخر من النحاس وسماها الدراهم الناصرية<sup>(٦)</sup> وكانت القيمة الفعلية لهذه الدراهم ٢٦,٦٦٦ درهماً للدينار الواحد<sup>(٧)</sup>، وضاق الناس بتلك الدراهم الرديئة وبنسبتها العالية إلى الدينار الذهب والذي اختفى عن المعاملات، فاضطربت الأسعار والأحوال الاقتصادية<sup>(٨)</sup> وفي عهد السلطان الكامل عام ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ضرب دراهم سماها الكاملة ومنع التعامل بالدراهم العتق القديمة، وحتى يضمن عدم التعامل بها جمعها من أيدي الناس على أساس كل ٦٠ درهم بدينار واحد<sup>(٩)</sup> واضطربت أحوال الناس اضطراباً شديداً بسبب النسب الصرفية الجائرة ولم يعوضهم عن ذلك إلا أن دراهم الكامل كانت أحسن عياراً لأنها احتوت على ثلثين من الفضة وثلث من النحاس<sup>(١٠)</sup> وكان من نتائج الاعتماد الكبير على الدراهم الكاملة أن ارتفع سعر الفضة ارتفاعاً ملحوظاً، فبلغ سعر الدينار الذهب آخر زمن

(١) سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٣٩.

(٣) د. عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، دار الثقافة العربية، ص ٢٠١.

(٤) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٢، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٥) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠.

- Hassanien Rabie; The financial System, P. 174.

(٦) المقرئزي، شذور العقود في ذكر النقود، ص ٦٠، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٩٩.

(٧) Khrenkreutz (A.S) Contributions to the Knowledge of the Fiscal Administration of Egypt in the Middle Ages; Bulletin of the School of Oriental and African Studies University of London, Vol. 16. Part 3, 1954; P. 504.

- حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٨) حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ٩٩.

(٩) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٢٧ عن حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(١٠) المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ١١٠، المقرئزي، إغالة الأمة بكشف الغمة، ص ٦٥ - ٦٦، المقرئزي، شذور العقود في ذكر النقود، ص ٦٠.



السلطان العادل الصغير عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، ١٢,٥ درهم<sup>(١)</sup>. أما في العصر المملوكى البحرى فقد كان سعر صرف الدينار ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م في عهد الظاهر بيبرس هو ٢٨,٥ درهم<sup>(٢)</sup> ومن الملاحظ أن هذه القيمة مرتفعة جداً إذا ما قورنت بقيمة الدينار الفعلية والتي يجب أن يكون عليها الدينار في تلك الفترة، والسبب الأساسى الذى كان وراء ارتفاع قيمة الذهب في تلك الفترة هو اضطراب الأوضاع السياسية والحروب التى خاضتها الدولة المملوكية ضد التتار، لذلك كان لها تأثير على ارتفاع قيمة الذهب في تلك الفترة وفي عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م وصل سعر صرف الدينار ١٣,٣ درهم فضة<sup>(٣)</sup> ومن المرجح أن الوضع الاقتصادى خاصة النشاط التجارى كان واسع النطاق بصورة ملحوظة حيث كان هناك معاهدات تجارية مع جنوة والبندقية إلى جانب التجار الذين يقدون من البلاد الشرقية إلى مصر وسياستهم لكسب صداقة السلطان المنصور قلاوون ورغبتهم في التبادل التجارى مع مصر<sup>(٤)</sup>، كل هذا أتاح للدولة الفرصة للحصول على كميات وفيرة من الذهب فبالتالى كثر عرضه في الأسواق، وبالتالي انخفضت قيمته النقدية في الأسواق، ويمكن القول أن أحوال مصر في عهد السلطان قلاوون كانت مزدهرة بدليل الانتعاش الذى شمل مختلف أنماط الحياة الدينية والعلمية والعمرانية والاقتصادية وغير ذلك، ويكفى أننا لم نسمع (نقرأ) عن وقوع أزمات اقتصادية ناجمة عن ظهور الأوبئة والطواعين، أو توقف زيادة مياه النيل وما يتبعها من الجذب والفناء<sup>(٥)</sup> كما ورد في المراجع المختلفة<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م حدثت أزمة اقتصادية شديدة بلغ معها سعر أردب القمح مائة وسبعين درهماً، أى ما يعادل ثمانية مثاقيل ونصف من الذهب<sup>(٧)</sup> فيكون صرف كل دينار بـ ٢٠

(١) De Bouard; Evolution Monetaire de l'Egypte Medievale, l' Egypte contemporaine. 30, 1939, P. 452.

(٢) المقرئى، الخطط، جـ ١، ص ٣٤٥ - ٣٤٦، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٣٨.

-Goitein; The Exchange Rate of Gold and Silver Money in Fatimid and Ayyubid Times, PP. 35, 37 - Ashtor (E); A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages, P. 291,

- سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٢٩٩.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٩٦ - ٩٧، ابن الفرات، جـ ٧، ص ٢٧٢، سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٣٠٠.

(٤) د. محمد حمزة إسماعيل الحداد، السلطان المنصور قلاوون، مكتبة مدبولى، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٦٨ - ٦٩.

(٥) محمد حمزة، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٦) اشتمل الفصل الأول من الرسالة على العديد من المراجع التى تتحدث عن الأزمات الاقتصادية والتى لم تذكر حدوث أزمات اقتصادية في فترة حكم السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، منها المقرئى، إغاثة الأمة بكشف الغمة، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر، وغير ذلك من المراجع المختلفة، ولزيد من التفاصيل، راجع: الفصل الأول من الرسالة (أسباب حدوث الأزمات الاقتصادية).

(٧) أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادى في مصر في عصر الدولة المملوكية، ص ٤٩٩.



الرغم من حدوث أزمة اقتصادية شديدة كان لها تأثيرها البالغ على جميع الأحوال لذلك ارتفع سعر صرف الدينار من الدرهم، وفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م بلغ مصروف العمارة في كل يوم من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٠٠ درهم أى ما يعادل ٣٥٠ ديناراً أى أن كل عشرين درهماً بدينار<sup>(٢)</sup> ولكنه في أواخر عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م وبداية عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م ارتفع سعر صرف الدينار ليصل إلى ٢٥ درهم، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الدولة قامت ببعض الإجراءات منها فرض الضرائب والعديد من المقررات المالية للإنفاق على الجيش المملوكى في ذلك يذكر المقرئى "واجتمع من ذلك مال عظيم، وصر لكل فارس أربعون ديناراً، وبعثوا إلى كل مقدم ألف نفقة وضيافة، وإلى كل من نواب الشام نفقة عسكرية"<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠-١٣٠١م عندما عاد الناصر محمد منتصراً وعندما انتهت ظروف الحرب بدأت قيمة الدينار في الانخفاض مرة أخرى لتصل إلى ١٧ درهم للدينار<sup>(٤)</sup> ورخص سعر الذهب وكثرت كمياته وتوافرت في الأسواق مما أدى إلى قلة ثقات الناس على اكتنازه فيقل السعر بالنسبة للدراهم من غير شك لأن قيمة الذهب تتحدد حتى اليوم بالعرض والطلب عليه<sup>(٥)</sup>، وتدخلت الدولة خوفاً من استمرار تدنى قيمة الدينار ومحاولة من الدولة لوقف انخفاض الدينار فعملت على تحديد سعر تبادلى للدينار فنادت الدولة أن يكون سعر الدينار عشرين درهماً<sup>(٦)</sup>.

واستمرت القيمة النقدية للدينار على ذلك فترة من الزمن وذلك عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م كانت عشرين درهماً<sup>(٧)</sup> وكذلك عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م كانت عشرين درهماً<sup>(٨)</sup> على الرغم من حدوث أزمة اقتصادية عنيفة في تلك الأعوام إلا أن قيمة الدينار كما سوف نرى أنها احتفظت بقيمتها في تلك الفترة إلى جانب عام ٧١٦هـ / ١٣١٦م<sup>(٩)</sup>، ففي عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م اشترى كزيم الدين بستاناً بنحو مائة ألف درهم بما يعادل خمسة آلاف دينار<sup>(١٠)</sup> في الوقت الذى

(١) أحمد محمد، الوضع الاقتصادى في مصر في عصر الدولة المملوكية، ص ٤٩٩.

(٢) أحمد محمد، المرجع نفسه، ص ٤٩٨.

(٣) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٩٩.

(٤) المقرئى، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١١٢، سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٣٠٠.

-Lane - Pool; History of Egypt, p 297.

(٥) سامح فهمى، المرجع نفسه، ص ٣٠٠.

(٦) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٠٠.

(٧) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٠، ص ١٣٩، النجيدى، النظام النقدى المملوكى، ص ٢٧٣.

(٨) المقرئى، السلوك، حوادث سنة ٧١٠هـ، ج ٢، ص ٩٧.

(٩) ابن بشار، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، ورقة ٢٣٩، عن النجيدى، المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

(١٠) على مبارك، الخطط، ج ٢٠، ص ١٣٩، أحمد محمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٥٠٠.



كانت فيه الدولة قد حددت أن سعر صرف الدينار يساوى عشرون درهماً كما سبق أن ذكرنا، وفي عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م كان دخل سلار نائب السلطنة يومياً من إقطاعه وخاناته وحماياته مائتي ألف درهم بما يعادل ٥٠٠٠ دينار<sup>(١)</sup> أى أن كل عشرين درهماً بدينار<sup>(٢)</sup> كما حددته الدولة، بالرغم من حدوث الأزمة الاقتصادية العنيفة التي أثرت على كل شئ في البلاد، وفي عام ٧١٦هـ / ١٣١٦م أنعم الناصر محمد على بكتمر الحاجب بمائة ألف درهم أى بما يعادل خمسة آلاف دينار<sup>(٣)</sup> بمعنى أن كل دينار بـ ٢٠ درهم<sup>(٤)</sup> كما سبق وحددته الدولة، وفي عام ٧٢١هـ / ١٣٢٤م كان مهر طغاي أم أنوك زوج الملك الناصر محمد ٩٠ ألف درهم أى خمسة آلاف دينار<sup>(٥)</sup> أى أن قيمة الدينار كانت ١٨ درهم للدينار الواحد<sup>(٦)</sup>.

هذا وفي عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ارتفع سعر مبادلة الدينار ليصل إلى ٢٥ درهماً وذلك بسبب الأزمة النقدية التي حدثت في ذلك العام إلا أنه عاد وانخفض مرة أخرى إلى عشرين درهماً<sup>(٧)</sup> كما ذكر المقرئى في ذلك أن قيمة الدينار النقدية فقدت ما بين درهين إلى ستة دراهم بعد أن كانت بـ ٢٥ درهماً أصبحت بـ ٢٠ درهماً<sup>(٨)</sup> وسبب هذا الانخفاض ربما كان بسبب زيارة منسا موسى صاحب بلاد التكرور إلى مصر حيث انفق من الذهب مالا كثيراً في أثناء ذهابه إلى الحج عن طريق مصر في شراء الكثير من سلع القاهرة وبضائعها التي اشتهرت بها<sup>(٩)</sup>.

وفي عام ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م حدث لأول مرة في تاريخ دولة المماليك البحرية أن أصبح للدينار المملوكى سعران استخدما في عملية التبادل النقدى في أسواق الدولة وهو الإجراء الذى اتخذته الدولة أما ما حدث للدنانير المملوكية الذهبية من فساد في الأوزان وفي العيار أدى إلى حدوث اضطراب وضرر بمصالح الناس، فعملت الدولة على إصدار دنانير جديدة مضبوطة العيار فحددت سعر المبادلة بها بخمسة وعشرين درهماً لكل دينار بينما قررت قيمة للدينار الناقص

(١) المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ٩٧، أحمد محمد، المرجع السابق، ص ٥٠٠.  
(٢) سامح فهمى، المرجع السابق، ص ٣٠٠، أحمد محمد، المرجع نفسه، ص ٥٠٠.  
(٣) على مبارك، الخطط، ج ٢، ص ١٣٩، أحمد محمد، المرجع نفسه، ص ٥٠٠.  
(٤) سامح فهمى، المرجع نفسه، ص ٣٠٠، أحمد محمد، المرجع نفسه، ص ٥٠٠.  
(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٢٢، سامح فهمى، المرجع نفسه، ص ٣٠١.  
(٦) سامح فهمى، المرجع نفسه، ص ٣٠١، أحمد محمد، المرجع نفسه، ص ٥٠٠.  
(٧) أبو الحسن، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٧٨-٧٩، المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ٢٦١، سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٣٠١.

(٨) المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ٢٥٥، المجيدى، النظام النقدى المملوكى، ص ٢٧٣.

(٩) الذهبى، العبر في خبر من غير، ج ٤، ص ٦٩، النجيدى، المرجع نفسه، ص ٢٧٤.





مقدارها واحد وعشرون درهماً<sup>(١)</sup>، وفي عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م صرف ألقاى المملوك للناصر محمد على بوابة دار أنشأها في نفس السنة حوالى مائة ألف درهم أى نحو الخمسة آلاف دينار<sup>(٢)</sup> بمعنى أن كل دينار يعادل ما قيمته عشرون درهماً فضة<sup>(٣)</sup>، وفي عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م كان ثمن البقل الأخضر الذى كان يشتري للأوز يومياً خمسين درهماً بما يعادل أزيد من مثقالين من الذهب<sup>(٤)</sup> أى أن كل دينار يعادل ما قيمته خمسة وعشرين درهماً، وربما يكون سبب هذا الارتفاع في قيمة الدينار هو سياسة الدولة الخاطئة خاصة وأن النشو ناظر الخاص كان قد أجبر الصاغة وأهلها إلى جانب أهالى دور الضرب بعدم بيع الذهب وحمله إلى دار الضرب ليصك بصكه السلطان وبضرب دنائير هرجة ثم تصرف بالدرهم، وتجمع ذهب مصر كله في دار الضرب، فأخذ ما كان للتجار والعامّة وعوضهم عنه بضائع وحمله كله للسلطان ولم يستطع أحد أن يبيع شئ منه في الصاغة<sup>(٥)</sup> لذلك ارتفع سعر الدينار من الدرهم ليصل إلى ٢٥ درهم، واستمرت الآثار السيئة لتلك السياسة على الدولة واقتصادياتها والدليل على ذلك أنه نودى على الذهب أن يكون سعر تبادله خمسة وعشرين درهماً<sup>(٦)</sup> وذلك عام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م، وكان بعشرين درهماً<sup>(٧)</sup>.

وفي عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م تولى الملك المنصور أبو بكر ابن الناصر محمد الحكم فابطل صرف الدينار بـ ٢٥ درهماً وأمر أن يصرف بالسعر الواقع وهو ٢٠ درهماً<sup>(٨)</sup>، وتشير المصادر إلى أن ارتفاع السعر قبل ذلك كان لمصلحة الملك الناصر محمد الشخصية ليقوم بتسديد ديونه للتجار<sup>(٩)</sup>

(١) المقرئى، السلوك، جـ ٢، ص ٣٢٠، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢، ص ٣٠٥، النجيدى، النظام النقدي، ص ٢٧٥.

(٢) على مبارك، الخطط، جـ ٢٠، ص ١٣٩، أحمد محمد، المرجع السابق، ص ٥٠١.

(٣) سامح فهمى، المرجع السابق، ص ٣٠١، أحمد محمد، المرجع نفسه، ص ٥٠١.

(٤) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٢٩.

(٥) المقرئى، السلوك، جـ ٢، ص ٣٩٣.

(٦) العيني، عقد الجمان، جـ ٢٤، ص ٣٤.

-Paul – Balog; History of the Dirhem in Egypt, p 133.

وإن وفق المؤرخين على أن سعر الدينار قبل هذه السنة هو ٢٠ درهماً كما أوضحت هنا في سنوات ٧٢٤هـ – ٧٣٠هـ،

راجع: أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ١٤٣، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٣٠٢، المقرئى، السلوك،

جـ ٢، ص ٤٨٨، أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادى، ص ٥٠١.

(٧) المقرئى، السلوك، جـ ٢، ص ٤٨٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٣٠٢، ابن تعزى بردى، النجوم الزاهرة،

جـ ٩، ص ٤٣.

(8) Paul – Balog; History of the Dirhem in Egypt; p 133.

زيتريشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ٢٢٤.

(٩) ابن تعزى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٤٤-٤٥، أحمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٥٠١-٥٠٢.



وذلك لأن المسكوكات كانت في هذا العصر حقاً شخصياً للسلطان ومصدراً من مصادر إيراداته<sup>(١)</sup>، وفي عام ٧٤٢هـ / ١٣٤١م وصل سعر صرف الدينار بـ ١١ درهم (أحد عشر درهماً) بعد أن كان بعشرين درهماً<sup>(٢)</sup>، فنلاحظ انخفاض سعر التبادل بدرجة كبيرة بل انخفض بدرجة واضحة والسبب في ذلك هو الاستيلاء بل نهب ممتلكات الأمير قوصون من قبل عامة المماليك، فقد كان كل من أخذ ذهباً وذهب به إلى التجار أو الصيارفة يريد أن يبيعه بأي سعر يحصل عليه ومن هنا تدنت قيمة الدينار ووصلت إلى ١١ درهم<sup>(٣)</sup>، هذا إلى جانب عدم استقرار الأوضاع الداخلية في أمور الدولة وحدوث الفتن والاضطرابات والمنازعات التي تمت بين الأمراء والتي كان من نتائجها مصادرة العديد منهم<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م بلغ راتب السكر في رمضان من هذه السنة ثلاثة آلاف قنطاراً بستمائة ألف درهم أي ما يعادل ثلاثين ألف دينار<sup>(٥)</sup> أي أن قيمة الدينار بلغت عشرين درهماً<sup>(٦)</sup>، وفي عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م نتيجة للفوضى والاضطرابات التي سادت الدوائر الحكومية والبلاط السلطاني انخفاض سعر الدينار في هذه السنة بحيث أصبح كل دينار يوازي ١٠,٤٥ درهم<sup>(٧)</sup> فقط أي ١١ درهم<sup>(٨)</sup> وفي عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م بلغت جامكية الغلام ٨٠ درهماً أي ما يعادل خمسة دنانير وثلاث<sup>(٩)</sup> بمعنى أن الدينار بلغ ١٥ درهماً<sup>(١٠)</sup> ويعود هذا الانخفاض إلى ما تعرضت له البلاد من وباء وفناء وهو ما تمثل في الوباء الأسود أو ما كان يسمى بالفناء الكبير، فقد كان له تأثيره الكبير على أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعانت البلاد من ركود اقتصادي، ضعفت معه قيمة العملة الذهبية.

وفي عام ٧٥٩هـ / ١٣٥٧-١٣٥٨م كانت تكاليف اليوم الواحد في بناء جامع السلطان حسن عشرين ألف درهم أي نحو ألف مثقال ذهباً<sup>(١١)</sup> فتصبح قيمة الدينار عشرون درهماً نقره

(١) سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٣٠٢.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٤٤-٤٥.

(٣) Paul - Balog; History of Dirhem, p 133.

(٤) مزيد من التفاصيل راجع الفصل الأول من هذا البحث.

(٥) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٣١.

(٦) سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٣٠٢.

(٧) علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٠، ص ١٤٠.

-Balog; Ibid, p 133.

(٨) أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٥٠٢.

(٩) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢١٠، أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٥٠٢.

(١٠) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢١٠، سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٣٠٣، أحمد عدوان، المرجع

السابق، ص ٥٠٢.

(١١) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٣١٦.



ونصف<sup>(١)</sup> ٢٠,٥ درهم، بالرغم من توالى حدوث تكرار الأزمات الاقتصادية في تلك الفترة، وفي عام ٧٦١هـ / ١٣٥٩م كانت جملة مصاريف البيسيرية وهي قاعة تابعة للقلعة التي أقامها الناصر حسن ألف ألف درهم أى ما يعادل خمسون ألف دينار<sup>(٢)</sup> أى أن قيمة الدينار تساوى عشرون درهماً<sup>(٣)</sup>، ولكن ذكر Balog أن فجأة حدث تغير وارتفع سعر الدينار بالنسبة للدرهم ليصل إلى ٣٠ درهم<sup>(٤)</sup> وهذا ربما لتكرار حدوث الأزمات الاقتصادية التي حدثت في ذلك العام.

وفي عام ٧٦٦هـ / ١٣٦٤-١٣٦٥م أمر السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد بإسقاط ما يؤخذ من مكس الحاج بمكة فيما يحمل إليه من بضائع ماعدا المكس الكارم وتجار اليمن ومكس تجار الخيل ومكس تجار العراق، وعوض أمير مكة عن ذلك إقطاعاً بمصر والشام وحمل إليه أربعين ألف درهم أى نحو ألفى مثقال من الذهب<sup>(٥)</sup> أى أن قيمة الدينار بالنسبة للدرهم النقري هي (٢٠:١) واحد إلى عشرين، فيصرف كل دينار بعشرين درهم فضة من الدراهم النقره<sup>(٦)</sup>.

وفي عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م ارتفعت الأسعار حتى بلغ أردب القمح من ٦٠ إلى ٧٠ درهماً أى ما يعادل أربعة دنانير<sup>(٧)</sup> أى أن قيمة الدينار في هذه السنة هي ١٧,٥ درهماً وهي منخفضة (١٧,٥ = ٤/٧٠)<sup>(٨)</sup> وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية التي مرت بها البلاد فانخفضت قيمة الدينار وفي عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م ارتفع سعر أردب القمح إلى مائة وخمسة وعشرين درهماً أى ستة مشاقيل وربع مثقال ذهب<sup>(٩)</sup> أى أن قيمة الدينار في هذه السنة كانت عشرين درهماً نقره أى أن

$$20 = \frac{100 \times 125}{625}$$
 وفي عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م اتفق الأمراء على إثارة الشغب أثناء غياب الأشرف شعبان في الحجاز ووعدوا الجند أن ينفقوا للواحد خمسمائة دينار أى عشرة آلاف درهم<sup>(١٠)</sup> بمعنى أن كل دينار كانت قيمته عشرون درهماً نقره<sup>(١١)</sup>، وفي عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م

(١) سامح فهمي، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ٢١٢.

(٣) سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٣٠٣.

(4) Balog; History of Dirhem in Egypt, p 134.

(٥) المقرئى، السلوك، ج ٣، ص ٩٨، عن أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص ٥٠٣.

(٦) سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٣٠٣، أحمد محمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٥٠٣.

(٧) ابن حجر، أبناء الغمر، ج ١، ص ٦٠، عن سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٣٠٤، أحمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٥٠٣.

(٨) سامح فهمي، نفسه، نفس الصفحة، أحمد عدوان، نفسه، ص ٥٠٣.

(٩) ابن تيمزى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٦، أحمد عدوان، نفسه، نفس الصفحة.

(١٠) سامح فهمي، المرجع نفسه، ص ٣٠٤، أحمد عدوان، نفسه، نفس الصفحة.

(١١) أحمد عدوان، الوضع الاقتصادى، ص ٥٠٣.

(١٢) أحمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٥٠٤، سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٣٠٤.



قبض على الحاج سيف مقدم الدولة وصودر على مائة ألف دينار حمل منها خمسمائة ألف درهم  
أى ما يعادل ٢٥ ألف دينار<sup>(١)</sup> أى أن الدينار كانت قيمته عشرون درهماً<sup>(٢)</sup>، وفي عام ٧٨٢هـ /  
١٣٨٠م انخفضت قيمة الدينار من الدرهم فوصلت إلى ستة عشر درهماً<sup>(٣)</sup>، وربما يكون سبب  
هذا الانخفاض حالة الاضطراب التى أصابت البلاد والعباد نتيجة الصراع والتنافس حول السلطنة  
بالإضافة إلى حروب الأمراء المماليك فى الشوارع من أجل الحصول على السلطة مما سبب  
الاضطراب وعدم الاستقرار فى جميع الأحوال مما أثر على الوضع الاقتصادى.

هكذا شهد العصر الأيوبي والمملوكي البحرى فترة من الاضطراب النقدي الواضح من الأمثلة  
السابقة فنرى أنها لم تثبت على قيمة معينة فنراها فى الانخفاض تارة والارتفاع تارة أخرى ويمكن  
القول أن الفترة موضع الدراسة شهدت العديد والعديد من الأزمات الاقتصادية النقدية تخللتها  
تأزم وارتباك نقدي واقتصادي إلى جانب غلاء فى الأسعار، وتذبذب قيمة الذهب والفضة  
بالارتفاع والانخفاض<sup>(٤)</sup> مما جعل القلقشندى يذكر أن "صرف الذهب فى الديار المصرية لا يثبت  
على حاله بل يعلو تارة ويهبط أخرى بحسب ما تقتضيه الأحوال"<sup>(٥)</sup>، هذا وفى العصر المملوكي  
البحري احتفظ الدينار فى فترات الاستقرار بما يوازي ٢٠ درهماً نقره، ولم تزد أو تنقص هذه  
القيمة عنها إلا فى حالات تعرضت فيها الدولة للاضطرابات أو أزمات اقتصادية أو رغبة السلطان  
فى الإثراء على حساب رفع قيمة الدينار من الدراهم<sup>(٦)</sup>.

(١) المقرئى، السلوك، ج ٣، ص ٣٣٠، أحمد عدوان، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

(٢) سامح فهمى، المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٣) المقرئى، السلوك، ج ٣، ص ٣٧٨، النجيدى، النظام النقدي المملوكي، ص ٢٨٢.

(٤) د. رأفت البناوى، أسعار السلع والجوامك، ص ٦٢.

(٥) القلقشندى، الدنانير المسكوكة، نشر الكرملى، ص ١١٢.

(٦) سامح فهمى، المرجع نفسه، ص ٣٠٤.





جدول يوضح سعر صرف الدينار / الدرهم في العصر الايوبي

السنة	٥٧٢هـ	٥٨٣هـ	٦٢٢هـ	٦٣٧هـ
سعر صرف الدينار بالدرهم	$\frac{1}{3}$ درهم	$\frac{2}{3}$ درهم	٦٠ درهم	$\frac{1}{2}$ درهم

جدول يوضح سعر صرف الدينار / الدرهم في العصر المملوكي البحري

السنة	٦٥٨هـ	٦٨٢هـ	٦٩٤هـ	٦٩٨هـ	٦٩٩هـ - ٧٠٠هـ	٧٠٠هـ	٧٠٩هـ	٧١٠هـ
سعر صرف الدينار بالدرهم	$\frac{1}{2}$ درهم	$\frac{1}{3}$ درهم	٢٠ درهم	٢٠ درهم	٢٥ درهم	١٧ درهم	٢٠ درهم	٢٠ درهم

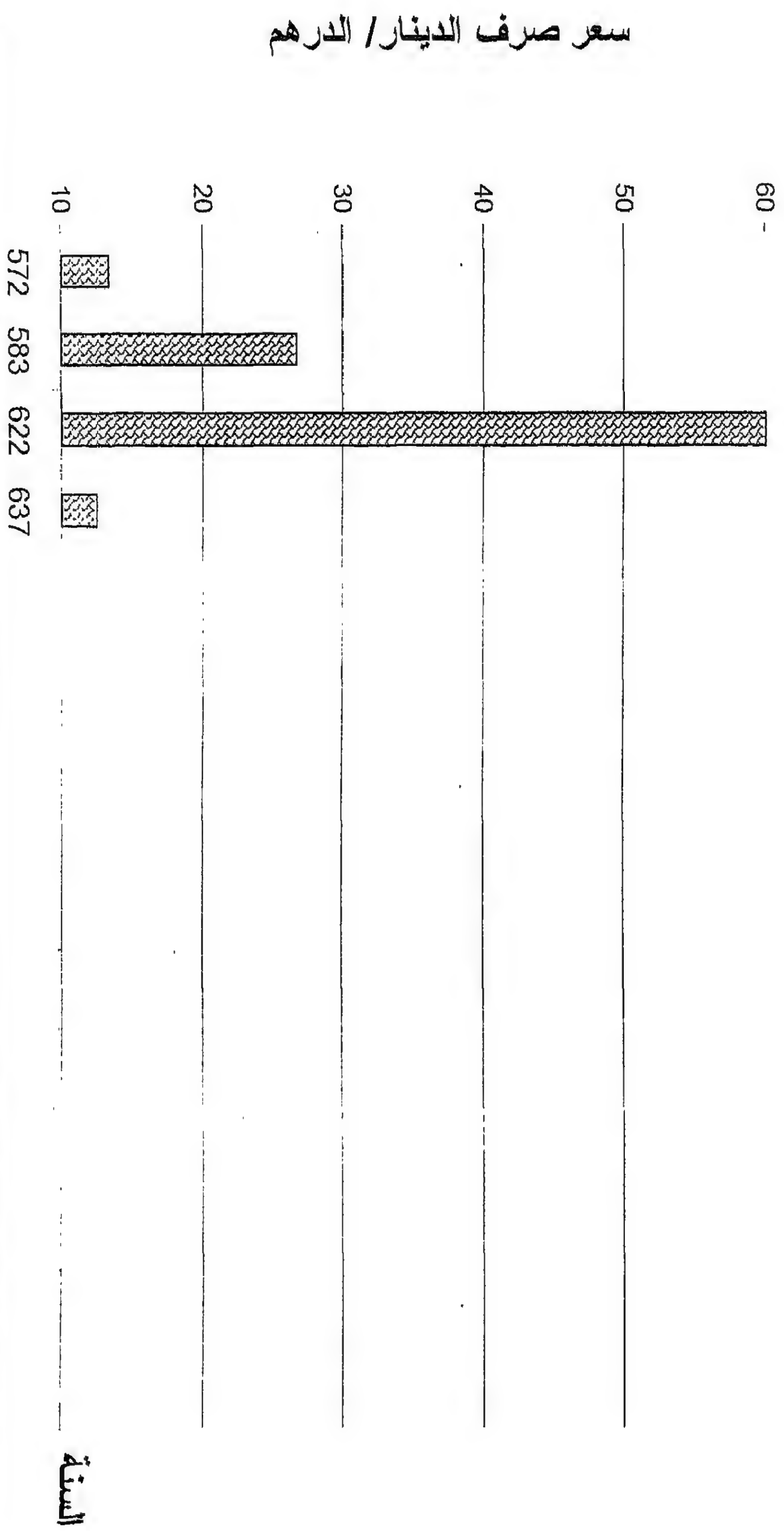
السنة	٧١٦هـ	٧٢١هـ	٧٢٤هـ	٧٣٠هـ	٧٣٠هـ	٧٣٢هـ	٧٣٨هـ	٧٤٠هـ	٧٤١هـ
سعر صرف الدينار بالدرهم	١٠ درهم	١٨ درهم	٢٥ درهم	٢٥ درهم	٢١ درهم	٢٠ درهم	٢٥ درهم	٢٠ درهم	٢٠ درهم

السنة	٧٤٢هـ	٧٤٥هـ	٧٤٦هـ	٧٤٩هـ	٧٥٩هـ	٧٦١هـ	٧٦١هـ	٧٦٦هـ	٧٧٥هـ
سعر صرف الدينار بالدرهم	١١ درهم	٢٠ درهم	١١ درهم	١٥ درهم	$\frac{1}{4}$ درهم	٢٠ درهم	٣٠ درهم	٢٠ درهم	$\frac{1}{2}$ درهم

السنة	٧٧٦هـ	٧٧٨هـ	٧٨٠هـ	٧٨٢هـ
سعر صرف الدينار بالدرهم	٢٠ درهم	٢٠ درهم	٢٠ درهم	١٦ درهم

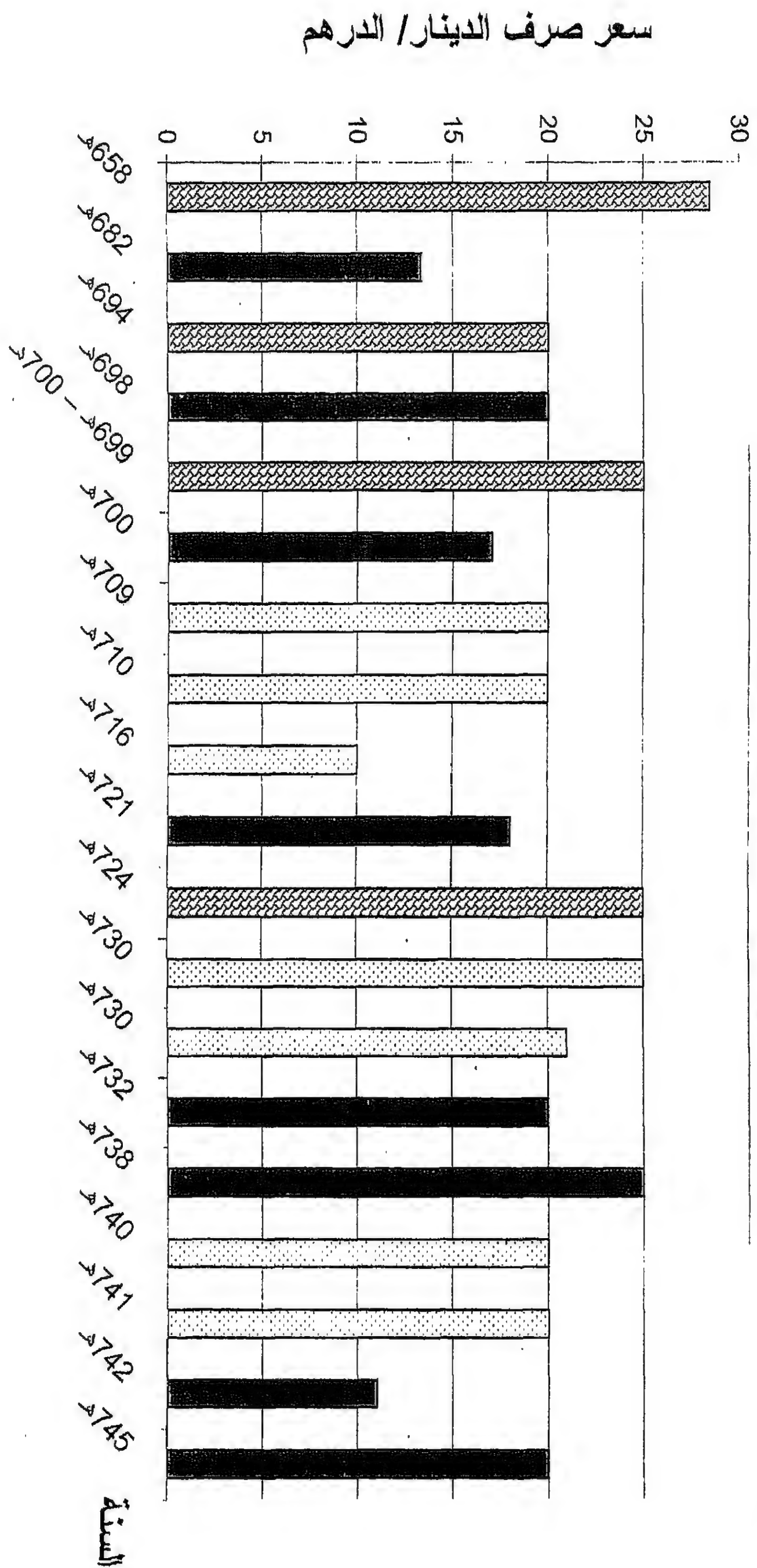


# تطور سعر صرف الدينار / الدرهم أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر الأيوبي



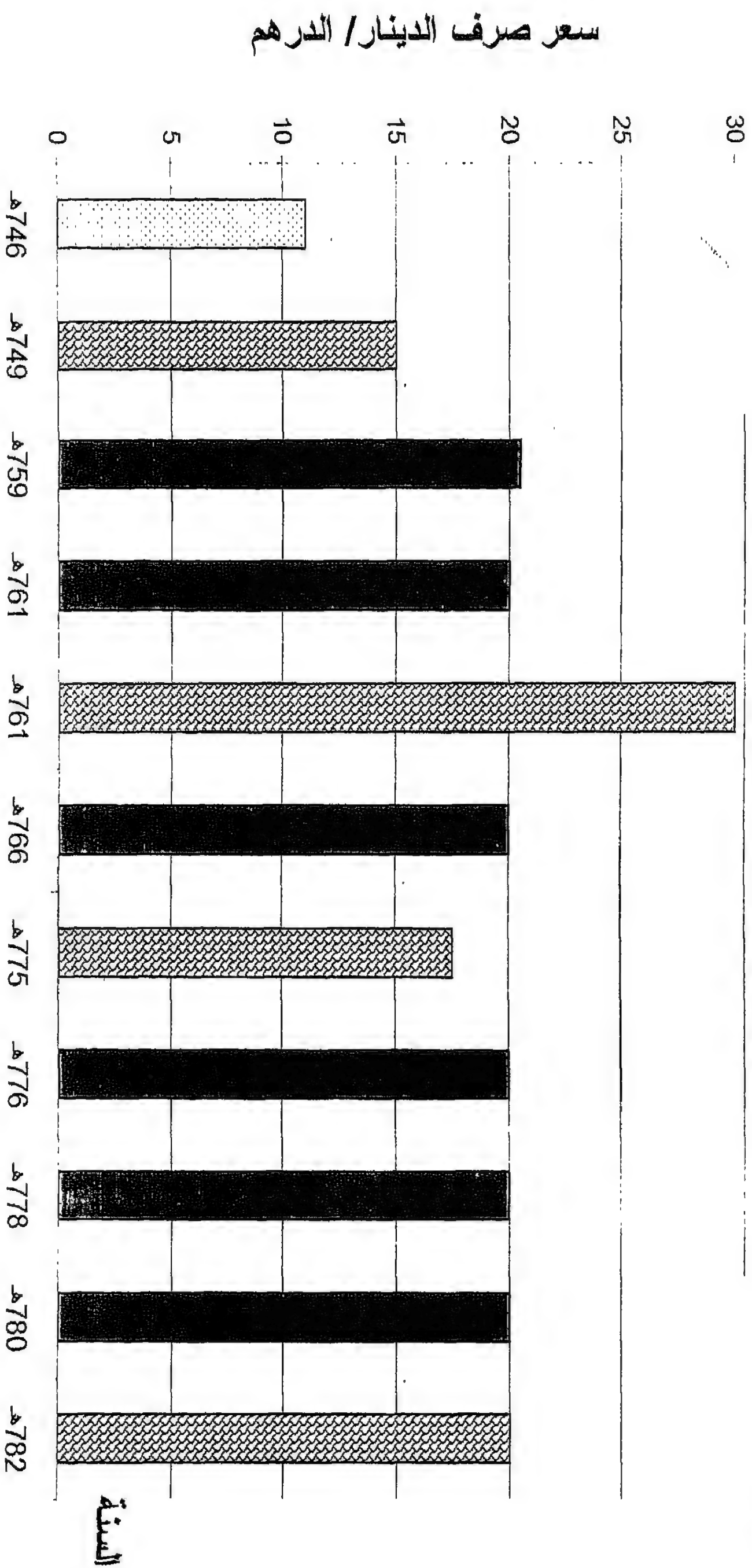


تطور سعر صرف الدينار / الدرهم أثناء الأزمات الاقتصادية  
في العصر المملوكي البحري





تتابع تطور سعر صرف الدينار / الدرهم أثناء الأزمات الاقتصادية  
في العصر المملوكي البحري







ومن تحليلنا للإحصائية السابقة سواء في العصر الأيوبي أو المملوكي البحري، نجد أنه حدث تذبذب واضح وارتباك نقدي وتأزم اقتصادي في العصر الأيوبي، فتذبذبت قيمة الذهب والفضة بالارتفاع والانخفاض الواضح والذي وضح أنه لا يثبت على حال واحد، أما في العصر المملوكي البحري، فنجد أنه حدث فيه أيضا ارتباك نقدي، وتأزم اقتصادي وتذبذب قيمة الذهب والفضة بالارتفاع والانخفاض أي أن صرف الذهب كان لا يثبت على حال بل يعلو مرة وينخفض مرة أخرى، ولكن من الملاحظ على تطور سعر صرف الدينار بالنسبة للدرهم في ذلك العصر أن يكون سعر التداول هو سعر الأزمة، أي بمعنى آخر أن تكون هناك أزمة اقتصادية يكون سعر الدينار في ذلك الوقت هو سعر التداول في الأسواق، كما حدث في سنوات ٦٩٤هـ، ٧٠٠هـ، ٧٠٩هـ - ٧١٠هـ، ٧٢٤هـ، ٧٤١هـ، ٧٤٨هـ، ٧٥٩هـ، ٧٦١هـ، ٧٦٦هـ، ٧٧٨هـ، ٧٨٠هـ.

هكذا اختلف سعر صرف الذهب بمصر فلا يثبت على حاله بل يعلو مرة وينخفض مرة أخرى، وذلك بحسب الظروف والأحوال التي كانت تمر بها البلاد في تلك الحقبة التاريخية الهامة سواء في العصر الأيوبي أو المملوكي البحري، هذا بالإضافة إلى أن متوسط القيمة النقدية للدينار في العهد المملوكي البحري كانت ٢٠ درهماً تزيد في بعض الأحيان إلى خمسة وعشرين درهماً وإلى ثمانية وعشرين درهماً<sup>(١)</sup> وفي بعض الأوقات (الفترات) مرت أسعار المبادلة في ذلك العصر بفترة قصيرة من الاستقرار على الرغم من حدوث أزمات اقتصادية واضطرابات في النقود نفسها.

### الرواتب واختلافها في الوظيفة الواحدة من منشأة لأخرى:

تعددت المنشآت المعمارية واختلفت أغراضها، وتعددت بها الوظائف المتنوعة، سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكي البحري، ولأن العصر الأيوبي كان عصر حروب وصراعات مختلفة فلم يهتم المؤرخون كثيراً بذكر المنشآت المدنية ربما لأن معظمها قد اندثر ولم يصلنا منها إلا القليل النادر، وكان اهتمامهم منصباً على المنشآت الحربية التي تساعدهم في الحروب والانتصارات المختلفة. وفي العصر الأيوبي لم يصل إلينا إلا راتب شيخ المدرسة السيوفية<sup>(٢)</sup> وكان ١١ ديناراً في الشهر<sup>(٣)</sup>

(١) David Ayalon; The System of Payment in Mamluk Military Society, pp 47-48.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ١٩٦، مكتبة المتنبى.

(٣) المصادر نفسها، نفس الجزء والصفحة.



إلى جانب من يقوم بالتدريس بالمدرسة الصلاحية<sup>(١)</sup> وكان ٤٠ ديناراً<sup>(٢)</sup>.

أما في العصر المملوكي البحري فقد تعددت المنشآت المعمارية المدنية والدينية وكثرت بطريقة مبالغ فيها سواء للسلطين أو الأمراء، وكثرت بها الوظائف المتنوعة التي حددت لها الرواتب الشهرية التي يستطيع هؤلاء الموظفين أن يعيشوا من خلالها فمنهم الإمام، الخطيب، الشيخ، الأطباء، المقرئين، المعيدين، المدرسين، الفقهاء، البوابين، الكناسين، الفراشين، القوم، وغير ذلك من وظائف مختلفة، ويجب أن نضع في الاعتبار أن الرواتب اختلفت من منشأة لأخرى، فراتب الإمام في المدرسة يختلف عن راتب الإمام في الخانقاة عنه في الزاوية، ولنتبع تطور رواتب الوظائف أثناء الأزمات الاقتصادية ولم نتبعها في كل السنوات ولكن نورد ما جاء في سنوات مختلفة لوثائق مختلفة ومتنوعة، هذا ويجب أن نضع في الاعتبار أن هناك بعض السنوات لم يحدد لها أسعار للقمح، رغم أن هذه السنوات حدثت بها أزمات اقتصادية، لذلك سوف نكتفي هنا فقط بذكر رواتب الموظفين أوقات الأزمات الاقتصادية، ثم نعود لنربط المرتبات بالأسعار، وكيف تأثرت رواتب الموظفين بارتفاع الأسعار.

### وظيفة الإمام:

اختلف راتب الإمام من منشأة لأخرى تبعاً لحجم المنشأة وتبعاً لما أنشأت له فراتب الإمام في منشأة السلطان اختلف عن راتبه في منشأة الأمير، ففي زاوية كان قد أنشأها قاضي بئر دمياط وهو محمد نور الدين الصنعاني القاضي بئر دمياط والمؤرخة بـ ١٥ صفر ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وصل راتب الإمام بها إلى ٣٠ درهم في الشهر<sup>(٣)</sup> وربما كان راتبه هكذا لأن حجم المنشأة كان صغيراً، أو ربما لحدوث أزمة اقتصادية في هذا الوقت منتشرة في البلاد... لذلك قل راتب الإمام، أما في مدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، فقد بلغ راتب الإمام ٨٠ درهم<sup>(٤)</sup> وأما إمام القبة لنفس المدرسة فقد بلغ راتبه هو الآخر ٨٠ درهم<sup>(٥)</sup>، وفي خانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ / ١٣٢٤-١٣٢٥م فكان راتب الإمام ٢٠ درهم<sup>(٦)</sup>، وقد كان راتبه صغيراً بالمقارنة براتب الإمام في مدرسة الناصر محمد، ربما لأن حجم الخانقاة كان صغيراً بالمقارنة بحجم المدرسة لذلك زاد

(١) د. عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٠١.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠، (طبعة بولاق)، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٣) وثيقة وقف محمد نور الدين الصنعاني الخزرجي ١٥ صفر ٦٩٣هـ، ملحق برسالة سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٦٨.

(٤) وثيقة وقف الناصر محمد ٧٠٣هـ الملحق بكتاب المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٣.

(٥) وثيقة وقف الناصر محمد ٧٠٣هـ الملحق بكتاب المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٦.

(٦) وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون للخانقاه التي أنشأها للصوفية بتاريخ ٨ جماد الآخر ٧٢٥هـ، وهي ملحق بكتاب ابن حبيب،

تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٣٨٦.



راتب الإمام بالمدرسة لكبر حجمها وتناسب راتب الإمام مع الخانقاة لصغر حجمها، وهكذا  
اختلف راتب الإمام من منشأة لأخرى مع أنها وظيفة واحدة، وعن راتب الإمام بمدرسة الأمير  
صرغتمش فقد بلغ ٧٠ درهم<sup>(١)</sup> كما ذكرت وثيقة الوقف الخاصة بالأمير صرغتمش والمؤرخة  
بـ ٢٧ رمضان سنة ٧٥٧هـ<sup>(٢)</sup>، أما راتب الإمام بمدرسة السلطان حسن ٧٦٠هـ فقد بلغ  
١٥٠ درهم<sup>(٣)</sup> وإمام الإيوان الكبير فبلغ راتبه ١٠٠ درهم<sup>(٤)</sup>، وكان راتب إمام المذهب سواء  
الحنفى أو الحنبلى أو المالكى أو الشافعى فكان لكل واحد منهما راتباً بلغ ٦٠ درهم<sup>(٥)</sup>.

هكذا نلاحظ أن راتب الإمام كان يختلف بحجم المنشأة وأيضاً لمن أنشئت هذه المنشأة فراتب  
الإمام فى منشأة السلطان اختلف عن راتبه فى منشأة الأمير وهذا ما لاحظناه فى الأمثلة السابقة.

وما ينطبق على وظيفة الإمام ينطبق على جميع الوظائف الأخرى التى اختلفت رواتبها هى  
الأخرى بحسب حجم المنشأة أو بحسب رتبة من أنشئت له، فاختلف راتب الأطباء من منشأة  
لأخرى ومن سنة لأخرى، هذا إلى جانب وظائف أخرى مثل الشيوخ، الفقهاء، النظار،  
والمعيدين، الفراشين، الكناسين، والقومة وغير ذلك من وظائف أخرى ومختلفة.

### علاقة الأسعار بالمرتبات:

لما كانت المصادر التاريخية قد أمدتنا برواتب لبعض الموظفين فى الدولة، فإنه يمكن أن  
نلمس مستوى الحياة الاقتصادية لبعض أفراد الطبقات الوسطى والصغيرة فى المجتمع المصرى  
لمعرفة مدى تأثير قوتها الشرائية بأسعار المجاعات، وتحديد مستوى معيشتها خلال هذه الأوقات،  
وسنجعل من القمح مرجعنا الرئيسى للأسعار حيث أنه أكثر المواد تداولاً فى غذاء الشعب  
الأساسى.

(١) وثيقة وقف الأمير صرغتمش الناصرى المؤرخة ٢٧ رمضان ٧٥٧هـ قام بنشرها سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١٠٥.

(٢) قام بنشر هذه الوثيقة د. عبد اللطيف إبراهيم، أطر: لسان جديان من وثيقة صرغتمش، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة،  
عدد ٢٢، ١٩٦٦، سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١١٧.

(٣) وثيقة وقف السلطان الناصر حسن مؤرخة بـ ١٥ ربيع آخر ٧٦٠هـ ملحق برسالة سامح فهمى، القيم، ص ١٥٤.

(٤) وثيقة وقف السلطان حسن، ملحق برسالة سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١٥٤.

(٥) وثيقة وقف السلطان حسن، ملحق برسالة سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١٥٤.



وبداية، فإن متوسط ما يحتاجه الإنسان من الحبوب ليبقى على قيد الحياة يقدر برطل واحد من الحبوب<sup>(١)</sup> وهو ما يعادل ٤٣٧,٥ جرام، وإذا ما افترضنا أن الموظف الواحد يعيل أسرة تتكون من زوجة وابنين، أي أربعة أفراد، فإن ما يحتاجه يومياً من الحبوب لتأمين حياتهم يبلغ ١,٧٥٠ كيلوجراماً، أي أن حصيلة الكمية الشهرية تبلغ ٥٢,٥ كيلوجراماً<sup>(٢)</sup>، ونظراً لقلّة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع أو حتى الوثائق عن مرتبات الموظفين في المنشآت الأيوبية، إلا أنه لم يصلنا غير رواتب شيخ يقوم بالتدريس في المدرسة السيوفية<sup>(٣)</sup> وكان راتبه ١١ ديناراً في الشهر<sup>(٤)</sup> هذا إلى جانب راتب من يقوم بالتدريس والنظر في المدرسة الصلاحية<sup>(٥)</sup> وهو الشيخ نجم الدين الخبوشاني وكان راتبه الشهري ٤٠ ديناراً<sup>(٦)</sup>، هذا وقد كان سعر صرف الدينار بـ ١٣,٣٣ درهم<sup>(٧)</sup> أي ما يوازي ٥٣٢ درهماً، وذلك حسب سعر صرف الدينار بالدرهم، فكانوا يتقاضون أجورهم بالدرهم وليس بالدينار وهذا الراتب كان يتقاضاه عن التدريس فقط، وكان يتقاضى راتباً آخر عن معلوم النظر في أوقاف المدرسة وهو ١٠ دنائير<sup>(٨)</sup> بسعر صرف ١٣,٣٣ درهم أي ما يوازي ١٣٣ درهماً، وقد ذكر المقرئ في استرساله عن تلك المدرسة قائلاً أنه تولى بعد وفاة الشيخ الخبوشاني ٥٨٧هـ / ١١٩١م<sup>(٩)</sup> جماعة من أكابر الأعيان تولوا التدريس بهذه المدرسة ثم خلت من مدرس ما يقرب من ثلاثين عاماً، واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أشخاص<sup>(١٠)</sup> ولم يذكر ما كان يتقاضاه هؤلاء المعيدون من رواتب، وفي عام ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م أي في عصر المماليك البحرية تولى التدريس بها رجل يدعى تقي الدين بن رزين، وقرر له نصف

(١) وهو ما يعادل ١٥٠٠ سعر حراري. أنظر: مورلايه (فرانسيس)، صناعة الجوع، ص ١٨-٢٦، وحسب إحصاءات الأمم المتحدة الأخيرة، فإن نصيب الفرد من الحبوب في الدول الفقيرة يوازي ١٣٦ كيلوجراماً في العام أي ٣٧٧ يومياً، أنظر: د. محمد علي الفراء، مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢١، الكويت ١٩٧٩م ص ٢٢، نقلاً عن د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر، هامش ١، ص ١٧٧.

(٢) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر، ص ١٧٧.

(٣) هذه المدرسة بالقاهرة وهي من جملة دار الوزير المأمون البطاحي وقفها السلطان السيد الأجل الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي على الخنفة، وأقام من يدرس بها وهو الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الحسين، ورتب له في كل شهر ١١ ديناراً. أنظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٥، مكتبة بغداد.

(٤) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٥) د. عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، ص ٢٠١.

(٦) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٢، ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٧) Hassanien Rabie; The Financial System, p 174.

(٨) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٩) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(١٠) المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.





المعلوم<sup>(١)</sup> أى أنه ٢٠ ديناراً فى الشهر بسعر صرف ١٣,٣٣ درهم<sup>(٢)</sup> أى ما يوازى ٢٦٦ درهماً وذلك عن التدريس فقط، أما عن معلوم النظر فى أوقاف المدرسة فيحتمل أنه اخذ النصف أيضاً أى ٥ دنانير بسعر صرف ١٣,٣٣ درهم، أى ما يوازى ٦٦,٥ درهم، وعندما توفى تولى الشيخ تقى الدين بن دقيق برقع المعلوم<sup>(٣)</sup> ولكن لم تذكر سنة وفاة الشيخ السابق، والذي يمكن ترجيحه هنا أنه اخذ معلوم ١٠ دنانير فى الشهر بسعر صرف ١٣,٣٣ درهم بالتقريب، لأن هذا السعر استقر إلى عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤-١٢٩٥م ثم أصبح ٢٠ درهم ولكن ليس هذا موضوعنا الآن، فالمرجح أن أجره كان يوازى ١٣٣ درهم فى الشهر عن التدريس فقط، أما عن معلوم النظر فى أوقاف المدرسة فهو يتقاضى أيضاً الربع أى ٢,٥ دينار بسعر صرف ١٣,٣٣ درهم أى ما يوازى ٢٦,٦ درهم، وللأسف لم يكن لدينا أسعار للقمح فى السنوات السابقة حتى نقف على مستوى معيشة العاملين بالمنشآت الأيوبية السابق الحديث عنها<sup>(٤)</sup>.

ولنتعرض الآن لرواتب بعض العاملين بالمنشآت المختلفة وربطها بالأسعار أثناء الأزمات الاقتصادية وهل الموظف أو العامل يعيش فوق خط الفقر أم تحت خط الفقر وهل راتبه هذا يكفيه لشراء القمح وهو الغذاء الرئيسى الذى يعتمد عليه فى معيشتة أم لا يكفى لشراء القمح.

### الإمام:

أثناء حدوث مجاعة عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م بلغ راتب إمام زاوية ٣٠ درهم وذلك كما ورد فى وثيقة الصنعانى الخزرجى<sup>(٥)</sup> وقد كان اللازم لشراء احتياجات أسرة من القمح شهرياً ٥٢,٥ كيلوجرام فىكون السعر اللازم لشراء هذه الكمية اللازمة لأسرة فى الشهر هو ٢٨,٧١ درهم<sup>(٦)</sup> أى أن كل راتبه إلا القليل منه يذهب لشراء الحبوب فقط ويلتهم ذلك أكثر من ٩٨% من الراتب الشهرى له وبذلك يقترب من خط الفقر، أما بالنسبة لراتب الإمام فى

(١) السيوطى، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ج ٧، ص ٢٧٢.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٩٦-٩٧، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٣) السيوطى، المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٤) بالبحث فى معظم الوثائق الخاصة بدار الكتب المصرية والخاصة بالعصر الأيوبي لم تذكر تلك الوثائق أى راتب من رواتب الموظفين فى ذلك العصر.

(٥) وثيقة وقف محمد نور الدين الصنعانى الرفاعى الخزرجى القاضى بشفر دمياط، مؤرخة ١٥ صفر ٦٩٣هـ، ملحق برسالة سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٦٨.

(٦) لمعرفة التفاصيل عن سعر الكيلوجرام من القمح أثناء سنوات الأزمات الاقتصادية، راجع هذا الفصل ص ٣٠٤ - ٣١٠.



مدرسة الناصر محمد بن قلاوون أثناء أزمة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م فقد بلغ ٨٠ درهماً<sup>(١)</sup> وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام قمح له ولأسرته يبلغ سعره إلى ٢٨,٧١ درهم أى أنه يعيش فوق خط الفقر، وما ينطبق على راتب في المدرسة ينطبق على راتب الإمام في قبة الناصر محمد بن قلاوون، حيث يأخذ هو الآخر نفس راتب الإمام في المدرسة وهو ٨٠ درهماً في الشهر<sup>(٢)</sup>، أما عن راتب الإمام الذى يؤم المسلمين بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م فقد وصل إلى ٤٥ درهم<sup>(٣)</sup> وهو يحتاج إلى ٣٥,٨ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح أى أنه رغم وجود أزمة اقتصادية ومجاعة رهيبة في ذلك العام إلا أنه يعتبر فوق خط الفقر، أما عن راتب إمام المسلمين بخانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ / ١٣٢٤-١٣٢٥م فكان يأخذ ٢٠ درهماً<sup>(٤)</sup> أى أن ما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يصل إلى ١٢,٢٠ درهم أى أنه فوق خط الفقر.

الشيخ:

أما عن راتب الشيخ فقد بلغ راتب شيخ لإقراء الحديث بقبة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣-١٣٠٤م، ٣٠ درهم<sup>(٥)</sup> أى أن ما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يصل إلى ٢٨,٧ درهم، أى أنه يقترب من خط الفقر لأن القمح وحده يلتهم أكثر من ٩٥% من راتبه ولا يستطيع شراء أشياء أخرى بما يتبقى معه من هذا الراتب. أما في خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، فقد بلغ راتب شيخ الخانقاة ١٠٠ درهم<sup>(٦)</sup> ويحتاج إلى ٣٥,٨ درهم لشراء كمية من القمح ٥٢,٥ كيلوجرام في الشهر إذن هو فوق خط الفقر ولا علاقة له به، وبلغ راتب شيخ بخانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ / ١٣٢٤-١٣٢٥م، ١٠٠ درهم<sup>(٧)</sup> وهو يحتاج إلى ١٢,٢٠ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح إذن هو فوق خط الفقر تماماً.

(١) المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٣) وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، ملحق برسالة دكتوراه، لعادل شريف علام، النصوص التأسيسية على العمار الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٩٥، ص ٤٧٣.

(٤) وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبى، ج ٢، ص ٤٠٨.

(٥) وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ، الملحق بكتاب المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ١٠٤٣.

(٦) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، ملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٠.

(٧) وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبى، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٦.



## الناظر<sup>(١)</sup>:

لقد بلغ راتب الناظر بقبة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ — / ١٣٠٣م، ٣٠٠ درهم<sup>(٢)</sup> فيحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح وهو بذلك فوق خط الفقر كما هو واضح أمامنا، أما عن راتب الناظر بوثيقة وقف الأمير يلغا بن عبد الله أتابك العسكر ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م كان ٩٠ درهماً<sup>(٣)</sup> فيحتاج إلى ٢٨,٧١ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح أى أنه في هذه المجاعة يتعدى خط الفقر بكثير فهو فوق ذلك الخط.

## القيم<sup>(٤)</sup>:

فقد بلغ راتبه بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ — / ١٣٠٣م، ٢٥ درهم<sup>(٥)</sup> وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يبلغ ٢٨,٧ درهم إذن هو تحت خط الفقر ويقع عند دائرته.

## الرئيس:

كان رئيس القبة بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ — / ١٣٠٣ يأخذ راتباً شهرياً يبلغ ٤٠ درهم<sup>(٦)</sup> وهو يحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، أى أنه فوق خط الفقر تماماً.

## المؤذنون:

بلغ راتب المؤذن بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ — / ١٣٠٩م،

---

(١) أطلق لفظ الناظر على المشرف وخاصة المشرف المالى، واسم هذه الوظيفة مأخوذ أما من النظر الذى هو رأى العين لأنه يدير نظره فى أمور ما ينظر فيه، وأما من النظر بمعنى الفكر لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك، أنظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١١٧٧.

(٢) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون الملحق بكتاب المقريرى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٣.

(٣) وثيقة الأمير يلغا بن عبد الله أتابك العسكر المنصورة مؤرخة مستهل شعبان ٧٦٥هـ، نشرها: سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١٨٢.

(٤) هو اسم وظيفة وقد جرت العادة أن يستخدم فى بعض المؤسسات العامة كالمسجد والمدرسة والحمام والضريح "قيم"، أو فراش يكون مسئولاً عن الخدمة فيه ونظافته والحفاظة عليه. أنظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٢، ص ٨٩٨، السبكى، معيد النعم، ص ١٣٥، الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص ٨٦-٨٧.

(٥) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون الملحق بكتاب المقريرى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٧.

(٦) وثيقة وقف السلطان الناصر محمد ٧٠٣هـ، الملحق بالمقريرى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٣.



٣٠ درهم<sup>(١)</sup> وهو يحتاج إلى ٣٥,٨ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح فهو بذلك يقع تحت خط الفقر، فلا يكفي راتبه لشراء قمح فقط وهو الغذاء الأساسي والرئيسي الذي يقتات به هو وأسرته. أما راتب المؤذن بخالقه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ / ١٣٤٢-١٣٢٥م فقد بلغ ٨٠ درهم<sup>(٢)</sup> وما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يبلغ ١٢,٢٠ درهم فهو بذلك فوق خط الفقر تماماً.

### شاهد خزانة الكتب:

بلغ راتبه بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣ م، ٣٠ درهم<sup>(٣)</sup> ويحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، إذن هو يقترب قليلاً من خط الفقر ولكنه في نفس الوقت فوق خط الفقر ولكن بنسبة قليلة كما هو واضح لنا.

### الطباخ:

بلغ راتب الطباخ في وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ / ١٣٠٣م ١٥ درهم<sup>(٤)</sup> وما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يصل إلى ٣٥,٨ درهم في الشهر فهو إذن يقع تحت خط الفقر والمجاعة، وقد بلغ راتب مشرف المطبخ بنفس الخانقاة (بيبرس الجاشنكير) ١٥ درهم<sup>(٥)</sup> أيضاً ويحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، فهو الآخر يقع تحت خط الفقر.

### سواق الساقية:

أما عن راتب سواق الساقية بمدرسة محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، فكان يأخذ ٣٠ درهم<sup>(٦)</sup> وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يصل إلى ٢٨,٧ درهم، فهو بذلك يستهلك أكثر من ٩٨% من راتبه لشراء القمح فقط ولا يستطيع شراء أشياء أخرى من لحوم وفاكهة وخضراوات، إذن هو يقترب قليلاً من خط الفقر ولكنه لا يقع تحت هذا الخط لأنه يستطيع شراء القمح وهو الغذاء الأساسي، أما سواق الساقية بخالقه الناصر محمد بسرياقوس

(١) وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، ملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٣.

(٢) وثيقة وقف خانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ، ملحق بابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٣) وثيقة وقف الناصر محمد ٧٠٣هـ، ملحق بكتاب المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٦.

(٤) وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، ملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧١.

(٥) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، ملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧١.

(٦) وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد ٧٠٣هـ، ملحق بكتاب المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٧.





٧٢٥هـ / ١٣٢٥م، فكان يأخذ ٣٠ درهم<sup>(١)</sup> في الشهر وكان يحتاج إلى ١٢,٢٠ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، فهو إذن يقع فوق خط الفقر.

### الشاد<sup>(٢)</sup>:

هذا وقد بلغ راتب الشاد بوثيقة وقف السلطان بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ٩٠ درهم<sup>(٣)</sup> وما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يصل إلى ٣٥,٨ درهم إذن هو فوق خط الفقر وبعيدا عنه تماماً.

### الفراش - الكناس - الخادم:

بلغ راتب الفراش بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، ٥٣,٦ درهم<sup>(٤)</sup> وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح ٢٨,٧ درهم، إذن هو فوق خط الفقر، أما راتب الفراش بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، فقد بلغ ١٥ درهم<sup>(٥)</sup> وما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام يصل إلى ٣٥,٨ درهم، إذن هو تحت خط الفقر والمجاعة، أما راتب الفراش بخانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ / ١٣٢٤-١٣٢٥م، فقد بلغ ٢٠ درهم<sup>(٦)</sup> وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام يبلغ ١٢,٢٠ درهم، أي أنه فوق خط الفقر.

أما عن الكناس: فقد كان راتبه ١٠ دراهم<sup>(٧)</sup> بوثيقة وقف الأمير نور الدين الصنعاني الخزرجي ٦٩٣هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م، وقد كان ما يحتاجه الكناس لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يصل إلى ٢٨,٧ درهم، أي أنه يقع تحت خط الفقر والمجاعة لأن راتبه هذا يكفي لشراء قمح لمدة خمسة أيام فقط، وباقي الشهر لا يجد نقود يقات بها هو وأسرته.

---

(١) وثيقة وقف خانقاه الناصر محمد ٧٢٥هـ، بسرياقوس ملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤١٢.  
(٢) الشاد هو بمثابة الملاحظ أو المشرف أو المفتش على القومه وأرباب الوظائف فهو يعمل ما فيه مصلحة الوقف العائد نفعها على مستحقيه، انظر: د. عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، تحقيق رقم ٦٤٠-٦٧٥هـ، انظر أيضا: وثائق وقف كل من قرقماش ٩٠١ أوقاف ٢٩، قايتهاي ٨٨٦، أوقاف ص ١٤١، برساي ٨٨٠ أوقاف ص ١٩٦، بيبرس الجاشنكير ٢٢، ٢٣ محفظة ٤ بالحكمة نقلا عن د. محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٣٠٦.  
(٣) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، عن محمد أمين، الأوقاف، ص ٣٠٨.  
(٤) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ، الملحق بالمقريري، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٣.  
(٥) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٢.  
(٦) وثيقة وقف خانقاه الناصر محمد ٧٢٥هـ، ملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤١١.  
(٧) وثيقة وقف الأمير نور الدين الصنعاني الخزرجي ٦٩٣هـ، ملحق برسالة سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٦٩.



أما عن الخادم: فقد بلغ راتب الخادم بقبة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م، ٤٠ درهم<sup>(١)</sup> وما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح ٢٨,٧ درهم، أى أنه فوق خط الفقر.

### المزملائي<sup>(٢)</sup>:

أما عن راتب المزملائي فقد بلغ ١٢ درهم<sup>(٣)</sup> وذلك بخانقاه بيرس الجاشنكير ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، أى أن ما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح ٣٥,٨ درهم، أى أنه يقبع تحت خط الفقر والجماعة وراتبه هذا لا يكفيه لشراء قمح إلا لمدة ثمانية أيام بعدها لا يجد شئ يقنات به.

### المعيد<sup>(٤)</sup>:

أما عن راتب المعيد بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م فقد بلغ ٣٠ درهم<sup>(٥)</sup> وكان يحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح طوال الشهر، والشئ الواضح أمامنا أن أكثر من ٩٨% من راتبه يلتهمه شراء القمح فقط، فهو فوق خط الفقر ولكن بنسبة قليلة وذلك لأنه لا يستطيع شراء أشياء أخرى من المواد الغذائية.

### المقرئين:

اختلفت رواتب المقرئين من منشأة لأخرى، فبينما كان راتب قارئ حافظ لكتاب الله هو ١٠ دراهم<sup>(٦)</sup> براوية القاضى الصناعى الخزرجى والذي ذكر بوثيقة الوقف الخاصة به والمؤرخة ٦٩٣هـ، فهو يحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، إذن هو تحت خط الفقر لأن راتبه لا يكفيه إلا ٥ أيام لشراء القمح فقط، أما عن راتب قارئ حافظ بمدرسة الناصر

---

(١) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ، ملحق بكتاب المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٣.

(٢) المزملائي هو الذى كان يقوم بتسييل الماء فى السبيل، ومن المعتقد أن لفظة مزملائي نسبة إلى مزملاات جمع مزملة، وهى القدر من الفخار تكسى أو تلف أو ترمى بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن، وقد استخدمت لذلك بمعنى جرن السبيل أو حوض السبيل. أنظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٠٧٩-١٠٨٠-١٠٨١.

(٣) وثيقة وقف بيرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، ملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧١.

(٤) وظيفة من وظائف العلماء وهو ثلث رتبة المدرس ومهمته مساعدة المدرس فى التدريس وتعليم الطلبة وأصل مهمته القيام بإعادة المدرس على الطلبة بعد أن ينتهى المدرس من إلقائه وانصرافه حتى يفهموه. راجع: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١١٤، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٤.

(٥) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٧.

(٦) وثيقة وقف الصناعى الخزرجى، ملحق برسالة سامح فهمى، القيم النقدية، ص ٨١.



محمد ٧٠٣هـ فقد بلغ ٢٠ درهم<sup>(١)</sup> فهو يحتاج إلى ٢٨,٧ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، إذن هو تحت خط الفقر لأن راتبه يكفي لشراء القمح لمدة تقترب من ٢١ يوماً، أما عن راتب قارئ مصحف بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، فقد بلغ ٣٠ درهم<sup>(٢)</sup>، و يحتاج أيضاً إلى ٣٥,٨ درهم لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح، فهو تحت خط الفقر، هذا وقد ذكرت وثيقة وقف الأمير يلغا ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م أن بخنقاته خمس قراء يقرءون القرآن بعد كل صلاة، فقارئ بعد صلاة الصبح، وقارئ بعد صلاة الظهر، وقارئ بعد صلاة العصر، كل واحد منهم بلغ راتبه ١٠ دراهم<sup>(٣)</sup> فكلًا منهم يحتاج لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح إلى ٢٨,٧ درهم، أى أن راتبه لا يكفي لشراء هذه الكمية من القمح، فهو يقع تحت خط الفقر، وقد كان هناك قارئان آخران، قارئ بعد صلاة المغرب، وقارئ بعد صلاة العشاء وكان لكل منهما راتب يبلغ ١٥ درهماً<sup>(٤)</sup> في الشهر، وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح له ولأسرته يبلغ ٢٨,٧ درهم، أى أنه تحت خط الفقر والمجاعة هو وأسرته.

### البوابين:

بلغ راتب بواب يعمل بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ، ٣٠ درهم<sup>(٥)</sup> وقيمة ما يحتاج إليه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح تبلغ ٢٨,٧ درهم، أى أنه فوق خط الفقر ولكن بنسبة قليلة، أما راتب بواب قبة الناصر محمد ٧٠٣هـ فقد بلغ ٢٠ درهم<sup>(٦)</sup> وما يحتاجه لشراء نفس كمية القمح السابقة تبلغ قيمته ٢٨,٧ درهم وراتبه لا يفي باحتياجات أسرته لشراء القمح، فهو يقع تحت خط الفقر، أما عن راتب البواب بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ فقد بلغ ٣٠ درهم<sup>(٧)</sup> ولشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يحتاج إلى ٣٥,٨ درهم، فراتبه يكفيته لشراء قمح لمدة ٢٥ يوماً فقط له ولأسرته، إذن هو تحت خط الفقر.

- 
- (١) وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧، ص ١٠٤٣.  
(٢) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٥.  
(٣) وثيقة وقف الأمير يلغا بن عبد الله أتابك العسكر المنصورة ٧٦٥هـ، الملحق برسالة سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١٨٢.  
(٤) وثيقة وقف الأمير يلغا ٧٦٥هـ، نشرها سامح فهمى، القيم النقدية، ص ١٨٢.  
(٥) وثيقة وقف الناصر محمد ٧٠٣هـ، ملحق ١ بكتاب المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ٧، ص ١٠٤٧.  
(٦) وثيقة وقف خانقاه الناصر محمد ٧٢٥هـ، ملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبى، ج ٢، ص ٤١١-٤١٢.  
(٧) وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٤.



هذا وقد قيل في موضع آخر من الوثيقة أن راتب بواب الخانقاه بلغ ١٢ درهم<sup>(١)</sup> و يحتاج إلى ٣٥,٨ درهم لشراء ما يكفيه له ولأسرته من القمح ٥٢,٥ كيلوجرام، وراتبه هذا يكفي لشراء القمح لعدة أيام ولكنها قليلة، إذن هو يقع تحت خط الفقر، أما عن راتب البواب بخانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ، فكان يبلغ ٢٠ درهم<sup>(٢)</sup> ويحتاج إلى ١٢,٢٠ درهم لشراء كمية من القمح تكفيه هو وأسرته تبلغ ٥٢,٥ كيلوجرام، فهو بعيداً عن خط الفقر بل فوقه.

وبالنسبة لراتب البواب بوثيقة وقف الأمير يابغا ٧٦٥هـ، فقد بلغ راتبه ١٥ درهم<sup>(٣)</sup> وما يحتاجه لشراء ٥٢,٥ كيلوجرام من القمح يبلغ ٢٨,٧ درهم، وراتبه لا يكفي لشراء هذه الكمية من القمح فهو يقع تحت خط الفقر.

ومن خلال العرض السابق لمرتبات الموظفين والعاملين بالمنشآت المختلفة، نجد أن الوثائق المختلفة تضمنت معلومات متنوعة ومختلفة عن مقدار الرواتب لمختلف شرائح المجتمع الذين يمثلون عينات مختلفة من المجتمع المصري، وقد اختلفت المرتبات في وثائق وقف منشآت السلاطين عنها بمرتبات وثائق وقف الأمراء، فمرتبات الموظفين الذين يعملون بمنشآت السلاطين كانت أعلى من مرتبات الموظفين الذين يعملون بمنشآت الأمراء (في الشهر)، حتى أن راتب الوظيفة الواحدة كوظيفة الإمام اختلف راتبها من منشأة لأخرى كما سبق أن ذكرنا في جميع الوظائف السابق الحديث عنها، كوظيفة المؤذنين والكناسين والفراشين وغيرهم، والشئ الذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا هو أن تلك الوظائف لم يكن راتبها واحداً، فالوظائف العليا اختلفت رواتبها عن الوظائف البسيطة، فأصحاب الوظائف العليا كانوا يتقاضون رواتب مرتفعة، أما أصحاب الوظائف البسيطة فكان أصحابها يتقاضون رواتب بسيطة منخفضة لا يستطيعون بها مواجهة أعباء الحياة والمعيشة في أوقات الغلاء وحدوث الأزمات الاقتصادية، هذا وقد كان أصحاب الوظائف العليا ذات الرواتب المرتفعة يقومون بأعمال ذهنية وعقلية، أما أصحاب الوظائف البسيطة الذين يستخدمون قواهم العضلية والى تعتمد أعمالهم على أجسادهم فكانوا يتقاضون رواتب بسيطة قليلة، ونرى أن الكثير منهم كالفراشين والكناسين والبوابين والخدام كانوا تحت خط الفقر، ولا يستطيعوا مواجهة أعباء الحياة خاصة مع استمرار الغلاء والأزمات الاقتصادية.

(١) وثيقة وقف خانقاه بيرس الجاشنكير ٧٠٩هـ، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٢.

(٢) وثيقة وقف خانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ، الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٢، ص ٤١١-٤١٢.

(٣) وثيقة وقف الأمير يابغا بن عبد الله اتابك العسكر، ملحق برسالة سامح فهمي، القيم النقدية، ص ١٥٩.





جداول توضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

شكل (١)

جدول (١) يوضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر الأيوبي - الكيلو جرام/الدرهم									
السنة	590	592	592	595	596	597	617	627	628
سعر الكيلو جرام	1.4	0.3	0.2	1.09	1.3	1.09	0.6	2.05	0.6

شكل (٢)

جدول (٢) يوضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري - الكيلو جرام/الدرهم									
السنة	662	662	662	693	694	694	694	694	694
سعر الكيلو جرام	1.3	2.05	1.3	0.5	1.6	1.3	2.05	2.1	2.3

شكل (٣)

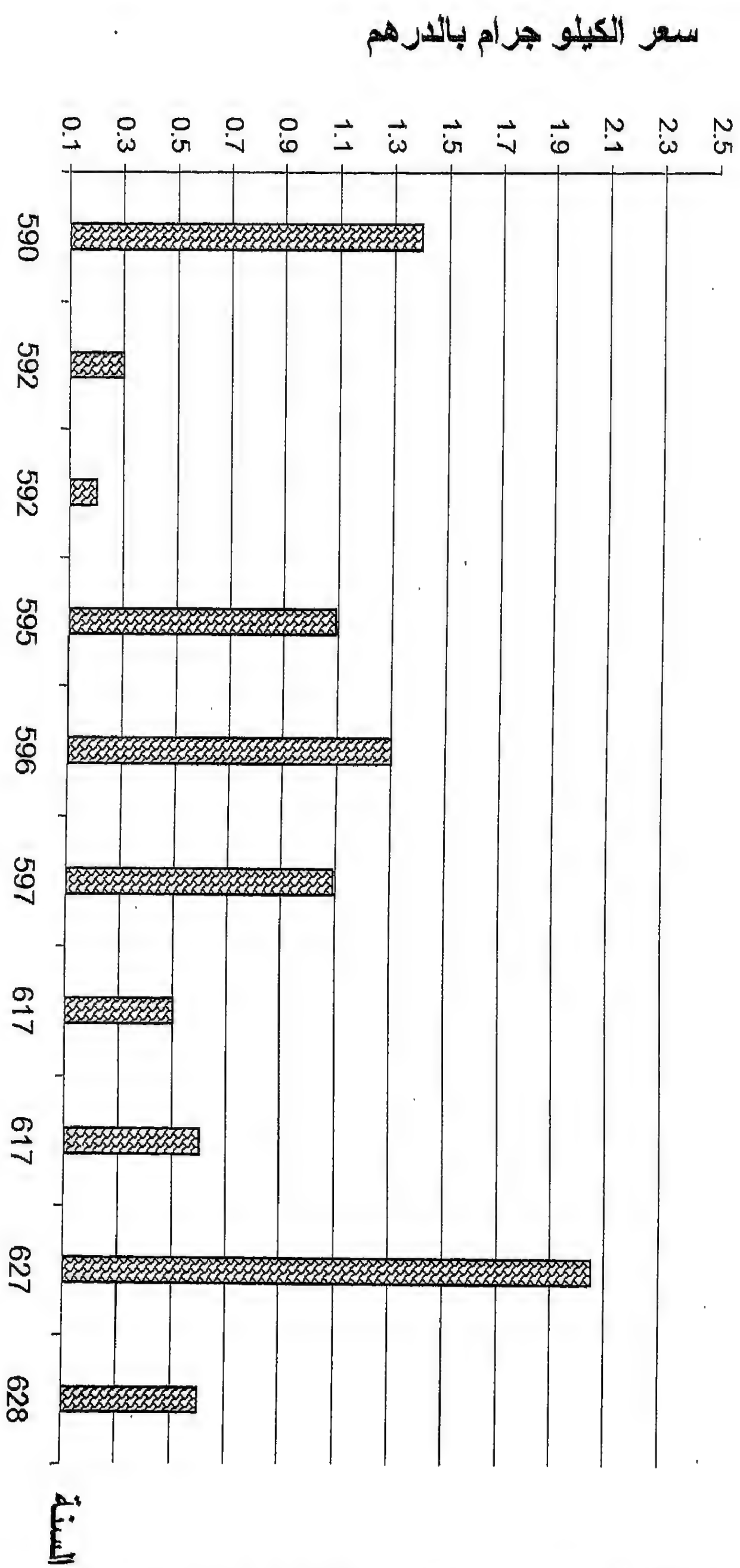
جدول (٣) يوضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري - الكيلو جرام/الدرهم									
السنة	695	695	695	695	696	696	699	703	707
سعر الكيلو جرام	2.1	2.4	2.5	2.2	2.3	2.3	2.1	0.5	0.6

شكل (٤)

جدول (٤) يوضح تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري - الكيلو جرام/الدرهم									
السنة	737	738	749	765	775	775	776	776	784
سعر الكيلو جرام	0.5	0.2	16.4	0.4	1.2	1.6	2.05	1.3	1.4



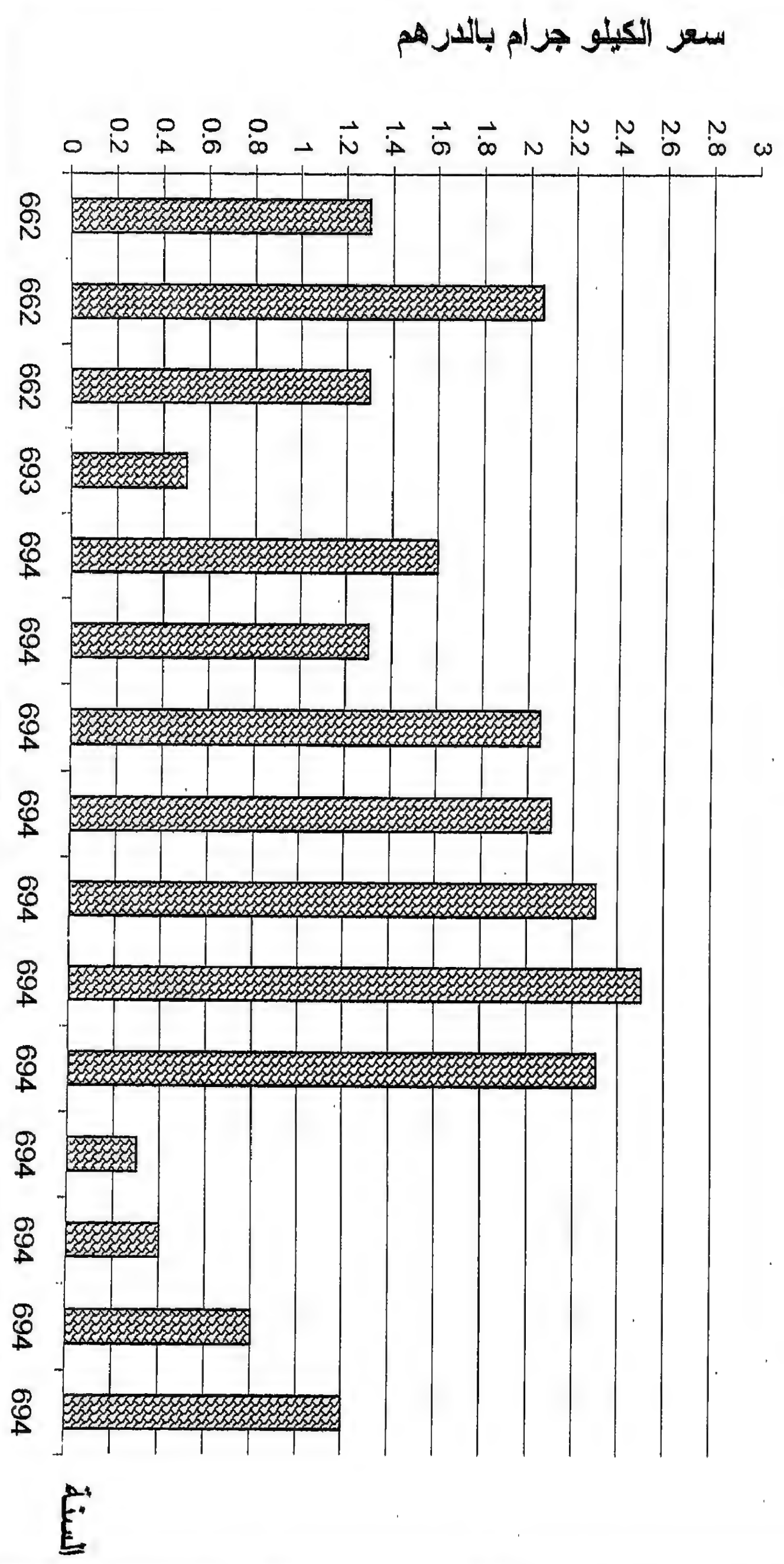
تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر الأيوبي (الكيلو جرام / الدرهم)



شكل (١)



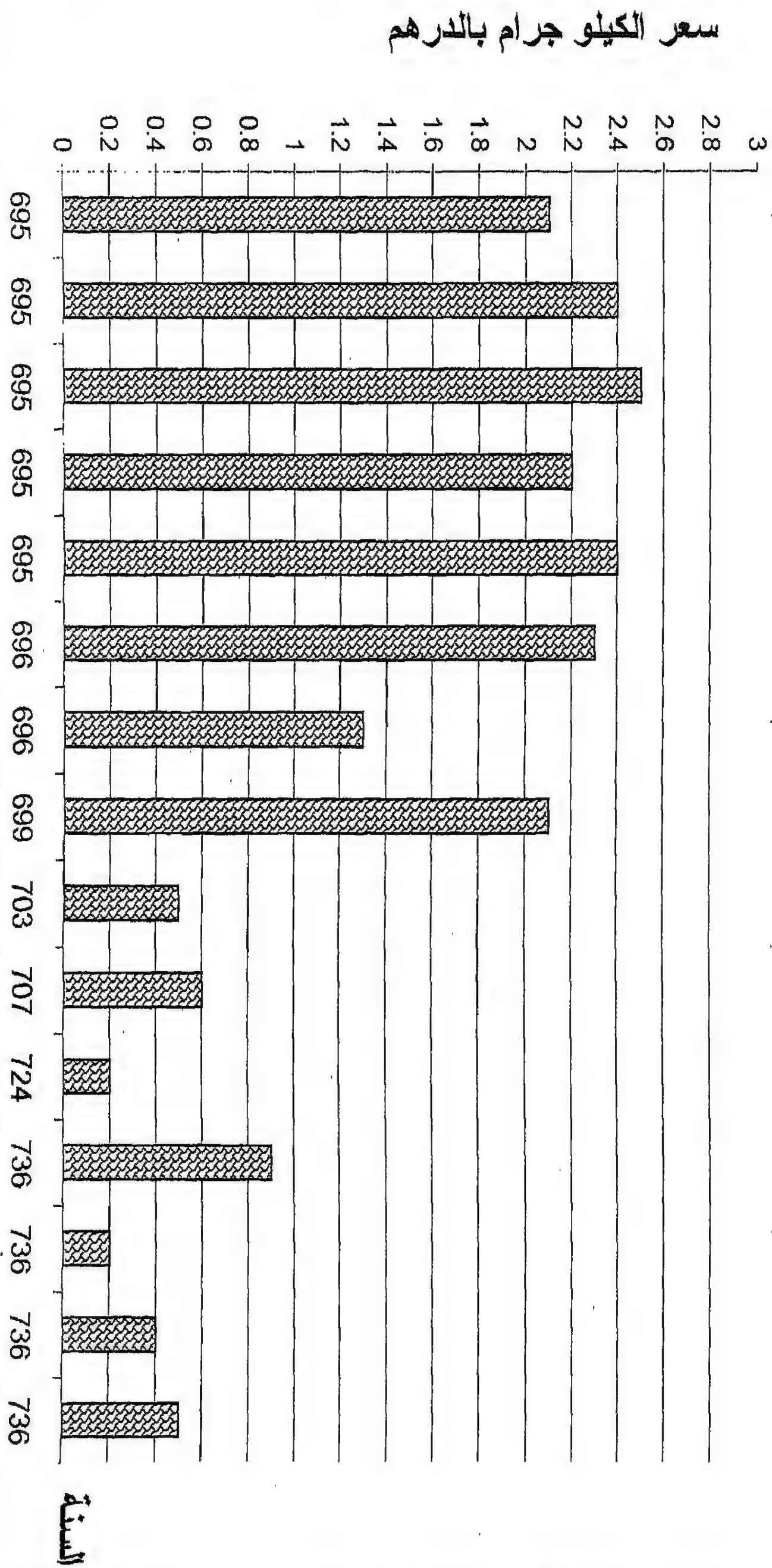
تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري  
(الكيلو جرام / الدرهم)



شكل (٢)



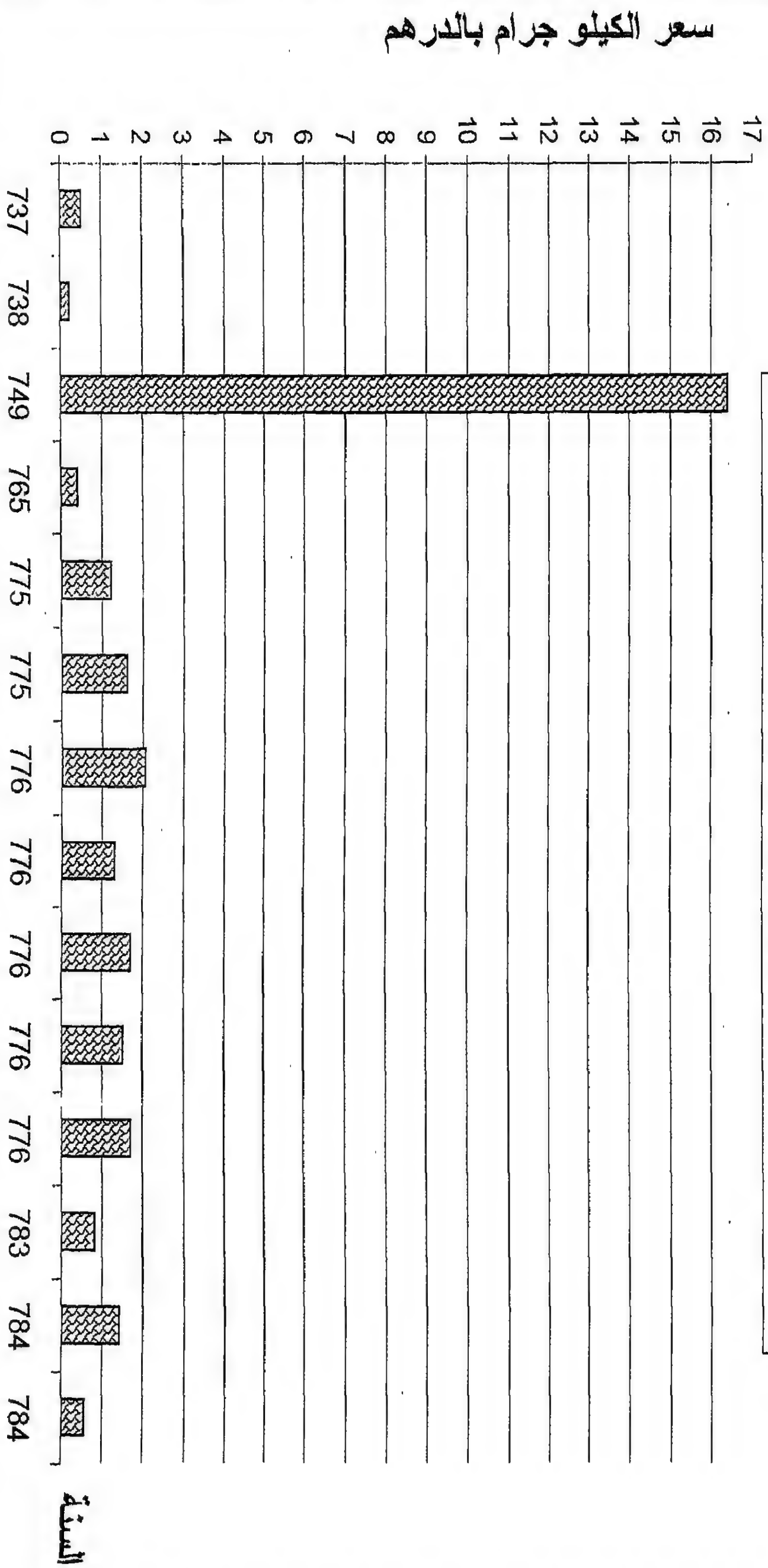
تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري  
(الكيلو جرام / الدرهم)







تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري  
(الكيلو جرام / الدرهم)





جداول تخفيض أسعار تطور مستويات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالبرواتب في العصر المملوكي البحري

الوظيفة				الإم		المقرئين		الوظيفة	
				(4)	(3)	(2)	(1)		
				725	709	703	693	السنة	
				20	45	80	30	الرواتب	
				12.2	35.8	28.7	28.7	ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر	

جدول (٢١)

- وثيقة وقف محمد نور الدين الصفحاني الرفاعي الخزرجي القاضي بئثر دمياط مؤرخة ١٥ صفر سنة ٦٩٣هـ عن د. سالمح فهمي، القيم التقديمية، ص ٦٨.
- المقريزي، الملوك، ج ١، ق ٢، ص ١٠٤.
- وثيقة وقف خانقاة بيرس الجاشنكير سنة ٧٠٩هـ ملحق برسالة دكتوراة عادل شريف علام، النصوص التأسيسية على العوامل الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط سنة ١٩٩٥، ص ٤٧٢.
- وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الملحق بكتايب ابن حبيب تذكرة النية، ج ٢، ص ٤٠٨.

الشيوخ			الوظيفة
(3)	(2)	(1)	
725	709	703	السنة
100	100	30	الرواتب
12.2	35.8	28.7	ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر

جدول (٢٢)

- وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، الملحق بكتايب المقريزي، الملوك، ج ١، ق ٢، ص ١٠٤٢.
- وثيقة وقف خانقاة بيرس الجاشنكير، سنة ٧٠٩هـ ملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٠.
- وثيقة وقف خانقاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسوهاج، سنة ٧٢٥هـ، الملحق بكتايب ابن حبيب تذكرة النية، ج ٢، ص ٤٠٨-٤٠٦.

الوظيفة				المقرئين		الوظيفة	
				(5)	(4)	(3)	(1)
				765	765	709	693
				15	10	30	10
				28.7	28.7	35.8	28.7
				ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر			

جدول (٢٣)

- وثيقة وقف الصفحاني الخزرجي، ملحق برسالة سالمح فهمي، القيم التقديمية، ص ٨١.
- وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتايب المقريزي، الملوك، ج ١، ق ٢، ص ١٠٤٢، ملحق ١٧.
- وثيقة وقف بيرس الجاشنكير، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٤٧٥.
- وثيقة وقف الأمير بلغا بن عبد الله أتابك العسكر المنصورة، سنة ٧٢٥هـ الملحق برسالة سالمح فهمي، القيم التقديمية، ص ١٨٢.
- وثيقة وقف الأمير بلغا بن عبد الله أتابك العسكر المنصورة، سنة ٧٢٥هـ الملحق برسالة سالمح فهمي، القيم التقديمية، ص ١٨٢.



تابع: جداول توضح أسعار تطور مستويات الأسعار من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب في العصر المملوكي البحري

الوظيفة	النظر		ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر
المعد	(2)	(1)	
(3)			
703	765	703	
30	90	300	
28.7	28.7	28.7	

- 1 وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقريري، الملوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٢، ملحق ١٧.
- 2 وثيقة وقف الأمير يلغا بن عبد الله أتابك العسكر المنصور، سنة ٧٦٥هـ، الملحق برسالة سماح قاضي القيم النخية، ص ١٨٢.
- 3 وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقريري، الملوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٧، ملحق ١٧.

جدول (٤)

الوظيفة	المؤنين		الريس	ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر
شاهد خزائن الكتب	(3)	(2)	(1)	
(4)				
703	725	709	703	
30	80	30	40	
28.7	12.2	35.8	28.7	

جدول (٥)

- 1 وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقريري، الملوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٢، ملحق ١٧.
- 2 وثيقة وقف خانقاه بيرس الجاشنكير، الملحق برسالة علان شريف، النصوص التأسيية، ص ٤٧٣.
- 3 وثيقة وقف خانقاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسر ياقوس، سنة ٧٢٥، الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النية، ج٢، ص ٤٠٩.
- 4 وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقريري، الملوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٦، ملحق ١٧.

الوظيفة	ساقى الساقية		المطبخ	ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر
الشاد	(3)	(2)	(1)	
(4)				
709	725	703	709	
90	30	30	15	
35.8	12.2	28.7	35.8	

جدول (٦)

- 1 وثيقة وقف بيرس الجاشنكير، الملحق برسالة علان شريف، النصوص التأسيية، ص ٤٧١.
- 2 وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، ملحق بكتاب المقريري، الملوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٧، ملحق ١٧.
- 3 وثيقة وقف خانقاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسر ياقوس، سنة ٧٢٥، الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النية، ج٢، ص ٤١٢.
- 4 وثيقة وقف خانقاه بيرس الجاشنكير، سنة ٧٠٩هـ، عن محمد أمين، الأوقاف، ص ٣٠٨.



تابع: جداول توضيح أسعار تطور مستويات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب في العصر المملوكي البحري

الوظيفة		الفراتين				
الوظيفة	الراتب	(1)	(2)	(3)	الراتب	الخدمة
				(4)	(5)	(6)
السنة		703	709	725	693	703
لأرواتب		53.6	15	20	10	40
ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر		28.7	35.8	12.2	28.7	35.8

جدول (٧)

- ١ وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، سنة ٧٠٢هـ، ملحق بكتاب المقريري، السلوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٢ ملحق ١٧.
- ٢ وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التلمينية، ص ٤٧٢.
- ٣ وثيقة وقف خانقاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدير ياقوس، سنة ٧٢٥هـ، الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٤١١.
- ٤ وثيقة وقف المنعالي الخزرجي، ملحق برسالة سامح فهمي، القيم النقدية، ص ٦٩.
- ٥ وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، سنة ٧٠٣هـ، ملحق بكتاب المقريري، السلوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٢ ملحق ١٧.
- ٦ وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التلمينية، ص ٤٧١.

جدول (٨)

البولين					الوظيفة	
(5)	(4)	(3)	(2)	(1)		
765	725	709	703	703	السنة	
15	20	12	20	30	الأرواتب	
28.7	12.2	35.8	28.7	28.7	ما يحتاج إليه لشراء القمح في الشهر	

- ١ وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون، سنة ٧٠٢هـ، ملحق بكتاب المقريري، السلوك، ج١، ق٢، ص ١٠٤٢ ملحق ١٧.
- ٢ وثيقة وقف خانقاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدير ياقوس، سنة ٧٢٥هـ، الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٤١١-٤١٢.
- ٣ وثيقة وقف خانقاه بيبرس الجاشنكير، الملحق برسالة عادل شريف، النصوص التلمينية، ص ٤٧٢.
- ٤ وثيقة وقف خانقاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدير ياقوس، سنة ٧٢٥هـ، الملحق بكتاب ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٤١١-٤١٢.
- ٥ وثيقة وقف الأمير بلغا بن عبد الله أتابك الصكر المنصورة، سنة ٧٦٥هـ، الملحق برسالة سامح فهمي، القيم النقدية، ص ١٥٩.





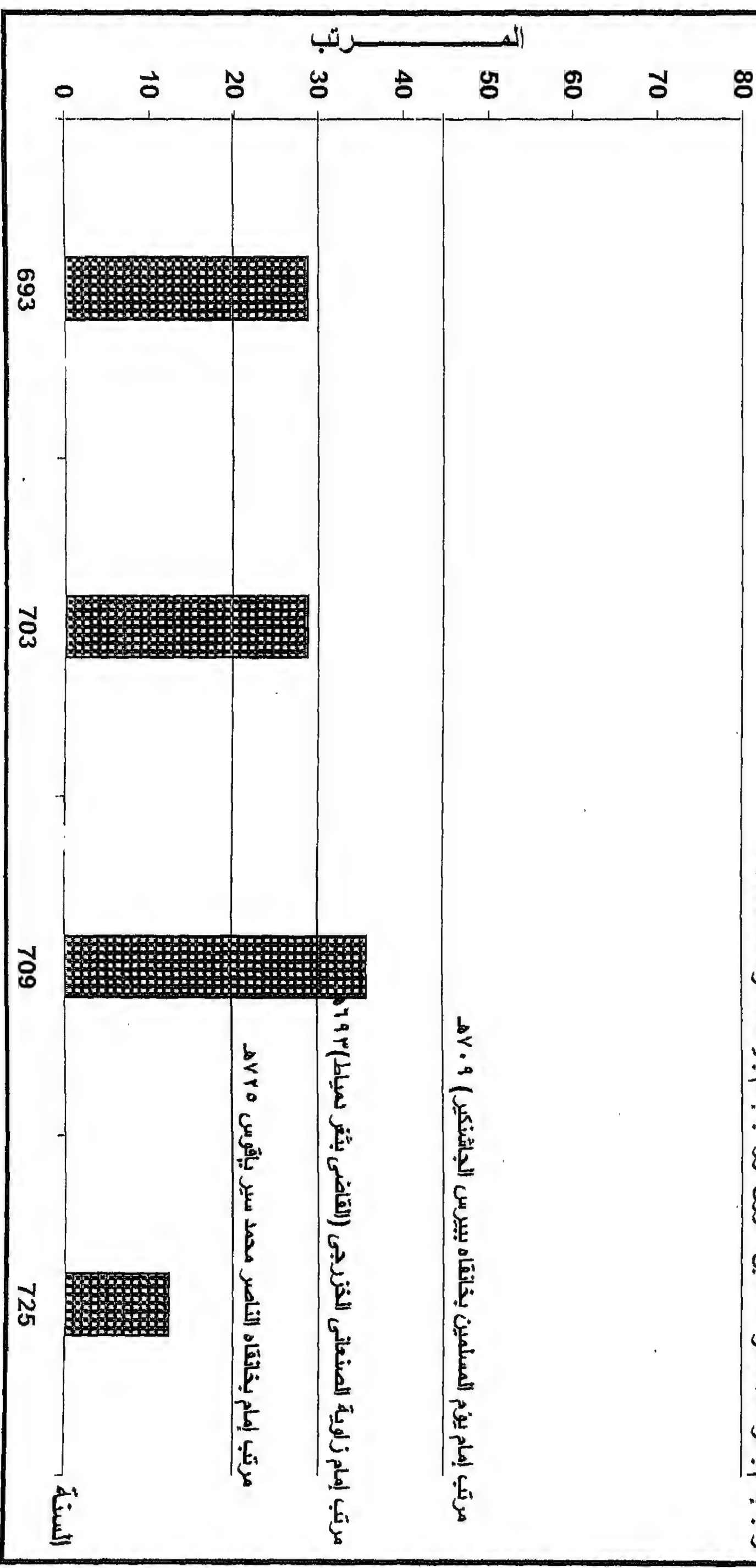
## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب

مرتبة إمام بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون، وراتب إمام بقية الناصر محمد ٧٠٣هـ

مرتبة إمام يؤم المسلمين بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٩هـ

مرتبة إمام زاوية الصنعاني للخرجي (القاضي بقر صباط) ٦٩٣هـ

مرتبة إمام بخانقاه الناصر محمد سير بياقوس ٧٢٥هـ



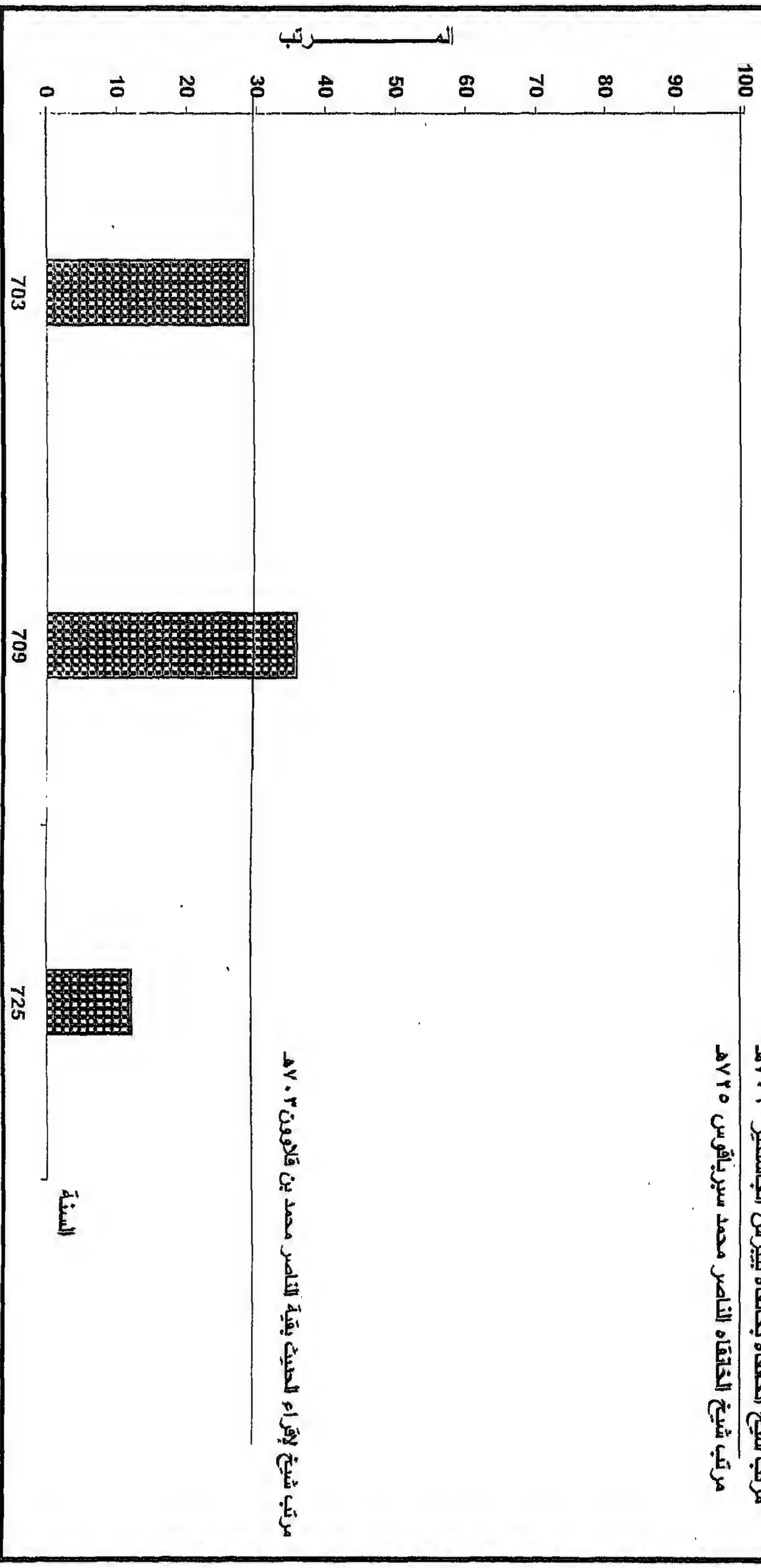
شكل (١)



## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب

مرتب شيخ الخلقاه بخلقاه ببيرس الجاشنكير ٥٧٠٩هـ

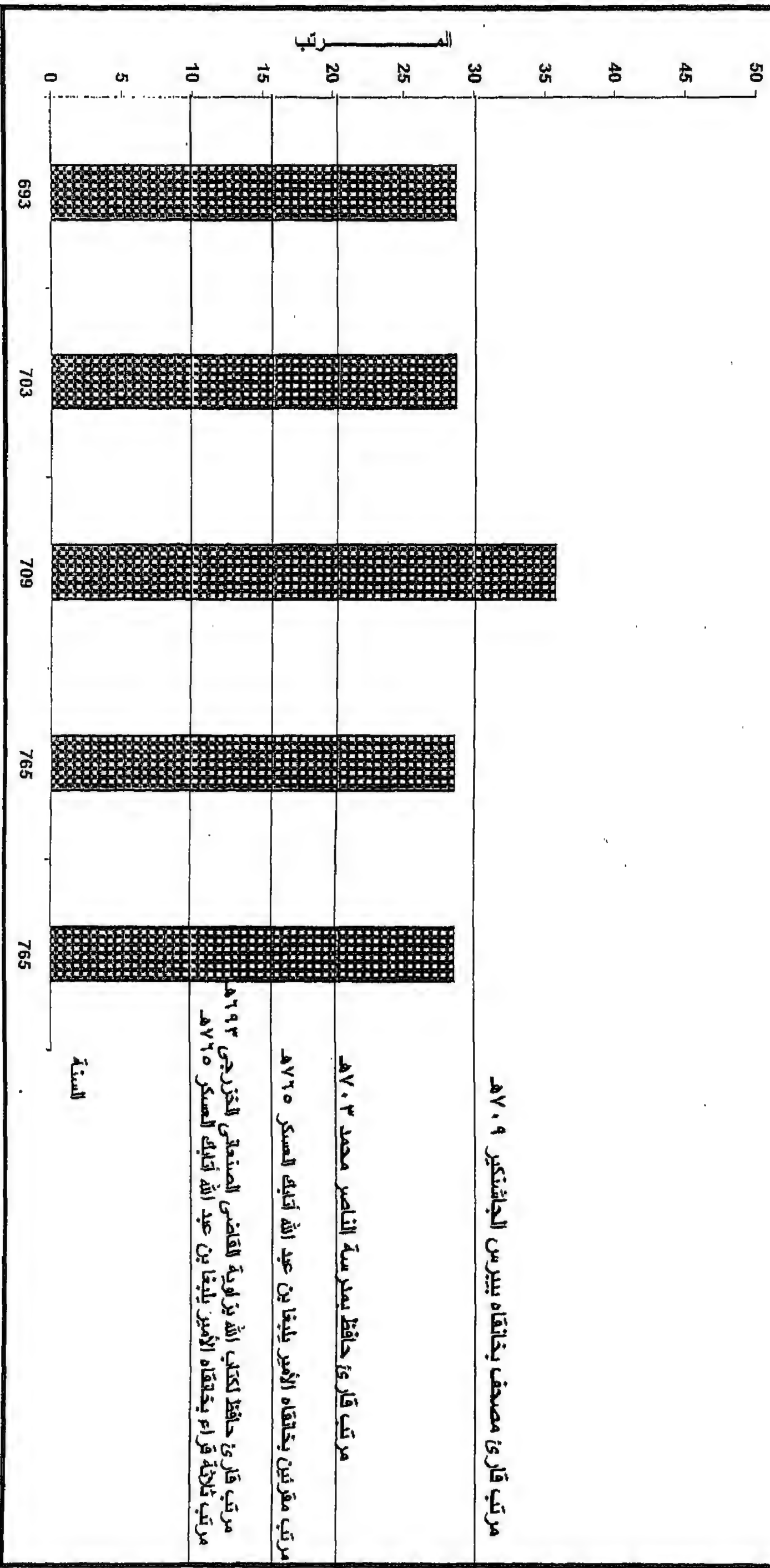
مرتب شيخ الخلقاه للناصر محمد سير ياقوس ٥٧٢٥هـ



مرتب شيخ لإقراء المحيط بقية الناصر محمد بن قلاوون ٥٧٠٣هـ



## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب

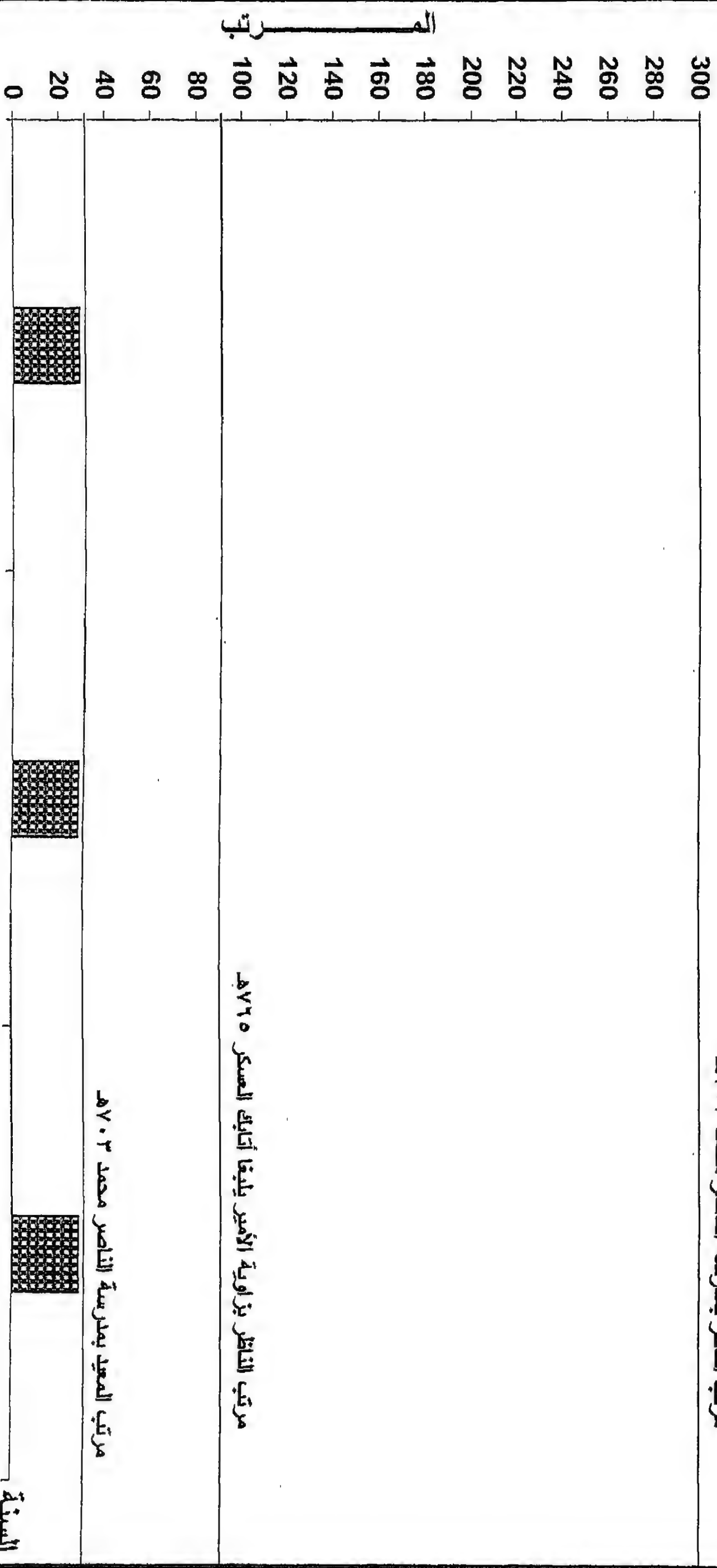


شكل (٣)



## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب

مرتب الناظر بمدرسة الناصر محمد ١٧٠٣هـ



مرتب الناظر بزاوية الأمير يلينا أتابك العسكر ١٧٢٥هـ

مرتب المعيد بمدرسة الناصر محمد ١٧٠٣هـ

شكل (٤)



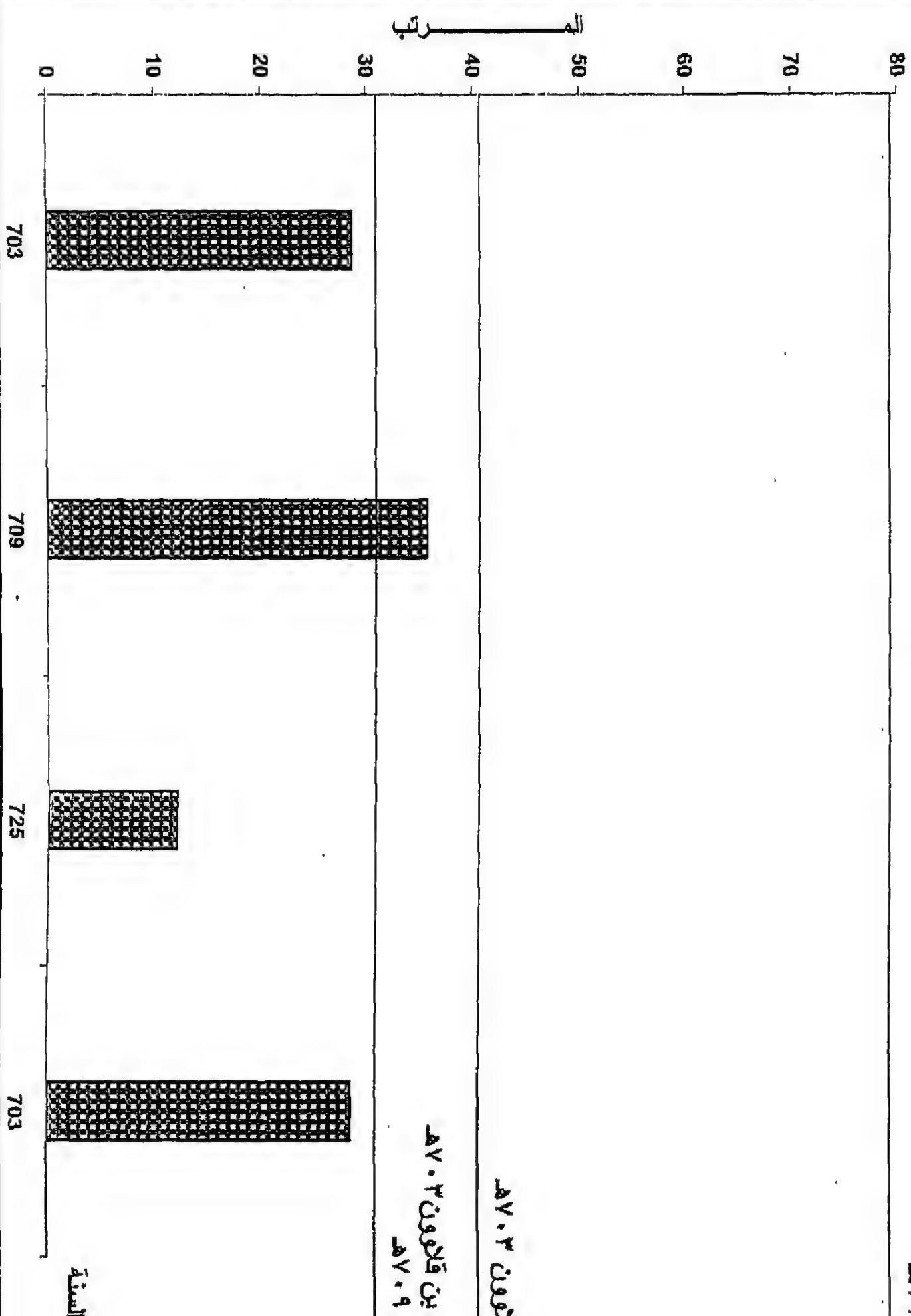


## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب

مرتبة مؤنن بخانقاة الناصر محمد بصر ياقوس ٨٧٢٥هـ

مرتبة ريس القبة بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٨٧٠٣هـ

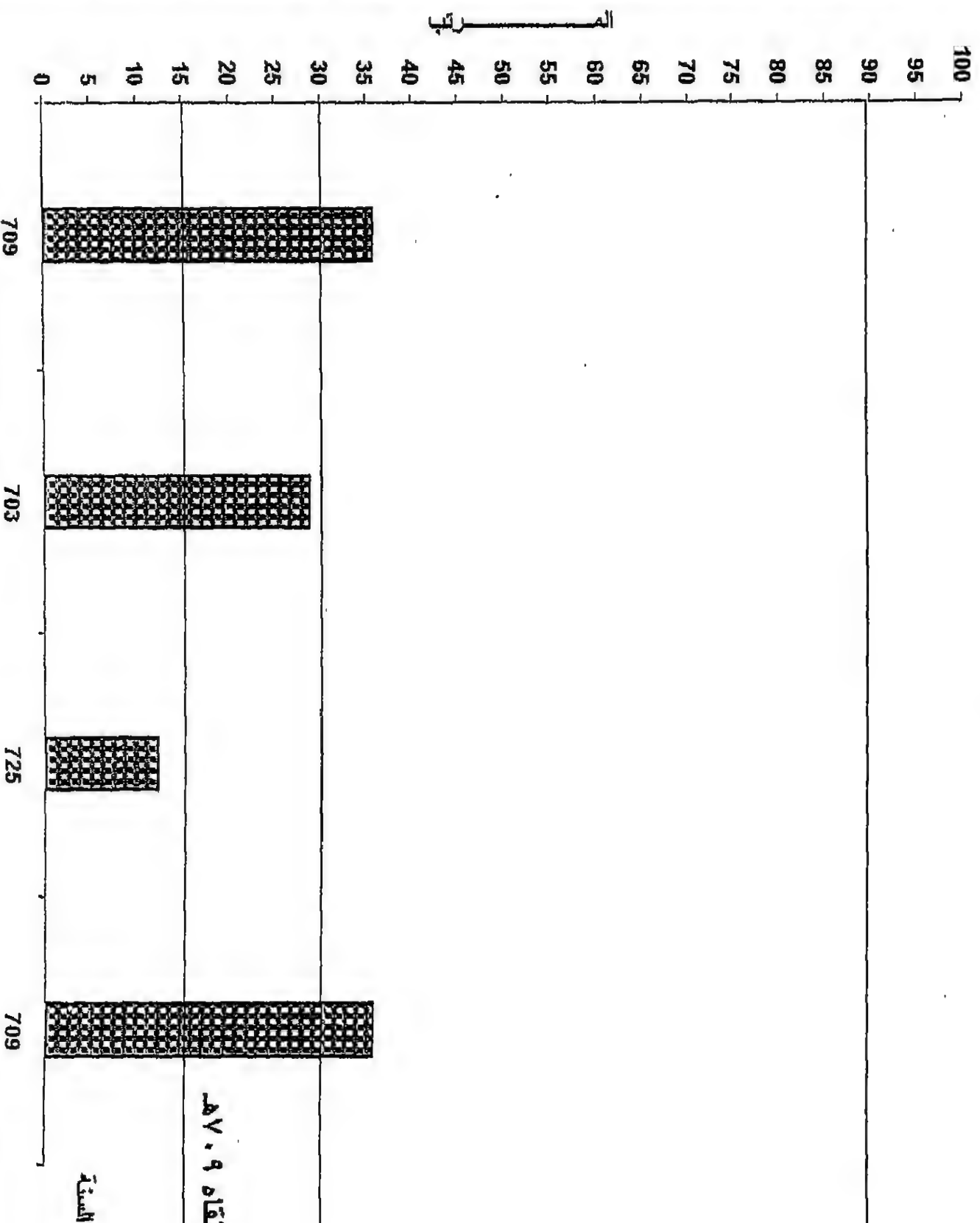
مرتبة شاهد خزانة الكتب بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٨٧٠٣هـ  
مرتبة مؤنن بخانقاه بيبرس الجاشنكير ٨٧٠٩هـ





## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب

مرتب شلا بخانقاه ببيرس الجاشنكير ٧٠٩هـ

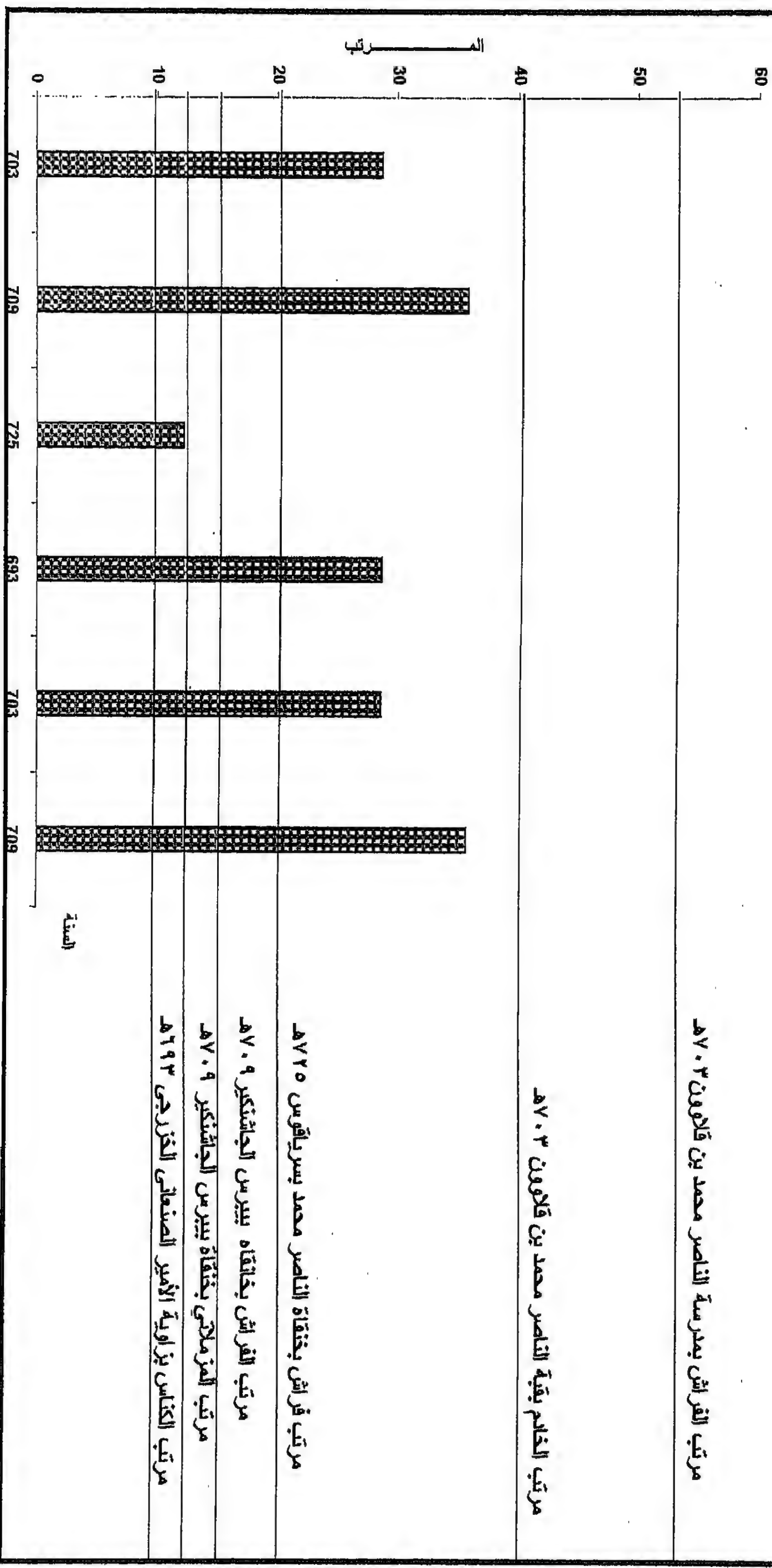


مرتب سواق سلقية بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٣هـ  
مرتب سواق سلقين بخانقاه الناصر محمد ببيرس باقوس ٧٢٥هـ

مرتب طباح بخانقاه ببيرس الجاشنكير، ومشرف طباح بنقس الخانقاه ٧٠٩هـ



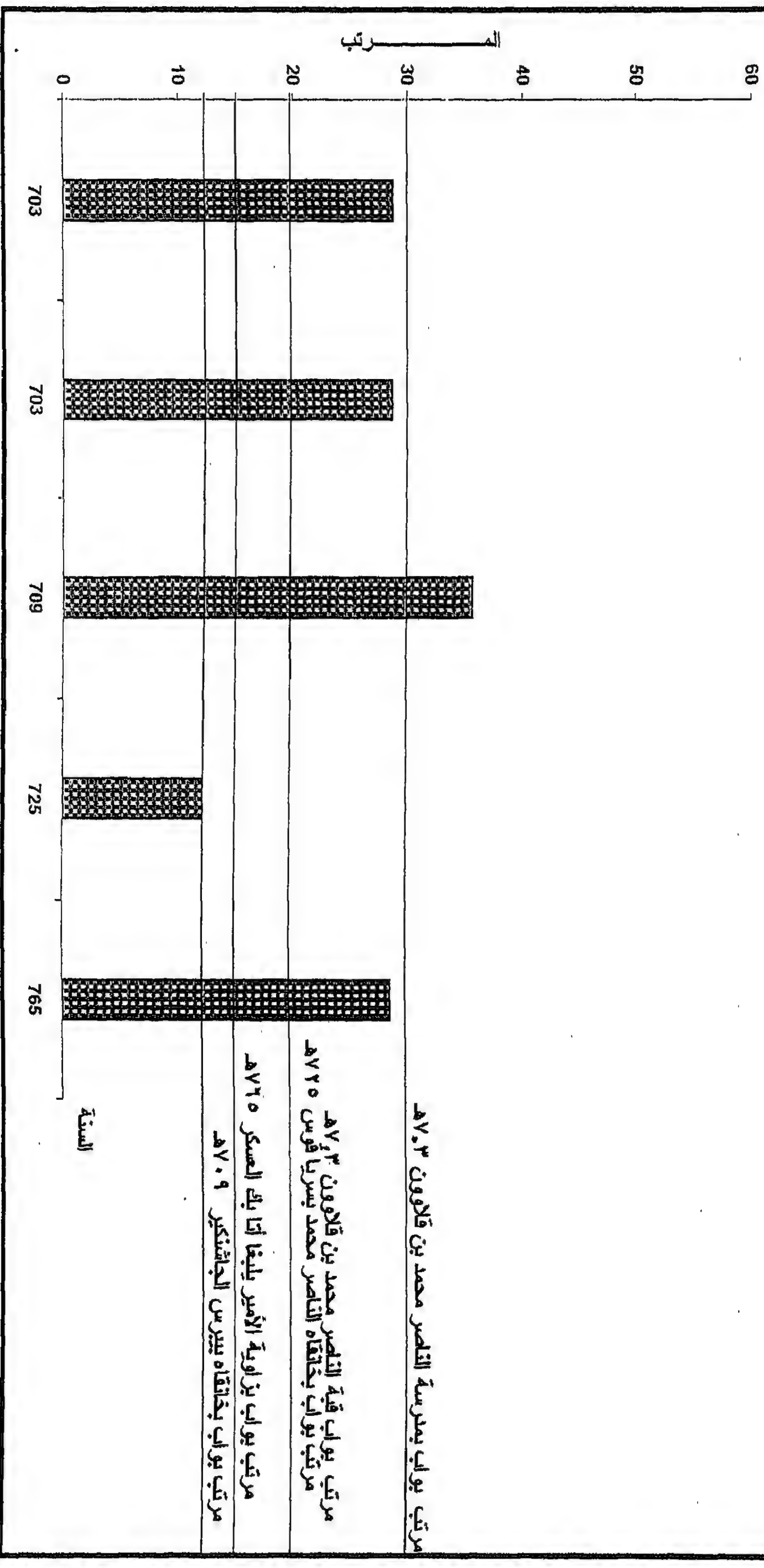
## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب



شكل (٧)



## أسعار تطور مستوى احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم وقياس ذلك بالرواتب







## الفصل الخامس

### تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة والفنون التطبيقية الإسلامية

- أولاً: تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة في العصر الأيوبي.
- ثانياً: تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة في عصر المماليك البحرية.
- تأثير الأزمات الاقتصادية على الفنون التطبيقية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري.
- الخزف - الفخار - المنسوجات - المعادن - الأخشاب - الزجاج.



## الفصل الخامس

### تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة والفنون التطبيقية الإسلامية

#### أولاً: تأثير الأزمات الاقتصادية على العمارة في العصر الأيوبي:

لاشك أن تاريخ العمارة في مصر الإسلامية يعد المرآة التي عكست بصدق كل تضاعيف وملامح صورة الحياة السياسية والاقتصادية وإلى مدى ارتباطها الشديد بأحداث العصر التي ترعرعت ونمت وتطورت من خلاله.<sup>(١)</sup>

فنجد أن الأمر في العصر الأيوبي اختلف عن العصر المملوكي البحري اختلافاً تاماً، حيث أن عمائر العصر الأيوبي اختلفت عن عمائر العصر المملوكي البحري، ففي العصر الأيوبي تنوعت العمائر ما بين حربية ودينية، ومدنية، لكن كان اهتمام الأيوبيين منصّباً على تشييد العمائر الحربية، فقد عكست الظروف السياسية والاقتصادية التي أحاطت بالدولة الأيوبية وتعرضها للحروب الصليبية والأخطار الداخلية والخارجية في آن واحد يكون العامل الأساسي هو تشييد الكثير من العمائر الحربية خاصة في مصر والشام<sup>(٢)</sup>، فشيدت القلاع، والأبراج والأسوار داخل البلاد وعلى حدود مصر، وفي الموالي كالإسكندرية ودمياط وبنيس والفرما وأشتوم والبرلس وبلبيس والسويس وشبه جزيرة سيناء وغيرها.<sup>(٣)</sup>

امتد حكم الأيوبيين لمصر ثمانين عاماً فقط، ورغم هذه المدة القصيرة، إلا أن القاهرة شهدت تطوراً معمارياً هائلاً في المنشآت الحربية والمدنية على السواء.<sup>(٤)</sup>

---

(١) أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ٢٠١.

(٢) مرفت عثمان حسن، التحصينات الحربية وأدوات القتال، ص ٥٩.

(٣) عبد الله كامل موسى، الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية في عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي بقنا، العدد الرابع، سنة ١٩٩٥م، ص ٢٤٥، اهتم المسلمون بأمور التحصينات الحربية على مر العصور الإسلامية نظراً لتعرض الأماكن الإسلامية في مصر مثل دمياط وبنيس والفرما وغيرها من الأماكن الحساسة التي يمكن أن تتعرض لهجوم الروم، ولكن يبدو أن الإجراءات الدفاعية التي اتخذت في ثغور مصر (دمياط، بنيس، الفرما، وغيرها) كانت إجراءات مؤقتة وليست دائمة إذ كانت تقل العناية بها بمجرد زوال خطر الروم الذين هاجموا دمياط وبنيس أكثر من مرة كان أخرها في عام ٣٥٧هـ/٩٦٧م، راجع: المقرئزي، الخطط، ج١، ص ١٧٦-١٨٢، علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج١١، ص ٣٧.

(٤) أحمد فكري، خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب

سنة ١٩٧٠م، ص ١٦٣.



## العمارة الحربية:

هاجم الصليبيون<sup>(١)</sup> مصر وغزوها عدة مرات سواء عن طريق البحر أو البر، فقد كان لنشاطهم البحري دوراً كبيراً في البحر المتوسط، من هنا كان لابد من الاهتمام والعناية بالتحصينات الحربية بالشغور المصرية، ففي عهد الخليفة الأمر الفاطمي ٥١٧هـ / ١١٢٣م، حدثت تجديدات في سور الإسكندرية، بالإضافة إلى التجديدات التي حدثت في عهد الصالح طلائع في مدينة بليس ٥٥٤هـ / ١١٥٩م، وقد أورد المقرئزي ما نصه: "وفي سنة أربعة وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك على بليس حصن من لبن"<sup>(٢)</sup> ونظراً لقوة تحصين هذه المدينة وصمود شيركوه الذي تحصن بها في خلال مهاجمة الصليبيين لمصر فقد صمدت المدينة ثلاثة شهور أمام حصار الصليبيين لها، حتى اضطر إلى فك الحصار والعودة إلى بلادهم.<sup>(٣)</sup>

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة كانت أولى الحملات الصليبية على مصر في وزارته عام ٥٦٦هـ / ١١٦٩م، من هنا أسرع صلاح الدين بالاهتمام بالتحصينات الحربية بمصر، بعد أن أدرك صعوبة الدفاع عن القاهرة والفسطاط في وقت واحد<sup>(٤)</sup> وذلك بعد أن هاجم الصليبين القاهرة وأدركوا ضعف تحصيناتها الحربية.<sup>(٥)</sup>

---

(١) مع مجيء الصليبين إلى الشرق خاصة الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٧م، كانت ظاهرة بناء القلاع والحصون في الغرب الأوروبي أخذت تنمو وتتطور في ظل النظام الإقطاعي حتى أطلق على ذلك العصر اسم عصر القلاع، راجع: عبد الرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر، القاهرة سنة ١٩٦٩م، ص ٥١. وقد شيد بلديون أول ملوك بيت المقدس الصليبية (٤٩٤-٥١١هـ / ١١٠٠-١١١٧م) قلعة حصينة في أيلة للتحكم في الطريق البري للقوافل بين مصر والشام، هذا بالإضافة إلى تشييد قلعة أخرى في جزيرة فرعون أمام قلعة أيلة في خليج العقبة... وقد شهدت هذه المرحلة تقدماً كبيراً في تشييد الحصون والقلاع في الحروب الصليبية خاصة بعد سقوط بيت المقدس للمحافظة على المملكة اللاتينية، راجع: عبد الرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص ٦٦-٦٧، سعيد عاشور، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السادس عشر ١٩٦٩م، ص ٣٥-٣٦.

(٢) عن بليس أنظر: المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ١٨٣-١٨٤، وقد ذكر على مبارك في كتابه الخطط التوفيقية، ج ٩، ص ٧٠-٧٥، أن مادة البناء الرئيسية في بليس سواء الحربية أو غيرها كانت من اللبن.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ١٣١-١٣٢، جمال الدين الشيال، المجلد في تاريخ دمياط، ص ٢١٦-٢١٨.

(٤) Lane- Poole(s), A History of Egypt in the Middle Age, London, 1901, p. 195.

(٥) عبد الله كامل موسى، الاستحكامات الحربية، ص ٢٥٦.



ويمكن القول أن أهم العمائر الحربية التي تمت في عهد الأيوبيين هي السور الذي أمر السلطان صلاح الدين ببنائه عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م على القاهرة والقلعة، ومصر... فتولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، وشرع في بناء القلعة، وحفر حول السور خندقاً عميقاً وحفر واديه وضيق طريقه<sup>(١)</sup> وقد ذكر المقرئ في خطه قائلاً: "اعلم أن القاهرة مذ (منذ) أسست عمل سورها ثلاث مرات، الأولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناه الأمير الخصي بهاء الدين قراقوش الأسدي في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة"<sup>(٢)</sup> وفي عام ٥٧٧هـ/١١٨١م شرع الأمير بهاء الدين قراقوش في حفر خندق حول السور حتى لا يسهل مهاجمته من الخارج<sup>(٣)</sup> غير أن سور القاهرة لم يكتمل بنائه في عهد السلطان صلاح الدين<sup>(٤)</sup>، يبدو أن عدم اكتمال بناء السور في عهد صلاح الدين يرجع إلى أن الحروب التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين قد استنزفت أموالاً طائلة من ميزانية الدولة مما أخر عليه بناء بعض المنشآت<sup>(٥)</sup>، ومن الأسوار الأخرى التي بنيت في العصر الأيوبي السور الذي أقامه الملك الصالح نجم الدين أيوب حول قلعة جزيرة الروضة، وكان محكم البناء<sup>(٦)</sup> هذا وتحتوي أسوار صلاح الدين على مجموعة من الأبراج والأبواب<sup>(٧)</sup>، إلى جانب أسوار القاهرة كانت هناك قلعة صلاح الدين بالقاهرة (قلعة الجبل) فقد بناها أيضاً صلاح الدين وخلفائه من الأيوبيين، ذلك لأن التجارب الحربية دلت أكثر من مرة على ما تقوم به القلاع من دور حاسم وفاصل في المعارك الحربية، حين تسقط المدينة وتظل قلعتها على المقاومة<sup>(٨)</sup> حتى ييأس المحاصرون لها ويرفعوا عنها الحصار<sup>(٩)</sup> وقد

(١) المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٦٣.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٧٧.

(٣) المقرئ، المصادر لفسه، ص ٣٧٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٧٨.

(٤) مزيد من التفاصيل أنظر: الأنصاري الدمشقي، لحة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٢٣م، ص ٢٣٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٥٠، المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٨٠.

(٥) عيد محمد علي أبو زيد، مجتمع القاهرة في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها، سنة ١٩٩٣م، ص ٢٨٧، مرفت عثمان حسن، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٦) عيد محمد علي أبو زيد، مجتمع القاهرة في العصر الأيوبي، ص ٢٩٢.

(٧) عن أسوار صلاح الدين وأبراجها وأبوابها. راجع: أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٢.

(٨) د. أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، الطبعة الأولى، القاهرة سنة ١٩٩٧، ص ٢٩.

(٩) حسني لوبصر، دراسات في عمائر الأيوبيين والمماليك، ص ٩.





اختار صلاح الدين موقعاً متميزاً لبناء القلعة على نشر عال<sup>(١)</sup> من جبل المقطم<sup>(٢)</sup> أي أن القلعة بنيت على أحد الهضاب العالية التي على امتداد الجهة الشرقية من القاهرة ويفصل بينها وبين جبل المقطم حالياً شارع صلاح سالم<sup>(٣)</sup>، وقد بنى صلاح الدين هذه القلعة لتكون مقراً ومركزاً للجنود، وخزن السلاح، والتدريب على القتال، وهو الغرض الأساسي من بناء القلاع<sup>(٤)</sup> وقد كانت هذه القلعة جزءاً من المشروع الكبير لصلاح الدين، وهذا المشروع كان الغرض منه إحاطة مصر والقاهرة بسور لتحصين القاهرة ضد أي غزو خارجي متوقع من الصليبيين، أو من منافسيه<sup>(٥)</sup>، وعندما تولى الملك الكامل الأيوبي<sup>(٦)</sup> الحكم أكمل بناء القلعة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م<sup>(٧)</sup> وتحول إليها من دار الوزارة الفاطمية<sup>(٨)</sup> وهو أول من سكنها<sup>(٩)</sup>، بالإضافة إلى القلاع الأخرى التي بنيت على

---

(١) العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققه د. أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ص ٧٩.

(٢) تطل قلعة الجبل على ميدان صلاح الدين وقد عرف بميدان الرملة السلطاني أو ميدان القلعة وسمي أيضاً قره ميدان أي الميدان الأسود، وكان في الجزء الشمالي من سوق الخيل تجاه مدرسة السلطان حسن وتعرف الرملة اليوم بالمنشية، لمزيد من التفاصيل راجع: المقريري، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٤، المقريري، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٦٣، عبد الرحمن زكي، قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار، ص المقدمة.

(٣) أمال العمري، على الطائش، العمارة في مصر الإسلامية (العصر الفاطمي والأيوبي)، القاهرة سنة ١٩٩٦ م، ص ٤٤، عن قلعة الجبل، أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٨.

(٤) أمال العمري، على الطائش، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٥) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٦) حكم السلطان الكامل مصر من سنة ٥٩٦-٦١٥ هـ / ١١٩٩-١٢١٨ م باسم السلطان العادل ثم من سنة ٦١٥-٦٣٥ هـ / ١٢١٨-١٢٣٨ م باسمه الشخصي، راجع: أمال العمري، على الطائش، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٥٣-٥٤، حاشية (١)، المقريري، الخطط، ج ٢، ص ٢٠١، عبد الرحمن زكي، قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول، القاهرة سنة ١٩٥٠ م، ص ٣-٨، أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني، ص ٢٩.

(٨) المقريري، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٦٩، جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، نقله إلى العربية، د. أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨، ص ٢٩-٣٠.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٨، المقريري، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٦٧-١٦٩، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٤١، أحمد فكري، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس-أبريل سنة ١٩٦٩ م)، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب، سنة ١٩٧٠ م، ص ١٦٣.



الثغور مثل قلعة البرلس<sup>(١)</sup> وقلعة المقس<sup>(٢)</sup> هذا إلى جانب تحصين مدينة تنيس، وعمارة قلعتها<sup>(٣)</sup> وإنشاء حصن المنصورة<sup>(٤)</sup> الذي شيده الملك الكامل عام ٦١٦هـ/١٢١٩م.

وقد شهدت مدينة المنصورة إهمالاً كبيراً عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، وعندما تولى الصالح نجم الدين أيوب الحكم، اهتم بمدينة المنصورة، وشرع في تجديد أبنيتها وإصلاح سورها، فعمرت المنصورة وأصبحت رباطاً جهادياً هاماً ضد الصليبيين<sup>(٥)</sup> بعد أن شهدت إهمالاً كبيراً<sup>(٦)</sup>

إلى جانب تحصين مدينة دمياط التي لعبت دوراً فعالاً في الحروب الصليبية خاصة الحملة الصليبية الخامسة ٦١٥-٦١٦هـ/١٢١٨-١٢١٩م<sup>(٧)</sup> هذا بالإضافة إلى بناء مدينة العادلية التي شيدها السلطان العادل ٦١٤هـ/١٢١٧م جنوب دمياط وشحنها بالمقاتلين استعداداً لمقدم الصليبيين إلى مصر من ناحية البحر، فأصبحت من ذلك الوقت مدينة جهادية عسكر فيها السلطان الكامل

---

(١) بنت الدولة الأيوبية قلعة بقرية البرلس على شاطئ البحر، فبعد ذلك عرفت قرية البرلس باسم البرج، واختفى اسمها الأصلي إلا أن البرلس لا تزال علماً على إقليم البرلس. راجع: النويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، هامش (١)، ص ١٠١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، حاشية (١)، ص ٢٤٨.

(٢) ذكر المقرئ أن صلاح الدين أمر بهاء الدين قراقوش ببناء برج كبير على النيل عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م، وكان يقع في محل قطرة الخلفاء بجوار جامع المقس في نهاية سور القاهرة عند باب البحر، ويقال له قلعة المقس. راجع: المقرئ، الخطط، جـ ١، ص ٣٨٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٤، حاشية (٤)، ص ٣٩. لكن هذا البرج نشف في سنة ليف وثمانين وستمالة ومحل اليوم المكان القائم عليه عمارات الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان. راجع: الدواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٤١-٤٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٤، حاشية (٤)، ص ٣٩.

(٣) قيل أن سبب هذه العمارة هو خوف أهل تنيس من الإقامة بها نظراً لضعف تحصيناتها الحربية، هذا وقد تم نقل أهل تنيس إلى دمياط. راجع: المقرئ، الخطط، جـ ١، ص ١٨١، ولكن في عهد الملك الكامل أمر بتخريب مدينة تنيس خوفاً من مجيء الصليبيين إليها. راجع: عبد الله كامل موسى، الاستحكامات الحربية، ص ٢٦٤، "فخربت أركانها الحصينة وعمائرها المكيئة ولم يكن بديار مصر أحسن منها، واستمرت من حينئذ خراباً". راجع: المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٢٤.

(٤) سمي هذا الحصن بالمنصورة نتيجة انتصار الملك الكامل على الصليبيين على حد قول المقرئ، راجع: المقرئ، الخطط، جـ ١، ص ٢٣١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، حاشية (١)، ص ٢٣١.

(٥) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٧٠.

(٦) المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٣٣٧.

(٧) مزيد من التفاصيل راجع: مرفت عثمان حسن، المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.



٦١٥هـ/١٢١٨م ليعبر عساكره منها إلى دمياط لمنع الصليبيين من دخولها<sup>(١)</sup> هذا إلى جانب التحصين الحربي للإسكندرية وشبه جزيرة سيناء.<sup>(٢)</sup>

هذا وقد أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب مدينة الصالحية عام ٦٤٤هـ/١٢٤٧م<sup>(٣)</sup> لتكون حماية لمصر ودرعاً لها<sup>(٤)</sup> إلى جانب قلعة جزيرة الروضة التي أنشأها الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٨هـ/١٢٤٠م<sup>(٥)</sup> والتي عرفت بقلعة الجزيرة<sup>(٦)</sup> وبقلعة الصالحية<sup>(٧)</sup> وبقلعة جزيرة القسوط<sup>(٨)</sup> وبقلعة الجيزة كما ذكرها أبو الفدا<sup>(٩)</sup> كما عرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة<sup>(١٠)</sup> وألفق عليها أموالاً جمة<sup>(١١)</sup> وفي ذلك يذكر ابن كثير "بني الصالح أيوب قلعة بالجزيرة غرم عليها شيئاً كثيراً من بيت المال"<sup>(١٢)</sup>، وبعد إتمام بناء القلعة اتخذها الملك الصالح سكناً له كما أسكن فيها مماليكته

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٦٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن تحصين الإسكندرية وشبه جزيرة سيناء، راجع: ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، ص ١٩٩، أبو شامة، الروضتين، ج ١، ق ٢ ص ٤٨٦، السيد سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م، دار المعارف بمصر، ص ص ٦٥-٦٦، جمال الدين الشبال، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، الإسكندرية، سنة ١٩٦٦م، أحمد قدرى، آثار سيناء، مطبعة هيئة الآثار المصرية سنة ١٩٨٦، أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، سنة ١٩٧٧م، عنه أنظر:

- Hassan Sadik. Bulletin de l'institut d'Egypt. Tome II, 1920, p. p. 111-119.

(٣) شيد الملك الصالح نجم الدين أيوب مدينة الصالحية في أول الصحراء التي تفصل بين مصر والشام لتكون نقطة أمامية للدفاع عن الأطراف المصرية ضد ما شاع وقتذاك من قرب وصول حملة صليبية إلى مصر عن طريق البر، حيث تكون في مواجهة أي هجوم صليبي يفد من الجهات الشرقية، هذا بالإضافة إلى أنه أصبح للصالحية أهمية كبيرة خاصة للطريق البري الذي يربط القاهرة ودمشق ويسلكه المسافرون، لمزيد من التفاصيل عن مدينة الصالحية أنظر: د. محمد محمد أمين، السلطان الصالح نجم الدين أيوب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٦٨م، ص ١٨٥، نقلاً عن عبد الله كامل موسى، الاستحكامات الحربية، ص ٢٦١، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٧٠.

(٤) مرفت عثمان حسن، المرجع السابق، ص ٨٢.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢٧٧.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٢٠، عبد الرحمن زكي، موسوعة الجيوش (الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي إلى معركة المنصورة)، القاهرة سنة ١٩٧٠م، ص ٨٠.

(٧) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج ٦، هامش (٣)، ص ص ٣٢٠-٣٢١، المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٨) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ص ٣٢٠، عبد الرحمن زكي، معركة المنصورة وأثارها في الحروب الصليبية، أبريل سنة ١٩٦٠م، ص ١٥٣.

(٩) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ص ١١٩.

(١٠) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٠١.

(١١) المقرئزي، الخطوط، ج ٢، ص ١٨٣، حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٧٠.

(١٢) ابن كثير الإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفي سنة ٧٧٤هـ، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٣، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٥٨هـ، ص ٣٠١.



وعدهم ألف مملوك<sup>(١)</sup>، وقد ظلت قلعة الروضة عامرة حتى زالت دولة بني أيوب عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، فقد خربت القلعة ولم يبق منها سوى أبراج.

## العمارة الدينية:

عندما قامت الدولة الأيوبية أخذت على عاتقها منذ عهد صلاح الدين الأيوبي محور أثر المذهب الشيعي من البلاد، ونشر المذهب السني<sup>(٢)</sup>، اقتضى ذلك إنشاء مجموعة من المدارس لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، وقد كانت هذه المدارس في الواقع فتحاً جديداً في العمارة القاهرية<sup>(٣)</sup> وقد أنشئ عدد كبير من هذه المدارس في القاهرة ومصر والفسطاط فيما بين قيام الدولة الأيوبية وانهائها<sup>(٤)</sup> حيث وجد صلاح الدين أن مبادئ الشيعة لا زالت متغلغلة في النفوس فوطد العزم على أن يعيد للبلاد إيمانها وثقتها بالدين الحنيف<sup>(٥)</sup>، فعمل صلاح الدين على القضاء على مذهب الشيعة وإنعاش مذهب أهل السنة، فبنى المدارس لفقهاءها، وكان للمذهب الشافعي الحظ الأكبر من العناية فخص به القضاء لكونه مذهب الدولة<sup>(٦)</sup>، ووجه الأيوبيون اهتمامهم في الأساس إلى إنشاء المدارس التي أقام صلاح الدين عدداً كبيراً منها في الفسطاط، كما أقام خلفاؤه في القاهرة عدداً منها والتي كانت ضرورية لإتمام الإصلاح السني ومحاربة الدعوة الفاطمية والمذهب الشيعي، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأها الأيوبيون في القاهرة والفسطاط نحو ٢٣ مدرسة لم يحافظ عليها الزمن، وإن أبقى على بعض بقايا منها مثل دار الحديث الكاملية، والمدارس الصالحية، بالإضافة إلى قبة الإمام الشافعي وقبة الخلفاء العباسيين، وقبة الصالح نجم الدين أيوب، وقبة شجر الدر، وباب وإيوان الثعالبية، ومنذلة زاوية الهنود ومنذلة المشهد الحسيني<sup>(٧)</sup>، هذا وقد كانت المدرسة الناصرية أولى المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي، عندما كان وزيراً للخليفة

---

(١) المقرئزي، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٣٤١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، حاشية (٣)، ص ٣٢٠-٣٢١.  
(٢) د. عبد الرحمن فهمي، العمارة في عصر المماليك، مقال في كتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، ص ٢٣٠، توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، (العصور المتوسطة الأوربية والإسلامية)، ج ٢، سنة ١٩٦٩م، ص ٢٣٦.

(٣) عبد الرحمن فهمي، المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

(٤) المدارس هي مؤسسات دينية تعليمية تجمع وظيفتها بين وظيفة المسجد الدينية ووظيفة المدرسة التعليمية، وهي بدورها تسرث سوري استمد من الطراز السلجوقي في إيران، أي أنهم استمدوا نظام المدارس من سوريا. راجع: حسن الباشا، موسوعة العمارة الآثار والفنون الإسلامية، المجلد الأول، أوراق شرقية، ط ١، سنة ١٩٩٩م، ص ٣١٤-٣١٥.

(٥) توفيق عبد الجواد، المرجع نفسه، ص ٣١١.

(٦) كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ط ٣، سنة ١٩٨٧م، ص ٣٢.

(٧) د. أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، ط ١، سنة ١٩٩٧، الدار المصرية اللبنانية، ص ٣٠.





العاقد عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م وهي أول مدرسة عملت بديار مصر<sup>(١)</sup> وكانت للشافعية<sup>(٢)</sup> وفي نفس العام ٥٦٦هـ/١١٧٠م شرع صلاح الدين في إنشاء مدرسة أخرى للفقهاء المالكية وكانت بجوار المسجد العتيق، وسميت بالمدرسة القمحية<sup>(٣)</sup> وكانت هذه المدرسة تختص بتدريس المذهب المالكي في أربعة زوايا<sup>(٤)</sup>، وحين أصبح صلاح الدين سلطاناً على مصر أمر بإنشاء المدرسة الصلاحية<sup>(٥)</sup> في عام ٥٧٢هـ/١١١٧م، بجوار قبر الإمام الشافعي<sup>(٦)</sup> وتنسب له أيضاً المدرسة السيوفية<sup>(٧)</sup> التي حل محلها الآن مسجد المطهر بالصاغة، وخصصت لفقهاء الحنفية<sup>(٨)</sup> وفي بعض الأحيان كان يلحق بعد ذلك بالمدرسة سبيل وكتاب وكذا مدفن للمنشئ<sup>(٩)</sup>، وقد أقيمت بالقاهرة عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م مدرسة عرفت بمدرسة الشافعي أو مدرسة الخبوشاني، بنيت بمعرفة الشيخ أبو البركات نجم الدين بن الموفق الخبوشاني، وكان موقعها بجوار قبة الإمام الشافعي، وكانت مخصصة للمذهب الشافعي<sup>(١٠)</sup>، وربما تكون هذه المدرسة هي نفسها المدرسة الناصرية (الثانية) أو المدرسة الصلاحية، التي ذكر المقرئ أن صلاح الدين أنشأها "بالقرافة" بجوار قبة الإمام الشافعي، وأنه رتب بها مدرساً يدرس الفقه على مذهب الشافعي<sup>(١١)</sup>، وتوالى إنشاء المدارس في العصر الأيوبي، حيث أنشأ الملك العادل مدرسة عرفت بالمدرسة العادلية أو

(١) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٦٣-٣٦٤، أمال العمري، علي الطائش، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٢) عبد الرحمن فهمي، العمارة قبل عصر الماليك، ص ٢٣٢.

(٣) عرفت بالقمحية لأن معلومها كان يصرف للمدرسين والطلبة قمحاً. راجع: صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٣٤٦.

سميت المدرسة القمحية بهذا الاسم لكثرة غله القمح الذي كانت تدره أوقافها، راجع: المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٤٦.

د. أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، جـ ٢، دار المعارف سنة ١٩٦٥م، ص ٥٩.

(٤) عبد الرحمن فهمي، العمارة قبل عصر الماليك، ص ٢٣٢.

(٥) د. عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، دار الثقافة العربية، ص ٢٠١.

(٦) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٠٧، السسيوطي، حسن المحاضر،

جـ ٢، ص ١٤٢.

(٧) عرفت المدرسة السيوفية بهذا الاسم لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها، راجع: المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٦٦.

عطية القوصي، المرجع السابق، ص ٢٠١، وهو اسم لمدرسة جعلها السلطان صلاح الدين الأيوبي لتدريس المذهب الحنفي،

وكانت في الأصل لأحد الوزراء الفاطميين ويدعى عباس وهي برأس السكة الجديدة عند تقاطعها بالشارع الموصل من باب

زويله إلى النحاسين تجاه جامع الأشرية وتعرف بجامع الشيخ المطهر. راجع: السخاوي، الذيل الرفيع على الأصر، ص ٤٩٢.

(٨) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٦٦، د. عبد الرحمن فهمي، العمارة قبل عصر الماليك، ص ٢٣٢.

(٩) كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٣٢.

(١٠) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٤٤٤-٤٦١-٤٦٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١١٥، هو الفقيه الزاهد

نجم الدين الخبوشاني، وهو من خبوشان من بلاد نيسابور، قدم مصر للمرة الأولى عام ٥٦٥هـ، راجع: أبو شامة، الروضتين،

جـ ١، ق ١، هامش (٤) ص ٦٨٨.

(١١) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٤٠٠.



بمدرسة الملك العادل<sup>(١)</sup> وقفها على المالكية<sup>(٢)</sup> وأنشئت كذلك مدرستان للفقهاء الشافعي، إحداهما المدرسة الشريفة<sup>(٣)</sup> وفي عام ٦١٢هـ/١٢١٥م<sup>(٤)</sup> والمدرسة الفائزة في تاريخ قريب من ذلك<sup>(٥)</sup> هذا وقد أنشأ الملك الكامل في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م مدرسة كانت تعرف بسدار الحديث الكاملية<sup>(٦)</sup> وقد بلغت مساحتها ٢٥٦, ٢٣٠ م<sup>(٧)</sup> شكل (١) وقد أمر السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٣٩هـ/١٢٤٢م بإنشاء المدرسة الصالحية<sup>(٨)</sup> بخط ما بين القصرين<sup>(٩)</sup> ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء والمنتمين إلى المذاهب الأربعة<sup>(١٠)</sup> وقد بلغت مساحة تلك المدرسة الآن ١٢٥, ٠٧ م<sup>(١١)</sup> شكل (٢) وهو أول من عمل بديار مصر "دروساً أربعة في مكان واحد"<sup>(١٢)</sup> ويشير المقرئزي إلى مدرسة أنشئت في عام ٦٤٠هـ/١٢٤٣م وكانت تعرف بمدرسة ابن رشيق وكانت مخصصة للمذهب المالكي<sup>(١٣)</sup> وهي من أجل مدارس القاهرة إلا أنها قد تقادم عهدها فاندثرت<sup>(١٤)</sup>، وتوالى إنشاء المدارس في العصر الأيوبي بمصر والقاهرة بلغت منها ٦ مدارس للمذهب الشافعي و ٣ مدارس للمذهب الحنفي، و ٣ للمذهب المالكي، و ٧ مدارس لم تحدد مذاهب الدراسة بها، ومدرسة واحدة للمذهبين الشافعي والمالكي معاً، وأخرى للمذهبين الشافعي والحنفي وعلم القراءات وأخرى للمذهب المالكي وعلم النحو وأخرى للحديث، وغيرها

- (١) المقرئزي، المصادر السابق، ص ٣٦٥.
- (٢) د. أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٥٢.
- (٣) الشريفة اسم لمدرسة أنشأها الأمير فخر الدين أبو إسماعيل سنة ٦١٢هـ، وتم تجديداتها وتعرف الآن بزاوية ابن العربي على رأس حارة الجودرية بالقرب من سوق النحاسين. راجع: السخاوي، الذيل الرفيع على الأصر، ص ٤٩٢.
- (٤) المقرئزي، المصدر نفسه، ص ٣٧٣.
- (٥) المصدر نفسه، ص ٣٦٥.
- (٦) المصدر نفسه، ص ٣٧٥، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٤، السخاوي، المصدر السابق، ص ٤٩٤، د. مصطفى عبد الله شبيحة، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، ط ١، سنة ١٩٩٢م، مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٢٦-٢٢٧، د. أمال العمري، د. علي الطائش، المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٧) د. مصطفى شبيحة، المرجع السابق، ص ١٩٩، د. سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٢، ص ٢٠٥، المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٥، وقد حصلت على هذه المساحة عن طريق الطول × العرض ١٩,٩ × ١١٥,٤٤ = ٢٣٠,٧ م.
- (٨) د. عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢١٠، السخاوي، الذيل الرفيع على الأصر، ص ٤٩٢.
- (٩) المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٨، د. عطية القوصي، المرجع السابق، ص ٢٠٩.
- (١٠) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٤، د. عبد العظيم رمضان، تاريخ المدارس في مصر، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٩٢م، ص ٢٦.
- (١١) راجع أبعاد المدرسة المتبقية الآن عند د. سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٢، ص ٢٣٠، ص ٢٣٥.
- (١٢) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٤، د. عبد اللطيف إبراهيم، المكتبة المملوكية سنة ١٩٦٢م، ص ٩.
- (١٣) المقرئزي، المصادر نفسها، ص ٣٦٤.
- (١٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٤.



للمذاهب الأربعة<sup>(١)</sup> وقد اندثرت مدارس القاهرة في العصر الأيوبي ولم يتبق منها غير أطلال مدرستين إحداهما المدرسة الكاملية، وصفها المقرئى بقوله "إن هذه المدرسة كانت بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبو بكر سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ، وهى ثلث دار عملت للحديث<sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى وجود المدارس للصالحية (المدرسة الصالحية)، أى ألها تتكون من مدرستين متمثلتين لهما مدخل مشترك، من داخله بابان متقابلان، يؤدى كل منهما إلى مدرسة مستقلة<sup>(٣)</sup> هذا وقد بنيت المدرسة الكاملية والمدرسة الصالحية على نظام المساجد الجامعة المتطورة وأن كلا منهما كانت تؤدى وظيفة المسجد الجامع<sup>(٤)</sup> والمسقط الأفقى للمدرسة الأيوبية عبارة عن صحن مستطيل يحيط به إيوانان، إيوان القبلة الجنوبي الشرقى، والمقابل له الشمالى الغربى، ومثال على ذلك المدرسة الصالحية وربما ظهر هذا المسقط بالمبانى الدينية كنتيجة للتأثر بقاعات المساكن الطولونية والفاطمية التى حولها صلاح الدين إلى مدارس أول العصر الأيوبي، وقد ضم المسقط الأفقى للمدرسة بالإضافة إلى الإيوانين والفناء غرف وخلوى للشيوخ والدارسين<sup>(٥)</sup>.

المساجد: لا يوجد بالقاهرة الآن أى جامع يرجع إلى العصر الأيوبي، كما أننا لم نعثر على أية كتابات أثرية أيوبية تفيد ترميم الأيوبيين أو صيانتهم لجامعى عمرو بن العاص وابن طولون أو أى مسجد آخر<sup>(٦)</sup> أى أنه بصريح العبارة يمكن القول أن المساجد الأيوبية إندثرت جميعاً، بل أنه لم توجد أى إشارة إلى أن الأيوبيين قد بنوا مساجد في القاهرة<sup>(٧)</sup> وهناك رأى يذكر أن الأيوبيين انشغلوا طيلة حكمهم بالأمور العسكرية في الخارج، إلى جانب انشغالهم بالزراعات التى تفجرت

---

(١) Creswell, The origin of the cruciform plan of Cairo in Madrasa, PP. 104-134.

د. عبد الغنى محمود عبد العاطى، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، مصر، ص ٥٩-٩٤.

(٢) أول من بنى داراً للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق، راجع: أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٥٥، ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية. راجع: السيوطى، حسن المحاضرة، ج-٢، ص ١٤٤.

(٣) أحمد فكري، المرجع نفسه، ص ٦١-٧٥.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٥) د. عبد الباقي إبراهيم، د. صالح لمعى، أسس التصميم المعماري والتخطيط في العصور الإسلامية سنة ١٩٩٠ م، ص ٨٧،

كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٦) د. أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني، ص ٣٠.

(٧) د. أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٤٥.



بين الأمراء الأيوبيين أنفسهم بعد وفاة صلاح الدين<sup>(١)</sup> أو ربما للظروف والأحوال الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها الدولة الأيوبية، ولكن يمكن القول أن المسجد تطور في العصر الأيوبي بظهور المدرسة التي تدرس علوم القرآن والحديث كمبنى مستقل في نطاق المباني الدينية، واستخدم الإيوان بدلاً من الرواق مثل إيوان المدرسة الصالحية<sup>(٢)</sup> إن المساجد التي بنيت في ذلك العهد اتخذت صورة جديدة لم يألفها البناء بمصر في العصور السابقة، وكانت المساجد متعددة وكثيرة بالعاصمة، بل قيل أنه كان بها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة، وأنه "أقيمت الجمعة في كثير من المدارس والمساجد الصغار المتفرقة في الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم"<sup>(٣)</sup> وكان أمراء الدولة الأيوبية يفضلون أن ينشئوا مساجد لا تفقد وظيفة "الجامع" ولكنها لا تقتصر عليها وتتميز بصفة أخرى وهي المدارس وقد كانت المدارس التي أنشئت في الوقت نفسه مسلجة كانت تؤدي في معظمها صلاة الجمعة<sup>(٤)</sup>.

#### الخاتمة: (٥)

لم يخلف لنا الأيوبيون إلا خاتمة واحدة<sup>(٦)</sup> وهي خاتمة سعيد السعداء<sup>(٧)</sup> وهي أول خاتمة أقيمت في القاهرة وهي التي أنشأها صلاح الدين عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م في الركن الشمالي

(١) رؤوف الأنصاري، دراسة في تاريخ عمارة المساجد خلال العهود الإسلامية، درا النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت سنة ١٩٩٦م، ص ١٤٣.

(٢) عبد الباقي إبراهيم، صالح لمعي، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص ٨٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٦.

(٤) أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٤٩.

(٥) الخاتمة جمع خواتم وخاتقات، وهي كلمة فارسية معناها بيت جعلت لتخلو الصوفية فيها للعبادة، وهي بناء مستقل به مطبخ وحمام وأماكن للإعاشة إما حول صحن متوسط أو مبنى منفصل راجع: د. عاصم محمد رزق، خاتقات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ج ١، ط ١ سنة ١٩٩٧م، مكتبة مدبولي، ص ٢١-٢٢، السخاوي، الذيل الرفيع على الأصر، ص ٤٩١، د. أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني، ص ٥٢. وقيل أن الخوانك (الخواتم) في الإسلام كانت عبارة عن دور للعلم والعبادة قامت بأدوار دينية اجتماعية وثقافية هامة في حياة المجتمع الإسلامي منذ نشأتها في غالب الظن في القرن (٥هـ / ١١م)، فالثابت لدينا أنها كانت أولاً معاهد للمذاهب الفقهية والحديث والقراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، وكانت مواقع إيواء لكل وافد إلى الديار من البلاد الإسلامية الأخرى ممن لم يكن لهم مأوى وكالت أيضاً مراكز إشعاع ثقافي بما احتوته بعض مكاتبها من الكتب المصنفة في كثير من العلوم والمعارف. د. عاصم محمد رزق، خاتقات الصوفية، ص ٢٣.

(٦) عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٠١، دولت عبد الله، معاهد تركية النفوس، ص ٦٣.

(٧) كانت خاتمة سعيد السعداء اسم للمدرسة كانت في الأصل دار لمملوك اعتقه المستنصر بالله الفاطمي يدعى سعيد السعداء قنير ثم حولها صلاح الدين إلى خاتمة (تكية) للصوفية. راجع: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٤٢-٢٤٣، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٣.





الفاطمي في موضع دار سعيد السعداء<sup>(١)</sup> فعمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية المنقطعين للعبادة وأوقفت الأوقاف للصرف عليها وعلى من فيها<sup>(٢)</sup> ومن المرجح في إنشاء خانقاه واحدة فقط والتي كان لهم فضل السبق في إنشائها<sup>(٣)</sup> أنهم انشغلوا بالحروب والفتوحات وبتحصين القاهرة وغيرها من المدن<sup>(٤)</sup> وهي من أحسن الأماكن وأبهى مواطن العبادة<sup>(٥)</sup> وقد ترتب على الاهتمام بالعلم أن أقيم في القاهرة العديد من المنشآت التي تخدم العلم ونشرة إلى جانب المذهب السني، فأُسست الزوايا في الجوامع، فقد تخرّج صلاح الدين بجامع عمرو بن العاص بمصر زاويتين أحدهما للشافعية والآخرى للمالكية، وتعرف الآن بالخشابية، وعرفت زاوية الخشابية أيضاً بالزاوية الصلاحية نسبة لصلاح الدين الأيوبي<sup>(٦)</sup> هذا إلى جانب إنشاء القباب والأضرحة، فمن أهم القباب في العصر الأيوبي قبة الإمام الشافعي ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م التي أنشأها السلطان الكامل<sup>(٧)</sup> وقد بلغت مساحته ٣٧,٧١ م<sup>٢</sup> شكل (٣) وكان قبر الملك الكامل في موضع ذلك الضريح<sup>(٨)</sup> وقبة الخلفاء العباسيين خلف المشهد النفيسي<sup>(٩)</sup> وقبة (ضريح) شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ /

(١) د. أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني، ص ٥٢.

(٢) محمد مصطفى نجيب، العمارة في عصر الماليك، مقال بكتاب القاهرة، ص ٢٤٧. عرفت هذه الخانقاه بالخانقاه بالدويرة للمتصوفة القادمين من الشام عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م وسميت هذه الخانقاه بالخانقاه الصلاحية ولقب شيخها بشيخ الشيوخ: راجع: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٣. منظمة المدن والعواصم، ص ٨٧.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٣، دولت عبد الله، معاهد تركية النفوس، ص ٦٣.

(٤) د. عطية القوصي، تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٠١.

(٥) ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب، ط ١، سنة ١٩٩٦ م ص ٤٩.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٣٩، د. عدنان الحارثي، التطور العمراني، ص ١١١.

(٧) توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، ج ٢، ص ٢٣٦، عبد الرحمن فهمي، العمارة قبل عصر الماليك، ص ٢٣٢، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص ٢١٦. دفن الإمام الشافعي بالقرافة الصغرى، وكان موضع دفنة ساحة، حتى عمر تلك المساكن السلطان صلاح الدين يوسف، ثم أنشأ الملك الكامل محمد القبة على ضريحه، وهي القبة الواقعة الكائنة اليوم على قبره راجع: بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٧٧، المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤٤٤-٤٦١.

- Wiet (Gaston). les Inscriptions du Mausolee de chafci. Bulletin de Institut d' Egypte , Tome XV. 1933. , parker (R.B). : Apractical Guide to Islamic in Cairo, 1981, PP 1-66.

(٨) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٨١).

(٩) د. أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، ص ٣٣.

(١٠) يقع هذا الضريح خلف مسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها ويتوصل إليه حالياً من نهاية شارع الخليفة المتفرع من ميدان جامع بن طولون، راجع: د. حسن الباشا، موسوعة العمارة، مج ١، ص ٣١٤، د. مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص ٣٤٦، د. حسنى نوبصر، العمارة الإسلامية في مصر (عصر الأيوبيين والمماليك) مكتبة زهراء الشرق، ص ٩٦.



١٢٥٠م<sup>(١)</sup> والى تبلغ مساحته ٢٩٦,٠٤م<sup>(٢)</sup> شكل (٤) هذا إلى جانب بعض المآذن المختلفة مثل مثذنة المشهد الحسيني<sup>(٣)</sup> ومثذنة زاوية الهنود<sup>(٤)</sup> والى تبلغ مساحتها ٣٤٧,٩٠م<sup>(٥)</sup> ومشهد الشعالة<sup>(٦)</sup> الذى تبلغ مساحته ٣٣٣,١٣م<sup>(٧)</sup>.

مما سبق يتضح أن الظروف التى عاشتها الدولة الأيوبية انعكست على المنشآت المعمارية التى قاموا بإنشائها، فانصب اهتمامهم على المنشآت الحربية كما سبق أن ذكرنا اهتمامهم بعمارة الحصون والقلاع والأسوار والخنادق، أما العمارة الدينية فالصبت على الاهتمام بالمدارس (المدرسة المسجد) أو المسجد المدرسة، خاصة صلاح الدين الأيوبي للقضاء على المذهب الشيعى ونشر المذهب السنى فى جميع أنحاء البلاد، أضف إلى ذلك الاهتمام بالعمارة المدنية التى تمثلت فيما بناه الصالح نجم الدين أيوب مثل القصر الذى بناه بالروضة فقد أحاطه بسور مزود بستين برجاً، وكذلك بنى قنطرة على الخليج عرفت بقنطرة الخرق (ميدان باب الخلق)<sup>(٨)</sup>.

(١) مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص ٣٤٦، ذكر أن شجر الدر شهدت هذا الضريح لزوجها فى عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ويحتل هذا الضريح قاعة شيخ المالكية فى تلك المدرسة أى أنه يقع فى شارع المعز لدين الله. راجع: توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، ص ٢٣٦، مصطفى شيحة، المرجع السابق، ص ٢٤٢، المقرئى الخطط، ج ٢، ص ٣٤٧-٣٧٥، د. أحمد فكرى، مساجد مصر ومدارسها، ص ٤١-٤٤.

(٢) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (١٦٩).

(٣) شيدته الخليفة الفاطمى الفالز بنصر الله فى سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م، وقد جدد المشهد فى العصر الأيوبي وفى العصور التالية، ولم يتبق من قديمة غير جزء المذلة القائمة فوق الباب الأخضر، والى تحتفظ بلوحتين نقش عليها تاريخ إتمام البناء عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م، راجع: د. أحمد فكرى، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٨.

(٤) لم يشر المؤرخون إلى تاريخ هذه المذلة، ولهذا نسبها بعض الكتاب إلى عصر المماليك وأرجعها البعض الآخر إلى العصر الأيوبي، هذا وقد سجلت مصلحة الآثار فى صفحة ٤ من فهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة المشار إليها سابقاً هذا الأثر ضمن آثار دولة المماليك البحرية، وأخذ كريسويل بهذا رأى فى صفحتى ١٤٠ و ١٤١ من الجزء الثانى من العمارة الإسلامية فى مصر، أما (هوتكور) و (فييت) فقد رجحا تاريخها للعصر الأيوبي فى كتاب مساجد القاهرة، ج ١، ص ٢٨٦.

- Wiet (G) et Hautecocul (Lowis). Les Mosques du caire. 2 vols, paris, leroux, 1932.

عن د. أحمد فكرى، مساجد القاهرة، ص ٤٤.

(٥) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٣٧).

(٦) ذكر المقرئى أن الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو النصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر الدين ثعلب بناه عام ٦١٢هـ / ١٢١٥م مدرسة بالقاهرة سميت بالمدرسة الشريفة، وقد عثر على لوحة مثبتة على باب بناء بالقرب من مشهد الإمام الشافعى كتب عليها بالخط النسخى نص جاء فيه "أمر بإنشاء هذه التربة المباركة لنفسه الشريف... أبو منصور إسماعيل بسن... ثعلب... وكان الفراغ منها فى رجب سنة ثالث عشرة وستمائة. راجع: المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٣-٣٧٤، د. أحمد فكرى، مساجد القاهرة، ص ٣٦-٣٧.

(٧) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٨٢).

(٨) أيمن فؤاد سيد، التطور العمرانى، ص ٣٢.



## العمارة في عصر المماليك البحرية:

ليس من الأمانة التاريخية أن نقول بأن عصر المماليك كان عصر الدماء والسلب والنهب، إذ يقتضى الإنصاف منا أن نعترف بفضل هؤلاء الحكام على حركة الثقافة والعلم التي ازدهرت في عهدهم بدرجة لم يبلغها عصر آخر من عصور مصر الإسلامية.

هذا وقد شيد المماليك مثلهم مثل الأيوبيين مختلف أنواع العمائر من دينية ومدنية وحربية<sup>(١)</sup> والشيء الذى يجب أن نعيه بأذهاننا هو أن حب سلاطين المماليك لتخليد ذكركم من خلال تلك المنشآت المعمارية دفعت أمراءهم ومماليكهم إلى اقتفاء أثرهم لتخلد ذكركم آثارهم الباقية وعمائرهم المنعوتة على ألقابهم<sup>(٢)</sup> فمن حيث العمائر الدينية أسست المساجد للصلاة والمدارس للتعليم العالى، والخانقوات للصوفية، وفي مجال العمائر المدنية أنشئت الأسبلة وفوقها الكتاتيب، وأنشئت البيمارستانات لعلاج المرضى وشيدت الوكالات والخانات والأسواق والقصور<sup>(٣)</sup> وربما أن السلاطين وأمراء دولة المماليك البحرية والجركسية قد أنشأوا تلك العمائر تعبيراً عن إمكاناتهم العظيمة، أو رمزاً لتنافسهم في البناء والإنشاء والتشييد، وربما إشباعاً لهوايتهم وتلبية لرغباتهم، وما زالت آثار هذه الأبنية باقية إلى اليوم متناثرة بأحياء وأحطاط مدينة القاهرة وغيرها من المدن سواء بداخل مصر أم بخارجها، تشهد بعظمة دولة المماليك وتقدمهم الحضارى<sup>(٤)</sup> وقد سار المماليك على نهج الأيوبيين في تدعيم المذهب السنى، وأكثروا من تشييد وإقامة المدارس وغيرها من المنشآت الدينية<sup>(٥)</sup> ولسنا هنا بصدد الحديث عن كل منشأة على حدا سواء الوصف المعماري أو زخارفها وأحجارها وغير ذلك من عناصر معمارية وزخرفية متعددة، فهذا قد تحدث عنه كتب العمارة والفنون باستفاضة شديدة إلى جانب الرسائل العلمية المتعددة التي زخرت بها

(١) د. حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون ص ٣١٨.

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٨٠-٣٩٧، المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٣١-١٩٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، حاشية (٢)، ص ٧٥، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج ١، ص ١٣٦-١٤٣.

(٣) د. سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٨٦م، ص ٤٦٥، زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ج ١، دار الرائد العربى، القاهرة بيروت، ص ٧٢، حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار، ص ٣١٨.

(٤) د. سامى أحمد عبد الحليم، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، ص ٩-١٠.

(٥) بالرغم من زيادة عدد المدارس خلال هذا العصر، فإنه لم توجد سياسة تعليمية للدولة أو للسلاطين وكانت الدوايع الدينية والسياسية هى الدافع لإنشاء المدارس والمكاتب والمساجد التي قامت أحياناً بوظيفة المدارس. راجع: د. محمد حمزة إسماعيل الحداد، السلطان المنصور قلاوون، ط ١، سنة ١٩٩٣م، مكتبة مدبولى، ص ٤٦.



مكتبات الجامعات المختلفة، ولكننا سوف يقتصر حديثنا هنا عن المنشأة ومساحتها التي ربما بل من المرجح أنها تأثرت بحدوث الأزمات الاقتصادية، وتاريخ المنشأة، وهل هي من إيوان واحد أو عدة أو اوين إلى جانب نصها التأسيسي الذي يوضح لنا هل هذه المنشأة أنشئت وقت حدوث أزمة اقتصادية أو أن افتتاح المنشأة تم بعد حدوث أو انتهاء الأزمة، أو أن الأمراء والسلاطين كانوا لا يتأثرون بحدوث الأزمة فيفعلوا ما يحلو لهم، وهو ما سوف لمحاول إثباته، وهل الجزء الأكبر من المنشآت للسلاطين أمر الأمراء؟

### أولاً: المنشآت الدينية: المدارس:

تعددت المدارس وتنوعت في عصر المماليك البحرية، فقد أنشأ السلطان الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية بالنحاسين ٦٦٠-٦٦٢ هـ / ١٣٦٢-١٣٦٣ م<sup>(١)</sup> ولم يبق من مساحتها الآن إلا ٢٥٥ م<sup>(٢)</sup> ومن أكبر وأضخم المجموعات المعمارية ذات الأغراض الوظيفية المتعددة مجموعة المنصور قلاوون التي توجد في شارع المعز لدين الله بحي الجمالية بالقاهرة وشيدت عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م<sup>(٣)</sup> وتتكون من مدرسة وقبة وضريح ومكتب السبيل وبیمارستان<sup>(٤)</sup> وكانت مساحة المدرسة ١٣٧٥ م<sup>(٥)</sup> ومن المجموعات المعمارية التي وصلتنا من عصر المماليك البحرية المجموعة التي شيدها الملك الناصر محمد بن قلاوون وتعرف باسم المدرسة الناصرية ٦٩٥-٧٠٣ هـ / ١٢٩٥-١٣٠٤ م<sup>(٦)</sup> وتتكون تلك المجموعة من مدرسة وقبة (ضريحاً) ومسجداً، هذا ويشير النص التأسيسي أعلى الواجهة الرئيسية أن السلطان الناصر محمد أنشأ هذه القبة والمدرسة سنة

(١) Greswell, the origin of the cruciform plan of cairo in madrasas (B. I. F. A. O) . XXI P35.

(٢) د. حسنى محمد نويصر، العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، ص ١٢٥.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن عمائر السلطان قلاوون الباقية بمدينة القاهرة، أنظر: محمد حمزة، المرجع السابق، ص ١٠٧ إلى ص ١٨٢.

(٤) شرع الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى في بنائها قبل أن يتولى الملك عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩، ثم أكمل عمارتها وزخرفتها بعد أن تولى سلطنة مصر، لأن جميع ألقابه الملكية المدونة بأعلى حوائطها من الخارج والداخل بتاريخ ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م، وذكر بيبرس المنصورى أن الأشرف خليل أكمل البيمارستان المنصورى والقبة ومكتب السبيل بالقاهرة عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م، ودفن في الضريح الملحق بهذه المجموعة وليس في ضريح والدته، راجع: منى محمد بدر، أثر الفن السلجوقى على الحضارة والفن في العصرين الأيوبي والمملوكى في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة ١٩٩١ م، حاشية (٣) ص ٤٣٧ عنها أنظر: المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ص ٧١٦-٧١٧، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ص ٤٠٦-٤٠٧، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٧، هامش (٢) ص ص ٣٢٥-٣٢٦.

-Saladin (H) Manual D'Art Musulman., P110.

(٥) منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص ٩٤.

(٦) Creswell, the origin of the cruciform. P39.





٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م بينما تشير اللوحة التأسيسية أعلى المدخل الرئيسى إلى تاريخ سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨-١٢٩٩ م، والواقع أن الذى بدأ فى إنشاء هذه المدرسة هو الملك العادل زين الدين كتبغا الذى تولى حكم مصر بعد فترة حكم الناصر محمد الأولى، ورفع بناءها حتى الطراز المذهب بالواجهة<sup>(١)</sup> وفى عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨-١٢٩٩ م عاد الناصر محمد إلى السلطنة مرة ثانية فاشترى القبة والمدرسة وأكمل البناء سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م<sup>(٢)</sup> وتتكون هذه المدرسة من صحن أوسط تتعامد عليه أربعة إيوانات<sup>(٣)</sup>، ومن الملاحظ أن هذه المجموعة بدأت عمارتها فى ظل الأزمة الاقتصادية التى حدثت فى عهد زين الدين كتبغا والتى استمرت حتى بعد وفاته، ولم يكمل بناء هذه المدرسة بسبب الأزمة الاقتصادية التى اجتاحت البلاد فى عهده وأثرت على جميع مناحى الحياة هذا إلى جانب أنه قُتل فلم يتم البناء فى عهده فأكملها الناصر محمد لذلك ذكر تاريخين مختلفين فى تاريخ الإنشاء، ومن المجموعات المعمارية الضخمة التى أنشئت لسلطين المماليك البحرية مدرسة السلطان الناصر حسن التى شيدها بين عامى ٧٥٧-٧٦٤ هـ / ١٣٥٦-١٣٦٢ م، وقيل عنها أنها مسجد أيضاً وكان موقع المدرسة قديماً باسم سوق الخيل، وهى الآن تقع تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل<sup>(٤)</sup>.

وكانت هذه المدرسة تتكون من صحن كبير يحيط به أربع إيوانات أكبرها إيوان القبلة، وهى المدرسة ذات النموذج المثالى شكل (٥) وخصصت أوابينها لتدريس فقه المذاهب الأربعة هذا وقد بلغت مساحتها ٧٢٠٠ م<sup>(٥)</sup> وهى تعتبر من أجمل العمائر المملوكية التى قال عنها المقريزى: "أفها من أعظم المعابد فى الإسلام"<sup>(٦)</sup>، وقد تولى السلطان حسن عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م قبل أن

(١) عادل شريف علام، النصوص التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، سنة ١٩٩٥ م، ص ٢٠٠.

(٢) المقريزى، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٥١، السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٥، السخاوى، الذيل الرفيع على الأصر، ص ٤٩٥، المقريزى، الخطط، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣) محمد حمزة إسماعيل الحداد، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول) دار القاهرة، ط ٢، ص ٢٢٢.

(٤) هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة وهى كبيرة جداً ولم يكن لها بانيان إلى بعد أن بنى جوهر القائد مدينة القاهرة وعمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمالة حتى صارت مساكنها من أجمل مساكن القاهرة، راجع: المقريزى، الخطط، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢.

(٥) منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري فى العصور الإسلامية المختلفة (مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، ص ١٢٣، وقد ذكر د. حسنى لوبصر: أن مساحة المدرسة (المسجد) هي ٢٧٩٠٦ م<sup>٢</sup>، راجع: د. حسنى لوبصر، العمارة الإسلامية، ص ٢٠٥، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج ١، ص ١٦٠-١٦٤.

(٦) المقريزى، الخطط، ج ٢، ص ٩٢.



تُكْمَل<sup>(١)</sup> وقد أكمل بشير أغا الجمدار بعض الأبنية التي لم تُكْمَل بتلك المدرسة<sup>(٢)</sup> ولم تُكْمَل بعض زخارف الواجهة إلى الآن<sup>(٣)</sup>، هذا ومن كثرة النفقات على هذا البناء الضخم<sup>(٤)</sup> من كثرة ما صرف عليه<sup>(٥)</sup>.

نعم هذا حدث حقاً فرغم أن هناك جزء كبير جداً من هذا البناء تم في عهد السلطان حسن إلا أنه لم يُكْمَل هذا البناء، هذا إن دل فإنه يدل على حدوث أزمة اقتصادية وذلك لأن هذا البناء بدأ فيه عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، واستمر العمل فيه ثلاث سنوات<sup>(٦)</sup> ومات السلطان حسن قبل أن يتم تشييد هذا الصرح الضخم، وقد تم الانتهاء منه عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، فلم يكن السلطان حسن قادر على إتمام هذا البناء بسبب كثرة الإنفاق عليه، وفي هذا الوقت كانت البلاد تن من وطأة حدوث الأزمات الاقتصادية المتكررة وما تحدثه من مجاعات وأوبئة وارتفاع في الأسعار والغلاء، إلى جانب الضرائب المختلفة التي كانت تؤخذ من الشعب وقوت الفلاحين وعامة الناس، فما أطول السبع سنوات التي شيد فيها هذا البناء الضخم فهي مدة ليست بالقليلة، فما الداعي إذن أن يقول المقرئ أن سلطان مصر خائف من أن يقول أحداً عليه أنه لم يكن باستطاعته إتمام هذا الصرح العظيم الضخم.

ومن المدارس الأخرى التي أُلشئت في ظل حدوث الأزمات الاقتصادية مدرسة "تتر الحجازية" ٧٦١هـ/١٣٥٩م، أنشأها الست خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد زوجة الأمير بكتمر الحجازي<sup>(٧)</sup> وكانت تقع برحمة باب العيد<sup>(٨)</sup> وتتكون هذه المدرسة من صحن وثلاث إيوانات<sup>(٩)</sup> وتبلغ مساحتها ٨٨,٨٨م<sup>٢</sup>، شكل (٦) ويشير النص التأسيسي إلى أن الفراغ

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٦١، محمود أحمد، بيان تاريخي عن مسجد السلطان حسن وشرح لميزاته الفنية، مطبعة وزارة الأوقاف سنة ١٩٣٥م، ص ٨، د. كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٤٣.

(٢) ابن إياس، المصدر السابق، نفس الجزء الصفحة.

(٣) محمود أحمد، المرجع السابق، ص ٨.

(٤) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣١٦.

(٥) المقرئ، المصدر السابق، ص ٣١٦، النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص ٢١٦.

(٦) ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ ٣، ص ٢٠٩.

(٧) المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٨) رحمة باب العيد كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر هدمه جمال الدين الأستاذ سنة ٨١١هـ/١٤٠٩م، وكانت

رحبة عظيمة في الطول والاتساع، راجع: المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٤٧.

(٩) Hauteecour et wiet, les mosques du Caire. 2 Tomes. Paris 1932, p. 268

(١٠) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٣٦).



من هذه المدرسة كان عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م<sup>(١)</sup>، هذا إلى جانب مدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، فقد شيدتها بركة خاتون بنت عبد الله أم السلطان شعبان بن حسين<sup>(٢)</sup> وتقع خارج باب زويلة<sup>(٣)</sup> في شارع باب الوزير عن يمين الذهاب إليه قاصداً قلعة الجبل<sup>(٤)</sup> وتتكون هذه المدرسة من صحن وأربع إيوانات<sup>(٥)</sup> وتبلغ مساحتها نحو ٩٥٠م<sup>(٦)</sup>، شكل (٧) ويشير النص التأسيسي الوارد بالمدرسة على أن السلطان الأشرف شعبان هو الذي أنشأ هذه المدرسة لوالدته سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، ولكن المصادر التاريخية ذكرت أن هذه المدرسة أنشأها خوند بركة وأن كتابة اسم ولدها على المدرسة ما هو إلا تعظيماً ووفاءً لولدها السلطان<sup>(٧)</sup> هذا وقد ذكر المقرئ أن تاريخ إنشاء هذه المدرسة هو ٧٧١هـ/١٣٦٩م، فربما تكون سنة ٧٧٠هـ هي تاريخ البداية في عمارة هذه المدرسة، وربما يكون تاريخ عام ٧٧١هـ هو تاريخ إقامة الصلاة بالمدرسة<sup>(٨)</sup>، ويمكن القول أن هاتين المدرستين أنشئت كلا منهما في ظل أزميتين اقتصاديتين حدثت إحداهما عام ٧٦١هـ والأخرى عام ٧٧٠هـ وإحداهما لابنة سلطان والأخرى لوالدة سلطان، واختلفت مساحات تلك المدارس عن سابقتها من مدارس أخرى ربما تكون الأزمات الاقتصادية أثرت على صغر المساحة في نهاية العصر المملوكي البحري، ولكن نرجع ونذكر مرة أخرى أن هؤلاء السلاطين أو أبنائهم أو ذويهم لم يعبأوا بأموال الشعب وظلوا هم يعيشون في أبراج عاجية لا يدركوا مدى سوء الأحوال التي يعاني منها الشعب في ظل حدوث الأزمة الاقتصادية، فيهتمون بإنشاء العمائر وصناعة التحف وغير ذلك من حياة يملؤها البذخ والترف.

أما عن المدارس التي أنشأها الأمراء والوزراء اللذين كانت لهم اليد العليا في الدولة فكانت كثيرة ومتعددة فمنها المدرسة القراسنقرية والتي شيدها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب السلطنة في عهد الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وبلغت مساحتها

(١) عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٠٧.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) تقع هذه المدرسة حالياً بشارع التبانة الذي كان يواجه باب زويلة الذي كان في سور القائد جوهر وقد هدم، ويعلم الباب منبني جامع المؤيد شيخ ويسميه الناس باب المتولي. راجع: المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٨٠.

(٤) منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص ١٣٢.

(٥) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٩٩، عادل شريف، المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٦) منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص ١٣٢.

(٧) عادل شريف، المرجع السابق، ص ٢١٢.

(٨) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٩٩، عادل شريف، المرجع نفسه، ص ٢١٤.



١٥٩٦، ٥٧م<sup>(١)</sup> وشيد إلى جانب المدرسة ضريحاً ومسجداً وكتاباً وسبيلاً<sup>(٢)</sup>، وفي هذا العام ٧٠٠هـ هاجم غازان ملك التتار بلاد الشام، فجمع الناصر محمد أمراؤه وشكى لهم أنه لا يوجد درهم ولا دينار في خزانة بيت المال وهو يريد أن يخرج لغازان خان ليهاجمه وهو لا يجد مالاً ينفق به على الجيش<sup>(٣)</sup> فأشار عليه الأمراء بأن يأخذوا الأموال من المباشرين وأعيان الناس والتجار<sup>(٤)</sup> وكان من نتيجة جباية الأموال أن نزل بالناس ضرر عظيم<sup>(٥)</sup> وجمعوا من ذلك مالاً كثيراً<sup>(٦)</sup> أثرت على ظروف الحياة الاقتصادية في البلد.

هذا يتناقض مع ذاك فمن أين أنفق سنقر المنصوري على عمارته وكانت خزانة الدولة خاوية والسلطان يريد مهاجمة التتار.. ربما كان الأمير قراسنقر هو المتحكم في كل شيء لأنه هو نائب السلطنة ويريد أن يظهر بمظهر كبار رجال الدولة لذلك ظهرت هذه المجموعة المعمارية له، وفي عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م أنشأ الأمير أحمد بن أقوش العزيزي المهنددار، نقيب الجيوش، مدرسة أطلق عليها المدرسة المهنددارية، جعلها لتدريس المذهب الحنفي وأنشأ إلى جانبها خانقاة إلى جانب القيسارية والربع وقبة للدفن، وتقع هذه المدرسة في شارع باب الوزير<sup>(٧)</sup>.

وفي عام ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م أنشأ الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي مدرسة سماها المقريري المدرسة الجمالية، والتي كانت تقع بجوار درب راشد من القاهرة<sup>(٨)</sup> كما أنشأ خالقنساء للصوفية كانت تضم مكتباً لتعليم الأيتام، كما كانت تضم ضريحاً دفن فيه المنشئ عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م<sup>(٩)</sup>، وهناك مدرسة الأمير أقبغا عبد الواحد وهو من أمراء الناصر محمد بسن قلاوون، وكان بداية العمل في هذه المدرسة عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م حسب ما أشارت إليه اللوحة التأسيسية أعلى المدخل الرئيسي، أما تاريخ الفراغ من هذه المدرسة فقد ورد بالنص

(١) مركز تسجيل الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٣١).

(٢) المقريري، الخطط، جـ ٢، ص ٣٨٨.

(٣) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، تحقيق: د. / زبيدة عطا، جـ ٩، ص ٣٣٤.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤٠٩.

(٥) المقريري، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٩٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٩٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٩٩.

(٨) هذه المدرسة كان يسكنها كبار الفقهاء ولكنها خربت وصارت منزلاً يسكنها أخلاط الناس ممن ينتسب إلى اسم الفقه. راجع:

المقريري، الخطط، جـ ٢، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٩) المقريري، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، منى بدر، المرجع السابق، ص ٤٤٢.





التأسيسي بقطب القبة، والنص التأسيسي بمنارة المدرسة عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م<sup>(١)</sup> وهذا مطابقاً لما ذكره المقرئزي، وابن تغري بردي أنه في عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م فرغت مدرسة الأمير أقبغا عبد الواحد من البناء<sup>(٢)</sup> وهذه المدرسة عبارة عن صحن وإيوانين، ولم يبق الآن للمدرسة إلا بابان يفتح على القبة والباقي من المدرسة القديمة الآن هو مدخلها، ووجهة القبة ومحرابها ومحراب المدرسة والمنارة، وتدل الأجزاء الباقية من المدرسة على ما كانت تحفل به من النقوش والزخارف البديعة والدقيقة الصنع وعلى مبلغ ما صرف عليها من أموال<sup>(٣)</sup> وتبلغ مساحة هذه المدرسة ١٨٧م<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، أنشأ ناظر الذخيرة المعروف بشمس الدين شاكر بن غزير المعروف بابن البقارين المدرسة البقرية، وهو كان قبلياً وأسلم وتولى ناظراً للذخيرة في عهد الناصر محمد بن قلاوون، وتوفي عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، ودفن بمدرسته هذه، وهي تقع بحارة العطوف<sup>(٥)</sup> وتتكون هذه المدرسة من صحن وإيوان واحد شكل (٨)، وفي عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م أنشأ الأمير قطلوبغا الذهبي الذي كان معاصراً للسلطان حسن<sup>(٦)</sup> مدرسة وتتكون هذه المدرسة من صحن وإيوان واحد<sup>(٧)</sup> شكل (٩) وتبلغ مساحة هذه المدرسة ١٢٧,٦١م<sup>(٨)</sup> ويشير النص التأسيسي إلى أنه تم إنشاء هذه المدرسة في شهر محرم ٧٤٨هـ/أبريل ١٣٤٧م<sup>(٩)</sup> وفي شهر ربيع الآخر ٧٥٧هـ/أبريل ١٣٥٦م أنشأ الأمير سيف الدين صرغتمش أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون، مدرسة وتعرف الآن بجامع الخضير قرب مسجد ابن طولون<sup>(١٠)</sup> وهي تتكون من صحن وأربع إيوانات، وتبلغ مساحتها ٢٥٠٥,٨٨٩م<sup>(١١)</sup>، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ابتداء هذه

(١) أخطأ المقرئزي وذكر أن تاريخ إنشاء المدرسة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧-١٣٣٨م. راجع: المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٥٥٥، نقلاً عن: عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٠٣، حسن عبد الوهاب، المساجد الأثرية، ج ١، ص ٥٨.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٤٨٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٤٣.

(٣) د. سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ١، ص ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية، أثر رقم (٢٤٢).

(٥) حارة العطوف تنسب هذه الحارة إلى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية، وهي منسوبة إلى أحد خدام القصر وهو

عطوف غلام الطويلة، وكان قد خدم ست الملك أخت الحاكم بأمر الله. راجع: المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ص ١٣-١٤.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ص ٨٣٩-٨٤١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٤١.

(٨) مركز دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٤٢).

(٩) عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٠٥.

(١٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٥٥، السخاوي، الدليل الرفيع على الأصر، ص ٤٩٣.

(١١) حسن جودة القصاص، مدرسة صرغتمش، ص ٤١.



المدرسة<sup>(١)</sup> أما تاريخ الفراغ من المدرسة فورد بالنص التأسيسي في شهر ربيع الآخر سنة ٧٥٧هـ/أبريل سنة ١٣٥٦م<sup>(٢)</sup> وهذه المدرسة ذكر أنها مجموعة معمارية<sup>(٣)</sup> شكل (١٠) متعددة الأغراض الوظيفية، فالوثيقة تنص على وجود مدرسة للمذهب الحنفي.. وجامع تقام فيه الصلوات.. والبيوت السفلية والعلوية بالمدرسة المذكورة برسم الفقهاء وأرباب الوظائف بالمدرسة وفسقية لخزن المياه.. والمكان بدهليز المدرسة برسم مكتب السبيل<sup>(٤)</sup>، وفي عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م أنشأ الأمير متقال<sup>(٥)</sup> مدرسة تقع بخط بين القصرين<sup>(٦)</sup> وهي من المدارس المعلقة وتتكون من صحن مربع تحيط به أربع إيوانات<sup>(٧)</sup> وتبلغ مساحة تلك المدرسة ٢,٨٩م<sup>(٨)</sup> وتشير اللوحة التأسيسية بالمدرسة إلى أن الأمير متقال أنشأ مدرسة ولم يرد باللوحة التأسيسية تاريخ الإنشاء أو تاريخ الفراغ، ولكن ورد باللوحة التأسيسية وظيفة من أنشأ هذه المنشأة وهو مقدم الممالك، وقد تولى الأمير متقال هذه الوظيفة بين سنتي ٧٦٣-٧٧٦هـ/١٣٦١-١٣٧٥م، وعلى هذا فيمكن تأريخ المدرسة ما بين سنتي ٧٦٣-٧٧٦هـ/١٣٦١-١٣٧٥م<sup>(٩)</sup>، وقد أنشأ الأمير ألباي اليوسفي مدرسة عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢-١٣٧٣م، وتتكون هذه المدرسة من صحن تتعاهد عليه أربعة إيوانات،

(١) ذكر المقريري أن تاريخ ابتداء بناء المدرسة كان يوم الخميس شهر رمضان سنة ٧٥٦هـ/سبتمبر سنة ١٣٥٥م، أما ابن إلياس فذكر أنه ابتداء في بناء مدرسته في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. راجع: المقريري، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢٢، ابن إلياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٥٥.

(٢) عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٠٧، هناك رأي أنه ابتدئ في عمارة مدرسة صرغتمش في رمضان سنة ٧٥٦هـ وتم الانتهاء منها في جمادي الأول عام ٧٥٧هـ، راجع: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٦، وكان المقريري له نفس الرأي في أن الانتهاء من بناء تلك المدرسة كان في جمادي الأول سنة ٧٥٧هـ/مايو ١٣٥٦م. راجع: المقريري، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢٨.

(٣) وثيقة صرغتمش رقم ٣١٩٥ بوزارة الأوقاف لشربها حسن جوده القصاص في رسالته للماجستير، راجع: حسن جوده القصاص، المدرسة الصرغتمشية، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٣، ملحق (١)، ص ١٤٧.

(٤) المرجع نفسه، الوثيقة ص ص ١٤٩-١٥٧.

(٥) الأمير متقال بن عبد الله الحبشي الملقب سابق أحد النجباء من الحبشة تقدم حتى صار من مقدم الممالك في دولة الأشرف شعبان بن حسين أي عنده، ت سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤-١٣٧٥م. راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٣٥.

(٦) المقريري، الخطط، ج ٢، ص ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.

(٨) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٤٥).

(٩) أخطأ علي مبارك وذكر أن تاريخ المدرسة عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، راجع: علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ١٣، عادل شريف، المرجع السابق، ص ٢١٠.



شكل (١١)، وتبلغ مساحة هذه المدرسة ٣٤٠٠ م<sup>٢</sup><sup>(١)</sup> وهذه المدرسة تجمع بين وظيفتي المدرسة والمسجد الجامع.<sup>(٢)</sup>

مما سبق يتضح أن من خلال إنشاء المدارس المختلفة ونصوصها التأسيسية نجد عليها تزايد نفوذ الأمراء والوزراء وأتابك العسكر بصورة مبالغ فيها وتضائل نفوذ السلاطين والملوك حيث احتلت أسماء وألقاب الأمراء والوزراء مكان الصدارة، وظهرت أيضاً أسماء قضاة ومقدمين للعسكر.. ما كان لها أن تظهر لولا ضعف شخصية السلاطين.. وهذا ما بدا واضحاً في الصفحات السابقة، هذا إلى جانب ما بدا واضحاً في الاختلاف الشديد بين مساحات مدارس السلاطين التي كانت من الفخامة والضخامة والتي كانت سبباً في حدوث الأزمة الاقتصادية كمدرسة السلطان حسن، وإمكانات الأمراء التي بدت بالمقارنة بمساحة مدارس السلاطين أنها صغيرة فجاءت مساحة مدارسهم صغيرة بالمقارنة بمنشآت السلاطين.

### المساجد:

مما لا شك فيه أن سياسة المماليك من الإكثار من تشييد المدارس السابق الحديث عنها والمساجد التي سوف نتحدث عنها إنما ترجع إلى عدة عوامل متشابكة ومتداخلة، من أهمها حرص السلاطين والأمراء على الظهور في صورة حماة العقيدة الإسلامية السنية والعاملين على نشرها وذلك لينسى لهم رعاياهم ماضيهم الذي ارتبط بالرق فضلاً عن اغتصابهم الحكم من سادتهم الأيوبيين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، حرص المماليك وهم الغرباء بالنسبة للثقافة الإسلامية واللغة العربية ولاسيما بعد انتهاء الأخطار الخارجية الكبرى التي تمثلت في الصليبيين والمغول، والتي أتاحت الفرصة لسلاطين المماليك الأوائل أن ينتزعوا من رعاياهم ومن العالم الإسلامي أجمع اعترافاً بأنهم حماة الإسلام<sup>(٣)</sup>، فاهتم سلاطين وأمراء المماليك ببناء المساجد الجامعة التي تتكون من صحن أوسط تحيط به أربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة<sup>(٤)</sup>، وأهم المساجد التي أنشئت في العصر المملوكي هو مسجد السلطان الظاهر بيبرس ٦٦٥-٦٦٧هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م والذي

(١) د. سعاد ماهر، مساجد مصر، ج-٣، ص ٣١٧.

(٢) عادل شريف، المرجع السابق، ص ٢١٧، ذكر المقرئزي، ابن إياس، على مبارك، أن المنشأة مدرسة، راجع: المقرئزي، الخطط،

ج-٢، ص ٣٩٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج-١، ق ٢، ص ١٢٠، على مبارك، الخطط التوفيقية، ج-٢، ص ١٠٥.

(٣) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط-١، القاهرة، سنة ١٩٨٠، ص ص ٢٣٥-٢٣٦، سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٤٣.

(٤) كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٣٧.



يقع بميدان الظاهر بالقاهرة<sup>(١)</sup>، شكل (١٢) وقيل أنه يشبه جامع ابن طولون في تخطيطه<sup>(٢)</sup> وتبلغ مساحته حوالي ١٢٠٠٠ م<sup>(٣)</sup>، وللناصر محمد بن قلاوون جامعين أكبرهما بالقلعة ٧٣٤-٧٣٥ هـ/١٣٣٤ م والجامع الآخر بالنحاسين فهما على نظام المدرسة ذات الأربع أروقة<sup>(٤)</sup>، وتبلغ مساحة جامع الناصر بالنحاسين ٧٨٣,٠٠ م<sup>(٥)</sup> أما مساحة مسجده بالقلعة فتبلغ ٣٥٩١ م<sup>(٦)</sup>، شكل (١٣)، ومن المساجد التي أنشئت للأمراء جامع آل ملك الجوكندار الناصري، وهو أنشئ عام ٧١٩ هـ/١٣١٩ م كما ورد على النص التأسيسي<sup>(٧)</sup> ويتكون من صحن وأربع إيوانات، وتبلغ مساحته ٣٣١,٦٥ م<sup>(٨)</sup> وفي عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩-١٣٣٠ م أنشأ الأمير قوصون الساقى عند الناصر محمد بن قلاوون الجامع الذي ينسب إليه بإسمة<sup>(٩)</sup> وتبلغ مساحته ٦٧٢ م<sup>(١٠)</sup> وهو يتبع نظام المساجد الجامعة أيضاً ويتكون من صحن وأربعة إيوانات (أروقة) والتي سادت في العصر المملوكي<sup>(١١)</sup>، أما جامع الأمير ألماس الحاجب الذي كان يعمل حاجباً عند الناصر محمد فقد أنشئ عام ٧٢٩ هـ/١٣٢٨-١٣٢٩ م وتاريخ الفراغ من إنشائه كان عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩-١٣٣٠ م<sup>(١٢)</sup>، وأنشأ الأمير بشتاك الناصري الذي كان يعمل كاتب السر عند الناصر محمد بن قلاوون، مسجده عام ٧٣٧ هـ/١٣٣٦-١٣٣٧ م<sup>(١٣)</sup> والذي بلغت مساحته حوالي ١٢٥١,٣٢ م<sup>(١٤)</sup>، وأنشأ الأمير الطنبا المارداني الساقى عند الناصر محمد جامعة عام ٧٣٩ هـ/١٣٣٩ م واللوحة التأسيسية تشير إلى أن إنشاء الجامع سنة

(١) ذكر المقرئ أن هذا الجامع يقع خارج القاهرة بميدان قراقوش وكان هذا الميدان يقع خارج باب الفتوح، راجع: المقرئ، الخطط، ج-٢، ص ١٩٧-١٩٨.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص ٤٦٦.

(٣) منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص ٨٩.

(٤) كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٣٩.

(٥) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٤٤).

(٦) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج-٣، ص ١٣٥، منظمة العواصم الإسلامية، ص ١٠٥.

(٧) عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ١١٧، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٨) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة أثر رقم (٢٤).

(٩) ذكر المقرئ أن الأمير قوصون ابتداء في عمارة هذا الجامع سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩-١٣٣٠ م، وأقيمت أول خطبة فيه يوم

الجمعة ١١ رمضان ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م-١٣٣٠ م، راجع: المقرئ، الخطط، ج-٢، ص ٣٠٧-٣٠٨، المقرئ،

السلوك، ج-٢، ق ٢، ص ٣٢٠ عن عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٧٢.

(١٠) شاهنده كريم، مساجد وجوامع أمراء الناصر محمد، ص ١٢٦.

(١١) Houtecoer et wict: Les mosques du Cairo, P263.

(١٢) زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٨٤.

(١٣) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ١٤٣.

(١٤) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٠٥).





٧٣٩هـ/١٣٣٩م واللوحة التأسيسية تشير إلى أن إنشاء الجامع سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨-١٣٣٩م، أما تاريخ الفراغ منه فقد ورد باللوحة التأسيسية أعلى المدخل الشمالي للجامع في شهر رمضان سنة ٧٤٠هـ/مارس سنة ١٣٤٠م<sup>(١)</sup> وهو عبارة عن صحن وأربعة أروقة<sup>(٢)</sup> وتبلغ مساحته حوالي ٢٤٥٠م<sup>(٣)</sup> وتعددت وكثرت المساجد في عصر المماليك البحرية بصورة واضحة ومبالغ فيها خاصة لأنها كانت للأمراء ومنها على سبيل المثال لا الحصر، جامع أصلم السلحدار ٧٤٦هـ/١٣٤٤-١٣٤٥<sup>(٤)</sup> وتبلغ مساحته حوالي ٢٥٩٣,٨٢م<sup>(٥)</sup> وجامع آق سنقر الناصري ٧٤٨هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م<sup>(٦)</sup> وتبلغ مساحته حوالي ٢٧٠٧,٨٢م<sup>(٧)</sup> وكلاهما من ممالك الناصر محمد بن قلاوون أما جامع الأمير شيخو<sup>(٨)</sup> الذي أنشئ أثناء الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م والذي استمر حتى عام ٧٥١-٧٥٢هـ/١٣٤٩-١٣٥٠م وحدث الاضطراب الاقتصادي الرهيب الذي حدث في تلك الأعوام، نجد أن الأمير شيخو ينشئ مسجداً وذكر على النص التأسيسي لهذا الجامع أن الفراغ منه كان في شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبع مائة نوفمبر ١٣٤٩<sup>(٩)</sup> ولم يرد بالنص التأسيسي تاريخ إنشاء الجامع<sup>(١٠)</sup> وتبلغ مساحة هذا الجامع حوالي ١٥٧٩,٢٣م<sup>(١١)</sup> شكل (١٤).

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٤٩، كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٤١، عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٧٤.

(٢) Hauteceur et weit: Op. Cit, P 263.

(٣) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٣، ص ٢١٧.

(٤) المقریزی، الخطط، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٥) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (١١٢).

(٦) عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٢٨١-٢٨٣.

(٧) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (١٢٣).

(٨) شيخو بن عبد الله الناصري الأمير الكبير سيف الدين أصله من كتابية الملك الناصر محمد بن قلاوون وتقدم في دولة الملك المظفر حاجي، ولما قتل وتسلطن أخوه الملك الناصر حسن عام ٧٤٨هـ صار المتحدث في الدولة هو الأمير شيخو واستمر على ذلك إلى سنة ٧٥١هـ، وكان شيخو رأس نوبة، وعندما تسلطن الملك الصالح صار شيخو من مدبري المملكة بل أصبح رأس نوبة النوب وذلك عام ٧٥٢هـ، لمزيد من التفاصيل: راجع: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٥٧-٢٥٩.

(٩) عادل شريف، المرجع نفسه، ص ٢٨٧.

(١٠) أنخطأ المقریزی في ذكر تاريخ إنشاء الجامع وذكر أن الجامع أنشئ سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م وهذا التاريخ هو تاريخ إنشاء خالقاته التي أنشأها قبالة الجامع، راجع: المقریزی، الخطط، ج ٢، ص ٣١٣-٣١٤. ويرجح الدكتور/ حسن عبد الوهاب أن تاريخ بدء العمارة في هذا الجامع سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م في آخر دولة المظفر حاجي وذلك لوجود اسم المظفر على شباك من النحاس المكفت بالذهب والفضة اكتشفه بالجامع سنة ١٩٣١م: راجع: حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج ١، ص ١٥٧.

(١١) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (١٤٧).



## مصليات الجنائز:

فحصت مصليات الجنائز بدور جليل الشأن عظيم الأثر عند حدوث الأزمة، وما يعقبها: من الموت والوباء وغير ذلك من مظاهر حدوث الأزمة، حيث أن الموتى كانوا يحملون إليها ويغسلون في المغاسل الملحقة بها حسب الشريعة الإسلامية ثم يجهزون للدفن ثم يصلى عليهم صلاة الجنازة، وبعدها يتوجهون مباشرة إلى مثواهم الأخير، ومن الطبيعي أن مثل تلك المصليات كانت تنضح أهميتها ويبرز دورها ويشدد الطلب على بنائها والإكثار منها أثناء وبعد حدوث المجاعات والأوبئة خاصة وباء الطاعون وما كان يصاحب ذلك من انتشار الأمراض وكثرة الوفيات بطريقة بل بدرجة كبيرة<sup>(٢)</sup>، وتزخر المصادر التاريخية بأمثلة كثيرة تصور لنا ذلك تصويراً لا يكاد يخلو من المبالغات الواضحة من كثرة عدد الأموات وعجز الناس عن دفن موتاهم<sup>(٣)</sup> كما اشتغل الناس أيضاً ببناء القبور بالطين وإصلاح المتهدم منها إلى جانب اشتغال البعض بتغسيل الأموات وتجهيزهم وحملهم إلى المقابر هذا وقد حرص كثير من السلاطين والأمراء ومن سلك نهجهم من أهل الخير على تخصيص الأوقاف المغسلة من أجل تغسيل الفقراء المسلمين وتكفينهم أو بناء المصليات والمغاسل<sup>(٤)</sup> وكما ذكر المقرئ أن أكثر الأوقاف نفعا كان وقف الطرحاء الذى وقفه الظاهر بيبرس من أجل تغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم وتحدد لنا وثيقة السلطان حسام الدين لاجين الخاصة بعمارتها للجامع الطولوني مقدار ما يصرفه ناظر الوقف برسم "تجهيز من يموت من الفقراء والمساكين في خط الجامع المذكور في كل شهر من الشهور مقدار ثلاثمائة درهم نقرة يصرف من ذلك في ثمن كفن للميت وما يحتاج إليه لتغسيله وتكفينه... بالقبعة المجاورة للفسقية التى في زيادة الجامع البحرية"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (١٤٧).

(٢) د. محمد حمزة إسماعيل الحداد، مصليات الجنائز في العمارة المصرية الإسلامية، دراسة (تحليلية مقارنة) وثائقية تاريخية، مجلة كلية الآثار، العدد الثامن سنة ١٩٩٧م، كلية الآثار جامعة القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٠، ص ١٤٩.

(٣) مزيد من التفاصيل راجع: الفصل الأول من البحث، ص ٢٩ - ٤١.

(٤) د. محمد حمزة، المرجع نفسه، ص ١٥٠.

(٥) وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين، نقلاً عن د. عبد اللطيف إبراهيم، الوثائق في خدمة الآثار، ضمن كتاب دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، القاهرة سنة ١٩٧٩م، ص ٤٦٢ - ٤٦٣، نقلاً عن د. محمد حمزة، مصليات الجنائز، ص ١٥٠.



## الخانقاوات:

تعتبر مدارس العامة من أبناء الشعب ممن نذروا أنفسهم لحياة الزهد والتعبّد وأعمال الخير، أو من أهل الحرف والصناعات الذين كانوا يقضون بعض أوقات فراغهم بين جماعات إخوان الطرق الصوفية<sup>(١)</sup> وباختصار يمكن القول أن سلاطين المماليك قد اهتموا بها كثيراً وأوقفوا عليها الأوقاف السخية من العقارات والأراضي<sup>(٢)</sup> ولأهمية الخانقاه أنه إذا تم بناء إحداها وكانت للسلطان افتتحها السلطان بنفسه في حفل كبير يحضره رجال الدين والقضاة والمشايخ الصوفية، وقد حرصت معظم الحجج المتعلقة بهذه الأبنية على وضع الشروط الكفيلة بالقطاع الصوفية فيها للعبادة وعدم تغييهم عنها أكثر من ثلاثة أيام في الشهر الواحد لا يقطع لهم فيها معلوم فإن غاب أحدهم أكثر من هذه الثلاثة أيام النقطع معلومه ووفر لجهة الوقف<sup>(٣)</sup> ويمكن القول أن الأمراء أنشأوا خوانق في العصر المملوكي ضمنوا لها وظيفتها الأساسية وهي وظيفة الخانقاه ببناء المساجد الجامعة في مواجهتها أو بجوارها مثل الأمير بشتاك الذي أنشأ تجاه جامعة في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م خانقاه على الخليج الكبير "ونصب بينهما سابطاً يتوصل من أحدهم إلى الآخر"<sup>(٤)</sup> ومن أهم الخانقاوات التي وصلت إلينا من العصر المملوكي البحري، خانقاه سلار وسنجر الجاولي ٧٠٣-٧٠٤هـ / ١٣٠٣-١٣٠٤م، وقيل عنها أنها مسجداً ومدرسة، ولكن ليس بها ملامح أو شكل المسجد أو المدرسة، وهي مبنية على الصخرة المباشرة ولها مدخل مرتفع<sup>(٥)</sup> وتبلغ

(١) د. حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ص ٣١٨، د. سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون، ص ٤٧٧.

(٢) د. حسن الباشا، المرجع نفسه، ص ٣١٨، د. سعد زغلول، المرجع نفسه، ص ٤٧٧.

(٣) لم يكن من مصلحة الصوفية أن يزداد عددهم وذلك لأن وقف الخانقاه ثابت لا يتغير حتى لا تؤدي هذه الزيادة العددية إلى نقص في رواتبهم وجراياهم بما يؤدي بدوره إلى انخفاض مستوى معيشتهم، وكان من هذا الحرص على ما يبدو أن ظهرت العصبيات الطائفية بينهم ليس هذا فقط بل إن عملية التناقل مريد من شيخ إلى شيخ أو من خانقاه إلى أخرى كثيراً ما كانت ترجع إلى نزوع هذا المريد إلى الدنيا وترك الدين، خاصة وأن بعض هذه الخانقاوات كانت تتمتع بأوقاف كثيرة تجعل حياة صوفيتها أكثر ليونة وسعة. راجع: د. عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية، ص ٢٦-٢٧.

(٤) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٠٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٠٨، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ١٤٣.

(٥) هذه الخانقاه في شارع مراسينه الأخذ من ميدان السيدة زينب إلى القلعة، وهي مبنية على ربوة عالية وقد اقترن اسم هذه الخانقاه بشخصيتين كبيرتين من عرفت به وهو الأمير الكبير سنجر الجاولي الشافعي، والثانية الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة، والنصوص التاريخية المدونة على الخانقاه لم تنسبها إلى أحدهما، ولكن رجح الدكتور/ حسن عبد الوهاب أن منشئها هو الأمير سلار، ولذلك يقرأ على مشكاه له "مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب =



مساحتها حوالى ٧٨٠م<sup>(١)</sup> وفى عام ٧٠٦-٧٠٧هـ / ١٣٠٦-١٣٠٧م أنشأ بـيرس الجاشنكير خانقائه<sup>(٢)</sup> شكل (١٥) التى تقع حالياً بشارع الجمالية بالدرب الأصفر<sup>(٣)</sup> وأنشأ بجانب الخانقاه رباطاً كبيراً يتوصل إليه من داخلها والحق بها قبة كبيرة<sup>(٤)</sup> وتبلغ مساحة هذه الخانقاه حوالى ١٦٥٠م<sup>(٥)</sup> ويشير النص التأسيسى إلى أن بـيرس الجاشنكير أنشأ خانقاه وكان تاريخ الفراغ منها سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، ولم يرد بالنص التأسيسى تاريخ الإنشاء<sup>(٦)</sup> وعند ما قتل بـيرس الجاشنكير أغلقت هذه الخانقاه وظلت نحو عشرين سنة مغلقة ولكن الناصر محمد أمر بفتحها فى أول سنة ٧٢٦هـ ففتحت وأعاد إليها ما كان موقوفاً عليها من أرض الجيزة ومصر والصعيد والوجه البحرى وغير ذلك... ولكن نجد أن الأزمات الاقتصادية أثرت على عمل هذه الخانقاه فعندما شرقت أراضي مصر لقصور مياه النيل أيام الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٧٦هـ "فبطل طعامها وتعطل مطبخها"<sup>(٧)</sup> وغلق المخبز من الخانقاه وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغاً من الفلوس معاملة القاهرة<sup>(٨)</sup> وقد كانت خانقاه الناصر محمد بسرياقوس ٧٢٥هـ من أسنى المعاليم بديار مصر حيث كان يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليخ رطل، ومن الخبز النقى أربع أرطال وغير ذلك من الدراهم الفضة والحلوى وزيت الزيتون والصابون وكسوة وفاكهة وغير ذلك من أشربة وأدوية إلى أن كان الوباء الأسود الذى عجل بحراب تلك الخانقاه تدريجياً حتى تطور الأمر وبطل الطعام وكل شئ كان يصرف لهؤلاء الصوفية حتى عام ٨٠٦هـ الذى عاد بالخراب الشامل على تلك الخانقاه<sup>(٩)</sup> وكانت خانقاه بكتمر الساقى بأخر القرافة الصغرى فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش فكان بها الشيخ وأتباعه من الصوفية والقراء وكان يصرف لهم الطعام والخبز والحلوى والدراهم والزيت والصابون ولما حدث الوباء

= السلطنة المعظمة عفا الله عنه" راجع: د. حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ١٢٥-١٣٠، د. سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون فى دولة الإسلام، ص ٤٧٧.

(١) د. حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، جـ ١، ص ١٢٥، ولزبد من التفاصيل: راجع د. عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية، ص ١٨٢، د. سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٣، ص ١٤٠-١٤٥، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٤٢١.

(٢) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٤٥.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٤١٨، د. محمد مصطفى نجيب، العمارة فى عصر المماليك، ص ٢٤٧.

(٤) د. حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، جـ ١، ص ١٣٢.

(٥) د. سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٣، ص ١٦٦-١٧٢، منظمة العواصم والمدن، ص ١٠٠.

(٦) عادل شريف، النصوص التأسيسية، ص ٣٢٧.

(٧) المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٤١٦-٤١٧ (طبعة بولاق).

(٨) المقرئى، الخطط، جـ ٤، مجلد ٢، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص ٧٤٠.

(٩) المقرئى، الخطط، جـ ٤، مجلد ٢، تحقيق د. أيمن فؤاد، ص ٧٦٩.





الأسود إلى جانب الفتن والمنازعات والصراعات بطل الطعام والخبز منها وخربت هي الأخرى<sup>(١)</sup> وزادت أعداد الخانقاوات زيادة كبيرة، فهناك خانقاه الأمير أحمد المهندي سنة ٧٢٥هـ — ١٣٢٤م<sup>(٢)</sup> و خانقاه الأمير مغلطاي الجمالي ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى خانقاه الأمير قوصون والتي أنشأها شمال القرافة تجاه جامعة سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥-١٣٣٦م<sup>(٤)</sup> والتي بطل طعامها وخبزها الذي كان يصرف لمستحقيها وصار يصرف لهم مال من نقد ولكن تلاشى أمرها بعد أن كانت من أعظم الجهات البر وأكثرها نفعا وخيرا<sup>(٥)</sup> وذلك بسبب الأزمات الاقتصادية والأوبئة التي أصابت البلاد والعباد هذا إلى جانب خانقاه الأمير منجك اليوسفي التي أنشأها تجاه جامعة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م<sup>(٦)</sup> و خانقاه الأمير شيخو بالصليبية والتي أنشأها تجاه جامعة في سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م<sup>(٧)</sup> وتبلغ مساحتها حوالي ٤٦١٥م<sup>(٨)</sup> هذا وقد كانت الخوانق بيوتاً يشيدها الأمراء والملوك والأثرياء ليقيم فيها أهل التصوف ليلاً ونهاراً متفرغين إلى عبادة الله<sup>(٩)</sup> وأن منشئها كانوا يجلسون عليها الأوقاف ويجرون على أهلها الأرزاق ويجزلون لهم العطاء وكانت بتلك الخانقاوات مطابخ يوزع منها على كل فقير من فقرائها اللحم والطعام والخبز والحلوى، وإن كان هذا المقرر يتناسب مع حال النيل ورخاء العيش في مصر<sup>(١٠)</sup> وكان الغرض من هذه الأرزاق تهينة الجو الصالح لتفرغ المجاورين لعبادة الله<sup>(١١)</sup> وعندما دب الفساد والاضمحلال في حكم سلاطين المماليك البحرية نتيجة للنزاعات والصراعات والفتن والاضطرابات إلى جانب حدوث الأوبئة والجاعات، فالساق التصوف تحت تأثير الظروف

(١) المقرئى، المصدر السابق، ص ٧٧١-٧٧٢، د. توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، الناشر مكتبة كلية الآداب بالجماهير، ص ٤٤.

(٢) هو الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيرى المهندي لقيب الجيوش أيام الناصر محمد، راجع: المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٩٩-٤١٨ (طبعة بولاق).

(٣) المقرئى، المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٥.

Laila A. Ibrahim: The Khanqah of the Emir quouson in Cairo: Mitteilungen des Deutschen Archeologischen Institut Abteilungen, Kairo, Band 30, 1974, PP 37-65.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ٤، مجلد ٢، تحقيق/ أيمن فؤاد سيد، ص ٧٧٨.

(٦) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٠ (طبعة بولاق).

(٧) المقرئى، المصدر السابق، ص ٤٢١، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٥٥٧، د. محمد مصطفى الحبيب، المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٨) د. عاصم محمد رزق، الخانقاوات، ص ٣٣٨.

(٩) د. توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص ٣٩.

(١٠) د. توفيق الطويل، المرجع السابق، ص ٤١.

(١١) المرجع نفسه، ص ٤٢.



السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى التدهور والاضمحلال<sup>(١)</sup> واعتنقه العوام والدجالون واتخذوه وسيلة للعيش وأداه لتضليل الناس وخداعهم<sup>(٢)</sup> هذا إلى جانب أنها أضحت أخيراً ملاجئ للإيواء المرضى ومن قعدت بهم الشيخوخة عن اكتساب القوت<sup>(٣)</sup> ومن المرجح أن رواد الخانقاوات تأثروا بظروف الفقر التي أصابت الخانقاوات بسبب الأزمات الاقتصادية والأوبئة والمجاعات، فلم يعودوا من المتصوفة ولكن من الفقراء الباحثين عن مأوى ومأكل.

### المنشآت المدنية:

تعددت المنشآت المدنية في عصر المماليك في عصر المماليك البحرية وتنوعت ما بين بيمارستانات<sup>(٤)</sup> وأسبلة وحمامات إلى جانب القصور الملكية التي كان أهمها القصر الأبلق الذي أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة، ويقع هذا القصر وما يليه من قصور متتابعة بالجزء الجنوبي الغربي من قلعة صلاح الدين وتعرف باسم القصور السلطانية، وبدأ عمارته في شعبان ٧١٣هـ / نوفمبر - ديسمبر سنة ١٣١٣م، وأتم بناءه في العام التالي ٧١٤هـ / ١٣١٤م<sup>(٥)</sup> إلى جانب قصر الأمير بشتاك ٧٣٥-٧٣٨هـ / ١٣٣٤-١٣٣٨م بين القصرين بشارع المعز لدين الله<sup>(٦)</sup> وتبلغ مساحته ٨٥,٨٢م<sup>(٧)</sup> شكل (١٦) وقصر الأمير قوصون خلف مسجد السلطان حسن ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م<sup>(٨)</sup> وتبلغ مساحته حوالي ٩٠,٩٦م<sup>(٩)</sup> شكل (١٧) وقصر الأمير طاز بشارع السيوفية ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م<sup>(١٠)</sup> وغير ذلك من القصور

(١) توفيق الطويل، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٥.

(٤) من أشهر البيمارستانات (المستشفيات) المملوكية البيمارستان المنصوري الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون، وقيل أن السبب في إنشاء مجموعته المعمارية المدرسة والضريح والقبلة هو البيمارستان لأنه عولج في دمشق وهو أمير في بيمارستان السلطان نور الدين محمود بدمشق، فنذر أن أتاه الله ملك مصر أن يبنى بها بيمارستاناً. راجع: د. زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٧٩، د. حسن الباشا، موسوعة العمارة، ص ٣٢٨.

(٥) عبد الرحمن عبد التواب، القصر الأبلق (قصر الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة)، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، ج ١، القاهرة سنة ٢٠٠٠م، ص ٤٧٣.

(٦) د. حسن الباشا، موسوعة العمارة والفنون والآثار، ص ٣١٨.

(٧) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٣٤).

(٨) عطيات إبراهيم السيد سعودى، الرخام في عصر دولة المماليك البحرية، رسالة دكتوراه كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة ١٩٩٤م، ص ٤٨-٥٠.

(٩) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٦٦).

(١٠) عطيات إبراهيم، المرجع نفسه، ص ٥٠.



الفخمة والتي تألق الأمراء في عمارتها وكثرة المصروفات عليها مثل قصر الأمير آق الحسامي، والذي تبلغ مساحته حوالي ٤٣, ١٥٣٦ م<sup>(١)</sup>

هذا وقد حرص الأمراء على أن تكون منشأهم فخمة وغنية بالشراء الزخرفي، حتى في الوقت الذي ينبغي فيه الاقتصاد بسبب الحرب<sup>(٢)</sup> ومثال ذلك الدار البيسرية<sup>(٣)</sup> والتي كانت مخصصة لقصاص الفرنج حينما جدد عمارتها الأمير ركن الدين بيسرى الشمسي الصالحى النجمي<sup>(٤)</sup> أيام الظاهر بيبرس البندقداري<sup>(٥)</sup> والتي تألف في عمارتها وبالع في المصروف عليها وذلك "حتى يصل خبرها إلى بلاد العدو ويقال بعض ممالك السلطان عمراً داراً غرم عليها مالا عظيماً"<sup>(٦)</sup> هكذا كانت المنشآت المعمارية الدينية والمدنية تزخر بأسماء الأمراء الذين أنشأوا المدارس والمساجد والخانقوات والقصور والتي كانوا يستهدفون منها إظهار العظمة التي أحاطوا بها أنفسهم من كل اتجاه<sup>(٧)</sup> ولا شك أن كثرة منشآت الأمراء تدل على أن لهم اليد العليا والحكم والسطوة والقوة في البلاد وأن السلاطين ما هم إلا شكل دون مضمون، بل دُمى في أيدي الأمراء يتحكمون فيهم متى شاءوا كلاً منهم معتمداً على قدراته الشخصية في أن يصل يوماً ما إلى السلطنة نفسها وهذا ما حدث بالفعل في هذا العصر، وقد أدى حفر الخليج الناصري سنة ٧٢٥هـ / سنة ١٣٢٤م في غرب القاهرة حيث كان يستمد ماءه من النيل في مواجهة الحد الشمالى لجزيرة الروضة ويسير موازياً للخليج المصرى إلى أن يلتقى به شمال جامع الظاهر بيبرس عند بركة الرطلى، أدى إلى حكر العديد من الأراضي الواقعة بين الخليجين ومنحها للأمراء الذين أقاموا عليها العديد من

(١) مركز تسجيل دراسة الآثار الإسلامية والقبطية بالقلعة، أثر رقم (٢٤٩).

(٢) حسين مصطفى حسين، المحاريب الرخامية في القاهرة الممالك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨١م، ص ٤٣.

(٣) وهي بخط بين القصرين بالقاهرة. راجع: المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٦٩.

(٤) هو الأمير الكبير بدر الدين بيسرى بن عبد الله الشمسي الصالحى النجمى بالسجن بقلعة الجبل بالقاهرة عرضت عليه السلطنة لما قُتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون فامتنع وهو من آخر من بقى من ممالك الصالح نجم الدين أيوب وترقى حتى صار أمير مائة ومقدم ألف، وكانت له دار عظيمة بين القصرين، وبيسرى معناه اسم مركب من لفظين تركية وعجمية وصوابه في الكتابة باى سرى وهو سعيد الرأس. راجع: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٨٥-١٨٦.

(٥) حسين مصطفى حسين، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٦) المقرئى، مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققه د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن سنة ١٤١٦هـ / سنة ١٩٩٥م، ص ٤١١.

(7) Briggs (M.S): Mohammedan Architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924-PP 89-90.



المباني التي صارت نواه لعمران هذه المنطقة الذي تم بصورة واضحة في العصر العثماني<sup>(١)</sup> يقول المقرئزي "فأناقت الأحكار التي استجدت في أيامه - أي الناصر محمد بن قلاوون على ستين حكراً حتى لم يوجد موضع يحكر"<sup>(٢)</sup> لكن علينا أن نلاحظ أن تعمير الأحياء الواقعة في البر الغربي للخليج لم يكن قد اكتمل في عصر الناصر محمد بن قلاوون، كما أنه تأثر تأثيراً سلبياً بالآزمات الاقتصادية التي مرت بها مصر بين منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ومطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي<sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من إزدهار المنطقة الجنوبية للقاهرة خارج باب زويلة إلا أن هذا الازدهار أثر تأثيراً سلبياً على نمو المنطقة الشمالية خارج باب الفتوح حيث الحارة الحسينية وعلى الأخص في أعقاب الوباء الأسود أو الفناء الكبير ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م حيث هجرت هذه المنطقة ثم خربت نهائياً ونقضت مبانيها في أعقاب محنة ٨٠٦هـ - ١٤٠٣م، ومع ذلك فلم يوقف الوباء الأسود حركة التشييد والإعمار خارج باب زويلة، فتسم بناء جامع شيخو في هذه الفترة ومدرسة صرغتمش غير أن أهم هذه المنشآت على الإطلاق هي جامع ومدرسة السلطان حسن كما سبق أن ذكرنا ولا يدل تشييد هذه الجوامع والمدارس على أنها كما قد يتبادر إلى الذهن قد بنيت تلبية لزيادة سكانية فعلى العكس من ذلك تماماً فإن عدد سكان مصر قد انخفض في هذه الفترة نتيجة للفناء الكبير ولكن كثرة عدد الوفيات أدت إلى زيادة حصيلة ضرائب الموارث الحشرية والموارث مما سمح للحكام وكبار الأمراء بتنفيذ سياسة إنشائية طموحة<sup>(٤)</sup> وعلى الجانب الشعبي نجد أن الآزمات الاقتصادية أثرت عليها بطريقة واضحة وملحوظة فبعد حدوث الوباء الذي حدث عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م سارت القاهرة في طريق التدهور الشديد على مستوى العمران الشعبي، بينما كانت الأزمة تزداد شمولاً وبدأت تصيب مصر بأكملها، ولا شك بأنه يمكن تقدير النقص الحادث في القاهرة ذاتها عن طريق الاطلاع على حركة الحمامات التي توقفت عن العمل وتم التخلي عن عدد كبير منها، هذا إلى جانب خراب الأسواق والحارات بسبب حدوث هذه الأزمة<sup>(٥)</sup> فعن حركة الحمامات فقد قل عددها بسبب

(١) المقرئزي: تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي ٧٦٦-٨٤٥هـ / ١٣٦٥-١٤٤١م، كتاب المواعظ والاعتبار

في ذكر الخطط والآثار، حققها وكتب مقدمتها ووضع فهرسها د. أيمن فؤاد سيد، المجلد الثالث، مؤسسة الفرقان للتراث

الإسلامي، لندن سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ٥٩.

(٢) المقرئزي، السلوك ج ٢، ص ٥٤٣.

(٣) المقرئزي، الخطط، تحقيق د. أيمن فؤاد، مجلد ٣، ص ٦٠.

(٤) المقرئزي، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٥) جمال محمد طه، دراسة تحليلية للعمارة والعمران للقاهرة الفاطمية، رسالة دكتوراه، كلية التخطيط الإقليمي والعمراني، جامعة

القاهرة، سنة ٢٠٠٣م، ص ٢٩-٣٢.





حدوث الأزمات الاقتصادية المتكررة بصفة عامة وحدوث الوباء الأسود ٧٤٩هـ بصفة خاصة، فهناك حمام عجيبة الذى كان بخط الأكفانين، أنشأها الأمير فخر الدين أخو الأمير عز الدين موسى فى الدولة الأيوبية وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، وعرفت أخيراً بحمام عجيبة ثم خربت بعد سنة ٧٤٠هـ وموضعها الآن خرابة<sup>(١)</sup> أما عن حمام الرصاصى فهذا الحمام كان يقع بحارة الديلم، أنشأه الأمير سيف الدين حسين بسن أبى الهيجاء المروانى حامل السيف المنصور وأوقفها هى وما يجاورها على أولاده وذريته، فلما زالت الدولة الفاطمية عرفت بالأمير عز الدين أيبك الرصاصى، ولم تزل باقية إلى بعد سنة ٧٤٠هـ ثم خربت<sup>(٢)</sup> هذا إلى جانب حمامات أخرى عديدة خربت بعد عام ٧٤٠هـ مثل الحمام الجيوشى<sup>(٣)</sup> وحمام ابن علكان<sup>(٤)</sup> ومن المرجح أن المقصود بخرابها بعد عام ٧٤٠هـ أنها خربت بعد حدوث الوباء الأسود الذى خربت فيه مدن وأسواق وحارات وغير ذلك مما خرب فى هذا الوباء، أما عن الأسواق فقد كانت كثيرة ومتعددة فى مصر والقاهرة، وقد خرب أكثرها، والدليل على ذلك أن الذى خرب من الأسواق فيما بين أراضى اللوق إلى باب البحر بالمقس<sup>(٥)</sup> اثنان وخمسون سوقاً كانت كلها عامرة، وفيها عدد من الحوانيت يبلغ ستين حانوتاً<sup>(٦)</sup> ولكن نتيجة حدوث الأزمات الاقتصادية وبخاصة الوباء الأسود ٧٤٩هـ فقد خربت العديد من هذه الأسواق، وخير دليل على ذلك سوق حارة برجوان<sup>(٧)</sup> كانت هذه السوق من أعظم أسواق القاهرة وكانت عامرة الجانبين بالعديد من بائعي اللحوم المتنوعة، والزيتين، والجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشواتين والبواردية (بائعى الطرشى والمخللات) والعطارين وغيرهم... وقد خرب الأكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها أثر وتعطل بأسره بعد حدوث الوباء الأسود ٧٤٩هـ وتطور فى

(١) المقرئى، الخطط، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، مجلد ٣، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(٣) كانت بحارة برجوان على يمنة من دخل من رأس الحارة وكانت من حقوق دار المظفر بن أمير الجيوش. راجع: المقرئى، الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، مجلد ٣، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٤) هذا الحمام كان بحارة الجوذري، أنشأه الأمير شجاع الدين عثمان بن علكان، صهر الأمير الكبير فخر الدين عثمان بن قسزل ثم انتقل إلى الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى النجمى، راجع: المقرئى، الخطط، مجلد ٣، ص ٢٧٣.

(٥) باب البحر بالمقس سمي بذلك لأن بحر النيل كان بظاهرة حيث كان يمر على جامع المقس (موقع جامع الفتح بميدان رمسيس الآن) خارج هذا الباب، راجع: محمد الجهينى، أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية "حى باب البحر" القاهرة، دار النهضة الشرقى، سنة ٢٠٠٠م عن المقرئى، الخطط، مجلد ٣، هامش (٣) ص ٣١٥.

(٦) المقرئى، الخطط، مجلد ٣، ص ٣١٥.

(٧) هذه السوق من الأسواق القديمة وكان يعرف فى القديم أيام الفاطميين بسوق أمير الجيوش وذلك أن أمير الجيوشى بدر الجمالى لما قدم إلى مصر فى زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدة كفهينى بحارة برجوان الدار التى عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان، راجع: المقرئى، الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، مجلد ٣، ص ٣١٨-٣١٩.



الخراب والتدهور إلى سنة ٨٠٦ هـ ، وصار أوحش من وتد في قاع بعد أن كان الإنسان لا يستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلاً ونهاراً إلا بمشقة<sup>(١)</sup> وخرب أيضاً سوق الشماعين والذي يباع فيه الشمع وهو من الجامع الأقمر إلى سوق البجاجين وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال كثير وكان يقع به ما يزيد على عشرين حانوتاً وقد خرب هذا السوق ولم يبق إلا نحو الخمس حوانيت، وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع<sup>(٢)</sup> ومن المرجح أن قلّة ترف الناس راجع لتعرضهم للعديد من الأزمات الاقتصادية التي ألحقتهم إلى أن خراب هذه السوق والحوانيت التي بها راجع إلى حدوث الوباء الأسود سنة ٧٤٩ هـ والذي قضى على العديد والعديد من البشر، هذا إلى جانب خراب أسواق أخرى مثل سوق الجوخين الذي يباع فيه الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها ولما حدث الوباء الأسود سنة ٧٤٩ هـ وغلت أسعار الملابس دعت الظروف والضرورة أهل مصر إلى ترك أشياء مما كانوا فيه من الرفاهية وصار معظم الناس يلبسون الجوخ<sup>(٣)</sup> هذا إلى جانب خراب سوق الحلاويين المعد لبيع الحلوى والسكر ولما حدثت الحن والأزمات الاقتصادية وبخاصة الوباء الأسود ٧٤٩ هـ غلا السكر لخراب الدوايب التي كانت بالوجه القبلي وخربت مطابخ السكر وقل عمل الحلوى ومات أكثر صناعها<sup>(٤)</sup> أما عن سويقة العرب فقد خربت في الغلاء الذي حدث في عام ٧٧٦ هـ وخربت حوانيتها وهي خالية من السكان إلا القليل بعد أن كانت في غاية العمارة<sup>(٥)</sup>.

هكذا نجد أن كلا العصرين الأيوبي والمملوكي البحري على النقيض من بعضهما البعض، فبينما نجد العصر الأيوبي كان عصر تقشف وزهد بسبب ظروف الحروب الصليبية نجد أن ذلك انعكس على أنواع المباني والمنشآت فغلب عليها الطابع الحربي، فنجد ما يجلد أسمائهم من أسوار وقلاع وحصون وأبراج ومدن، وكثر إلى جانب ذلك العديد من المداس وذلك للقضاء على المذهب الشيعي وعودة المذهب السني وانتشاره في البلاد، هذا إلى جانب الخانقوات التي كانت مأوى للفقراء حيث كانوا يحصلون منها على طعام وشراب وكسوة وتحولت إلى ملجأ لرواد الخانقوات أنفسهم والذين تأثروا بظروف الفقر فلم يعودوا من المتصوفة ولكن من الفقراء الباحثين عن

(١) المقرئزي، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٣) المصدر نفسه، المجلد ٣، ص ٣٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥٢.



مأوى ومأكل هذا إلى جانب أننا لم نعثر على مساجد في العصر الأيوبي ربما للظروف الاقتصادية السيئة التي حالت دون بناء المساجد، ومن الملاحظ أن معظم المنشآت الأيوبية لم يظهر فيها أثر للرخاء والثراء وذلك بسبب ظروف الحروب كما سبق أن ذكرنا، وعلى العكس من العصر الأيوبي نجد العصر المملوكي البحري الذي تبارى فيه السلاطين بوجه عام والأمراء بوجه خاص، ذلك لأن الأمراء استحوذوا على كل شئ حتى على السلطة نفسها، فكان كل أمير من الأمراء سواء نائب للسلطنة، أو وزير، أو أتاك للسكر أو رأس نوبة أو غير ذلك من وظائف مختلفة وصل أصحابها إلى السلطة نفسها، بل وقبل وصولهم إلى السلطنة، نجدهم قد أكثروا من إنشاء المدارس والمساجد والخانقوات وغير ذلك من المنشآت التي تنافسوا فيما بينهم بإظهارها بالمظهر الفخم الأليق والذي يعتبر تخليداً لهم ولذكراهم، فلم يبالوا بما يعاني منه الشعب من ضيق وشدة وجوع وفاقة (مرض) بسبب حدوث الأزمات التي حدثت في عهدهم، حتى في أوقات الحرب نجد أن الأمراء لا يكفوا عن بناء المنشآت كما سبق أن ذكرنا فلم يكن همهم الأول إلا أنفسهم ومصالحهم باعتبار أنهم من طبقة وعامة الشعب من طبقة أخرى، المهم هو إظهار أنفسهم وإحاطتها بالعظمة والأبهة والفخامة فلم يكن هناك زهد أو تقشف بل هناك بذخ وإسراف حتى في ظل وجود الأزمات الاقتصادية وهو ما كان واضحاً على منشآتهم وعمارتها وزخارفها، تلك العمائر التي ما زال بعضها قائماً إلى الآن وتدل على ما كان عليه هؤلاء الأمراء من نفوذ وثراء دعاهم إلى الاهتمام بعمائرهم والعناية الشديدة بها، وعلى الجانب الآخر نجد أن السلاطين بلغت مساحة مبانيهم درجة عظيمة من الاتساع واتسمت مبانيهم بكبر الأحجام والضخامة والفخامة، نجد الأمراء أنفسهم نتيجة لسيطرتهم على مقاليد الحكم والسلطة تتسم مبانيهم بكبر أحجامها وضخامتها واتساعها وتفاوتت مساحات تلك المباني من أمير لآخر حسب ظروفه وإمكاناته، أما عن العمران الشعبي فقد تأثر تأثراً واضحاً بالأزمات الاقتصادية والأوبئة فنجد النقص الواضح بل الخراب في حمامات القاهرة وأسواقها التي كانت عامرة في يوم ما بجميع مطالب واحتياجات الناس سواء الأغنياء أو الفقراء.

### تأثير الأزمات الاقتصادية على الفنون التطبيقية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري:

ليس الباحث هنا بصدد الحديث عن أثر كل مجاعة بمفردها على الفنون التطبيقية، إذ أن الأزمة (المجاعة) كحدث تاريخي، ليس إلا حدثاً عابراً محدود الأثر، زمانياً على حركة الصناعات والفنون، فتطور هذه الفنون أو تدهورها لم يكن ليحدث طفرة واحدة، فضلاً عن أن العوامل المؤثرة على الفنون التطبيقية تعد بالأساس عوامل اقتصادية واجتماعية مستقرة ومتميزة بالثبات



النسبي<sup>(١)</sup> لذا فإن النتائج التي تمخضت عنها الأزمات (المجاعات) سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، هي التي أثرت بشكل مباشر على هذه الفنون، فالتغيرات الكمية التي تنتج عن كل مجاعة كانت تتراكم لتتحول في النهاية إلى فوارق كمية<sup>(٢)</sup> هذا وترتكز دراسة أثر نتائج المجاعات على الفنون التطبيقية على مفهومين رئيسيين .

- إن ما خلفته المجتمعات البشرية من آثار منقولة كانت تعبيراً حضارياً عن حالة هذه المجتمعات، اتخذ من طريق الصناعة والتشييد والفن سبيلاً من سبله المتنوعة للإفصاح عن نفسه<sup>(٣)</sup>

- إن منتجات الفنون التطبيقية في معظمها سلع ذات طابع فني سواء أكانت للاستخدام الشخصي أو المزلّ، كالخزف والزجاج والديج، أو كانت سلعاً ترفيهية، كالحلى والمعادن والبلور الصخري، وهي في ذلك تخضع في إنتاجها وذوقها الفني لطبيعة الطلب عليها وبديهي أن الطلب على هذه السلع يرتبط إلى حد كبير بنظم توزيع الثروة التي تترك أثرها على منتجات العمارة والفنون ، وتوضح في الوقت نفسه المستويات المختلفة لمعيشة كل طبقة من طبقات الأمة<sup>(٤)</sup> ومن خلال الأزمات الاقتصادية فقد أوجدت نظم توزيع الثروة في المجتمع المصري نمطين مختلفين من الطلب نتيجة لتغير الموازين القوى الشرائية.

### أولاً: نمط الطلب الأعلى:

هو الذي يشمل القوة الشرائية الكبيرة التي حاز أفرادها القسط الأكبر من ثروات البلاد (السلطين، الأمراء)، والقوى الاجتماعية صاحبة هذا النمط من الطلب تشمل أيضاً السلاطين، والأمراء، وجميع رجال الدولة من الطبقة العليا سواء القضاة، الوزراء، ولاة الأقاليم وغيرهم<sup>(٥)</sup> كما أن الأجناد كانوا هم المقطعين الذين حازوا معظم الأراضي الزراعية بل كل الأراضي

(١) د. أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص ٢١٩.

(٢) عن العلاقات بين التغيرات الكمية والكيفية. راجع: بليخالوف (ج): تطور النظرة الواحدة إلى التاريخ: ترجمة: محمد مستجير مصطفى، القاهرة سنة ١٩٦٩م، ص ١١٦، عن د. أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٣) د. صلاح الدين سيد البحيري، نحو منهج تحليلي وإنساني في دراسة الأركيولوجيا، مقال بالجلد العربية للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، المجلد الأول، الكويت سنة ١٩٨١م ص ١٥ عن د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٢١٩.

(٤) د. فريد شافعي، العمارة العربية، ص ٢٣٣ نقلاً عن د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٢١٩.

(٥) د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٢١٩.





الزراعية نتيجة نظام الإقطاع السابق الحديث عنه، هذا وقد لعبت ثروات هذه الفئات وميولها لتقليد السلاطين والأمراء أثراً بعيداً في تشكيل النمط الترفى الذى ساد المجتمع خاصة فى العصر المملوكى البحرى، لكن عند المقارنة بين العصر الأيوبي والمملوكى البحرى نجد أن هناك فارق بين العصرين فنجد أن العصر الأيوبي عصر حروب وصراعات ونجد أيضاً أن هذا العصر اتسم بالتقشف والبعد عن الترف، وهو السبب فى قلة ما وصل لنا من هذا العصر خاصة عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي، وفى قلة التحف التى تحمل اسمه وألقابه على عكس نزعة خلفائه الذين حكموا من بعده كانت إلى الترف أقوى منها إلى التقشف، وهو السبب فى إنتاج العديد من التحف التى حملت أسماءهم وألقابهم، وتوقيعات صناعتهم بالإضافة إلى أماكن صناعتها التى تعددت بين القاهرة والفسطاط وتنيس ودمياط وأخميم والإسكندرية وغيرها<sup>(١)</sup> والشئ الظاهر لنا أن عجلة الإنتاج الصناعى والفنى لم تتوقف<sup>(٢)</sup> على الرغم من الحروب الصليبية الدائرة والتى شغلت القاهرة ودمشق، فقد أمدتنا القاهرة ودمشق وغيرها من المدن بالعديد من التحف التى تدل على استمرار التطور فى الصناعات الفنية من حيث أشكالها ودقة صناعتها وكثرة زخارفها التى بدأت فى هذا العصر تنفذ بطرق جديدة لم تظهر من قبل<sup>(٣)</sup> أما العصر المملوكى البحرى فهو بحق من أعظم العصور الإسلامية إنتاجاً للفن بين الحضارات الإسلامية الكبرى، فهو العصر الذى شهد نزوج الشخصية الفنية التى تتميز منتجاته بصفات لا يحطها أحد<sup>(٤)</sup> وقد ساعد على هذا النزوج ما شهدته البلاد من انتعاش تجارى، وما ترتب على ذلك من صلات بين مصر وغيرها من البلاد، تلك الصلات التى امتدت من بلاد الصين شرقاً إلى بلاد الأندلس والبرتغال غرباً، الأمر الذى ساعد على رواج التبادل الفنى بين مصر وهذه البلاد، وما نتج عنه من تبادل تأثيرات فنية ووفرة فى المال والثروة، ومع المال والثروة يكون البذخ والرغبة فى التأنق والتفنن والاقتناء<sup>(٥)</sup>

## ثانياً: نمط الطلب الأدنى:

ويشمل القوى الاجتماعية ذات المقدرة الشرائية الضعيفة، التى يأتى الفلاحون فى مقدمتها باعتبار تأثيرهم باضمحلال الزراعة والتشار الأوبئة الفتاكة أثناء المجاعات والأزمات

(١) د. عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبي، ج ٢، مركز الكتاب للنشر سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ١١.

(٢) د. سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٩٤.

(٣) د. عبد العزيز صلاح سالم، المرجع نفسه، ص ١١.

(٤) د. جمال عبد الرحيم إبراهيم، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصرين الأيوبي والمملوكى، سنة ٢٠٠٠م ص المقدمة.

(٥) د. جمال عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص المقدمة.



المختلفة التي نشرت الفقر بين صفوف الفلاحين، هذا إلى جانب النظام الإقطاعي الذي قضى على البقية الباقية من الفلاحين حيث كانوا كما سبق أن ذكرنا عبيد الأرض، أوقن الأرض، وظلوا ذلك حتى نهاية عصر المماليك كله أى بشقية المملوكى البحرى والجركسى، وإلى جانب هذه القوى المحدودة الدخل ينتسب فقراء المدن الذين أرهقوا من جراء تزايد المكوس والضرائب المختلفة التي شملت جميع أوجه النشاط التجارى والصناعى وقد توجه طلب هذه القوة الشرائية المنخفضة نحو السلع الرخيصة التي تلبي احتياجاتهم المعيشية الأساسية<sup>(١)</sup> وإزاء وجود هذين النمطين المتباينين من الطلب، نشأ فئطان مقابلان من العرض يوفر كل منهما سلعاً تستجيب لهذه القدرات الشرائية المتناقضة، ورغم أن المنتجات أو السلع المرتفعة التي تميزت بدوق فنى رفيع، إلا أن الدوق الفنى لم يتخل عن المنتجات الرخيصة الثمن، سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكى البحرى.

### تأثير الأزمات على منتجات الخزف والفخار:

يعد الخزف والفخار أكثر منتجات الفنون التطبيقية تأثراً بحالة المجتمع وأبلغ تعبير عنها في ذات الوقت، ويرجع ذلك ليس فقط إلى قابليته للكسر بسهولة، مما يجعل الطلب عليه في تجدد مستمر، بل وأيضاً إلى أن الخزف كان مادة شائعة الاستعمال بين كل طبقات المجتمع المصرى سواء في أوقات الأزمات أو بعد حدوث الأزمات أو حتى قبل حدوثها، هذا إلى جانب الإشارة إلى مستويات المستهلكين المادية وذوقهم الفنى<sup>(٢)</sup>

### الخزف الأيوبي في مصر والشام:

لا شك أن تدهور الحياة الاقتصادية في مصر في أواخر العصر الفاطمى، والتي كان لها أثرها على اختفاء صناعة هامة من الخزف، وهى الخزف ذو البريق المعدنى<sup>(٣)</sup> إلا أن التقاليد الفاطمية استمرت في صناعة الخزف على المنتجات الخزفية الأيوبية<sup>(٤)</sup> ولكن يمكننا القول بأن المنتجات الفنية بعامة، والخزف بوجه خاص سواء في العصر الأيوبي أو العصر المملوكى البحرى

(١) د. أحمد الصاوى، المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٤.

(٣) هو نوع من الخزف ابتكره الخزاف المسلم، ربما ليكون بديلاً عن الأواني الذهبية والفضية التي حرم الإسلام استعمالها راجع:

د. زكى محمد حسن، فنون الإسلام، القاهرة، سنة ١٩٥٨م، ص ٧٥.

(٤) م. س. ديمالد، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، دار المعارف سنة ١٩٨٢م، ص ٢١٨.



قد اعتراها تغير جوهري من حيث المواد الخام، ومن حيث الأسلوب الصناعي والتطبيقي وكذلك الأساليب والطرز الفنية<sup>(١)</sup> هذا وقد اختفى الخزف ذو البريق المعدني من مصر لعدة أسباب لعزل من أهمها وأبرزها هو حريق مدينة الفسطاط أثناء النزاع بين وزراء الدولة الفاطمية شاور وضرغام، واستنجد كل منهما بمساعدة كلاً من الصليبيين والأيوبيين، مما أدى في النهاية إلى سقوط الدولة الفاطمية، والقضاء على الخلافة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، هذا إلى جانب العامل الاقتصادي الذي أدى إلى عدم قدرة الخزافيين إلى إعادة أفران تقوم بعمل نوع من الخزف غالي الثمن مثل البريق المعدني لعدم وجود المشتري، هذا بالإضافة إلى أن أحوال البلاد الاقتصادية بسبب الحروب الصليبية قضت على السوق الخارجية<sup>(٣)</sup>، هكذا تفاعلت العوامل السياسية، والعوامل الاقتصادية مع بعضها البعض لتؤثر على الخزف ذو البريق المعدني وتضمحل بل تتلاشي صناعته ليحل محله أنواعاً أخرى من الخزف تلك الأنواع التي لا تعتمد مادة البريق في صناعتها، مثل الخزف المحزوز تحت الطلاء<sup>(٤)</sup> وهو من أنواع الخزف التي عملت في مصر تقليداً للخزف الصيني الذي اشتهرت به أسرة سونج الصينية<sup>(٥)</sup> وتحز الزخارف في طين الإناء ثم تطلّى بطلاء زجاجي من لون واحد<sup>(٦)</sup> وتبدو الزخارف أكثر دكنة من لون الإناء لترسب الطلاء في حروز هذه الزخارف<sup>(٧)</sup> وقد ظهر هذا النوع أواخر العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي ٥-٦هـ/١١-١٢م، وذلك لتلبية حاجات الفقراء، حيث أنه أقل نفقة من الخزف ذي البريق المعدني<sup>(٨)</sup> إن وجد، ويبدل أسلوبها الضعيف على اضمحلال صناعة الخزف بصفة عامة أواخر ذلك العصر<sup>(٩)</sup> كما سبق أن ذكرنا، وهو ما يمثل نمط الطلب الأدنى للقوى الاجتماعية ذات المقدرة الشرائية الضعيفة، وقد تنوعت الزخارف على هذا النوع من الخزف مثل الزخرفة الهندسية والجدائل النباتية، والرسوم الأدمية،

(١) د. سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م، ص ٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٩.

(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٥) د. زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٣١٨، د. سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٠.

(٦) يبدو واضحاً بصفة خاصة الأشكال الزخرفية والأساليب الصناعية في الأواني المدهولة بطلاء من لون واحد تقليداً لنوعين البورسلين الصيني والسيلادون الصيني، راجع: م. س. ديمان، الفنون الإسلامية، ص ٢١٨.

(٧) د. أحمد الصاوي، مجامع مصر الفاطمية، ص ٢٣١.

(٨) زكي حسن، كنوز الفاطميين، القاهرة سنة ١٩٣٧، ص ١٧٤.

(٩) حسن الباشا، فنون التصوير الإسلامي في مصر، ج ١، القاهرة سنة ١٩٧٣م، ص ٧٨. عن د. أحمد الصاوي، المرجع نفسه، ص ٢٣١.



وإن كانت الخزارف الحيوانية أكثر انتشاراً على هذا النوع من رسوم الأدميين<sup>(١)</sup> ويعتد الفقير الذي انتشر بين قطاع عريض من السكان في الريف والمدن عاملاً مهماً في صناعة هذا الخزف في مصر حيث يلائم سعره الرخيص القدرات المالية لهذه الفئات<sup>(٢)</sup>.

### الخزف المرسوم تحت الطلاء:

ظهرت في مصر خلال فترة الحكم الأيوبي أنواعاً متعددة من الخزف يطلق عليها الخزف المرسوم تحت الطلاء<sup>(٣)</sup> وهو الخزف الذي اصطلح في العصر الأيوبي على تسميته بالخزف الأيوبي أو الخزف دقيق الصنع<sup>(٤)</sup> والذي يمتاز برقة طينته وجمال تزجيجته وأرضيته الخضراء أو الضاربة إلى الخضرة وزخارفه السوداء التي تتجلى فيها الدقة في رسم الفروع النباتية والحيوانات والطيور<sup>(٥)</sup>، هذا إلى جانب الخزارف النباتية ذات الفروع الرفيعة والأوراق المدببة<sup>(٦)</sup> بالإضافة إلى العبارات الدعائية بالكتابة الكوفية والنسخية مثل العز. الدائم وغيرها<sup>(٧)</sup> لوحة رقم (٧).

وهذا النوع من الخزف ينقسم إلى نوعين:

(١) الخزف المتعدد الألوان والمرسوم تحت طلاء شفاف<sup>(٨)</sup>.

(٢) الخزف المرسوم باللون الأسود والأزرق تحت طلاء شفاف أو أخضر فيروزي.

ويمتاز كلاهما بالدقة في رسم العناصر الزخرفية بالألوان المتعددة تحت الطلاء الزجاجي الشفاف وكانت زخارفهما عبارة عن صور آدمية، وطيور، وحيوانات ذات طابع أليق، فهناك

(١) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٠.

(٢) أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ٢٣١.

(٣) د. محمود إبراهيم حسين، الخزف الإسلامي في مصر، مكتبة تحفة الشرق سنة ١٩٨٤م، ص ٥٢.

(٤) عبد الرؤوف علي يوسف، الخزف، مقال بكتاب القاهرة تاريخها، فنونها، أثارها، القاهرة سنة ١٩٧٠، ص ٣١٨، أطلق على

هذا الخزف الخزف الدقيق الصنع نظراً لدقة رسومه ولمعان طبقته وشدة بياض دهانه، أما الرسوم فكانت تلون بلون أسود

وأزرق وبنفسجي وأحمر. راجع: د. جمال عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٦.

(٥) عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، القاهرة سنة ١٩٦٣م، ص ١١٨، محمود إبراهيم حسين، الخزف

الإسلامي، ص ٥٢.

(٦) عبد الرؤوف علي يوسف، الخزف، مقال بكتاب القاهرة، ص ٣١٨.

(٧) عبد الرؤوف علي يوسف، المرجع نفسه، ص ٣١٨.

(8) Habson: A Guide Islamic Pottery, London. 1932. P.P. 11-14.





جزء من صحن بالقاهرة، وهي عبارة عن رسم قارب صغير ذي شراع يجلس فيه شخصان<sup>(١)</sup> وتملاً الإناء بتلك الرسوم والزخارف. لوحة رقم (٨).

ومن الخزف الأيوبي المرسوم تحت الطلاء والمعروف بأنه دقيق الصنع توجد قطعة من الخزف موضوعها عبارة عن رسم حيوان بطريقة السيايية تملأ معظم السطح يحيط به أوراق نباتية<sup>(٢)</sup> لوحة رقم (٩)، هذا إلى جانب الرسوم النباتية المختلفة حيث أنه جزء من شقافة من الخزف عليها جزء من وردة على أرضية زبدية، باللونين الأزرق والأحمر الغامق وبها أفرع نباتية ووريقات وهو ما يسمى بخزف دقيق الصنع، لدقة صناعته بأسلوب دقيق، هذا إلى جانب الرسوم الهندسية المتنوعة ورسوم المعينات والمثلثات والدوائر والتي رسمت بألوان الأزرق والأحمر، فهناك طبق من الخزف في وسطها شكل نجمي متعدد الرؤوس وعلى الجدار شريط به دوائر بكل منها شكل معين والرسوم باللونين الأحمر والأزرق تحت طلاء شفاف وهي مكسورة وبها ترميم<sup>(٣)</sup> لوحة (١٠).

ويمكن القول أن الحروب الصليبية كانت مجالاً واسع النطاق التقى فيه الشرق الإسلامي بالغرب المسيحي، حيث ترتب على هذه الحروب خلق وضع حضاري جديد في مصر وبلاد الشام بحيث انعكس أثره على العمارة والفنون الأيوبية<sup>(٤)</sup> والدليل على ذلك أن الصانع المسلم لم يجد غضاضة في تصوير المناظر المسيحية على منتجاته الفنية الإسلامية<sup>(٥)</sup> فظهرت المناظر المسيحية على الخزف الأيوبي والتي كان قوام زخارفها رسم يمثل السيدة العذراء تسند السيد المسيح عليهما السلام<sup>(٦)</sup> كما يوجد جزء آخر يكمل هذا الصحن يزخرف بصورة القديسين التي تحيط بالسيد المسيح والسيدة العذراء<sup>(٧)</sup> والحق أن هذا النوع الأخير من الخزف المتعدد الألوان متأثر في رسومه الأدمية وألوانه بالخزف الإيراني من النوع المينائي في أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الميلاديين<sup>(٨)</sup>، ويمكن القول أن الخزافون منذ أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري، أواخر القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين، كانوا قد ساعدوا

(١) جمال عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٦.

(٢) عبد العزيز صلاح، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) عبد العزيز صلاح، المرجع نفسه، ص ٣٧.

(٤) محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، سنة ١٩٧٩، ص ٢٤٢-٢٤٨.

(٥) عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٦) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، شكل ١٧٨، ص ٥٨.

(٧) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، شكل ١٧٩، ص ٥٨.

(٨) عبد الرؤوف غلى يوسف، الخزف، كتاب القاهرة، ص ٣١٨.



على استخدام الأشكال والأساليب الصناعية والزخرفية التي عرفها العصر الفاطمي، بالإضافة إلى تأثر الأيوبيين بفنون السلاجقة، فالحزف في العصر الأيوبي كان له أساليبه الصناعية والزخرفية التي مزجت بين التقاليد الفاطمية الموروثة والتأثيرات السلجوقية<sup>(١)</sup>، التي جاءت من مدينة تكريت وبلاد الموصل<sup>(٢)</sup> حيث رحل كثير من الصناع الوطنيين إلى الشرق السلجوقي حيث الازدهار الحضاري العظيم<sup>(٣)</sup> والذي أصبح بمثابة الجذب لهم<sup>(٤)</sup>.

### الحزف المملوكي:

تطورت المنتجات الخزفية في العصر المملوكي تطوراً عظيماً وذلك بسبب حياة الشراء التي عاشها سلاطين المماليك، والدليل على ذلك ما وصل إلينا من منتجات صينية وإيرانية، وترجع التأثيرات الإيرانية على أنواع خزف المماليك إلى هجرة الصناع من إيران والعراق إلى الشام ومصر أيام غزوات المغول الكبرى التي دمرت مدينة الري ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، ومدينة قاشان ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، وخربت الرقة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م، هذا إلى جانب كثرة الوافدين إلى مصر أثناء حروب المغول مع المماليك وغاراتهم على العراق والشام، وقد حمل هؤلاء الخزافون الوافدون معهم أساليبهم الفنية في صناعة الأواني وزخرفتها<sup>(٥)</sup>، ولكننا نلاحظ أن القطع الخزفية المملوكية كانت أقل صلابة من معاصراتها الإيرانية<sup>(٦)</sup>.

ومن أنواع الخزف الذي وصل إلينا من العصر المملوكي:

\* الخزف المرسوم تحت الطلاء تقليد سلطان أباد.<sup>(٧)</sup>

\* الخزف المملوكي تقليد البورسلين الصيني.<sup>(٨)</sup>

\* الخزف المملوكي تقليد الصيني (السيلادون).<sup>(٩)</sup>

---

(١) عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ ٢، ص ٣٣.

(٢) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية الإسلامية، جـ ٢، ص ٣٣.

(٣) زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٣١٠، أحمد عبد الرازق، الفخار المصري المطلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠، ص ٧٥.

(٤) زكي حسن، المرجع نفسه، ص ٣١٠، أحمد عبد الرازق، المرجع نفسه، ص ٧٥.

(٥) عبد الرؤوف على يوسف، الخزف، ص ٣١٨.

(٦) م. س. ديمالد، الفنون الإسلامية، ص ٢٢.

(٧) جمال عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص ١١.

(٨) حصة الصباح، كنوز الفن الإسلامي، ترجمة كتاب Treasures of Islam، ص ٢٠٧.

(٩) جمال عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص ١١.



## الخزف المصري تقليد سلطان أباد:

لم يكن هذا النوع من الخزف بالجودة الذي تميز بها الخزف الإيراني<sup>(١)</sup> المنتج بسلطان أباد، هذا وقد تميز الخزف المصري بزخارفه ذات الموضوع الرئيسي الذي يملأ الإناء، سواء كان الموضوع حيوان أو طائر أو كتابات بالخط النسخي أو المملوكي أو الخط الكوفي<sup>(٢)</sup>، ومن أهم مميزات هذا النوع من الخزف أن زخارفه حفرت حفراً قليل البروز قبل أن يطلّى بطبقة من البطانة، ثم رسمت الزخارف البارزة بعد ذلك بألوان متعددة<sup>(٣)</sup> إلى جانب النقاط الثلاث المشورة في الأرضية، وهي من مميزات زخارف الخزف المصري تقليد سلطان أباد في العصر المملوكي<sup>(٤)</sup>، هذا وقد كانت أرضية هذا الخزف بلون البطانة الشفافة حددت عليها ألوان الموضوع الرئيسي باللون الأزرق والأسود، مما أعطى لهذا النوع من الخزف التطوير الفني الذي ساعد على سيادته وانتشاره<sup>(٥)</sup>، فهناك زبدية من الخزف تقليد سلطان أباد مرسوم عليها تحت طبقة صقيلة بالأزرق والأسود<sup>(٦)</sup> هذه الزبدية تشتمل على عدد من العناصر الزخرفية المختلفة منها الشكل النباتي وهو شكل الوردية، والوحدة الزخرفية الهندسية التي تتخذ الشكل النجمي التي تملأ مجموعة من النقاط، فحافة الإناء تدور حولها مجموعة من الخطوط التي تشبه أوراق النبات على أرضية ملئت بالنقط والشرط، ونجد في الوسط وردية زرقاء ذات ثمان بتلات داخل شكل ثنائي الأضلاع تحصره نجمة بثمانية أطراف وضعت داخل شكل مثنى آخر ويدور حول هذا الإناء نطاق أزرق تتكرر في الجوانب الزخرفية المثلثة التي يحصرها نطاق أزرق ثان<sup>(٧)</sup>، لوحة (١١).

## الخزف المصري تقليد البورسلين الصيني:

نتيجة لانتشار خزف البورسلين<sup>(٨)</sup> الجيد الصنع والخامة بالأسواق المصرية، والذي أقبل عليه كثير من الناس لنضوج مادته ودقة زخارفه، بدأ الخزاف في العصر المملوكي ابتكاراً نوعاً

(١) محمود إبراهيم حسين، الخزف الإسلامي في مصر، ص ٥٧.

(٢) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ١٢.

(٣) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٣.

(٤) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٥) أسين أثيل، لمحة الفن الإسلامي في العهد المملوكي، الولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٨١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٦) أسين أثيل، لمحة الفن الإسلامي ص ١٦٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٦٢.

(٨) تميز البورسلين الصيني الأصل غير المقلد بعجنيته الشديدة البياض المتماسكة المصنوعة من مادة الكاولين، وعلى ذلك فلم يغش الخزاف الأواني بأي نوع من البطانات إلا في القليل النادر وألوانه كان يغلب عليها اللون الأزرق بدرجاته على أرضية



يشبه البورسلين أطلق عليه الخزف المصري تقليد البورسلين الصيني، وذلك ليحاول إرضاء الناس، وتشجيع سلاطين وأمراء الممالك على شرائه، وكان هذا النوع من الخزف تقليد البورسلين الصيني يتميز بعجينته التي تميل إلى الحمرة أو الصفرة أو الرمادي، ونظراً لغلظ حبات هذه العجينة، فإنه زاد في سمك قاع وجدار التحفة مما جعل الخزاف يغطي الأواني ببطانة من مادة الكاولين حتى تخفي لون العجينة الأصلية<sup>(١)</sup>، حتى العناصر الزخرفية رسمها الخزاف بشكل محوور عن الطبيعة مثل الرسوم النباتية<sup>(٢)</sup>، لوحة (١٢)، عبارة عن قاع إناء يملأه رسم زخرفي نباتي بوسطه ويربده من المركز تشع برسوم نباتية محورة عن الطبيعة تملأ الإناء<sup>(٣)</sup>.

### الخزف المصري تقليد السيلادون:

أقبل الخزافون المصريون على تقليد خزف الصين المعروف باسم السيلادون، والسيلادون هذا نوع من الطينة توجد في الصين ذات خواص طبيعية، تعطي لوناً أخضر مائلاً للرمادي، إذا حرقت في درجة حرارة معينة، كما أنها تعطي بريقاً خاصاً فهي ليست في حاجة إلى مادة الطلاء الزجاجي الشفاف<sup>(٤)</sup>، وكان لوجود هذه المادة في الأسواق المصرية، وكذلك منتجاتها ما أغرى الخزافون على تقليده، على أن الإنتاج المصري المقلد كان سميكاً هشاً وذلك لأن القطع الخزفية تحتوي على جزء من العجينة المصرية، كما أن زخارفه المحفورة أو المحزوزة كانت غير متقنة مثل السيلادون الصيني<sup>(٥)</sup>، هذا بالإضافة إلى أن الزخارف الفنية المنفذة على هذا النوع من الخزف قليلة<sup>(٦)</sup> بل تكاد تكون منعدمة، بالمقارنة بمثيله من الخزف ذو الإنتاج الصيني<sup>(٧)</sup>. ومن أشهر الخزافين الذين ذاع شهرتهم في العصر المملوكي هو غيبي بن التوريزي<sup>(٨)</sup> والأستاذ المصري<sup>(٩)</sup>

---

٢٢ بيضاء، والرسوم مستوحاة من البيئة الصينية، راجع: سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٤، جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ١٣-١٤، عبد الرؤوف على يوسف، الخزف، كتاب القاهرة، ص ٣١٨.

(١) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ١٥.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٣) أسين أتيل، لمحة الفن المملوكي، ص ١٦٤-١٦٥.

(٤) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٥.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٦) محمود إبراهيم حسين، الخزف الإسلامي، ص ٥٥.

(٧) حسن الباشا، المدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٣٧٥.

(٨) A. Abol. Gaibi et les grands financiers egyptiens d' époque mamlouke le Caire. 1930. Aly Bey Bahgat et F. Massoul. la ceramique musulmane d l' Egypte. P. 105

(٩) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٤.





وغزال، وكلهم ذاع صيتهم في القرن ٨هـ/ ١٤م وهم أصحاب مدارس فنية عريقة هذا ويمكن القول بأن الخزف في العصر الأيوبي والمملوكي البحري لم يكن متقن الصنع، حتى المادة الخام التي صنع منها هذا النوع من الخزف كانت رخيصة غير متقنة لم يراع فيها الفنان الدقة والإتقان في الصنع، فكانت عجينة التحفة سميكة تارة، والعناصر الزخرفية غير دقيقة ومحورة تارة أخرى، إلى جانب أنها هشة في أحيان أخرى، مما جعل البعض يقول عن هذا الخزف أنه حرفة المستضعفين<sup>(١)</sup>، أي أنه يمثل نوع الطلب الأدنى لأنه سوف يكون في هذه الحالة رخيص الثمن فسوف يناسب طبقة الفقراء العريضة من الشعب، ولكن بطريقة أدق أن الأنواع الغير متقنة الصنع كانت تناسب مستويات مختلفة من فئات المجتمع بل قطاع عريض، ربما لأن هذا الخزف كان كله تقليد فلذلك ناسب كل المستويات المختلفة، على العكس من ذلك نجد أن هناك بعض أنواع من الخزف تكشف عن مستويات راقية وأنيقة للأداء الفني، ربما كانت تستخدم للسلطين والأمراء في قصورهم وهذا ما يعبر عنه بنمط الطلب الأعلى، التي حاز أفرادها على أكبر قدر ممكن من ثروات البلاد.

### الفخار في العصر الأيوبي والمملوكي البحري:

لاشك أن الفخار الشعبي يمتاز بقلّة التكاليف والبساطة، في الوقت نفسه لا يخلو من حسن الذوق ودقة الصنعة وروعة التخيل<sup>(٢)</sup> هذه المنتجات الفنية الرخيصة الثمن ظهرت في جميع العصور الإسلامية، فظهرت في العصر الأيوبي والمملوكي البحري.

ففي العصر الأيوبي ظهر الفخار على شكل شبايك القلل والتي امتازت بأشكالها الهندسية الكثيرة الأضلاع من مثلثات ومستطيلات ودوائر ونجوم<sup>(٣)</sup> ومن الملاحظ ندرة الزخارف التي تمثل الكائنات الحية، وتميزت شبايك القلل في العصر الأيوبي بوجود عنصر الكتابة الكوفية والنسخية والعبارات الدعائية<sup>(٤)</sup>، ومن التحف الفخارية الأخرى التي تنسب إلى العصر الأيوبي عدد كبير من

(١) أسين أتيل، لمحة الفن المملوكي، ص ١٦٢.

(٢) عبد الرؤوف على يوسف، الفخار، كتاب القاهرة، ص ٣٢٢.

(٣) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، شكل (٢٠٢)، ص ٦٦.

(٤) عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٤٠-٤١، زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، شكل (٢٠٢)،



جلل النفط إلى جانب المسارج المتنوعة الزخارف والأشكال، منها مسرجة من نوع الفخار المطلبي وتحمل اسم صالعهـا يوسف ويمكن نسبتها إلى النصف الأول من القرن ٧هـ/ ١٣م<sup>(١)</sup>.

### الفخار في العصر المملوكي البحري:

عرفت مصر في العصر المملوكي نوعاً من الفخار امتاز بطينته الطبيعية الحمراء والرخصة التكاليف أطلق عليها الفخار المطلبي، هذا المنتج صنع خصيصاً لجميع طبقات الشعب الفقيرة، أو ما يمكن قوله إنه لعامة الشعب من فلاحين وعمال وصناع وغيرهم وذلك نتيجة الأزمات الاقتصادية والجماعات التي تعرض لها الشعب المصري بعامة، وتأثر بها فئات متنوعة مثل الفقراء والفلاحين والعمال، فصنع الفخار لتلبية تلك الطبقة العريضة من الشعب والغير قادرة على شراء الأواني المتميزة من الخزف ومشتقاته، فنجد أن الفخار يسد احتياجات تلك الطبقة من الشعب، أي أنه شعبي فكان أكثر استعمالاً من الخزف الرقيق، وكان يستعمل في الحاجات اليومية والمطابخ<sup>(٢)</sup>.

ورغم ما يبدو على تحف الفخار من بساطة وسرعة في التنفيذ إلا أنها ذات جمال فني خاص<sup>(٣)</sup> وطريقة صناعة هذا النوع أن تشكل الأنية بالشكل المطلوب ثم تحرق حرقاً أولياً في الفرن ثم تطلى بمادة شفافة من الدهان (Slip)، ثم يرسم عليها بعد ذلك العناصر الزخرفية المطلوبة بطريقة الحز والكشط حتى تصل إلى قاع عجينة الإناء، وفي هذه إظهار للزخرفة وتوضيحها ثم يضاف بعد ذلك مادة الطلاء الشفاف بعدة طبقات، وهي مادة زجاجية تأخذ أحياناً اللون الأصفر والأخضر أو البني القهوائي، وقد أطلق البعض على هذه المادة الشفافة مادة المينا أي الفخار المطلبي بالمينا<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من أن الفخار المطلبي بسيط المظهر رخيص الثمن إلا أنه سجل حافل للحياة الاجتماعية والسياسية في مصر في عصر دولة المماليك، كما أننا نرى فيه مهارة الفنان المسلم الذي استطاع في حدود خامات إمكانيته البسيطة أن يخرج لنا تحفاً على قدر كبير من الدقة تنافس الأواني المعدنية المصنوعة من الذهب، والتي ندر في هذا العصر بسبب حالة النقشف، وقضية تحريم

(١) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، شكل (٢٠١)، ص ٦٥.

(٢) عبد الرؤوف على يوسف، المرجع السابق، ص ٣٢٠.

(٣) المقصود هنا بالمينا هو تعدد الألوان الذي اشتهر به الفخار المطلبي في العصر المملوكي: أنظر سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ٥٥.

(٤) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ١٨.



استعمال هذه المادة ومن هنا جاء التشار واستخدام الفخار المطلي<sup>(١)</sup>، وقد كانت العناصر الزخرفية المرسومة على الفخار المطلي بسيطة التكوين في أول الأمر لا تخرج عن كونها زخارف نباتية<sup>(٢)</sup>، ثم بدأ الفنان يستخدم الزخارف الكتابية مضاف إليها عناصر نباتية بالخط النسخي المملوكي والتي تتضمن عبارات دعائية مختلفة يتخللها رنوك مصورة تدل على وظيفة الأمير الذي صنعت له التحفة، أو رنك سلطاني خاص بالسلطان، ومن الملاحظ أن الفخار المطلي بالمينا كان يستعمل بكثرة في بيوت الأمراء ولذلك امتازت زخارفه بالرنوك أو الشارات التي اتخذها الأمراء علامة لكل واحد منهم<sup>(٣)</sup> هذا إلى جانب الزخارف الأخرى لحيوانات منفردة مثل الفهود أو الطيور مثل النسر أو الأسماك، فهناك قطعة وهي عبارة عن شقافة من الفخار المطلي بالمينا باللون الأخضر وعليه سمكتين كل منها عكس اتجاه الأخرى بشكل غير دقيق، ربما لأنها صنعت للفقراء وعامة الشعب لذلك لم يراع بها الدقة والتناسب، لوحة رقم (١٣).

أما عن الرنوك الموجود على الفخار المطلي، فهناك شقافة من الفخار المطلي بالمينا عليها رنك الكأس، لوحة (١٤) وهي تدل على وظيفة الساقى، ويبدو أن هذه الوظيفة كانت تهيئ لصاحبها فرص الترقى والوصول إلى أعلى المناصب<sup>(٤)</sup> ويعتبر الساقى من الموظفين الذين اشتهروا باتخاذ رنك، يرمز إلى وظائفهم، إذ كان المملوك إذ أمّر وهو ساقى مُنح رنكاً على هيئة كأس، ومن أشهر السقاة في العصر المملوكي الطينغا المارديني، قوصون الناصري<sup>(٥)</sup> وغيرهم.

وهناك شقافة أخرى من الفخار المطلي عليها عصا البولو وهي رنك الجوكندار وهو المختص بمسك عصا البولو لوحة (١٥)، وهذا الاسم يتألف من لفظين فارسيين: الأول: جوكان بمعنى العصا المنحنية أو المحجن الذي تضرب به الكرة أو عصا البولو ويعبر عنه أيضاً بالصولجان، والثاني: "دار" من المصدر داشتن بمعنى ممسك، وبذلك يكون المعنى الكلي ممسك عصا البولو<sup>(٦)</sup>

(١) جمال عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٣٢٦.

(٤) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٢، ص ٥٧٧.

(٥) حسن الباشا، المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٧٩، والناصري نسبة إلى الناصر محمد.

(٦) نفسه، ج ١، ص ٣٧٣، زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٣٢٦.



ومن لقب بهذا الاسم (الجوكندار) الأمير قراستقر الجوكندار الملكي المنصوري<sup>(١)</sup>، وأل ملك  
الجوكندار الناصري<sup>(٢)</sup>.

وهناك شقافة أخرى من الفخار وعليها رنك الفهد (الأسد) لوحة (١٦) وهي رنك السلطان  
الظاهر بيبرس البندقداري<sup>(٣)</sup>، وهناك عدد كبير من الرنوك يحمل شارات مختلفة منها البقجة،  
والسيف، القوس، الهدف، وغير ذلك من رنوك، هذا وهناك إناء من الفخار المطلي، زخرف هذا  
الإناء بشريطين عريضين بالخط النسخي المملوكي، إحداهما في الداخل والأخر في الخارج، وفي  
الشريطين دوائر تضم كل منها رسم رنك مملوكي باللونين الأحمر والقهواني الداكنين، أما الكتابة  
فباسم مملوك من ممالك السلطان الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٤)</sup> وهو السيفي قرجي<sup>(٥)</sup>، لوحة (١٧).

ومن أشهر الأسماء التي وصلت إلينا في صناعة الفخار في عصر المماليك في مصر هو شرف  
الأبواني<sup>(٦)</sup>، وهو من أعلام الخزافين أيضاً<sup>(٧)</sup> وقد ذاع صيت هذا الفخار في عصر الناصر محمد بن  
قلاوون<sup>(٨)</sup> وأبنائه حيث عاش في الفترة من سنة ٦٩٠-٧٦٠هـ/١٢٩١-١٣٥٨م، ويبدو بل  
الواضح أن شرف الأبواني كان يعمل في بلدة أبوان، وكانت معظم زخارف إنتاجه في هذا الوقت  
من الداخل فقط، وكان يكتب اسمه عليها عمل شرف بأبوان، ثم اكتفى بعبارة عمل شرف، ثم  
نجدته يكتب عمل شرف الأبواني غلام الناس كلها<sup>(٩)</sup>، فهناك زبديّة من الفخار على هيئة كأس

(١) نسبة إلى المنصور قلاوون.

(٢) نسبة إلى الناصر محمد بن قلاوون.

(٣) لم يكن بيبرس هو أول من اتخذ السبع رنكاً له، فكان أقدم مثل مؤرخ من هذا الرنك موجود على باب حران في مدينة الرها  
ويرجع إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي الذي حكم الرها من سنة ٦٠٨-٦١٧هـ/١٢١١-١٢٢٠م، راجع: زكي  
حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٤٢٧.

(٤) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٤٢٦.

(٥) أسين أثيل، لهضة الفن الإسلامي، ص ١٤٩.

(٦) نسبة إلى بلدة أبوان الزبادي بالصعيد والتي لازالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن، ولا يزال الصعيد وكثير من بلاده مشهوراً  
بصناعة الأواني الفخارية، وكلمة الزبادي نفسها المتصلة باسم بلدة أبوان تعني الأواني الفخارية حتى اليوم وكلمة الزبادي  
نفسها المتصلة باسم بلدة أبوان تعني الأواني الفخارية والخزفية، راجع: عبد الرؤوف على يوسف، الخزف، كتاب القاهرة،  
ص ٣٢١، محمد مصطفى، شرف الأبواني صانع الفخار المطلي في القرن الثامن الهجري (مؤتمر الآثار في البلاد العربية المنعقدة  
بدمشق سنة ١٩٤٧)، ص ص ١٥٩-١٦٤.

(٧) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٤٢٦.

(٨) عبد الرؤوف على يوسف، الخزف، كتاب القاهرة، ص ٣٢١.

(٩) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٢٠، عبد الرؤوف على يوسف، المرجع نفسه، ص ٣٢١.





(قدح)، محفوظ بمتحف برلين قوام زخرفتها الرئيسية شريط من الكتابة على البدن الخارجي باللون الأحمر الضارب إلى البني والبنّي الداكن، ومطلي بطبقة صقيلة لونها أصفر<sup>(١)</sup> نصها: "عمل العبد الفقير المسكين شرف الأبواني غلام الناس كلهم العز والفضل والإقبال"<sup>(٢)</sup> لوحة (١٨)، ولهذا القدح قاعدة مفلطحة مرتفعة، وجوانب مستقيمة تأخذ في الاتساع عند الحافة، وينقسم السطح الخارجي إلى ثلاثة نطاقات أفقية بواسطة مجموعة من الخطوط المحزوزة، ويشتمل النطاق الأعلى على نقش محزوز وملون بالأحمر الضارب إلى البني على أرضية بها زخارف قليلة من الخطوط والنقط الصفراء، وقد ترك النطاق الأوسط خالياً من الزخارف، أما النطاق الثالث والأخير فقد زين بزخارف على شكل حرف S حمراء وبنية<sup>(٣)</sup>، أما العناصر الزخرفية التي كان يستخدمها شرف الأبواني هي العناصر والرسوم النباتية داخل أشكال مستديرة بوسط القاع تكبر أو تصغر بحسب اتساع الإناء أو ضيقه<sup>(٤)</sup>.

هذا ويمكن القول باطمئنان أن هذا الكم الهائل من الأواني الفخارية المختلفة والتي ظهر عليها كم هائل من الشارات والرنوك المختلفة، كان يعطي لها قيمة كبيرة عند شرائها، رغم أنها رخيصة الثمن إلا أن تلك الرنوك كانت خاصة بأحد الأمراء أو السلاطين، ولكن الغالبية العظمى كانت للأمراء مما جعل جميع فئات الشعب تقبل على شراء هذا النوع من الفخار ذات الرنوك، العالية القيمة الرخيصة الثمن التي تمثل نمط الطلب الأدنى التي تناسب قطاع عريض من الناس ومن هنا نستنتج أن هؤلاء الأمراء كانوا مصدر سطوة وقوة إلى جانب أنهم مصدر للقلق والاضطراب، فكانوا يشكلون قوة كبيرة ذات نفوذ في المجتمع المملوكي، هذا وقد كان وجود تلك الرنوك على التحف تشير إلى أن شراء هذا النوع من الفخار لم يكن قاصراً على عامة الشعب بل كان يشتريه الأمراء والوزراء وفي بعض الأحيان (في القليل النادر) السلاطين، مما أعطاه قيمة كبيرة في ذلك العصر.

(١) أسين أويل، لهضة الفن الإسلامي، ص ١٨٨.

(٢) أسين أويل، لهضة الفن الإسلامي، ص ١٨٨.

(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٤) زكي حسن، أطلس الفنون الإسلامية، شكل (١٩٦)، شكل (١٩٨)، ص ٦٤، هذا ويعتقد أن اسم شرف الأبواني هذا قد يشير إلى ورشة معينة تخصصت في صنع أواني الأمراء، وليس اسم فرد معين، راجع: أسين أويل، المرجع نفسه، ص ١٤٩، ولكن هذا الرأي ضعيف بدليل أن شرف الأبواني هذا اسم شخص (فرد) لأن إمضاءه كان على كل عمل يقوم به.



## المنسوجات في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري:

لاشك أن مصر كان لها سبق التقدم في صناعة وزخرفة النسيج وذلك لأن تلك الصناعة قائمة بها منذ أقدم العصور، وقد اشتهرت كثير من المدن المصرية وقرأها مثل تنيس، الإسكندرية، ديبق، دمياط، الفيوم، البهنسا وأحميم<sup>(١)</sup>، بهذه الصناعة حتى صارت من أولى الأقطار في إنتاج النسيج، وقد ساعد على ذلك توفر المواد الخام المستخدمة من الكتان والصوف والقطن والحرير<sup>(٢)</sup>، ولقد شهدت القاهرة الأيوبيين اهتمام صلاح الدين بأمور الحرب زاهداً في الحياة كارهاً للترف وأسبابه، حتى أنه لم يؤثر عنه لبس الحرير قط بل كان يتخذ ملابسه من الكتان أو القطن أو الصوف<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من كل الظروف التي أحاطت بصلاح الدين فقد حرص على ألا تتدهور صناعة النسيج، والدليل على ذلك ما أشار إليه عبد الرحمن الشيزري في كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة في الباب الثالث عشر عن جودة إنتاج صناعة النسيج<sup>(٤)</sup>، والشيء الذي يمكن ترجيحه أنه نتيجة للحركة الصليبية والجهاد ضد الصليبيين، فقد توقفت مصانع النسيج في القاهرة

عن الإكثار من إنتاج المنسوجات الحريرية<sup>(٥)</sup> وزادت العناية بنسيج الحرير وتطريزه، وتزيين المنسوجات بالزخارف المطبوعة<sup>(٦)</sup> ومع وجود تطور صناعة النسيج وكثرة إنتاجه ظهرت طرق فنية وصناعية تطورت في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، مثل طريقة النسيج على النول، طريقة التطريز، طريقة الصباغة، طريقة الطبع، طريقة التطبيق أو الإضافة<sup>(٧)</sup>.

---

(١) د. سامي أحمد عبد الحليم إمام، المنسوجات الأثرية القبطية المحفوظة بمتحف جاير أندرسون بالقاهرة، ط ١، ١٩٩٠م، مؤسسة شباب الجامعة، ص ١١١، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٦٧.

(٢) ديمان، الفنون الإسلامية، ص ٢٥٧، عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية، ص ٤٦.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٥-٦٠.

(٤) عبد الرحمن الشيزري، نهاية الرتبة، الباب الثالث عشر، عن عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية، ص ٤٦.

(٥) عبد الرحمن فهمي، النسيج، مقال بكتاب القاهرة، ص ٣٩٣، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ١٩٤.

(٦) زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٣٦٥.

(٧) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٥٠.



هذا وقد اشتملت العناصر الزخرفية التي وجدت على النسيج الأيوبي والمملوكي البحري على العناصر الكتابية خاصة العبارات الدعائية والرنوك والعناصر الهندسية خاصة الأشكال المجدولة والدوائر والمعينات، والعناصر النباتية مثل زهرة اللوتس والمراوح وأنصافها هذا بالإضافة إلى الرنوك الخاصة بالأمراء<sup>(١)</sup>، فهناك قطعة من نسيج الكتان ترجع إلى العصر الأيوبي محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة مطرزة بالحرير الأسود والأزرق تحمل أشرطة كتابية بالخط النسخ عبارة عن شريطين ضيقين وشريط أوسط عريض، الشريط الأوسط يشتمل على كتابة عبارة عن: "سعادة مؤبدة ونعمة مخلدة"، أما الشريطين الضيقين فيشمل كل منهما على كتابة: "العز الدائم والإقبال"، بالإضافة إلى زخارف نباتية دقيقة وأنصاف مراوح لخيلية محوره عن الطبيعة، والخطوط الحلزونية التي يؤلف بعضها زخارف مجدولة<sup>(٢)</sup> لوحة (١٩).

ومن العصر الأيوبي وصلتنا قطعة من نسيج الحرير تنسب إلى مصر أو الشام محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة قوام زخرفتها أشرطة متماوجة في وضع رأسي تشكل وحدات بيضاوية منتظمة بداخلها أزواج من الطيور المتدبرة وذات الرؤوس المتقابلة، ويبدو في رسوم هذه التحفة التأثير بالأساليب الفنية السلجوقية، وذلك لما نراه في حسن استخدام الطيور في التأليف الزخرفي<sup>(٣)</sup> ومن المرجح أن نسيج الكتان كان يقبل عليه فئات كبيرة من الشعب (الطلب الأدنى) أما نسيج الحرير فكان لفئة الأمراء والسلاطين (الطلب الأعلى) أما في العصر المملوكي فقد قل الإقبال على نسيج الكتان بينما ازدادت العناية بنسيج الحرير<sup>(٤)</sup> وتطريزه أو طبعه<sup>(٥)</sup> فقد نجحت القاهرة المملوكية في ابتكار أنواع متعددة من المنسوجات التي غزت الأسواق<sup>(٦)</sup> فتنوعت طرق الإنتاج في الأقمشة فمنها ما هو منسوج من القطن، أو الحرير، أو الصوف، ومنها ما هو مطرز بخيوط حريرية.

تشكل العناصر الزخرفية فوق القماش مباشرة أو فوقه بعد تنجيده بطبقة من القطن أو الصوف، توضع بين طبقتين من القماش قبل تطريزه، ومنها ما هو مطبق بأن تثبت قطعة من القماش ذات زخرفة معينة على قطعة أخرى مختلفة في اللون أو الحامة وهي طريقة لازالت تعيش في حي الخيامية

(١) جمال عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٥١.

(٢) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٤٧٤، زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٣٦٥.

(٣) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٢٠٠، شكل (٦٠٣).

(٤) أسين أثيل، لهضة الفن الإسلامي، ص ٢٢٣.

(٥) عبد الرحمن فهمي، النسيج، كتاب القاهرة، ص ٣٩٥.

(٦) عبد الرحمن فهمي، المرجع نفسه، ص ٣٩٥.



بالقاهرة حتى اليوم، وتستعمل في إنتاج الخيام<sup>(١)</sup>، وقد وصلت إلينا من العصر المملوكي قطعة من نسيج الحرير المنسوج من مصر، محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة قوام زخرفتها شريطين أفقيين عليهما كتابة مكررة بالخط النسخي عبارة: "عز لمولانا السلطان الملك الناصر"، وبين هذين الشريطين في الوسط يوجد شريط زخرفي قوامه رسوم شجيرات على غرار شجرة الحياة، يفصل كل منهما عن الأخرى رسم فهد يطارد غزالاً<sup>(٢)</sup> لوحة (٢٠) ومن المنسوجات الحريرية المملوكية ما يثبت ازدهار علاقة القاهرة بالشرق الأقصى منذ القرن ١٤ م، وخاصة بالصين في عصر الناصر محمد بن قلاوون حيث وردت إلينا أقمشة عليها زخارف صينية الطراز وعلى بعضها كتابات نسخية باسم السلطان المملوكي الناصر محمد وعلى بعضها الأخر كتابات كوفية مربعة أشبه بالأختام الصينية<sup>(٣)</sup>، والواقع أن نسيج الحرير في القاهرة المماليك قد تأثر إلى حد كبير بمنتجات الشرق الأقصى التي أدخلها المغول إلى الشرق العربي خلال سفاراتهم وهداياهم لسلطين المماليك<sup>(٤)</sup>، أما بالنسبة للنسيج المطبوع فهناك قطعة ترجع إلى ق ٨هـ/ ١٤م محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة قوام الزخرفة كتابة بالخط النسخي المملوكي يظهر منها كلمة الحبة على أرضية نباتية لأفرع متماوجة تحصر فيما بينها أشكال طيور<sup>(٥)</sup>، هذا وقد استعمل الكتان أيضاً في العصر المملوكي، فقد كانت ألقاب السلاطين تطرز على المنسوجات الكتانية، فقد عثر على قطعة من الكتان تحمل ألقاب الناصر محمد بن قلاوون، فعلى وجهها شريط ذات لون (بيج)، وبقيّة الشريط مطرز بالألوان البيج والكحلي والأسود، وهما مقسمان إلى مستطيلات ومربعات على التبادل، وداخل المستطيلات كتابة نسخية نصها: (... الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا المنصور عز نصره ...) وداخل المربعات زخرفة عربية، ويتوسط المربع الأول دائرة بها كتابة نسخية بحروف صغيرة، والقطعة متأكلة في عدة أجزاء وهي رثة، وغير منتظمة، وفقد منها أجزاء<sup>(٦)</sup>، لوحة (٢١).

مما سبق يمكن القول أن العصر الأيوبي كان عصر تقشف نظراً للظروف التي ألمت به ألا وهي الحروب الصليبية، فانعكس هذا على الملبس حيث الكتان الذي كان يرتديه صلاح الدين وأعوانه

(١) عبد الرحمن فهمي، النسيج، كتاب القاهرة، ص ٣٩٥.

(٢) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٢٠١، شكل (٦٠٧)، عبد الرحمن فهمي، النسيج، ص ٣٩٥.

(٣) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٢٠٤، شكل (٦١٩)، زكي محمد حسن، الصين وفنون الإسلام، ص ٧٠، شكل (٣٢).

(٤) عبد الرحمن فهمي، النسيج، ص ٣٩٥.

(٥) أسين أثيل، لمحة الفن المملوكي، ص ٢٣٧.

(٦) متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رقم السجل ٢٤٢٦٤.





بل كل من شارك ولم يشارك في الحروب الصليبية أما العصر المملوكي فقد ظهر فيه الشراء والعظمة والأبهة فكانت المنسوجات الحريرية بأنواعها المختلفة، وأشكالها وزخارفها فشتان بين كلا العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، فقد ظهرت جميع أنواع المنسوجات من حريرية، قطنية، كتانية ومطبوعة بألوان وأشكال وزخارف مختلفة، ويمكن أن نقول باطمئنان أن العصر الأيوبي كان يمثل النمط الأدنى لجميع فئات الشعب وذلك بسبب ظروف الحرب والتقشف، أما في العصر المملوكي فيختلف الأمر فقد روي بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا مصر في عصر المماليك أن الرداء الذي يخلعه السلطان لا يلبسه مرة ثانية، بل توزع الملابس المستعملة في مكان خاص حتى ينعم بها على أمرائه وخاصته<sup>(١)</sup>، وهم الفئة التي تمثل نمط الطلب الأعلى بسبب الشراء الفاحش.

هذا وإن دل فإنه يدل على كثرة بذخ المماليك وعدم مبالاهم بالفئات الفقيرة من الناس، وإن دل أيضاً فيدل على كثرة مصانع النسيج وتعددتها وتنوعها في هذا العصر.

### المعادن الأيوية والمملوكية البحرية بمصر:

على الرغم من الحروب التي شغلت القاهرة في العصر الأيوبي فإن عجلة الإنتاج الصناعي والفني لم تتوقف، وأمدتنا القاهرة بالكثير من التحف والمنتجات المعدنية التي تدلنا على استمرار التطور في الصناعات المعدنية من حيث تنوع أشكالها ودقة صناعتها وكثرة زخارفها<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن فن صناعة المعادن في مصر قد وصل إلى مرتبة عالية من الجودة حتى ذاع صيته في العالم، ولم يتوقف ازدهار صناعة المعادن بل امتد إلى ظهور أشكال جديدة لهذا الفن منها التكفيت<sup>(٣)</sup>، وتتلخص هذه الطريقة وهي طريقة التكفيت في رسم الزخارف على سطح التحف المعدنية أولاً ثم تحفر هذه الرسوم حفرًا عميقًا وتملأ الأجزاء المحفورة بمادة التكفيت التي تكون أعلى قيمة من

(١) Dopp: Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du Moyen Age; p. 138.

(٢) حسين عليوه، المعادن، مقال بكتاب القاهرة، ص ٣٧٤، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٣٤٩.

(٣) وصلت هذه الطريقة الصناعية الفنية إلى مصر في القرن السابع الهجري (٧هـ/١٣م) من إيران والعراق حيث هاجر الصانع منهما أمام غارات المغول على تلك البلدان، وسرعان ما اختلط هؤلاء الصانع بصناع البلاد التي هاجروا إليها، واستقروا بها في مصر والشام، وفي القاهرة اندمج الصانع الوافدين بالصانع المصريين الذي ما لبثوا أن تعلموا الأسلوب الصناعي الزخرفي الجديد وأجادوه، والدليل على ذلك كثرة ما وصل إلينا من التحف المعدنية القاهرية المكففة بالذهب والفضة، راجع: حسين عليوه، المرجع السابق، ص ٣٧٤، عصمت أحمد عوض، المباخر، مطبعة أطلس سنة ١٩٩١م، ص ٥٩، أسلوب تكفيت المعادن بُني بأكمله على أساس المشغولات الفضية مع أن التكفيت بالفضة لا يضاهي الفضة الصافية: راجع: حصة الصباح، كنوز الفرس الإسلامي، ص ٢٤٩.



المادة التي صنعت منها التحفة، فمثلاً كان النحاس الأصفر يكفت بالفضة وكذلك البرونز<sup>(١)</sup>، وكانت توضع مادة التكفيت على الأجزاء المحفورة على سطح التحفة بواسطة الدق فوقها بمطرقة خشبية خاصة لتثبت مادة التكفيت في الأماكن المخصصة لها.

وقبل الحديث عن نماذج التحف المعدنية في العصر الأيوبي يمكن القول أن صناعة المعادن الأيوية في مصر تأثرت بالأساليب الفنية الزخرفية الموجودة على المعادن الموصلية وقد تشابهت المعادن الأيوية مع المعادن الموصلية، حيث أدخل الأيوبيون تلك الصناعة من الموصل إلى مصر في مطلع القرن ٧هـ/١٣م<sup>(٢)</sup> مما يصعب على الكثير التمييز بينهما، اللهم إذا وجد على التحفة ما يمكن نسبتها إلى مصر أو الشام أو الموصل.

وأهم ما يميز العناصر الزخرفية للتحف المعدنية الأيوية رسم الموضوعات المسيحية ولا غرابة في ذلك لأنه كان هناك علاقات ود ومعااهدات للصالح بين سلاطين البيت الأيوبي في مصر والشام مع الصليبيين، وبالتالي لابد وأن تنشأ علاقات تجارية وفنية بينهما، ومن هنا صنعت كثير من التحف المعدنية خصصت للمسيحيين<sup>(٣)</sup> وصورت عليها موضوعات للسيد المسيح والسيدة العذراء، وأهم العناصر الزخرفية أيضاً على التحف المعدنية الأيوية تلك الكتابات النسخية التي أصبحت سمة الغلبة في الزخرفة، والتي تتضمن أسماء وألقاب السلاطين، كذلك وجدت العناصر الأدمية والحيوانية داخل وحدات مستديرة أو بيضاوية مثلما كان الحال في موضوعات التحف الموصلية، هذا بالإضافة إلى توقيع الصانع<sup>(٤)</sup> وإليك بعض النماذج من المعادن الأيوية:

على الرغم من كثرة أنواع المعادن الأيوية من طشوت، طاسات، وشمعدانات<sup>(٥)</sup>، وحلى وغيرها إلا أنها كلها كانت من صنع إيران أو الموصل أو الشام، ولم يصلنا من صناعة مصر إلا القليل. فهناك إناء من النحاس المكفت بالفضة، باسم السلطان الأيوبي الملك العادل أبي بكر الثاني من مصر أو الشام، وهو محفوظ بمتحف اللوفر بباريس<sup>(٦)</sup>، هذا الإناء جمع بين الرسوم الزخرفية المتنوعة حيث تتألف زخرفة هذا الإناء الجميل من أشرطة فيها جامات تضم رسوماً أدمية مختلفة

(١) فائزة الوكيل، جهاز العروس في مصر في عصر سلاطين المماليك، دار نهضة الشرق، دار الوفاء، ص ٨٧-١٠٣.

(٢) سعد زعلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص ٢٨٩.

(٣) م. س. ديمان، الفنون الإسلامية، ص ١٥٤.

(٤) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٣١.

(٥) أرلست كوتل، الفن الإسلامي، ص ١١٥.

(٦) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ١٦٦، شكل (٥٠٧).



الأوضاع، معظمها مشاهد مختلفة من رسوم الصيد كما تضم رسوم حيوانات تنقض على فريستها، وبين هذه الجامات خطوط صغيرة متقاربة ومنكسرة فضلاً عن أشرطة أخرى من رسوم الأرابسك، وعلى هذا الإناء كتابة طويلة بخط النسخ الأيوبي نصها: "عز مولانا السلطان الملك العالم العامل المؤيد ..... الملك العادل أبي بكر بن مولانا السلطان الملك الكامل أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب عز نصره" عمل أحمد بن عمر المعروف بالتركي النقاش برسم الطشت خالاه العادلية<sup>(١)</sup>، وهناك طشت آخر من النحاس المكفت بالفضة باسم السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عليه من الداخل كتابة نسخية باسم السلطان الصالح يتخللها مساحات مفصصة بها رسوم مجالس طرب وفرسان يلعبون أو يصطادون وعلى البدن رسوم لكائنات حية على أرضية نباتية، وبهذا الطشت ثقب<sup>(٢)</sup> لوحة (٢٢) هذا إلى جانب مجموعة من الطاسات تعرف باسم طاسات الخضة وهي أواني صغيرة مصنوعة من النحاس أو البرونز بداخلها مفاتيح من الحديد عبارة عن قطع صغيرة ذات دلايات، والغرض من هذه الطاسات هو استخدامها في حالات الخوف أو الصرع أو بعض الأمراض، ويرجع إطلاق اسم "طاسة الخضة" كما كان يعتقد فيها إلى أنها كانت في الأصل تستعمل في شفاء المريض الذي أصيب بهزة عصبية لسبب من الأسباب، ثم أصبحت بتوالي الزمن تستعمل لشفاء الأمراض جميعاً

(1) G. wiet: Objects en Cuivres, p.272. Repertoire Chronologique d'epigraphie arabe. XI, p. 108. No.4164.

الطشتخاناه هي المكان الذي يوضع فيه ملابس السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وفيها ما يوضع وما يجلس عليه السلطان من مقاعد وفخار وسجاد، وكذلك "طشتدار" اسم وظيفة يتألف من لفظة طشت الخرفة عن "طست" العربية، ومن لفظة "دار" والمعنى ممسك الطست أو الموكل بالطست، وكان الطشتدار هو الذي يتولى صب الماء على يد مخدومه، وقد عرفت هذه الوظيفة في الدولة العباسية، وفي الدول التي تفرعت منها، فعرفت مثلاً في الدولة الغزنوية، ثم انتقلت إلى دولة السلاجقة وبعدها إلى الدولة الأيوبية، ثم إلى دولة المماليك حيث كان الطشتدار يعتبر من أرباب الخدم والوظائف الصغرى، وكان الطشتدارية في هذا العصر يؤلفون طائفة من غلمان الطست خالاه، راجع: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٢، ص ص ٧٤١-٧٤٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ص ١٠-١١، ج ٥، ص ٤٦٩.

- Migeon G. Manual d'art Muslman, Paris, 1927, p.51.

ووردت نفس العبارة على علبه اسطوانية بمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن. راجع:

Wiet G., Repertoire Chronologique d' epigraphie Arabe. XI, 1941-1942; p. 110.

(٢) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٣٢.



ما عدا الموت كما يعتقد فيها<sup>(١)</sup>، ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بطاسة سحرية تحمل اسم السلطان صلاح الدين، ومؤرخة سنة ٥٨٠هـ<sup>(٢)</sup>.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الشمعدانات<sup>(٣)</sup> والأباريق النحاسية<sup>(٤)</sup> ومباخر<sup>(٥)</sup> وكلها مكففة بالفضة وتزدان بزخارف عديدة ومتنوعة ولكنها من صناعة الموصل أو دمشق، وتحمل أسماء الملك العادل الأيوبي والملك الكامل الأيوبي، والصلاح نجم الدين أيوب، ولكنها هنا ليس لها مجال للحديث عنها بسبب أن الكلام يقتصر عن المعادن في مصر فقط.

هذا وقد أمدنا العصر الأيوبي بالعديد من التحف المعدنية الغير مكففة منها على سبيل المثال الباب الخشبي الخاص بتربة الإمام الشافعي التي بناها السلطان صلاح الدين عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م، وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وهو يتكون من مصراعين كبيرين تغطيهما من الخارج صفائح النحاس التي تحليها الزخارف النحاسية البارزة التي تتخذ أشكالاً هندسية صغيرة تبرز قليلاً عن سطح الباب<sup>(٦)</sup>، ويرجح أن هذا الباب صنع بدون تكفيت ربما لظروف الحرب التي كانت تمر بها البلاد إلى جانب عدم وجود الذهب والفضة الذين اختفوا من البلاد، فظهر التقشف والزهد في كل شيء بسبب الظروف التي كانت تمر بها البلاد وظروف الحرب.

هذا ويمكن القول أن العصر الأيوبي استطاع أن يجد لنفسه مكانة في ذاكرة الفن الإسلامي، حيث أن فن صناعة التحف المعدنية في العصر الأيوبي مزجت بين فنون الحرب وفنون السلم على السواء، حيث كانت فترة صلاح الدين يوسف بن أيوب التي اتسمت بالتقشف والزهد والبعد عن الترف، وهو السبب الأساسي في ندرة التحف المعدنية التي تحمل اسمه وألقابه، سوى مجموعة من الطاسات السحرية الموجودة بعضها بمتحف الفن الإسلامي، والبعض الآخر بالمتحف البريطاني

---

(١) حسني محمد نويصر، الطاس السحرية (طاسة الخطبة) وما عليها من كتابات وما تشفيه من أمراض، مجلة كلية الآثار، العدد السادس، سنة ١٩٩١م، ص ٥١، عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة.  
- Zaký Pacha. Coupe Magique dedice a Salah ad-Din, BIE, le Caire, X, 1916. p. 243.

(٢) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٣٣.

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع:

- Rice D. S., the oldest dated "Mousl" Candlestick A. D. 1225, the Bur. May. 1949, p. 336-337-339.

(٤) هناك أباريق تحمل توقيعات الصناع لمزيد من التفاصيل راجع:

- Rice D. S., Inlaid Brasses from the workshop, Ahmed al - Daki al Mousli ars orientalis, II, 1957, p.p.317-318.

(٥) هناك مبخرة باسم السلطان العادل أبو بكر محفوظة بمجموعة خاصة (مجموعة شريف صبري بالقاهرة) راجع:

- Fehervari G, Ein Ayyubidisches Rauchergefass mit dem naman des sultan al - Malik al - Adil II. Kunst des orientis VI. wiesbaden, 1968, p. 37-53.

(٦) حسين عليوه، المعادن، كتاب القاهرة، ص ٣٧٥.





بلندن، ولكن الشيء الذي نلمسه بوضوح هو نزعة الترف التي اتصف بها خلفاء صلاح الدين من بعده وبعدهم كل البعد عن التقشف، وهو السبب الحقيقي في إنتاج الكثير من التحف المعدنية التي حملت أسمائهم وألقابهم وتوقيعات صناعتهم هذا إلى جانب أماكن الصناعة المختلفة ما بين القاهرة، ودمشق، وحلب وغيرها من البلاد.

### التحف المعدنية في عصر المماليك البحرية:

لا شك أن عصر التحف المعدنية المملوكية يختلف اختلافاً كلياً وجزئياً عن عصر التحف المعدنية الأيوبية، حيث يعتبر العصر المملوكي بمصر من أزهى العصور الإسلامية في صناعة المعادن<sup>(١)</sup> فقد ازدهرت وتطورت فيه هذه الصناعة ازدهاراً كبيراً حتى أصبحت القاهرة من أهم مناطق صناعة المعادن وزخرفتها، وقد اختلفت المنتجات الفنية فكان منها الأبواب والشماعد والتنانير والثرايا والصناديق والمقلمات والمباخر والمفاتيح<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الأواني التي استخدمت وضممتها البيوت والطشت خالاه المملوكية، والتي صنعت بمختلف الأساليب الفنية للمعادن، هذا وقد ذكر المقرئ في ذلك "أله لا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت"<sup>(٣)</sup>.

وتتضمن الموضوعات الزخرفية التي رسمت على المنتجات المعدنية، الزخارف النباتية، والخطوط الهندسية، كذلك رسوم الكائنات الأدمية والحيوانية هذا بالإضافة إلى هذا إلى جانب وجود الكتابة العربية واستخدام الخط الكوفي إلى جانب استخدام الخط النسخي الذي أصبح كثير الاستخدام، وتعتبر الكتابات العربية بصورها المختلفة إحدى الخصائص الهامة التي ميزت المنتجات المعدنية القاهرية في العصر المملوكي<sup>(٤)</sup>، ومن النماذج التي وصلت إلينا من التحف المعدنية شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة باسم كتبغا المنصوري عليه كتابة بالخط النسخي نصها: "مما عمل برسم طشتخاناه المقر العالي المولوي الزيني زين الدين كتبغا المنصوري الأشرافي" وهو الجزء الأعلى، أما الكتابة الموجودة على العنق فتتضمن: "العز والبقا والظفر بالأعداء"<sup>(٥)</sup> لوحة (٢٣)، هذا فضلاً عن النقوش الزخرفية التي تمثلت في ستة عشر شخصاً يحملون عدة أشياء منها السهام والحراب والتروس والأباريق وتحيط هالة بكل رأس معجمة، هذا فضلاً عن رسوم البط والطيور الأخرى المختلفة.

(١) حسين عليوه، المعادن، ص ٣٧٧، عصمت أحمد عوض، المباخر، ص ٦٠.

(٢) عصمت أحمد عوض، المرجع نفسه، ص ٦٠.

(٣) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ١٠٥.

(٤) حسين عليوه، المعادن، كتاب القاهرة، ص ٣٧٧.

(٥) أسين أيل، لخصة الفن المملوكي، ص ٦٥.



الأخرى المختلفة، وتشكل الجذوع والأذرع في هؤلاء الأشخاص أحرف الكتابة، بينما تتحول السيقان إلى لفائف تنتهي برؤوس أسود وغزلان وبشر<sup>(١)</sup>، ويلاحظ أن قاعدة شمعدان كتبغا غير موجودة، وهي محفوظة بمتحف وولترز الفني في بولتي مور<sup>(٢)</sup>، وتعدد وتنوعت أشكال الطسوت ونماذجها المختلفة، فهناك طست من النحاس المكفت بالذهب والفضة، ولكن هذا الطست صنع لشخص غير معروف حوالي عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م وهي عليها زخارف كتابية، وزخارف بديعة متنوعة ما بين نباتية، وطيور، وفرسان وأشخاص جالسين ممسكين بأقداح أو يعزفون على العود والناي والرق، إلى جانب زخارف هندسية، وأنصاف الدوائر التي تحتوي على زخارف عربية، وتلك الدوائر التي احتوت بداخلها على وردية سداسية البتلات في الوسط<sup>(٣)</sup> لوحة (٢٤).

ويُعتقد أن هذا الطست قد صنع إما لبيرس الأول (البندقاري) ٦٥٩-٦٧٦هـ/١٢٧٠-١٢٧٧م، وإما لبيرس الجاشنكير (الثاني) ٧٠٩-٧١٠هـ/١٣٠٩-١٣١٠م، وكلاهما كانا يلعبان بركن الدين، ولكن هذه النسبة مشكوك فيها لأن هناك عبارة وردت على الطست تشير إلى ركن الإسلام، هذا فضلاً عن أنه لم ترد إشارة إلى لقبى الحكم والسلطنة اللتين عرف بهما، بيرس الأول والثاني وهما الظاهر والمظفر على التوالي<sup>(٤)</sup>.

هذا إلى جانب العديد من الطسوت التي تحمل زخارف وكتابات متنوعة ومختلفة<sup>(٥)</sup> هذا إلى جانب مجموعة من الدوي التي يوضع فيها الأقلام البوص، وتجويف الحبرة<sup>(٦)</sup>، هذا وقد استخدمت المعادن في زخرفة الأبواب الخشبية، كالباب الخشبي المصفح بالنحاس الخاص بخانقاة بيرس الجاشنكير بالجمالية ٧٠٩هـ/١٣١٠م وعليه زخرفة بطريقة التكفيت بالذهب والفضة تمثلت في اسم السلطان ركن الدين بيرس الجاشنكير<sup>(٧)</sup>.

(١) أسين أثيل، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة، شكل (١٦).

(٣) المرجع نفسه، ص ص ٦٩-٧٠.

(٤) نفسه، ص ٧٠.

(٥) نفسه، ص ص ٧٦-٧٧، شكل (٢١)، ص ص ٨٨-٨٩، شكل (٢٦) ص ص ٩٢-٩٣، شكل (٢٧)، ص ص ٩٤-٩٥، شكل (٢٨).

(٦) نفسه، ص ٦١، شكل (١٣)، ص ٨٢، شكل (٢٣).

(٧) حسين عليوه، المعادن، كتاب القاهرة، ص ٣٧٨.



هذا إلى جانب مجموعة كبيرة من التناير المعدنية التي كانت تزين المساجد والقصور السلطانية ويجب أن نذكر أن صناعة التحف المعدنية بلغت غايتها في عصر الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١)</sup> والدليل على ذلك كرسي عشاء الناصر محمد بن قلاوون والتي أنتجتها القاهرة إذ لا نعرف مثيلاً له، وهو غني بالزخارف المتقنة المكفئة بالذهب والفضة<sup>(٢)</sup>، ونظراً لكثرة التحف المعدنية فلا يتسع المجال هنا لذكر الكثير من أمثلة التحف المعدنية المملوكية التي وصلتنا من صناعة القاهرة في هذا العصر.

مما سبق يتضح لنا أن العصر الأيوبي كان عصر تقشف وزهد خاصة في فترة حكم الأيوبيين الأولى (فترة حكم صلاح الدين) وفي فترة حكم خلفائه ازداد الاهتمام بالمعادن وتكفيتهما بالذهب والفضة على الرغم من مرور البلاد بفترة أزمات نقدية اختفى معها الذهب والفضة.

أما في العصر المملوكي البحري الذي ازدادت العناية فيه بالمعادن وأشكالها وأنواعها المختلفة، ورغم الثراء الذي عاش فيه الملوك والسلاطين والأمراء المماليك البحرية إلا أنهم هم فقط الذين عاشوا فيه وهي الفئة التي كانت تصنع لها الأواني المكفئة بالذهب والفضة والتي تمثل الطبقة ذات النمط الطلب الأعلى، التي تركت معظم فئات الشعب تن من الجوع والفقر والحرمان بسبب حدوث الأزمات الاقتصادية التي حدثت في ذلك العصر، والدليل على ذلك شمعان كتبغا الذي صنّع له وكُفّت بالذهب والفضة، رغم حدوث أزمة اقتصادية في عهده تسببت في حدوث الفقر والمجاعة والوباء.

أما عهد بيبرس الجاشنكير فقد صنّع له باب من الخشب تم تكفيته بالذهب والفضة، وطُعم بالنحاس في الوقت الذي كانت تن في البلاد من جراء المجاعة التي حدثت في عهده وعانى الناس فيها أشد المعاناة من الجوع والفقر والفاقة، على العكس من الأواني المكفئة لكبار السلاطين والأمراء نجد الأواني الخالية من التكفيت وهي التي استعملها كافة فئات المجتمع والتي تمثلت في نمط الطلب الأدنى والتي لم تستطع شراء الأواني الأنيقة المنمقة الغالية.

نعم لم يدرك سلاطين المماليك ما يعاني منه الشعب من جراء حدوث الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد، إلا قلة قليلة منهم كانت تعالج الأزمة، وتعمل على حلها عند حدوثها، أما

(١) حسين عليوه، المرجع السابق، ص ٣٨٠.

(٢) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ١٦٨ شكل (٥١٣).



البقية الباقية فكانت تهتم بالفن وترعاه على حساب البقية الباقية من الشعب، حتى في أشد فترات الأزمات الاقتصادية، كما يتضح في حديثنا السابق عن المعادن.

### الأخشاب في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري:

حظيت الأخشاب باهتمام بالغ في العهد الأيوبي والمملوكي البحري نظراً لأن الأخشاب في العصر الأيوبي احتفظت بنفس الأسلوب الفني الذي كان سائداً في نهاية العصر الفاطمي، وبدأ الخط النسخي يظهر جنباً إلى جنب مع الخط الكوفي، واعتباره من الخطوط التذكارية بعد أن كان يستخدم في المكاتبات اليومية، وأصبحت الزخارف أكثر دقة وإتقاناً وإبداع عما سبق من الزخارف الأخرى.<sup>(١)</sup>

هذا وقد بلغ هذا العصر قمة التطور والنضوج<sup>(٢)</sup> في فن صناعة النجارة (الأخشاب)، فقد تطورت زخرفة الطبق النجمي واكتملت واتخذ الطبق النجمي شكله النهائي<sup>(٣)</sup> كما امتازت الكتابة النسخية الأيوبية بقصر حروفها وغلظها<sup>(٤)</sup>، ومن أهم النماذج التي وصلت إلينا في العصر الأيوبي تابوت الإمام الشافعي، هذا التابوت على شكل منشور مستطيل يعلوه جزء هرمي الشكل وتتألف جوانب التابوت وغطاءه من حشوات ذات زخارف نباتية دقيقة مجمعة في أشكال أطباق نجمية، وسداسية الأضلاع، والتابوت غني بالنقوش المكتوبة بخط النسخ والخط الكوفي من بينها كتابة كوفية تشير إلى أن هذا القبر للإمام الشافعي، وكتابة أخرى نسخية تشتمل على تساريخ صناعة التابوت واسم الصانع عبيد النجار المعروف بابن معالي، ولا شك في أن الأفرع النباتية والوربقات المحفورة في حشوات هذا التابوت من روائع الحفر على الخشب في الفن الإسلامي، فهناك دقة تامة في الحفر فضلاً عن تنوع الرسوم<sup>(٥)</sup>، ومن أهم التركيبات الخشبية أيضاً التي وصلتنا والتي ترجع للفترة الأيوبية تركيبة خشبية نقلت من تربة حصن الدين ثعلب ٦١٣هـ/١٢١٦م<sup>(٦)</sup> صنعت بطريقة الحفر الجسم ثلاثة جوانب منه محفوظة بمتحف الفن

(١) عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٤٩، جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٢٢.

(٢) عبد العزيز مرزق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) M. Van Berchem: Corpus inscriptionum arabicarum, Jerusalem, II. No. 277-279: Repertoire chronologique d'epigraphie arabe, IX, p.p.56-57. No. 2381-2383.

(٤) عبد الرؤوف علي يوسف، الخشب والعاج، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، ص ٣٦٥.

(٥) زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٤٦٢، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ج ١، ص ١٠٨.

- G. Wiot: les Inscriptions du Mausolee de Shafii (in Bull. Instit. d'Egypte, t. XV, 1932-1933), p.p. 171-172.

(٦) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ١٢٥، شكل (٣٧٥) - شكل (٣٧٦).





الإسلامي بالقاهرة، والجزء الرابع بمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن<sup>(١)</sup> وهو يتألف من مناطق مستطيلة تضم بعضها رسوماً لفروع نباتية ووريقات ويضم البعض الآخر كتابات بخط النسخ على مهاد من الفروع النباتية الدقيقة، كما يضم بعضها حشوات مستطيلة أو مربعة وتتألف زخرفتها من فروع ووريقات نباتية<sup>(٢)</sup> لوحة (٢٥).

هذا إلى جانب تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، ويتوسط هذا التابوت ضريح ذلك الملك، وتقوم زخارفه على ظاهرة الحشوات الخشبية المجمعة، ونجوم سداسية منحوتة لحتاً دقيقاً ومناطق مدمنة بها نجوم خماسية وكنديات ونجوم ثمانية تحيط بها حشوات مجمعة واحتوت هذه الحشوات على زخارف نباتية محفورة حفرأ بارزاً إلى جانب أشكال المراوح النخيلية وعناقيد العنب، إلى جانب آيات قرآنية بخط النسخ على زخارف نباتية وكتابة تشير إلى وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب بالمنصورة في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م<sup>(٣)</sup>.

أما عن الخشب في العصر المملوكي البحري فقد تطور فن الحفر على الخشب في العصر المملوكي البحري وأصبح أكثر إتقاناً منه في العصر الأيوبي، إذ ابتكر فنانون العصر المملوكي أشكالاً جديدة من المراوح النخيلية، ووحدات من الزخارف النباتية التي كان لتفاصيلها الدقيقة أهمية كبرى في الزخرفة<sup>(٤)</sup>، ووصلت الزخارف الهندسية أوج ازدهارها بظهور الطبق النجمي الكامل، فبعد أن كان هذا العصر سداسي الرؤوس في الأخشاب الفاطمية والأيوبية صار أكثر من ستة عشر رأساً وبرز جوف الترس على هيئة نصف كرة اتخذت مادتها من السن المطعم بالأبنوس في بعض الأحيان<sup>(٥)</sup>، هذا وقد أسهم النجارون والنقاشون بنصيب كبير إلى جانب غيرهم من الفنانين وأصحاب الحرف الأخرى في إثراء العمائر المصرية وتزويدها بقطع الأثاث المناسبة الأليقة التي تكشف عن روح العصر، ومدى ما بلغته الحياة من التقدم والرخاء<sup>(٦)</sup>، فوصلت إلينا التحف الخشبية المختلفة مثل المنابر، الأبواب، الكراسي، الدكك، والشبكيات<sup>(٧)</sup> وهو ما وضع لنا في نمط الطلب الأعلى للسلطين والأمراء والأثرياء.

(١) زكي حسن، أطلس الفنون، ص ١٢٤، عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، ص ٢٥.

(٢) زكي حسن، أطلس الفنون، ص ٤٤٦.

(٣) عبد الرحمن فهمي، شجر الدر، مقال بكتاب القاهرة، ص ١٩٢-١٩٣.

(٤) م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ص ١٢٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٢٢.

(٦) عبد الرؤوف على يوسف، الخشب، كتاب القاهرة، ص ٣٦٩.

(٧) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٢٤.



ومن أهم النماذج التي وصلت إلينا من المنتجات الخشبية منبر جامع أحمد بن طولون الذي أمر بصنعه السلطان حسام الدين لاجين ٦٩٦هـ/١٢٩٦م<sup>(١)</sup> والذي يتكون من صدر وريشتين وجوسق يعلوه قمة على شكل القلة تشبه قمم المآذن المملوكية، وقوام زخرفته حشوات هندسية من خشب الساج الهندي والأبنوس، ومزخرفة بالرسوم النباتية الدقيقة على مستويين، ولا يوجد لهذا المنبر بابا الروضة، فصنعت ريشتين ممتدة دون انقطاع كما يعلو صدره النص التأسيسي الخاص به والذي يتضمن اسم وألقاب السلطان لاجين، وسنة الصنع وذلك بالخط النسخي المملوكي، ومما هو جدير بالذكر أن معظم أجزاء هذا المنبر قد تسربت إلى أوروبا ثم جمعها هرتس بك، وبذلك أمكن إصلاح المنبر<sup>(٢)</sup> لوحة (٢٦)، وهناك العديد من المناير الخشبية المختلفة منها منبر جامع الصالح طلائع بن رزيق ٦٩٩هـ/١٢٩٩م-١٣٠٠م، أيضاً المنبر الخشبي بجامع الطنبغا المارداني ٧٤٠هـ/١٣٣٩م<sup>(٣)</sup> هذا وقد عُثر على كرسي من الخشب بمدرسة خوند بركة أم السلطان شعبان بالتبانة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م<sup>(٤)</sup> يرجع لعهد السلطان شعبان، وهو على شكل منشور أيضاً قوام زخرفته أشكال هندسية وعقود مكسوة بطبقة دقيقة من الفسيفساء والأبنوس والسن ومن أسفل يزينه برامق خشبية دقيقة الصنع<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك العديد والعديد من المنتجات الخشبية والتي لا يتسع الحديث لذكرها هنا.

هذا ويمكن القول أن فن صناعة الأخشاب لم يتوقف حتى في وجود الأزمات الاقتصادية والتي ألمت بالبلاد فنجد منتجات لحسام الدين لاجين الذي حدثت أزمة اقتصادية في عهده، حتى في عهد السلطان شعبان نجد استمرار الاهتمام بالفن ورعاية الفنانين في وجود الأزمة الاقتصادية التي حدثت في عهده فنجد له منتجات خشبية كما سبق القول وغير ذلك من الأمثلة المختلفة والمتكررة الحدوث في العصر الأيوبي والعصر المملوكي البحري.

(١) أسين أتيل، لهُضة الفن المملوكي، ص ١٩٥-١٩٨، م. س. ديمالد، الفنون الإسلامية، ص ١٢٢.

(٢) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٤) عبد الرؤوف على يوسف، الخشب والعاج، كتاب القاهرة، ص ٣٦٩، أسين أتيل، لهُضة الفن الإسلامي في العصر المملوكي، ص ١٩٦.

(٥) جمال عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص ٢٥.



## الزجاج في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري:

بلغت صناعة الزجاج في مصر والشام في العصر الأيوبي درجة كبيرة من الرقي والتقدم والازدهار، فقد سارت هذه الصناعة على النهج والأساليب التي كانت متبعة في العصر الفاطمي<sup>(١)</sup>، وقد ظهرت أساليب زخرفية جديدة في هذا العصر اكتمل نضوجها في العصر المملوكي ذلك الأسلوب الزخرفي الجديد هو الزخرفة بالمينا<sup>(٢)</sup> وقد كان فضل تقدم وازدهار هذه الصناعة يعود إلى سوريا<sup>(٣)</sup> هذا وقد امتازت منتجات العصر الأيوبي بالرشاقة والرقي<sup>(٤)</sup>.

هذا والذي لا يمكن إنكاره أن الأحوال السياسية والاقتصادية لعبت دوراً هاماً في التأثير على زخارف الزجاج بصفة عامة وزخارف المشكاوات بصفة خاصة، إذ يلاحظ أن ما وصلنا من مشكاوات القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي، قليل جداً إذا ما قيس بما وصلنا من مشكاوات القرن الرابع عشر الميلادي، الذي بلغت فيه صناعة المشكاوات وزخرفتها بالمينا وتمويهها بالذهب أوج ازدهارها وتكاملها الفني<sup>(٥)</sup>، وربما يعزي قلة ما وصلنا من منتجات زجاجية ومشكاوات في العصر الأيوبي إلى الأحوال المضطربة<sup>(٦)</sup> التي شهدها هذا العصر من تصدي مصر للخطر الصليبي، إلى جانب الخطر المغولي وقيام مصر بمهمة دفع هذا الخطر وتخليص العالم الإسلامي منه، وبذلك كان المسلمون بين شقي الرحى مما صرف الجزء الأكبر من نشاط مصر وسوريا اللتين تعتبران من أهم مراكز صناعة الزجاج بصفة عامة والمشكاوات المزخرفة والمموهة بالذهب بصفة خاصة في مجابهة تلك الأخطار<sup>(٧)</sup> أو بمعنى مختصر لقد أثرت الحرب على صناعة

(١) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص ١٦٣، عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٦٥.

(٢) المينا كلمة فارسية الأصل عرفت بأنها حجر من الرصاص المعتم المعروف بأول أكسيد الرصاص ثم يخلط بـ ١٠ ألوان المتعددة، وعرفت المينا حديثاً بأنها المادة الزجاجية المسحوقة (جوهـر الزجاج) والتي تستخدم في زخرفة المعادن والخزف أو الزجاج بإضافة الأكاسيد الملونة، راجع: جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٤٣، م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ص ٢٣٩.

(٣) اعتمدت الزخارف المذهبة أو المطلية بالمينا على ما كان هناك من أساليب في العصور السابقة وعلى الأخص في العصر الفاطمي، على أن فضل التقدم والإتقان لصناعة الزجاج المطلي بالمينا إنما يرجع إلى الصناع السوزيين، ولا جدال أن حلب ودمشق كانتا أهم مراكز صناعة الزجاج في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وكانت منتجاكما أبدع ما خلفته لنا تلك الصناعة. راجع: م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ص ٢٣٨، زكي حسن، فنون الإسلام، ص ٥٨٢.

(٤) عبد الرؤوف علي يوسف، الزجاج، كتاب القاهرة، ص ٣٣٩.

(٥) مایسة محمود محمد داود، المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧١، ص ٣٧٦.

(٦) سعيد عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام، ص ٥٢-٧٤.

(٧) مایسة داود، المرجع نفسه، ص ٣٧٦.



الزجاج<sup>(١)</sup> في العصر الأيوبي بدليل أنه لم تصلنا مشكاوات من العصر الأيوبي من مصر، بل وصل إلينا مثال نادر لها ممثل على شاهد قبر<sup>(٢)</sup> من الحجر باسم عبد الله الأسدي مؤرخ بسنة تسع وتسعين وخمسمائة يزخره بالحفر البارز شكل محراب يرتكز على عمودين يتدلى من عقدة شكل مشكاة ذات بدن منتفخ مسحوب من أعلى ليلتقى برقبة مخروطية متسعة الفوهة ترتكز على قاعدة مخروطية مرتفعة بداخلها قراية<sup>(٣)</sup> ويعتبر هذا الشاهد الحجري من أهم الأمثلة التي تقطع بوجود المشكاوات في العصر الأيوبي<sup>(٤)</sup> ويقتني متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مجموعة من شواهد القبور يظهر عليها صور المشكاوات<sup>(٥)</sup>.

أما في العصر المملوكي فقد بلغت التحف الزجاجية المموهة بالمينا والمذهبة أروع ما وصل إلينا واحتلت به مصر مركز الصدارة في إنتاج هذا النوع، ومن أهم المنتجات المملوكية الزجاجية بعض من الكؤوس، لوحة (٢٧)، والمشكاوات<sup>(٦)</sup> وقد احتلت المشكاوات مكان الصدارة في صناعة الزجاج المموه بالذهب وذلك لكثرة المنشآت الدينية التي كانت تستخدم بها هذه المشكاوات للإضاءة، والتي كانت غالباً تأخذ الشكل البيضاوي أو الكروي أو المنتفخ والمركز على قاعدة مخروطية مقلوبة<sup>(٧)</sup>، تلك المشكاوات كانت تضاء من خلال أنبوبة رأسية داخل القاع يخرج منها فتيل أو أن يوضع بها قراية على هيئة كوب صغير داخل المشكاة وله فوهة مزودة بأنبوبة يخرج منها الفتيل، ولكل مشكاة ثلاثة أو ستة مقابض على البدن تعلق فيها سلاسل معدنية تتجمع من أعلى داخل كرة بيضاوية<sup>(٨)</sup> يمكن أن تكون من الزجاج<sup>(٩)</sup> أو الخزف<sup>(١٠)</sup> أو الخشب المصفح وتكون هذه الكرة بمثابة مركز ثقل يحفظ من خلالها على توازن المشكاة<sup>(١١)</sup>، وتعددت

(١) عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية، ج ٢، ص ٦٥.

(٢) Gabriele: "Muhammad and the conquests of Islam", p. 227.

عن : مایسة داود، المشكاوات، ص ٧٥.

(٣) القرابة كلمة اصطلاحية تشير إلى أداة الإضاءة الزجاجية الصغيرة التي كانت تستخدم في إضاءة المشكاوات أو التناير، ويغلب على الظن أنها مشتقة من الفعل قرأ، راجع: الفيروزبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٧٧.

- Dozy: Dictionnaire Arabe; Vol II, p. 321.

(٤) مایسة داود، المرجع السابق، ص ٧٥.

(٥) Wiet, Stiles Funeraires "Catalogue du Musse Arab, Vol. VI, P.209.

(٦) م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ص ٢٣٩.

(٧) جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٤٥.

(٨) أسين أنيل، لمحة الفن الإسلامي في العصر المملوكي، ص ١٢١.

(٩) عبد الرؤوف علي يوسف، الزجاج، كتاب القاهرة، ص ٣٣٩، أسين أنيل، المرجع نفسه، ص ١٢١.

(١٠) عبد الرؤوف علي يوسف، المرجع نفسه، ص ٣٣٩، جمال عبد الرحيم، الفنون الزخرفية، ص ٤٥.

(١١) مایسة داود، المشكاوات، ص ٢٩٥.





الموضوعات الزخرفية على المشكاوات فاحتلت الكتابات النسخية المكانة الكبيرة على بدن المشكاوات، تلك الكتابة كانت تتضمن آيات قرآنية من سورة النور أو سورة البقرة وآية الكرسي، لأنها بالطبع كانت توضع في أماكن دينية إلى جانب الزخارف النباتية والرنوك<sup>(١)</sup>، ومن المشكاوات التي صنعت في العصر المملوكي البحري مشكاة من الزجاج المموه بالمينا محفوظ بمتحف المتروبوليتان باسم الأمير ايدىكين البندقداري<sup>(٢)</sup> خاصة بخانقائه بشارع السيوفية ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، ويحتوي بدن المشكاة على زخارف نباتية وكتابية، وأهم ما يبرزها رلك الأمير وهو البندقدار وهو قوسين متقابلين<sup>(٣)</sup>، وهناك مشكاة باسم السلطان الأشرف خليل ٦٩٣هـ/١٢٩٣م على بدنها كتابة بخط النسخ المملوكي نصها: "مما عمل برسم التربة المباركة السلطانية الملكية الأشرفية الصلاحية تغمد الله ساكنها بالرحمة والرضوان"<sup>(٤)</sup> لوحة (٢٨) وعليها زخرفة بالذهب والمينا الحمرا ذات قاعدة مفقودة.

نموذج آخر لمشكاة ذات زجاج أبيض برقتها كتابة بالذهب باسم الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة والأرضية زرقاء بها ثلاثة أذان مزخرفة وبينها زخارف وجزء من عنقها فاقد على شكل مثلث، ومن مبدأ رأس الزاوية شرخان أحدهما متجه إلى اليمين والآخر إلى اليسار وذلك الاتجاه متصل إلى ما بعد الأذن وقاعدتها قصيرة<sup>(٥)</sup> لوحة (٢٩).

وهناك مشكاة من نوع نادر مصنوع من الزجاج الأزرق المموه بالمينا باسم السلطان بيبرس الجاشنكير ٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨-١٣٠٩م، وشكلها عبارة عن بدن كمثرى يشبه بدن الزهريات وذو رقبة مخروطية وقاعدة منخفضة، قوام زخرفتها رسوم نباتية ورسوم زهرة اللوتس والزخرفة المجدولة هذا إلى جانب كتابة بالخط النسخي المملوكي ونصها: "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل" (سورة الإسراء: ١١١)، وحول البدن كتابة أخرى نصها: "عز لمولانا السلطان الملك المظفر العالم العادل ركن الدنيا والدين عز نصره" والإشارة هنا إلى السلطان ركن الدين بيبرس الثاني<sup>(٦)</sup> وهي قليلة الزخارف وغير متقنة في

(١) جمال عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٤٩٥.

(٣) جمال عبد الرحيم، المرجع نفسه، شكل (٦٤).

(٤) زكي حسن، أطلس الفنون، ص ٤٩٥.

(٥) متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، سجل رقم ٢٨٩.

(٦) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية، ص ٢٥٦، شكل (٧٥٧).

- M. Dimand: Handbook of Muhammadan decorative Art, p.p. 203-205, fig 157.

- C. J. Lamm: Mittelalterliche Glaser und steinschnitar beiten aus dem Nalen osten, II, pl. 190, No.4.



الصنع<sup>(١)</sup>، وهناك مجموعة كبيرة من المشكاوات صنعت لمدرسة السلطان حسن<sup>(٢)</sup> بها زخارف وكتابات متنوعة تظهر على العنق الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور، وطلاء تلك المشكاة بالمينا بالألوان الأحمر والأزرق والأبيض والأخضر والأصفر، إلى جانب أشكال زهرية ذات أفرع حلزونية بيضاء محملة بالبراعم البيضاء والخضراء والحمراء، إلى جانب وجود زهرة اللوتس<sup>(٣)</sup> لوحة (٣٠)، وهناك العديد والعديد من المشكاوات التي تحمل أسماء العديد من الأمراء مثل الأمير قوصون الساقى، والأمير الماس الحاجب وكلاهما من أمراء الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٤)</sup>

هذا وقد أمدنا العصر المملوكي بمجموعة من المشكاوات الخالية من الزخارف والتي لا تشكل أهمية إلا من حيث اللون والشكل خاصة بعد تضاءل إنتاج القطع الزجاجية المذهبة بالمينا خاصة بعد عهد السلطان حسن، ولم يصلنا إلا مشكاوات قليلة أمر بصنعها السلطان شعبان الثاني حوالي ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م فكانت زخارفها شحيحة قليلة وفقيرة أيضاً اقتصر على إسطارات ونطاقات تنم عن تدهور ملحوظ في نوعية الزخرفة بالقياس إلى ما شهدته نماذج منتصف القرن الرابع عشر، وقد اهتمت أم السلطان شعبان والتي كانت من رعاة الفنون بتزويد مدرستها بعدد من المشكاوات الزجاجية الخالية من الزخارف<sup>(٥)</sup>.

ويمكن القول بوجه عام أن الكثير من القطع الزجاجية سواء المشكاوات أو غيرها كانت تميل نحو التدهور والضعف سواء في موضوع الزخرفة أو في أسلوب الصناعة، وفي متحف المتروبوليتان ثلاث مشكاوات تمثل هذا النوع على إحداهما اسم الأمير شيخو، ومن المرجح أن تكون هذه المشكاوات عملت للخانقا والضريح اللذين بناهما عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م<sup>(٦)</sup>.

ويجب أن نخرج هنا بنتيجة هامة ألا وهي أن غالبية المشكاوات سجل عليها أسماء الأمراء في العصر المملوكي البحري وصنعت هؤلاء الأمراء أعظم المشكاوات بأعظم الزخارف هذا وإن دل فإنه يدل على سيطرة الأمراء على أمور الدولة وأمور الحكم وإلغاء شخصية السلطان الحاكم، من

(١) م. س. ديمان، الفنون الإسلامية، ص ٢٤٣.

(٢) أسين أثيل، لمحة الفن الإسلامي في العصر المملوكي، ص ١٣٤.

(٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع: عبد الرؤوف على يوسف، الزجاج، كتاب القاهرة، ص ٣٤١، م. س. ديمان، الفنون الإسلامية، ص ٢٤٣.

(٥) أسين أثيل، لمحة الفن الإسلامي في العصر المملوكي، ص ١٢١.

(٦) م. س. ديمان، الفنون الإسلامية، ص ٢٤٧.



هنا حدثت الأزمات الاقتصادية، فهم لا يعبأون بما يحدث من أزمات تؤثر على غالبية الشعب، ويفعلون ما يحلو لهم.

وهناك مشكلة باسم بيبرس الجاشنكير ربما صنعتها قد تأثرت بحدوث الأزمة الاقتصادية التي حدثت في عهده لذلك جاءت زخارفها غير متقنة الصنع، ومن الملاحظ أيضاً أنه عند حدوث الأزمات الاقتصادية لم يعبأ الأمراء أو الحكام أو السلاطين بحدوث تلك الأزمة بل استمروا في عمل التحف الشمينة الباهظة التكاليف رغم ما يثن منه الناس من بؤس، وفقر، وفاقة.

ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن المشكاوات المتنوعة والمذهبة والمموهة بالمينا كانت تمثل نمط الطلب الأعلى فقد كانت تصنع كما سبق القول للسلاطين وكبار الأمراء والأثرياء ذات النفوذ والشراء أما نمط الطلب الأدنى فقد كان يستخدم المصاييح أو ربما المشكاوات الخالية من الزخارف والفقيرة في الصناعة والمادة الخام، هكذا كان الفرق بين الطلب الأدنى والطلب الأعلى.



## الخاتمة وأهم نتائج البحث

وبعد، فذلك كان بحثاً عن موضوع الأزمات الاقتصادية التي حدثت في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري، والعوامل والأسباب التي كانت وراء حدوثها، والنتائج التي تترتب عليها.

• انتهت فيه إلى أن فيضان النيل يؤثر على الحياة الاقتصادية في مصر، حيث يؤثر الفيضان على نظم الزراعة والرى، كما يؤثر على نظام الضرائب، حيث ترتفع قيمة الضرائب مع زيادة مياه النيل، وتقل مع انخفاض مناسيب النيل.

• كمية الفيضان اللازمة للزراعة في مصر كانت تختلف من عصر لآخر تبعاً لاهتمام الدولة بأعمال الرى وتطهير السرى وإقامة الجسور، فالكمية التي كانت كافية في فترات الازدهار لم تعد كافية في فترات الاضمحلال، فالسمة الأساسية للفيضان هي التذبذب لأنه كلما تقدم الزمن صارت الحاجة ضرورية إلى فيضان أعلى وذلك لأن الترسيب استمر للطمي والسدى يحملها النيل يعقبه ارتفاع سطح الأرض عاماً بعد آخر، فنجد أن الـ ١٦ ذراع في بداية العصر الأيوبي لم تكن كافية لرى جميع الأراضي، وهذا نتيجة لإهمال شبكة الجسور والسرى والقناطر والتي عن طريقها كانت تروى جميع الأراضي الزراعية، وكان هذا بسبب الفوضى والفن والاضطرابات.

• إن انخفاض النيل أو ارتفاعه لم يكن سبباً حقيقياً في معظم حدوث الأزمات والمجاعات وأن هناك عوامل أخرى غير الطبيعية هي التي تدفع بالبلاد إلى حالة الفقر والمجاعة، وأهم هذه العوامل، الفساد الإدارى بالحكومة، انعدام الأمن نتيجة حدوث الفن والاضطرابات والمنازعات والحروب للاستيلاء على الحكم والجلوس على كرسي السلطنة خاصة في عصر المماليك البحرية الذين اعتبروا أن البقاء للأقوى وفعلاً طبق هذا النظام، مما عجل بخراب البلاد وسوء حال العباد، هذا إلى جانب ارتفاع الأسعار والغلاء، والاحتكار، طرح البضائع، والإسراف والتبذير الحكومى والذي بدأ منذ اليوم الأول في دولة المماليك البحرية عكس الزهد والتقشف الذى ساد العصر الأيوبي خاصة في فترة حكم الناصر صلاح الدين الأيوبي.

• من الطبيعى أن تكرر أن حدوث الأوبئة والمجاعات وما تبعه من غلاء، وما مر على أهلها من الفقر والفاقة وقلة المال أدى إلى خراب الضياع والقرى، وما حدث نتيجة الوباء الأسود ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م هو الذى عجل حقاً بخراب أرض مصر مما أدى إلى انحطاطها وهلاكها.





• أثرت الأزمات الاقتصادية على المناصب المختلفة في الدولة فكان منصب السلطان مصدر قلق وخطر، فالفتن والاضطرابات أثرت على منصب السلطنة، فعند حدوث نزاع بين فئسات تمس عصب الحكم يظهر من يطيح بها وينتهز فرص النزاع ويتولى السلطة وهذا ما حدث بعد وفاه صلاح الدين الأيوبي في النزاع بين أقاربه على الوصول للحكم، فشهدت الدولة الأيوبية التفكك والانحلال لانشغال السلاطين والأمراء بتلك الصراعات والتي كان لها أكبر الأثر على حياة البلاد السياسية والاقتصادية بل والاجتماعية أيضاً، هكذا كان منصب السلطنة مصدر قلق واضطراب وأزمات.

• إلى جانب منصب نائب السلطنة الذي كان هو الآخر مصدر قلق وفتن واضطراب لأن قوة نائب السلطنة فاقت بكثير قوة السلطان، إلى جانب منصب الوزراء الذي كان مصدر ظلم وإجحاف بالرعية، هذا إلى جانب وظائف أخرى كانت تضعف الدولة وكانت مصدر قلق واضطراب من خلال شدتهم وظلمهم وعسفهم بالرعية، فهم كانوا مصدر ضعف واضطراب خاصة في ظل سلاطين ضعاف فهم كانوا يطمحون إلى الوصول لمنصب السلطنة بالإضافة إلى دور المحتسب الذي تظاهر الناس (عملوا مظاهرات) من أجل تغييره وتعيين غيره بدلاً منه لأنهم رأوا منه الظلم والعسف والجور على مصالحهم.

• إن من أهم أسباب عملية الروك هي نقص مياه النيل وشراقي الأرض وجدها وخراجها، وما حدث عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م من جذب الأرض ونقص مياه النيل وشراقي معظم البلاد جعل صلاح الدين يفكر في عمل روك للبلاد بإعادة مسحها لتقدير خراجها وتعديله تعديلاً مناسباً وذلك لما يطرأ على حال الأرض من تغيير ينقص أو يزيد مساحته بين حين وآخر حتى يتقوى خطر الأزمات وحدوث المجاعات والأوبئة.

• ومن الملاحظ أن عملية روك البلاد يحدث دائماً بعد حدوث الأزمات الاقتصادية والوباء والمجاعة ونقص مياه النيل وشراقي الأرض الزراعية إذ أن عمل الروك من المرجح أنه كان لتفادي حدوث أزمة اقتصادية تلك الأزمة التي كادت لتؤدي إلى الفناء والضياع لحياة الناس نتيجة وصول المياه التي تروى الأرض إلى مناطق وعدم وصولها لمناطق أخرى، وهو ما يسمى بشراقي فلا تحدث زراعة وتجذب الأرض فتحدث مجاعة لعدم زراعتها من هنا كانت أهمية روك البلاد لتفادي حدوث أزمة اقتصادية، كما حدث عام ٦٩٧هـ / ١٣٩٧م بعد حدوث الأزمة الاقتصادية التي تغلغت في البلاد وحدثت مجاعة ووباء بسبب عدم ثبات مياه النيل



فشرقت البلاد ووقع الغلاء، إلى جانب ما سبق فقد كان للروك أهمية كبيرة خاصة حينما كان الأمراء يستحوذون على النصيب الأكبر من إقطاعات الأجناد ويأخذوا كل شيء لهم فمن هنا حدث توزيع للإقطاعات والأراضي، وحدث الروك لتوزيع الأراضي إلى إقطاعات حتى يستطيع تقدير خراج البلاد.

• أثبت النظام الإقطاعي فشله فقد كان كارثة على الاقتصاد المصري لسياسة المماليك في منح إقطاعات للجنود لم يولوها الاهتمام السليم، وذلك لاقتناع صاحب الإقطاعات بأنه لن يستقر بإقطاعه طويلاً، فأهمل الأرض ولم يهتم بتحسين إنتاجيتها ورعايتها ونتيجة للفساد الإداري الذي شهده العصر الأيوبي ونما وترعرع في ظل دولة المماليك فأهملت وسائل الري والصرف وكثرت حوادث انهيار الجسور فكان أن تدهور الإنتاج الزراعي بالتالي أثر على النظام الإقطاعي الذي ارتكزت عليه الدولتين الأيوبية والمملوكية البحرية وفي ظل ضعف عائد الأراضي الزراعية زاد معدل اعتماد المماليك على الرواتب النقدية التي يتقاضونها من خزينة السلطان الذي زاد بالتالي من معدل اعتماده على الضرائب والمصادرات التي أدت إلى تدهور أحوال العديد من فئات الأسر المصرية وكثير من الأغنياء، وقد حدثت حوادث الشغب والتمرد على الناس حينما عجز السلاطين عن إشباع حاجات المماليك العينية والنقدية التي كانوا يصرفونها لهم.

• التقادم التي كان يطلبها السلاطين من الأمراء تسببت في حدوث المجاعات والأوبئة بل حدوث الأزمات الاقتصادية، فمثلاً لما أراد الكامل شعبان الحج في عام ٧٤٧هـ / ١٢٤٦م اشتدت المطالبة على أهل الجهات المختلفة بالجمال والشعير والأعدال وغير ذلك بسبب سفر السلطان إلى الحج وكثرت مغارم الولاة، ولذلك شكوا أرباب الإقطاعات تضررهم مما أصابهم من مغارم إلى السلطان فلم يعطي شكواهم الأهمية، وكان هذا الأمر من أسباب الفتنة التي أدت إلى خلع السلطان نفسه أواخر عام ٧٤٧هـ / ١٢٤٦م ومنعه من الحج.

• أثر النظام الإقطاعي على الفلاحين تأثيراً بالغ الأهمية فعاشوا عيشة ذليلة في ظل النظام الإقطاعي الذي جعلهم أشبه بعبيد الأرض فأصبحت حالتهم سيئة للغاية نتيجة المغارم المالية والقيود التي فرضت عليهم بالقوة والإجبار وقد كان ارتفاع القيمة التجارية للأرض الزراعية زعزع الحياة الاقتصادية وأثر على حياة الفلاحين مما جعلهم تحت رحمة كبار الأمراء وأرهق كاهل الفلاحين وأثر الخراج والهدايا العينية من الأغنام والدجاج وغير ذلك من التزامات مالية



جعلت الفلاحين يهربون ويهجرون الريف إلى أماكن أخرى ونتيجة لذلك اختل إقليم مصر غاية الاختلال بسبب ذلك.

- أثرت الأزمات الاقتصادية على الري والزراعة أشد التأثيرات، فقد كانت البلاد تحت رحمة الري الحوضي والذي كان يعتمد على الفيضان، فارتفاع الفيضان يحتاج أن تكون الجسور قوية أو بمعنى أدق شبكات الترع والقنوات والجسور قوية، أما إذا كان الفيضان منخفض فلا تحصل الأحواض على حاجتها من المياه فلا تتمكن من إنتاج محصول وفير.

- في حالة حدوث الأزمات الاقتصادية لم تجد البلاد من يهتم بشبكات الري فلم تجد الجسور والترع والقنوات من يطهرها ويصونها، فالأوبئة كانت تحصد الفلاحين والحيوانات وكلاهما كان له دوره في حماية تلك الوسائل ذلك أن الحيوانات كانت مسئولة عن عمليات الحرق والري وتتوقف حال الزراعة التي هي أساس ثروات البلاد، فحدوث الأوبئة المستمرة والمجاعات أثر على الحياة الزراعية وذلك لموت أهل الريف فتأثرت الجسور والزراعة والترع لأنها لم تجد من يطهرها ويعتني بها.

- تسببت الفتن والاضطرابات المختلفة في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري والصراع على السلطة وفساد أمور الحكم إلى الشغال السلاطين والأمراء بتلك الفتن والصراعات وبالتالي ترك الاهتمام بشئون البلاد، فاهارت شبكة الترع والجسور والقناطر نتيجة عدم تطهيرها وصيانة جسورها.

- أثرت الأزمات الاقتصادية والمجاعات والأوبئة على الزراعة، وانعكس ذلك على الخراج فانخفض الخراج الذي يعتبر المصدر الرئيسي للإيرادات، واستمر الخراج في التناقص في حدوث الأزمة وانخفاض مياه النيل، لكنه زاد في التناقص بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون وفي المقابل ولتعويض النقص في الخراج زادت الضرائب على الأنشطة التجارية والصناعية، هذا وكانت الدولة تلجأ أيضاً إلى المصادرات أو بمعنى آخر اتجهت الحكومة إلى إجراءات أخرى لتعويض النقص في الإيرادات خاصة إيراد الخراج.

- أثرت الأزمات الاقتصادية على نظام الأوقاف، رغم أنه كان إحدى الركائز الأساسية في اقتصاد البلاد، فسرعان ما دب الفساد إلى نظام الأوقاف بعد وفاة الناصر محمد أو حتى قبل وفاته، فتدهور وطمع فيها السلاطين، واعتدوا عليها والشيء الذي دفع السلاطين للاستيلاء على الأوقاف هو حاجتهم إلى المال للإنفاق على الجيوش ولكن من وجهة نظري للإنفاق على



ملذاتهم ومنعهم ولهوهم، هذا إلى جانب أن هناك من كان يستبدل الوقف بما يساوى قيمته إلى جانب تعرض جميع موارد الدولة من أوقاف إسلامية وذمية للحل والإقطاع مثل الجزية والزكاة والمعادن.

أي أن الدولة اتجهت إلى الأوقاف عندما كانت الخزانة فارغة خاوية ليس بها مال وعاجزة عن الإنفاق على الجند ومتطلبات الدولة وسد العجز في دولتهم.

• إن كل ما قام به السلاطين في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري عجل بالخراب الاقتصادي فهم اتبعوا أساليب غير مشروعة لتعويض خزانة الدولة عما فقدته، وتمكينهم من النهوض بالأعباء الملقة على عاتق الدولة، بالإضافة إلى إشباع المطالب الخاصة بالسلاطين أنفسهم، ونجحت الأساليب السابقة في توفير بعض الأموال المطلوبة للسلاطين ولكن من الناحية الاقتصادية زادت الطين بله وأسرعت بالخراب الاقتصادي الذي حل بالدولة ومرافقها مما أسرع بنهاية الدولة.

• كان لنقص بل اختفاء الذهب من البلاد منذ نهاية العصر الفاطمي واستمراره طوال العصرين الأيوبي والمملوكي البحري أثره الشديد في حدوث الأزمات النقدية الخطيرة، وانهار النظام النقدي، رغم محاولات بعض سلاطين الأيوبيين وسلاطين المماليك البحرية إلا أن تلك الإصلاحات قد باءت بالفشل ولم يكتب لها النجاح بل كادت تزهق الشعب وتزهق بها أنفسهم وأرواحهم، فقد تضرر عامة الشعب من خلال عمليات البيع والشراء التي كانت تتم حيث وصل الأمر إلى استعمال الفلوس النحاسية في البلاد وفي المعاملات اليومية حيث أصبحت الفلوس النحاسية عملة قانونية شرعية وتسمى في المعاملات الدراهم الفلوس.

• لدراسة أوزان النقود قدر كبير من الأهمية وذلك لأنها تعكس لنا الجوانب والظروف الاقتصادية التي تمر بها الدولة سواء في نواحي الرخاء أو أثناء الضائقة المالية فعند تحليلنا لأوزان النقود في العصر الأيوبي والعصر المملوكي نجد تباين أوزان الدنانير الذهبية فلم يكن هناك التزاماً بالوزن الشرعي وذلك نظراً لندرة الإصدارات النقدية الذهبية من ناحية وللتعامل بالوزن من ناحية أخرى، فمنذ بداية العصر الأيوبي حتى نهاية العصر المملوكي البحري نجد أن الدنانير تبدأ قريبة من الوزن الشرعي ٢٥، ٤ جم في أول الأمر على الرغم من انخفاض وارتفاع معدل الزيادة من دينار لآخر، ولكن من خلال تحليلنا لأوزان النقود ومن خلال الرسم الإحصائي الخاص بمتوسط أوزان تلك الدنانير نجد أن الملاحظ هو زيادة نسبة متوسط





أوزان النقود عن الوزن الشرعى للدينار سواء فى أوقات الأزمات الاقتصادية أو غيرها من أوقات لا يوجد بها أزمات اقتصادية، وقد كان هناك حالة من التذبذب فى أوزان النقود بل فى متوسط أوزانها فنجد حالة من الارتفاع والانخفاض مستمرة فى أوزان تلك النقود

ومن المرجح أن يكون هذا الاضطراب الذى بدا واضحاً فى أوزان الدينار سواء بالارتفاع أو الانخفاض ربما كان مقصوداً حتى يصير التعامل بها بالوزن وليس بالعدد، وهذا ما وضح من خلال أوزان الدينار التى قفزت عن الوزن الشرعى إلى الضعف بل أكثر من الضعف، مما أدى إلى زيادة أحجامها بصورة كبيرة، من هنا يجب أن نقرر ونضع فى الاعتبار أن للتدهور الاقتصادى أثره الواضح على النقود الأيوبية والمملوكية البحرية،

- للأزمات الاقتصادية (النقدية) تأثير كبير على عيار الدينار حيث أصابها التذبذب والتضارب ما بين الارتفاع والانخفاض منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية عصر المماليك البحرية، فمن المحتمل أن يكون انخفاض عيار الدينار بسبب حدوث الأزمات الاقتصادية (النقدية)، والتى كانت تتكرر باستمرار فى عهد الأيوبيين والمماليك البحرية، وكان التذبذب فى عيار تلك الدينار بالارتفاع والانخفاض وكان يحدث هذا فى السنوات التى كان بها فتن واضطرابات أو انخفاض مياه النيل أو حدوث المجاعات والأوبئة، بالإضافة إلى سياسة السلاطين الخاطئة وعدم إصلاح الأحوال النقدية أو غير ذلك من أسباب تؤثر على حالة النقد فينخفض عيار الدينار •

- اجتمعت العوامل الطبيعية والبشرية ليهز منها أهباء النظام النقدى الذى تحكم فى أسعار السلع الغذائية بل أنه كان سبباً رئيسياً فى حدوث الأزمات الاقتصادية التى مرت بها مصر فقد كانت أسباب الأزمات هى نفسها نتيجة لحدوث ارتفاع أسعار السلع الغذائية

- حدوث تذبذب واضح وارتباك نقدي وتأزم اقتصادي والتذبذب المستمر فى قيمة الذهب والفضة بالارتفاع، أى أن صرف الذهب كان لا يثبت على حال بل يعلو مره وينخفض مره أخرى وذلك حسب الظروف والأحوال التى كانت تمر بها البلاد فى العصرين الأيوبي والمملوكي البحرى حسب ما أوضحه الرسم الإحصائى (البيان)

- كان ارتفاع السلع الغذائية وانخفاض أسعار ما عداها، ابرز الملامح الثابتة المتكررة فى هذه الأزمات (المجاعات) وحاولت الدولة إذا أُتيحت لها الفرصة عمل إجراءات مختلفة منها مواجهة ارتفاع الأسعار باتباع سياسة التسعير، والقضاء على الوسطاء فى تجاره هذه السلع، وقد



حاولت ترسم الخط البياني لمستوى معيشة بعض العاملين في الدولة من خلال ما وصلنا من رواتبهم.

• اختلفت رواتب الموظفين بمنشآت السلاطين عن رواتب الموظفين بمنشآت الأمراء فكان الموظفين العاملون بمنشآت السلاطين يتقاضون رواتب أعلى من الموظفين العاملين بمنشآت الأمراء، واختلفت رواتب الموظفين ذوي الوظائف العليا عن رواتب الموظفين ذوي الوظائف البسيطة فكان أصحاب الوظائف البسيطة يتقاضون رواتب بسيطة منخفضة لا يستطيعون بها مواجهة أعباء الحياة والمعيشة في أوقات الغلاء و حدوث الأزمات الاقتصادية، فوقع الكثير منهم تحت خط الفقر كما ظهر في الرسم البياني الإحصائي، هذا إلى جانب أن راتب الوظيفة الواحدة كالإمام اختلف من منشأة لأخرى حسب ثراء تلك المنشأة أو عدم ثراءها وهذا ينطبق على جميع الوظائف من شيوخ وكناسين وفراشين وغير ذلك من مختلف الوظائف الأخرى.

• انعكست الظروف السياسية والاقتصادية على حركة التشييد والبناء، فنجد أن الحروب الصليبية والظروف والأحوال التي عاشتها الدولة الأيوبية أثرت على حركة التشييد والبناء، فغلب عليها الطابع الحربي، فنجد القلاع والأسوار والأبراج وغير ذلك من مبان حربية كان لها ضرورة وأهمية لوجودها في تلك الظروف، هذا إلى جانب الاهتمام بمحو أثر المذهب التشييعي، وعلى الجانب الآخر لم نعر على مساجد في العصر الأيوبي ربما للظروف الاقتصادية السيئة التي حالت دون بناء المساجد.

• أوضحت لنا النصوص التأسيسية التي ترجع إلى العصر المملوكي البحري مدى ما تمتع به الأمراء والوزراء من نفوذ وسلطان وقوة في هذه الفترة حيث احتلت أسمائهم وألقابهم مساحات كبيرة على واجهات العمائر مما يدل على سيطرتهم على أمور الحكم بل أمور البلاد والسلطة نفسها وتعددت منشآتهم بين مدنية من مدارس وقصور ومنشآت دينية بين مساجد وأربطة وخانقاوات وزوايا ظهرت فيها أمور البذخ والإسراف الذي أدى إلى أن تكون خزانة الدولة خاوية فارغة، والدليل على ذلك مدرسة ومسجد السلطان الناصر حسن الذي صوف عليها بطريقه مبالغ فيها لدرجة أن زخارفها لم تكتمل بعد فكل هذا الإسراف والبذخ جعل البلاد في حالة أزمة اقتصادية.



• بلغت مساحة مباني السلاطين ومنشآئهم درجة عظيمة من الاتساع وكبر الأحجام والضخامة والفخامة، نجد الأمراء أنفسهم نتيجة لسيطرتهم على مقاليد الحكم والسلطنة تتسم مبانيهم هي الأخرى بكبر أحجامها وضخامتها واتساعها وتفاوتت مساحات تلك المباني من أمير لأخر حسب ظروفه وإمكاناته المادية حتى الأمراء أنفسهم اختلفت مساحات منشآئهم بين الاتساع والضيق (الكبر والصغر) حسب ظروف واحتياجات كل منهم.

• تأثر العمران الشعبي تأثراً واضحاً بالأزمات الاقتصادية والأوبئة خاصة الوباء الأسود الذى عم البلاد عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م فوجد الخراب الواضح بل والنقص فى حمامات القاهرة وأسواقها المختلفة التى كانت عامرة فى يوم ما بجميع مطالب واحتياجات الناس الأغنياء منهم الفقراء، فاختفت أسواق بأكملها نتيجة لترك الناس أشياء بها ترف ودعه كسوق الشمامعين إلى جانب أسواق أخرى.

• تنوعت الفنون والتحف التطبيقية ما بين خزف، فخار، نسيج، زجاج،.. وغير ذلك لكن الشيء الواضح أن الألوان الفخارية ظهرت بصورة كبيرة وعليها كم هائل من الشارات و الرنوك المختلفة للأمراء وهذا كان يعطى لها قيمة كبيرة عند شرائها خاصة للفقراء لأنهم الغالبية العظمى من الشعب فالفخار بالنسبة لهم سعره رخيص فالرنوك أعطت له قيمة كبيرة جعلت جميع فئات الشعب تقبل على شراء الفخار المطلق ذات القيمة العالية الرخيص الثمن، مما يشهد أن هؤلاء الأمراء كانوا يشكلون سطوة كبيرة وقوة ذات نفوذ كبير.

• اشتهر العصر الأيوبي نظراً للظروف التى مر بها بنسيج الكتان فهو السائد فى ذلك العصر نظراً لحياة الزهد والتقشف على عكس العصر المملوكى البحرى الذى اشتهر بنسيج الحرير الذى ساد ذلك العصر.

• ظهرت نزعة الترف والبدخ والإسراف من خلال المعادن و تكفيتها بالذهب والفضة والتألق فى زخرفتها خلال عصر المماليك البحرية على العكس من العصر الأيوبي فقد قل فى بدايته صناعة المعادن وخاصة فى عصر صلاح الدين ولكن فى عصر خلفاءه فوجد البدخ والترف فى صناعة المعادن.

• تحكم نمط الطلب الأعلى القوة الشرائية الكبيرة ذات السطوة القوية من السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة من الطبقة العليا فى نوع الفنون التى تناسب مكانتهم سواء الخزف -



الخشب - الزجاج - المعادن أو غير ذلك فكانت تصنع لهم حسب مواصفات خاصة وخامات معينة ذات قيمة كبيرة، فجاءت منتجاتهم الفنية من الفخامة والثناء.

- تحكم نمط الطلب الأدنى القوة الشرائية الضعيفة من الفلاحين والفقراء تطلبت احتياجاتهم سلع رخيصة تلبي احتياجاتهم المعيشية الأساسية، لأنهم غير قادرين على شراء السلع الغالية المتميزة.





ملحق رقم (١): قياس النيل أثناء الأزمات الاقتصادية  
حسب ما ورد في المصادر التاريخية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري  
أولاً: في العصر الأيوبي

السنة	الدواداري / كثر الدرر		بن تغزى / بردى / النجوم الزاهرة		على مبارك / الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٥٧٠ هـ	١٧	١٧							الدواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ٥٨.
٥٧٧ هـ							١٥	١٦	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٩.
٥٧٨ هـ	٢	١٧	٢	١٧	٢	١٧	١٣	١٨	كثر الدرر، جـ ٧، ص ٧٣، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٩٧، على مبارك، جـ ١٨، ص ٥٣. أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٩. ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٠.
٥٧٩ هـ	٢١	١٧	٢٣	١٧	٢٣	١٧			كثر الدرر، جـ ٧، ص ٧٥، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٩٧، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٣.
٥٨٠ هـ	١٣	١٨	١٣	١٨	١٣	١٨	٣	١٦	كثر الدرر، جـ ٧، ص ٧٨، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٩٨، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٣. أمين سامي، تقويم النيل، ص ٣٠، ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨١.



السنة	الدوادرى / كثر الدر		بن نعى / بردى / النجوم الزاهرة		على مبارك / الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٥٨٧ هـ	١٤	١٨	١٤	١٨	١٤	١٨			كثر الدر، جـ ٧، ص ١٠٦، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١١٦، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٣، وقع الغلاء وعدمت الأقوات بمصر ولم يزد النيل إلا زيادة يسيرة وهبط من غير وفاء واستمر الحال على ذلك ثلاث سنين متوالية فمات من شدة الغلاء الثلث من أهل مصر فكانت تلك السنة كالسبع المفترس للناس: راجع: أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠، ابن إياس، لبدة من نثاق الأزهار، ص ٨١.
٥٩٠ هـ	٢٢	١٦	٢٢	١٦	٢٢	١٦			كثر الدر، جـ ٧، ص ١٢٣، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٣٦، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٣، وقد ذكر على مبارك أنه ١٢ ذراع وأصابع فى جـ ٢٠، ص ١٣٦، كثر الدر، جـ ٧، ص ١٣٦.
٥٩٥ هـ	١١	١٢							كثر الدر، جـ ٧، ص ١٣٦.



السنة	الدوا دارى / كتر الدرر		بن تغزى بردى / النجوم الزاهرة		على مبارك / الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٥٩٦ هـ	٢٠	١٢	٢١	١٢	٢١	١٢	٢١	١٢	كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٤٠، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٥٩، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٤، أمين سلمى، تقويم النيل، ص ٣٠-٤٦، المقرئى، إغالة الأمة، ص ٢٨، ابن الجوزى، مرآة الزمان، جـ ١، ق ٢، ص ٤٧١، وقد كسر الخليج والماء على ١٣ ذراعاً إلا ٣ أصابع وشرقت الأراضى وعم الغلاء وبلاء، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٦.
٥٩٧ هـ	١٦	١٥	١٦	١٥	١٦	١٥	١٦	١٥	كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٤٨، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٨٠، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٤، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠، المقرئى، إغالة الأمة، ص ٢٨.
٥٩٨ هـ	٢٣	١٥	٢٣	١٥	٢٣	١٥	أصابع ١٦	١٦	كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٥٣، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٨٢، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٤. أمين سامى، تقويم النيل، ص ٤٦.
٦١٧ هـ	٤	١٦							كتر الدرر، جـ ٧، ص ٢٠٨.



السنة	الدوادارى / كتر الدرر		بن تعزى بردى / النجوم الزاهرة		على مبارك / الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٦٢٧ هـ	٢٣	١٣	٣	١٦	٣	١٦	٣	١٦	<p>كتر الدرر، جـ ٧، ص ٢٩٩، النجوم</p> <p>الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٧٥، الخطط</p> <p>التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٥، جاء فى ابن</p> <p>إياس أن النيل بلغ ١٦ ذراعاً و ٣ أصابع ولم</p> <p>يشبث فوق الغلاء وكان قاع النيل ذراعين،</p> <p>راجع: ابن إياس، نشق الأزهار، ص ٨٢،</p> <p>أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠.</p> <p>النويرى، لمائة الأرب، جـ ٢٩، ص ١٦١،</p> <p>ذكر أيضا انه انتهى إلى ١٤ ذراع وأصابع</p> <p>وقيل بلغ ١٦ ذراع و ١٠ أصابع.</p>
٦٢٨ هـ							٣	١٦	<p>السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢،</p> <p>ص ١٥٩.</p>
٦٢٩ هـ		١٨	٣	١٦	٣	١٦	٦	١٨	<p>كتر الدرر، جـ ٧، ص ٣٠٥، النجوم</p> <p>الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٧٨، الخطط</p> <p>التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٥.</p> <p>أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠ -</p> <p>٤٦، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢،</p> <p>ص ١٥٩، ابن إياس، نبذة من نشق</p> <p>الأزهار، ص ٨٢.</p>
٦٣٠ هـ	١٠	١٨	٦	١٨	٦	١٨			<p>كتر الدرر، جـ ٧، ص ٣٠٩، النجوم</p> <p>الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٨٢، الخطط</p> <p>التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٥.</p>
٦٣٢ هـ	١٣	١٦	١٣	١٦	١٣	١٦			<p>كتر الدرر، جـ ٧، ص ٣١٣، النجوم</p> <p>الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٩٢، الخطط</p> <p>التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٥.</p>





السنة	الدوادارى / كثر الدرر		بن تعزى بردى / النجوم الزاهرة		على مبارك / الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٦٣٣ هـ			٢	١٧	١٢	١٧			النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٩٦، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٥.
٦٤٣ هـ	٤	١٨	١٤	١٨		١٤			كثر الدرر، جـ ٧، ص ٣٥٦، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٣٥٥، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٥.



قياس النيل أثناء الأزمات الاقتصادية حسب ما ورد في المصادر التاريخية في العصرين الأيوبي والملوكى  
البحرى

ثانيا: فى العصر الملوكى البحرى

السنة	الدوادارى		بن تعزى بردى		على مبارك		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٦٦١هـ	١ ٣	١٧	١٣	١٧	١٣	١٧			كتر الدرر، جـ ٨، ص ٩٤، النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢١٣، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٦، هذا وقد شح النيل ولم يثبت فوق الغلاء بمصر، راجع: ابن إياس، نبذة من نشق الأزهر، ص ٨٢، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠.
٦٦٢هـ			١٢	١٧	١٢	١٧			النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢١٨، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٦.
٦٧١هـ							١٧	١٦	أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠، المبط النيل فوق الغلاء وحصل للناس الضرر الشامل، راجع: ابن إياس، بدائع الزهور جـ ١، ق ١، ص ٣٣٣.
٦٧٢هـ	١٣	١٧	٦	١٧	٦	١٧			كتر الدرر، جـ ٨، ص ١٧٢، النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢٤٥، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٦.



السنة	الدوادارى		بن تعزى بردى		على مبارك		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٦٩٣هـ	٥	١٥	٧	١٥	٧	١٥	٧	١٥	<p>كثر الدرر، جـ ٨، ص ٣٤٥، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٥٤، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٧، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٤٦، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٠٣، وفى عقد الجمال ١٥ ذراع و ٨ أصابع، جـ ٣، ص ٢٤٦، وعند النويرى، نهاية الأرب ١٥، ٣٣، ١٥ ذراع، جـ ٣١، ص ٢٧٩، وبلغ النيل عند ابن إياس ١٥ ذراع و ٣ أصابع ولم يثبت وقوع الغلاء، راجع: ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٢، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠، أما عند ابن إيلس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٨٧، فقد بلغ ١٦ ذراع و ١٧ أصبع.</p>
٦٩٤هـ			١٧	١٦	١٧	١٦	١٧	١٦	<p>النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٧٨، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٧، المقرئى، إغاثة الأمة، ص ٣٢، ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٢، العيى، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٢٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٦١.</p>
٦٩٥هـ			١	١٨	١	١٨	١	١٨	<p>كثر الدرر، جـ ٨، ص ٨٤، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٧، العيى، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٢٨١.</p>
٦٩٦هـ			٨	١٥	١٨	١٥	١٨	١٥	<p>النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٨٥، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٧، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠-٤٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٩٠، ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٣.</p>



السنة	الدوادرى كتر الدرر		بن تعزى بردى النجوم الزاهرة		على مبارك الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٧٠٢هـ									قال ابن أبى حجلة قد زاد النيل حتى غرق البلاد ووقع الرباء وعم البلاء، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠،
٧٠٤هـ									النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢١٧، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٧. العينى، عقد الجمان، ج ٤، ص ٣٦٧، أوفى النيل بعد توقف وانتهت الزيادة إلى ١٥ ذراعاً و ١٧ إصبعا فشرقت البلاد ووقع الغلاء، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠، المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ١٢.
٧٠٧هـ									الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٧. المقرئى، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٣٩.
٧٠٩هـ									النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٨٢، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٨، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠-٤٦: توقف النيل واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته في ٢٧ توت إلى ١٥ ذراعاً و ١٧ إصبعا فشرقت البلاد ووقع الغلاء، وفي ١٧ بابه نقص جملة واحدة، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٠، وقيل في موضع آخر أن منتهى الزيادة ١٥ ذراع و ٢١ إصبعا فشرقت البلاد وضجت العباد، راجع: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٢٤.
٧١٠هـ									النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢١٧، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ٥٨.





السنة	الدوا دارى		بن تعزى بردى		على مبارك		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٧١٦هـ			٢٢	١٧	٢٢	١٧			النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٢١٧، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٨.
٧١٧هـ							٦	١٨	المقريزى، الخطط، جـ ٢، ص ص ١٦٦-١٦٧، المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٧١، زاد ماء النيل وغرقت القاهرة والأقصاب والزراعات الصفية.
٧٢٠هـ	٢٢	١٦	٢٢	١٦	٢٢	١٦			كتر الدرر، جـ ٩، ص ٢٩٦، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٢٥١، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٨.
٧٢١هـ	١٢	١٦	٥	١٦	٥	١٦			كتر الدرر، جـ ٩، ص ٣٠٥، النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٢٥٤، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٨.
٧٢٤هـ							١٩	١٨	المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٥٨.
٧٢٦هـ							١٩	١٧	المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٧٨.
٧٣٠هـ							١٠	١٨	المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٢٦.
٧٣٢هـ							١٠	١٩	المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٥٣.
٧٣٣هـ							٨	١٧	المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٦٣.
٧٣٥هـ							١١	١٨	المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٨٧.
٧٣٦هـ				١٨		١٨			النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٣١١، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٩.



السنة	الدوا دارى كتر الدرر		بن تغزى بردى النجوم الزاهرة		على مبارك الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٧٣٨هـ									في هذا العام توقفت زيادة النيل عندما قرب الوفاء ثم نقص فارتفع سعر الغلال ثم تراجع النيل ووفى ١٦ ذراعاً بعد ما زاد ٣ أيام متوالية ٥، ٤ ذراع، وتلفت بسبب ذلك غلال كثيرة وكانت سنة شديدة. راجع: المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٥٦.
٧٣٩هـ							١٠	١٦	أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣١.
٧٤٠هـ			٨	١٧	٨	١٧			النجوم الزاهرة، جـ ٩، ص ٣٢٥، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٩.
٧٤٤هـ			١٧	١٨	١٧	١٨	١٥	٢٠	النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٠٩، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٩. أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣١، ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٦.
٧٤٧هـ			١٧	١٨	٥	١٧			النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٠٩، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٥٩.
٧٤٨هـ			٨	١٧	٨	١٧			النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٧٨، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٠.
٧٤٩هـ			٢٣	١٦	٢٣	١٦			النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٢٤٣، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٠.
٧٥١هـ			١٧	١٧		١٧		١٧	النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٢٥٠، الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٠. أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣١-٤٦.
٧٥٥هـ							٢٠	٢١	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٥٥، وغرقت أراضي كثيرة من أرض مصر.



السنة	الدوادارى كتر الدرر		بن تغزى بردى النجوم الزاهرة		على مبارك الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٧٦٠هـ			٣	١٩	٣	١٩			النجوم الزاهرة، ج— ١٠، ص ٣٣٥، الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦٠، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٤٦، وقيل بلغ النيل ٤ أصابع من ٢٠ ذراع، راجع: ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٦.
٧٦١هـ				٢٤		٢٤		٢٤	النجوم الزاهرة، ج— ١٠، ص ٣٣٨، الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦٠، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٤٦.
٧٦٤هـ			٤	١٧	٤	١٧	٤	١٧	النجوم الزاهرة، ج— ١١، ص ٢٣، الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣١، وذكر ابن إياس فى كتابه نشق الأزهار، ص ٨٨ انه بلغ ١٨ ذراع و ٤ أصابع..
٧٦٦هـ							١٤	١٥	ابن إياس، نبذة من نشق الأزهار، ص ٨٨.
٧٦٨هـ							٢	٢٠	ابن إياس، بدائع الزهور، ج— ١، ق ٢، ص ٦١، حصل بذلك غاية الضرر لبحر الأراضى وتلخر الزراعة.
٧٦٩هـ						١٨			الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١.
٧٧٣هـ			٤		١٨		أصابع	٢٠	الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١. أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣١.
٧٧٥هـ				١٩	١٩	١٩	١٩	١٥	الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١. أمين سامى، تقويم النيل، ص ٤٦.
٧٧٦هـ					٥	١٧	١٢	٤	الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج— ١، ق ٢، ص ٦٢.
٧٧٧هـ					١٣	١٧			الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١.
٧٧٨هـ					٢	١٩			الخطط التوفيقية، ج— ١٨، ص ٦١.



السنة	الدوا دارى كتر الدرر		بن تعزى بردى النجوم الزاهرة		على مبارك الخطط التوفيقية		مصادر أخرى		ملاحظات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٧٧٩هـ					١٢	١٨	٢٤	٥	الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦١. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٢٠٠.
٧٨١هـ					٢	١٩	٢	٢٠	الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٢. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٢٤٥. وقد غرقت الأراضى حتى صارت لجة ماء.
٧٨٢هـ					٤	١٧	٤	١٨	الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٢. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٢٧٣، شرقت البلاد ورقع الغلاء فى جميع البلاد فى مصر.
٧٨٣هـ					١٢	١٩	أصابع	٢١	الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٢. ابن قاضى شهية، ج ٣، ص ٨٥، قيل أن هذه الزيادة لم يسمع أنها وقعت لا فى جاهلية ولا إسلام.
٧٨٤هـ					٣	٢٠	٣	٢٠	الخطط التوفيقية، جـ ١٨، ص ٦٢، أمين سامى، تقويم النيل، ص ٣٢، كان النيل عالياً واستمر حتى دعا الناس بمبوطه، وعد ذلك طوفاناً، كما ذكر أمين سلمى، تقويم النيل، ص ٣٢.





ملحق رقم (٢): جدول يوضح متوسط أوزان الدنانير في العصر الأيوبي

• دنانير صلاح الدين الأيوبي:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٥٧٠هـ	٩	٣٩,٢٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٩,٢٢}{٩} = ٤,٣٥ \text{ جم}$
٥٧١هـ	١٠	٤٠,٧٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤٠,٧٥}{١٠} = ٤,٠٧٥ \text{ جم}$
٥٧٢هـ	٩	٣٧,٣٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٧,٣٨}{٩} = ٤,١٥ \text{ جم}$
٥٧٣هـ	٩	٣٨,٥٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٨,٥٨}{٩} = ٤,٢٨ \text{ جم}$
٥٧٤هـ	٥	٢٢,٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٢,٦}{٥} = ٤,٥٢ \text{ جم}$
٥٧٥هـ	١٤	٥٨,٢٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥٨,٢٦}{١٤} = ٤,١٦ \text{ جم}$
٥٧٦هـ	٩	٣٧,١٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٧,١٢}{٩} = ٤,١٢ \text{ جم}$
٥٧٧هـ	٧	٣٥,٦٩ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٥,٦٩}{٧} = ٥,٠٩ \text{ جم}$
٥٧٨هـ	٩	٣٩,١٤٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٩,١٤٦}{٩} = ٤,٣٤ \text{ جم}$
٥٧٩هـ	١٢	٥٣,٠٦٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥٣,٠٦٥}{١٢} = ٤,٤٢ \text{ جم}$
٥٨٠هـ	٢٠	٨٧,١٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٨٧,١٥}{٢٠} = ٤,٣٥ \text{ جم}$
٥٨١هـ	١٠	٤٢,٣٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤٢,٣٣}{١٠} = ٤,٢٣ \text{ جم}$
٥٨٢هـ	٢٥	١١٥,١٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١١٥,١٣}{٢٥} = ٤,٦٠ \text{ جم}$
٥٨٣هـ	٣١	١٤٦,٨٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٤٦,٨٥}{٣١} = ٤,٤١ \text{ جم}$
٥٨٤هـ	٨	٣٤,٣٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٤,٣٧}{٨} = ٤,٢٩ \text{ جم}$



• تابع دنائير صلاح الدين الأيوبي:

السنة	عدد قطع الدناير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٥٨٥هـ	١٤	٦٧,٣٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٦٧,٣٧}{١٤} = ٤,٨١ \text{ جم}$
٥٨٦هـ	٢٨	١٢٦,٠٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٢٦,٠٤}{٢٨} = ٤,٥٠ \text{ جم}$
٥٨٧هـ	٣١	١١٧,٠٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١١٧,٠٢}{٣١} = ٣,٧٧ \text{ جم}$
٥٨٨هـ	٤٩	١٩٧,٩٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٩٧,٩٢}{٤٩} = ٤,٠٣ \text{ جم}$
٥٨٩هـ	١٧	٧٤,٩ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧٤,٩}{١٧} = ٤,٤٠ \text{ جم}$

• دنائير العزيز عماد الدين عثمان:

السنة	عدد قطع الدناير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٥٨٩هـ	٥٨	٢٣٩,٠٣٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٣٩,٠٣٤}{٥٨} = ٤,١٢ \text{ جم}$
٥٩٠هـ	١٨	٧٣,١٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧٣,١٢}{١٨} = ٤,٠٦ \text{ جم}$
٥٩١هـ	٧	٣١,١٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣١,١٦}{٧} = ٤,٤٥ \text{ جم}$
٥٩٢هـ	١٨	٩٠,٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٩٠,٣}{١٨} = ٥,٠١ \text{ جم}$
٥٩٣هـ	١٥	٧٣,٧٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧٣,٧٨}{١٥} = ٤,٩١ \text{ جم}$
٥٩٤هـ	٢٤	١١١,٠٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١١١,٠٨}{٢٤} = ٤,٦٢ \text{ جم}$
٥٩٥هـ	٦	٢٢,٤١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٢,٤١}{٦} = ٣,٧٣ \text{ جم}$



• دنانير المنصور محمد بن عثمان:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٥٩٥هـ	١٠	٤٥,٦٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤٥,٦٣}{١٠} = ٤,٥٦٣ \text{ جم}$
٥٩٦هـ	٧	٣٢,١٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٢,١٢}{٧} = ٤,٥٨ \text{ جم}$
٥٩٧هـ	١٣	٥٦,٥٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥٦,٥٢}{١٣} = ٤,٣٤٧ \text{ جم}$

• تابع دنانير المنصور محمد بن عثمان:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٥٩٩هـ	١٨	٨٣,٥٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٨٣,٥٤}{١٨} = ٤,٦٤ \text{ جم}$
٦٠٠هـ	٢٦	١٢٢,٥٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٢٢,٥٦}{٢٦} = ٤,٧١ \text{ جم}$
٦٠٢هـ	١	٦,٧٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٦,٧٥}{١} = ٦,٧٥ \text{ جم}$
٦٠٦هـ	٧	٢٨,٢٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٨,٢٢}{٧} = ٤,٠٣ \text{ جم}$
٦٠٧هـ	٥	٢٠,٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٠,٣}{٥} = ٤,٠٦ \text{ جم}$
٦٠٨هـ	٣	١٤,٢٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٤,٢٣}{٣} = ٤,٧٤ \text{ جم}$
٦٠٩هـ	٣	١٨,٨٠ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٨,٨٠}{٣} = ٦,٢٦ \text{ جم}$
٦١٠هـ	٢	٩,٣٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٩,٣٧}{٢} = ٤,٦٨ \text{ جم}$
٦١٤هـ	٣	١٥,٩٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٥,٩٣}{٣} = ٥,٣١ \text{ جم}$



• دنانير الكامل ناصر الدين أبو بكر:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦١٥هـ	٢	٨,٩١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٨,٩١}{٢} = ٤,٤٥ \text{ جم}$
٦١٦هـ	٦	٢٥,٢٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٥,٢٣}{٦} = ٤,٢٠ \text{ جم}$
٦١٧هـ	١	٢,٨٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢,٨٣}{١} = ٢,٨٣ \text{ جم}$
٦١٨هـ	٢	٨,٩٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٨,٩٥}{٢} = ٤,٤٧ \text{ جم}$
٦٢٠هـ	١	٣,٨٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣,٨٥}{١} = ٣,٨٥ \text{ جم}$
٦٢١هـ	٦	٣١,٥٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣١,٥٤}{٦} = ٥,٢٥ \text{ جم}$
٦٢٢هـ	٦	٢٦,٨٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٦,٨٨}{٦} = ٤,٤٨ \text{ جم}$





• تابع دنانير الكامل ناصر الدين أبو بكر:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			المتوسط = $\frac{\text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦٢٥هـ	١٣	٦٣,٧٧ جم	المتوسط = $\frac{٦٣,٧٧}{١٣} = ٤,٩٠$ جم
٦٢٦هـ	١٧	٩٦,٤٩ جم	المتوسط = $\frac{٩٦,٤٩}{١٧} = ٥,٣٦$ جم
٦٢٧هـ	٢٤	١١٤,٨ جم	المتوسط = $\frac{١١٤,٨}{٢٤} = ٤,٧٨$ جم
٦٢٨هـ	٣٠	١٣٤,٧٣ جم	المتوسط = $\frac{١٣٤,٧٣}{٣٠} = ٤,٤٩$ جم
٦٢٩هـ	١٨	٧٢,١٢ جم	المتوسط = $\frac{٧٢,١٢}{١٨} = ٤,٠٠$ جم
٦٣٠هـ	١٦	٨٠,٦٢ جم	المتوسط = $\frac{٨٠,٦٢}{١٦} = ٥,٠٣$ جم
٦٣١هـ	١٣	٦٧,٥٦ جم	المتوسط = $\frac{٦٧,٥٦}{١٣} = ٥,١٣$ جم
٦٣٢هـ	١٨	٩٢,٨٩ جم	المتوسط = $\frac{٩٢,٨٩}{١٨} = ٥,١٦$ جم
٦٣٣هـ	١١	٦١,٤٤ جم	المتوسط = $\frac{٦١,٤٤}{١١} = ٥,٥٨$ جم
٦٣٤هـ	١٣	٦١,٤٣ جم	المتوسط = $\frac{٦١,٤٣}{١٣} = ٤,٧٢$ جم
٦٣٥هـ	٧	٣٥,١٦ جم	المتوسط = $\frac{٣٥,١٦}{٧} = ٥,٢٢$ جم
٦٣٦هـ	١٩	١١٨,٩٣ جم	المتوسط = $\frac{١١٨,٩٣}{١٩} = ٦,٢٥$ جم
٦٣٧هـ	٦	٣٤,٩٥ جم	المتوسط = $\frac{٣٤,٩٥}{٦} = ٥,٨٠$ جم



• دنانير الصالح نجم الدين أيوب:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦٣٨هـ	٦	٢٨,٦٩ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٨,٦٩}{٦} = ٤,٧٨ \text{ جم}$
٦٣٩هـ	٥	٢٢,٧٩ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٢,٧٩}{٥} = ٤,٥٥ \text{ جم}$
٦٤٠هـ	٧	٢٩,٧٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٩,٧٢}{٧} = ٤,٢٤ \text{ جم}$

• تابع دنانير الصالح نجم الدين أيوب:

السنة	عدد قطع الدنانير	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦٤١هـ	٥	٢٣,٩٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٣,٩٧}{٥} = ٤,٧٩ \text{ جم}$
٦٤٢هـ	٤	١٧,٠٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٧,٠٢}{٤} = ٤,٢٥ \text{ جم}$
٦٤٣هـ	١٠	٤٦,٩٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤٦,٩٦}{١٠} = ٤,٦٩ \text{ جم}$
٦٤٤هـ	١	٤,١٩ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤,١٩}{١} = ٤,١٩ \text{ جم}$



جدول يوضح متوسط أوزان الدنانير في العصر المملوكى البحرى

● دنانير شجر الدر:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}} = \text{المتوسط}$
٦٤٨هـ	٣	١٣,١٨ جم	$\frac{١٣,١٨}{٣} = ٤,٣٩ \text{ جم}$

● دنانير مظفر الدين أبو الفتح موسى:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}} = \text{المتوسط}$
٦٤٩هـ	٢	٩,٢٥ جم	$\frac{٩,٢٥}{٢} = ٤,٦٢ \text{ جم}$

● دنانير المظفر عز الدين أيك:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}} = \text{المتوسط}$
٦٥٤هـ	٢	٩,٦٣ جم	$\frac{٩,٦٣}{٢} = ٤,٦١ \text{ جم}$

● دنانير المنصور نور الدين على:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}} = \text{المتوسط}$
٦٥٧هـ	٢	١٠,٣٨ جم	$\frac{١٠,٣٨}{٢} = ٥,١٩ \text{ جم}$



• دنائير المظفر سيف الدين قطز:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦٥٨هـ	١٥	٩٣,٠٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٩٣,٠٨}{١٥} = ٦,٢٠ \text{ جم}$
٦٥٩هـ	١	٥,٦١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥,٦١}{١} = ٥,٦١ \text{ جم}$
٦٦٠هـ	١	٥,٢٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥,٢٨}{١} = ٥,٢٨ \text{ جم}$
٦٦١هـ	٢	١٠,٢٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٠,٢٥}{٢} = ٥,١٢ \text{ جم}$

• دنائير العادل بدر الدين سلامش:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦٧٨هـ	لم تضرب دنائير ذهبية لسوء الأحوال الاقتصادية		

• دنائير الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٦٩٠هـ	١	٤,٦٠ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤,٦٠}{١} = ٤,٦٠ \text{ جم}$
٦٩١هـ	١	٦,٨٠ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٦,٨٠}{١} = ٦,٨٠ \text{ جم}$
٦٩٢هـ	٥	٣١,٠٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣١,٠٦}{٥} = ٦,٢١ \text{ جم}$





● دنانير العادل زين الدين كتبها:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط}}{\text{عدد القطع}} = \text{عدد أوزان القطع}$
٦٩٤هـ	٢	١٦,٧٩ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٢} = ١٦,٧٩ = ٨,٣٩ \text{ جم}$
٦٩٥هـ	٢	١٢,٥٤ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٢} = ١٢,٥٤ = ٦,٢٧ \text{ جم}$
٦٩٧هـ	٣	١٧,٢٢ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٣} = ١٧,٢٢ = ٥,٧٤ \text{ جم}$
٦٩٨هـ	١	٣,٦٦ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{١} = ٣,٦٦ = ٣,٦٦ \text{ جم}$
٧٠٧هـ	٢	٧,٢٧ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٢} = ٧,٢٧ = ٣,٦٣ \text{ جم}$
٧٠٩هـ	في عهد بيبرس الجاشنكير لم يتم ضرب دنانير ذهبية نظراً لسوء الأحوال الاقتصادية في ذلك الوقت		

● دنانير الناصر محمد بن قلاوون في الفترة الثالثة:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط}}{\text{عدد القطع}} = \text{عدد أوزان القطع}$
٧٠٩هـ	١	٧,٨٢ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{١} = ٧,٨٢ = ٧,٨٢ \text{ جم}$
٧١٣هـ	٧	٤٩,٥٠ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٧} = ٤٩,٥٠ = ٧,٠٧٢ \text{ جم}$
٧٢٤هـ	١	٩ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{١} = ٩ = ٩ \text{ جم}$
٧٢٥هـ	١	٨,٥٩ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{١} = ٨,٥٩ = ٨,٥٩ \text{ جم}$
٧٣٣هـ	٢	١١,٣٨ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٢} = ١١,٣٨ = ٥,٦٩ \text{ جم}$
٧٣٨هـ	٢	١١,٤٦ جم	$\frac{\text{المتوسط}}{٢} = ١١,٤٦ = ٥,٧٣ \text{ جم}$



• تابع: دنانير الناصر محمد بن قلاوون في الفترة الثالثة:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٣٩هـ	١	٧,٩٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧,٩٢}{١} = ٧,٩٢ \text{ جم}$
٧٤٠هـ	١	٧,٨٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧,٨٥}{١} = ٧,٨٥ \text{ جم}$
٧٤١هـ	١	٦,٨٠ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٦,٨٠}{١} = ٦,٨٠ \text{ جم}$

• دنانير المنصور سيف الدين أبو بكر:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٤٢هـ	١	٧,٣٩ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧,٣٩}{١} = ٧,٣٩ \text{ جم}$

• دنانير الناصر شهاب الدين أحمد:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٤٢هـ	٢	١٣,٣٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٣,٣٥}{٢} = ٦,٦٧ \text{ جم}$



• دنائير الصالح عماد الدين إسماعيل:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٤٣هـ	٢	١٩,٣٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٩,٣٧}{٢} = ٩,٦٨ \text{ جم}$
٧٤٤هـ	١	٨,٨٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٨,٨٥}{١} = ٨,٨٥ \text{ جم}$
٧٤٥هـ	٢	١١,٢٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١١,٢٨}{٢} = ٥,٦٤ \text{ جم}$

• دنائير الكامل سيف الدين شعبان:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٤٧هـ	٣	١٦,٥٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٦,٥٤}{٣} = ٥,٥١ \text{ جم}$

• دنائير المظفر سيف الدين حاجي:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٤٧هـ	٥	٣٠,١٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٠,١٨}{٥} = ٦,٠٣٦ \text{ جم}$



• دنانير الناصر ناصر الدين حسن (الفترة الأولى):

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٤٩هـ	٢	١٤,٧٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٤,٧٢}{٢} = ٧,٣٦ \text{ جم}$
٧٥٠هـ	٢	١١,٤٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١١,٤٧}{٢} = ٥,٧٣ \text{ جم}$

• دنانير الصالح صلاح الدين صالح:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٥٢هـ	٤	٢٨,٣١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٨,٣١}{٤} = ٧,٠٧ \text{ جم}$
٧٥٣هـ	٣	١٩,٩٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٩,٩٨}{٣} = ٦,٦٦ \text{ جم}$
٧٥٤هـ	٤	٢٦,٧٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٦,٧٧}{٤} = ٦,٦٩ \text{ جم}$
٧٥٥هـ	٢	١٠,٨٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٠,٨٤}{٢} = ٥,٤٢ \text{ جم}$
٧٥٦هـ	٣	٢٠,٥٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٠,٥٢}{٣} = ٦,٨٤ \text{ جم}$
٧٥٧هـ	٢	١٢,٩٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٢,٩٦}{٢} = ٦,٤٨ \text{ جم}$
٧٥٨هـ	٣	١٩,٢٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٩,٢٥}{٣} = ٦,٤١ \text{ جم}$
٧٥٩هـ	٣	٢٨,٧٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٨,٧٣}{٣} = ٩,٥٧ \text{ جم}$
٧٦٠هـ	٢	١٢,٩٤ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٢,٩٤}{٢} = ٦,٤٧ \text{ جم}$
٧٦١هـ	٢	١٣,٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٣,٢}{٢} = ٦,٦ \text{ جم}$





• تابع: دنائير الصالح صلاح الدين صالح:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٦٢هـ	٤	٣٤,٦٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٤,٦٣}{٤} = ٨,٦٥ \text{ جم}$
٧٦٣هـ	٦	٤٥,٤٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤٥,٤٣}{٦} = ٧,٥٧ \text{ جم}$
٧٦٤هـ	٥	٣٤,٠٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٤,٠٥}{٥} = ٦,٨١ \text{ جم}$

• دنائير الأشرف ناصر الدين شعبان:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٦٤هـ	١	٩,٥٠ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٩,٥٠}{١} = ٩,٥٠ \text{ جم}$
٧٦٥هـ	٢	١٦,٩٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٦,٩٨}{٢} = ٨,٤٩ \text{ جم}$
٧٦٦هـ	٥	٩٤,٩٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٩٤,٩٢}{٥} = ١٠,٩٨ \text{ جم}$
٧٦٩هـ	٢	١٣,٨٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٣,٨٧}{٢} = ٦,٩٣ \text{ جم}$
٧٧١هـ	٧	٥٩,١١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥٩,١١}{٧} = ٨,٤٤ \text{ جم}$
٧٧٢هـ	٧	٥٧,٥٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٥٧,٥٨}{٧} = ٨,٢٢ \text{ جم}$
٧٧٣هـ	٢	١٧,٥٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٧,٥٢}{٢} = ٨,٧٦ \text{ جم}$
٧٧٤هـ	٣	٢٠,٤٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٠,٤٥}{٣} = ٦,٨١ \text{ جم}$



• دنانير الأشرف ناصر الدين شعبان:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٧٥هـ	٣	٢٣,٦٥ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٣,٦٥}{٣} = ٧,٨٨ \text{ جم}$
٧٧٦هـ	٥	٣٣,٥٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٣,٥٧}{٥} = ٦,٧١ \text{ جم}$
٧٧٧هـ	١	٧,٧٨ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٧,٧٨}{١} = ٧,٧٨ \text{ جم}$
٧٧٨هـ	٢	١٦,٩٢ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٦,٩٢}{٢} = ٨,٤٦ \text{ جم}$
٧٧٩هـ	٣	٢٦,٠٧ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٢٦,٠٧}{٣} = ٨,٦٩ \text{ جم}$
٧٨٠هـ	٢	١٣,٨٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٣,٨٣}{٢} = ٦,٩١ \text{ جم}$
٧٨١هـ	٦	٤١,٣ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٤١,٣}{٦} = ٨,٢٦ \text{ جم}$
٧٨٢هـ	١	٦,٩٦ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٦,٩٦}{١} = ٦,٩٦ \text{ جم}$

• دنانير صلاح الدين حاجي الثاني:

السنة	عدد القطع	الوزن	المتوسط
			$\frac{\text{المتوسط} = \text{عدد أوزان القطع}}{\text{عدد القطع}}$
٧٨٣هـ	٤	٣٨,٢١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ٣٨,٢١}{٤} = ٩,٥٥ \text{ جم}$
٧٨٤هـ	١	١٢,٨١ جم	$\frac{\text{المتوسط} = ١٢,٨١}{١} = ١٢,٨١ \text{ جم}$



ملحق رقم (٣): تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في (العصر الأيوبي)

المصدر / ملاحظات	السعر		الوزن / الوحدة		السيئة
	الدريهم	الدينار	الكيلوجرام	الوحدة	
علي مبارك، الخطط، جـ ٢٠، ص ١٣٦، جـ ٧، ص ١٩. المد الواحد = ١,٠٥٣ لتر، والمد = ١,٠٥ لتر. راجع: - هنتس فالتر، المكايل، ص ص ٧٤-٧٥.	١٠٦,٤ درهم	٨ دنانير	١,٤٥٥.٤٢٧	المد	٥٩٠هـ
التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ٤٥٢.	٢٦,٦ درهم	٢ دينار	٠,٣٦٣٧٦٠٦	أردب	٥٩٢هـ
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٣٠.	٢١,٦ درهم	١٨٠ دينار	٠,٢٩٥٣٨٤٦	١٠٠ أردب	
المواداري، كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٤٧.	٨٠ درهم		١,٠٩٤٠١٧	أردب	٥٩٥هـ
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٦.	١٠٠ درهم		١,٣٦٧٥٢١٣	أردب	٥٩٦هـ
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨.	٨٠ درهم	٥ دينار	١,٠٩٤٠١٧	أردب	٥٩٧هـ
ابن يانس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢٥٤.	١٢٨ درهم	٨ دينار	١,٧٥٠٤٢٣٧		
المواداري، كتر الدرر، جـ ٧، ص ٢٠٨.	١٦٠٠ درهم	١٠٠ دينار	٢١,٨٨٠٣٤١		
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٠٥.	٤٠ درهم	٢,٥ دينار	٠,٥٤٧٠٠٨٥	أردب	٦١٧هـ
علي مبارك، الخطط، جـ ١٨، ص ٥٥، هذا وقد سعر الملك الكامل القمح بـ ٢٠ درهما للأردب وأمر يبعه في الأهراء بـ ٢٥ درهماً: -التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١٦١.	٤٨ درهم	٣ دنانير	٠,٦٥٦٤١٠٢		
التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١٦١، السيوطي، حسن الحاضرة، جـ ٢، ص ١٥٩.	١٥٠ درهم	١٥ دينار	٢,٠٥١٢٨٢	أردب	٦٢٧هـ
	٥٠ درهم	٥ دنانير	٠,٦٨٣٧٦٠٦	أردب	٦٢٨هـ



تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري

السنة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
١٦٦٢هـ	أردب	١,٣٦٧٥٢١٣		١٠٥ درهم	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢١٣، القريري، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥٠٦.
		٢,٠٥١٢٨٢		١٥٠ درهم	العيني، عقد الجمان، جـ ١، ص ٣٧٥-٣٧٦، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٣١.
		١,٣٦٧٥٢١٣		١٠٠ درهم	القريري، الخطط، جـ ٢، ص ٢٠٥، العيني، عقد الجمان، جـ ١، ص ٣٧٥.
١٦٩٣هـ	أردب	٠,٥٤٧٠٠٨٥		٤٠ درهم	العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٢٤٦.
١٦٩٤هـ	أردب	١,٦٤١٠٢٥٦		١٢٠ درهم	النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٥٧.
		١,٣٦٧٥٢١٣		١٠٠ درهم	القريري، إغاثة الأمة، ص ٣٢، علي مبارك، الخطط، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢٠، ص ١٣٧.
	أردب	٢,٠٥١٢٨٢		١٥٠ درهم	التريوي، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٥٦.
	أردب	٢,١٨٨٠٣٤١		١٦٠ درهم	العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٠، القريري، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٠.
	أردب	٢,٣٢٤٧٨٦٣		١٧٠ درهم	العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٠.
		٢,٥٩٨٢٩٠٥		١٩٠ درهم إلى	العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٠، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٠.





تابع: تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في (العصر المملوكي البحري)

المستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٦٩٤هـ	أردب	٢,٣٢٤٧٨٦٣		١٧٠ درهم	علي مبارك، المخطط، جـ ١، ص ٣١، عبارة عن ٨,٥ مثقال من الذهب.
	أردب	٠,٣٤١٨٨٠٣		٢٥ درهم	
		٠,٤١٠٢٥٦٤		٣٠ درهم	بلغ سعر أردب القمح من ٢٥ إلى ٣٠ درهم إلى ٦٠ درهم، ابن الفرات، جـ ٨، ص ١٩٦.
		٠,٨٢٠٥١٢٨		٦٠ درهم	
		١,٢٣٠٧٦٩٢		٩٠ درهم	
٦٩٥هـ	أردب	٢,١٨٨٠٣٤١		١٦٠ درهم	النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٥٧.
	أردب	٢,٤٦١٥٣٨٤		١٨٠ درهم	كثر الدرر، جـ ٨، ص ٣٦٣، ابن الفرات، جـ ٨، ص ٢٠٨، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣.
	أردب	٢,٥٩٨٢٩٠٥		١٩٠ درهم	إغاثة الأمة، ص ٣٣، علي مبارك، المخطط، جـ ٢٠، ص ١٣٧.
	أردب	٢,٢٨٣٧٦٠٦		١٦٧ درهم إلى	التويري، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٩٣.
	أردب	٢,٤٦١٥٣٨٤		١٨٠ درهم	ذكر صاحب نهاية الأرب أن السعر انخفض في شهر رجب إلى ٣٥ درهم، التويري، نهاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٩٤.
	أردب	٢,٣٢٤٧٨٦٣		١٧٠ درهم	السيوطي، حسن الخاضرة، جـ ٢، ص ١٦١.
٦٩٦هـ	أردب	٢,٣٢٤٧٨٦٣		١٧٠ درهم	ابن إياس، جـ ١، ق ١، ص ٣٩٠، علي مبارك، المخطط، جـ ١٨.
	أردب	١,٣٦٧٥٢١٣		١٠٠ درهم	المقرئري، إغاثة الأمة، ص ٣٢، في ذي القعدة ٤٥ درهم، المقرئري، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٢٩، ابن الفرات، جـ ٨، ص ٢٣٢، وفي ذي الحجة ٤٠-٥٠ درهم، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٣٠.



تابع: تطور سعر القمح أثناء الأزمات الاقتصادية في (العصر المملوكي البحري)

المصدر / ملاحظات	السعر		الوزن / الوحدة		المستة
	الدينار	الدرهم	الكيلوجرام	الوحدة	
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٩٣.		١٦٠ درهم	٢,١٨٨.٣٤١	أردب	٥٦٩٩هـ
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٩٤٩-٩٥٠، العيني، عقد الجماع، جـ ٤، ص ٣٠٨.		٤٠ درهم	٠,٥٤٧٠.٨٥	أردب	٥٧٠٣هـ
المقريزي، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٣٩.		٥٠ درهم	٠,٦٨٣٧٦.٠٦	أردب	٥٧٠٧هـ
المقريزي، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٥٥.		٥٠ درهم	٠,٦٨٣٧٦.٠٦	أردب	٥٧٠٩هـ
السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٥٣.		١٧ درهم	٠,٢٣٢٤٧٨٦	أردب	٥٧٢٤هـ
المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٣٩.		٧٠ درهم	٠,٩٥٧٢٦٤٩	أردب	٥٧٣٦هـ
ابن إياس، جـ ١، ق ١، ص ٤٧٢.		١٥ درهم	٠,٢٠٥١٢٨٢		
ذكر المقريزي في السلوك أنه في نصف جماد الآخر من نفس السنة سمعت الدولة القمح بسعر		٢٠ درهم	٠,٢٧٣٥٠٤٢		
١٥ درهم الأردب ثم ارتفع إلى ٢٠ ثم ٣٠ ثم إلى ٤٠ درهم، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص		٣٠ درهم	٠,٤١٠٢٥٦٤		
٣٩٤.		٤٠ درهم	٠,٥٤٧٠.٨٥		
السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.		٤٠ درهم	٠,٥٤٧٠.٨٥	أردب	٥٧٣٧هـ
السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٥٦.		٢٠ درهم	٠,٢٧٣٥٠٤٢	أردب	٥٧٣٨هـ
ذكر ابن إياس في بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٠ أن طحين أردب القمح بلغ ١٥		٢٠٠ درهم	١٦,٤١٠.٣٢٣	طحن أردب القمح	٥٧٤٩هـ
درهم، وعندما عدم الناس وقع الغلاء حتى بيع كل وية قمح بمائتي درهم، النجوم الزاهرة، جـ				بلديار، غنّ التربة	
١٠، ص ٢١٠، علي مبارك، الخطط، جـ ١، ص ٣٧.				من القمح وهي	
				سلس الأردب	



تابع: تطور سعر النقمح أثناء الأزمات الاقتصادية في العصر المملوكي البحري

	السعر		الوزن / الوحدة		السنة
	الدينار	الدرهم	الكيلوجرام	الوحدة	
٧٦٥هـ	٤٠ درهم	٤٠	٠,٤١٠٢٥٦٤		
٧٧٥هـ	٩٠ درهم	٩٠	١,٢٣٠٧٦٩٢		
	١٢٠ درهم	١٢٠	١,٦٤١٠٢٥٦		
٧٧٦هـ	١٥٠ درهم	١٥٠	٢,٠٥١٢٨٢		
ربيع أول ٧٧٦هـ / أغسطس ١٣٧٤م	١٠٠ درهم	١٠٠	١,٣٦٧٥٢١٣		
جاء الأول ٧٧٦هـ / أكتوبر ١٣٧٤م	١٢٥ درهم	١٢٥	١,٧٠٩٤٠١٧		
٢٢ جاد الأول ٧٧٦هـ / نوفمبر ١٣٧٤م	١١٠ درهم	١١٠	١,٥٠٤٢٧٣٥		
رجب وشعبان ٧٧٦هـ / ديسمبر ١٣٧٤م	١٢٥ درهم	١٢٥	١,٧٠٩٤٠١٧		
٧٨٣هـ	٦٠ درهم	٦٠	٠,٨٢٠٥١٢٨		
	٢٩٨ ص، ٢ ق				
٧٨٤هـ — محرم ٧٨٤هـ / مارس ١٣٨٢م	١٠٥ درهم	١٠٥	١,٤٣٥٨٩٧٤		
آخر الخرم ٧٨٤هـ / أبريل ١٣٨٢م	٤٠ درهم	٤٠	٠,٥٤٧٠٠٨٥		



تطور سعر الخبز والدقيق في العصرين الأموي والمملوكي البحري أثناء الأزمات الاقتصادية

المتن	السعر		الوزن / الوحدة		المتن
	الدراهم	الدينار	الكيلوجرام	الوحدة	
	الدراهم	الدينار	الكيلوجرام	الوحدة	
علي مبارك، الخطط، جـ ٢٠، ص ١٣٦، جـ ١٧، ص ١٩.	دراهم			رطل ونصف	٥٥٩٠هـ
السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٣٠.	دراهم			٣ أرطال	٥٥٩٢هـ
المقريزي، إغاثة، ص ٣٠.	دراهم			رطل ونصف	٥٥٩٥هـ
التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١٦١.	دراهم			٤ أرطال	٦٢٨هـ
التجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢١٣.	دراهم			٣ أرطال	٦٢٢هـ
السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣، السيوطي، حسن الخاضرة، جـ ٢، ص ١٦١.	دراهم			رطل	٦٩٥هـ
السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٩٣.	٢ دراهم			رطل	٦٩٩هـ
المقريزي، إغاثة، ص ٣٩، عند ابن ياس عدم الخبز من الأسواق.	بدرهم			كل ٥ أرطال	٧٣٦هـ
ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ١٢٥.	٤ دراهم			رغيف الخبز	٧٧٥هـ
ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ١٢٧.	٨٤ دراهم			حل الدقيق	ربيع آخر جاء الأولى
ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ١٣٧، بعد ما كان كل ٥ أرطال بدرهم.	دراهم			كل ٤ أرطال خبز	ذو القعدة
المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٣٩.	دراهم			رطل ونصف	٧٧٦هـ
ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ١٣٧.	٤ دراهم			٣ أرطال	ربيع آخر
ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ١٤٠.	٣٠ دراهم			البطة الدقيق	جاء الأولى
ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ٣٠٢.	٣٠ دراهم			البطة الدقيق	٧٨٤هـ
ابن ياس، جـ ١، ق ٢، ص ٣٠٢.	دراهم			كل رطلين خبز	





تطور سعر الشحير أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

المستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٥٩٥هـ	أردب			٤٠ درهم	المواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ١٣٩، حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٢٨.
٥٩٦هـ	أردب			٥٠-٦٠ درهم	المواداري، كثر الدرر، جـ ٧، ص ١٤٧.
٥٩٧هـ	أردب		٦ دنانير	٧٩,٨ درهم	المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨.
٦٢٢هـ	أردب			٧٠ درهم	النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ١٣، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥٠٦، حامد زيان، الأزمات، ص ٣١.
٦٩٤هـ	أردب			١٢٠ درهم	العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٠.
٦٩٥هـ	أردب			١٠٠ درهم	خاية الأرب، جـ ٣، ص ٢٨٦، ابن القرات، جـ ٨، ص ١٩٩، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٢٧٥.
				٦٠ درهم	المقريزي، إغاثة، ص ٣٢، علي مبارك، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢٠، ص ١٣٧.
				١٢٠ درهم	علي مبارك، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢٠، ص ١٣٧.
				١٠٠ درهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن القرات، جـ ٨، ص ٢٠٨.
				٨٠ درهم	كثر الدرر، جـ ٨، ص ٣٦٣.
٦٩٦هـ	أردب			١٢٠ درهم	علي مبارك، الخطط، جـ ١٨، ص ٥٧، ابن إلياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٣٩٠.
٦٩٩هـ	أردب			١٨٠ درهم	المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٩٣.
٧٠٩هـ	أردب			٢٠ درهم	السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٥٥.
٧٣٧هـ	أردب			٢٨ درهم	السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.
٧٧٥هـ	أردب			٨٠ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٥.



تابع: تطور سعر الشعير أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأموي والعباسي المبكر

السنة	الوزن/ الوحدة		السعر		الملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٧٧٦هـ ربيع أول جماد الأولى	أردب أردب أردب الأردب من الشعير الجليل			١٠٠ درهم ٦٠ درهم ٩٠ درهم ٥٠ درهم	القرنبي، بقله، ص. ٤٠. بين يلس، ج. ١ ق. ٢ ص. ١٣٦. بين يلس، ج. ١ ق. ٢ ص. ١٤٠. بين يلس، ج. ١ ق. ٢ ص. ١٤٠.



تطور سعر اللحوم والأبقار أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

الاستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٥٩٠هـ	البقرة		٧٠ دينار	٤٤ درهم	علي مبارك، جـ ٢٠، ص ١٣٦، جـ ٧، ص ١٩.
٥٩٥هـ	الغور		٧٠ دينار	٤٤ درهم	البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٦٩.
٥٩٦هـ	رأس البقر الواحد		٧٠ دينار	٤٤ درهم	إغاثة الأمة، ص ٢٩، المقرئ، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨.
٥٩٦هـ	البقر المنزّل		٦٠ دينار	٤٤ درهم	السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨.
٦١٦هـ	البقرة		١٦٠٠ دينار	٤٤ درهم	التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٩٤.
٦٢٢هـ	رطل اللحم		دينار	٤٤ درهم	حامد زيان، الأزمات الاقتصادية، ص ٣١.
	رطل وثلاث			١٤٤ درهم	النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٢١٣.
	ارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها نتيجة لفناء الأبقار هذا العام			بدرهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٧٣٣.
٦٨٥هـ	رطل اللحم			٣ درهم	المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٣٢، المعنى، عقد الجمال، جـ ٣، ص ٢٧٧، علي مبارك، جـ ٧، ص ١٩.
٦٩٤هـ	رطل اللحم			٧ دراهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن الفرات، جـ ٨، ص ٢٠٨.
٦٩٥هـ	رطل اللحم			٢,٥ درهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٣٠.
٦٩٦هـ	رطل اللحم			٧ دراهم	ابن ياس، جـ ١، ق ١، ص ٣٩٠.



تابع تطور سعر المحوم والأبقار أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

السنة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلو جرام	الدينار	الدرهم	
٦٩٩هـ	الرطل			١٢ درهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٣٠.
٧٠٠هـ	الثور			١٠٠٠ درهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٩١٣-٩١٤، نتيجة لقضاء الأبقار هذا العام.
٧٣٧هـ	رطل اللحم وفيها ارتفع سعر اللحم لقلّة جلب الأغنام حتى بيع الرطل بـ ١,٢٥ درهم			٢,٣٣ درهم	السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٠٩.
٧٧٥هـ	رطل اللحم الضأن			٢ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٥.
	رطل اللحم البقرى			١,٥ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٥.
٧٧٦هـ	رطل اللحم الضأن			٢ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٣٨.
	رطل اللحم البقرى			١,٣٣ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٣٨.





تطور سعر الفول أثناء الأزمات في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

الستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٥٩٥هـ	أردب			٤٠ درهم	المواداداري، كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٣٩.
٥٩٦هـ	أردب			٦٠-٥٠ درهم	المواداداري، كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٣٩.
٥٩٧هـ	أردب		٦ دنانير	٧٩, ٨ درهم	المقريري، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٥٨.
٦٣٧هـ	أردب			٥٠ درهم	المقريري، إغاثة الأمة، ص ٣٩.
٦٩٤هـ	أردب			٥٠ درهم	المقريري، إغاثة، ص ٢٢، علي مبارك، الخطط، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢، ص ١٣٧.
	ثم وصل				
	الأردب			١٠٠ درهم	عقد الجمان، جـ ٣، ص ٢٧٥، وقد ذكر أن سعر الشعير ١٠٠ درهم والفول والخيرب نحو ذلك
٦٩٥هـ	أردب			١١٠ درهم	المقريري، إغاثة الأمة، ص ٣٣، يعني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠٠، علي مبارك، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢٠، ص ١٣٧.
				٩٠ درهم	السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣.
				٨٠ درهم	المواداداري، كتر الدرر، جـ ٧، ص ١٣٩، ذكر ابن الفرات أنه وصل السعر من ٨٠ إلى ٩٠ درهم، ابن الفرات، جـ ٨، ص ٢٠٨.
٦٩٦هـ	أردب			١٢٠ درهم	ابن إياس، جـ ١، ق ٢، ص ٣٩٠.
٧٠٩هـ	أردب			٢٠ درهم	المقريري، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٥٥.
٧٣٧هـ	أردب			٣٢ درهم	المقريري، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.
٧٧٥هـ	أردب			٢٥ درهم	ابن إياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٧.



تابع: تطور سعر الفول أثناء الأزمات في العصرين الأيوبي والملوكي البحري

المصدر / ملاحظات	السعر		الوزن / الوحدة		السنة
	الدراهم	الدينار	الكيلوجرام	الوحدة	
ابن إياس، ج ١، ق ٢، ص ١٢٧.	٥٠ درهم			أردب	٧٧٦هـ — ربيع أول
ابن إياس، ج ١، ق ٢، ص ١٤٠.	٨٠ درهم			أردب	٧٧٦هـ — ربيع أول



تطور سعر الماء - العطس - الزيت - الترمس - البر وغير ذلك أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري

الاستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	الكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٦٩٥هـ	أردب العدس			١١٠ درهم	المقريزي، إغاثة الأئمة، ص ٣٣، المعنى، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٠٠، علي مبارك، ج ٧، ص ١٩، ج ٢٠، ص ١٣٧.
	الترمس			٦٠ درهم	المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٣١٨، ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.
	البر			١٩٠ درهم	علي مبارك، ج ٧، ص ١٩.
	رطل الزيت			٦ دراهم	المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٩٣.
٧٤٦هـ	راوية الماء			٢ درهم	ابن تقي يبردي، التحريم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٣٠.
٧٤٧هـ	راوية الماء			٢ درهم	السيوطي، حسن الخاضرة، ج ٢، ص ١٦٣-١٦٤، علي مبارك، ج ١٨، ص ٥٩، وفي دولة شعبان بن محمد ٤ دراهم.
٧٤٩هـ				١٢ درهم	ابن إلياس، ج ١، ق ١، ص ٥٣٠.
٧٧٥هـ	راوية الماء			٥ درهم	ابن إلياس، ج ١، ق ٢، ص ١٢٥.
٧٧٦هـ	راوية الماء			٤ دراهم	علي مبارك، الخطط، ج ١٨، ص ٥٩.
سعر الحمص والبرسيم والسكر:					
٦٩٦هـ	السكر			بقلها فضة	ابن إلياس، ج ١، ق ١، ص ٣٩٠.
٧٠٩هـ	السكر			٥ دراهم	المقريزي، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٥٥.
٧٣٧هـ	قدح الحمص للصلوق			٣ دراهم	المقريزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.
٧٣٧هـ	قدان البرسيم			١٧٠ درهم	المقريزي، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٤٢٤.



تطور سعر الطيور والبيض والحبث أثناء الأزمات الاقتصادية في العشرين الأولى والمملوكي

المصدر / ملاحظات	السعر		الوزن / الوحدة		المسنة
	الدرهم	الدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
علي مبارك، جـ ٢٠، ص ١٣٦.		٢,٥ دينار		الفروج	٥٥٩٠هـ
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٣١.	٣٠ درهم			الفروج	٥٥٩٢هـ
المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٣٠، ذكر عبد اللطيف البغدادي أن رجلاً مصرياً حكى له أنه اشترى دجاجة من الشام بـ ٦٠ ديناراً وباعها بالقاهرة على القماطين بتحو ٨٠٠ ديناراً، ص ٧٠.		٢,٥ دينار		الفروج	٥٥٩٥هـ
التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٨، ص ١٥٨.	٥٠ درهم			الفروج	٥٥٩٦هـ
المقريزي، السلوك، جـ ١، ق ١، ص ١٥٨، السيوطي، حسن الخاضرة، جـ ٢، ص ١٥٨.	١٠٠ درهم			الفروج	٥٥٩٧هـ
التويري، نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٩٤.		٣٠ دينار		الدجاجة	٥٦١٦هـ
المقريزي، إغاثة، ص ٣٠، العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٣٠، علي مبارك، جـ ٧، ص ١٩، جـ ٢٠، ص ١٣٧.	٣٠ درهم			الفروج	٥٦٩٥هـ
فخاية الأرب، جـ ٣١، ص ٢٩٣، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن الفرات، جـ ٨، ص ٢٠٨.	٢٠ درهم			الفروج	
العيني، عقد الجمان، جـ ٣، ص ٢٩٩.	١٩ درهم			الفروج	
ابن إلياس، جـ ١، ق ١، ص ٣٦٠.	١٥ درهم			الفروج	٥٦٩٦هـ
المقريزي، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٥٥.	٥ درهم			الفروج	٥٧٠٩هـ
ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٥.	٤ دراهم			الفروج	٥٧٧٦هـ
ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٣٨، ص ١٤١، ابن تغري بردي، التيجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٦٦، السيوطي، حسن الخاضرة، جـ ٢، ص ١٦٥.	٤٥ درهم				
المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٤٠.	١٠٠ درهم				





تابع تطور سعر الطيور والبيض والجبن أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الإيوبي والمملوكي

المستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	الدينار	الدرهم	
٧٧٦هـ	زوج الأوز			٢٠ درهم	ابن إياس، ج ١، ق ٢، ص ١٣٨.

سعر البيض والجبن:

٥٥٩٥هـ	البيضة			يلدرهم	البيضاوي، الإفادة، ص ٧٠.
٥٥٩٧هـ	٢ بيضة			يلدرهم	المقريزي، السلوك، ج ١، ق ١، ص ١٥٨.
٦١٦هـ	البيضة		دينار		التويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٩٤، وعد المقريزي في السلوك بعدة دنانير، ج ١، ق ١، ص ٢٠١.
٦٩٥هـ	٣ حبات بيض			يلدرهم	المقريزي، إغاثة، ص ٣٣، العي، عقد الجمال، ج ٣، ص ٢٩٩، السيوطي، ج ٢، ص ١٦١.
	٧ حبات بيض			يلدرهم	المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨١٣، ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٨.
٦٩٦هـ	البيضة			٤ دراهم	ابن إياس، ج ١، ق ١، ص ٣٩٠.
٦٩٩هـ	٤ بيضات			يلدرهم	السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٣٣.
٦٩٩هـ	رطل الجبن			١٢ درهم	السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٩٣.
٧٧٥هـ	البيضة الواحدة			١٠ دراهم	ابن إياس، ج ١، ق ٢، ص ١٢٥.



تطور سعر الأدوية وأغذية المرضى أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي

السنة	الوزن / الوحدة		السعر	المدرهم	ملاحظات / المصدر
٥٥٩٢هـ	الوحدة	بالكيلوجرام	الديتار	٢٤ درهم	السلوك، ج١، ق١، ص١٣١.
جماد الأولى	البطيخة			١٠٠ درهم	السلوك، ج١، ق١، ص١٣١.
٥٥٩٦هـ	رطل البطيخ الأخضر			٤ دراهم	التويري، خاية الأرب، ج٢٨، ص٤٥٢.
٦٩٥هـ	حبة السفرجل			٣٠ درهم	خاية الأرب، ج٢٨، ص٤٥٢.
٦٩٥هـ	البطيخة			٤٠ درهم	المقريزي، إغاثة، ص٣٣، المعنى، عقد الجمال، ج٣، ص٣٠٠.
	البطيخة الخضراء الصيفية			١٠٠ درهم	السلوك، ج١، ق١، ص٨١٣، ابن القرات، ج٨، ص٢٠٨.
	الرطل			٤ دراهم	خاية الأرب، ج٣١، ص٢٩٣.
٦٩٥هـ	٣ حبات سفرجل			بلدرهم	المقريزي، إغاثة، ص٣٣، علي مبارك، الخطط، ج٢٠، ص١٣٧.
٦٩٦هـ	السفرجلة			٣٠ درهم	ابن القرات، ج٨، ص٢٠٨، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٨١٣.
	الغفاحة			٣٠ درهم	ابن إلياس، ج١، ق١، ص٣٩٠.
	الرمانة			٣٠ درهم	ابن إلياس، ج١، ق١، ص٣٩٠.
	السفرجلة			٣٠ درهم	ابن إلياس، ج١، ق١، ص٣٩٠.
٧٠٩هـ	رطل البطيخ			بلدرهم	السلوك، ج٢، ق١، ص٥٥.
٧٧٥هـ	الرمانة			١٢ درهم	ابن إلياس، ج١، ق١، ص١٢٥.
٧٧٥هـ	البطيخة الصيفي			١٠٠ درهم	ابن إلياس، ج١، ق١، ص١٢٥-١٢٦.



تابع: تطور سعر الأدوية وأغذية المرضى أثناء الأزمات الاقتصادية في العصرين الأيوبي والمملوكي

الستة	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر / ملاحظات
	الوحدة	بالكيلو جرام	الدينار	الدرهم	
٥٧٧٦هـ	البطيخة			٧٠ درهم	التجوزم الزاهرة، جـ ١١، ص ٦٦، السيوطي، حسن الخاضرة، جـ ٢، ص ١٦٥.
٥٧٧٦هـ				١٥٠ درهم	المقريري، إغاثة، ص ٤٠.
	حبة السفرجل			٥٠ درهم	التجوزم الزاهرة، جـ ١١، ص ٦٦.
	رمانة			١٦ درهم	التجوزم الزاهرة، جـ ١١، ص ٦٦، ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٤١، السيوطي، حسن الخاضرة، جـ ٢، ص ١٦٥.
	الرطل من حب الرمان			١٠,٥ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٣٨.
	البطيخة الصفي			٩٠ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٤١.
	التفاحة			٥٠ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٤١.
	السفرجلة			٥٠ درهم	ابن إلياس، جـ ١، ق ٢، ص ١٤١.



## قائمه بأهم الوثائق والمخطوطات و المصادر والمراجع العربية والأجنبية

### أولاً: قائمة الوثائق العربية الغير منشورة:

١. وثيقة بيع مؤرخة بـ ٢٣ جماد آخر سنة ٧٣٠هـ، برقم ٦٢٧ ج، المحفوظة بقسم المحفوظات والوثائق بوزارة الأوقاف بالقاهرة.
٢. وثيقة بيع مؤرخة بـ ١١ رمضان سنة ٧٦٣هـ، برقم ٥٣ ج، محفوظة بقسم الوثائق والمخطوطات بوزارة الأوقاف بالقاهرة.

### ثانياً: قائمة الوثائق المنشورة:

١. وثيقة وقف محمد نور الدين الرفاعى الخرجى القاضى بشغر دمياط المؤرخة بـ ١٥ صفر سنة ٦٩٣هـ، نشرها د. سامح عبد الرحمن فهمى، المسكوكات والقيم النقدية فى وثائق الممالك البحرية فى مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٠م.
٢. وثيقة وقف مدرسة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ الملحق بكتاب المقرئى، السلوك، ج ١، ق ٣، ملحق ١٧.
٣. وثيقة وقف خالقة بپرس الجاشنكير المؤرخة ب سنة ٧٠٩هـ، نشرها د. عادل شريف علام، النصوص التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، سنة ١٩٩٥م.
٤. وثيقة وقف خالقة الناصر محمد بن قلاوون بسرباقوس المؤرخة بـ ١٨ جماد الآخرة سنة ٧٢٥هـ، الملحق بكتاب، ابن حبيب، تذكرة النبیه، الجزء الثانى.
٥. وثيقة وقف الأمير صرغتمش المؤرخة بـ ٢٧ رمضان سنة ٧٥٧هـ، نشرها د. عبد اللطيف إبراهيم، نسان جديدان من وثيقة صرغتمش، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٢ سنة ١٩٦٦م، نشرها أيضاً، حسن جوده القصاص، المدرسة الصرغتمشية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٣م.





٦. وثيقة وقف السلطان النصر حسن، مؤرخة بـ ١٥ ربيع الآخر سنة ٧٦٠هـ، نشرها د. سامح فهمي، برسالة الدكتوراه القيم النقدية.
٧. وثيقة وقف الأمير يلبغا أتابك العسكر المنصورة، المؤرخة مستهل شعبان سنة ٧٦٥هـ، نشرها د. سامح فهمي، برسالة الدكتوراه القيم النقدية.



### ثالثاً: قائمة المخطوطات العربية:

١. آل الصفا صلاح الدين خليل، أعيان العصر و أعوان النصر، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٠٩١، رقم الميكرو فيلم ٤٠٧٠٢.
٢. الحسن بن عمر بن حبيب، جبهة الأخبار، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٠٤ تاريخ تيمور.
٣. الخزر جى: أحمد بن محمد بن على بن حسن بن إبراهيم الألبارى الخزر جى، النيل الرائد فى النيل الزائد، مخطوط بدار الكتب المصرية، جغرافيا ٤٥٨٤٤، ميكرو فيلم ٧٥٢٠.
٤. السيوطى، جلال الدين السيوطى الشافعى، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٨١ جغرافيا.
٥. المنوفى: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام، الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٦ جغرافيا.
٦. زكريا الألبارى، تحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين، مخطوط بدار الكتب المصرية، حديث تيمور ١٤١، رقم الميكرو فيلم ٢٢٢٧٣.
٧. العلامة شهاب الدين أحمد السلامى، كتاب مختصر التواريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٤٣٥، ميكرو فيلم ١٨٤٦٤.
٨. مؤلف مجهول، كتاب الزهر السنية فى الخلفاء والملوك المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٢٨، ميكرو فيلم ٤٦٢٦٨.
٩. مصطفى الصفوى القلعاوى، صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير و سلطان، مخطوط بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦ م.
١٠. يوسف الملوانى، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ٥٦٢٣، ميكرو فيلم ٣٦٤٢١، سنة ١٩٣٥ م.



#### رابعاً: قائمة المصادر العربية:

١. ابن قاضي شهبة: ثقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة، حققه: عدنان درويش، دمشق سنة ١٩٧٧ م.
  ٢. ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الكامل في التاريخ، ٩ أجزاء، إدارة الطباعة الميترية سنة ١٣٤٨ هـ
  ٣. ابن الأثير: علي بن أبي كرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجذري، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة ١٩٦٣ م.
  ٤. ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، نقله وصححه (روبن ليوي)، مطبعة دار الفنون بكمبريدج، سنة ١٩٣٧ م.
  ٥. ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي التركي المشهور بسبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ م.
  ٦. ابن الجيعان: يحيى بن شاكر بن الجيعان، كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، تحقيق: برنارد موريس، القاهرة، سنة ١٨٩٨ م، المطبعة الأهلية، سنة ١٩٩٢ م.
  ٧. ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني، نزهة المقاتلين في أخبار الدولتين، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، دار النشر، فرانتس شتالير، شتوتغارت سنة ١٩٩٢.
  ٨. ابن العميد: المكين جرجس بن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق كلود كاهن.
- Claud Cahen, Extrait du Bulletin d Etude orientes de L institute Francais des Damas, Tom XV, 1955.
٩. ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات، حققه د. قسطنطين رزيق، د. مجلا عز الدين، الجامعة الأمريكية في بيروت، المجلد الثامن، سنة ١٩٣٩ م.
  ١٠. ابن الوردي: العلامة الشيخ زين الدين عمر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف، سنة ١٣٨٩ هـ، سنة ١٩٦٩ م.



١١. ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ببولاق سنة ١٣١١هـ.
١٢. ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الشركة العالمية للكتاب ش. م. ل، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.
١٣. ابن بعرة: منصور بن بعرة الذهبى الكاملى، كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: د. عبد الرحمن فهمى، لجنة إحياء التراث الإسلامى، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، الكتاب الثامن، سنة ١٩٦٦م.
١٤. ابن تغري بردي: جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكى، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق: أحمد يوسف لجأتى، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، وهناك محقق آخر د. محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٩٣م.
١٥. ابن حبيب: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، تذكرة النبىه فى أيام المنصور وبنيه، حققه: د. محمد محمد أمين، راجعة وقدم له، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م.
١٦. ابن حجر: أحمد على (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، الدر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، القاهرة سنة ١٩٦٦م.
١٧. ابن حوقل: أبى القاسم بن حوقل النصيبى، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٨. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر الحضرمى الإشيبلى الأصل التولسى ثم القاهري (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، منتصف تمام تسعة وسعين وسبعمئة.
١٩. ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن آيدمر العلالتى المعروف بابن دقماق (٧٥٠-٨٠٩هـ)، الجواهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: د. أحمد دراج.
٢٠. ابن شداد: بهاء الدين يوسف رافع ت سنة ٦٣٢هـ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة سنة ١٩٦٤م.
٢١. ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، كامل المهندس، مطبوعات دار الكتب سنة ١٩٦٩م.





٢٢. ابن عبد الظاهر: محي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب، ط ١، سنة ١٩٩٦ م.
٢٣. ابن كثير: الإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفي سنة ٧٧٤ هـ، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٣، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، سنة ١٣٥٨ هـ.
٢٤. ابن منظور: العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي، لسان العرب، الطبعة الأولى، (٢٠ جزء) المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية.
٢٥. ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، خمسة أجزاء، مطبعة جامعة فؤاد الأولى سنة ١٩٥٣ م.
٢٦. الكندي: عمر بن محمد بن يوسف (من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) فضائل مصر المحروسة، تحقيق: د. علي محمد عمر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
٢٧. أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، (تاريخ أبو الفدا) المختصر في أخبار البشر، ٤ مجلدات في جزئين، دار الطباعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، وهناك ٤ أجزاء في مجلد واحد، الطبعة الأولى، بالمطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٥ هـ.
٢٨. أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٩٧٤ م.
٢٩. أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدس، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة سنة ١٩٦٢، الجزء الأول، القسم الثاني.
٣٠. أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشبكة في ضوابط دار السكة، حققه: د. حسين مؤنس، سنة ١٩٨٦ م.
٣١. أبي الحاسن: جمال الدين أبي الحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م.
٣٢. الأسدي: محمد بن محمد بن خليل الأسدي، التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق: د. عبد القادر أحمد طليمات، دار الفكر العربي.



٣٣. الأسعد بن ممتى الوزير الأيوبي: ت سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م، كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه: عزيز سوربال عطية، مطبعة مصر سنة ١٩٤٣ م، طبع الجمعية الزراعية الملكية سنة ١٨٩٨ م.
٣٤. الأصفهاني: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات بمصر، سنة ١٣١٨ هـ/ سنة ١٩٠٠ م، طبعة أخرى دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان سنة ١٩٨٠ م.
٣٥. الأتصاري الدمشقي، نوبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد، سنة ١٩٢٣ م.
٣٦. الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غير، حققه وضبطه علي مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الجزء الثالث من سنة ٥٤٧ هـ إلى سنة ٧٠٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٧. الدواداري: أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ٩ أجزاء، القاهرة سنة ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م.
٣٨. السبكي: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣ م.
٣٩. السيوطي: جلال الدين السيوطي الشافعي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزآن
٤٠. العسقلاني: الحافظ بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢ هـ، إنباء الغمر بابناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.
٤١. العماد الحنبلي: المؤرخ الفقيه الأديب عبد الحى العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٥ أجزاء، عنيت بنشرة مكتبة القدس سنة ١٣٥٠ م.
٤٢. العماد الكاتب الأصفهاني، الفتح القسى في الفتح القدسى، تحقيق: وشرح: محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٥ م.
٤٣. العمرى: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩ م، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، حققه وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهرسها: د. أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة.
٤٤. العيني: بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه د. محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م



٤٥. القلقشندى، أبي العباس على القلقشندى ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر

٤٦. الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧م)، الأحكام السلطانية، الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٤٧. المخزومي: أبي الحسن علي بن عثمان المخزومي، المنتقى من كتاب المنهاج في علم خراج مصر، تحقيق: كلود كاهن، مراجعة: يوسف راغب، ملحق حوليات إسلامية، العدد الثامن، سنة ١٩٨٦م.

٤٨. المسبحي: الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله أحمد، أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد ونباري بيانكي، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة

٤٩. المسعودى: أبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٤م.

٥٠. المقرئى، إغاثة الأمة بكشف الغمة، أو تاريخ المجاعات في مصر، دار ابن الوليد.

٥١. المقرئى، تقى الدين أحمد بن على المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، دار الطباعة المصرية ببولاق القاهرة المعزبة سنة ١٢٧٠هـ

٥٢. المقرئى: تقى الدين أحمد بن المقرئى، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه، محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٤٣م، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤م (جزأين)، الجزء الأول ثلاثة أقسام، الجزء الثانى قسمان

- هناك طبعة أخرى تحقيق:، محمد عبد القادر عطا، ٨ أجزاء، منشورات محمد على بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥٣. المقرئى، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: وتأليف د. عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، سنة ١٩٦١م.

٥٤. المقرئى، شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق: وإضافات: علي بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، بغداد، سنة ١٩٦٧م.



٥٥. المقرئى، تقى الدين أحمد بن على المقرئى، اعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: د. محمد حلمى محمد أحمد، ٣ أجزاء القاهرة سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
٥٦. المقرئى، مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققه ووضع فهرسه: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٥٧. المقرئى، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققه ووضع فهرسه: د. أيمن فؤاد سيد، المجلسين الثالث والرابع، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٥٨. النابلسى: عثمان بن إبراهيم النابلسى، لمع القوانين المضية في قوانين الديار المصرية، طبعة المعهد الفرنسى، دمشق سنة ١٩٦١م.
٥٩. النابلسى: أبى عثمان النابلسى الصفدى الشافعى، تاريخ الفيوم وبلاده، دار الجليل، بيروت سنة ١٩٧٢م.
٦٠. النابلسى: عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى، الحقيقة والحجاز في الرحلة الى بلاد الشام والحجاز، تقديم: د. أحمد عبد المجيد هريدى، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦.
٦١. النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب، مركز تحقيق التراث سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢.
٦٢. اليافعى: الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمىنى المكى سنة ٧٦٨هـ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ أجزاء، دار الكتاب الإسلامى، بدون تاريخ.
٦٣. عبد الرحمن بن نصر الشيزرى، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: د. السيد الباز العرينى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، وهناك طبعة أخرى، القاهرة سنة ١٩٤٦م.
٦٤. عبد الله الشرقاوى، تحفة الناظرين فيمن تولى مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق: رحاب عبد الحميد القارى، مكتبة مديولى، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
٦٥. على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر الحمية، سنة ١٣٠١هـ، ٢٠ جزء.
٦٦. محمد بن أحمد بن إياس الحنفى الجركسى، لبدة من لشق الأزهار في عجائب الأقطار،





A paris l' Imprimere imperale, M. DCCC. VIII. Extrait du Tome VIII,  
1<sup>re</sup> partie des notices et Extraits de Manuscrits de la Bibliotheque  
imperial.

٦٧. محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى، ت سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٢م، كتاب الإمام بالأعلام فيما جرت به  
الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية، تحقيق: د. عزيز سوريال عطية من مخطوط برلين وبانكى بور،  
دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، سنة ١٣٩٠هـ / سنة ١٩٧٠م.

٦٨. مفصل بن أبى الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، باريس، سنة ١٩١١م - ١٩٢٠م  
- ١٩٣٢م.

٦٩. ياقوت الحموى، الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، معجم  
البلدان، المجلد الرابع، دار بيروت، دار صادر بيروت سنة ١٩٥٧م.



### خامساً: قائمة المراجع العربية:

١. الأب أنستاس الكرملي، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، سنة ١٩٨٧ م.
٢. إبراهيم دسوقي أباطة (دكتور)، الاقتصاد الإسلامي (مقوماته ومناهجه)، مراجعة: د. علي عبد الواحد وافي .
٣. إبراهيم عبد المنعم سلامة (دكتور)، جوانب من تاريخ مصر في عصري الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ.
٤. إبراهيم علي طرخان، (دكتور)، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة، سنة ١٩٦٠ م، هناك طبعة أخرى سنة ١٩٦٨ م.
٥. أحمد السيد الصاوي (دكتور)، مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨ م.
٦. أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجليل، بيروت سنة ١٩٨١ م.
٧. أحمد رمضان أحمد (دكتور)، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، سنة ١٩٧٧ .
٨. أحمد عبد الرازق (دكتور)، دراسات في المصادر المملوكية المبكرة، القاهرة سنة ١٩٧٤ م.
٩. أحمد عبد الرازق (دكتور)، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٩ م.
١٠. أحمد عبد الرازق (دكتور)، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٠ م.
١١. أحمد فكري (دكتور)، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، دار المعارف، سنة ١٩٦٥ م.
١٢. أحمد فكري (دكتور)، خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب، سنة ١٩٩٧ م.
١٣. أحمد قدرى، أثار سيناء، مطبعة هيئة الآثار المصرية، سنة ١٩٨٦ م.
١٤. أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٩٦٦ م.



١٥. أسين أتيل، نهضة الفن الإسلامي في العصر المملوكي، الولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٨١ م.
١٦. أشتور (إلياهو)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، مراجعة: أحمد غسانو سبالو، دار قتيبة، دمشق.
١٧. البيومي إسماعيل الشربيني (دكتور)، النظم المالية في مصر والشام عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٨ م.
١٨. البيومي إسماعيل الشربيني (دكتور)، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٧ م.
١٩. السيد الباز العربي (دكتور)، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، سنة ١٩٦٣ م.
٢٠. السيد الباز العربي (دكتور)، المماليك (الفروسية في مصر عصر سلاطين المماليك)، دار النهضة العربية، بيروت.
٢١. السيد عبد العزيز سالم (دكتور)، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، الطبعة الأولى، دار المعارف، سنة ١٩٦١ م.
٢٢. السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد سالم (دكتور)، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية سنة ١٩٩٩ م.
٢٣. السيد محمد الملط، نقود العالم متى ظهرت ؟ ومتى اختفت؟، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ م.
٢٤. السيروليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٢ هـ / سنة ١٩٢٤ م.
٢٥. أمال العمري، علي الطائش (دكتور)، (دكتور)، العمارة في مصر الإسلامية (العصرين الفاطمي والأيوبي)، القاهرة، سنة ١٩٩٦ م.
٢٦. إميل لودفيغ، النيل حياة نهر، ترجمة: عادل زعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧ م، طبعة أخرى بدار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ م.
٢٧. أمين سامي، تقويم النيل، المطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة ١٩١٦ م.



٢٨. أنتوني نتيج، العرب انتصارهم وأمجاد الاسلام، ترجمة: د. راشد البراوي، مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٤ م.
٢٩. إيمان محمد إبراهيم عرفه (دكتور)، الفارسية قواعد ولصوص، راجعه وقدم له، د. السباعي محمد السباعي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨ م.
٣٠. أيمن فؤاد سيد (دكتور)، التطور العمراني بمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، الطبعة الأولى، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٧ م.
٣١. بلانكا تييرا فييرا، النيل يمر ببلادي، ترجمة: عبد الرؤوف عز الدين، صلاح عطية نور الدين، مراجعة د. علي إبراهيم عبده، بدون تاريخ وطبعة.
٣٢. بليخانوف (ج)، تطور النظرة الواحدة إلى التاريخ، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، القاهرة، سنة ١٩٦٩ م.
٣٣. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: د. زبيدة محمد عطا، الجزء التاسع، بدون تاريخ.
٣٤. توفيق أحمد عبد الجواد (دكتور)، تاريخ العمارة (العصور المتوسطة الأوربية والإسلامية)، ج ٢، سنة ١٩٦٩ م.
٣٥. توفيق إسكندر (دكتور)، نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧ م.
٣٦. توفيق الطويل (دكتور)، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة كلية الآداب بالجماميز، بدون تاريخ.
٣٧. ج. ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة وتعليق: د. جوزيف نسيم، دار المعارف، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤ م.
٣٨. ج. و. كوبلاند، الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا، نقله إلى العربية، د. محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٥ م.
٣٩. جاك ريسلر، الحضارة العربية، تعريب: د. خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، سنة ١٩٩٣ م.
٤٠. جمال الدين الشيال (دكتور)، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، الإسكندرية، سنة ١٩٦٦ م.





٤١. جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة عبقرية في المكان، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٩٨٠م.
٤٢. جمال عبد الرحيم إبراهيم (دكتور)، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، سنة ٢٠٠٠م.
٤٣. جمال مرسى بدر (دكتور)، نهر النيل في تاريخ الفكر الجغرافي، المجلة، العدد ١٠، ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ / أكتوبر سنة ١٩٥٧م.
٤٤. جوده حسنين جوده (دكتور)، جغرفولوجية مصر، مقال في كتاب جغرافية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٥. جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، نقله إلى العربية: د. أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م.
٤٦. جون ويلسون، الحضارة المصرية، ترجمة د. أحمد فخرى، القاهرة سنة ١٩٥٥م.
٤٧. حامد زيان غانم (دكتور)، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر عصر سلاطين المماليك، المكتبة العالمية، سنة ١٩٧٦م.
٤٨. حسن الباشا (دكتور)، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، دار النهضة العربية سنة ١٩٦٥م.
٤٩. حسن الباشا (دكتور)، فنون التصوير الإسلامي في مصر، ج ١، القاهرة، سنة ١٩٧٣م.
٥٠. حسن الباشا (دكتور)، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٨م.
٥١. حسن الباشا (دكتور)، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الأول، أوراق شرقية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩م.
٥٢. حسن عبد الوهاب (دكتور)، تاريخ المساجد الأثرية، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٣. حسن محمود الشافعي، العملة وتاريخها (دراسة تحليلية عن نشأة العملة وتطورها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م.
٥٤. حسني محمد نوبصر (دكتور)، العمارة الإسلامية في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق.
٥٥. حسنين ربيع (دكتور)، البحر الأحمر في السياسة الدولية (لدوة تاريخ البحر الأحمر)، جامعة عين شمس، سنة ١٩٧٩م.



٥٦. حسين أمين (دكتور)، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، طبعة المكتبة الأهلية، بغداد، سنة ١٩٦٥ م.
٥٧. حسين عبد الرحيم، النقود، إشراف وزارة المالية، بدون تاريخ
٥٨. حسين عليوه (دكتور)، المعادن، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، القاهرة سنة ١٩٧٠ م.
٥٩. حسين مؤنس (دكتور)، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٩ م.
٦٠. حصة الصباح، كنوز الفن الإسلامي، ترجمة كتاب **Treasures of Islam**، بدون تاريخ.
٦١. حمود بن محمد بن علي النجيدى (دكتور)، النظام النقدي المملوكى، مكتبة العبيكان، الرياض سنة ١٩٩٣ م.
٦٢. حياة ناصر الحجى (دكتور)، أحوال العامة في حكم الممالك، (دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، الطبعة الثانية، الكويت سنة ١٩٩٤ م.
٦٣. حياة ناصر الحجى (دكتور)، أنماط من الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية في سلطنة الممالك في القرنين الثامن و التاسع الهجريين، الكويت، سنة ١٩٩٥ م.
٦٤. ديفيد وليام ماكدوال، مجموعات النقود (صيانتها - تصنيفها - عرضها) ترجمة: نبيل محمود زين الدين، حامد رمضان الجوهري، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٨٦ م.
٦٥. رؤوف الأنصاري (دكتور)، دراسة في تاريخ عمارة المساجد خلال العهود الإسلامية، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٩٩٦ م.
٦٦. راشد البراوى (دكتور)، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م.
٦٧. رافت محمد النبراوى (دكتور)، د. نورمان، د. ليكول، د. جير باكاراك، كتالوج النقود و الصنج الزجاجية والقوالب والميداليات الإسلامية المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة للكتاب بالإشتراك مع مركز البحوث الأمريكى، سنة ١٩٨١ م.
٦٨. رافت محمد النبراوى (دكتور)، أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر عصر دولة الممالك الجراكسة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠ م.



٦٩. رأفت محمد النبراوى (دكتور)، النقود الصليبية في الشام ومصر، الطبعة الأولى، دار نهضة الشرق القاهرة سنة ١٩٩٦ م.
٧٠. رأفت محمد محمد النبراوى (دكتور)، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠ م.
٧١. رشدي سعيد (دكتور)، نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل، دار الهلال سنة ١٩٩٣ م.
٧٢. رمزي زكي (دكتور)، مشكلة التضخم في مصر وأسبابها ونتائجها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م.
٧٣. زبيدة محمد عطا (دكتور)، الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩١ م.
٧٤. زكي محمد حسن (دكتور)، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية.
٧٥. زكي محمد حسن (دكتور)، فنون الإسلام، ج١، دار الرائد العربي، القاهرة، سنة ١٩٥٨.
٧٦. سامح عبد الرحمن فهمي (دكتور)، نص يضيف جديداً لقيم ضرب السكوكات الأيوبية بدار ضرب الإسكندرية في القرن ٦هـ/١٢هـ، جامعة اليرموك، الأردن.
٧٧. سامي أحمد عبد الحليم إمام، المنسوجات الأثرية القبطية المحفوظة بمتحف جاير أندرسون بالقاهرة، ط ١، مؤسسة شباب الجامعة، سنة ١٩٩٠ م.
٧٨. سامي أحمد عبد الحميد (دكتور)، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت الممالك في القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤ م.
٧٩. سامي محمد نوار (دكتور)، المنشآت المائية لمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، دار الوفاء للطباعة والنشر.
٨٠. سعاد ماهر (دكتور)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١ م.
٨١. سعاد ماهر (دكتور)، الفنون الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٨٦ م.



٨٢. سعد زغلول عبد الحميد (دكتور)، العمارة والفنون في دولة الإسلام، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٨٦ م.
٨٣. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩ م.
٨٤. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢ م.
٨٥. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، القاهرة سنة ١٩٧٦ م.
٨٦. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت العربية، سنة ١٩٧٧ م.
٨٧. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، الفيوم في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني (بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى)، جامعة بيروت العربية، سنة ١٩٧٧ م.
٨٨. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك في ضوء كتابات المؤرخ بان إياس، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت العربية، سنة ١٩٧٧ م.
٨٩. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م، جزءان.
٩٠. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس.
٩١. سعيد محمد إسماعيل الصاوي (دكتور)، حول النظم الإسلامية وعلاقتها بالدعوة إلى الله تعالى، مكتبة الأندلس بطنطا، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦ م.
٩٢. سليمان أحمد حُزَيْن وآخرون، المجلد في التاريخ المصري، القاهرة، ١٩٥١ م.
٩٣. سمير محمد السيد الحسيني (دكتور)، تاريخ الفكر الاقتصادي، مطبعة حسان.
٩٤. سيد علي الحريري، الحروب الصليبية، تحقيق: د. عصام محمد شبارو، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م.





الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨.

٩٥. سيدة الكاشف (دكتور)، مصر في عصر الولاة، سلسلة الألف كتاب (٢٤١).
٩٦. صبحي عبد المنعم ماجد (دكتور)، الحسبة في الإسلام بين النظرية والتطبيق، الجزء الأول، دار رياض الصالحين، سنة ١٩٩٣ م.
٩٧. صلاح الدين الشامي (دكتور)، مياه النيل دراسة موضوعية، مكتبة مصر، بدون تاريخ.
٩٨. ضياء الدين ببيرس (دكتور)، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٩ م.
٩٩. ضيف الله يحيى الزهراني (دكتور)، زيف النقود الإسلامية، سنة ١٩٩٣ م.
١٠٠. عاصم محمد رزق (دكتور)، خاتقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ج١، ط١، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٧ م.
١٠١. عبد الباقي إبراهيم، د. صالح لمعي، أسس التصميم المعماري والتخطيط في العصور الوسطى، سنة ١٩٩٠ م.
١٠٢. عبد الحميد العبادي، محمد مصطفى زيادة، إبراهيم أحمد العدوي (دكتور)، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، الطبعة الثالثة، مكتبة ههضة مصر، سنة ١٩٥٨ م.
١٠٣. عبد الرؤوف علي يوسف (دكتور)، الخزف، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، سنة ١٩٧٠ م.
١٠٤. عبد الرؤوف علي يوسف (دكتور)، الخشب والعاج، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، القاهرة سنة ١٩٧٠ م.
١٠٥. عبد الرؤوف علي يوسف (دكتور)، الفخار، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، القاهرة، سنة ١٩٧٠ م.
١٠٦. عبد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول، القاهرة، سنة ١٩٥٠ م.



١٠٧. عبد الرحمن زكي (دكتور)، موسوعة الجيوش (الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي إلى معركة المنصورة)، القاهرة، سنة ١٩٧٠م.
١٠٨. عبد الرحمن عبد التواب (دكتور)، القصر الأبلق (قصر الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة)، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، جـ ١، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.
١٠٩. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، العمارة في عصر المماليك، مقال في كتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، للدكتور حسن الباشا وآخرون، سنة ١٩٧٠م.
١١٠. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، النسيج، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، القاهرة سنة ١٩٧٠م.
١١١. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، النقود العربية ماضيها وحاضرها، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
١١٢. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، شجر الدر، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، لحسن الباشا وآخرون، القاهرة سنة ١٩٧٠م.
١١٣. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، مجموعة النقود العربية وعلم النميات، مطبعة دار الكتب، سنة ١٩٦٥م.
١١٤. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، المسكوكات، مقال في كتاب القاهرة - تاريخها - فنونها - آثارها، لحسن الباشا وآخرون، مطابع الأهرام، سنة ١٣٩٠هـ - / ١٩٧٠م.
١١٥. عبد العزيز الدوري (دكتور)، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٩م.
١١٦. عبد العزيز صالح (دكتور)، الشرق الأدنى القديم، الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٩٧٣م.
١١٧. عبد العزيز صلاح سالم (دكتور)، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ ٢، مركز الكتاب للنشر، سنة ١٤٢٠هـ - / ٢٠٠٠م.
١١٨. عبد العزيز محمود عبد الدايم (دكتور)، الرق في مصر في العصور الوسطى، مكتبة نهضة الشرق، سنة ١٩٨٣م.
١١٩. عبد العزيز محمود عبد الدايم (دكتور)، بيت المقدس في العصر الأيوبي، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.



١٢٠. عبد العزيز مرزوق (دكتور)، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦٣.
١٢١. عبد العظيم أبو العطا (دكتور)، د. مفيد شهاب، أ. رفع الله رضا، نهر النيل الماضي والحاضر والمستقبل، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م.
١٢٢. عبد العظيم رمضان (دكتور)، تاريخ المدارس في مصر، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٩٢م.
١٢٣. عبد الغني محمود عبد العاطي (دكتور)، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، مصر.
١٢٤. عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى (دكتور)، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة المجلة الجديدة.
١٢٥. عبد المجيد مزيان (دكتور)، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، سنة ١٩٨١م.
١٢٦. عبد المنعم ماجد (دكتور)، التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك في مصر، دراسة تحليلية للإزدهار والافتقار، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٨م.
١٢٧. عبد المنعم ماجد (دكتور)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة سنة ١٩٧٣م.
١٢٨. عبد المنعم ماجد (دكتور)، نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، جزءان، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٦٤م.
١٢٩. عدنان محمد فايز الحارثى (دكتور)، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي، مكتبة زهراء الشرق، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٣٠. عصمت أحمد عوض (دكتور)، المباخر، مطبعة أطلس، سنة ١٩٩١م.
١٣١. عطية أحمد القوصي (دكتور)، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، دار الثقافة العربية.
١٣٢. عطية أحمد القوصي (دكتور)، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة، بدون تاريخ.



١٣٣. علاء طه رزق (دكتور)، السجون و العقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢ م.
١٣٤. علي إبراهيم حسن (دكتور)، أراء في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، سنة ١٩٤٤ م.
١٣٥. علي إبراهيم حسن (دكتور)، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٧ م.
١٣٦. علي إبراهيم حسن (دكتور)، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٩ م.
١٣٧. علي حسين الشطشاط (دكتور)، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء للنشر، سنة ٢٠٠١ م.
١٣٨. عماد بدر أبو غازي (دكتور)، تطور الحياة الزراعية زمن المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠ م.
١٣٩. عمر طوسون، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠ م.
١٤٠. فؤاد هاشم عوض (دكتور)، اقتصاديات النقود والتوازن النقدي، المطبعة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.
١٤١. فالتر هانتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية د. كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ م.
١٤٢. فتحي أبو سيف (دكتور)، خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
١٤٣. فوزي محمد أمين (دكتور)، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، دار المعارف، سنة ١٩٨٢ م.
١٤٤. قاسم عبده قاسم (دكتور)، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار المعارف سنة ١٩٧٨ م.
١٤٥. قاسم عبده قاسم (دكتور)، أهل الذمة في العصور الوسطى (دراسة وثائقية)، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩ م.
١٤٦. قاسم عبده قاسم (دكتور)، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانية، دار المعارف سنة ١٩٨٣ م.
١٤٧. قاسم عبده قاسم (دكتور)، تاريخ الأيوبيين المماليك، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١ م.





- ١٤٨ . قدرى قلعبى (دكتور)، صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الأولى، بيروت/لبنان، سنة ١٩٩٤م.
- ١٤٩ . كارل ستيفن، الإقطاع في العصور الوسطى، ترجمة: د. محمد فتحي الشاعر، دار المعارف.
- ١٥٠ . ل. أ. سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، سنة ١٩٩٨م.
- ١٥١ . لييب يعقوب صليب، الجغرافيا الفلكية للكتاب المقدس أو التقويم القبطي المصري، الجزء الأول، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م.
- ١٥٢ . م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، سنة ١٩٨٢م.
- ١٥٣ . مجدى عبد الرشيد بحر (دكتور)، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٩م.
- ١٥٤ . محاسن الوقاد (دكتور)، اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجينيزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٩م.
- ١٥٥ . محمد أحمد البقلي (دكتور)، التعريف بصطلحات صبح الأعشى للقلقشندي، القاهرة سنة ١٩٨٣م.
- ١٥٦ . محمد الجهيني (دكتور)، أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية "حي باب البحر"، القاهرة دار لمحة الشرق، سنة ٢٠٠٠م.
- ١٥٧ . محمد أمين صالح (دكتور)، النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة لمحة الشرق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م.
- ١٥٨ . محمد بركات البيلي (دكتور)، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية، مكتبة لمحة الشرق، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي.
- ١٥٩ . محمد بهجت مختار عصفور (دكتور)، المصادرة في مصر المملوكية الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك، القاهرة، سنة ١٩٩٠م.
- ١٦٠ . محمد جمال الدين سرور (دكتور)، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد.
- ١٦١ . محمد حمدي المناوي (دكتور)، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٠م.



- ١٦٢ . محمد حمدي المناوي (دكتور)، نهر النيل في المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٩٦ م.
- ١٦٣ . محمد حمزة إسماعيل الحداد (دكتور)، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، الكتاب الأول، دار القاهرة، الطبعة الثانية.
- ١٦٤ . محمد حمزه إسماعيل الحداد (دكتور)، السلطان المنصور قلاوون، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣ م.
- ١٦٥ . محمد رجب النجار (دكتور)، حكايات الشطار والعيارين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨١ م، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٢ م.
- ١٦٦ . محمد رمزي (دكتور)، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥، القسم الأول، البلاد المدرسة، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣ م - ١٩٥٤ م.
- ١٦٧ . محمد عادل عبد العزيز (دكتور)، التاريخ الإسلامي العام، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣ م.
- ١٦٨ . محمد عبد العظيم أبو النصر (دكتور)، السلاجقة، تاريخهم السياسي والعسكري، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١ م.
- ١٦٩ . محمد عبد الغني الأشقر (دكتور)، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٩٩ م.
- ١٧٠ . محمد لبيب شقير، النقود، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٩٥ م.
- ١٧١ . محمد ماهر حمادة (دكتور)، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي "دراسة ونصوص"، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م.
- ١٧٢ . محمد محمد أمين (دكتور)، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط١، القاهرة، سنة ١٩٨٠ م.
- ١٧٣ . محمد محمد فياض، التقاويم، مكتبة نهضة مصر، سنة ١٩٥٨ م.
- ١٧٤ . محمد محمود زيتون (دكتور)، الإدارة المحلية في مصر من خمسة آلاف سنة إلى اليوم، دار المعارف، بدون سنة.
- ١٧٥ . محمد محمود علي أبو زيد (دكتور)، النيل ومصر، دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من الفتح الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الهداية للطباعة والنشر.
- ١٧٦ . محمد مصطفى (دكتور)، شرف الأبواني صانع الفخار المطلي في القرن الثامن الهجري، (مؤتمر الآثار في البلاد العربية المنعقد بدمشق)، سنة ١٩٤٧ م.



١٧٧. محمد مصطفى زيادة (دكتور)، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، التاريخ والآثار الحلقة الدراسية الأولى ٤-٩ فبراير سنة ١٩٦١ م.
١٧٨. محمد مصطفى لجيب (دكتور)، العمارة في عصر المماليك، مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، أثارها، لحسن الباشا وآخرون.
١٧٩. محمود إبراهيم حسين (دكتور)، الخلف الإسلامي في مصر، مكتبة نهضة الشرق، سنة ١٩٨٤ م.
١٨٠. محمود أحمد (دكتور)، بيان تاريخي عن مسجد السلطان حسن وشرح مميزات الفنية، مطبعة وزارة الأوقاف، سنة ١٩٣٥ م.
١٨١. محمود الحويري (دكتور)، العادل الأيوبي، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، دار حراء، القاهرة، سنة ١٩٨٠ م.
١٨٢. محمود محمد الحويري (دكتور)، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، سنة ١٩٧٩ م.
١٨٣. محمود محمد الحويري (دكتور)، مصر في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦ م.
١٨٤. محمود نديم أحمد فهم (دكتور)، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٣ م.
١٨٥. مختار السويفي (دكتور)، مصر والنيل في أربعة كتب عالمية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨ م، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٦ م.
١٨٦. مصر ونهر النيل، وزارة الخارجية، القاهرة سنة ١٩٨٣ م.
١٨٧. منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة (مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية)، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية.
١٨٨. منى أحمد محمد (دكتور)، المصطلحات الإدارية الفارسية في العصر المملوكي "دراسة معجمية دلالية"، سنة ٢٠٠٢ م.
١٨٩. منى سعد محمد الشاعر (دكتور)، شبكة الري المصرية في عصر دولة المماليك البحرية، المؤتمر الدولي حول التاريخ الاقتصادي للمسلمين، الجزء الثاني، سنة ١٩٩٨ م.



١٩٠. مورلاية (فرانسيس) وكوليتز (جوزيف)، صناعة الجوع، ترجمة: أحمد حسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٦٤، الكويت سنة ١٩٨٣.

١٩١. نعيم زكي فهمي (دكتور)، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٩٣ م.

١٩٢. هـ. أ. هرست، النيل، نقله إلى العربية المهندس حسن أحمد الشربيني، بدون طبعة وتاريخ.

١٩٣. هايد. ف.، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٥ م - سنة ١٩٩١ م.

١٩٤. وليم قازان، المسكوكات الإسلامية، بنك بيروت، ش. م. ل، بيروت/لبنان سنة ١٩٨٣ م.

١٩٥. يوسف الشربيني، هز القحوف في شرح قصيدة أبو شادوف، عرض: طاهر أبو فاشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧ م.

١٩٦. يوسف كمال محمد (دكتور)، فقه الاقتصاد النقدي (المصرفية الإسلامية، السياسية النقدية)، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦ م.





سادساً: قائمة الرسائل العلمية (الماجستير / الدكتوراة):

١. أحمد عبد الرازق، الفخار المصري المطلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٠ م.
٢. أحمد محمد عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر في عصر الدولة المملوكية الأولى، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس سنة ١٩٧٢ م.
٣. أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٢ م.
٤. أمال أحمد حسن العمري، المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٤ م.
٥. أميرة إبراهيم أحمد، الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، رسالة دكتوراة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
٦. جابر سلامه المصري، الزراعة في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م.
٧. جمال محمد طه، دراسة تحليلية للعمارة والعمران للقاهرة الفاطمية، رسالة دكتوراة، كلية التخطيط الإقليمي والعمراني، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٣ م.
٨. حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة. سنة ١٩٨٧ م.
٩. حسين مصطفى حسين، المحارب الرخامية في القاهرة المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨١ م.
١٠. خلف فارس الطراونة، المسكوكات الأيوبية في ضوء متحف الآثار الأردني، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٨ م.
١١. رضا رمضان السيد أبو الزهر، الزغل في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة المنصورة، سنة ٢٠٠٣ م.



- ١٢ . سالم مرزوق بسيوني الرفاعي، خلفاء السيد أحمد البدوي ودورهم السياسي والحضاري في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٨٢م.
- ١٣ . سامح عبد الرحمن فهمي، المسكوكات والقيم النقدية في وثائق الممالك البحرية في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة ١٩٨٠م.
- ١٤ . سهام محمد المهدي سليم، دار ضرب الإسكندرية ونقودها الإسلامية من الفتح العربي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.
- ١٥ . عادل شريف علام، النصوص التأسيسية على العمار الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، سنة ١٩٩٥م.
- ١٦ . عباس حلمي إسماعيل، السياسة الداخلية في الدولة الأيوبية في مصر بعد السلطان العادل، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، بدون سنة.
- ١٧ . عثمان علي محمد عطا، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي الاقتصادي، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ١٨ . عطيات إبراهيم السيد سعودي، الرخام في دولة الممالك البحرية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٤م.
- ١٩ . عفاف سيد صبرة، ديوان الإنشا و تطوره في عصري الأيوبيين والمماليك مع تحقيق: مخطوط الموشى في صناعة الإنشا - للموصلي الكاتب، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٠م.
- ٢٠ . عفاف سيد صبره، علاقة البندقية بمصر والشام من بداية القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- ٢١ . علاء طه رزق، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، سنة ١٩٨٩م.
- ٢٢ . عيد محمد علي أبو زيد، مجتمع القاهرة في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها، سنة ١٩٩٣م.



٢٣. فائق عز الدين إبراهيم العارف، فيضان النيل في مصر منذ الفتح العربي حتى الوقت الحاضر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقايق، سنة ١٩٩٠ م.
٢٤. ليبة إبراهيم مصطفى محمد، الفتن والفتن الداخلية في دولة سلاطين المماليك وأثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
٢٥. مایسة محمود محمد داوود، المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧١ م.
٢٦. محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر المماليك الجراكسة، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس سنة ١٩٧٠ م.
٢٧. مرفت عثمان حسن، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي في مصر والشام، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
٢٨. منى محمد بدر، أثر الفن السلجوقي على الحضارة والفن في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩١ م.
٢٩. ياسر حلمي أحمد عبده، طبقة التجار في مصر في عصر دولة المماليك وأثرهم في المجتمع المصري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، سنة ١٩٩٦ م.
٣٠. يسرى أحمد زيدان، الفقهاء والعامة في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سنة ١٩٩٦ م.



## سابعاً: قائمة الدوريات العلمية:

١. إبراهيم علي طرخان (دكتور)، الإقطاع الإسلامي (أصوله - تطوره - دراسة مقارنة)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧ م.
٢. أحمد فكري (دكتور)، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - أبريل سنة ١٩٦٩ م)، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب، سنة ١٩٧٠ م.
٣. أحمد عزت عبد الكريم (دكتور)، الأرض والفلاح في مصر، مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة سنة ١٩٧٤ م.
٤. أسامة زكي أبو زيد (دكتور)، الحوار زميون ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٣٠، سنة ١٩٨٢ م.
٥. جمال الدين الشيال (دكتور)، صفحة من الحياة الاقتصادية في مصر الإسلامية، مجلة الشفافة، العدد ٩٧، ٩٩، القاهرة سنة ١٩٤٠ م.
٦. حسني محمد نوبصر (دكتور)، الطأس السحرية (طاس الخضة) وما عليها من كتابات وما تشفيه من أمراض، مجلة كلية الآثار، العدد السادس، سنة ١٩٩١ م.
٧. حسين عبد الرحيم عليوة (دكتور)، المكان والفن الإسلامي، بحث بمجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني، مايو، سنة ١٩٨١ م.
٨. الطاهر أحمد مكى (دكتور)، رمضان في مصر المملوكية، مجلد الهلال، مايو سنة ١٩٨٨ م.
٩. محاسن محمد الوقاد (دكتور)، الهدايا والتحف زمن سلاطين المماليك البحرية، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد ٢٨، العدد الثاني، سنة ٢٠٠٠ م.
١٠. سامح عبد الرحمن فهمي (دكتور)، إضافة جديدة في سكة السلطان الظاهر بيبرس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، العدد الخامس، سنة ١٤٠١ هـ.
١١. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية، المجلة المصرية للعلوم السياسية، أكتوبر سنة ١٩٦٢ م.





١٢. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة المصرية للدراسات التاريخية المجلد السادس عشر، سنة ١٩٦٩ م.
١٣. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك (الأرض والفلاح في مصر على مر العصور)، مقال بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، سنة ١٩٩٦ م.
١٤. السيد الباز العربي (دكتور)، الإقطاع في الشرق الأوسط، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد الرابع، يناير سنة ١٩٥٧ م.
١٥. السيد الباز العربي (دكتور)، الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث، العدد الثاني، سنة ١٩٥٠ م.
١٦. سيدة إسماعيل كاشف (دكتور)، دراسات في النقود الإسلامية المصرية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر، سنة ١٩٦٤ م - سنة ١٩٦٥ م.
١٧. السيوطي: العلامة المحقق الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي، أثر متصل الإسناد في أمر النيل، المجلة، العدد (١٠)، أكتوبر سنة ١٩٥٧ م، ربيع الأول سنة ١٣٧٧ هـ.
١٨. صلاح الدين سيد البحيري (دكتور)، نحو منهج تحليلي وإنساني في دراسة الأركيولوجيا، مقال بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، المجلد الأول، الكويت، سنة ١٩٨١ م.
١٩. صلاح الدين سيد علي البحيري (دكتور)، ديوان الجيش في الدولة الأيوبية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، سنة ١٩٧٦-١٩٧٧ م، مطبعة الجبلاوي، القاهرة سنة ١٩٧٨ م.
٢٠. عبد الرحمن زكي (دكتور)، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر، القاهرة، سنة ١٩٦٩ م.
٢١. عبد الرحمن فهمي (دكتور)، من فضة الأيوبيين إلى نحاس المماليك، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية، العدد الثالث، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٤ م.
٢٢. عبد الكريم عبده حتاملة (دكتور)، صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة ١٢، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٩٨٦ م.



٢٣. عبد اللطيف إبراهيم (دكتور)، من وثائق التاريخ العربى، المشتغلين بالوثائق، مجلة المكتبة العربية، المجلد الأول، العدد الرابع، بدون تاريخ.
٢٤. عبد اللطيف إبراهيم (دكتور)، وثيقة مسرور بن عبد الله الشيلى الجمدار، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢١، الجزء الثانى، مطبعة جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٤.
٢٥. عبد الله كامل موسى (دكتور)، الاستحكامات الحربية بالشعور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى بقنا، العدد الرابع، سنة ١٩٩٥ م.
٢٦. على السيد على محمود (دكتور)، الفناء الكبير والموت الأسود فى القرن الـ ١٤ م، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٣٣، سنة ١٩٨٦ م.
٢٧. على السيد على (دكتور)، الجاسوسية فى عصر سلاطين المماليك، مجلة فكر وفن للدراسات والأبحاث، العدد (١٠)، دار الفكر للنشر والتوزيع، سنة ١٩٨٦ م.
٢٨. فتحى عبد العزيز أبو راضى (دكتور)، ديناميات التعرية الشاطئية والتغيرات المعاصرة لساحل دلتا النيل، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد السادس سنة ١٩٩٠ م.
٢٩. لىلى عبد الجواد إسماعيل (دكتور)، نائب السلطنة فى القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية، بحث من دورية المؤرخ المصرى، عدد يناير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٨ م.
٣٠. محمد حمزة إسماعيل حداد (دكتور)، مصليات الجنائز فى العمارة المصرية الإسلامية (دراسة تحليلية مقارنة وثائقية تاريخية)، مجلة كلية الآثار، العدد الثامن، سنة ١٩٩٧ م، مطبعة جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٠ م.
٣١. محمد رجائى ريان (دكتور)، الإقطاع العسكرى فى العصر المملوكى والعثمانى، مجلة الدار، العدد الثانى سنة ١٩٨٨ م.
٣٢. محمد عوض محمد (دكتور)، فهر النيل فى الأدب، المجلة، العدد ٨، المحرم سنة ١٣٧٧ هـ، أغسطس سنة ١٩٥٧ م.
٣٣. محمد مصطفى زيادة (دكتور)، حركة البناء والتعمير فى عصر الناصر محمد، مجلد ٩-١٠، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، سنة ١٩٦٢ م.



٣٤. محمود إبراهيم مصطفى الخطيب (دكتور)، الزكاة فريضة عادلة بالمعيار الشرعي والوضعي والاقتصادي والمالي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد ٣٥، سنة ١٩٨٨م.

٣٥. محمود إسماعيل عبد الرازق (دكتور)، الإقطاع الإسلامي من منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجري، حوليات كلية الآداب، رقم ١١، سنة ١٩٨٩م.

٣٦. مصطفى حسن محمد الكنانى (دكتور)، ريشارد قلب الأسد ومشروع غزو مصر، مجلة كلية الآداب، العدد التاسع، المجلد الثانى سنة ١٩٩٩م.



1. A. Abel, Gaibi et les grands financiers Egyptiens depoque Mamlouke, Le Caire, 1930.
2. Abu Salih, the Armenian, the churches, Monasteries of Egypt and some Neighbouring countries, oxford at the clarendon press, 1895.  
(تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني)
3. A Ibrahim (Laila): The Khanqah of the emir Qauson in Cairo: Mitteilungen des deutschen Archeologischen Institut Abteilungen, Kairo, band 30, 1974. Ashtor, Social and Economic History of The Near East In The Middle Age
4. Ashtor; l' Evolution des prix dans proche oriental passé Eboque (J. E. S. H. O), Vol 17, Part 1, leiden, 1961
5. Ayalon, the system of payment in Mamluk military, orient, leiden, 1955.
6. Ayalon: Gum Powder and Fire Arms in the Mamluk Kingdom, London, 1956.
7. Ayalon, "Studies on the Structure of the Mamluk Armen",  
Bulletin of the school of oriental and African studies, XV, 1953.
8. Ayalon, the system of payment in Mamluk Military Journal of the Economic and socil history of the Brient.
9. Ayalon; studies on the structure of the Mamluk Army, II. B. S. Q. A. vol 5, 1953.
10. Bahgat (A.B) et F. N. Assoul, la ceranique musulmane d l' Egypte.
11. Bacharach: foreign coins, forgers forgeries in fifteenth century Egypt (Assay was presented by R. Kirsnowski at the International, numismatic Congress, New-york, sept. 10. 1973.
12. Ball (John), Egypt in the classical Geographers, Cairo, Gor. Press, 1942.x





13. Balog (Paul), Ayyubid divional currency issued in Egypt by Al-Kamil Muhmmad I, Tirage a part de la "Gazette Numismatique Suisse" 27 "Kahier 1977".
14. Balog (Paul): The Coinage of the Ayyubids, Royal Numismatic Society special publication, No. 12, London, 1980.
15. Balog (Paul), History of the dirhem in Egypt from the Fatimid conquest until the collapse of the Mamluki Empire (358 H- 922H / 968 AD-1517AD) / Tom III/1961.
16. Balog (Pul),the coinage of the Mamluk sultans of Egypt and Syria,Numismatic studies No 12, the American Numismatic society-New-York 1964.
17. Bjorkman, beitrage Zur Geschichte der staatskan-Zelei im Islamischem Agypten.(Bernard),Egypt and Syria (the Cambridge History of Islam), Vol IA. Cambridge university, London, 1970.
18. De Bouard: Evolution monetaire de l' Egypte Medieval, L' Egypt contemporain. 30, 1939.
19. Demombynes, la Syrie a l'Epoque des Mamlouks.
20. De Sacy, Droit de propiete territorial en Egypt, 1<sup>ere</sup> Serie, Tome II.
21. Ehrenkreutz: Contributions to the knowledge of the Fiscal Administration of Egypt in the middle Ages, Bulletin of the school of oriental and Africa studies university of London, vol. 16. Part 3, 1954.
22. Ehrenkreutz (A): Arabic dinars struck by the crusaders, Journal of Economic social History orient, vol VII, partII,1964.
23. F. A. Bradford: Money and Banking 6<sup>th</sup> ed New-York, 1949.
24. Feherrari G, Ein Ayyubisches Rauchergefass mit demnamen des Sultan al-Malik al-Adil II, Kunst des orient VI, Wiesbaden, 1968.
25. Garcin (J. C) note sur les repports entre Bedouins et fellohs a l' époque



Mamluke (Annales Islamologiques) tom, XIV.

26. Garcin (J. C), Un Centre Muslamn De La Haut Egypt medivale, qus institute Francais d' archeologie orientane, du caire, VI, 1976.
27. Glubb JB: Ashort History of Arab Peoples, London, 1978.
28. Grohman (A), Arabic papyri in the Egyptian Library. Vol. VI, Cairo, 1962.
29. Hassan (Zaky Pacha), Coube magique dediee a salah ad-din, Bie, le Caire, X, 1916.
30. Hobson, R. L. C. B, A Guide to the Islamic Pottery of the Near East, 1932.
31. Johnston, Harry Sir: Ahistory of the Colonization of Abrica by Alienraces. The Nile Quest, London, 1903.
32. Khrenkreutzy (A. S.) Contributions to the knowledge of the fisical Administration of Egypt in the Middle ages, Bulleutin of the school of oriental and African studies university of London, vol 16. part 3, 1954.
33. Lavoix (Henri), Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibloitheque National (Egypte et Syrie), Ristmpa de u edizione di parigi, 1896.
34. Lane –pool(S), catalogue of the collection of Arabic coins.
35. Lane- poole (s), Ahistory of Egypt in the Middle ages, third Edition, London, 1900-1936.
36. Lane-Pool (S), Catalogue of oriental coins in the British IV and IX London, 1879, 1889.
37. Lane-pool(s), saladin and the full of kingdom of Jerusalem, Beirut, 1946.
38. Laoust. Le hanbalisme sous les Mamluks Bahrides (Revue de etades Islamiques), Tome XXVTTT, cahier, Paris, 1960.



39. Lewis ( Bernard), Egypt and Syria ( the Cambridge History of Islam), Vol IA . Cambridge university, London, 1970.
  40. Lorin, Henri, l'Egypt d' aujourd 'hui, le Caire, 1926.
  41. (L. S.) Briggs Mohammedan Architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924.
  42. M.A.cook(ed), studies in the Economic History of the midll East from the Rise of Islamic.
  43. Mann (Jacob),The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs,Oxford 1920,vol 1.
  44. Mayer: Some Problems of Mamluk Coinage, London, 1939.
  45. Maalouf ( Amin),The Crusades through Arab eyes, Translated by Roth Schild, 1983.
  46. Migeon G. Mannual de art Musulman, Paris, 1927.
  47. Muir (Sir William) ,K.C.SI,The Mamluke Dynasti of Egypt (1200-1517) A.D, London,1896.
  48. Nelson ( Jorgel), Mazalim And Dar Al-adl under the early Mamluk, the Muslim World, Vol. Lxvi . No 2,1976.
  49. Nicol, D.N.& EL-Nabarawy, R,& Bacharach, J.: Catalog of the Islamic Coins, Glass Weights, Dies, and Medals in the Egyptian National Library.
- وقد ورد مترجماً في متن الرسالة باللغة العربية نظراً لظروف الطباعة.
50. Oldenbourg (Zoe),,The Crusades, Translated from the French Anne Crter,New york, (without date).
  51. Parker (R. B.), Apractical Guide to Islamic in Caire, 1981.
  52. Petry (Carl f.), The Cmbridge History of Egypte,(Islamic Egypt), volume one.
  53. Poliak. A.M; Feudalism in Egypt, Syria, Palastine and the



Lebanon, (1939)

54. Poliak. A. M; The Ayyubid Feudalism, JRAS (1939)
55. Poliak. A. M; "Some notes the feudal system of the Mamluks'  
JRAS (1937).
56. Quatrimere: Histoire de sultans Mamlouks de l'Egypte, Paris 1837.
57. Rice D. S., The oldest dated "Mousl" Candlestick A. D 1225. the  
Bur. Mag, 1949.
58. Runciman (s) The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.
59. Runciman (S), A history of the Crusades, VII, Cambridg 1951.
60. Rabie ( Hassanien) , the Financial System of Egypt ( A. H 564 –  
741/A.D 1169-1341), London, Oxford university press- New – York  
Toronti, 1972.
61. Sato: The evolution of the Iqta System "under the Mamluks – An  
analysis of al –Rowk al – Husami and Al- Rowk al- Nasiri"  
memoirs of the research department of the toy Bunka, No. 37,  
Tokyo, 1979.
62. Shoshan (Boaz): Money, Prices and population in Mamluk Egypt,  
1382-1517, A dissertation presented to the faculty of princetor  
university in Condidce for degree of doctor of Philisophy (1977).
63. (V.S)Henirich ,History and Literatutre of the Crusades, translated  
the German and edited by lady Duff Gordon, with an  
index, London, New-york, 1861.
64. Wiet (G), Les Inscriptions du Mausolee de Chafei, Bulnetin de  
Institut de Egypte, Tome XV, 1933.
65. Wiet (G): Objects en cuivres, Rebertoire chronologique d'  
e'pigraphie arabe, XI, 1942.
66. Wiet (G); Le Egypt Arabe le Histoire de de la nation Egyptienne,





#### IV Paris, 1973.

67. Wiet (G), et Hautecoeur (Lowis), Les Mosques du Caire, 2 vols, Paris, Leroux, 1932.
68. Wiet, (G).. le grande peste noire en syrie et en Egypt, dans etuds d'orientalisme de dois a la memoire de levi- provençal paris, 1962.
69. Wiet (G): les Inscriptions du Mausolee de Shafi'I (l'n BullInstitut, d' Egypte, T. XV, 1932.





## **THE RESUME OF STUDY**

Many phenomena, having social effects by which the Egyptian History is characterized in medieval ages in generally and in the age of Mamlouks, Ayoubian sultans, specially. One of phenomenon is that the lands encountered economics crises as well as starvations and plagues, which were accompanied with it not only in one region but also in all regions. And influenced by it. Then it leaves obvious traces in the society and its financial, architected, aesthetical conditions that would make from it a dangerous merit in this age and this merit is actually worth to be studied and investigated.

The importance of this subject is existed in that it illustrate the side of implementation and attachment through the economic crises and their effects on the financial and civilized boarders which appear obviously in the monuments which had been left in the age of economic crises which is regarded as an incontrovertible proof.

Moreover, this study included Introduction, five chapters and conclusion. The first chapter treated the reasons, which lead to the occurrence of the economic crises in the two ages of Ayoubians and nautical Mamlouk. Re the second chapter, I treated by studying and analyzing the effects of economic crises on administrator and financial boarders in the two ages of Ayoubians and nautical Mamlouk. In the third chapter, I talked about the effects of economic crises on brasses. In the fourth chapter, I analyzed the effects of economic crises on the prices, money accounts and salaries. In the fifth chapter, I specified it to study the effects of economic crises on the architect and Islamic appliance arts of faiences, argils, woods, glasses, metals and boucles ... etc. Then I accomplished the study by a conclusion contains the most important results in addition to subjoining the research by three annexes talking about Nile flood, the average of coins weight and the prices of food commodities. Moreover, I annexed the research with a list of forfeits, different foreign and Arabic references, in addition to a catalogue of pictures and figures.



## **The words Describing Study:**

- Crisis.
- Economic.
- Iqta.
- Rowk.
- Weights.
- Coins.
- Prices.
- Goods.
- Architecture.
- Arts.



Cairo University  
Faculty of Archeology  
Dep. Of Islamic Archeology

**The Title of Study:**

The Economic Crises and their effects on the Financial and  
Civilized Borders in the two Ages of Ayoubians and Nautical  
Mamlouk in the light of the Islamic Monuments  
"A Monumental and Civilized Study"

**By:**

**Mervat Osman Hassan Ali**

Assistant lecturer in dep. of history, faculty of education  
Ain Shams University

**Supervisions:**

**Dr. Abdel Aziz Mahmoud Abdel Daim**

Prof. in Islamic history & Islamic civilization  
Cairo University

**Dr. Ahmed El Sayed El Sawy**

Islamic Mintages Instructor  
Cairo University

**1426 H.D / 2005 A.D**



